

حَاشِيَةٌ

العارف بالله تعالى العفور له
أحمد بن محمد الصاوي المالكي الحنوفى
١١٧٥ - ١٢٤١ هـ
على

نَفْسِ الْجَلَّالَيْنِ

لِلْإِمَامَيْنِ الْعَظِيمَيْنِ الْجَلَّالَيْنِ الْمُحَلَّى وَالْجَلَّالِ السُّوْطِيِّ
رَحِمَهُمَا اللَّهُ تَعَالَى آمِينَ

القرآن الكريم مضبوط بالشكل الكامل

الجزء الثالث

الطبعة الأخيرة راجع تصحيحها
فضيلة الشيخ على محمد الضباع
شيخ القراء والمقارئ بالديار المصرية

دار الجيّد
بيروت

الحمد لله الأول الآخر
الطاهر الظاهر ، والصلاة
والسلام على سيدنا محمد
الطاهر الفاجر ، وعلى
آله وأصحابه ذوى الصلا
والفاجر .

وبعد : فلما انتهى
الكلام على محكلة
الجلال السيوطى فله شرع
الآن فى الكلام على
تأليف شيخه الجلال محمد
ابن أحمد المحلى نفعا الله
بهما وبعلمهما فى الدنيا

بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ

(سورة الكهف)

مكية إلا : واصبر نفسك الآية ، مائة وعشر آيات أو وخمس عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ) هو الوصف بالجميل ثابت (لِلَّهِ) تعالى ، وهل المراد
الإعلام بذلك للإيمان به ، أو الثناء به ، أوهما ؟ احتمالات أفيدتها الثالث (الَّذِي أُنْزِلَ عَلَى عَبْدِهِ)
محمد (الْكِتَابَ) القرآن (وَلَمْ يَجْعَلْ لَهُ) أى فيه (عِوَجًا) اختلافا وتناقضا والجملة حال
من الكتاب ،

والآخرة ونسأل الله تعالى الاعانة على البدء والختام والموت على كمال الإيمان والاسلام . قال نفعا الله به : (قبها)

[سورة الكهف مكية] سميت بذلك لذكر قصة أصحاب الكهف فيها من باب تسمية الشيء باسم بعضه ، وسورة
مبتدأ ومكية خبر أول ومائة الخ خبر ثان (قوله ثابت) قدره إشارة إلى أن الجار والمجرور فى لله متعلق بمحذوف خبر المبتدأ
والمراد بالثبوت الدوام والاستمرار أزلا وأبدا فحصل الفرق بين حمد القديم والحادث فوصف القديم بالكالات أزلى مستمر
وكال الحادث عارض (قوله الاعلام بذلك) أى الاخبار بأن وصفه الكمالى أزلى فتكون الجملة خبرية لفظا ومعنى ، والمقصود
منها كونها عقيدة للعباد وشرطا فى إيمانهم والخبر بالحمد حامد (قوله أو الثناء به) أى إنشاء الثناء بضمون تلك الجملة لانشاء
للضمون فانه ثابت أزلا يستحيل إنشاؤه فتكون على هذا خبرية لفظا إنشائية معنى كأنه قال أجدد وأثني حمدا لنفسى بنفسى
لعجز خاقي عن كنهه حمدي ، ولذا حكى عن أبى العباس الرضى أنه سأل ابن النحاس النحوى عن آل فى الحمد لله هل هى
جنسية أو عهدية فقال يقولون إنها جنسية فقال لا بل هى عهدية لأن الله لما علم عجز خلقه عن كنهه حمده حمد نفسه بنفسه
وأبناهم لهم يحمدهونه به (قوله أوهما) أى الاعلام والثناء ويكون هذا من باب استعمال الجملة فى الخبر والانشاء على سبيل الجمع
بين الحقيقة والمجاز فاستعملها فى الخبر حقيقة واستعملها فى الانشاء مجاز وحينئذ فيكون المقصود من هذه الجملة أمرين الاعلام
للإيمان والتصديق وإنشاء الثناء (قوله أفيدتها الثالث) أى أكثرها فائدة لدلالته على أمرين مقصود كل منهما بالذات .
إن قات إن إنشاء الثناء يستلزم الاعلام والاعلام يستلزم إنشاء الثناء . قلنا نعم لكن فرق بين الحاصل المقصود والحاصل
غير المقصود فتحصل أنه إذا جعلت الجملة خبرية فقط كان الثناء حاصلًا غير مقصود وإن جعلت إنشائية فقط كان الإيمان
بها حاصلًا غير مقصود وإن استعملت فيهما كان كل مقصودا لذاته (قوله الذى أنزل) تعليق الحكم بالمشق يؤذن
بالعناية كأنه قال الحمد لله لأجل إزاله الخ وإلما جعل الازال سببا فى الحمد لأنه أعظم نعمة وجدت دنيا وأخرى إذ به تنال
سعادة العارفين إذ فيه صلاح للعاد والمعاش ، قال تعالى : وأنزلنا عليك الكتاب تبيانا لكل شئ (قوله على عبده)
الإضافة لتشريف المضاف ، ولذا قال القاضى عياض :

وبما زادنى شرفا وتبها وكعدت بأخصى أطا الثريا

دخولى تحت قولك يا عبادى وأن صيرت أحمد لى نبيا

(قوله ولم يجعل له) الجملة إما معطوفة على قوله أنزل فتكون من جملة الحمود عليه أو حال كما قال المفسر (قوله اختلافا)
أى فى اللفظ والمعنى ، والموج بالكسر الفساد فى المعانى والفتح فى الأجسام (قوله تناقضا) نفت لاختلافا على حذف مضاف
أى ذاتانقض .

(قوله قِيَامًا) إن أريد به الاستقامة في المعنى كان حالاً مؤكدة كما قال للفسر وإن أريد به الاستقامة مطلقاً كان حالاً مؤسسية (قوله مستقيماً) أى مستديلاً قائماً بمصالح العباد دنيا وأخرى فهو مصلح لصاحبه دنياه وآخرته من حيث إنه يؤمنه في تبه ويتلقى عنه السؤال ويكون بوراً على الصراط ويوضع في الميزان ويرقى به درجات الجنة وهذا للعامل به وقائم على غير العامل به بمعنى أنه يكون حجة عليه ، أو المعنى قِيَامًا حسن الألفاظ والمعاني لكونه في أعلى طبقات النفاحة والبلاغة . فان قلت ما فائدة التأكيد ؟ قلنا دفع توهم أن في العوج عن غلبه لأن الحكم للغالب (قوله لينذر) متعلق بأنزل وهو ينصب مفعولين قدر للفسر الأول بقوله الكافرين والثاني هو قوله بأما وقوله وينذر معطوف على قوله لينذر الأول وحذف مفعوله الثاني لدلالة ما هنا عليه وذكر مفعوله الأول في الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أثبتته في الآخر (قوله الكتاب) هو فاعل ينذر ، وفي بعض النسخ بالكتاب وحينئذ يكون فاعل الإنذار إما ضمير عائذ على الله أو على محمد (قوله الذين يعملون الصالحات) نعت للمؤمنين وقوله : أن لهم أى بأن لهم وإنما ذكر المفعولين مع لعدم النظير لهم بخلاف أهل الإنذار فأتواهم مختلفة (قوله ما كثرين) أى مقيمين فيه (قوله هو الجنة) أى الأجر الحسن (قوله من جملة الكافرين) أشار بذلك إلى أن قوله وينذر معطوف على ينذر الأول عطف خاص على عام والنسبة التشبيح والتقبيح عليهم حيث نسبوا لله الولد وهو مستحيل عليه قال تعالى : تسكاد السموات يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخرّ الجبال هذا أن دعوا (٣) للرحمن ولدا وما ينبغي للرحمن أن يتخذ ولدا (قوله الذين

قالوا اتخذ الله ولدا) أى مولوداً ذكراً أو أنثى فيشمل النصارى واليهود ومشرى العرب (قوله ما لهم به) بهذا القول (من علم ولا لا بأهم) من قبلهم القائلين له (كبرت) عظمت (كلمة تخرج من أفواههم) كلمة تميز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالدم محذوف أى مقاتلهم المذكورة (إن) ما (يقولون) في ذلك (إلا) مقولاً (كذباً . فَلَئِكَ بِأَخِصْ) مهلك (نفسك على آثارهم) بدم أى بدم تولىهم عنك (إن لم يؤمنوا بهذا الحديث) القرآن (أصفاً) غيظاً وحزناً منك لحركك على إيمانهم ونصبه على المفعول له (إننا جعلنا ما على الأرض) من الحيوان والنبات والشجر والأنهار ،

(قِيَامًا) مستقيماً حال ثانية مؤكدة (لِينْذِرَ) يخوف بالكتاب الكافرين (بأما) عذاباً شديداً (مِنْ لَدُنْهِ) من قِبَلِ اللَّهِ (وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَمْشُونَ الصَّالِحَاتِ أَنْ لَهُمْ أَجْرًا حَسَنًا . مَا كَثَرِينَ فِيهِ أَبَدًا) هو الجنة (وَيُنْذِرُ) مَنْ جَمَلَةُ الْكَافِرِينَ (الَّذِينَ قَالُوا اتَّخَذَ اللَّهُ وَلَدًا . مَا لَهُمْ بِهِ) بهذا القول (مِنْ عِلْمٍ وَلَا لِيَا بَأْسِهِمْ) من قبلهم القائلين له (كَبُرَتْ) عظمت (كَلِمَةً تَخْرُجُ مِنْ أَفْوَاهِهِمْ) كلمة تميز مفسر للضمير المبهم والمخصوص بالدم محذوف أى مقاتلهم المذكورة (إِنْ) مَا (يَقُولُونَ) فِي ذَلِكَ (إِلَّا) مَقُولًا (كَذِبًا . فَلَنَلْكَ بِأَخِصْ) مهلك (نَفْسَكَ عَلَى آثَارِهِمْ) بدم أى بدم تولىهم عنك (إِنْ لَمْ يُوْمِنُوا بِهَذَا الْحَدِيثِ) القرآن (أَصْفًا) غِيظًا وَحُزْنًا مِنْكَ لِحَرْصِكَ عَلَى إِيْمَانِهِمْ وَنَصْبِهِ عَلَى الْمَفْعُولِ لَهُ (إِنَّا جَعَلْنَا مَا عَلَى الْأَرْضِ) مِنَ الْحَيَوَانِ وَالنَّبَاتِ وَالشَّجَرِ وَالْأَنْهَارِ ،

لاستحاطته وعدم وجوده . وإشاك أنه راجع لله أى ليس لهم علم بالله إذ لو علموه لما نسبوا له الولد (قوله من قبلهم) بفتح اليم بدل من آبائهم أى فالمراد بآبائهم من تقدمهم هموماً ، وليس المراد بهم خصوص من لهم عليهم ولادة (قوله كبرت كلمة) كبر فعل ماض لانشاء الهم والتاء علامة التأنيث والفاعل مستتر تقديره هى وكلمة تميز له والمخصوص بالدم محذوف قدره المفسر بقوله مقاتلهم ، وهذه الجملة مستأنفة لانشاء ذمهم ونظيرها قوله تعالى : كبر مقتا عند الله أن تقولوا ما لا تفعلون (قوله تخرج من أفواههم) أى من غير تأمل وتدبر فيها بل جرت على ألسنتهم من غير سند (قوله في ذلك) أى في هذا المقام وهو نسبة الولد لله (قوله إلا كذباً) صفة لموصوف محذوف قدره المفسر بقوله مقولاً (قوله فاعلمك بأخ الح) لعل تأتى للترجى ولا شقاق وكل ليس مقصوداً هنا بل المراد هنا انتهى ، والمعنى لا تبخ نفسك أى لا تهلكها من أجل أسفك وغمك على عدم إيمانهم (قوله بدم) تفسير لآثارهم أى فالآثار جمع أثر والمراد منه البعدية (قوله إن لم يؤمنوا) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه والتقدير فلا تهلك ، والمقصود منه تسلية النبي صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم حزن يؤدى لاهلاك نفسك ، وأما أصل الحزن والغم فهو شرط في الايمان لانهى عنه لأن الرضا وشرح الصدر بالسكفر كفر (قوله لحركك) علة للعلة (قوله ونصبه على المفعول) أى والعامل فيه بأخ (قوله إنا جعلنا) كالتعليل لما قبله فهو من جملة تسلية صلى الله عليه وسلم وجل إن كانت بمعنى صبر فزينة مفعول ثان وإن كانت بمعنى خلق فزينة حال أو مفعول لأجله وعلى كل فتوله : ما على الأرض مفعول .

(قوله وغير ذلك) أى من بالى النعم الى خلقها الله للعباد كالذهب والفضة والمعادن (قوله زينة لها) أى يتزين بها ويتنعم ، قال تعالى : زين للناس حب الشهوات من النساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الآية (قوله لنختبر الناس) أى نأصليهم معاملتهم المختبر (قوله ناظرين الى ذلك) حال من الناس أى لنختبر الناس في حال نظرهم الى الزينة (قوله أيهم) مبتدأ وأحسن خبر وهما تمييز والجملة في محل نصب سقت مسد مفعولى نبلا (قوله أى أزهده) تفسير لقوله : أحسن عملا ، وللعنى تميز بين حسن العمل وسينه بتلك الزينة فمن زهدها كان من أهل الحسن ومن رغب فيها كان بضد ذلك فتدبر (قوله لجاهلون) أى مصبرون وصعيدا مفعول ثان (قوله فتانا) بضم الفاء مصدر كالخطام والرفات أى ترابا (قوله جرزا) نفت لصعيدا ، والمعنى إنا لنعيد ما على وجه الأرض من الزينة ترابا مستويا بالأرض كصعيد أملس لانبات به . إن قلت إن قوله ما عليها صريح في أن الأرض تستمر فيكون منافيا لقوله في الآية الأخرى : يوم تبدل الأرض غير الأرض . أجيب بأنه خص ما على الأرض من الزينة لأنه الذى به التورور والفتنة (قوله أم حسب) أم منقطعة وفيها ثلاثة مذاهب : مذهب الجمهور تفسير ببل والمهمزة ، وعند طائفة تفسير بالمهمزة وحدها وعليه درج المفسر ، وعند طائفة أخرى تفسر ببل وحدها (قوله أى أظننت) الاستفهام إنكارى أى لا تظن أن قصة أهل الكهف عجيبة دون باقي الآيات فإن غيرها من الآيات الدالة على قدرة الله كالليل والنهار والسموات والأرض أعجب منها (قوله الكهف) مفرد وجمعه كهوف وأكهف (قوله الفار في الجبل) أى وإن لم يكن متصفا وهو قول ، وقيل إن الكهف الفار المتسع فإن لم يتسع سعى غارا فقط (قوله والرقم) هو ، أى مرقوم (قوله اللوح) أى وكان من (٤) رصاص ، وقيل من حجارة وهو مدفون عند باب الفار تحت البناء الذى عليه ،

وقيل إن الرقم اسم الوادى الذى فيه أصحاب الكهف ، وقيل اسم القرية ، وقيل اسم الجبل ، وقيل اسم كتاب مرقوم عندهم فيه الشرع الذى تسكوا به من دين عيسى ، وقيل دراهمهم التى كانت

وغير ذلك (زِينَةً لَهَا لِيَبْلُوَهُمْ) لنختبر الناس ناظرين الى ذلك (أَيُّهُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا) فيه أى أزهده (وَإِنَّا لَجَاعِلُونَ مَا عَلَيْهَا صَعِيدًا) فتانا (جُرُزًا) يابسًا لا ينبت (أَمْ حَسِبْتَ) أى ظننت (أَنَّ أَصْحَابَ الْكَهْفِ) الفار في الجبل (وَالرَّقِيمَ) اللوح المكتوب فيه أسماؤهم وأنسابهم ، وقد سئل صلى الله عليه وسلم عن قصتهم (كَانُوا) فى قصتهم (مِنْ) جملة (آيَاتِنَا) عجيبة (خبر كان وما قبله حال أى كانوا عجباً دون باقي الآيات وأعجبها ، ليس الأمر كذلك . اذكر (إِذْ أَوَى الْفِتْيَةُ إِلَى الْكَهْفِ) ،

معهم ، وقيل كلهم (قوله فيه أسماؤهم) أى فقيه فلان ابن فلان من مدينة كذا خرج فى وقت كذا جمع من سنة كذا (قوله فى قصتهم) أى وكانت بعد عيسى عليه السلام (قوله ليس الأمر كذلك) أى ليست أعجبها ولا هى عجب دون غيرها بل هى من جملة الآيات العجيبة (قوله إذ أوى الفتية الى الكهف) أى نزله وسكنوه . وحاصل قصتهم كما قال محمد ابن إسحق : لما طغى أهل الانجيل وكثرت فيهم الخطايا حتى عبدوا الأصنام وذبحوا لها وبقى فيهم من هو على دين عيسى مستمسكين بعبادة الله وتوحيده وكان بالروم ، لك يقال له دقيانوس عبد الأصنام وذبح للطواغيت وكان يحمل الناس على ذلك ويقتل من خالفه فرّ بمدينة أصحاب الكهف وهى مدينة من الروم يقال لها أفسوس واسمها عند العرب طرسوس فاستخفى منه أهل الايمان فصار يرسل أعماله فيفتشون عليهم ويحضرونهم له فيأمرهم بعبادة الأصنام ويقتل من يخالفه ، فلما عظمت هذه الفتنة ورأى الفتية ذلك حزنا شديدا وكانوا من أشرف الروم وهم ثمانية وكانوا على دين عيسى ، فأخبر الملك بهم وعبادتهم فبعث إليهم فأحضروا بين يديه ليكون فقال مامنكم أن تدبجوا لآلهتنا وتبجلوا أنفسكم كأهل المدينة فاختراروا إما أن تكونوا على ديننا وإما أن تسلّمكم فقال له أكبرهم إن لنا لها عظمتها من السموات والأرض لن ندعوا من دونه لها أبداً اصنع ما بدا لك وقال أصحابه مثل ذلك فأمر الملك بنزع لباسهم والحلية التى كانت عليهم وكانوا مسورين ومطوقين وكانوا غلمانا مرددا حسنا جدا وقال سأخرج لكم وأعاقبكم وما يمنعنى من فعل ذلك بكم إلا أتى أراكم شبابا فلا أحب أن أهلكمكم وإنى قد جعلت لكم أجلا تدبرون فيه أسركم وترجعون الى عقولكم ، ثم إنه سافر ليرى من أغراضه غلافوا أنه إذا رجع من سفره يعاقبهم أو يقتلهم فاشتوروا فيما بينهم ، وانفقوا على أن يأخذ كل واحد منهم نفقة من بيت أبيه يتصدق ببعضها ويتزود بالباقي ، ففعلوا ذلك وانطلقوا الى جبل قريب من مدينتهم يقال له بنجلوس فيه كهف وصرا فى طريقهم بكتب تتبعهم فطردوه فعاد ففعلوا ذلك مرارا

فقال لهم السكب أنا أحب أحب الله عز وجل فناموا وأنا أحرسكم فتبعهم فدخلوا الكهف وقعدوا فيه ليس لهم عمل إلا الصلاة والصيام والتسبيح والتحميد وجعلوا نفقهم تحت يد واحد منهم اسمه تملیخا كان يأتي المدينة يشتري لهم الطعام مرا ويتجسس لهم الخبر فلبثوا بذلك النار ماشاء الله ثم رجع الملك دقيانوس من سفره إلى المدينة وكان تملیخا يومئذ بالمدينة يشتري لهم طعاما فجاء وأخبرهم برجوع الملك وأنه يفتش عليهم ففزعوا وشرعوا يذكرون الله عز وجل ويتضرعون إليه في دفع شره عنهم وذلك عند غروب الشمس ، فقال لهم تملیخا يا إخوتاه كلوا وتوكلوا على ربكم فأكلوا وجلسوا يتحدثون ويتواصون فينيهم كذلك إذ ألقى الله عليهم النوم في الكهف وألقاه أيضا على كلبهم وهو باسط ذراعيه على باب الكهف ففتش عليهم الملك فدل عليهم فتحرر فيما يصنع بهم فآلقى الله في قلبه أن يسد عليهم باب العار وأراد الله عز وجل أن يكرمهم بذلك ويجعلهم آية للناس وأن يبين لهم أن الساعة آتية وأنه قادر على بعث العباد من بعد الموت فأمر الملك بسده وقال دعوهم في كهفهم يموتوا جوعا وعطشا ويكون كهفهم الذي اختاروه قبرا لهم وهو يظن أنهم أيقاظ يعلمون ما يصنع بهم ، وقد توفي الله أرواحهم وفاة نوم ثم إن رجلين مؤمنين في بيت الملك دقيانوس يكتبان إيمانهما شرعا يكتبان قصة هؤلاء الفتية فكتبنا وقت فقدهم وعددهم وأنسابهم ودينهم وعن فروا في لوحين من رصاص فجعلاهما في تابوت من نحاس وجعلنا التابوت في البنيان وقالوا لعل الله أن يظهر على هؤلاء الفتية قوما مؤمنين قبل يوم القيامة فيعرفوا من هذه الكتابة خبرهم ، ثم مات الملك دقيانوس هو وقومه ومر بعده سنون وقرون وتغايرت الملوك ثم ملك تلك المدينة رجل صالح يقال له بيدروس واختلف الناس عليه فتمت لهم المؤمنين بالساعة ومنهم الكافر بها فشق ذلك عليه حيث كان يسمعونهم يقولون لحياتة إلا حياة الدنيا وإنما تبعث الأرواح دون الأجساد فجعل يتضرع ويقول رب أنت تعلم اختلاف هؤلاء فابته لهم آية تبين لهم أمر الساعة والبعث فأراد الله أن يظهره على الفتية أصحاب الكهف ويبين للناس شأنهم ويجعلهم آية وحجة عليهم ليعلموا أن الساعة آتية لا ريب فيها وأن الله (٥) يبعث من في القبور فألقى الله في قلب رجل من أهل تلك الناحية

جمع فتى وهو الشاب الكامل خائفين على إيمانهم من قومهم الكفار (فَقَالُوا رَبَّنَا آتِنَا مِنْ لَدُنْكَ) من قبلك (رَحْمَةً وَهَيِّئْ) أصلح (لَنَا مِنْ أَمْرِنَا رَشَدًا) هداية (فَضْرِبْنَا عَلَى آذَانِهِمْ) أى أغنمهم (فِي الْكَهْفِ سِنِينَ عَدَدًا) :

فهدمه وبني به حظيرة لعمه ، فلما انفتح باب الكهف بعث الله هؤلاء الفتية فجلسوا فرحين مسفرة وجوههم طيبة نفوسهم وقد حفظ الله عليهم أبدانهم وجمالهم وهيتهم فلم يتغير منها شيء فكانت هيئتهم وقت أن استيقظوا كهيتهم وقت أن رقدوا ثم أرسلوا تملیخا إلى المدينة ليشتري لهم الطعام فذهب فرأى المدينة قد تمر حالها وأهلها وملكها وقد أخذ أهل المدينة وذهبوا به إلى ذلك الملك المؤمن فأخبره تملیخا بقصته وقصة أصحابه ، فقال بعض الحاضرين يا قوم لعل هذه آية من آيات الله جلها الله لكم على يد هذا النقي فانطلقوا بنا حتى يرينا أصحابه فانطلق أريوس وأسطيوس من عظماء المملكة ومعهما جميع أهل المدينة كبيرهم وصغيرهم نحو أصحاب الكهف لينظروا إليهم فأول من دخل عليهم هذان العظيمان الكبيران فوجدوا في أثر البناء تابوتا من نحاس ففتحاه فوجدوا فيه لوحين من رصاص مكتوبا فيهما قصتهم ، فلما قرءوها عجبوا وحمدوا الله الذي أراهم آية تدلهم على البعث ثم أرسلوا قاصدا إلى ملكهم الصالح بيدروس أن يحل بالاضور إلينا لعلك ترى هذه الآية العجيبة فان فتية بعثهم الله وأحياهم وقد كان توفاهم ثلاثمائة سنة وأكثر فلما جاءه الخبر ذهب همه وقال أحمدك رب السموات والأرض تفضلت على ورحمتي ولم تطفى النور الذي جعلته لآبائي فركب وتوجه نحو الكهف فدخل عليهم وفرح بهم واعتنقهم ووقف بين أيديهم وهم جلوس على الأرض يسبحون الله ويحمدونه فقالوا له نستودعك الله والسلام عليك ورحمة الله حفظك الله وحفظ مملكتك ونبيذك بالله من شر الانس والجن فبينما الملك قائم إذ رجعوا إلى مصاجعهم فناموا وتوفي الله أنفسهم فقام الملك إليهم وجعل يبايعهم عليهم وأمر أن يجعل كل رجل منهم في تابوت من ذهب ، فلما مشى وفام أتوه في منامه فقالوا له إنا لم نخلق من ذهب ولا فضة ولكننا خلقنا من التراب وإلى التراب نصير فتركنا كما كنا في الكهف على التراب حتى يبعثنا الله منه فأمر الملك عند ذلك بتابوت من ساج فجعلوا فيه وأمر أن يبنى على باب الكهف مسجد فيه ويسد به باب الغار فلا يراهم أحد وجعل لهم عيدا عظيما وأمر أن يؤتى كل سنة أه ملخصا من الخازن (قوله جمع فتى) أى كصبي وصبية (قوله أصالح) أى أويسر (قوله هداية) أى نهيئا على الامعان وتوفيقا للأعمال الصالحة (قوله فضربنا على آذانهم) مفعوله محذوف تقديره حجابا مانعا لهم من السماع وهذا هو

الغنى الحقيقي وليس مراداً بل المراد آتئامهم في الكلام نحو تز حيث شبه إلقاء النوم بضرب الحجاب واستعير اسم المشبه به لشيء واشتق من الضرب ضربنا بمعنى آتئنا استعارة تصرّحية تبعية (قوله معدودة) أشار بذلك إلى أن عدداً مصدر بمعنى معدودة نعمت لسنين وسياقاً عدّها في الآية (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال كيف قال تعالى لنعلم مع أنه تعالى عالم بكل شيء لولا فأجاب بقوله علم مشاهدة، والمعنى ليظهر ويُشاهد ويحصل لهم ما تعلق به علمنا لولا من ضبط مدتهم (قوله الفريقين المختلفين) قيل المراد بالفريقين أصحاب الكهف لاقتراحهم فرقتين فرقة تقول يوم وفرقة تقول بض يوم وقيل هم أهل المدينة اختلفوا فرقتين في قدر مدتهم بالتخمين والظن (قوله فعل) أي ماض وليس اسم تفضيل لأنه لا يبنى من غير الثلاثي (قوله لبثهم) أشار بذلك إلى أن ماصدريه مراعى فيها اعتبار المدة، وقوله متعلق بما بعده أي حال منه وأمداء مفعول أحصى (قوله نحن نقص عليك نبأهم) أي نقص لك يا محمد خبرهم (قوله بالحق) الباء للابسة والجار والمجرور حال من نبأ (قوله إنهم فتية) أي شباب كانوا من عظماء أهل تلك المدينة وأحدهم كان وزيراً للملك (قوله آمنوا برهم) أي صدقوا به وانقادوا لأحكامه (قوله قوتيناها على قول الحق) أي حيث خالفوا الملك (٦) ولم يحصل لهم منه رعب ولا خوف (قوله إذ قاموا) ظرفاً لبطنا أي ربطنا

على قلوبهم وقت قيامهم (قوله بين يدي ملكهم) أي واسمهم دقيانوس (قوله فقالوا) أي خطاباً للملك ثلاث جمل وآخرها قوله شططا (قوله لن ندعو) أي نعبد (قوله أي قولا) أي قولاً (قوله إذا شططا) أشار بذلك إلى أن شططا منصوب على المصدرية صفة لمحذوف على حذف مضاف أي إفراط في الكفر أي مجاوزة الحد فيه (قوله هؤلاء قومنا) هذه جمل ثلاث قالوها فيما بينهم بعد خروجهم من عند الملك وآخرها قوله كذبا (قوله

معدودة) ثُمَّ بَمَثَنَاهُمْ (أَيْقَظْنَاهُمْ) (لِذَمِّهِمْ) علم مشاهدة (أَيُّ الْحِزْبَيْنِ) الفريقين المختلفين في مدة لبثهم (أَخْصَى) فعل بمعنى أضبط (لَمَّا لَبِثُوا) لبثهم متعلق بما بعده (أَمَدًا) غاية (نَحْنُ نَقُصُّ) قَرَأَ (عَلَيْكَ نَبَأُهُمْ بِالْحَقِّ) بالصدق (إِنَّهُمْ فَتِيَّةٌ آمَنُوا بِرَبِّهِمْ وَزِدْنَاهُمْ هُدًى . وَرَبَطْنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ) قوتيناها على قول الحق (إِذْ قَامُوا) بين يدي ملكهم وقد أمرهم بالسجود للأصنام (فَقَالُوا رَبَّنَا رَبُّ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ أَنْ نَدْعُو مِنْ دُونِهِ) أي غيره (إِلَهًا لَقَدْ قُلْنَا إِذَا شَطَطًا) أي قولاً ذا شطط : أي إفراط في الكفر إن دعونا إلهاً غير الله فرضاً (هَؤُلَاءِ) مبتدأ (قَوْمُنَا) عطف بيان (أَتَّخِذُوا مِنْ دُونِهِ آلِهَةً لَوْ لَا) هلا (يَأْتُونَ عَلَيْهِمْ) على عبادتهم (بِسُلْطَانٍ بَيِّنٍ) بحجة ظاهرة (فَمَنْ أَظْلَمُ) أي لا أحد أظلم (يَمُنُّ أَفَتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بنسبة الشريك إليه تعالى . قال بعض الفتية لبعض (وَإِذْ أَعْتَرَلْتُمُوهُمْ وَمَا يَعْبُدُونَ إِلَّا اللَّهَ فَأَوُوا إِلَى الْكَهْفِ يَنْشُرْ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ رَحْمَتِهِ وَيُخْرِجْ لَكُمْ مِنْ أَمْرِكُمْ مِرْقَاتًا) بكسر الميم وفتح القاء وبالعكس : ما ترفعون به من غداء وعشاء (وَتَرَى الشَّمْسَ إِذَا طَلَعَتْ تَرْتَاوِرُ) بالتشديد والتخفيف : تميل (عَنْ كَهْفِهِمْ ذَاتَ الْيَمِينِ) ناحيته (وَإِذَا غَرَبَتْ تَقَرَّبُ مِنْهُمْ ذَاتَ الشَّمَالِ) تتركهم وتتجاوز عنهم فلا تصيبهم ألبتة ،

عطف بيان) أي أو بدل (قوله اتخذوا) خبراً لمبتدأ (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا للنحوي والمقصود (وهم من ذكر هذا الكلام فيما بينهم تذاكر التوحيد وتقوية أنفسهم عليه (قوله على عبادتهم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله قال بعض الفتية لبعض) قدره إشارة إلى أن إذ ظرف منصوب بمحذوف أي قال بعضهم لبعض وقت اعتزلهم (قوله وما يعبدون إلا الله) ما موصولة أو مصدرية، والمعنى وإذا اعتزلتموهم والذي يعبدونه غير الله أو عباداتهم غير الله (قوله ينشر لكم) أي ييسر ويوسع (قوله وبالعكس) أي فهما قراءتان سبعيتان ، وأما الجارحة فكسر الميم فقط (قوله من غداء وعشاء) أي وغير ذلك (قوله وترى الشمس) الخطاب للنبي أو لكل أحد ، والمعنى لو كنت هناك عندهم واطلعت على كهفهم لرأيت الشمس إذا طلعت الخ (قوله بالتشديد) أي فأصله تزاوَر قابت التاء زايًا وأدغمت في الزاى (قوله والتخفيف) أي بحذف إحدى التائين وهما قراءتان سبعيتان (قوله ناحيته) أشار بذلك إلى أن ذات اليمين وذات الشمال ظرف مكان بمعنى جهة اليمين وجهة الشمال والمراد بيمين الداخل للكهف وشماله وذلك أن كهفهم مستقبل بنات نعش قتميل عنهم الشمس طالعة وغاربة ثلاث تؤذيهم بحرها ولا ينافي هذا ما تقدم في القصة أنه سد

باب الكهف وبنى عليه مسجد لأن الكهف له محل منفتح من أعلاه جهة بنات نعش (قوله وهم في فجوة منه) أى وسطه والجملة حالية (قوله المذكور) أى من نومهم وحمايتهم من إصابة الشمس لهم (قوله من يهد الله فهو المهتد) جملة معترضة فى أثناء النص لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فلن تجد له وليا) أى معينا (قوله مرشدا) أى هاديا (قوله وتحسبهم) خطاب للنبي أو لكل أحد (قوله بكسر القاف) أى كفضذ وأغاذ ويضم أيضا كعضد وأعضاد (قوله ونقلبهم الخ) قيل يقلبون فى كل سنة مرة فى يوم عاشوراء وقيل يقلبون مرتين وقيل كل تسع سنين والمقلب لهم قيل الله وقيل ملك يأمره الله تعالى (قوله وكابهم) وكان أصغر اللون وقيل أمر وقيل كلون السماء واسمه ظمير وقيل ريان ، وهو من جملة الحيوانات التى تدخل الجنة وبهذا تعلم أن حب الصالحين والتعاقب بهم يورث الخير العظيم والفوز بجنات النعيم (قوله ذراعيه) منصوب بباسط وهو ليس بمعنى الماضى المنتقطع بل المستمر وقولهم اسم الفاعل لا يعمل إن كان بمعنى الماضى لاجتماع المستقبل (قوله بفناء الكهف) أى رحبته ، وقيل المراد بالصيد العتبة وقيل الباب وقيل التراب (قوله لو اطلعت عليهم) الخطاب للنبي أو لكل أحد (قوله فرارا) منصوب على المصدر من معنى الفعل قبله أو على الحال أى فارا (قوله رعبا) (٧) أى فرعا . وروى عن سعيد بن جبير عن ابن عباس قال :

غزونا مع معاوية نحو الروم ففررنا بالكهف الذى فيه أصحاب الكهف فقال معاوية لو كشف لنا عن هؤلاء نظرنا إليهم فقال ابن عباس قد منع من ذلك من هو خير منك لو اطلعت عليهم لوليت منهم فرارا فبعث معاوية أناسا فقال اذهبوا فانظروا فلما دخلوا الكهف بعث الله عليهم ريحا فأخرجتهم (قوله بسكون العين وضمها) ظاهره أن القراءات أربع

(وَهُمْ فِي فَجْوَةٍ مِنْهُ) متسع من الكهف ينالهم برد الريح ونسيما (ذَلِكَ) المذكور (مِنْ آيَاتِ اللَّهِ) دلائل قدرتهم (مَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَهُوَ الْمُهْتَدِ وَمَنْ يُضِلِّ اللَّهُ فَلَنْ تَجِدَ لَهُ وَلِيًا مُرْشِدًا . وَتَحْسَبُهُمْ) لو رأيتهم (أَيْقَانًا) أى متبين لأن أعينهم منفتحة ، جمع يقظ بكسر القاف (وَهُمْ رُقُودٌ) نيام جمع راقد (وَتَقَلَّبُوهُمْ ذَاتَ الْيَمِينِ وَذَاتَ الشِّمَالِ) ثلاثا تأكل الأرض لحومهم (وَكَذَّبُوهُمْ بِأَسِطٍ ذِرَاعِيهِ) يديه (بِالْوَصِيدِ) بفناء الكهف وكانوا إذا انقلبوا انقلب هو مثلهم فى النوم واليقظة (لَوْ أَطَّلَعْتَ عَلَيْهِمْ لَوَلَّيْتَ مِنْهُمْ فِرَارًا وَلَمُلَمْتُ) بالتشديد والتخفيف (مِنْهُمْ رُعْبًا) بسكون العين وضمها منهم الله بالرعب من دخول أحد عليهم (وَكَذَلِكَ) كما فعلنا بهم ما ذكرنا (بَسَخْنَاهُمْ) أيقظناهم (لِيَتَنَاسَلُوا مِنْهُمْ) عن حالهم ومدة لبثهم (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ كَمْ لَبِثْتُمْ قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) لأنهم دخلوا الكهف عند طلوع الشمس وبعثوا عند غروبها فظنوا أنه غروب يوم الدخول ، ثم (قَالُوا) متوقفين فى ذلك (رَبُّكُمْ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثْتُمْ فَابْتَثُوا أَحَدَكُمْ يَورِقُكُمْ) بسكون الراء وكسرهما بغضتكم (هَذِهِ إِلَى الْمَدِينَةِ) يقال إنها المسماة :

وليس كذلك بل ثلاث فقط سبعيات لأن اللام إن خفت جاز فى العين السكون والضم وإن شددت تعين فى العين السكون فقط (قوله كما فعلنا بهم ما ذكرنا) أى من إلقاء النوم عليهم تلك المدة الطويلة فيكون إيظاظهم آية أخرى يعتبر بهاهم وغيرهم (قوله ليتناسلوا) اللام للسبية أو للعاقبة والعيورة (قوله قال قائل منهم) أى واحد منهم وهو كبيرهم ورئيسهم مكشاهنا (قوله كم لبثتم) كم منصوبة على الظرفية ويميزها محذوف تقديره كم يوما (قوله أو بعض يوم) أو للشك منهم لترددهم فى غروب الشمس وعدمه (قوله لأنهم دخلوا الكهف الخ) ظاهره أنهم ناموا فى يوم دخولهم وتقدم أنهم مكثوا مدة فى الكهف قبل نومهم يتعبدون ويأكلون ويشربون فكان المناسب أن يقول لأنهم ناموا طلوع الشمس الخ (قوله قالوا) أى بعضهم لبعض (قوله شوقين فى ذلك) أى فى قدر مدة لبثهم (قوله ربكم أعلم بما لبثتم) هذا تفويض منهم لأمر الله احتياطا وحسن أدب (قوله فابثوا) أى أرسلوا (قوله أحدكم) أى وهو تلميذا (قوله بورقكم) قيل الورق الفضة المضروبة وقيل الفضة مطلقا وتحذف فاء الكلمة فيقال رقة (قوله بسكون الراء وكسرهما) سبعيتان (قوله هذه) أى الداراهم التى مكثت معهم من بيوت آبائهم فأنفقوا بعضها قبل نومهم وبقى بعضها معهم فوضعوه عند رؤسهم حين ناموا وكان عليها اسم ملكهم دقيانوس وكان الواحد منها لدرخف وله الناقة المنجبر .

(قوله الآن) أى فى الاسلام وأما فى الجاهلية فكانت تسمى أفسوس وقيل أفسوس من أهمال طرسوس (قوله أهل) أى أهل ذبيحة لأنهم كان منهم من يذبح للطواغيت وكان فيهم قوم يخفون إيمانهم فطلبوا أن يكون طعامهم من ذبيحة المؤمنين (قوله وليتلف) أى يترقى فى ذهابه ورجوعه لئلا يعرف (قوله ولا يشعرون بكم أحدا) أى لا يضعف ما يؤدى إلى شعور أحدكم (قوله إنهم) أى أهل المدينة (قوله إن يظهروا عليكم) أى يطلبوكم ويطلبوا عليكم (قوله أو يعيدوكم فى ملتهم) أى يصبروكم إليها (قوله ولن تفلحوا إذا أبدا) أى لن تظفروا بطلبوكم لو وقع منكم ذلك ولو كررها . إن قلت كيف أثبتوا عدم الفلاح بالعود فى ملتهم مع الاكراه للاستفاد من قوله إنهم إن يظهروا عليكم الخ مع أن المكروه غير مؤاخذ بما أكره عليه . أجيب بأن هذا مخصوص بشريعتنا ، وأما من قبلنا فكانوا يؤاخذون بالاكراه بدليل قوله صلى الله عليه وسلم « رفع عن أمتي الخطأ والنسيان وما استكرهوا عليه » (٨) (قوله وكذلك) أى كما أنعمنا ربنا بعتنهم (قوله قومهم والمؤمنين) قدر ذلك

إشارة إلى أن مفعول أعثرنا محذوف (قوله أى قومهم) أى ذرية قومهم لأن قومهم قد انقرضوا (قوله بلاغذاء) أى قوت (قوله وأن الساعة) أى القيامة (قوله معمول لأعثرنا) المناسب جعله ظرفا لمحذوف تقديره اذكر أو لقوله : قال الذين غلبوا (قوله أى المؤمنون والكفار) أى فقال المؤمنون بنبي عليهم مسجدا يصلى فيه الناس لأنهم على ديننا وقال الكفار بنبي عليهم بيعة لأنهم من أهل ملتنا (قوله ربهم أعلم بهم) يحتمل أن يكون من كلام الله أو من كلام المتنازعين (قوله وهم المؤمنون) أى الذين كانوا

الآن طرسوس بفتح الراء (فَلْيَنْظُرْ أَيُّهَا أَزْكَى طَعَامًا) أى أى أطعمة المدينة أهل (فَلْيَأْتِكُمْ رِزْقِي مِنْهُ وَلْيَتَلَطَّفْ وَلَا يُشْعِرَنَّ بِكُمْ أَحَدًا إِنَّهُمْ إِنْ يَظْهَرُوا عَلَيْكُمْ يَمْجُورُكُمْ) يقتلوك بالرجم (أَوْ يُعِيدُكُمْ فِي مِلَّتِهِمْ وَلَنْ تُفْلِحُوا إِذَا) أى إن عدتم فى ملتهم (أبدا . وَكَذَلِكَ) كما بعثناهم (أَعَثَرْنَا) أطلعنا (عَلَيْهِمْ) قومهم والمؤمنين (لِيَمْلِكُوا) أى قومهم (أَنْ وَعَدَ اللَّهُ) بالبعث (حَقًّا) بطريق أن القادر على إقامتهم المدة الطويلة وإبقائهم على حالهم بلا غداء قادر على إحياء الموتى (وَأَنَّ السَّاعَةَ لَا رَيْبَ) شك زفيتها (إِذْ) معمول لأعثرنا (يَتَنَزَّعُونَ) أى المؤمنون والكفار (يَبْتَغِيهِمْ أَمْرُهُمْ) أمر الفتية فى البناء حولهم (فَقَالُوا) أى الكفار (أَبْنُوا عَلَيْهِمْ) أى حولهم (بُنْيَانًا) يستمر (رَبُّهُمْ أَعْلَمُ بِهِمْ) ، قَالَ الَّذِينَ غَلَبُوا عَلَى أَمْرِهِمْ) أمر الفتية وهم المؤمنون (لَنَتَّخِذَنَّ عَلَيْهِمْ) حولهم (مَسْجِدًا) يصلى فيه وفعل ذلك على باب الكهف (سَيَقُولُونَ) أى المتنازعون فى عدد الفتية فى زمن النبي أى يقول بعضهم : هم (ثَلَاثَةٌ رَابِعُهُمْ كَلْبُهُمْ وَيَقُولُونَ) أى بعضهم (خَمْسَةٌ سَادِسُهُمْ كَلْبُهُمْ) والقولان لنصارى نجران (رَجْمًا بِالْغَيْبِ) أى ظنا فى الغيبة عنهم وهو راجع إلى القولين معاً ونصبه على المفعول له أى لظنهم ذلك (وَيَقُولُونَ) أى المؤمنون (سَبْعَةٌ وَثَامِنُهُمْ كَلْبُهُمْ) الجملة من المبتدأ وخبره صفة سبعة بزيادة الواو ، وقيل تأكيذاً ودلالة على لصوق الصفة بالموصوف ووصف الأولين بالرجم دون الثالث دليل على أنه مرضى وصحيح (قُلْ رَبِّي أَعْلَمُ بِمِدَّتِهِمْ مَا يَعْلَمُهُمْ إِلَّا قَلِيلٌ) قال ابن عباس : أنا من القليل وذكرهم سبعة (فَلَا تَمَارِ) تجادل (فِيهِمْ)

إلا

فى زمن الملك يديروس الرجل الصالح (قوله وفعل ذلك على باب الكهف) أى

وبقى ظهر الكهف مفتوحا كما تقدم (قوله أى المتنازعون) أى وهم النصارى والمؤمنون (قوله ثلاثة) خبر مبتدأ محذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله رابعهم كلبهم) مبتدأ وخبر والجملة صفة ثلاثة وكذا يقال فى قوله ويقولون خمسة ويقولون سبعة (قوله نجران) موضع بين الشام والعجم والحجاز (قوله رجما بالغيب) أى ظنا من غير دليل ولا برهان (قوله أى المؤمنون) أى قالوا ذلك بأخبار الرسول لهم عن جبريل عليه السلام (قوله بزيادة الواو) أى من غير ملاحظة معنى التوكيد (قوله وقيل تأكيذاً) أى زائدة لأكيد لصوق الصفة بالموصوف وحكمة زيارتها الإشارة إلى صحيح هذا القول دون ما قبله (قوله ودلالة على لصوق الصفة الخ) المعطف للتفسير على ما قبله فهما قولان فقط (قوله قل ربى أعلم بمدتهم) أى من غيره (قوله ما يعلمهم إلا قليل) أى وهو النبي ومن مع منه (قوله وذكرهم سبعة) أى وهم مكسبنا وقليخا ومرطونس ونيثوس وساربولس وذونوفانس

وفلبسطينوس وهو الراعي واسم كلهم قطمير وقيل خران وقيل ريان قال بعضهم: علموا أولادكم أسماء أهل الكهف فانها لو كتبت على باب دار لم تحرق وعلى متاع لم يسرق وعلى مركب لم تغرق ، وقال ابن عباس رضى الله عنهما: خواص أسماء أهل الكهف تنفع لتسعة أشياء للطلب والمهرب ولإطفاء الحريق تكتب على خرقة وترعى في وسط النار تطفأ بأذن الله ، وللبكاء الأطفال والحى المثلثة وللصداع تشد على العضد الأيمن ولأم الصبيان وللمركوب في البر والبحر ولحفظ المال ولنماء العقل ونجاة الآمين اه (قوله إلا مرء ظاهراً) أى غير متعمق فيه بل نقص عليهم ما في القرآن من غير تجهيل لهم وتفتيش على عقائدهم (قوله بما أنزل إليك) أى وهو القرآن (قوله ولا تستفت فيهم منهم أحداً) أى لا تسأل أحداً عن قصتهم فان فيها أوحى إليك الكفاية (قوله اليهود) المناسب عدم التقييد بذلك بل يقيد بالنسبة لما روى أنه عليه الصلاة والسلام سأل نصارى نجران عنهم فنهى عن ذلك (قوله وسأله أهل مكة) أى بتعليم اليهود لهم حيث قالوا لهم سلوه عن الروح وأصحاب الكهف وعن ذى القرنين فسألوه عنها فقال أبقرنى غدا أخبركم ولم يقل إن شاء الله فأبطأ عليه الوحى بضعة عشر يوماً أو أربعين حتى شق عليه وتمارت قريش في ذلك (قوله فنزل) أى بعد انقضاء تلك المدة تعالماً لأمتة الأدب وتفويض الأمور إلى الله تعالى فان الانسان لا يدري ما يفعل به فاذا كان هذا الخطاب لرسول الله وهو سيد الخلق فما بالك بغيره (قوله أى لأجل شئ) أى تهتم به وتريد القدوم عليه (قوله إني فاعل ذلك) المراد بالفعل ما يشمل القول (قوله (٩) أى فيما يستقبل من الزمان)

أشار بذلك إلى أن المراد بالنسبة ما يستقبل كان في يومك أو بعده بقليل أو كثير لخصوص اليوم الذى بعد يومك (قوله إلا أن يشاء الله) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال لا تقولن لشيء في حال من الأحوال إلا في حال تلبسك بالتعليق على مشيئة الله (قوله ويكون ذكرها بعد النسيان الخ)

إِلَّا مَرَأَ ظَاهِرًا) بما أنزل عليك (وَلَا تَسْتَفْتِ فِيهِمْ) تطلب الفتيا (مِنْهُمْ) من أهل الكتاب اليهود (أَحَدًا) وسأله أهل مكة عن خبر أهل الكهف فقال أخبركم به غداً ولم يقل إن شاء الله فنزل (وَلَا تَقُولَنَّ لشيءٍ) أى لأجل شئ (إِنِّي فَاعِلٌ ذَلِكَ غَدًا) أى فيما يستقبل من الزمان (إِلَّا أَنْ يَشَاءَ اللَّهُ) أى إلا ملتبساً بمشيئة الله تعالى بأن تقول إن شاء الله (وَأَذْكُرُ رَبِّكَ) أى مشيئته معلقاً بها (إِذَا نَسِيتَ) التعليق بها ويكون ذكرها بعد النسيان كذكرها مع القول قال الحسن وغيره مادام في المجلس (وَقُلْ عَسَى أَنْ يَهْدِيَنَّ رَبِّي لِأَقْرَبَ مِنْ هَذَا) من خبر أهل الكهف في الدلالة على نبوتى (رَشَدًا) هداية وقد فعل الله تعالى ذلك (وَلَبِثُوا فِي كَهْفِهِمْ ثَلَاثَ مِائَةٍ) بالتنوين (سِنِينَ) عطف بيان لثلاثمائة ، وهذه السنين الثلاثمائة عند أهل الكتاب شمسية ، وتزيد القمرية عليها عند العرب ،

أى لما روى أنه صلى الله عليه وسلم لما نزلت الآية قال إن شاء الله (قوله قال الحسن وغيره مادام في المجلس) أى ولو انفصل عن الكلام السابق . وقال ابن عباس يجوز انفصاله إلى شهر وقيل إلى سنة وقيل أبداً وقيل إلى أربعة أشهر وقيل إلى سنتين ، وقيل مالم يأخذ في كلام آخر وقيل يجوز بشرط أن ينوى في الكلام وقيل يجوز انفصاله في كلام الله تعالى لأنه أعلم بمراده لا في كلام غيره وعامة المذاهب الأربعة على خلاف ذلك كله فان شرط حل الأيمان بالمشيئة أن تتصل وأن يقصد بها حل اليمين ولا يضر الفصل بتنفس أو سعال أو عطاس ولا يجوز تقليد ما عدا المذاهب الأربعة ولو وافق قول الصحابة والحديث الصحيح والآية - فالخارج عن المذاهب الأربعة ضال مضل وربما أداه ذلك للكفر لأن الأخذ بظواهر الكتاب والسنة من أصول الكفر (قوله وقل) أى لأهل مكة (قوله أن يهدين) أى يبدلنى (قوله فإي الدلالة) متعلق بأقرب (قوله رشداً) إما مفعول مضائق ليهدينى لموافقته له في المعنى وإليه يشير المفسر بقوله هداية ويصح أن يكون تمييزاً لأقرب أى لأقرب هداية من هذا (قوله وقد فعل الله تعالى ذلك) أى هداة لما هو أعجب وأطاعه على ما هو أغرب حيث شاهدنا ما شاهد في ليلة الاسراء وأعطاء علوم الأولين والآخرين وفاق عليهم بعالم لم يطلع عليها أحد سواه وأشار المفسر بذلك إلى أن الترجى في كلام الله بمنزلة التحقق (قوله ولبثوا في كهفهم) هذا رد على أهل الكتاب حيث اختلفوا في مدة لبثهم (قوله عطف بيان) أى لأن تمييز المائة في الكثير مفرد مجرور وفي قراءة بالاضافة وعليها فتكون من القليل . قال ابن مالك :

ومائة والآف لله دأخف ومائة بالجمع رواقه ريف

(قوله تسع سنين) أى لأن كل ثلاث وثلاثين سنة وثلاث سنة شمسية تزيد سنة قمرية (قوله أى تسع سنين) أشار بذلك إلى أن حذف الميز من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله قل الله أعلم بما لبثوا) إن قلت ما الفائدة الاخبار بذلك بعد أن بين الله ذلك أجيب بأوجه أحدها أن المعنى قل الله أعلم بأن الثلاثمائة سنة والتسع قمرية لا شمسية خلافا لزعم بعض الكفار أنها شمسية ثانيها أن المعنى الله أعلم بحقيقة لبثهم وكيفيته . ثالثها أن المعنى الله أعلم بمدة لبثهم قبل البعث وبعده . وأعلم أنه اختلاف في أصحاب الكهف هل ما نوارد فنوا أو هم نيام وأجسامهم محفوظة ، والصحيح أنهم نيام ويستيقظون عند نزول عيسى ويحجون معه ويموتون قبل يوم القيامة حين تأتى الریح اللينة كما قال صلى الله عليه وسلم «ليحجن عيسى ابن مريم ومعه أصحاب الكهف فانهم لم يحجوا بعد» ذكره ابن عيينة ، وفي رواية «مكتوب في التوراة والانجيل أن عيسى ابن مريم عبد الله ورسوله وأنه يمر بالرواح حاجا ومعتبرا ويجمع الله له ذلك فيجعل الله حواريه أصحاب الكهف والرقيم فيمرون حاجا فانهم لم يحجوا ولم يموتوا» اه (قوله أى علمه) أى علم السموات والأرض وما غاب فيها (قوله على جهة المجاز) أى لأن التعجب استعظام أمر خفى سببه، وعظم وصف الله ظاهر بالبرهان لا يخفى فاحاطته بالموجودات سما وبصرا وعلمنا أمر ثابت بالبرهان وصار كالضرورة ، وإنما المقصود ذكر العظمة لاحقة التعجب (١٠) (قوله من ولى) إماميتدا مؤخر أو فاعل بالظرف (قوله فى حكمه) أى قضائه

(قوله وتلى ما أوحى إليك) أى ولا تعتبر بهم (قونه لا مبدل لكلماته) أى لا يقدر أحد أن يغير شيئا من القرآن فلا نخش من قراءتك عليهم تبديله بل هو محفوظ من ذلك لا يأتیه الباطل من بين يديه ولا من خلفه إلى يوم القيامة (قوله ملجأ) أى تلجئ إليه وتستغيث به عند النوازل والشدائد غير الله تعالى (قوله واصبر

تسع سنين وقد ذكرت فى قوله (وَأَزْدَادُوا تَسْمًا) أى تسع سنين فالثلاثمائة الشمسية ثلاثمائة وتسع قمرية (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا لَبِثُوا) ممن اختلفوا فيه وهو ما تقدم ذكره (لَهُ غَيْبُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أى علمه (أَبْصِرْ بِهِ) أى بالله هى صيغة تعجب (وَأَنْصَبْ) به كذلك بمعنى ما أبصره وما أسمعه وما على جهة المجاز والمراد أنه تعالى لا يغيب عن بصره وسمعه شىء (مَا كُنْمْ) لأهل السموات والأرض (مِنْ دُونِهِ مِنْ بَلِيٍّ) ناصر (وَلَا يُشْرِكْ فِي حُكْمِهِ أَحَدًا) لأنه غنى عن الشريك (وَأَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنْ كِتَابِ رَبِّكَ لِأَمْبِدَلٍ لِكَلِمَاتِهِ وَلَنْ يَجِدَ مِنْ دُونِهِ مُلْتَحَدًا) ملجأ (وَأَصْبِرْ نَفْسَكَ) احبسها (مَعَ الَّذِينَ يَدْهُونَ رَبَّهُمْ بِالْفُدَاةِ وَالْعَشِيِّ يُرِيدُونَ) بعبادتهم (وَجَهَنَّمَ) تعالى لا شيئا من أهراس الدنيا وهم الفقراء (وَلَا تَعْدُ) تنصرف (هَيْنَاكَ عَنْهُمْ) عبر بهما عن صاحبهما (تُرِيدُ زِينَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَلَا تُطِيعُ مَنْ أَغْلَقْنَا قُلُوبَهُ عَنْ ذِكْرِنَا) أى القرآن ،

وهو

نفسك) فى هذه الآية أمر للنبي صلى الله عليه وسلم

بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم وهى أبلغ من آية الأنعام لأن تلك إنما نهى فيها عن طردهم وهذه أمر بحبس نفسه على الجلوس معهم كأن الله يقول له احبس نفسك على ما يكرهه غيرك من رفاعة ثياب الفقراء وراحتهم الكريمة ، ولا تلتفت للجمال الأغنياء وحسن ثيابهم فإن حسن الظاهر مع فساد الباطن غير نافع . قال الشاعر :

جمال الوجه مع قبح النفوس كقنديل على قبر المجرور

(قوله مع الذين يدهون ربههم) أى يبدونه (قوله بالفداة والعشى) المراد بالفداة أوائل النهار وأواخر الليل والعشى أوائل الليل وأواخر النهار وحينئذ فقد استغرقوا أوقاتهم فى العبادة (قوم يريدون وجهه) أى يقصدون بعبادتهم ذات ربههم ورضاه عليهم (قوله لا شيئا من أهراس الدنيا) أى ولا شيئا من نعيم الجنة وهذا مقام الكمل والصحابة به أخرى (قوله تنصرف عينك عنهم) هو كناية عن الاعراض عنهم أى لا تعرض عنهم بل أقبل عليهم وهو جواب عما يقال كان مقتضى الظاهر ولا تعد عينك بالنصب لأنه فعل متعد مع أن التلاوة بالرفع لا غير فأجاب بالفسر بأنها وإن كانت بالرفع إلا أنها ترجع لمعنى النصب لأن الفعل مسند للعينين وهوى الحقيقة صند لصاحبهما ولذلك عبر بتنصرف لتصحيح رفع العينين دون تنصرف (قوله تريد زينة الحياة الدنيا) الجملة حال من الكاف فى هيناك والشرط موجود وهو كون الضاف جزءا من للضاف إليه والمعنى لا تنصرف عينك عنهم حال كونك طالبا لزينة الدنيا بما يجالسه

الأخوة مع محبة أهل الدنيا والخطاب للنبي والمراد هو وغيره ، وإنما فوطب النبي وإن كان معصوماً من ذلك نسبية للفقراء وتطمينا لقلوبهم (قوله وهو عيينة بن حصن) أى الفزارى أتى النبي صلى الله عليه وسلم قبل أن يسلم وعنده جماعة من الفقراء منهم سلمان وعليه شملة صوف قد عرق فيها ويده خوص يشقه وينسجه ، فقال عيينة للنبي أما يؤذيك ريح هؤلاء ونحن سادات مضر وأشرافها إن أسلمنا تسلم الناس وما يمنعنا من اتباعك إلا هؤلاء فنحنهم عنك حتى تبعك أو اجعل لنا مجلساً ولهم مجلساً وقد أسلم بعد ذلك وحسن إسلامه وكان في حين من المؤلفة قلوبهم فأعطاه النبي صلى الله عليه وسلم منها أئمة بغير وكذلك أعطى الأقرع بن حابس وأعطى للعباس بن مرداس أربعين ديناراً وقيل نزلت في أصحاب الصفة وكانوا سبعمائة رجل فقراء في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم لا يخرجون إلى تجارة ولا زرع ولا ضرع يصلون صلاة وينتظرون أخرى ، فلما نزلت قال النبي صلى الله عليه وسلم « الحمد لله الذى جعل فى أمتى من أمرت أن أصبر نفسى معهم » (قوله فرطاً) مصدر فرط صامى أى متجاوزاً فيه الحد (قوله وقل له) أى لعينته بن حصن (قوله الحق) خبر مبتدأ محذوف قتره المفسر بقوله هذا القرآن (قوله تهديد لهم) أى تخويف وردع لا تخيير وإباحة لذكره الوعد الحسن على الإيمان والوعيد بالنار على الكفر فالعاقل لا يرضى بفوات النعيم واختيار العذاب (قوله إنا اعتدنا) راجع لقوله - ومن (١١) شاء فليكفر - وقوله - إن

الذين آمنوا - راجع لقوله - فمن شاء فليؤمن - فهو لف ونشر مشوش (قوله أحاط بهم سرادقها) صفة لنار السرادق كناية عن السور وهو نار أيضاً لما ورد : أن أرضها من رصاص وحيطاتها من نحاس وسقفها من كبريت ووقودها الناس والحجارة فإذا أوقدت فيها النار صار الكلّ نارا أجازنا الله منها بمنه وكرمه (قوله

وهو عيينة بن حصن وأصحابه (وَأَتَّبَعَ هَوِيَهُ) فى الشرك (وَكَانَ أَمْرُهُ فُرُطًا) إسرافاً (وَقُلْ) له ولأصحابه هذا القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكُمْ فَمَنْ شَاءَ فَلْيُؤْمِنْ وَمَنْ شَاءَ فَلْيُكْفِرْ) تهديد لهم (إِنَّا أَعْتَدْنَا لِلْكَافِرِينَ) أى الكافرين (نَارًا أَحَاطَ بِهُمْ سُرَادِقُهَا) ما أحاط بها (وَإِنْ يَسْتَفْهِشُوا يُفَاقُوا بِمَاءٍ كَالْمُهْلِ) كعكر الزيت (يَشْوَى الْوُجُوهَ) من حره إذا قرب إليها (بِنَسِ الشَّرَابِ) هو (وَسَاءَتْ) أى النار (مُرْتَفَقًا) تمييز منقول عن الفاعل أى قبح مرتفعها وهو مقابل لقوله الآتى فى الجنة وحسنت مرتفعاً وإلا فأى ارتفاق فى النار (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ إِنَّا لَا نُضِيعُ أَجْرَ مَنْ أَحْسَنَ عَمَلًا) الجملة خبر إن الذين وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر والمعنى أجرم أى شئهم بما تضمنه (أُولَئِكَ لَهُمْ جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (تَجْرَى مِنْ تَحْتِهِمُ الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ) قيل من زائدة ، وقيل للتبويض وهى جمع أسورة كاحمرة جمع سوار (مِنْ ذَهَبٍ وَيَلْبَسُونَ ثِيَابًا خُضْرًا ،

يفاقوا) فيه مشاكلة لقوله - وإن يستفشيوا - وتهكم بهم إذ لا إغاثة فيه لأنه لا ينقذ من الهالك (قوله كعكر الزيت) بفتحين هو اسم لما يبقى فى إناء الزيت بعد أخذ الصافي منه وهو تشبيه فى الصورة وإلا فهو نار كما وصفه بقوله - يشوى الوجوه - (قوله أى قبح مرتفعها) أى لحول الاسناد إلى النار ونصب مرتفعاً على التمييز لأن ذكر الشئ مبهما ثم مفسراً أوقع فى النفس (قوله وهو مقابل) أى ذكر على سبيل المقابلة والمشاكلة لما سيأتى فى الجنة (قوله وإلا) أى لا نقل لأنه مشاكلة بل على سبيل الحقيقة (قوله وفيها إقامة الظاهر مقام المضمر) أى وهو الرابط لأنه بمعنى الوصول الذى هو اسم إن على حد سعاد الذى أضناك حب سعاد * (قوله أى شئهم) تفسير لقوله لا نضيع (قوله بما تضمنه) أى بثواب تضمنه أولئك إلى قوله - وحسنت مرتفعاً - وقد اشتملت هذه الآية على خمسة أنواع من الثواب الأول - جنات عدن - الثانى - تجرى من تحتهم الأنهار - الثالث - يحلون فيها - الرابع - ويلبسون ثياباً - الخامس - متكئين - الخ (قوله تجرى من تحتهم) أى تحت مساكنهم (قوله قيل من زائدة) أى بدليل آية هل أتى وحلوا أساور (قوله وهى جمع أسورة) أى فأساور جمع الجمع (قوله من ذهب) جاء فى آية أخرى من فضة وفى أخرى من ذهب ولؤلؤ فيلبس كل واحد الأساور الثلاثة لما ورد « أنه يسور المؤمن فى الجنة ثلاث أسورة من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفى الصحيح « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الوضوء » .

(قوله من سندس وإستبرق) جمع سندسة وإستبرقة ، وقيل ليسا سمعين (قوله من الديباج) أى الحرير (قوله بطايتها) أى الفرس (قوله متكئين فيها) حال عاملها عذوف : أى يجلسون متكئين (قوله جمع أريكة) أى كسيفة ولا يقال له أريكة إلا إذا كان فى داخل الحجرة وبدونها سرير وتقتم أن السرير عليه سبعون فراشا كل فراش عليه زوجة من الحور العين (قوله فى الحجرة) بفتحين فى محل نصب على الحال (قوله للعروس) يستعمل فى الرجل والمرأة لكن الجمع مخذلف فيقال رجال عرس ونساء عرائس (قوله الجنة) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالمذبح عذوف (قوله مرتقا) أى منتفعا ومسكنا (قوله واضرب لهم مثلا) قيل نزلت فى أخوين من أهل مكة من بنى مخزوم وهما أبوسلمة عبد الله بن عبد الأسود وكان مؤمنا وأخوه الأسود ابن عبد الأسود وكان كافرا فشبههما الله برجلين من بنى إسرائيل أخوين أحدهما مؤمن واسمه يهوذا وقيل تملیخا والآخر كافر واسمه قيطوس وهما اللذان وصفهما الله فى سورة الصافات بقوله - قال قاتل منهم إني كان لى قرين - الآيات وكانت قصتهما على ما ذكره عطاء الخراسانى قال : كان رجلان شريكان لهما ثمانية آلاف دينار ، وقيل كانا أخوين ورثا من أبيهما ثمانية آلاف دينار فاقتهما فاشتري أحدهما أرضا بألف دينار ، فقال صاحبه اللهم إن فلانا قد اشترى أرضا بألف دينار وأنا اشتري منك أرضا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم إن صاحبه بنى دارا بألف دينار ، فقال هذا اللهم إن فلانا بنى دارا بألف دينار وإنى اشتريت منك دارا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ، ثم تزوج امرأة وأنفق عليها ألف دينار فقال هذا : اللهم إني أخطب إليك امرأة من نساء الجنة بألف دينار (١٢) فتصدق بها ، ثم إن صاحبه اشترى خدما ومتاعا بألف دينار فقال هذا : اللهم

إني أشتري منك خدما ومتاعا فى الجنة بألف دينار فتصدق بها ثم أصابته حاجة شديدة فقال لو أنبت صاحبى لعله ينالنى منه معروف فجلس على طريق حتى مر به فى خدمه وحشمه فقام إليه فنظره صاحبه فعرفه فقال فلان قال نعم . قال ما شأنك ؟ قال أصابنى حاجة بعد

من سندس) مارق من الديباج (وإستبرق) ما غلظ منه ، وفى آية الرحمن : بطايتها من إستبرق (متكئين فيها على الأرائك) جمع أريكة وهى السرير فى الحجرة وهى بيت يزین بالثياب والستور للعروس (نعم الثواب) الجزاء الجنة (وحسنت مرتقا . واضرب) اجعل (لهم) للكفار مع المؤمنين (مثلا رجلين) بدل وهو وما بعده تفسير للمثل (جعلنا لأحدهما) الكافر (جنتين) بستانين (من أعناب وحفناهما بنخل وجعلنا بينهما زرضا) يقات به (كلتا الجنتين) كلتا مفرد يدل على التثنية مبتدأ (آت) خبره (أكلها) ثمرها (ولم تظلم) تنقص (منه شيئا وفجرتنا) أى شققنا (خلالهما نهرا) يجرى بينهما (وكان له) مع الجنتين (ثمر) بفتح التاء والميم ربضهما وبضم الأول وسكونه الثانى وهو جمع ثمرة ،

كشجرة

فأنبتك لتعينى بخير . قال فما فعل بمالك وقد اقتسما مالا وأخذت شطره نقص

عليه قصته ، فقال وإنك لمن الصديق بهذا اذهب فلا أعطيك شيئا فطرده فقصى عليهما فتوفيا فزل فيهما - فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون - الخ ، وليس هذا محصوما بأبى سلمة وأخيه بل هو مثل لكل من أقبل على الله وترك زينة الدنيا ومن اغتر بالدنيا وزينتها وترك الاقبال على الله (قوله بدل) أى ويصح أن يكون . فقولنا ثانيا لأن ضرب مع المثل يجوز أن يتعدى لاثنتين (قوله وحفناهما بنخل) أى جعلنا النخل حولهما ومحيطا بكل منهما (قوله وجعلنا بينهما زرضا) أى ليكون جامعا للاقتوات والنواكه (قوله مفرد) أى باعتبار لفظه وقوله يدل على التثنية : أى باعتبار معناه فاعتبر اللفظ تارة فأفرد والمعنى أخرى فتى (قوله مبتدأ) أى وهو مرفوع بضمه مقترنة على الألف المحذوفة لالتقاء الساكنين منع من ظهورها التعذر وكلنا مضاف والجنتين مضاف إليه وهذا إعرابه إن أضيف لظاهر فإن أضيف لضمير كان ملحقا بالثنى فيعرب بالحروف (قوله آت أكلها الخ) هذا كناية عن نموها وزيادتها فليست كالأشجار يتم ثمرها فى بعض السنين وينقص فى بعض (قوله وفجرتنا) أى شققنا (قوله يجرى بينهما) أى ليسقى أرضه ومواشيه بسهولة (قوله وكان له) أى لأحدهما (قوله ثمر) المراد به أمواله التى هى من غير الجنتين كالنقد والواشى وصحى ثمر لأنه يثمر : أى يزيد (قوله بفتح التاء والميم الخ) القراآت الثلاث سبعة (قوله وهو جمع ثمرة) أى بفتحين وهذا على كل واحد من الأوجه الثلاثة فالمفرد لا يختلف وإنما الاختلاف فى الجمع فقوله كشجرة الخ لف ونشر مرتب .

(قوله فقال لصاحبه) حاصل مقابلات الكفار لصاحبه المؤمن ثلاث وكلها شفيمة . الأولى أنا أكثر منك الخ . والثانية ودخل جنته الخ . الثالثة وما أظن الساعة قائمة الخ (قوله يفاخره) أى راجعه بالكلام الذى فيه الاختيار (قوله أنا أكثر منك مالا الخ) أنا مبتدأ وأكثر خبره ومنك متعلق بمحذوف حال من مالا ومالا تمييز محول عن المبتدأ والأصل مالى أكثر منك محذوف للمبتدأ وأقيم المضاف إليه مقامه فافصل وجعل المبتدأ فى الأصل تمييزاً ويقال فى قوله وأخزفنا ما قبل هنا (قوله ويريه آثارها) أى بهجتها وحسنها ، وفى نسخة آثارها وهى ظاهرة (قوله وهو ظالم لنفسه) الجملة حالية من فاعل دخل ولنفسه مفعوله واللام زائدة (قوله قائمة) أى كائنة وحاصلة (قوله على زعمك) دفع بهذا ما يقال إنه ينكر البعث فكيف يقول ذلك ؟ فأجاب بأنه جراءة له فى زعمه (قوله مرجعاً) أشار بذلك إلى أن منقلباً تمييز وهو اسم مكان من الانقلاب بمعنى الرجوع والمراد عاقبة الحال قوله قال له صاحبه) أى وهو المؤمن وقد رد المقالات الثلاث على طريق (١٣) ألف والنشر المشوش (قوله

أكفرت) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمعنى لا ينبنى ولا يليق منك الكفر بالذى خلقك الخ وهذا رد للمقالة الأخيرة (قوله رجلاً) مفعول ثان لسؤاك لأنه بمعنى صيرك كما قال المفسر (قوله لكننا) استدراك على قوله أكفرت كأنه قال أنت كافر بالله لكن أنامؤمن . واختلف القراء فى وصل لكننا فبعضهم يثبت ألفا بعد النون وبعضهم يحذفها وفى الوقف ثبت قولاً واحداً لثبوتها فى الرسم (قوله أو حذفت المهمزة) أى من غير نقل فقوله ثم أدغمت النون أى بعد نسيكها بالنسبة للنقل وعلى الثانى فهى ساكنة

كشجرة وشجر وخشب وبدنه وبدن (فَقَالَ لِصَاحِبِهِ) المؤمن (وَهُوَ يُخَاوِرُهُ) يفاخره (أَنَا أَكْثَرُ مِنْكَ مَالًا وَأَعَزُّ نَفَرًا) عشيرة (وَدَخَلَ جَنَّتُهُ) بصاحبه يعطوف به فيها ويريه آثارها ، ولم يقل جنتيه إرادة للروضة وقيل اكتفاء بالواحد (وَهُوَ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالكفر (قَالَ) مَا أَظُنُّ أَنْ تَبِيدَ (تندم) هَئِمَّةٌ أَبَدًا . وَمَا أَظُنُّ السَّاعَةَ قَائِمَةً وَلَئِنْ رُودِدْتُ إِلَى رَبِّي (فى الآخرة على زعمك) (لَأَجِدَنَّ خَيْرًا مِنْهَا مُنْقَلَبًا) مرجعاً (قَالَ لَهُ صَاحِبُهُ وَهُوَ يُخَاوِرُهُ) يجاوبه (أَكْفَرْتَ بِالَّذِي خَلَقَكَ مِنْ تُرَابٍ) لأن آدم خلق منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) منى (ثُمَّ سَوَّكَ) عدلك وصيرك (رَجُلًا . لَكِنَّا) أصله لكن أنا نقلت حركة المهمزة إلى النون أو حذفت المهمزة ثم أدغمت النون فى مثلها (هُوَ) ضمير الشأن تفسره الجملة بعده ، والمعنى أنا أقول (اللَّهُ رَبِّي وَلَا أَشْرِكُ بِرَبِّي أَحَدًا . وَلَوْلَا) هلا (إِذْ دَخَلْتَ جَنَّتَكَ ثُلَّتْ) عند إعجابك بها هذا (مَا شَاءَ اللَّهُ لَا قُوَّةَ إِلَّا بِاللَّهِ) وفى الحديث « من أعطى خيراً من أهل أو مال فيقول عند ذلك ما شاء الله لا قوة إلا بالله لم يرفيه مكروها » (إِنْ تَرَنِ أَنَا) ضمير فصل بين المفعولين (أَقْلَّ مِنْكَ مَالًا وَوَلَدًا . فَسْئَلُ رَبِّي أَنْ يُوْتِنِي خَيْرًا مِنْ جَنَّتِكَ) جواب الشرط (وَيُرْسِلَ عَلَيْهَا حُسْبَانًا) جمع حسبانة أى صواعق (مِنَ السَّمَاءِ فَتُصْبِحُ صَعِيدًا زَلَقًا) أرضاً ملساء لا يثبت عليها قدم (أَوْ يُصْبِحُ مَآوِهَا غَوْرًا) بمعنى غائراً عطف على يرسل دون تصبغ لأن غور الماء لا يتسبب عن الصواعق (فَلَنْ تَسْتَطِيعَ لَهُ طَلَبًا) حيلة تدركه بها ،

تدعم حالا (قوله ضمير الشأن) أى فهو مبتدأ والجملة بعده خبر ولا تحتاج لرابط لأنها عينه فى المعنى وهو معها خبر عن أنا والرابط الياء من ربى (قوله ولا أشرك بربى أحداً) مراده لا أكفر به لأن إنكار البعث كفر (قوله ولولا إذ دخلت جنتك) هذا رد للمقالة الثانية ولولا تحضيضية داخله على قلت وإذ ظرف لقلت مقدم عليه وجملة ما شاء الله خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هذا (قوله لم يرفيه مكروها) أى لم يصب فيه بصيبة (قوله إن ترن) هذا رد للمقالة الأولى (قوله ضمير فصل) أى وأقل مفعول ثان وقرئ بالرفع فيكون خبراً عن أنا ومالا وولداً تمييزاً وقوله فسئلى الخ جواب الشرط (قوله أن يؤتين) يحتمل أن يكون فى الدنيا أو الآخرة (قوله جمع حسبانة) أى فهو اسم جنس جمى يفرق بينه وبين واحده بالياء (قوله بمعنى غائراً) أى ذاهباً فى الأرض (قوله لأن غور الماء الخ) أى أو يقال إنه يفسر الحسبان بالقضاء الإلهى وهو عام يتسبب عنه إما إصباح الجنة صعيداً زلقاً أو مأواها غوراً وعلى هذا فيكون معطوفاً على يصبح .

(قوله وأحيط بثمره) أى أمواله بدليل قول المفسر مع جنته (قوله بأوجه الضبط) أى الثلاثة (قوله وهى خاوية) الجملة حالية (قوله على عروشها) جمع عرش وهو بيت من جريد أو خشب يجعل فوقه الثمار (قوله دعائها) جمع دعامة وهى الخشب ونحوه الذى ينصب ليجد الكرم عليه (قوله ويقول يا ليتنى) أى تحسرا وندما على تلف ماله لآتوبة بدليل قوله ولم تكن له فئة الخ (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ينصرونه) أى يدفنون عنه الهلاك (قوله وما كان منتصرا) أى قادرا على ذلك (قوله هنالك) يصح أن يكون خبرا مقدما والولاية مبتدأ مؤخر أو تكون هذه الجملة مستقلة أو معمولا لمنتصرا وقوله الولاية لله مبتدأ وخبر (قوله الملك) أى القهر والسلطنة (قوله بالرفع) راجع لفتح الواو وكسرها وكذا قوله وبالجر فالقرارات أربع سبعيات (قوله خير ثوابا) أى إثابة (قوله لو كان يثيب) أى قاسم التفضيل على بابه على فرض أن غير الله يثيب (قوله وخير عقبا) أى أن عاقبة المؤمن خير من عاقبة طاعة غيره (قوله بضم القاف وسكونها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله صبر) أى شبه (قوله) (١٤) مثل الحياة الدنيا) أى صفتها وحالها وهيتها (قوله كاه) أى كصفة وحال وهيتها

(وَأَحِيطَ بِثَمَرِهِ) بأوجه الضبط السابقة مع جنته بالهلاك فهلك (فَأَصْبَحَ يَقْلُبُ كَفَنِهِ) ندما وتحسرا (عَلَى مَا أَتَّفَقَ فِيهَا) فى عمارة جنته (وَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) دعائمها للكرم بأن سقطت ثم سقط الكرم (وَيَقُولُ يَا) للتنبيه (لَيْتَنِي لَمْ أَشْرِكْ رَبِّي أَحَدًا . وَلَمْ تَكُنْ) بالتاء والياء (لَهُ فِتْنَةٌ) جماعة (يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) عند هلاكها (وَمَا كَانَ مُنْتَصِرًا) عند هلاكها بنفسه (هُنَالِكَ) أى يوم القيامة (الْوَلَايَةُ) بفتح الواو النصرة وبكسرها الملك (لِلَّهِ الْحَقُّ) بالرفع صفة الولاية وبالجر صفة الجلالة (هُوَ خَيْرُ ثَوَابًا) من ثواب غيره لو كان يثيب (وَخَيْرُ عَقْبًا) بضم القاف وسكونها عاقبة للمؤمنين ونصبتها على التمييز (وَأَضْرِبْ) صير (لَهُمْ) لقومك (مَثَلِ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) مفعول أول (كَمَا) مفعول ثان (أَنْزَلْنَاهُ مِنَ السَّمَاءِ فَاخْتَلَطَ بِهِ) تكاثف بسبب نزول الماء (نَبَاتُ الْأَرْضِ) أو امتزج الماء بالنبات فروى وحسن (فَأَصْبَحَ) صار النبات (هَشِيمًا) يابساً متفرقة أجزاؤه (تَذْرُوهُ) تنثره وتفرقه (الرِّيحُ) فتذهب به ، المعنى شبه الدنيا بنبات حسن فيبس فتكسر ففرقه الرياح وفى قراءة الريح (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ مُقْتَدِرًا) قادراً (الْمَالُ وَالْبَنُونَ زِينَةُ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) يتجمل بهما فيها (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هى سبحان الله والحمد لله ولا إله إلا الله والله أكبر ، زاد بعضهم : ولا حول ولا قوة إلا بالله ،

ماء الخ وهذه الآية نظير قوله تعالى - كمثل غيث أعجب الكفار نباته ثم يهيج فتراه مصفراً ثم يكون حطاماً - (قوله تكاثف) أى غلظ والتف بعضه على بعض (قوله أو امتزج الماء بالنبات) أشار بذلك إلى أنه تفسير ثان لا يختلط ومن العلوم أن الامتزاج من الجانبين فصح نسبته إلى النبات وإن كان فى عرف اللغة والاستعمال أن الباء تدخل على الكثير غير الطارىء وقد دخلت هنا على الكثير الطارىء مبالغة فى كثرة الماء حتى كأنه الأصل (قوله فروى)

بفتح الراء وكسر الواو أى ارتوى (قوله هشياً) أى مهشوما مكسورا (قوله وتفرقه) (خير) عطف تفسير (قوله المعنى) أى معنى المثل (قوله شبه) فعل أمر وفاعله مستتر عائد على النبي صلى الله عليه وسلم والدنيا مفعوله (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضاً (قوله وكان الله) أى ولم يزل (قوله قادرا) للناس أن يقول كامل القدرة كما يؤخذ من الصيغة (قوله المال) أى وهو الذهب والفضة والحيل السومة والأنعام والحراث (قوله زينة) هو مصدر بمعنى اسم المفعول بدليل قوله يتجمل بهما فيها ، ولذا صح الاخبار به عن الاثنين (قوله هى سبحان الله الخ) أى وتسمى غراس الجنة أى أن بكل واحدة من هذه الكلمات تفرس له شجرة فى الجنة فيها ماتشتهى الأنفس وتله الأعين . وقيل إن المراد بالباقيات الصالحات الصلوات المحسنة وقيل أركان الاسلام وقيل كل ما يثاب عليه العبد فى الدار الآخرة وهو الأتم وإما خص المفسر سبحان الله الخ بالباقيات الصالحات لمزيد فضلها وثوابها ، ولذا أوصى رسول الله عمه العباس بصلاة التساييح ولو فى العمرمرة ، وأوصى الخليل رسول الله بأن يأمر أمته أن يكثر من غراس الجنة كما فى حديث الامراء

(قوله خير عند ربك) التفضيل ليس على بابه لأن زينة الدنيا ليس فيها خير ولا يرد علينا أن السى على العيال من الخير لأنه من حيز الباقيات الصالحات لامن حيز الزينة ، أو يقال إنه على بابه بالنسبة لزعم الجاهل (قوله ويرجوه) عطف تفسير (قوله ويوم نسير الجبال) هذا كالدليل لكون الدنيا فانية ذاهبة (قوله هباء) أى غبارا وقوله منبثا أى مفزعا كما في سورة الواقعة (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله وترى الأرض) أى تبصرها (قوله ولا غيره) أى من بناء وشجر وبحار وغير ذلك (قوله وحشرناهم) أتى به ماضيا إشارة إلى أن الحشر مقدم على تسيير الجبال والبروز ليعاينوا تلك الأهوال العظام كأنه قيل وحشرناهم قبل ذلك وعلى هذا فتبديل الأرض يحصل وهم ناظرون لذلك ووقت التبديل يكون الخلق على الصراط وقيل على أجنحة اللائكة كما تقدم (قوله فلم نأدر) عطف على قوله حشرناهم والمفاد من جانب ولذا فسرنا بقوله ترك (قوله حال) أى من الواو فى عرضوا وصفا مفرد وقع موقع الجمع ، فالمعنى جميعا ونظيره قوله تعالى - ثم اتوا صفا - أى جميعا أو المراد صفوفا لما ورد «أهل الجنة مائة وعشرون أتم منها ثمانون» ، وورد أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله تبارك وتعالى ينادى بصوت رفيع غير فظيع يا عبادى أنا الله لا إله إلا أنا أرحم الراحمين وأحكم الحاكمين وأسرع الحاسبين (١٥) يا عبادى لا خوف عليكم اليوم ولا أنتم تحزنون أحضروا

(خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ أَمَلًا) أى ما يأمله الإنسان ويرجوه عند الله تعالى (وَ) اذكر (يَوْمَ نُسِيرُ الْجِبَالَ) يذهب بها عن وجه الأرض فتصير هباء منبثا وفى قراءة بالنون وكسر الياء ونصب الجبال (وَرَرَى الْأَرْضَ بَارِزَةً) ظاهرة ليس عليها شئ من جبل ولا غيره (وَحَشَرْنَاهُمْ) المؤمنين والكافرين (فَلَمْ تَنَادِرْ) تترك (مِنْهُمْ أَحَدًا) وَعَرَضُوا عَلَى رَبِّكَ صَفًّا) حال أى مصطفين كل أمة صف ويقال لهم (لَقَدْ جِئْتُمُونَا كَمَا خَلَقْنَاكُمْ أَوَّلَ مَرَّةٍ) أى فرادى خفاة عراة غرلا ، ويقال لمنكرى البعث (بَلْ زَعَمْتُمْ أَنْ) مخففة من الثقيلة أى أنه (لَنْ نَجْعَلَ لَكُمْ مَوْعِدًا) للبعث (وَوُضِعَ الْكِتَابُ) كتاب كل امرئ فى يمينه من المؤمنين وفى شماله من الكافرين (فَتَرَى الْمُجْرِمِينَ) الكافرين (مُشْفِقِينَ) خائفين (يَمَّا فِيهِ يَقُولُونَ) عند ما يمتهم ما فيه من السيئات (يَا) للتنبيه (وَيَلْتَنَّا) هلكتنا وهو مصدر لافعل له من لفظه (مَالِ هَذَا الْكِتَابِ لَا يُغَادِرُ صَغِيرَةً وَلَا كَبِيرَةً) من ذنوبنا (إِلَّا أَحْصَاهَا) عدناها وأثبتناها تعجبوا منه فى ذلك (وَوَجَدُوا مَا عَمِلُوا حَاضِرًا) مثبتا فى كتابهم (وَلَا يَظِلُّ رَبُّكَ أَحَدًا) لا يعاقبه بغير جرم ولا ينقص من ثواب مؤمن (وَإِذْ) منصوب باذكر (قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ) سجود انحناء لا وضع جبهة تحية له ،

العامة وقرئ شذوذا بالبناء للفاعل وهو الله أو الملك (قوله فى يمينه) أى حين يقرؤه يبيض وجهه ويقول هاؤم اقرءوا كتابيه إلى آخر ما فى سورة الحاقة (قوله وفى شماله من الكافرين) أى حين يقرؤه يسود وجهه ويقول ياليتنى لم أوت كتابيه الخ (قوله هلكتنا) أى هلاكنا والمقصود التحسر والتندم ، وقيل الياء حرف نداء وويلتنا منادى تنزيلا لها منزلة الماقل فكأنه يقول يا هلاكى احضرى فهذا أوانك (قوله وهو مصدر) أى الويل وقوله لافعل له من لفظه أى بل من معناه وهو هلك (قوله مال هذا الكتاب) ما استفهامية مبتدأ ولهذا الكتاب خبره : أى أى شئ ثبت لهذا الكتاب (قوله لا يغادر) الجملة حالة من الكتاب (قوله تعجبوا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام للتعجب (قوله منه) أى الكتاب (قوله فى ذلك) أى الإحصاء المذكور (قوله ولا يظلم ربك أحدا) أى لا يعامله معاملة الظالم بحيث يعذبه من غير ذنب أو ينقص من أجره (قوله منصوب باذكر) أى فاذ ظرف لذلك المقدر . والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قولنا للملائكة الخ والمراد اذكر لهم تلك القصة وقد كررت فى القرآن مرارا لأن معصية إبليس أول معصية ظهرت فى الخلق (قوله سجود انحناء) جواب عما يقال إن السجود لغیر الله كفر ، وتقدم الجواب بأن السجود لله وآدم كالتبعية أو أن عمل كون السجود لغیر الله كفرا إن لم يكن هو الأمر به وإلا فالكفر فى المخالفة

(قوله فسجدوا) أى جميعا (قوله قيل ثم نوع من اللاتكة) أى وعلى هذا القول فهم ليسوا معصومين كالملائكة بل يتم الدون ويصون (قوله وإبليس أبو الجن) هذا توجيه لكونه منقطعا وهو الحق وعليه فالجن نوع آخر غير الملائكة فالجن من نار والملائكة من نور (قوله فله ذرية) تفريع على كونه أبا إذ الأب يستلزم ابنا (قوله ففسق عن أمر ربه) أى تكبرا وحسدا (قوله أفتتخذونه) الحمزة داخل على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والاستفهام توبيخي ، والمعنى أبعد ما حصل منه ما حصل يليق منكم اتخاذه الخ (قوله وذريته) عطف على الضمير في تتخذونه . قال مجاهد : من ذرية إبليس لاقس وولهان وهما صاحبا الطهارة والصلاة اللذان يوسوسان فيهما ومن ذريته مرة وبه يكنى وزلنبور وهو صاحب الأسواق يزين للنو والحلف الكاذب ومدح الساع و بتر وهو صاحب المصاب يزين خدش الوجوه ولطم الحدود وشق الجيوب والأعور وهو صاحب الزنا ينفع في إحليل الرجل وعجيزة المرأة ومطروس وهو صاحب الأخبار الكاذبة يلقبها في أفواه الناس لا يجدون لها أصلا وداسم وهو الذى إذا دخل الرجل بيته ولم يسم (١٦) ولم يذكر الله دخل معه اه قال القرطبي : واختلف هل لإبليس أولاد

(فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ كَانَ مِنَ الْجِنِّ) قيل ثم نوع من الملائكة فالاستثناء متصل ، وقيل هو منقطع وإبليس هو أبو الجن فله ذرية ذكرت معه بعد والملائكة لا ذرية لهم (فَفَسَقَ عَنْ أَمْرِ رَبِّهِ) أى خرج عن طاعته بترك السجود (أَفَتَتَّخِذُونَهُ وَذُرِّيَّتَهُ) الخطاب لآدم وذريته والماء في الموضعين لإبليس (أَوْلِيَاءَ مِنْ دُونِي) تطيعونهم (وَهُمْ لَكُمْ عَدُوٌّ) أى أعداء حال (بئسَ لِلظَّالِمِينَ بَدَلًا) إبليس وذريته في طاعتهم بدل إطاعة الله (مَا أَشْهَدُهُمْ) أى إبليس وذريته (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَا خَلْقَ أَنْفُسِهِمْ) أى لم أحضر بعضهم خلق بعض (وَمَا كُنْتُ مُتَّخِذَ الْمُضِلِّينَ) الشياطين (عَضُدًا) أعوانا في الخلق فكيف تطيعونهم (وَيَوْمَ) منصوب باذكر (يَقُولُ) بالياء والنون (نَادُوا شُرَكَائِيَ) الأوثان (الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) ليشفوا لكم بزعمكم (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) لم يجيبوهم (وَجَعَلْنَا بَيْنَ الْأَوْثَانِ) وعابديها (مَوْبِقًا) واديا من أودية جهنم يهلكون فيه جميعا وهو من وبق بالفتح هلك (وَرَأَى الْمُجْرِمُونَ النَّارَ فَظَنُّوا) أى أيقنوا (أَنَّهُمْ مُوَاعِدُهَا) أى واقعون فيها (وَلَمْ يَجِدُوا عَنْهَا مَصْرِفًا) معدلا (وَلَقَدْ صَرَّفْنَا) بينا (فِي هَذَا الْقُرْآنِ لِلنَّاسِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) صفة لمحذوف أى مثلا من جنس كل مثل ليتعظوا (وَكَانَ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (أَكْثَرَ شَيْءَ جَدَلًا) :

من صلبه فقال الشعبي سألني رجل فقل هل لإبليس زوجة ؟ فقلت إن ذلك هرس لم أشهده ثم ذكرت قوله تعالى : أفتتخذونه وذريته أولياء من دوني ، فعلت أنه لا تكون ذرية إلا من زوجة فقلت نعم . وقال مجاهد إن إبليس أدخل فرجه في فرج نفسه فباض خمس بيضات ، فهذه أصل ذريته ، وقيل إن الله خلق له في فخذة اليمنى ذكرا وفي فخذة اليسرى فرجا فهو ينسج هذه بهذا فيخرج له كل يوم عشر بيضات يخرج

خصومة

من كل بيضة سبعون شيطانا وشيطانه هو يفرخ ويظهر وأعظمهم عند أيهم منزلة . أعظمهم في بني آدم فتنة وقال قوم ليس له أولاد ولا ذرية وإنما المراد بذريته أعوانه من الشياطين (قوله تطيعونهم) أى بدل طاعتي (قوله حال) أى من مفعول تتخذون (قوله للظالمين) متعلق ببدا الواقع تغييرا للفاعل المستر وقوله إبليس وذريته بيان للخصوص بالدم المحذوف والأصل بئس البديل إبليس وذريته (قوله أى إبليس وذريته) تفسير للضمير في أشهدتهم فالمعنى لم أحضرهم حين خلقت السموات والأرض ولحين خلقت أنفسهم فكيف تتخذونهم أولياء تطيعونهم (قوله وما كنت متخذ المضلين) فيه وضع الظاهر موضع الضمير (قوله عضدا) هو في الأصل العضو الذى هو من الرفق إلى الكنف ثم أطلق على المعين والناصر والمراد هنا مقدما لهم في مناصب خبر بل هم مطرودون عنها فكيف يظاعون (قوله بالياء والنون) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله الذين زعمتهم) أى زعمتهم شركاء فالمفعولان محذوفان (قوله ليشفواكم) متعلق ببناءوا (قوله وجعلنا بينهم) أى مشتركا (قوله واديا من أودية جهنم) قال أنس بن مالك هو واد في جهنم من قيح ودم (قوله من وبق بالفتح) أى كوعد (قوله ورأى المجرمون النار) أى عابوها من مسيرة أربعين عاما (قوله مصرفا) أى مكانا يحلون فيه غيرها (قوله من كل مثل) أى معنى غريب بديع يشبه

فمثل في هرايته (قوله خصومة في الباطل) هذا هو معنى الجدل هنا وفيه إشارة إلى أن المؤمن ليس كثير الجدل في الباطل بل هو شديد الخصومة في الحق (قوله ويستغفروا) عطف على أن يؤمنوا (قوله إلا أن تأتيهم سنة الأولين) الكلام على حذف مضاف أي إلا اتنازلهم وطلبهم آيات مثل سنة الأولين بقولهم اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك الآية (قوله وهي الإهلاك) أي الذي يستأصاهم (قوله للقدر) أي في الأزل وقوله عليهم أي الأولين (قوله أو يأتيهم) أي الناس (قوله مقابلة وغيانا) تفسير لقبلا بكسر ففتح (قوله أي أنواعا) تفسير لقبلا بضمين فكل من القراءتين له معنى يخصه (قوله القرآن) للناسب أن يقول أي جميع ما جاءت به الرسل (قوله آياتي) المناسب تفسيرها بمعجزات الرسل لخصوص القرآن لأنه في كل كافر من هذه الأمة وغيرها (قوله وما أنذروا) مأموصولة والعائد محذوف هي الذي أنذروا به أو مصدرية أي إنذارهم (قوله هزوا) يقرأ بالهمزة والواو سبعين (قوله فأعرض عنها) أي لم يتدبرها وقت تذكره (١٧) بها (قوله إننا جعلنا) بمنزلة التعليل

قوله فأعرض (قوله فلا يسمعون) أي سماع تفهم واتقاع (قوله لعجل لهم العذاب) أي المستأصل لهم (قوله وهو يوم القيامة) أشار بذلك إلى أن المراد بالموعد الزمان المعد لهم ويصح أن يراد به المكان (قوله لن يجدوا من دونه) أي العذاب (قوله موثلا) للوثل المرجع من وأل يشل أي رجح ويقال للرجأ أيضا ، يقال وأل فلان إلى فلان إذا لجا إليه ، والمعنى لن يجدوا غير العذاب ملجأ يلتجئون إليه كناية عن عدم خلاصهم منه (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن

خصومة في الباطل ، وهو تمييز منقول من اسم كان . المعنى وكان جدل الانسان أكثر شيء فيه (وَمَا مَنَعَ النَّاسَ) أي كفار مكة (أَنْ يُؤْمِنُوا) مفعول ثان (إِذْ جَاءَهُمُ الْمُدَى) القرآن (وَيَسْتَغْفِرُوا رَبَّهُمْ إِلَّا أَنْ تَأْتِيَهُمْ سُنَّةُ الْأَوَّلِينَ) فاعل : أي سنتنا فيهم وهي الإهلاك المقدر عليهم (أَوْ يَأْتِيَهُمُ الْعَذَابُ قَبِيلًا) مقابلة وغيانا وهو القتل يوم بدر ، وفي قراءة بضمين جمع قبيل أي أنواعا (وَمَا زُيِّلَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ) للمؤمنين (وَمُنْذِرِينَ) للكافرين (وَيُحَادِلُ الَّذِينَ كَفَرُوا بِالْبَاطِلِ) بقولهم أبعث الله بشرا رسولا ونحوه (لِيُذْهِبُوا بِهِ) ليطلوا بمجادلهم (الْحَقُّ) القرآن (وَأَتَّخِذُوا آيَاتِي) أي القرآن (وَمَا أَنْذِرُوا) به من النار (هَزُوا) سخرية (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ دَكَرَ آيَاتِ رَبِّهِ فَأَعْرَضَ عَنْهَا وَنَسِيَ مَا قَدَّمَتْ يَدَاهُ) ما عمل من الكفر والمعاصي (إِنَّا جَاءَ لَنَا عَلَى قُلُوبِهِمْ أَكِنَّةٌ) أغطية (أَنْ يَفْقَهُوهُ) أي من أن يفقهوا القرآن أي فلا يفهمونه (وَفِي آذَانِهِمْ وَقْرًا) ثقلا فلا يسمعون (وَأِنْ تَذَعُّهُمْ إِلَى الْمُدَى فَلَنْ يَهْتَدُوا إِذًا) أي بالجعل المذكور (أَبَدًا . وَرَبُّكَ الْمَتَّقُونَ ذُو الرَّحْمَةِ لَوْ يُؤْخِذُهُمْ فِي الدُّنْيَا بِمَا كَسَبُوا لَعَجَّلَ لَهُمُ الْعَذَابَ) فيها (بَلْ لَهُمْ مَوْعِدٌ) وهو يوم القيامة (لَنْ يَجِدُوا مِنْ دُونِهِ مَوْثَلًا) ملجأ (وَتِلْكَ الْقُرَى) أي أهلها كعاد وثمود وغيرها (أَهْلَكْنَاهُمْ لَمَّا ظَلَمُوا) كفروا (وَجَعَلْنَا لِمُلْكِهِمْ) لإهلاكهم وفي قراءة بفتح الميم أي هلاكهم (مَوْعِدًا . وَ) اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى) هو ابن عمران (لِقَتِيهِ) ،

الكلام على حذف مضاف (قوله أهلكناهم) أي في الدنيا كما قال تعالى : فمنهم من أرسلنا عليه حاصبا (قوله وجعلنا لمهلكهم) أي هلاكهم المذكور وقتا معينانزل بهم فيه فكذاك قومك لهم وقت ينزل بهم فيه وهو معنى قوله موعدا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا وتحتها قراءتان فتح اللام وكسرها فمجموع القراءات السبعة ثلاثة ضم الميم مع فتح اللام وفتح الميم مع فتح اللام أو كسرها (قوله واذكر) قتره إشارة إلى أن إذ ظرف لمحدوف ، والمعنى اذكر يا محمد لقومك وقت قول موسى لقائه الخ ، وانفراد ذكرهم قصته وما وقع له مع الحضرة عليهما السلام (قوله هو ابن عمران) أي رسول بني إسرائيل من سبط لاوى بن يعقوب وهذا هو الصحيح الذي أجمعت عليه الآثار الصحيحة ولا يقدح فيه كونه يتعلم من الحضرة لأن الكامل يقبل الكمال سواء قلنا إن الحضرة نبى أو ولي فاستفادته منه لا يقدح في كونه أفضل منه لأن تلك مزية وهي لا تقتضى الأنضائية ، يدل على ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم مع كونه أعلم الناس أمره الله بالاستفادة من العلم بقوله - وقل رب زدنى علما - خلافا لمن زعم أنه موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب وادعى أنه نبي قبل موسى بن عمران [٣ - صاوى - ثالث]

عقبا بأن الله بعد أن أنزل على موسى بن عمران التوراة وكلمه بلا واسطة وأعطاه المعجزات العظيمة الباهرة وبعد أن يستفيد من مطلق نبي أو ولي ، وهذا القول خلاف الصحيح (قوله يوشع بن نون) هو ابن إفرائيم بن يوسف أرسله الله بعد موسى لقاتل الجبارين وردت له الشمس وتقدمت قصته في سورة المائدة (قوله كان يتبعه) هذا بيان وجه إضافته إلى موسى وكان ابن أخته ، وقيل كان عباده وهو بعيد لأن شرط النبي الحزبي (قوله لا أبرح) هي من أخوات كان اسمها مستر وجوبا وخبرها محذوف قدره المفسر بقوله أسير أى لا أبرح سائرا (قوله ملتي بحر الروم الخ) أى وملتقاها عند البحر المحيط (قوله مما يلي المشرق) أى وذلك بأفريقية (قوله دهر طويلا) وقيل الحقب ثمانون سنة ، وقيل سنة واحدة بلغة قريش ، وقيل سبعون ويجمع على أحقاب كعشق وأصناق (قوله إن بعد) أى إن لم أدركه ، والغى لا بد من سيرى إلى أن أبلغ مجمع البحرين أو أسير زمنا طويلا حتى أياس من الوصول (قوله بين البحرين) أشار بذلك إلى أن بين ظرف وهو الموضع الذى وعد موسى أن يجتمع فيه بالحضر (قوله نسيا حوتهما) قيل كان مشويا ، وقيل كان ملحاً وقد أكل منه زمنا طويلا قبل أن يدركا الصخرة (قوله نسي يوشع حمله) (١٨) هذا يقتضى أنه كان موجودا على البر حين نسيه يوشع ، ولكن

الوجود في القصة أن موسى ويوشع لما وصلا الصخرة التي عندها عين الحياة فلما ثم استيقظ يوشع فتوضأ من تلك العين فاتضح الماء عليه فغاض ووثب في الماء فهذا يقتضى أنه نسي إخبار موسى بما رأى فالتناسب للمفسر أن يقول نسي يوشع أن يخبر موسى بما شاهده من الأمر العجيب . إن قلت إن شأن الأمر العجيب عدم نسيانه . أجب بأنه أدهش من

يوشع بن نون كان يتبعه ويخدمه يأخذ منه العلم (لا أبرح) لا أزال أسير (حتى أبلغ مجمع البحرين) ملتي بحر الروم وبحر فارس مما يلي المشرق أى المكان الجامع لذلك (أو أنمضي حقباً) دهر طويلا في بلوغه إن بعد (فلما بلغنا مجمع بينهما) بين البحرين (نسيا حوتهما) نسي يوشع حمله عند الرحيل ونسي موسى تذكره (فألتخذ) الحوت (سبيله في البحر) أى جعله يجعل الله (سرباً) أى مثل السرب ، وهو الشق الطويل لا قاذله . وذلك أن الله تعالى أمتك عن الحوت جرى الماء فأنجاب عنه فبقى كالكوكة لم يلتئم وجمد ما تحته منه (فلما جاوزا) ذلك المكان بالسير إلى وقت الغداء من ثاني يوم (قال) موسى (لنبيتي أتينا غداءنا) هو ما يؤكل أول النهار (لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا) تعباً وحصوله بعد الجاوزة (قال) أرايت (أى تنبه) إذ أوتينا إلى الصخرة بذلك المكان (فإني نسيت الحوت وما أنسانيه إلا الشيطان) يبدل من الماء (أن أذكركه) بدل اشتغال أى أنساني ذكره (وألتخذ) الحوت (سبيله في البحر عجبا) مفعول ثان أى يتعجب منه موسى وفناه ،

عظيم ما رأى من قدرة الله وعظمته للحكمة التي ترتبت على ذلك

(قوله فالتخذ سبيله) هذا الالتخاذ قبل النسيان فيكون في الآية تقديم وتأخير ، والأصل فأدركته الحياة فخرج من المكنل وسقط في البحر فالتخذ سبيله (قوله سرباً) مفعول ثان لاتخذ (قوله وذلك) أى سبب ذلك (قوله فأنجاب) أى انقطع الماء وانكشف (قوله نبيتي) أى صار (قوله كالكوكة) هي بالفتح ثقب البيت والجمع كوى بكسر الكاف ممدودا ومقصورا (قوله لم يلتئم) أى يلتصق حتى رجع إليه موسى فرأى مسلكه (قوله وجمد ما تحته) أى لجعل الحوت لا يمس شيئا في البحر إلا ييس (قوله ذلك المكان) أى مجمع البحرين (قوله من سفرنا هذا) أى الذي وقع بعد مجاوزتهما الموعد (قوله نصبا) مفعول ببقينا (قوله وحصوله بعد الجاوزة) إنما كان حصول النصب بعد الجاوزة لحصول السفر مع الانتظار والتشوق ، وأما سفرهما قبل الوصول لمجمع البحرين فكان مقصودا دفعة فلا مشقة فيه (قوله أى تنبه) أى تذكر واستمع لما أنبته إليك من شأن الحوت (قوله فإني نسيت الحوت) أى نسيت إخبارك بما شاهدته منه كما تقدم (قوله وما أنسانيه إلا الشيطان) . إن قلت إن الشيطان لا تسلط له على الأنبياء . أجب بأنه أضاف النسيان إليه هضمًا لنفسه (قوله أى يتعجب منه موسى وفناه) أى حيث أكل من الحوت شقه الأيسر ثم حي بعد ذلك .

(قوله لما تنقم في بيانه) أي وهو قوله وذلك أن الله أمسك عن الحوت جري الماء الخ (قوله من نطلبه) وهو الخضر (قوله فوجدنا عبدا) قيل دخلا السرب مكان الحوت فوجداه جالسا على جزيرة في البحر، وقيل وجداه عند الصخرة مغطى بوب أبيض طرفه تحت رأسه والآخر تحت رجله فسلم عليه موسى فرفع رأسه واستوى جالسا وقال وعليك السلام يأي بني إسرائيل، فقال له موسى ومن أخبرك أني نبي بني إسرائيل، فقال الذي أدراك بي وذلك علي ثم قال لقد كان لك في بني إسرائيل شغل قال موسى إن ربي أرسلني إليك لأتبعك وأعلم منك (قوله من عبادنا) الإضافة لتشريف المضاف : أي من عبيدي المحبوبين (قوله هو الخضر) بفتح الخاء مع كسر الصاد أوسكونها وبكسر الخاء مع سكون الصاد ففيه ثلاث لغات وهذا لقبه واسمه بليا بفتح الباء وسكون اللام بعدها ياء تحية آخره ألف مقصورة ومعناه بالعربية أحمد بن ملسكان وكنيته أبو العباس. قال بعض العارفين: من عرف اسمه واسم أبيه وكنيته ولقبه مات على الاسلام ولقب بالخضر لأنه جلس على الأرض فأخضرت تحته، وقيل لأنه كان إذا صلى أخضر ماحوله وهو من نسل نوح وكان أبوه من الملوك (قوله نبوة في قول) أي وقد صححه جماعة والجمهور على أنه حتى إلى يوم القيامة لشربه من ماء الحياة يجتمع به خواص الأولياء (١٩) ويأخذون عنه. قال العارف

السيد البكري صاحب
ورد السحر في توسلاته :
بنقيهم في كل عصر
الخضر أي ال
عباس من أحياءه وصاله
حي وحقتك لم يقل بوفاته
إلا الذي لم يلق نور جماله
فعليه منى كما هب الصبا
أزكى سلام طاب في إرساله
وقد اجتمع برسول الله
صلى الله عليه وسلم وأخذ
عنه فهو صحابي (قوله من
لدنا) أي مما يختص بنا
ولا يعلم بواسطة معلم من
أهل الظاهر (قوله
خطيبا) أي واعظا يذكرك
الناس حق فاضت العيون

لما تقدم في بيانه (قَالَ) موسى (ذَلِكَ) أي قد دنا الحوت (مَا) أي الذي (كُنَّا نَبْغُ) نطلبه فإنه علامة لما على وجود من نطلبه (فَارْتَدَّا) رجعا (عَلَى آثَارِهِمَا) يقصانها (قَصَصَا) فأتيا الصخرة (فَوَجَدَا عَبْدًا مِنْ عِبَادِنَا) هو الخضر (آتَيْنَاهُ رَحْمَةً مِنْ عِنْدِنَا) نبوة في قول، وولاية في آخر وعليه أكثر العلماء (وَعَلَّمْنَاهُ مِنْ لَدُنَّا) من قبلنا (عِلْمًا) مفعول ثان أي معلوما من الغيبات، روى البخاري حديث « إن موسى قام خطيباً في بني إسرائيل فمثل أي الناس أعلم ؟ فقال أنا فعتب الله عليه إذ لم يرد العلم إليه فأوحى الله إليه إن لي عبداً بجمع البحرين هو أعلم منك قال موسى يارب فكيف لي به ؟ قال تأخذ معك حوتا فتجعله في مكمل نحينا فكدت الحوت فهو ثم فآخذ حوتا فجعله في مكمل ثم انطلق وانطلق معه فتاه يوشع بن نون حتى أتيا الصخرة ووضعا رؤوسهما فناما واضطرب الحوت في المكمل فخرج منه فسقط في البحر فآخذ سبيله في البحر مربا وأمسك الله عن الحوت جرية الماء فصار عليه مثل الطاق فلما استيقظ نسي صاحبه أن يخبره بالحوت فانطلقا بقية يومهما وليتهما حتى إذا كانا من الغداة قال موسى لفتاه آتنا غداءنا إلى قوله واتخذ سبيله في البحر عجبا قال وكان للحوت سر با ولم يسي وفتاه هجاء الخ (قَالَ لَهُ) مُوسَى هَلْ أَتَيْتُكَ ،

ورقت القلوب وكانت تلك الخطبة بعد هلاك القبط ورجوع موسى إلى مصر (قوله إذ لم يرد العلم إليه) أي فكان عليه أن يقول مثلا الله أعلم ، وهذا من باب هتاف الأحباب تأديبا لموسى وإلا فالواقع أن موسى أعلم من الخضر (قوله هو أعلم منك) أي في خصوص علم الكشف والوقائع المخصوصة وهو بالنسبة للعلم الذي أوحاه الله إلى موسى قليل فذلك رغب موسى في جيازته لعله (قوله فكيف لي به) أي فلما سمع موسى هذا تشوقت نفسه الزكية وهمته العلمية لتحصيل علم ما لم يعلم (قوله قال تأخذ معك حوتا) لعل الحكمة في تخصيصه ما ظهر بعد من حياته ودخوله في البحر (قوله فتجعله في مكمل) هو الزنبيل بكسر الزاي من خوص النخل ويقال له القفة نسع خمسة عشر صاعا (قوله فهو ثم) أي هناك (قوله جرية الماء) بكسر الجيم (قوله مثل الطاق) هو البناء المقوس كالقنطرة (قوله أن يخبره بالحوت) أي بما حصل من أمره (قوله قال موسى) أي بعد أن صليا الظهر من اليوم الثاني (قوله قال) أي النبي صلى الله عليه وسلم في شأن تفسير الآية (قوله قال له موسى) أي بعد أن تلاقيا وحصل الوصول (قوله هل أتيتك) استفهام تعطف رعاية للأئيب في حق للعلم وبذلك الأدب يحصل النفع والسود .

(قوله على أن تعلمني) أي ليس لي قصد في اتباعك إلا تعنيك إياي لأشيتا من الأغراض غير التعليم (قوله رشدا) مأخوذ ثان تعلمني : أي تعلمني صوابا من الذي علمك الله (قوله وفي قراءة) أي وعليها فيكون من باب قتل وقياس مصدره بفتح الراء فيكون بضمها اسم مصدر وعلى الأولى فيكون من باب طرب (قوله وسأله ذلك) جواب عما يقال إن موسى من أولى العزم ونبي ورسول جزما وأسمعه الله كلامه وأعطاه التوراة وهو أفضل من الحضرة فكيف يسى إليه ويتعلم منه ، فأجاب بأن الزيادة في العلم مطلوبة على أن علم الحضرة لا يحتاج إليه موسى في شرعه وإنما هي مزية خص بها الحضرة وأمر الله موسى أن يأخذها عن الحضرة ويكتسبها لتكمله جميع الزايات ولا يقتضى أن الحضرة أعلم منه لأن موسى كامل في علمه لا يحتاج شريعته إلى شيء من علم الحضرة وإنما علمه مزية خصه الله بها لا يقتدى به فيها (قوله قال إنك لن تستطيع معي صبرا) أي لما ترى من مخالفة شرعك ظاهرا لأن التعلم قسبان : متعلم ليس عنده شيء من العلوم ولم يمارس الاستدلال وهذا تعليمه سهل ويقبل كل ما ألقى إليه ، ومتعلم يمارس الاستدلال وحصل العلوم غير أنه يريد أن يزداد علما على علمه وهذا تعليمه شاق شديد لأنه إذا رأى شيئا أو سمع كلاما عرضه على ماعنده (٢٠) فان وافقه وإلا ناقش فيه (قوله وكيف صبر) الاستفهام تعجبي (قوله إني على

علم) أي وهو علم الكشف (قوله وأنت على علم) أي وهو علم ظاهر الشريعة (قوله مصدر) أي مفعول مطابق مؤكد لعامله في المعنى لأن لم تحط بمعنى لم تحبّر والخبر بالضم معناه العلم والأوضح أنه تمييز نسبة : أي لم تحط به من جهة العلم (قوله أي وغير عاصي) أشار بذلك إلى أن قوله ولا أعصى معطوف على صابرا ولا بمعنى غير (قوله لأنه لم يكن على ثقة من نفسه) أي فكأنه قال مستجديني

عَلَى أَنْ تُعَلِّمَنِي بِمَا عَلَّمْتَ رَشَدًا) أي صوابا أرشد به وفي قراءة بضم الراء وسكون الشين وسأله ذلك لأن الزيادة في العلم مطلوبة (قَالَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . وَكَيْفَ تَصْبِرُ عَلَى مَا لَمْ تُحِطْ بِهِ خَيْرًا) في الحديث السابق عقب هذه الآية : يا موسى إني على علم من الله علمني لا تعلمه وأنت على علم من الله علمك الله لا أعلمه ، وقوله خيرا مصدر بمعنى لم تحط أي لم تحبّر حقيقة (قَالَ سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ صَابِرًا وَلَا أَعْصِي) أي وغير عاصي (لَكَ أَمْرًا) تأمرني به ، وقيد بالمشيئة لأنه لم يكن على ثقة من نفسه فيما التزم وهذه عادة الأنبياء والأولياء أن لا يثقوا إلى أنفسهم طرفة عين (قَالَ فَإِنْ أَتَيْتَنِي فَلَا تَسْأَلْنِي) وفي قراءة بفتح اللام وتشديد النون (عَنْ شَيْءٍ) تنكره مني في علمك واصبر (حَتَّى أَخْذِثَ لَكَ مِنْهُ ذِكْرًا) أي أذكركه لك بعلته ، قبل موسى شرطه رعاية لأدب المتعلم مع العالم (فَانْطَلَقَا) يمشيان على ساحل البحر (حَتَّى إِذَا رَكِبَا فِي السَّفِينَةِ) التي مرت بهما (خَرَقَهَا) الخضر بأن اقتلع لوحا أو لوحين منها من جهة البحر فأسلما بلغت اللجج (قَالَ) له موسى (أَخْرَقَهَا لِنُفْرَقَ أَهْلًا) وفي قراءة بفتح التحتانية والراء ورفع أهلها (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا إِنْزَارًا) أي عظيما منكرا

روى

صابرا إن وافق شرعي أو أوحى الله إليّ في شأنه فأنا لا أدري ما يفعل الله

ولم يقل الخضر إن شاء الله لأن الله أطامه على أن موسى لا يصبر على أمر يخالف شرعه فحينئذ جزم بأنه لا يستطيع معه صبرا (قوله أن لا يثقوا إلى أنفسهم) ضمنه معنى يميلوا أو يركنوا فعداء بالي (قوله فلا تسألني) أي لا تبادرنني بالسؤال عن حكمته بل اصبر حتى يظهر لك ما فيه من الباطن (قوله بفتح اللام) أي مع الحمز وهما قراءتان سبعيتان وبدون الحمز مع تشديد النون لغیر السبعة (قوله في علمك) أي بحسب ظاهر علمك (قوله واصبر) قدره إشارة إلى أنه الغيا بحق (قوله بعلته) أي حكمته وسببه (قوله فانتقلقا) أي ومعهما يوشع وإنما لم يذكر في الآية لأنه تابع والمقصود ذكر موسى والخضر ، وقبل لم يكن معهما بل رده موسى حين التقى مع الخضر (قوله يمشيان على ساحل البحر) أي يطلبان سفينة فوجدا سفينة فركبها فقال أهلها هؤلاء لصوص لأنهم رأوهم نزلوا بغير زاد ولا متاع ، فقال صاحب السفينة مام بصوص ولكني أرى وجوه الأنبياء ، وعن أبي بن كعب عن النبي صلى الله عليه وسلم مرت بهم سفينة فكلما أهلها أن يحملوهم فعرفوا الخضر بعلامة فحملوهم بغير نول : أي عوض (قوله بفأس) بالهمزة وجمعه فؤوس : أي القدوم (قوله لما بلغت اللجج) اللجج بالضم جمع لجة وهو الماء الغزير (قوله وفي قراءة) أي وهما سبعيتان .

(قوله روى أن الماء لم يدخلها) وقيل إن موسى لما رأى ذلك أخذ ثوبه فجعله في الحرق (قوله بما نسبت) أى بالأمر الذى غفلت عنه لقيام حمية الشرع به ، وقيل أراد بالنسيان الترك (قوله عسرا) مفعول ثان لترهقنى (قوله غلاما) قيل كان اسمه شمعون (قوله لم يبلغ الحنث) يطلق الحنث على العصية وعلى مخالفة العيمين ، والمراد لم يبلغ حد التكليف من باب إطلاق اللزوم وإرادة اللزوم (قوله مع الصبيان) أى وكانوا عشرة (قوله أو اقتلع رأسه بيده) أى بعد أن لوى عنقه (قوله لأن القتل عقب اللقي) أى بخلاف السفينة فإن الحرق لم يكن عقب ركوبها فلما لم يأت بالقاء (قوله وفى قراءة) وهما سبعيتان (قوله بغير نفس) أى من غير استحقاقها للقتل والجار والمجرور متعاققتان (قوله لقد جثت) أى فعلت (قوله نكرا) هو أعظم من الأمر لأن فيه القتل بالفعل بخلاف خرق السفينة فإنه يمكن تداركه ، وقيل بالعكس لأن الأمر (٢١) قتل أنفس متعددة بسبب

الحرق فهو أعظم من قتل الغلام وحده (قوله بسكون الكاف وضما) أى فهما قراءة ثان سبعيتان (قوله لعدم المذرة هنا) لأنه لم يبد هنا عذرا (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءة ثان سبعيتان والنون للوقاية أتى بها لتقى الفعل من الكسر كما أتى بها فى من وعن عاقلة على تسكين النون (قوله حتى إذا أتيا أهل قرية) أى وكان إتيانهم لها بعد الغروب والليلة باردة ممطرة (قوله هى إنطاكية) بتخفيف الياء (قوله طلبا منهم الطعام) روى أنهما طافا فى القرية فاستطعماهم لم يطعموهما واستضافاهم لم يضيفوهما فاطمعهن امرأة من أهل بريرة فدعوا لنساءهم ولعنا

روى أن الماء لم يدخلها (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا . قَالَ لَا تَأْخُذْ بَعِثَ نَسِيتُ) أى غفلت عن التسليم لك وترك الانكار عليك (وَلَا تُرْهِقْنِي) تكلفنى (مِنْ أَمْرِى عُسْرًا) مشقة فى صحبتى إياك أى عاملنى فيها بالعفو واليسر (فَانْطَلَقَا) بعد خروجهما من السفينة بمشيان (حَتَّى إِذَا لَقِيََا غُلَامًا) لم يبلغ الحنث يلعب مع الصبيان أحسنهم وجهاً (فَقَتَلَهُ) الخضر بأن ذبحه بسكين مضطجما أو اقتلع رأسه بيده أو ضرب رأسه بالجدار أقوال ، وأتى هنا بالقاء العاطفة لأن القتل عقب اللقي ، وجواب إذا (قَالَ) له موسى (أَقْتَلْتَ نَفْسًا زَكِيَّةً) أى طاهرة لم تبلغ حد التكليف وفى قراءة زكية بتشديد الياء بلا ألف (بِغَيْرِ نَفْسٍ) أى لم تقتل نفساً (لَقَدْ جِئْتَ شَيْئًا نُكْرًا) بسكون الكاف وضما أى منكراً (قَالَ أَلَمْ أَقُلْ لَكَ إِنَّكَ لَنْ تَسْتَطِيعَ مَعِيَ صَبْرًا) زاد لك على ما قبله لعدم المذرة هنا ولهذا (قَالَ إِنْ سَأَلْتُكَ عَنْ شَيْءٍ بَعْدَ هَذَا) أى بعد هذه المرة (فَلَا تُصَاحِبْنِي) لا تتركى أتبعك (قَدْ بَلَغْتَ مِنْ لَدُنِّي) بالتشديد والتخفيف من قبلى (عَذْرًا) فى مفارقتك لى (فَانْطَلَقَا حَتَّى إِذَا أَتَيَا أَهْلَ قَرْيَةٍ) هى إنطاكية (أَسْتَطْعِمُوا أَهْلَهَا) طلبا منهم الطعام بضيافة (فَأَبَوْا أَنْ يُضَيِّقُوهَا فَوَجَدَا فِيهَا جِدَارًا) ارتفعه مائة ذراع (يُرِيدُ أَنْ يَمُدَّ يَدَهُ) أى يقرب أن يسقط لميلانه (فَأَقَامَهُ) الخضر بيده (قَالَ) له موسى (لَوْ شِئْتُ لَتَخَذْتُ) وفى قراءات لا اتخذت (عَلَيْهِ أَجْرًا) جُمُلاً حيث لم يضيفونا مع حاجتنا إلى الطعام (قَالَ) له الخضر (هَذَا فِرَاقُ) أى وقت فراق (بَيْنِي وَبَيْنِكَ) فيه إضافة بين إلى غير متعدد سوغها تكريره بالمطف بالواو (سَأَنْبِتُكَ) قبل فراقك (بِتَأْوِيلِ مَا لَمْ تَسْتَطِيعْ عَلَيْهِ صَبْرًا .

رجلهم ، وعن فتادة شر القرى من لاضيف الضيف (قوله مائة ذراع) أى وعرضه خمسون وامتداده على وجه الأرض خمسة مائة ذراع (قوله فأقامه الخضر بيده) قيل مسه بها فاستقام ، وقيل أقامه بعمود ، وقيل نقضه وبناء (قوله لو شئت لتخذت عليه أجرا) أى كان ينبغي لك أخذ جمل منهم على فعلك لتقصيرهم فينا مع حاجتنا فقد فعلت المعروف مع غير أهل (قوله وفى قراءة) أى بإظهار الدال وإدغامها فى التاء على كل فتكون القراءات أربعا سبعيات (قوله بتأويل) أى تفسير هذه الآيات التى وقفت لموسى مع الخضر ، وحكمة تخصيص الخضر لموسى تلك الثلاثة ماورد «أنه لما أنكر خرق السفينة نودى ياموسى أن كان تدبيرك هذاوات فى التابوت مطروحا فى اليم ، فلما أنكر أمر الغلام قيل له أين إنكارك هذا من وكرك القبطى وقضائك عليه ، فلما أنكر إقامة الجدار نودى أين هذا من رفعك حجر البئر ليقبى شعيب دون أجرك .

(قوله أما السفينة) شروع في وفاة ما وعد الخضر به موسى على سبيل الألف والنشر للرب. والسفينة تجمع على سفين وسفان ويجمع السفين على سفن بضمين مأخوذة من السفن كأنها تسفن الماء : أى تفسره وصاحبها سفان (قوله لئسا كين عشرة) أى وكانوا أخوة ورثوها عن أبيهم خمسة زمني وخمسة يعملون في البحر ، وقيل بكل واحد زمانة ليست بالآخر ، فأما العمال منهم فأحدهم مجذوم ، والثاني أهور ، والثالث أعرج ، والرابع أدر ، والخامس عموم لا تنقطع عنه الحصى الدهر كله وهو أصغرهم والخمسة الذين لا يطيقون العمل أهمى وأصم وأخرس ومقعّد ومجنون وكان البحرا الذي يعملون فيه ما بين ثرس إلى الروم (قوله فأردت أن أعييها) أى فإذا رآها الملك معيبة تركها فإذا جاوزوه أصلحوها وانتفعوا بها (قوله وكان وراءهم) الجملة حالية على إضمار قد (قوله إذا رجعوا) من المعلوم أنه إذا كان وراءهم وقت رجوعهم فبالضرورة يكون في حال توجهم أمامهم فقد اتحد هذا القول مع ما بعده ، وقد يجاب بأن قوله : وكان وراءهم : أى في حال توجهم لسكتهم في حال رجوعهم يبرون عليه وحينئذ فلا يكون أمامهم الآن ، وقوله أو أمامهم الآن : أى ووراء بمعنى أمام. قال تعالى - من وراءه جهنم - (قوله ملك كافر) أى وكان ملك غسان واسمه جيسور (قوله صالحة) أى صحيحة (قوله غشينا) أى أن الله أعلم الخضر بوقوع ذلك من الغلام إن لم يقتله (قوله أن برهتهما) أى يكافهما ويوقعهما في الكفر (قوله طبع كافرا) أى خلق مجبولا على الكفر وحينئذ فيكون مستثنى من حديث « كل مولود يولد على فطرة للإسلام » (قوله لحيتهما له) علة لايقاعه لهما في الكفر (قوله بالتشديد والتخفيف) قراءتان سبعيتان (قوله خيرا) (٢٢) منه اسم التفضيل ليس على بابه إذ لم يكن في الغلام خبر أو على بابه باعتبار

زعمهما (قوله زكاة) تمييز وكذا قوله رحما (قوله جارية) أى بنتا (قوله فولدت نبيا) وقيل اثني عشر نبيا ، وقيل ولدت سبعين نبيا وما فعله الخضر من قتل الغلام إنما هو جار على شرعه لا على شرعنا فإنه لا يجوز قتل الصبيان الكفار إلا أن يقانلوا بالسلاح

أما السفينة فكانت لئسا كين عشرة يعملون في البحر بها مؤاجرة لها طلبا للكسب (فأردت أن أعييها وكان وراءهم) إذا رجعوا ، أو أمامهم الآن (ملك كافر) يأخذ كل سفينة صالحة (غصبا) نصبه على المصدر المبين لنوع الأخذ (وأما الغلام فكان أبواه مؤمنين فغشينا أن يرهنهما ظفينا ناكرا كفرا) فإنه كما في حديث مسلم : طبع كافرا ولوعاش لأرهنهما ذلك لحيتهما له يتبعانه في ذلك (فأردنا أن يبدل لهما) بالتشديد والتخفيف (رهنهما خيرا منه زكاة) أى صلاحا وتقى (وأقرب) منه (رهنما) بسكوى الحاء وضما رحمة وهي البر بالديه فأبدلها تعالى جارية تزوجت نبيا فولدت نبيا فهدى الله تعالى به أمة (وأما الجدار فكان لغلامين يتيمين في المدينة وكان تحته كنز) مال مدفون من ذهب وفضة (لهما وكان أبوهما صالحا) لحفظا بصلاحه

في

في الحرب ولو اطلع شخص على ما اطاع عليه الخضر فلا يجوز له قتل الغلامان ،

وقد أرسل بعض الخوارج لابن عباس يسأله كيف قتل الخضر الغلام الصغير وقد نهى النبي صلى الله عليه وسلم عن قتل أولاد الكفار فضلا عن أولاد المؤمنين ، فكتب إليه على سبيل المجارة والتسليم لدعواه إن علمت من حال الولدان ما علمه عالم موسى فأك أن تقتلهم ، وروى أن موسى لما قال للخضر أقتل نفسا زكية الآية غضب الخضر واقتلع كتف الصبي الأيسر وقشر اللحم عنه وإذافيه مكتوب كافر لا يؤمن بالله أبدا (قوله فكان للغلامين) اسم أحدهما أصرم والآخر صريم (قوله في المدينة) هي المعبر عنها أولا بالقرية تحقيرا لما لكون أهلها لم يضيفوها وعبر عنها بالمدينة تعظيما لما من حيث اشتغالها على هذين الغلامين وعلى أيهما (قوله مال مدفون من ذهب وفضة) هذا أحد أقوال في تفسير الكنز ، وقيل كان ههما في صحف مدفونة ، وقيل كان لوحا من ذهب مكتوب في أحد جانبيه : بسم الله الرحمن الرحيم عجب لمن يؤمن بالقدر كيف يحزن ، عجب لمن يؤمن بالرزق كيف يتعب ، عجب لمن يؤمن بالموت كيف يفرح ، عجب لمن يؤمن بالحساب كيف يفتل ، عجب لمن يعرف الدنيا وتقلبها بأهلها كيف يطمئن إليها إلا الله إلا الله محمد رسول الله ، وفي الجانب الآخر مكتوب : أنا الله لا إله إلا أنا وحدي لا شريك لي خلقت الخير والشر فطوبى لمن خلقته للخير وأجرته على يديه ، والويل لمن خلقته للشر وأجرته على يديه (قوله وكان أبوهما صالحا) قيل إنه أبوهما مباشرة ، وقيل هو الأب السابع ، وقيل العاشر ، وكان يسمى كاشعا واسم أمهما دنيا وفيه دليل على أن تقوى الأصول تنفع الفروع .

(قوله أي إنسان رشدها) أي حتى يبلنا أن يعلم إنسان أشدها : أي قوتها وكلمها (قوله ويستخرجها كنزها) أي من تحت الجدار ولولا فعل ذلك لصاع (قوله بل بأمر إلهام من الله) لم يقل برحى لعدم الجزم بقبولته (قوله ذلك) أي ما ذكر من الأجوبة الثلاثة (قوله ونوعت العبارة) أي أن هذا التناير تنويع في العبارة و بعضهم أبدى حكمة في اختلاف التعبير وهي أن الأولى لما كان ظاهرها إفساد اعضا أضافه لنفسه حيث قال فأردت أدمع الله وإن كان الكل منه ، والثاني لما كان فيه نوع إصلاح ونوع إفساد عبر فيه بقوله فأردنا ، والثالث لما كان إصلاحا عضا أضافه لله بقوله : فأرد ربك ، قيل إن الخضر لما أراد أن يفارق موسى قال له موسى أوصني . قال كن بساما ولا تكن ضحاكا ودع اللجاجة ولا تمش في غير حاجة ولا تعب على الخاطئين خطاياهم وابك على خطيئتك يا ابن عمران (قوله ويستألفونك) أي الشركون بأمر اليهود فاليهود سبب في السؤال وإن لم تقع منهم المباشرة له فصح قول المفسر اليهود (قوله عن ذي القرنين) لقب بذلك لما قيل إن له قرنين صغيرين في رأسه ، وقيل لأنه أعطى علم الغايب والباطن ، وقيل لأنه ملك فارس والروم (قوله اسمه الاسكندر) أي وهو الذي بنى الاسكندرية وسماها باسمه (قوله ولم يكن نبيا) أي على الصحيح وإنما كان وليا فقط وما يأتي مما يؤم نبوته فهو قول ومحمول على الإلهام واللقاء في القلب وذلك غير مخصوص بالأنبياء وإسكندر هذا من أولاد سام بن نوح وكان ابن عجوز ليس لها غيره وكان أسود اللون وكان على شريعة إبراهيم الخليل فانه أسلم على يديه ودعاه وأوصاه بوصايا وكان يطوف معه وكان الخضر وزيره وابن خالته وكان يسير معه على مقدمة جيشه ، وهذا بخلاف ذي القرنين الأصغر فانه من ولد العيص بن اسحق وكان كافرا عاش ألفا وستائة سنة وكان قبل المسيح بثلاثمائة سنة ، وفي القرطبي قال وهب بن منبه : كان ذو القرنين رجلا من الروم ابن عجوز من عجائزهم

في أنفسهما وما لهما (فَأَرَادَ رَبُّكَ أَنْ يَبْلُغَا أَشُدَّهُمَا) أي إنسان رشدها (وَيَسْتَخْرِجَا كَنْزَهُمَا رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ) مفعول له عامله أراد (وَمَا فَعَلْتُهُ) أي ما ذكر من خرق السفينة وقتل الغلام وإقامة الجدار (عَنْ أَمْرِي) أي اختياري بل بأمر إلهام من الله (ذَلِكَ تَأْوِيلُ مَا لَمْ تَسْطِعْ عَلَيْهِ صَبْرًا) يقال استطاع واستطاع بمعنى أطاق ففي هذا وما قبله جمع بين الفتين ونوعت العبارة في فأردت فأردنا فأراد ربك (وَيَسْتَأْذِنُكَ) أي اليهود (عَنْ ذِي الْقَرْنَيْنِ) اسمه الاسكندر ولم يكن نبيا (قُلْ سَأَتْلُوهُ) سأقص (عَلَيْكُمْ مِنْهُ) من حاله (ذِكْرًا) خبرا

ليس لها ولد غيره وكان اسمه اسكندر فلما بلغ كان عبدا صالحا . قال الله تعالى أي على لسان نبي كان موجودا أو بالإلهام بإذا القرنين إني باعثك : أي سلطانا إلى أم الأرض وهم أم مختلفة ألسنتهم وهم

جميع الأرض وهم أصناف أمتان بينهما طول الأرض كلها وأمتان بينهما عرض الأرض كلها وأم في وسط الأرض منهم الجن والانس وبأجوج ومأجوج ، فأما اللتان بينهما عرض الأرض فأمة في قطر الأرض تحت الجنوب ويقال لها هاويل ، وأمة في قطر الأرض الأيسر ويقال لها تاويل ، وأما اللتان بينهما طول الأرض فأمة عند مطلع الشمس يقال لها منسك ، وأمة عند مغرب الشمس يقال لها ناسك ، فقال ذو القرنين إلهي لقد تدبنتي لأمر عظيم لا يقدر قدره إلا أنت فأخبرني عن هذه الأمم بأي قوة أكاثرم وبأي صبر أقاسيهم وبأي لسان أناطتهم ، وكيف لي بأن أفتق لغتهم وليس لي قوة ، فقال الله تعالى سأظفرك بما حماتك أشرح لك صدرا فسمع كل شيء ، وأثبت لك فهما فتفقه كل شيء ، وألبسك الهيبة فلا يروعك شيء ، وأسخر لك النور والظلمة فيكونان جندا من جنودك يهديك النور من أمامك وتحفظك الظلمة من ورائك ، فلما قيل له ذلك سار بمن اتبعه فانطلق إلى الأمة التي عند مغرب الشمس لأنها كانت أقرب الأمم منه وهي ناسك ، فوجد جنودا لا يحصيها إلا الله وقوة وبأسا لا يطيقه إلا الله تعالى والسنة مختلفة وأهواء مشتتة فكاثرم بالظلمة فضرب حولهم ثلاثة عساكر من جنود الظلمة قدر ما أحاط بهم من كل مكان حتى جمعهم في مكان واحد ، ثم دخل عليهم بالنور فدعاهم إلى الله تعالى وإلى عبادته فمنهم من آمن به ومنهم من صد عنه ، فأدخل على الذين تولوا الظلمة فغشيتهم من كل مكان فدخلت في أفواههم وأتوفهم وأعينهم بيوتهم وغشيتهم من كل مكان فتعبروا وهاجوا وأشفقوا أن يهلكوا فاجأوا إلى الله بصوت واحد إنا آثمنا ، فكشفنا عنهم وأخذهم عنوة ودخلوا في دعوته ، فجدد من أهل الغرب أمما عظيمة فجعلهم جندا واحدا ثم انطلق بهم يقودهم والظلمة تسوقهم وتحرسه من خلفه والنور أمامه يقوده ويدله وهو يسير في ناحية الأرض المعنى يريد هاويل ، وسخر الله له يده وقلبه وعقله ونظره فلا يخطئ . إذا عمل عملا ، فإذا أتوا غاضة أو بحرا في سقفا من ألواح صفار أمثال النعال فيضها في ساعة ثم يحمل عليها جميع من

خه من تلك الأمم فاذا قطع البحار والأنهار قطعها ودفع إلى كل رجل لوحا فلا يكثر بحمله فأتتهى إلى هاويل ففعل بهم كفضله ناسكاً فآمنوا فأخذ جيوشاً منهم فانطلق إلى ناحية الأرض الأخرى حتى انتهى إلى منسك عند مطلع الشمس ، ففعل فيها وجند منها جنوداً كفضله في الأول ، ثم كرمقلاً حتى أخذ بناحية الأرض اليسرى يريد تاويل ، وهى الأرض التى تقابل هاويل بينهما عرض الأرض ففعل فيها كفضله فيما قبلها ، ثم عطف على الأمم التى فى وسط الأرض من الانس والجن وأجوج ومأجوج ، فلما كان فى بعض الطريق مما إلى منقطع الترك نحو المشرق قالت أمة مألحة من الانس : إذا القرنين إن بين هذين الجبلين خلقاً من خلق الله كثيرين ليس فيهم مشابهة للانس وهم أشباه البهائم يأكلون العشب ويفترسون الدواب والوحش كما تفرسها السباع ويأكلون دواب الأرض كلها من الحيات والعقارب والوزغ وكل ذى روح مما خلق الله فى الأرض وليس لله خلق نجى نمام فى العام الواحد ، فاذا طالت المدة سيملئون الأرض ويخرجون أهلها منها - فهل نجعل لك خرجاً على أن نجعل بيننا وبينهم سداً - إلى آخر ما يأتى فى الآية ، وبالجملة فقد ملكه الله ومكنه ودانت له الملوك ، فقد روى « أن الدين ملكوا الدنيا كلها أربعة : مؤمنان وكافران ، فالؤمنان سليمان بن داود والأسكندر ، والكافران عمرو بن لحي بن مسعود وسيملكهما من هذه الأمة خامس وهو الهدى » (٢٤) (قوله إنا مكناله فى الأرض) أى بالتصرف فيها حيث شاء (قوله طريقاً)

أى كالكالات السبر وكثرة الجنود (قوله إلى مراده) أى وهو جميع الأرض (قوله فأتبع سبياً) بالتشديد والتخفيف قراءتان سبعيتان (قوله موضع غروبها) أى فالمراد أنه بلغ آخر العمارة من الأرض ووصل إلى ساحل البحر المحيط فلما لم يبق قدامه شط بل مياه لا آخر لها رأى الشمس كأنها تغرب فيه وسماه الله عيناً لأنه بالنسبة إلى ما هو أعظم منه فى علم الله كالعين

(إِنَّا مَكَّنَّا لَهُ فِي الْأَرْضِ) بتسهيل السير فيها (وَأَتَيْنَاهُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه (سَبِيًّا) طريقاً يوصل إلى مراده (فَأَتْبَعَ سَبِيًّا) سلك طريقاً نحو المغرب (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَقْرِبَ الشَّمْسِ) موضع غروبها (وَجَدَهَا تَقْرُبُ فِي عَيْنٍ حَمِئَةٍ) ذات حمأة وهى الطين الأسود وغروبها فى العين فى رأى العين وإلا فهى أعظم من الدنيا (وَوَجَدَ عِنْدَهَا) أى العين (قَوْمًا) كافرين (قُلْنَا يَاذَا الْقَرْنَيْنِ) بالهام (إِنَّمَا أَنْ تَعْدَبَ) القوم بالقتل (وَأِنَّمَا أَنْ تَتَّخِذَ فِيهِمْ حُسْنًا) بالأسر (قَالَ أَمَّا مَنْ ظَلَمَ) بالشرك (فَسَوْفَ نُعَذِّبُهُ) نقتله (ثُمَّ يُرَدُّ إِلَى رَبِّهِ فَيُعَذِّبُهُ عَذَابًا نَكْرًا) يسكون الكاف وضماً : شديداً فى النار (وَأَمَّا مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَلَهُ جَزَاءُ الْحُسْنَى) أى الجنة والإضافة للبيان ، وفى قراءة بنصب جزاء وتنوينه ، قال القراء ونصبه على التفسير أى لجهة النسبة (وَسَنَقُولُ لَهُ مِنْ أَمْرٍ نَأْيُسَرًا) أى نأمره بما يسهل عليه (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبِيًّا) نحو المشرق (حَتَّى إِذَا بَلَغَ مَطْلِعَ الشَّمْسِ) موضع طلوعها (وَوَجَدَهَا تَطْلُعُ عَلَى قَوْمٍ) ،

وإن كان عظيماً فى نفسه (قوله حمئة) بالهمزة بدون ألف وبألف بعدها

م
يأه قراءتان سبعيتان ، فأما الأولى فهى من الحمأة وهى الطين الأسود ، وأما الثانية فهى اسم فاعل من حمى يحمى ، والمعنى فى عين حارة ولا تنافى بين القراءتين لأن العين جامعة بين الوصفين الحرارة وكون أرضها من طين (قوله وغروبها فى العين الخ) جواب عما يقال إن الشمس فى السماء الرابعة وهى قدر كرة الأرض مائة وستين مرة فكيف نسميها عين فى الأرض فرب فيها ، فأجل بأن هذا الوجدان باعتبار ما رأى للاحقيقة كما يرى راكب البحر الشمس طالعة وغاربة فيه (قوله كافرين) أى وكانوا فى مدينة لما اتنا عشر ألف باب كانت على ساحل البحر المحيط وقوتهم ما يلفظه البحر من السمك وكان لباسهم جلود الوحوش (قوله قلنا) أى بالهام (قوله بالأسر) أى وسعى إحساناً بالنسبة للقتل (قوله أما من ظلم) أى استمر على ظلمه (قوله ثم يرد) أى فى الآخرة (قوله يسكون الكاف وضماً) أى فهما سبعيتان (قوله أى لجهة النسبة) أى نسبة الخبر المقدم وهو الجار والمجرور إلى البتداء المؤخر وهو الحسنى والتقدير فالحسنى كائنه من جهة الجزاء (قوله وسنقول له) أى لمن آمن (قوله موضع طلوعها) أى الوضع الذى تطلع الشمس عليه أولاً ، قيل بلغه فى اثنتى عشرة سنة ، وقيل أقل لأنه سخره السحاب وطويت له الأرض .

(قوله لم الزنج) بفتح الزاي وكسرهما (قوله سترأ) هو بالفتح تأسدور وبالكسر الاسم وخوف الآفة بالكسر (قوله ولا سقف) أى ولا أشجار لأن أرضهم رخوة لا تحتمل بناء لعدم الجبال فيها فتמיד بأهلها ولا تستقر (قوله ويظهرون عند ارتفاعها) أى مغيها يسعون في تحصيل مهمات معاشهم فالحمل بالصد من أحوال الخلق فبادمت الشمس طالعة فهم في السرايب وإذا غربت خرجوا لتكسباتهم (قوله أى الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لمحذوف (قوله وقد أحطنا الخ) الجملة مستأنفة من كلام الله وقائدة الأخبار بذلك الاعتناء بشأن ذى القرنين وأن الله معه بالنصر والعون أينما حل (قوله ثم أتبع) تقدم أنه يقرأ بالتشديد والتخفيف (قوله سببا) أى طريقا آخر توصله لجهة الشمال لأن يأجوج ومأجوج وإن كانوا في وسط الأرض إلا أنهم لجهة الشمال لأن أرضهم واسعة جدا تنتهى إلى البحر المحيط . قال بعضهم : مسافة الأرض خمسائة عام ثلاثمائة بحار ومائة وتسعون مسكن يأجوج ومأجوج تبقى عشرة للحبشة منها سبعة وثلاثة لجملة الخلق غيرهم (قوله هنا وبعد) أى في هذه الآفة ، وفي قوله الآتى : على أن تجعل بيننا وبينهم سدا ، وفي يس : وجعلنا من بين أيديهم سدا ومن خلفهم سدا ، فهذه المواضع تقرأ بالفتح والضم سبعيتان (قوله جبلان) أى عاليتان جدا أملسان (قوله بمنقطع) بفتح الطاء أى آخر بلاد الترك (قوله سد الاسكندر ما بينهما) أى الفتحة التى بين الجبلين (٢٥) وقدرها مائة فرسخ ومسيرة الفرسخ ساعة ونصف فتكون مسيرة مائة وخسين ساعة مسيرة اثني عشر يوما ونصف فتبلغ مسافته نحو العقبة من مصر (قوله أى أمامهما) أى بقربهما (قوله قوما) أى وهم الترك والروم (قوله لا يكادون يفقهون قولا) أى لغرابة لغتهم وبطء فهمهم (قوله وفى القراءة) أى وهما سبعيتان والمعنى لا يفهمون غيرهم أشدة عجمتهم فكلامهم

م الزنج (لَمْ يَجْعَلْ لَهُمْ مِنْ دُونِهَا) أى الشمس (سترأ) من لباس ولا سقف ؛ لأن أرضهم لا تحتمل بناء ولهم مروب فيقيمون فيها عند طلوع الشمس ويظهرون عند ارتفاعها (كَذَلِكَ) أى الأمر كما قلنا (وَقَدْ أَحْطَيْنَا بِمَا لَدَيْهِ) أى عند ذى القرنين من الآلات والجند وغيرها (خُبْرًا) علما (ثُمَّ أَتْبَعَ سَبَبًا) حَتَّى إِذَا بَلَغَ بَيْنَ الشَّيْئَيْنِ (بفتح السين وضمها هنا وبعد ، ها جبلان بمنقطع بلاد الترك سد الاسكندر ما بينهما كما سيأتى (وَجَدَ مِنْ دُونِهِمَا) أى أمامهما (قَوْمًا لَا يَسْكَدُونَ يَفْقَهُونَ قَوْلًا) أى لا يفهمونه إلا بعد بطء وفى قراءة بضم الياء وكسر القاف (قَالُوا يَا ذَا الْقَرْنَيْنِ إِنَّ يَأْجُوجَ وَمَأْجُوجَ) بالهمز وتركها ها اسمان أعجميان لقبيلتين فلم ينصرفا (مُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالنهب والبنى عند خروجهم إلينا (فَهَلْ يَجْعَلُ لَكَ خَرْجًا) جُمْلًا من المال وفى قراءة خراجا (هَلْ أَتَىٰ يَجْعَلُ بَيْنَهُمَا وَيَفْتَنُ سَدًا) حاجزًا فلا يصلون إلينا (قَالَ مَا مَكْنُونٍ) ،

مفلق (قوله قالوا) أى قال مترجمهم لأنهم من أولاد يافث بن نوح وذو القرنين من أولاد سام فلا يفهم لغتهم وإنما كان لهم مترجم يفهم كلا من اللغتين ، وقيل خاطبوه بأنفسهم وفهم لغتهم كرامة له لما تقدم أن الله جعل له فهمًا يفقه به كل شئ وهو الأقرب . قال أهل التواريخ : أولاد نوح ثلاثة سام وحلم ويافث ، فسام أبو العجم والعرب والروم ، وحلم أبو الحبشة والفرنج والنوبة ، ويافث أبو الترك والبربر وصقالية ويأجوج ومأجوج . قال ابن عباس : هم عشرة أجزاء ولد آدم كلهم جزء (قوله إن يأجوج ومأجوج) روى أن كلا من الجبلين اشتمل على أربعة آلاف أمة لا يموت الواحد منهم حتى ينظر ألف ذكر من صلبه كلهم قد حمل السلاح ، وهم : أصناف صنّف منهم طوله عشرون ومائة ذراع فى السماء وصنّف منهم طوله وعرضه سواء عشرون ومائة ذراع وصنّف منهم يفتش أحدهم إحدى أذنيه ويلتفت بالأخرى لا يمرّون بغيل ولا وحش ولا خنزير إلا أكلوه ، ومن مات منهم أكلوه والجميع كفار دعاهم النبي صلى الله عليه وسلم إلى الإيمان ليلة الإسراء فلم يجيبوا (قوله بالهمز وتركه) أى فهما قراءتا سبعيتان (قوله أعجميان) أى لا اشتقاق لهما ومنما من الصرف العلمية والعجمة (قوله بالنهب والبنى) أى فكانوا يخرجون أيام الربيع إلى أرضهم فلا يدعون فيها شيئًا أخضر إلا أكلوه ولا يابسا إلا احتلوه وأدخلوه أرضهم (قوله عند خروجهم) أى من هذه الفتحة (قوله وفى قراءة خراجا) أى وهى سبعة أيضا [٤ - صاوى - ثالث]

(قوله وفي قراءة بنونين) أى وهى سبعة أيضا (قوله وغيره) أى كمالك (قوله وأجل لكم السد نبرعا) روى أنه قال لهم أهدوا إلى الصخر والحديد والنحاس حتى أعلم علمهم فأنطلق حتى توسط بلادهم فوجد طول الواحد منهم مثل نصف الرجل الربوع منا ، لهم مغالب وأضراس كالسباع ، ولهم شعر يوارى أجسادهم ويتقون به من الحر والبرد ، ولكل واحد منهم أذنان هضيمتان يفرش إحداها ويلتحف بالأخرى يصيف فى واحدة ويشقى فى الأخرى يتسافدون تسافد البهائم فلما عاين ذو القرنين ذلك اهتم بالسد فبنى الجدار على الماء بالصخر والحديد والنحاس المذاب ، فلما وصل إلى ظاهر الأرض بنى بقطع الحديد وأفرغ عليه النحاس المذاب ولا يشكل هذا على ما تقدم من أنهم أصناف لأنه رأى صنفا من الأصناف (قوله آتوني) بفتح الهمزة وكسرها مع اللد فيهما قراءة ان سبعيتان فزبر على الفتح منصوب على الفعولية وعلى الكسر منصوب بنزع الخافض (قوله زبر الحديد) جمع زبرة (٢٦) كغرف وغرفة (قوله بضم الحرفين الخ) أى فالقراءات السبعة ثلاث

(قوله بالبناء) متعلق بساوى (قوله ووضع المنافخ) جمع منفخ كمنبر ويقال منفاخ كمنفاخ ويجمع على منافيخ (قوله فنفخوا) أى وهذه كرامة لدى القرنين حيث منع الله حرارة النار عن العملة الذين ينفخون ويفرغون النحاس مع أنه أصعب من النار مع قربهم من ذلك (قوله وحذف من الأول) أى هو وضمره لأنة فضلة والأصل آتوني قطرا أفرغ عليه قطرا (قوله بين زبره) أى مكان الحطب والفحم الذى كان بينهما فلما أسكنه النار بنى ما بينهما

وفى قراءة بنونين من غير إدغام (فيه ربي) من المال وغيره (خبر) من خرّجكم الذى يحملونه لى فلا حاجة بى إليه وأجل لكم السد نبرعا (فأعينوني بقوة) لما أطلبه منكم (أجعل بينكم وبينهم ردما) حاجزا حصينا (آتوني زبر الحديد) قطعه على قدر المجارة التى يبنى بها فبنى بها وجعل بينها الحطب والفحم (حتى إذا ساوى بين الصدفين) بضم الحرفين وفتحهما وضم الأول وسكون الثانى أى جانبي الجبلين بالبناء ووضع المنافخ والنار حول ذلك (قال أنفخوا) فنفخوا (حتى إذا جعله) أى الحديد (نارا) أى كالنار (قال آتوني أفرغ عليّ قطرا) هو النحاس المذاب تنازع فيه الفعلان وحذف من الأول لإعمال الثانى فأفرغ النحاس المذاب على الحديد الحمى فدخل بين زره فصار شمتا واحدا (فما استطاعوا) أى بأجوج ومأجوج (أن يظهره) يملوا ظهره لارتفاعه وملاسته (وما استطاعوا له نقبا) خرقا لصلابته وسمكه (قال) ذو القرنين (هذا) أى السد أى الإقدار عليه (رحمة من ربى) نعمة لأنه مانع من خروجهم (فإذا جاء وعد ربى) بخروجهم القريب من البعث (جعله دكاء) مذكوكا مبسوطا (وكان وعد ربى) بخروجهم وغيره (حقا) كائنا ، قال تعالى (وتركنا بعضهم يومئذ) يوم خروجهم (يموج فى بعض) يختلط به ،

لسكرتهم

خاليا فأفرغ فيه النحاس المذاب فامتزج بالحديد (قوله لارتفاعه) أى فكان

ارتفاعه مائى ذراع (قوله وملاسته) أى فكان لا يثبت عليه قدم ولا غيره (قوله وما استطاعوا له نقبا) أى خرقا بالفعل كما يشهد له ما روى الشيخان عن أبى هريرة عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنهم يحضرونه كل يوم حتى إذا كادوا يخرقونه قال الذى عليهم أرجعوا فستحرقونه عدا قال فيعيده الله كآشد مما كان حتى إذا بلغ مدتهم وأراد الله أن يبعثهم إلى الناس قال الذى عليهم أرجعوا فستحرقونه غدا إن شاء الله قال فيرجعون فيجدونه على هيئته حين تركوه فيخرقونه فيخرجون منه إلى الناس فيستسقون المياه وتنفر الناس منهم (قوله فإذا جاء وعد ربى) أى وقت وعده (قوله بخروجهم) أى فيخرجون على الناس فينفرون منهم فيرمون بسهام إلى السماء فترجع غضبة بالدماء فيقولون قهرنا من فى الأرض ومن فى السماء فيزدادون قوة وقسوة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن كلام ذى القرنين تم عند قوله حقا وهذا من كلام الله (قوله وتركنا بعضهم يومئذ يموج فى بعض) أى لشدة الازدحام عند خروجهم وذلك عقب موت الدجال فينحاز عيسى بالمؤمنين إلى جبل الطور

فوارا منهم ثم يسلم الله عليهم دودا في آتوهم فيموتون به فتنتن الأرض منهم فتاتى طيور ترميمهم في البحر بدعاء عيسى عليه السلام ولا يدخلون مكة ولا المدينة ولا بيت المقدس ولا يصلون إلى من تحصن بورد أو ذكر (قوله لكثرتهم) أى وضيق الأرض فان أرضنا بالنسبة لأرضهم ضيقة جدا (قوله ونفخ في الصور) أى النفخة الثانية بدليل التعقيب في قوله فجهمناهم وأما النفخة الأولى فعندما تخرج روح كل ذى روح واختلف في القدر الذى بين النفختين والصحيح أنه أرمعون عاما (قوله أى القرن) وهو بيد إسماعيل عليه السلام (قوله قرينا) أى أظهرنا بحيث يكونون مشاهدين لها (قوله يومئذ) إن كان المراد به يوم اللوقت فالعرض على حقيقته بمعنى التقريب والاطهار وإن كان المراد بعد انقضاؤه ، فالمراد بالعرض امتزاجها بهم فيكون كناية عن دخولهم فيها وتعذيبهم بها وقائدة التأكيد على الأول الإشارة إلى أنه لم يكن بينهم وبينها حجاب (قوله أعينهم) أى بصرهم (قوله لا يهتدون به) أى لا يتعظون ولا يؤثر في قلوبهم (قوله لا يستطيعون ممعا) أى سماع قبول وفهم لوجود الحجاب المانع لهم من ذلك (قوله أخشب الذين كفروا) الهمة داخلية على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أكفروا خسبوا الخ والاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله أى ملائكتى) (٢٧) وعيسى وعزيرا) أشار بذلك إلى

تنوعهم في الكفر
فالشركون يعبدون
الملائكة والنصارى
يعبدون عيسى واليهود
يعبدون العزير (قوله
وعزيرا) هذا لقبه واسمه
قطفير أو إطفير (قوله
من دوني) أى غيري
وهو صادق بكونهم
يشركونهم معه في العبادة
أو خصومهم بالعبادة دونه
(قوله مفعول ثان ليتخذوا)
أى والأول قوله عبادى
لمفعولا اتخذ مذكوران
(قوله والمفعول الثانى
لحسب محذوف) أى
والأول قوله أن يتخذوا

لكثرتهم (وَنُفِخَ فِي الصُّورِ) أى القرن للبعث (فَجَمَعْنَاَهُمْ) أى الخلائق في مكان واحد يوم القيامة (جَمَعُوا وَعَرَضْنَا) قربنا (جَهَنَّمَ يَوْمَئِذٍ لِلْكَافِرِينَ عَرَضًا . الَّذِينَ كَانَتْ أَعْيُنُهُمْ) بدل من الكافرين (فِي غِطَاءٍ عَنْ ذِكْرِي) أى القرآن فهم عمى لا يهتدون به (وَكَانُوا لَا يَسْطِطِعُونَ سَمْعًا) أى لا يقدرون أن يسموا من النبي ما يتلو عليهم بفضله فلا يؤمنون به (أَفَحَسِبَ الَّذِينَ كَفَرُوا أَنْ يَتَّخِذُوا عِبَادِي) أى ملائكتى وعيسى وعزيرا (مِنْ دُونِي أَوْلِيَاءَ) أربابا مفعول ثان ليتخذوا والمفعول الثانى لحسب محذوف ، المعنى اأظنوا أن الاتحاد المذكور لا يفضىنى ولا أعاقبهم عليه ؟ كلا (إِنَّا أَعْتَدْنَا جَهَنَّمَ لِلْكَافِرِينَ) هؤلاء وغيرهم (نُزُلًا) أى هى معدة لهم كالنزل المد للضيف (قُلْ هَلْ نُنَبِّئُكُمْ بِالْأَخْسَرِينَ أَعْمَالًا) تمييز طابق الميز ويتنهم بقوله (الَّذِينَ صَلَّ سَعْيُهُمْ فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) بطل عملهم (وَهُمْ يَحْسَبُونَ) يظنون (أَنَّهُمْ يُحْسِنُونَ صُنْعًا) عملا يجاوزون عليه (أُولَئِكَ الَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ رَبِّهِمْ) بدلائل توحيده من القرآن وغيره (وَلِقَائِهِ) أى وبالبعث والحساب والثواب والعقاب ،

الخ والتقدير اأظن الكافرون اتخذهم عبادى من دوني أربابا لا يفضىنى ، بل هو مضطرب لى وأعاقبهم عليه ، وب تفسير الأولياء بالأرباب اندفعت شبهة من يزعم أن محبة الأولياء وزيارتهم إشراك واستدلوا بمثل هذه الآية فيقال إن كان اعتقاد الأولياء على سبيل أنهم يضرون الخلق وينفعونهم بذواتهم فسلم أنه إشراك ، وأما إن كان على سبيل أنهم عباد اختاروا خدمة ربهم وعبادته فاختارهم وأحبهم فهذا الاعتقاد منج من المهلاك ومورث للفوز بصحبته ومرافقتهم في دار السلام ، لما ورد والمرء مع من أحب (قوله كلا) هى كلمة ردة وزجر (قوله إنا أعتدنا) أى هيأنا وأحضرننا (قوله هؤلاء) أى الذين عبدوا الملائكة وعيسى وعزيرا (قوله وغيرهم) أى من بقية الكفار (قوله كالنزل المد للضيف) أى فهو استهزاء وصغرية بهم حيث مى محل عذابهم نزلا والنزل اسم لمكان الضيف أو لما بهيا له (قوله بالأخسرين) جمع أخسر إما بمعنى أشد الناس خسرانا أو بمعنى خاسر (قوله طابق الميز) جواب عما يقال كيف جمع التميز مع أن أصله الافراد ولم جمع الصدر مع أنه لا يثنى ولا يجمع فأجاب بأنه جمع لمساكلة مميزة (قوله الذين ضل سعيهم) خبر مبتدأ محذوف أى هم الذين الخ (قوله بطل عملهم) أى لأن شرط الثواب الاسلام والكفر لا تنفع معه طاعة (قوله وهم يحسبون) الجملة حالية من فاعل ضل (قوله أى وبالبعث) أى فالمراد بقاء الله لقاء بعثه وحسابه الخ

(قوله غبظت) أي فبسبب ذلك (قوله أي لا تجعل لهم قدرا) أي منزلة وإنما قال ذلك لأن الكفار على التحقيق توزن أعمالهم وبعضهم أجاب بأن الآية فيها حذف النعت والتقدير وزنا كافما (قوله ذلك أي الأمر) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمخدوف (قوله الذي ذكرت) تفسير لاسم الإشارة (حوله وإبتدا) أشار بذلك إلى أن جملة جزاؤهم جهنم مستأنفة وهو صادق بأن يكون جزاؤهم مبتدأ وجهن خبرا وبالعكس ويصح أن يكون ذلك مبتدأ أول وجزاؤهم مبتدأ ثان وجهن خبر الثاني وهو وخبره خبر الأول (قوله بما كفروا) الباء سببية ومصدرية أي بسبب كفرهم واتخاذهم (قوله في علم الله) أي قبل أن يخلقوا وهو جواب عما يقال إنهم يدخلونها في المستقبل فلم عبر بالماضي ؟ فأجاب بأن الراد ثبتت واستقرت لهم قبل خلقهم فهو نظير قوله تعالى - إن الدين سبقت لهم منا الحسنى - الآية (قوله هو وسط الجنة) إما بسكون السين بمعنى أنها متوسطة بين الجنات أو بفتحها بمعنى خيارها . قال كعب : ليس في الجنان جنة أعل من جنة الفردوس فيها الآسمرون المعروف والناهون عن النكر ، والفردوس الجنة من الكرم خاصة أو ما غالها كرم ، واختلف فيه فقيل هو عربي ، وقيل أعجمي ، وقيل (٢٨) هو رومي ، وقيل فارسي ، وقيل سرياني (قوله منزلا) أي وقيل

هو ما بهيا للضيف (قوله خالدين) حال مقدرة (قوله لا ينفون) حال أخرى (قوله تحولا) أي انتقالا عنها إلى غيرها لأن فيها ما تشبهه الأنفس وتلد الأعين (قوله لو كان البحر مدادا) سبب نزولها أن اليهود قالت يا محمد إنا قد أوتينا التوراة وفيها علم كثير فكيف تقول : وما أوتيتهم من العلم إلا قليلا ، وقصدهم بذلك الإنكار عليه وإثبات الفضل لهم

(فَحَبِطَتْ أَعْمَالُهُمْ) بطلت (فَلَا تُقِيمُ لَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَزْنًا) أي لا تجعل لهم قدرا (ذَلِكَ) أي الأمر الذي ذكرت من حبوط أعمالهم وغيره وإبتدا (جَزَاؤُهُمْ جَهَنَّمُ بِمَا كَفَرُوا وَاتَّخَذُوا آيَاتِي وَرُسُلِي هُزُوًا) أي مهزوا بهما (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَانَتْ لَهُمْ) في علم الله (جَنَّاتُ الْفِرْدَوْسِ) هو وسط الجنة وأصلها والاضافة إليه للبيان (نُزُلًا) منزلا (خَالِدِينَ فِيهَا لَا يَنْفُونَ) يطلبون (عَمَّا حَوْلًا) تحولا إلى غيرها (قُلْ لَوْ كَانَ الْبَحْرُ) أي ماؤه (مِدَادًا) هو ما يكتب به (لِكَلِمَاتِ رَبِّي) الدالة على حكمه وعجائبه بأن تكتب به (لَتَغَدَّى الْبَحْرُ) في كتابتها (قَبْلَ أَنْ تَغْدَى) بالتاء والياء تفرغ (كَلِمَاتُ رَبِّي وَلَوْ جِئْنَا بِمِثْلِهِ) أي البحر (مَدَدًا) زيادة فيه لنفد ولم تفرغ هي ونصبه على التمييز (قُلْ إِنَّمَا أَنَا بَشَرٌ) آدمي (مِثْلُكُمْ يُوْحِي إِلَيَّ أُنْمَا إِلَهُكُمْ إِلَهُ وَاحِدٌ) أن المكفوفة بما باقية على مصدريتها ، والمعنى يوحى إلى وحدانية الإله (قَنْ كَانَ يَرْجُوا) بأمل (لِقَاءَ رَبِّهِ) فالمعت والجزاء (فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَالِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِ) أي فيها بأن يرأى (أَحَدًا) .

(سورة)

(قوله أي ماؤه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف

(قوله لكلمات ربي) أي النفسية القائمة بذاته ويصح أن يراد بها الكلمات القرآنية الحادثة ويكون المراد بعدم تنهاها باعتبار مدلولاتها (قوله لنفد البحر) أي فرغ (قوله قبل أن تنفد) إن قلت إن الآية تدل على نفاد الكلمات وفراغها لأن مقتضى قوله - قبل أن تنفد كلمات ربي - أنها تفرغ بعد فراغ الداد . وأجيب بأن قبل بمعنى غير (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان سببيتان (قوله لنفد) قدره إشارة إلى أن لو شرطية جوابها مخدوف ، ويوضح هذه الآية قوله تعالى في سورة لقمان : ولو أن مافي الأرض من شجرة أقلام والبحر يمده من بعده سبعة أبحر ما نفدت كلمات الله (قوله ونصبه) أي مدادا وقوله على التمييز أي لمثل (قوله باقية على مصدريتها) أي فما وإن كفتها عن العمل لانخرجها عن المصدرية (قوله والمعنى) أي المأخوذ من التركيب (قوله عملا صالحا) أي بشروطه وأركانه (قوله بأن يرأى) هذا قدر زائد على التوحيد والعمل وحينئذ فيكون بيانا للإيمان الكامل الذي يرقى به صاحبه للتراتب العلية والتي خاص وإلا فلتراتب ثلاث : من أراد بعمله الحظ الفاني فهو في أدنى للتراتب ، ومن أراد به الخوف من العقاب والفوز بجزيل الثواب فهو أعلى منه ، ومن أراد وجه الله فهو في أعلى المراتب .

[سورة مريم معكبة] سميت بذلك لذكر قصتها فيها على عادته تعالى من تسمية السورة باسم بعضها وفي بعض النسخ عليها السلام ولا ضرر فيها وإن كان المقصود ذكر اسم السورة لالعلم المشهور ولم تذكر امرأة باسمها صريحا في القرآن إلا مريم فذكرت فيه في ثلاثين موضعا ، وحكمة ذلك التثبيت لمن يزعم من الكفار أنها زوجة الله لأن العظيم تأنف من ذكر زوجته باسمها فكان الله يقول لهم لو كان ما زعمون حقا ما صرحت باسمها (قوله أو إلا فخلف من بعدهم خلف الخ) تحصل أن الأقوال ثلاثة : قيل مكية بتمامها ، وقيل اللدني منها آية السجدة فيها ، وقيل اللدني منها آيتان قوله : فخلف من بعدهم خلف إلى قوله : شيئا (قوله كهيعص) اهل أن الكاف والصاد يذنان لازما باتفاق السبعة رهو قدر ثلاث ألفات والهاء والياء يذنان مدا طبيعيا باتفاقهم وهو قدر ألف ويجوز في السين الدال لازم المذكور والقصر بقدر ألفين قراءتان سبعيتان ويتعين في النون من عين إخفاؤها في الصاد وغنتها وفتح العين ويجوز في الدال الإظهار والادغام في ذال ذكر والقراءتان سبعيتان (قوله الله أعلم بمراده بذلك) هذا هو الحق ، وللسلف أقوال أخر منها ما قاله ابن عباس أنه اسم من أسماء الله تعالى وقال قتادة هو اسم من أسماء القرآن ، وقيل هو اسم الله الأعظم ولذا يذكره العارفون في أحزابهم كالسيد إبراهيم الدسوقي وأبي الحسن الشاذلي ، وقيل هو اسم السورة ، وقيل قسم أقسم الله به (٢٩) وعن الكلبي هو ثناء أنى الله به على نفسه ، وقيل معناه كاف لخلق هاد لعباده

(سورة مريم)

مكية ، أو إلا سجدها فلدنية ، أو إلا : فخلف من بعدهم خلف الآيتين فلدنيتان وهي ثمان أو تسع وتسعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . كَهَيْعِصَ) الله أعلم بمراده بذلك هذا (ذِكْرُ رَحْمَتِ رَبِّكَ عَبْدَهُ) مفعول رحمة (زَكْرِيَّا) بيان له (إِذْ) متعلق برحمة (نَادَى رَبَّهُ نِدَاءً) مشتلا على دعاء (خَفِيًّا) سرا جوف الليل لأنه أسرع للإجابة (قَالَ رَبِّ إِنِّي وَهَنَ) ضعف (الْعَظْمُ) جميعه (مِنِّي وَاشْتَعَلَ الرَّأْسُ) منى (شَيْبًا) تمييز محوّل عن الفاعل أى انتشر الشيب في شعره كما ينتشر شمع النار في الحطب وإني أريد أن أدعوك (وَلَمْ أَكُنْ بِدُعَائِكَ) أى بدعائى إياك (رَبِّ شَقِيًّا) أى خائبا فيما مضى فلا تخيننى فيما يأتى (وَإِنِّي خِفْتُ الْمَوَالِيَ) أى الذين يلونى في النسب ،

من إضافة المصدر لفاعله وهذه التاء لاتنزع عمل المصدر لأنها من بنية الكلمة لالوحدة ، ومعنى ذكر الرحمة بلوغها وإصابتها لعبده زكريا بمعنى عامله بالرحمة والنعمة لالانقباض والنعمة وليس المراد بالذكر حقيقته وهو ضد النسيان لأنه مستحيل (قوله متعاق برحمة) أى على أنه ظرف له أى رحمة الله إياه وقت أن ناداه (قوله مشتلا على دعاء) أى وهو قوله : ربّ إني وهن العظم إلى قوله : واجمله ربّ رضيا ، فجعله النداء ثمان حمل والدعاء منه هو قوله : فهب لى من لدنك الخ (قوله جوف الليل) أى في جوفه (قوله لأنه أسرع للإجابة) أى ما ذكر من كونه خفيا حاصل في جوف الليل فتحصل أن إخفاء الدعاء والذل والتواضع والانكسار فيه من أسباب الإجابة سيما إذا كان في جوف الليل (قوله قال ربّ) أى يمالئى ومرئى (قوله وهن) من بلب وعد بفتح الهاء للسبعة وقرئ بضمها وكسرهما (قوله جميعه) أشار بذلك إلى أن آل في العظم للاستغراق (قوله أى انتشر) أشار بذلك إلى أن في اشتعل استعارة تبعية حيث شبه انتشار الشيب باشتعال النار في الحطب واستعير الاشتعال للانتشار واشتق منه اشتعل بمعنى انتشر والجامع أن كلا يصف ما نزل به وأعاد الضمير على الرأس مذكرا لأنها تذكر لا غير (قوله وإني أريد أن أدعوك) تهديد لقوله ولم أكن الخ (قوله أى بدعائى إياك) أشار بذلك إلى أن دعاء مصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف (قوله فيما مضى) أى أنت قد أجبتنى في الزمان الماضى حال شوبيتى وعودتى منك الإحسان والاجابة فلا تخيننى فيما يأتى في حال شيخوختى (قوله وإني خفت الموالى) جمع مولى وهو العاصب .

على نفسه ، وقيل معناه كاف لخلق هاد لعباده
يد، فوق أيديهم عالم
يربته صادق في وعده .
فكل حرف يشير لمعنى
من هذه المعانى ، وقيل
غير ذلك (قوله هذا)
فقره إشارة إلى أن ذكر
خبر المحذوف (قوله ذكر
رحمت) هو مصدر مضاف
لمفعوله والفاعل محذوف
أى ذكر الله رحمته
عبده زكريا (قوله
مفعول رحمة) أى ورحة

(قوله كبتى الم) أى لأنهم كانوا شرار بني إسرائيل خفاف أن يبدلوا دينهم (قوله من ورأى) متعلق بمحذوف أى جور المولى من ورأى (قوله على الدين) متعلق بخفت (قوله من تبديل الدين) بيان لما (قوله وكانت امرأتى) أى وهى إشاع أخت حنة كانتا بنت فاقود فولد لإشاع يحيى ولحنة مريم (قوله لآلله) أى لم تلد أصلا لآلى صفرها ولآلى كبرها (قوله وبالرفع صفة وليا) هى سبعة أيضا وهى أظهر معنى لأنها نفيد أن هذا الوصف من جملة مطلوبه (قوله العلم والنبوة) أى لا لآلله لأن الأنبياء لا يورثون درهما ولا دينارا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله ولا ينافيه ما تقدم فى سورة آل عمران من أنه من كلام الملائكة لأنه يمكن أن يكون الخطاب وقع مرتين أو المعنى على لسان الملائكة (قوله الحاصل به) نعت لابن (قوله إنا نبشرك بغلام) بين هذه البشارة ووجود الولد فى الخارج بالفعل ثلاث عشرة سنة (قوله اسمه يحيى) إماما سماه بذلك ، لأن رحم أمه حيى به بعد موته بالعم أو لحياة القلوب به وهو ممنوع من الصرف للعلمية والعجمة وتقول فى ثنيتها يحيى مان رفعا ويحيى نضبا وجرا (٣٠) وتقول فى جمعه للسلامة يحيون رفعا ويحيين نضبا وجرا (قوله أى مسمى

يحيى) أى لم يسم يحيى قبله (قوله كيف) اسم استفهام سؤال عن جهة حصول الولد لاستبعاد ذلك بحسب العادة لا بحسب القدرة الإلهية أو استفهام تعجب وسرور فى هذا الأمر العجيب (قوله وكانت امرأتى عاقرا) أى ولم تزل (قوله ليس) بالياء المثناة بعدها ياء موحدة من اليس يقال عتا العود بمعنى ليس وجف ومعناه هنا ليس العظم والعصب والجلد (قوله عتوو) هو ضممتين وواو ين (قوله كسرت التاء الخ) اشتمل كلامه على أربع إعمالات فى

كبتى الم (مِنْ وَرَأَى) أى بعد موتى على الدين أن يضيعوه كما شاهدته فى بنى إسرائيل من تبديل الدين (وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا) لآلله (فَهَبْ لِي مِنْ لَدُنْكَ) من عندك (وَلِيًّا) ابنا (يَرِثُنِي) بالجزم جواب الأمر وبالرفع صفة وليا (وَيَرِثْ) بالوجهين (مِنْ آلٍ يَعْقُوبُ) جدى العلم والنبوة (وَأَجْعَلْهُ رَبِّ رَضِيًّا) أى مرضيًّا عندك ، قال تعالى فى إجابة طلبه الابن الحاصل به رحمته (يَا زَكَرِيَّا إِنَّا نُبَشِّرُكَ بِغُلَامٍ) يرث كما سألت (أَسْمُهُ يَحْيَى لَمْ نَجْعَلْ لَهُ مِنْ قَبْلُ سَمِيًّا) أى مسمى يحيى (قَالَ رَبِّ أَنَّى) كيف (يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَكَانَتْ أُمْرَأَتِي عَاقِرًا وَقَدْ بَلَغْتُ مِنَ الْكِبَرِ عِتِيًّا) من عتا: ييس، أى نهاية السن مائة وعشرين سنة وبلغت امرأته ثمانيا وتسعين سنة ، وأصل عتى عتوو كسرت التاء تخفيفا وقلبت الواو الأولى ياء لمناسبة الكسرة والثانية ياء لتدغم فيها الياء (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منكما (قَالَ رَبُّكَ هُوَ عَلَىٰ هَيْنٍ) أى بأن أرد عليك قوة الجماع وأنت رحم امرأتك للعوق (وَقَدْ خَلَقْتَكُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ تَكُ شَيْئًا) قبل خلقك ولإظهار الله هذه القدرة العظيمة ألهمه السؤال ليجاب بما يدل عليها ولما تأقت نفسه إلى سرعة البشيرة (قَالَ رَبِّ اجْعَلْ لِي آيَةً) أى علامة على حمل امرأتى (قَالَ آيَتُكَ) عليه (أَنْ لَا تُكَلِّمَ النَّاسَ) أى تمنع من كلامهم بخلاف ذكر الله (فَلَا تَلِيكَ) أى بأياها كما فى آل عمران ثلاثة أيام (سَوِيًّا) .

حال

الكلمة كسر التاء وقاب الواو الأولى ياء وقلب الثانية كذلك لاجتماعها مع الواو وسبق إحداهما

بالسكون وإدغام الياء فى الياء وهذا على غير قراءة حفص وأما على قراءته من كسر العين اتباعا لتاء ففيه خمس إعمالات (قوله الأمر) نذر إشارة إلى أن كذلك خبر لمحذوف (قوله قال ربك) أى على لسان ملك أو إلقاء فى القلب وأما الخطاب جهرا مشافهة فلم يكن لغير موسى وسيدنا محمد عليهما الصلاة والسلام (قوله وأنتق) من باب نصر أى أشق (قوله للعوق) بفتح العين أى إلى ويصح ضمها مصدر علق (قوله وقد خلقتك) الجملة حالية (قوله ولما تأقت نفسه) أى تطلعت وتشوقت وأشار بذلك إلى أن قوله قال رب اجعل لى آية مراتب على محذوف (قوله إلى سرعة البشيرة) أى بلامه نقل على حصوله بالفعل وليس عند ذكر ياشك فى إجابة الله دعاءه بل قصد تعجيل السيرة ليزداد فرحا وشكرا (قوله أى تمنع) أى قهرا بلا آفة (قوله أى بأياها) أشار بذلك إلى وجه الجمع بين ما هنا وبين آية آل عمران وحكمة ذكر الليالى هنا أن الليل سابق على النهار وهذه السورة مكية والمكي مقدم على المدني وآل عمران مدنية فأعطى السابق للسابق وللتأخر للتأخر .

(قوله حال من فاعل تكلم) أى ينعدم منك الكلام حال كونك سلباً لم يطرأ عليك آفة ولا علة تمنعك من الكلام ، ويصح أن يكون صفة ثلاث أى ثلاثاً كاملات لا تنقص فیهن (قوله فخرج على قومه) أى متغير اللون عاجزاً عن الكلام فأنكروا ذلك عليه وقالوا له سالك فأشار إليهم أن صلوا بكرة وعشيا (قوله من المحراب) يطلق على الغرفة وصدر البيت وأكرم مواضع ومقام الامام من المسجد والموضع ينفرد به الملك وعلى المسجد جميعه فالمحراب المعروف الآن بوافق اللغة قديماً (قوله أى المسجد) أى موضع الصلاة (قوله وكانوا ينتظرون فتحه) أى فكان هو مقبلاً به ولا يفتحه إلا وقت الصلاة ولا يدخلونه إلا بأذنه (قوله أشار إليهم) أى بأصبعه وقيل كتب لهم (قوله أوائل النهار وأواخره) أى فالمراد بالصلاة في هذين الوقتين صلاة الصبح وصلاة العصر والمعنى صلوا صلاتكم على عادتكم ولا تنتظرونى أكلكم بل دعونى وحالى (قوله فعمل) أى زكريا (قوله وبعد ولادته الخ) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله يا يحيى الخ مرتب على محذوف (قوله قال تعالى له) أى على لسان الملك (قوله خذ الكتاب) أى اعمل بأحكامه وليس المراد اشتغل بحفظه في المكتب مثلاً لأن الله ألقاه على قلبه بمجرد قوله خذ الكتاب (قوله بقوة) أى بجد واجتهاد وإنما أمر بذلك لأن كلام الله عظيم جليل القدر فيحتاج للاهتمام به والاجتهاد فيه ومن هنا ينبغى لطالب العلم الجِد والاجتهاد فيه ولا يترأخى في طلبه فانك إن أعطيت العلم كلك أعطاك بعضه وإن أعطيت بعضك لم يعطك شيئاً منه ، ولذا قال الامام الشافعى رضى الله عنه : أخى لن تنال العلم إلا بستة (٣١) سأنتيك عنها مجرباً يبيان

ذكاء وحرص واجتهاد وبلغة

صبيحة أستاذ وطول

زمان

ولم يأمر الله سيدنا محمداً

بأن يلقى ما أوحى إليه بقوة

لأن الله أعطاه عزماً وقوة

عظيمة فلم يحتج للامر

بذلك بل قيل له : إنا

سنلقى عليك قولاً ثقيلاً

(قوله ابن ثلاث سنين) أى

فأحكم الله عقله وقوى فهمه

حال من فاعل تكلم أى بلا علة (فخرج على قومه من المحراب) أى المسجد وكانوا ينتظرون فتحه ليصلوا فيه بأمره على العادة (فأوحى) أشار (إليهم أن سجدوا) صلوا (بكرة وعشيا) أوائل النهار وأواخره على العادة ، فلم يمنعه من كلامهم حملها يحيى ، وبعد ولادته بسنتين قال تعالى له (يا يحيى خذ الكتاب) أى التوراة (بقوة) بجد (وآتيناه الحكم) النبوة (صبيحاً) ابن ثلاث سنين (وحناناً) رحمة للناس (من لدنا) من عندنا (وزكوة) صدقة عليهم (وكان نقيماً) روى أنه لم يعمل خطيئة ولم يهمل بها (وبراً بالدين) أى محسناً إليهما (ولم يكن جباراً) متكبراً (عاصياً) عاصياً لربه (وسلاماً) منا (عليه يوم ولد ويوم يموت ويوم يبعث حياً) أى في هذه الأيام المخوفة التى يرى فيها مالم يره قبلها فهو آمن فيها (وأذكر في الكتاب) القرآن (مريم) أى خبرها ،

وقولهم النبوة على رأس الأربعين محله في غير يحيى وعيسى على ما يأتى وقيل المراد بالحكم فهم التوراة وقراءتها وأما النبوة فتأخرت للأربعين كغيره (قوله وحناناً) أى رحمة ورقة في قلبه وتعطفاً على الناس (قوله صدقة عليهم) أى توفيقاً للتصدق وقيل المراد بالزكاة طهارته من الأوساخ أو طهارته من اتبعه أو المراد أن الله تصدق به على والديه (قوله وكان نقيماً) أى مجبولاً على التقوى ومن جملة تقواه أنه كان يتقوت بالعشب وكان كثير البكاء فكان لضعفه مجارطى خذه (قوله ولم يهمل بها) أى لم تخطر بباله ولا خصوصية له بذلك بل جميع الأنبياء كذلك (قوله عاصياً لربه) أشار بذلك إلى أن الباطنة ليست مرادة بل المنى أصل العصيان لا المبالغة فيه (قوله وسلاماً عليه) أى أمان له من المخاوف ونكر هنا وعرف في قصة عيسى لأن ما هنا حاصل من الله والقليل منه كثير وما ذكر في قصة عيسى آل فيه للعهد أى السلام المهود وهو الكائن من الله (قوله يوم ولد) أى من أن يناله الشيطان بمكره (قوله ويوم يموت) أى من عذاب القبر (قوله ويوم يبعث حياً) أى من هول الموقف ولإينافى هذا ماورد « أن الأنبياء يوم القيامة يجثون على الركب ويقولون رب سلم سلم » لأن جلال الله محيط بهم فهم خائفون من هيئته وجلاله لامن عذابه وعقابه لصدق وعد الله في تأمينهم فلا يخلف وعده . بقى شيء آخر وهو أنه ورد أن يحيى قتل في حياة والده فكيف ذلك مع طلبه ولداً ربه وإجابة الله له بقوله كذلك هو على حين . أجيب بأن هذه الرواية ضعيفة والحق أنه عاش بعد أبيه الزمن الطويل وحينئذ قد سقط السؤال والجواب (قوله واذكر في الكتاب مريم) أى قصة ولادتها لعيسى وحملها به فانها من الآيات الكبرى ونقدّم أن معنى مريم العابدة خادمة الرب (قوله القرآن) أشار بذلك إلى أن آل في الكتاب للعهد .

(قوله إذ أنبذت) ظرف لحدوف قدره التفسير بقوله أي خبرها وهو بدل اشتغال وليس المراد خصوص الخبر الواقع في وقت الانبذ بل هو وما بعده إلى آخر القصة (قوله أي اعتزلت في مكان) أشار بذلك إلى أن مكانا منصوب على الظرفية ويصح أن يكون مفعولا به على أن معنى انبذت أنت مكانا (قوله من الدار) أي دار زوج خالتها وهو زكريا القيم عليها ، وفي بعض النسخ أو شرق بيت المقدس أي فقوله في الآية شرقيا يحتمل أن يكون شرقيا من دارها أو من بيت المقدس (قوله أو تنفصل من حيضها) أي لأنها كانت تتحول من المسجد إلى بيت خالتها إذا حاضت وتعود إليه إذا طهرت وقد حاضت قبل حملها ببسبى مرتين (قوله روحنا) سمي بذلك لأن الله أحياه القلوب والأديان كما أن الروح به حياة الأجساد أو كناية عن محبة الله له كما يقول الانسان لمن يحبه : أنت روحي (قوله فتمثل لها) اختلف في كيفية تمثل الملك في غير صورته الأصلية هل تنمذم بقية أجزائه الزائدة أو تنفصل مع كونها باقية أو لاتنفصل وإنما تخفى عن الراى وهو الذى ندين الله به لأن لهم قدرة على التشكلات بالصور الجميلة ولا تحكم عليهم (قوله بعد لبسها ثيابها) جواب عما يقال إن الملك لا يدخل على امرأة مكشوفة الرأس فضلا عن كونها مكشوفة البدن فكيف أتى مريم وهي تنفصل . فأجاب المفسر بأنه إنما تمثل لها بعد أن لبست ثيابها (قوله بشرا سويا) أي بصورة شاب أمرد معتدل الحلقة لتأنس بكلامه ولعله يهيج شهوتها فتتهدر نطقها إلى رحمها ، ولا يقال إن النظر (٣١٧) الهيج للشهوة حرام لأن ذلك إذا كان مع اختيار وأما الليل الطبيعي

(إذ حين) (أُنْبَذَتْ مِنْ أَهْلِهَا مَكَانًا شَرْقِيًّا) أي اعتزلت في مكان نحو الشرق من الدار (فَاتَّخَذَتْ مِنْ دُونِهِمْ حِجَابًا) أرسلت سترا تستقر به لتغلى رأسها أو ثيابها أو تنفصل من حيضها (فَأَرْسَلْنَا إِلَيْهَا رُوحَنَا) جبريل (فَتَمَثَّلَ لَهَا) بعد لبسها ثيابها (بَشْرًا سَوِيًّا) تام الخلق (قَالَتْ إِنَّيَأَعُوذُ بِالرَّحْمَنِ مِنْكَ إِنْ كُنْتَ نَقِيًّا) فتنتهى عنى بتموذى (قَالَ إِنَّمَا أَنَا رَسُولُ رَبِّكِ لِیَهَبَ لَكِ غُلَامًا زَكِيًّا) بالنبوة (قَالَتْ أَنَّى يَكُونُ لِي غُلَامٌ وَلَمْ يَمَسِّنِي بَشَرٌ) بتزوج (وَلَمْ أَكُ بَغِيًّا) زانية (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ) من خلق غلام منك من غير أب (قَالَ رَبُّكِ هُوَ عَلَىٰ عَیْنٍ) أي بأن ينفخ بأمرى جبريل فيك فتحملى به ولكون ما ذكر في معنى العلة عطف عليه (وَلَنَجْزِيَنَّهُ أَيْدِيًا لِلنَّاسِ) على قدرتنا (وَرَحْمَةً مِنَّا) لمن آمن به (وَكَانَ) خلقه (أَمْرًا مَّقْضِيًّا) به في علمى فننفخ جبريل في جيب ،

فلا يؤاخذ به الانسان (قوله بالرحمن) خصته بالذكر ليرحم ضعفها وعجزها عن دفعه لعدم اللغيت لها من الخلق (قوله إن كنت نقيا) أي عاملا بمقتضى تقواك وإيمانك (قوله فتنتهى عنى) هو جواب الشرط وقدره فعلا مضارع مقرونا بالغاء فهو على تقدير الابتداء ليكون الجواب

درعها

جملة اسمية حتى يسوغ اقترانه بالغاء أى فأنت تنتهى عنى

(قوله رسول ربك) أي جبريل وقولهم إن الوحي لم يغزل على امرأة قط أى رسالة وأما بنبرها فلا مانع منه (قوله ليهب لك) بالياء والهمزة قراءتان سبعيتان فعلى الأولى الاستناد لله وعلى الثانية الاستناد لجبريل لكونه سببا فيه (قوله غلاما زكيا) فيه مجاز الأول لأنه حينئذ لم يكن غلاما (قوله بتزوج) دفع به ما يقال إن قولها لم يمسنى بشر يدخل تحته ولم أك بغيا فأجاب بأن المس عبارة عن النكاح في الحلال والزنا ليس كذلك بل يقال فجر بها وما أشبهه (قوله بغيا) لم يقل بغية لأن بغيا غالب في النساء فأجروه إجراء حائض وطامث وعافر أو يقال إن أصله بغويا بوزن فعول اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدخمت في الياء وكسرت الفين لتصح الياء وحيث كان بزنة فعول فلا تلحقه التاء كما قال ابن مالك :

ولا تلى فارقة فصولا أصلا ولا المفعول والمفعول

وهذا ليس استبعادا منها لقدرة الله وإنما هو تعجب من مخالفة العادة (قوله الأمر) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر لحدوف (قوله قال ربك) بمنزلة العلة كأنه قيل الأمر كذلك لأنه علينا حين ولنجعل الخ (قوله على قدرتنا) أي كمال قدرتنا على أنواع الخلق فانه تعالى خلق آدم من غير ذكر ولا أنثى وخلق حواء من ذكر بلا أنثى وخلق بقية الخلق من ذكر وأنثى (قوله أمرا مقضيا) أي لا يتغير ولا يقبل (قوله فننفخ جبريل) أي نفخة وصلت إلى فرجها ودخلت منه جوفها ، وليس المراد أنه نفخ في فرجها مباشرة .

(قوله درعها) أى لقيصها (قوله مكانا قصيا) أى بعيدا من أهلها وهو بيت لحم فرلوا من تغيير قومها يولادتها من غير زوج (قوله فأجاءها المخاض) أى ألجأها (قوله لتعتمد عليه) أى فاعتمدت عليه وقيل حضنته وكان يابسا فاخضر وأمر لوقته (قوله فولدت) أى بييت لحم غفأت عليه لجأت به إلى بيت المقدس فوضعت على صخرة فأنحطت الصخرة له وصارت كالهدى وهو الآن موجودة تزار بحرم بيت المقدس ثم بعد أيام توجهت به إلى بحر الأردن فغمسته فيه وهو اليوم الذى يتخذ النصارى بعيدا ويسمونه يوم الغطاس وهم يظنون أن المياه في ذلك اليوم تقديست لذلك يغطسون في كل ماء (قوله في ساعة) هو الصحيح وقيل حملة في ساعة وصور في ساعة ورضعته في ساعة، وقيل كان مدة حملها تسعة أشهر وقيل ثمانية أشهر وقيل ستة أشهر وسنها إذ ذاك عشر سنين وقيل ثلاث عشرة سنة وقيل ست عشرة سنة (قوله ليتنى مت قبل هذا) إنما تمت الموت لثلاثين المصيبة بمن تسلم في شأنها بسوء وإلا فهى راضية بما بشرت به (قوله وكنت نسيا) بكسر النون وفتحها قراءة ثان سبعيتان وقوا مفسيا تأكيد لنسيا (قوله فتأداها) أى لما شق عليها الأمر وعلمت أنها تهم ولا بد لعدم وجود بينة ظاهرة تشهد لها. قيل أول من علم بها يوسف النجار وكان رفيقا لها يخدعان المسجد ولا يعلم من أهل زمانها أحد أشد عبادة واجتهادا منها فبقى متحيرا في أمرها، ثم قال لها قد وقع في نفسى من أمرك شئ وقد حرصت على كتمانك فقلنى ذلك فرأيت أن أنسلكم به أشقى صدرى فقالت قل قولاً جميلاً قال أخبرنى يا مريم هل ينبت زرع بغير بذر فقالت نعم ألم تعلم أن الله أبى الشجر بالقدرة من غير بذر ولا غيث أو تقول إن الله تعالى لا يقدر أن ينبت الشجرة حتى استعان بالماء ولولا (٣٣) لك لم يقدر على إنباتها قال

يوسف لا أقول هذا
ولكننى أقول إن الله يقدر
على ما يشاء يقول له كن
فيكون قالت مريم ألم تعلم
أن الله تعالى خلق آدم
وامراته من غير ذكرك
ولأننى فعند ذلك زال ما فى
نفسه من التهمة وكان
ينوب عنها فى خدمة
المسجد مدة نقاسها (قوله
من تحتها) بفتح الميم

درعها فأحست بالحمل فى بطنها مصوراً (فَحَمَلَتْهُ فَانْتَبَهَتْ) تنحت (بِهْ مَكَانًا قَصِيًّا) بعيداً
من أهلها (فَأَجَاءَهَا) جاء بها (المَخَاضُ) وجع الولادة (إِلَى جِذْعِ النَّخْلَةِ) لتعتمد عليه
فولدت، والحمل والتصوير والولادة فى ساعة (قَالَتْ يَا) للتنبيه (لِيَتَنَبَّهَ) ليتنبه (مُتُّ قَبْلَ هَذَا) الأمر
(وَكُنْتُ نَسِيًّا مَنَسِيًّا) شيئاً متروكاً لا يعرف ولا يذكر (فَتَأْدَاهَا مِنْ تَحْتِهَا) أى جبريل
وكان أسفل منها (أَلَا تَحْزَنِي قَدْ جَعَلَ رَبُّكِ تَحْتَكِ سَرِيًّا) نهر ماء كان انقطع (وَهَرَّى
إِلَيْكَ بِجِذْعِ النَّخْلَةِ) كانت يابسة والباء زائدة (تَسَاقَطَ) أصله بتاءين قلبت الثانية سيناً
وأدغمت فى السين وفى قراءة تركها (عَلَيْكَ رُطْبًا) تمييز (جَنِيًّا) صفته (فَكُلِي) من الرطب
(وَأُشْرِبِي) من السرى (وَقَرِّئِي عَيْنًا) بالولد تمييز بحول من الفاعل أى لتقر عينك به :

وكسرهما قراءة ثان سبعيتان فعلى الأولى التاعل هو الموصول وتحتها صلته وعلى الثانية الفاعل ضمير مستتر والجار والمجرور متعلق
بنادى (قوله أى جبريل) تفسير لمن على الفتح والضمير المستتر فى نادى على الكسر وقيل للنادى لها عيسى ومعنى كونه تحتها
أسفل ثيابها وحينئذ فيكون قوله أن لا تحزنى إلى قوله فلن أكلم اليوم إنسيا أول كلام عيسى (قوله وكان أسفل منها) أى كان
جبريل فى مكان أسفل من مريم (قوله أن لا تحزنى) يحتمل أن تكون أن مفسرة وقد وجد شرطها وهو تقدم ما هو بمعنى القول
ولا ناهية وحذفت النون للجازم أو ناصبة ولا نافية وحذفت النون للناصب (قوله نهر ماء) أى وجمعه سريان كرهيف ورغفان
ويطلق السرى على الشرىف الرئيس وأصله سريو اجتمعت الواو والياء وصبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء
كسيد ويكون المراد به عيسى ومائتى عليه المفسر أظهر لمنااسبة قوله فكلى واشربى (قوله كان انقطع) أى ثم جرى وامتلأ
ماء ببركة عيسى وأمه (قوله والباء زائدة) أى ويصح أن تكون أصلية والمفعول محذوف والجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة
لرطبا والتقدير وهزى إليك رطبا كأننا بجذع النخلة (قوله وفى قراءة تركها) أى التاء مع تخفيف السين وفتح القاف وبقى قراءة
سبعة أيضا وهى ضم التاء مع كسر القاف بمعنى تسقط رطبا مفعول به (قوله تمييز) أى على القراءتين اللتين ذكرهما المفسر
لا على الثالثة (قوله جنيا) أى تاما فضجه صالحا للاجتماع (قوله وقرى عينا) العامة على فتح القاف من قرير بكسر
العين فى الماضى وفتحها فى المضارع من باب نصب وقرى شذوذا بكسر القاف وهى لنة نجد بفتح العين فى الماضى وكسرهما

(قوله أى تسكن) أى فهو من القرار بمعنى عدم الحركة ويصح أن يكون من القر وهو البرد لأن العين إذا فرح صاحبها كان دمعها باردا وإذا حزن كان دمعها حارا كأنه قال اتركى الحزن وافرحى بما أعطاك ربك (قوله حذف منه لام الفعل) أى وأصله ترأين بهمزة هي عين الكلمة وياء مكسورة هي لامها وأخرى ساكنة هي ياء الضمير والنون علامة الرفع نقلت حركة الهمزة إلى الراء فسقطت الهمزة فتحركت الياء وانتحج ما قبلها قلبت ألفا فالتقى ساكنان حذف لالتقاءهما ثم أكد بالنون وحرك بالكسر ففيه ست إهمالات نقل الحركة وسقوط الهمزة وقلب الياء ألفا وحذفها وتأكيد النون ونحوه بالكسر وإن نظرت لحذف نون الرفع للجازم كانت سبعة أفاد المفسر منها خمسا ولم يرتبها كما يعلم بالتأمل (قوله فيسألك عن البشري وسألك عن أمرك فتقولى الخ ويكون انشاء النذر من حين قولها للسائل تلك المقالة (قوله صوما) قيل كان في بني إسرائيل من أراد أن يجتهد صام عن الكلام كما يصوم عن الطعام فلا يتكلم حتى يمسي وفي هذا دلالة على ترك مجادلة السفهاء والتكلم معهم فإنه أغبط لهم (قوله مع الأناسى) أى لأمع الله كاله كرو ولا مع اللاتكة لما ورد أنها كانت تكلم اللاتكة ولانكلم الانس والأناسى بفتح الهمزة جمع أنسى (٣٤) أو وإنسان وأصله على هذا أناسين قلبت النون ياء وأدغمت في الياء (قوله

أى تسكن فلا تطمح إلى غيره (فأبأ) فيه إدغام نون إن الشرطية في ما الزائدة (ترين) حذف منه لام الفعل وعينه وأقيت حركتها على الراء وكسرت ياء الضمير لالتقاء الساكنين (من البشري أحدا) فيسألك عن ولدك (فتقولى إني نذرت للبشر صوما) أى إمساكا عن الكلام في شأنه وغيره من الأناسى بدليل (فلن أكل اليوم إنسيا) أى بعد ذلك (فأنت به قوما تحمله) حال فراوه (قالوا يا مريم لقد جئت شيئا فريا) عظيما حيث أتيت بولد من غير أب (يا أخت هارون) هو رجل صالح أى يا شبيهته في العفة (ما كان أبوك أمرا سواه) أى زانيا (وما كانت أمك بغي) زانية فمن أين لك هذا الولد ؟ (فأشارت) لهم (إليه) أن كلموه (قالوا كيف نكلم من كان) أى وجد (في المهد صديقا . قال إني عبد الله آتيني الكتاب) أى الإنجيل (وجعلني نبيا وجعلني مباركا أينما كنت) أى نفاعا للناس إخبار بما كتب له (وأوصيني بالصلاة والزكاة) أمرني بهما (ما دمت حيا . وبرأ يوالدي) منصوب بجعلني مقدر (ولم يجعلني جبارا) متعظما (شقيقا) عاصيا لربه ،

أى بعد ذلك) أى بعد قولها إني نذرت للرحمن صوما (قوله فأنت به) أى في يوم وضعه وقيل بعد أربعين يوما لما طهرت من نقاسها (قوله فراوه) أى أبصروه (قوله قالوا) أى أهلها وكانوا أهل بيت صالحين بمصدق قوله تعالى - إن الله اصطفى آدم ونوحا وآل إبراهيم وآل عمران على العالمين ذرية بعضها من بعض - (قوله لقد جئت) أى فعلت وأتيت (قوله فريا) من فريت

الجلد قطعته أى شيئا قاطعا وخارقا للعادة ومقطعا للعرض له (قوله هو رجل صالح) أى في بني إسرائيل (والسلام)

شبهت به في عفتها وصلاتها . قيل إنه تبع جنازته يوم مات أربعون ألفا من بني إسرائيل كلهم يسمون هرون سوى سائر الناس (قوله ما كان أبوك) أى همران وقوله وما كانت أمك أى حنة (قوله فأشارت إليه) أى وحيفئذ غضب القوم وقالوا أنسخرين بنا ثم قالوا كيف نكلم من كان في المهد صبيا (قوله وجد) أشار المفسر إلى أن كان تامه وحيفئذ فصيا حال ويصح أن تكون ناقصة وصبيا خبرها (قوله في المهد) قيل المراد به حجرها وقيل هو المهد بعينه ، ورد أنه لما أشارت إليه ترك الرضاع وانسكا على يساره وأقبل عليهم وجعل يشرب بيمينه وقال إني عبد الله الخ (قوله عبد الله) وصف نفسه بذلك لئلا يتخذ لها وكل هذه الأوصاف تقتضى براءة أمه لأن هذه الأوصاف الكاملين المطهرين من الأرجاس (قوله وجعلني نبيا) أى في الحال وقيل المراد سييجئني بعد الأربعين قولان للطاء والله أعلم بحقيقة الحال (قوله أى نفاعا للناس) أى لأنه كان يرى الأكمه والأبرص ويحيي الموتى ويهدي من ضل (قوله إخبار بما كتب له) أى فالماضي بمعنى المستقبل وقيل على حقيقته (قوله أمرني بهما) أى بفعلهما (قوله وبرأ) العامة على فتح الباء وقرئ بكسرهما إما على حذف مضاف أى ذابروا أو مبالغة (قوله متعظما) أى لي جعلني متواضعا ومن تواضع أنه كان يأكل ورق الشجر ويجلس على التراب ولم يتخذ له مسكنا .

(قوله والسلام) آل فيه للعهد أى السلام الحاصل ليحيى حاصل لى فلا يقال إن يحيى سلم عليه ربه وعيسى سلم على نفسه بل هو حاك السلام عن الله (قوله ويوم أبعث حيا) هذا آخر كلامه ، ثم سكت بعد ذلك فلم يتكلم حتى بلغ المدة التى يتكلم فيها الأطفال (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الله تعالى وأما كلام عيسى فقد انتهى إلى قوله حيا (قوله ذلك) أى للذكور تلك الأوصاف واسم الإشارة مبتدأ وعيسى خبره وابن مريم صفته وقول الحق خبر مبتدأ محذوف أى قول ابن مريم قول الحق وهو من إضافة الموصوف للصفة : أى القول الحق ، والمعنى أن الموصوف بما ذكر من الأوصاف هو عيسى ابن مريم وقوله القول الحق أى الصديق المطابق للواقع (قوله وبالنصب) أى فهم قراءتان سبعيتان (قوله بتقدير قلت) أى فهو مصدر مؤكد لعامله (قوله والمعنى) أى على كل من القراءتين فعلى أرفع يكون المعنى قول عيسى القول الحق وعلى النصب يكون المعنى قلت ما كيا عن عيسى القول الحق والقائل ذلك هو الله تعالى (قوله الذى فيه يمترون) خبر محذوف أى هو عيسى الذى فيه يترددون ويتعجبون (قوله قالوا إن عيسى ابن الله) أى وقالوا غير هذه المقالة كما يأتى فى قوله فاختلاف الأحزاب من بينهم ، وإنما اقتصر على هذه هنا لأنها التى يتضح إبطالها بقوله ما كان لله الخ (قوله ما كان لله) أى لا يمكن ولا يتأتى لأنه مستحيل لا تتعلق به القدرة (قوله أن يتخذ من ولد) أن وما دخلت عليه فى تأويل مصدر اسم كان ، والمعنى ما كان اتخاذ الولد من صفته بل هو محال قال تعالى - تكاد السموات

يتفطرن منه وتنشق الأرض وتخر الجبال هذا أن دعوا للرحمن ولما وما ينبئ للرحمن أن يتخذ ولدا - (قوله عن ذلك) أى اتخاذ الولد (قوله إذا قضى أمرا) هذا كالدليل لما قبله كأنه قال إن اتخاذ الولد والسعى فى أسبابه شأن العاجز الضعيف المحتاج الذى لا يقدر على شئ وأما القادر الغنى الذى يقول للشيء كن فيكون

(وَالسَّلَامُ) من الله (صَلَّى يَوْمَ وَلِدَتْ وَيَوْمَ أُمُوتُ وَيَوْمَ أُبْعَثُ حَيًّا) يقال فيه ما تقدم فى السيد يحيى . قال تعالى (ذَلِكَ عِيسَى ابْنُ مَرْيَمَ قَوْلَ الْحَقِّ) بالرفع خبر مبتدأ مقدر أى قول ابن مريم وبالنصب بتقدير قلت ، والمعنى القول الحق (الَّذِي فِيهِ يَمْتَرُونَ) من المربة أى يشكون وهم النصارى قالوا إن عيسى ابن الله ، كذبوا (مَا كَانَ لِلَّهِ أَنْ يَتَّخِذَ مِنْ وَلَدٍ سُبْحَانَهُ) تنزيها له عن ذلك (إِذَا قُضِيَ أَمْرًا) أى أراد أن يحدثه (فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ) بالرفع بتقدير هو وبالنصب بتقدير أن ، ومن ذلك خلق عيسى من غير أب (وَأَنَّ اللَّهَ رَبِّي وَرَبُّكُمْ فَأَعْبُدُوهُ) بفتح أن بتقدير اذكر وبكسرها بتقدير قل بدليل : ما قلت لهم إلا ما أمرتني به أن اعبدوا الله ربي وربكم (هَذَا) للذكور (صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) مؤدٍ إلى الجنة (فَاخْتَلَفَ الْأَحْزَابُ مِنْ بَيْنِهِمْ) أى النصارى فى عيسى أهو ابن الله أو الله معه أو ثالث ثلاثة (فَوَيْلٌ).

فلا يحتاج فى اتخاذ الولد إلى إحبال الأثرى وحيث أوجده بقول كن لا يسمى ابنا له بل هو عبده وعذوقه فهو تبكيت وإلزام لهم بالحجج الباهرة (قوله بتقدير أن) أى بعد فاء السببية الواقعة بعد الأمر (قوله وإن الله ربي وربكم) هذا من كلام عيسى سواء قرئ بكسر إن أو فتحها فهو من تعلقات قوله وأوصانى بالصلاة والزكاة الخ (قوله بتقدير اذكر) أى اذكر يا عيسى أن الله الخ (قوله بتقدير قل) أى وإن تكسر بعد القول (قوله هذا صراط مستقيم) من كلام عيسى أيضا (قوله المذكور) يعنى القول بالتوحيد ونفى الولد (قوله فاختلاف الأحزاب) أى أن النصارى تحزبوا وتفرقوا فى شأن عيسى بعد رفعه إلى السماء أربع فرق اليه توبية والنسطورية والملكانية والاسلامية ، لما روى أنه اجتمع بنو إسرائيل فأخرجوا منهم أربعة نفر من كل قوم عالمهم فأمروا فى شأن عيسى حين رفع فقال أحدهم هو الله هبط إلى الأرض فأحيا من أحياء وأمات من أمات ثم صعد إلى السماء وهم اليعقوبية فقالت الثلاثة كذبت ثم قال اثنان منهم للثالث قل فيه قال هو ابن الله وهم النسطورية فقال الاثنان كذبت ثم قال أحد الاثنين للآخر قل فيه فقال هو ثالث ثلاثة الله إله وهو إله وأمه إله وهم الملكانية فقال الرابع كذبت بل هو عبدا لله ورسوله وكلته وهم المسلمون وكان لكل رجل منهم أتباع على ما قال فاقتلوا وظهروا على المسلمين وكفر الفرقة الأخيرة بعدم اتباعهم لنبينا صلى الله عليه وسلم من حين البعث وأما الدين اتبعوه منهم فهم الدين يعطون أجرهم مرتين كالتجاشى وأتباعه وهم الذين قال تعالى فيهم - ولنجدن أفرهم مودة للذين آمنوا الآيات - .

(قوله فثمة عذاب) وقيل المراد بالويل واد في جهنم يأكل الحجارة والحديد قوتهم فيه الجيف (قوله من مشهد يوم عظيم) يطلق المشهد على الشهادة وعلى الحضور وهو المراد هنا وصي بآئك لشهادة الأعضاء عليهم بما كسبوا قال تعالى - يوم تشهد عليهم ألسنتهم وأيديهم وأرجلهم بما كانوا يعملون - (قوله أسمع بهم وأبصر) هو فعل ماض جاء على صورة الأمر ومعناه التعجب ، وإعراجه أسمع فعل ماض للتعجب والباء زائدة والضمير فاعله وأبصر مثله وحذف بهم من الثاني لدلالة الأول عليه ، وليس المراد التعجب من التكلم وهو الله لاستحالة عليه بل المراد التعجب وهو حمل المخاطب على التعجب أى اعجبوا يا عبادي من شدة سمعهم وبصرهم في ذلك اليوم (قوله من إقامة الظاهر مقام الضمر) أى إشارة إلى أن من اتصف بصفاتهم يسمى ظاهراً (قوله في ضلال) أى خطأ وعدم اعتناء للحق (قوله به صموا) أى بسبب الضلال حصل لهم الصمم الخ في الدنيا فالتعجب منهم في الحالتين شدة السمع والابصار في الآخرة وضدهما في الدنيا (قوله هو يوم القيامة) أى وله أسماء كثيرة منها يوم الدين ويوم الجزاء ويوم الحساب والحاقة والقارعة واليوم للوعود وغير ذلك (قوله يتحسر فيه السيء الخ) أى والمحسن على ترك الزيادة في الاحسان كما في الحديث (قوله إذ قضى الأمر) أى أحكم وأمضى ، وذلك أنه ورد «إذا استقر أهل الجنة في الجنة وأهل النار في النار يؤتى بالموت في صورة كبش فيذبح بين الجنة والنار ، وينادى المتأذى يا أهل الجنة خلود بلاموت ويا أهل النار خلود بلاموت فعند ذلك يزداد أهل النار حسرة (٣٦) على حسرتهم وأهل الجنة فرحا على فرحهم» (قوله وهم في غفلة) الجملة حالية

وكذا قوله وهم لا يؤمنون وهذا الإنذار لكل مكلف وإنما خصه المفسر بأهل مكة لأنهم سبب نزولها والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله باهلاكم) أى فلا يبقى حتى سوى الله تعالى لما ورد «إن الله تعالى ينادى بعد انقراض الدنيا بأهلها لمن الملك اليوم ؟ فيجيب نفسه بقوله : لله الواحد القهار» (قوله وإلينا

فثمة عذاب (لِلَّذِينَ كَفَرُوا) بما ذكر وغيره (مِنْ مَّشْهَدٍ يَوْمٍ عَظِيمٍ) أى حضور يوم القيامة وأحواله (أَسْمِعْ بِهِمْ وَأَبْصِرْ) بهم صيغتا تعجب بمعنى ما أسمعهم وما أبصرهم (يَوْمَ يَأْتُونَنَا) في الآخرة (لَكِنَّ الظَّالِمُونَ) من إقامة الظاهر مقام الضمر (الْيَوْمَ) أى في الدنيا (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) أى بين به صموا عن سماع الحق وعموا عن إبصاره أى اعجب منهم يا مخاطب في سمعهم وإبصارهم في الآخرة بعد أن كانوا في الدنيا صما عميا (وَأَنْذِرْهُمْ) خوف يا محمد كفار مكة (يَوْمَ الْحُسْرَى) هو يوم القيامة يتحسر فيه السيء على ترك الاحسان في الدنيا (إِذْ قُضِيَ الْأَمْرُ) لهم فيه بالعذاب (وَهُمْ) في الدنيا (فِي غَفْلَةٍ) عنه (وَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) به (إِنَّا نَحْنُ) تأكيد (نَرِثُ الْأَرْضَ وَمَنْ عَلَيْهَا) من العقلاء وغيرهم باهلاكم (وَالْإِنِّ يَرْجِعُونَ) فيه للجزاء (وَأَذْكُرْ) لهم (فِي الْكِتَابِ إِبْرَاهِيمَ) أى خبره (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا) مبالغا في الصدق (نَبِيًّا) ويبدن من خبره (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ) آزر (يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة

ولا

يرجعون) أى يردون فيجازى كل أحد بما قدمه من خير وشر

(قوله واذكر في الكتاب إبراهيم) يحتمل أنه معطوف على قوله وأنذرهم يوم الحسرة ، والمعنى واذكر لأهل مكة قصة إبراهيم لعلمهم يعتبرون فيؤمنوا ويحتمل أنه معطوف على قوله واذكر في الكتاب مريم عطف قصة على قصة وهو الأقرب (قوله مبالغا في الصدق) أى في أقواله وأفعاله وأحواله (قوله نبيا) وصف خاص لأن كل نبى صديق ولا عكس وبين الولاية والصديقية عموم وخصوص مطلق أيضا فكل صديق ولى ولا عكس لأن الصديقية مرتبة تحت مرتبة النبوة (قوله ويبدل منه) أى بدل اشتغال وحينئذ فقوله إنه كان صديقا نبيا معترض بين البديل والمبدل منه (قوله لأبيه) قيل حقيقة وهو ما مشى عليه السيوطي في سورة الأنعام تبعا للمفسر هنا ولا يضرك كفر أصول الأنبياء فإن الله يخرج الحى من الميت ولا ينافيه قوله صلى الله عليه وسلم «مازلت أتقل من الأصلاب الطاهرة إلى الأرحام الفاخرة» لأن المعنى الطاهرة من سفاح الجاهلية وإن كانوا كفارا أو يقاتل إن آزر لم يتحقق كفره إلا بعد بثة إبراهيم وحينئذ فقد انتقل منه النور الحمدي إلى ولده وهو في حالة الفترة وقيل هو عمه واسم أبيه تارخ وصي أباه على عادة الأكابر من تسمية المأبأ وعليه فلا يرد الحديث للتقدموها قولان للمفسرين (قوله التاء عوض عن ياء الإضافة) أى فأصله أبى فيقال في إعراجه يا حرف نداء وأب منادى منصوب بفتحة مقترنة على ما قبل ياء التكلم منع من ظمها اشتغال الجمل بحركة النسابة والتاء عوض عن الياء .

(قوله ولا يجمع بينهما) أى فلا يقل يا أبى لأن فيه الجمع بين العوض والمعوذ ويقال يا أبنا لأن الألف فيه عوض عن الياء أيضا فبها جمع بين عوضين (قوله لم تعبد ما لا يسمع) أى لاى سبب تعبد ما لا يسمع فيه ولا بصير (قوله أو ضر) أى أه دفع ضر (قوله من العلم) أى العلم بالتوحيد والشرع (قوله فاتبعنى) أى امثل أمرى فيما أمرك به (قوله مستقيما) أى لا اعوجاج فيه (قوله بطاعتك إياه) أى فالمراد بعبادته امتثال أمره في عبادة الأصنام حيث حسناله بوسوسته (قوله عصيا) أى وطاعة العاصم عصيان (قوله إني أخف أن يمسك عذاب) أى في المستقبل إن لم يرجع وإيماعبر بالخوف لأنه لم يكن قاطعا بموته على الكفر بل كان مترجيا لإيمانه ، وقيل المراد بالخوف العلم والأقرب الأول لأنه لو علم عدم هدايته ما خاطبه بهذا الخطاب اللطيف (قوله ناصرا وقرينا) المناسب للاقتصار على تفسيره بالقرين لأنه بعد الذنوح في العذاب لا يتأتى معاونته ولا مناصرة (قوله أراغب) مبتدأ وأنت فاعل سدد مسد الخبر وسوؤه اعتاده على الاستفهام وهو أولى من جملة خبرا مقدما وأنت مبتدأ مؤخرا لأنه يلزم عليه الفصل بين العامل وهو أراغب وللعمول وهو عن آلهى بأجنبى وهو (٣٧) أنت لأن المبتدأ غير معمول

للخبر (قوله لئن لم تنته الخ) قابل التعطف واللطف في الخطاب بالفظافة والغلظة فناداه باسمه وصدر كلامه بالانكار وهدده بقوله لئن تنته لأرجنك .

وكل إناء بالذى فيه ينضح (قوله بالحجارة) أى حتى تموت أو تحلى سبيل (قوله أو بالكلام القبيح) أى الشتم والذم (قوله فاحذرنى) قدره إشارة إلى أن قوله واهجرنى معطوف على محذوف ليحصل التناسب بين المعطوف والمعطوف عليه فان جملة اهجرنى إنشائية

ولا يجمع بينهما وكان يعبد الأصنام (لَمْ تَعْبُدْ مَا لَا يَسْمَعُ وَلَا يُبْصِرُ وَلَا يُغْنِي عَنْكَ) لا يكفيك (شَيْئًا) من فزع أو ضر (يَا أَبَتِ إِنِّي قَدْ جَاءَنِي مِنَ الْعِلْمِ مَا لَمْ يَأْتِكَ فَاتَّبِعْنِي أَهْدِكَ صِرَاطًا) طريقًا (سَوِيًّا) مستقيما (يَا أَبَتِ لَا تَعْبُدِ الشَّيْطَانَ) بطاعتك إياه في عبادة الأصنام (إِنَّ الشَّيْطَانَ كَانَ لِلرَّحْمَنِ عَصِيًّا) كثير العصيان (يَا أَبَتِ إِنِّي أَخَافُ أَنْ يَمَسَّكَ عَذَابٌ مِنَ الرَّحْمَنِ) إن لم تتب (فَتَكُونَ لِلشَّيْطَانِ وَلِيًّا) ناصرا وقرينا في النار (قَالَ أَرَاغِبٌ أَنْتَ عَنْ آلِهَتِي يَا إِبْرَاهِيمُ) فتسببها (لَنْ لَمْ تَنْتَهُ) عن التعرض لها (لَأَرْجُنَّكَ) بالحجارة أو بالكلام القبيح فاحذرنى (وَاهْجُرْنِي مَلِيًّا) دهرًا طويلا (قَالَ سَلَامٌ عَلَيْكَ) منى أى لا أصيبك بمكروه (سَأَسْتَغْفِرُ لَكَ رَبِّي إِنَّهُ كَانَ بِي حَفِيًّا) من حفى أى بارا فيجيب دعائى وقد وفى بوعده المذكور في الشراء : واغفر لأبى ، وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله كما ذكره في براءة (وَأَعْتَزِّلُكُمْ وَمَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ وَأَدْعُو) أعبد (رَبِّي عَسَى أَنْ) (لَأَكُونَ بِدَعَاءِ رَبِّي) بعبادته (شَقِيًّا) كما شقيتم بعبادة الأصنام (فَلَمَّا اعْتَزَلْتُمُ) وَمَا يَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) بأن ذهب إلى الأرض المقدسة (وَهَبْنَا لَهُ) ابنين يأنس بهما (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ وَكُلًّا) منهما (جَعَلْنَا نَبِيًّا وَوَهَبْنَا لَهُمُ) للثلاثة (مِنْ رَحْمَتِنَا) المال والولد (وَجَعَلْنَا لَهُمْ لِسَانَ صِدْقٍ عَلِيًّا) رفيعا هو الثناء الحسن ،

وجملة لئن لم تنته الخ خبرية ولا يصح عطف الانشاء على الخبر (قوله مليا) إما منصوب على الظرفية وإليه يشير المفسر بقوله دهرًا طويلا أو على الحال من فاعل اهجرنى أى اعترلنى سالما لا يصيبك منى مضرة (قوله أى لا أصيبك بمكروه) أى فهو سلام متاركة ومقاطعة (قوله سأستغفر لك ربى) أى أطاب غفرانه لك للترتب على هدايتك وإسلامك (قوله حفيا) أى مبالغا في الإكرام واللفظ بى والاعتناء بشأنى ويطلق الحق على المستقصى في السؤال ومنه قوله تعالى - كأنك حفى عنها - (قوله وهذا قبل أن يتبين له أنه عدو لله) هذا جواب عما يقال كيف يجوز الاستغفار للكفار . فأجاب بأنه استغفر له قبل علمه أنه عدو لله فلما علم ذلك نبرأ منه ، وبهذا تعلم أنه يجوز الدعاء بالمغفرة للكافر إن قصد بها هدايته وإسلامه ، فان قطع بكفره فلا يجوز (قوله وأعزلكم) أى أرتحل من أرضكم وبلاذكم وقد فعل ذلك (قوله بأن ذهب) أى من بابل العراق إلى الأرض المقدسة (قوله يأنس بهما) استفيد منه أنه رأى يعقوب وهو كذلك لما تقدم أنه بشر بإسحق ومن وراء إسحق يعقوب وقد عاش إبراهيم مائة وخمسا وسبعين سنة وبينه وبين آدم ألفا سنة وبينه وبين نوح ألف سنة (قوله إسحق ويعقوب) خصهما لأنه سيذكر سمعيل بمزايا تخصه (قوله للثلاثة) أى إبراهيم وولديه (قوله المال والولد) أى قبسط لهم الدنيا ووسع لهم الأرزق

وأكثرهم الأولاد لجميع الأنبياء الذين جاءوا بعده من ذريته (قوله في بيع أهل الأديان) أي بكل أهل دين يفرضون عن إبراهيم وإسحق ويعقوب ويذكرونهم بغير إلى يوم القيامة (قوله وأذكر في الكتاب موسى) معطوف على قوله وأذكر في الكتاب مريم عطف فصلة على قصة . والحاصل أن الله تعالى ذكر في هذه السور أسماء عشرة من الأنبياء زكريا ويحيى وعيسى وإبراهيم وإسحق ويعقوب وإسماعيل وموسى وهرون وإدريس ، وذكر لكل أوصافا ومناقب يجب الإيمان بها تفسيها على عظيم شأنها وتعليلها للامة المحمدية ليقنعوا بهم ، وكذا يقال في جميع قصص الأنبياء المذكورة في القرآن (قوله بكسر اللام وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله من أخاص في عبادته) أي لم يلتفت لغير مولاه وهذا راجع لقراءة الكسر (قوله وأخلصه الله) أي صفاه ونقاه وهو راجع لقراءة الفتح فيكون لغاوتنا مراتبا ، فموسى عليه السلام صفاه مولاه واختاره لخدمته وعجبه فتسبب عن ذلك إخلاصه في عبادته (قوله وكان رسولا نبيا) أي ثبت واستقر أزلا في علمنا نبوته ورسالته وإلا فرسالته الخارج حين المناداة (قوله بقول يا موسى) أي في سورة القصص في قوله تعالى - فلما قضى موسى الأجل وسار بأهله - الآيات (قوله اسم جبل) هو معروف بين مدين ومصر (قوله الذي يلي يمين موسى) هذا صريح في أن المراد به الطور الذي عند بيت المقدس لا الطور الذي عند السويس لأنه على يسار التوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد والأعين صفة لاجانب بدليل تبعيته له في الاعراب في قوله (٣٨) تعالى - وواعدناكم جانب الطور الأيمن - والمعنى أنه سمع النداء في ذلك المكان

بجميع أجزائه من كل جهة (قوله وقربناء) أي تقريب شرف ومكانة لا مكان (قوله من كل جهة) أي بكل جارة (قوله بدل أو عطف بيان) أي وأخاه مفعول به وقوله من رحمتنا أي من أجل رحمتنا (قوله هي المقصودة بالهبة) جواب عما يقال ما معني هبته له مع كونه أسن منه والموهوب

في جميع أهل الأديان (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ مُوسَى إِنَّهُ كَانَ مُخْلَصًا) بكسر اللام وفتحها من أخلص في عبادته وأخلصه الله من الدنس (وَكَانَ رَسُولًا نَبِيًّا) ونَادَيْنَاهُ بقول : يا موسى إني أنا الله (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسم جبل (الْأَيْمَنِ) أي الذي يلي يمين موسى حين أقبل من مدين (وَقَرَّبْنَاهُ نَجِيًّا) مناجيا بأن أسمعه الله تعالى كلامه (وَوَهَبْنَا لَهُ مِنْ رَحْمَتِنَا) نعمتنا (أَخَاهُ هَارُونَ) بدل أو عطف بيان (نَبِيًّا) حال هي المقصودة بالهبة إجابة لسؤاله أن يرسل أخاه معه ، وكان أسن منه (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِسْمَاعِيلَ إِنَّهُ كَانَ صَادِقَ الْوَعْدِ) لم يعد شيئا إلا وفي به وانتظر من وعده ثلاثة أيام أو حولا حتى رجع إليه في مكانه (وَكَانَ رَسُولًا) إلى جرم (نَبِيًّا وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ) أي قومه (بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) أصله مرضووق قلبت الواو ان ياءين والضمزة كسرة (وَأَذْكُرُ فِي الْكِتَابِ إِدْرِيْسَ) ،

يكون متأخرا عن الموهوب له . فأجاب بأن المراد جعله نبيا يعينه

هو ويشد عضده (قوله إجابة لسؤاله) تعليل لقوله وهبنا حيث قال - واجعل لي وزيرا من أهلي - (قوله وكان أسن منه) أي بسنة وقيل بأربع سنين (قوله إسماعيل) أي ابن إبراهيم وكان من هاجر جارية سارة التي وهبها له فلما ولدت له إسماعيل نقلها إلى الحجاز قبل بناء البيت ، ففترق إسماعيل بين جرم العرب من اليمن فزوجوه منهم ، فلما كبر أرسله الله إليهم كما قال المفسر ثم تناسلت منه العرب الذين منهم رسول الله صلى الله عليه وسلم وكفاه بهذا غرا ، ولما كان أعظم مزية من أولاد إبراهيم أفردته بالذكر والثناء (قوله صادق الوعد) خص بهذا الوصف وإن كان موجودا في غيره من الأنبياء لأنه المشهور بين خصاله (قوله وانتظر من وعده) أي شخصا وعده إسماعيل وكان عليه إمرار الضمير لأن الصلة جرت على غير من هي له ، والمعنى أن إسماعيل وعد شخصا أن ينتظره في مكان ليذهب الرجل ويأتي له فكث ثلاثة أيام أحولا (قوله وكان رسولا) أي بشرية أبيه (قوله قلبت الواو ان الخ) أي فوقعت الواو الثانية منطرفة قلبت ياء فاجتمعت الواو والياء وسبقت إحداها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء ، وهذا الوصف جامع لكل خير لأن من كانت أفعاله مرضية لربه لا يصدر عنه إلا كل بر وإحسان ولا شك أن الأنبياء كذلك لأن الله أعلم حيث يجعل رسالته (قوله إدريس) هذا لقبه واسمه أخنوخ بن شيث بن آدم ، ولقب بذلك لأنه أول من درس الكتب ، لأن الله أنزل عليه ثلاثين صحيفة قيل هي التي نزلت على أبيه وقيل غيرها ، وهو أول من خفا بالقلم وخطب الثياب واتخذ السلاح وقاتل الكفار ونظر في علم النجوم والحساب

(قوله هو جسد أبي نوح) لأن نوحاً بن ملك ففتح اللام وسكون اليم ابن متوشاخ بن إدريس (قوله ورفعه مكالاً عليه)
 اختلف المفسرون في المكان العليّ ، فقيل المراد به المكان المعنوي وهو الرفعة وعلو المنزلة ، وقيل المراد به المكان الحسي ، وعليه
 فقيل هو السماء الرابعة ، وقيل الجنة . واختافوا في سبب رفعه ، فقيل إنه كان يرفع لإدريس كل يوم من العبادة مثل ما يرفع
 لجميع أهل الأرض في زمانه فنجب منه الملائكة واشتاق إليه ملك الموت فاستأذن ربه في زيارته فأذن له فأتاه في صورة
 بني آدم وكان إدريس يصوم الدهر فلما كان وقت إفطاره دعاه إلى طعامه فأبى أن يأكل معه ففعل ثلاث ليال فأنكره إدريس
 وقال له في الليلة الثالثة إنني أريد أن أعلم من أنت ؟ قال أنا ملك الموت استأذنت ربي أن أحبك فقال إدريس لي إليك حاجة
 قال ما هي ؟ قال تقبض روحي ، فأوحى الله إليه أن اقتبض روحه فتقبضها وردّها إليه في ساعة ، فقال له ملك الموت ما الفائدة
 في سؤالك قبض الروح ؟ قال لأذوق الموت وغمته فأكون أشد استعداداً ، ثم قال له إدريس إن لي إليك حاجة قال وما هي ؟
 قال ترفعي إلى السماء لأنظروا إليها وإلى الجنة والنار فأذن الله له فرفعه فلما قرب من النار قال لي إليك حاجة قال وما تريد ؟ قال
 تسأل مالكا حتى يفتح أبوابها ففعل ، فقال له كما أرى النار فأرني الجنة فذهب به إلى الجنة فاستفتح ففتح أبوابها فأدخله
 الجنة ثم قال له ملك الموت أخرج لتعود إلى مقرّك فتعاق بشجرة وقال ما أخرج منها فبعث الله ملكاً حكماً بينهما فقال له الملك
 مالك لا تخرج قال لأن الله تعالى قال : كل نفس ذائقة الموت وقد ذقته وقال : وإن منكم إلا واردها وقد وردتها وقال : وما هم
 منها بمخرجين ولست أخرج ، فأوحى الله إلى ملك الموت بأذني دخل (٣٩) الجنة وبأمرى لا يخرج منها فهو حيّ
 هناك . وقيل سببه أنه

نام ذات يوم فاشتد عليه
 حرّ الشمس فقال اللهم
 خفف عن ملك الشمس
 وأعنه فإنه يمارس ناراً
 حامية فأصبح ملك الشمس
 وقد نصب له كرسي من نور
 عنده سبعون ألف ملك
 عن يمينه ومثله عن
 يساره يخدمونه ويتولون

هو جسد أبي نوح (إِنَّهُ كَانَ صِدِّيقًا نَبِيًّا . وَرَفَعْنَاهُ مَكَانًا عَلِيًّا) هو حي في السماء الرابعة
 أو السادسة أو السابعة أو في الجنة أدخلها بعد أن أذيق الموت وأحيى ولم يخرج منها (أُولَئِكَ)
 مبتدأ (الَّذِينَ أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِمْ) صفة له (مِنَ النَّبِيِّينَ) بيان له وهو في معنى الصفة وما بعده
 إلى جملة الشرط صفة للنبيين ، فقوله (مِنْ ذُرِّيَّةِ آدَمَ) أي إدريس (وَمِنْ حَمَلْنَا مَعَ نُوحٍ)
 في السفينة أي إبراهيم ابن ابنه سام (وَمِنْ ذُرِّيَّةِ إِبْرَاهِيمَ) أي إسحاق وإسماعيل ويعقوب
 (وَ) من ذرية (إِسْرَائِيلَ) وهو يعقوب ، أي موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى ،

عمله من تحت حكمه فقال ملك الشمس يارب من أين لي هذا ؟ قال دعائك رجل من بني آدم يقال له إدريس فقال يارب اجعل
 بيني وبينه خلة فأذن له في ذلك فصار يتردد على إدريس ، فقال له إنك أكرم الملائكة عند ملك الموت فاشفع لي عنده ليؤخر أجلي
 فأؤدّد عبادة وشكراً ، فقال الملك لا يؤخر الله نفساً إذا جاء أجلها ، فرفعه في مكانه ثم أتى ملك الموت فقال له لي صديق من
 من بني آدم يتشفع بي إليك لتؤخر أجله فقال ليس ذلك إليّ ولكن إن أحييت أعلمته متى يموت فيقدم لنفسه ، قال نعم فنظر
 في ديوانه فقال إنك كلتنى في إنسان يموت الساعة عند مطلع الشمس قال إني أتيتك وزكته هناك فانطلق فوجده قد مات
 ثم أحياه الله فهو يرفع في الجنة تارة ويعبد الله مع الملائكة في السماء الرابعة تارة أخرى . قال العلماء : أربعة من الأنبياء أحياء
 اثنتان في الأرض وهما الخضر وإلياس واثنتان في السماء وهما عيسى وإدريس (قوله أولئك) اسم الإشارة عائداً على الأنبياء
 المذكورين في هذه السورة وهم عشرة أولهم زكريا وآخرهم إدريس كما تقدم (قوله صدقة له) أي لاسم الإشارة أي أولئك
 الموصوفون بأنعام الله عليهم ، وذلك أن الله لما وصف كلا من الأنبياء بأوصاف تخصه أولاً ذكر ثانياً لهم صفة نعمهم (قوله بيان
 لهم) أي لنعم عليهم (قوله أي إدريس) خبر للذرية أي إن إدريس من ذرية آدم لأنه تقدم أنه ابن شيث بن آدم (قوله
 ومن حملنا) أي ومن ذرية من حملنا (قوله أي إبراهيم) تفسير لبعض ذرية من حمل مع نوح لأن من حمل معه أولاده الثلاثة
 وإبراهيم من ذرية أحدهم وهو سام لكن بوسائط فإن بين إبراهيم ونوح عشرة قرون (قوله وعيسى) أي فأولاد البنات
 من الذرية . والحاصل أن من ذرية آدم لصلبه إدريس ومن ذرية نوح بوسائط إبراهيم ومن ذريته إسماعيل وإسحق
 ويعقوب ومن ذرية يعقوب موسى وهرون وزكريا ويحيى وعيسى .

(قوله ومن هدينا) عطف على من ذرية آدم زيادة في تعجيدهم (قوله خرّوا سجدا وبكيا) أى أن الأتقياء إذا سمعوا آيات الله التى خصهم بها من الكتب المنزلة عليهم سجدوا وبكوا خضوعا وخشوعا (قوله وبك) أى على غير قياس وقياسه بكاء كقاض وقضاة (قوله فكونوا مثلهم) أى فى السجود والخشوع والخصوع والبكاء عند تلاوة القرآن كما فى الحديث « اتلوا القرآن وابكوا فان لم تبكوا فتبكوا » (قوله فخلف من بعدهم) أى وجد من بعد النبيين (قوله خلف) هو بالسكون فى الشر والفتح فى الخير يقال خلف سوء وخلف صدق (قوله هو واد فى جهنم) أى تستمذ من حره أوديتها (قوله إلا من تاب) فتر المفسر لكن إشارة إلى أن الاستثناء منقطع لأن للسنتى المؤمنين والسنتى منه الكفار (قوله بدل من الجنة) قال بعضهم إنه بدل كل من بعض لأن الجنة بعض الجنات . ورد بأن آل فى الجنة جنسية فهو بدل كل من كل (قوله أى غائبين عنها) أى غير شاهدين لها لأن الوعد حاصل فى الدنيا ومن فيها لا يشاهد الجنة (قوله أى موعوده) أى الذى وعد به من الجنة وغيرها (قوله بمعنى آتيا) أى فاسم للفعول بمعنى اسم الفاعل (قوله أو موعوده الخ) أشار لتفسير آخر وعليه فاسم للفعول باق على ما هو عليه وحينئذ فيكون المراد (٤٠) بالموعد خصوص الجنة (قوله لنوا) هو الكلام الزائد المستغنى عنه

(قوله لكن يسمعون) سلما) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن السلام ليس من جنس اللغو (قوله وليس فى الجنة نهار ولا ليل) أى وإنما يعرفون الليل بارضاء الحجب وغلق الأبواب والنهار بفتحها ورفع الحجب كما روى وليس معرفة الليل الاستراحة فيه والنوم إذ لا نوم ولا تعب فيها بل ذلك على عادة الملوك فى الدنيا من تهية تحف فى الصباح والمساء ليم نظامهم (قوله تلك الجنة)

(وَمِنْ هَدَيْنَا وَاجْتَبَيْنَا) أى من جملتهم ، وخبر أولئك (إِذَا تَنَسَّلَ عَلَيْهِمْ آيَاتُ الرَّحْمَنِ خَرُّوا سُجَّدًا وَبُكِيًّا) جمع ساجد وبك أى فكونوا مثلهم وأصل بكى بكوى قلبت الواو ياء والضمه كسرة (فَخَلَفَ مِنْ بَدْهِمْ خَلْفٌ أَضَاعُوا الصَّلَاةَ) تركها كاليهود والنصارى (وَأَتَّبَعُوا الشَّهَوَاتِ) من الماعى (فَسَوْفَ يَلْقَوْنَ غَيًّا) هو واد فى جهنم أى يقعون فيه (إِلَّا) لكن (مَنْ تَابَ وَآمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ يَدْخُلُونَ الْجَنَّةَ وَلَا يُظْلَمُونَ) يتقصون (شَيْئًا) من ثوابهم (جَنَّاتٍ عَدْنٍ) إقامة بدل من الجنة (الَّتِي وَعَدَ الرَّحْمَنُ عِبَادَهُ بِالْغَيْبِ) حال أى غائبين عنها (إِنَّهُ كَانَ وَعْدُهُ) أى موعوده (مَأْتِيًّا) بمعنى آتيا وأصله مأتوى أو موعده هنا الجنة يأتية أهله (لَا يَسْمَعُونَ فِيهَا لَغْوًا) من الكلام (إِلَّا) لكن يسمعون (سَلَامًا) من الملائكة عليهم أو من بعضهم على بعض (وَلَهُمْ فِيهَا مَكْرَةٌ وَعَسَیَّا) أى على قدرها فى الدنيا وليس فى الجنة نهار ولا ليل بل ضوء ونور أبداً (تِلْكَ الْجَنَّةُ الَّتِي نُورِثُ) نعطى ونورل (مِنْ عِبَادِنَا مَنْ كَانَ تَقِيًّا) بطاعته ، ونزل لما تأخر الوحي أياها وقال النبي صلى الله عليه وسلم لجبريل : ما يمنحك أن تزورنا ،

أكثر

اسم الإشارة عائد على الجنة فى قوله : فأولئك يدخلون الجنة ولا يظلمون شيئا

وأتى باسم الإشارة البعيد إشارة لعل ترتبها ورفع منزلتها (قوله نورث من عبادنا) عبر بالميراث إشارة إلى أنهم يعطونها عطاء لا يرد ولا يبطل كالميراث (قوله من كان تقيا) أى سعيدا وهو من مات على كلمة الاخلاص ولومصرا على الكبائر فقال له الجنة وإن أدخل النار وعذب فيها بقدر جرمه لأن الجنة جعلت مسكنا للموحدين والنار جعلت مسكنا للشركين ، ويشهد لهذا المعنى قوله تعالى فى سورة فاطر - ثم أوردنا الكتاب الذين اصطفينا من عبادنا فهم ظالم لنفسه - إلى أن قال - جنات عدن يدخلونها - وقوله صلى الله عليه وسلم « من مات لا يشرك بالله شيئا دخل الجنة وإن زنى وإن سرق وإن شرب الخمر » ولكن الجنة مراتب ودرجات على حسب التفاوت فى الأعمال الصالحة (قوله بطاعته) أى ولو بمجرد الاسلام (قوله ونزل لما تأخر الوحي) أى حين سأله اليهود عن الروح وأصحاب الكهف وذى القرنين فقال أخبركم غدا ولم يقل إن شاء الله فتأخر جبريل حتى شق على النبي صلى الله عليه وسلم ثم نزل بعد أربعين يوما ، وقيل خمسة عشر ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم أبطأت على حتى صافى واشتقت إليك فقال له جبريل إني كنت أشوق ولكم عهد مأمور إذا بعثت نزلت وإذا حبست احتبست .

(قوله أكثر مما تزورنا) هذا صواب من رسول الله لجبريل كأنه قال له إن شئت إليك في ازدياد فكان الرجاء فيك الزيادة لا المجر (قوله وما تنزل إلا بأمر ربك) هذا على لسان جبريل أمره الله تعالى بذلك اعتذارا لرسول الله صلى الله عليه وسلم وجوابا لسؤاله للذكور والنزول شيئا فشيئا (قوله من أمور الآخرة) بيان لما ويصح أن يحمل قوله ما بين أيدينا على ما يأتي ، وقوله وما خلفنا على ما سبق ، وقوله وما بين ذلك على الحالة الراهنة (قوله له علم ذلك جميعه) أى تفصيلا ، وأما علم بعضه إجمالا فيكون لبعض الحوادث كالأنبياء والأولياء بالهام من الله تعالى ومع ذلك فيكتمونه ولا يفشون منه إلا ما أذن لهم فيه ، إذا علمت ذلك فالتشقق بالتجروء على الغيبات من الضلال اللين لأنه لو استند لقواعد فهمي كاذبة ولو صادفت الحق بمصدق قوله صلى الله عليه وسلم « كذب النجمون ولو صدقوا » وإن استند لكشف فصا له لا يطلع إلا على بعض جزئيات ومع ذلك هو مأمور بكتمتها لأن الله قال لنبيه على لسان جبريل - له ما بين أيدينا وما خلفنا وما بين ذلك - فكيف يفرضه من آحاد الخلق (قوله أى تارك لك) أى إن عدم التنزل لحكمة يعلمها الله لا تركا لك وهجرانا ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - ما ودعك ربك وما قلى - (قوله هو) قدره إشارة إلى أن رب خبر المحذوف (قوله فاعبده) أى دم على عبادته ولا تحزن (٤١) بإبطاء الوحي واستهزاء

الكفارة (قوله أى مسمى بذلك) أى بلفظ الجلالة أو رب السموات والأرض وقيل معنى سميا مثلا يستحق أن يسمى إلها واحدا يسمى بالله فإن المشركين وإن سماوا الصم إلها لم يسموه الله قط لظهور أحديته وأنه رب السموات والأرض وما بينهما قال تعالى - ولئن سألتهم من خلقهم ليقولن الله - وقد ورد أن امرأة سميت ولها الله فزلت عليه نار فأحرقته - (قوله المنكر للبعث) أشار بذلك إلى أن المراد بالإنسان

أكثر مما تزورنا (وَمَا تَنْزَلُ إِلَّا بِأَمْرِ رَبِّكَ لَهُ مَا بَيْنَ أَيْدِينَا) أى أمامنا من أمور الآخرة (وَمَا خَلَفْنَا) من أمور الدنيا (وَمَا بَيْنَ ذَلِكَ) أى ما يكون من هذا الوقت إلى قيام الساعة أى له علم ذلك جميعه (وَمَا كَانَ رَبُّكَ نَسِيًّا) بمعنى ناسيا أى تاركاً لك بتأخير الوحي عنك ، هو (رَبُّ) مالك (السموات والأرض وما بينهما قَاعْبُدْهُ وَاصْطَبِرْ لِعِبَادَتِهِ) أى اصبر عليها (هَلْ تَعْلَمُ لَهُ سَمِيًّا) أى مسمى بذلك ؟ لا (وَيَقُولُ الْإِنْسَانُ) المنكر للبعث أبى بن خلف أو الوليد بن المغيرة النازل فيه الآية (أَوَدَا) بتحقيق الممزة الثانية ونسبها وإدخال ألف بينها بوجهها وبين الأخرى (مَا مَثُ لَسَوْفَ أُخْرَجُ حَيًّا) من القبر كما يقول محمد فالاستفهام بمعنى النفي أى لا أحيأ بعد الموت وما زائدة للتأكيد وكذا اللام ورده عليه بقوله تعالى (أَوَلَا يَذْكُرُ الْإِنْسَانُ) أصله يتذكر أبداً التاء ذالا وأدغمت في الذال وفي قراءة تركها وسكون الذال وضم الكاف (أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ قَبْلُ وَلَمْ يَكُ شَيْئًا) فيستدل بالابتداء على الإعادة (فَوَرَبُّكَ لَنَخْشُرَنَّهِنَّ) أى المنكرين للبعث (وَالشَّيَاطِينَ) أى نجيع كلا منهم وشيطانه في سلسلة (ثُمَّ لَنُخْضِرَّنَّهُمْ حَوْلَ جَهَنَّمَ) من خارجها (جُثِيًّا) على الركب جمع جاث وأصله جنود أو جنوى من جثا يجثو أو يجثو لثتان (ثُمَّ لَنَنْزِعَنَّ مِنْ كُلِّ شِيعَةٍ) فرقة منهم (أَئِمْهُمْ

خصوص الكافر المنكر للبعث (قوله أو الوليد) أو لتوزيع الخلاف في المراد بالإنسان الذى قال تلك المقالة وفي الحقيقة كل من الشخصين قد قالها (قوله أئذا) منصوبة بقوله أخرج حيا ، ولا يقال إن ما بعد اللام لا يصل فيها قبلها لأن ذاك في لام الابتداء وأما هذه فهي زائدة كما قال المفسر (قوله وإدخال ألف بينها) أى الثانية وقوله وبين الأخرى : أى الأولى ، وكان المناسب أن يقول وتركه فتكون القراءات أربعة وهي سبعيات (قوله أولاد يذكروا) الاستفهام لتوبيخ (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله من قبل) أى من قبل بعثه (قوله فيستدل بالابتداء على الإعادة) أى لأنها أهون . قال تعالى - وهو الذى يبدأ الخلق ثم يعيده وهو أهون عليه - (قوله فوربك) أضاف اسمه تعالى إليه صلى الله عليه وسلم تشريفا وتعظيما (قوله لنخضرهم حول جهنم جثيا) أى وهو الموقف (قوله وأصله جنود) أى بواوين قلب الثانية ياء تنطرفها فاجتمعت مع الواو الساكنة قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء وطى كل كسرت التاء تصح الياء (قوله ثم لنزعن من كل شيعة) أى من كل أمة (قوله أبهم) موصولة بمعنى الذى نبئت على الضم لاضافتها وحذف صدر صلتها وقوله أشد خبر المحذوف والجملة صلتها هي وصلتها في محل نصب مفعول لتزعن وعنتها تميز مفعول

عن البتة المحذوف : أى هتوه أهدء ، والمعنى أنه يميز طوائف الكفار فيطرح الأعمى فالأعمى على العريب لأن عذاب الضال الضال يكون فوق عذاب من يصل تبعاً لغيره وليس عذاب من يجرّد ويتجبر كعذاب اللقذ (قوله صلياً) بضم الصاد وكسرها قرأتان سبعيتان جمع صال كخنيا جمع جاث (قوله فنبدأ بهم) أى بالذين هم أولى بها (قوله من صلى بكسر اللام) أى كرضى ، وقوله وفتحها : أى كرمى (قوله وإن منكم إلا واردة) أى مسلماً أو كافراً . والحاصل أنه اختلف للفسرون في الراد بالورود فقيل الدخول ، وقيل الحضور معها في الوقف والذي عول عليه الأشياخ أن الراد به المرور على الصراط وهو على ظهرها أحد من السيف وأرق من التصره ويتسع للمؤمن بقدر عمله ومن هنا تقول النار للمؤمن جز يأمؤمن فقد أطفأ نورك لهي وهم في المرور مختلفون لما في الحديث « يرد الناس النار ثم يصرون عنها بأعمالهم فأولهم كلح البصر ثم كالرج ثم كعدو الفرس ثم كالراكب المجد ثم كشد الرجل في مشيه » (قوله أى داخل جهنم) أى وتكون على المؤمنين ولومات أو عصاة غير من تحقق فيهم الوعيد برداً وسلاماً لدخولهم فيها وهي خامدة فلا يشعرون بها (قوله كان) أى الورد (قوله حتماً مقضياً) أى بمقتضى حكمته لا بإيجاب عليه (قوله ثم نتجى الذين اتقوا) أى نخرجهم (٤٢) منها من غير أن يحسم عذابها وهم من لم ينفذ فيهم الوعيد أو بعد العذاب وهم من نفذ فيهم الوعيد (قوله ونذر الظالمين) أى تركهم فيها على سبيل الخلود ، وقوله جنباً حال من الظالمين (قوله وإذا تتلى عليهم الح) أى حين نزلت على النبي صلى الله عليه وسلم آيات القرآن وتلاها على المؤمنين والكافرين وهجروا عن معارضتها أخذ أغنياء الكفار في الافتخار على فقراء المؤمنين بمالهم من حظوظ الدنيا حيث قالوا لهم انظروا إلى منازلنا فتروها أحسن من منازلكم وإلى مجالسنا فتروها أحسن من مجالسكم

أَشَدُّ عَلَى الرَّحْمَنِ عُتِيًّا) جرأة (ثُمَّ لَنَحْنُ أَعْلَمُ بِالَّذِينَ هُمْ أَوْلَى بِهَا) أحق بحبهم الأشد وغيره منهم (صُلِيًّا) دخولا واحترقا فنبدأ بهم وأصله صلوى من صلى بكسر اللام وفتحها (وَإِنْ) أى ما (مِنْكُمْ) أحد (إِلَّا وَارِدُهَا) أى داخل جهنم (كَانَ عَلَى رَبِّكَ حَتْمًا مَقْضِيًّا) حتمه وقضى به لا يتركه (ثُمَّ نُنَجِّي) مشدداً وخففاً (الَّذِينَ آمَنُوا) الشرك والكفر منهما (وَنَذَرُ الظَّالِمِينَ) بالشرك والكفر (فِيهَا جُثِيًّا) على الركب (وَإِذَا تَتْلَى عَلَيْهِمْ) أى المؤمنين والكافرين (آيَاتُنَا) من القرآن (بَيِّنَاتٍ) واضحات حال (قَالِ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا) أى القريبين (نحن وأتم) خيراً مقاماً منزلاً ومسكناً بالفتح من قام وبالضم من أقام (وَأَخْسَنُ نَدِيًّا) بمعنى النادى وهو مجتمع القوم يتعدون فيه يعنون نحن فنكون خيراً منكم قال تعالى (وَكَمْ) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية (هُمْ أَخْسَنُ أَثَانًا) مالا ومتاعاً (وَرَبًّا) منظراً من الرؤية فكما أهلكناهم لكفرهم نهلك هؤلاء (قُلْ مَنْ كَانَ فِي الضَّلَالَةِ) شرط جوابه (فَلْيَمْدُدْ) بمعنى الخبر أى يمد (لَهُ الرَّحْمَنُ مَدًّا) في الدنيا يستدرجه (حَتَّى إِذَا رَأَوْا مَا يُوعَدُونَ إِمَّا الْعَذَابَ) كالقتل والأسر (وَإِمَّا السَّاعَةَ) المشتعلة على جهنم فيدخلونها ،

(فيسجلون)

نجلس في صدر المجلس وتجلسون في طرفه الحقير ، فإذا كان ذلك لنا في الدنيا

فنحن عند الله خير منكم ولو كنتم على خير لا كرمكم كما أكرمنا وقصدم بذلك فتنة فقراء المؤمنين بزينة الدنيا . قال تعالى - وإن كل ذلك لما متاع الحياة الدنيا والآخرة عند ربك للثقين - (قوله قال الذين كفروا) أى أغنيائهم (قوله للذين آمنوا) أى الفقراء منهم (قوله نحن وأتم) بيان للفريقين (قوله بالفتح وبالضم) أى فهما قراءتان سبعيتان فالفتح على أنه من قام ثلاثياً والضم على أنه من أقام رباعياً وكل يحتمل أن يكون اسم مكان أو اسم مصدر (قوله قال تعالى) أى رداً عليهم (قوله هم أحسن) مبتدأ وخبره والجملة صفة لقرن وأثانا وربنا (قوله وربنا) أى مربياً كالذبح بمعنى الذبوح ، وقوله منظراً : أى هيئة وصورة (قوله قل) أى للكفار المفتخرين على فقراء المؤمنين (قوله في الضلالة) أى الكفر والنفقة عن عواقب الأمور (قوله بمعنى الخبر) أى وآتى به على صورة الأمر إعلاماً بأنه يحصل ولا بد بمقتضى حكمته كأنه ألزم نفسه بذلك (قوله أى يمد له الرحمن) إيماء ذكر الرحمن إشارة إلى أن رحمته سبقت غضبه (قوله يستدرجه) أى بأن يطيل عمره ويكثر ماله ويمكنه من التصرف فيه (قوله حتى إذا رآوا ما يوعدون) غاية في قوله - فليمد له الرحمن - (قوله وإما الساعة) إما حرف تفصيل وهي مانعة خلواً تجوز الجمع

والعذاب والساعة بدلان من ماء ، والنعى يستمرون في الطغيان إلى أن يعلموا إذا رأوا العذاب أو الساعة من هوشر مكانا وأضعف جندا (قوله فسيعلمون) جواب إذا ، وقوله - من هوشر مكانا - راجع لقوله - خير مقاما - وقوله - وأضعف جندا - راجع لقوله وأحسن ندبا - على طريق اللف والنشر للترتب (قوله أم أم المؤمنين) أشار بذلك إلى أن من استفهامية ويصح كونها موصولة مفعول يعملون (قوله عليهم) متعلق بجندا لتضمينه معنى العاوين وذلك كإوقع لهم في بدر فالكفار كان جندهم إبليس وأعوانه جاءوا إليهم ليعينوهم ثم اتخذوا عنهم ، والمؤمنون كان جندهم الملائكة التي قاتلت معهم كما تقدم في الأنفال وآل عمران (قوله ويزيد الله) هذه الجملة مستأنفة أو عطوفة على جملة الشرط المحكية بالقول كأنه قال قل لهم من كان في الضلالة الخ وقل لهم يزد الله الذين اهتدوا الخ (قوله بما ينزل عليهم من الآيات) أي فكلما نزلت عليهم آية من القرآن ازدادوا بها هدى وإيمانا . قال تعالى - وإذا نلت عليهم آياته زادتهم إيمانا - (قوله هي الطاعة) تقدم أن هذا أحد تفاسير في الباقيات الصالحات وهو الأحسن (قوله خير عند ربك) أي من زينة الدنيا التي ينتم بها الكفار (قوله بخلاف أعمال الكفار) أي فأنها شر مردا لكونهم يردون إلى جهنم ، فتحصل أن الأعمال كلها باقية لأصحابها فالمؤمنون تبقى لهم الأعمال الصالحة فينتقمون بها في الجنة والكفار تبقى لهم الأعمال السيئة فيعذبون بها في النار فالعقل يختار لنفسه أي العملين يبقى له (قوله (٤٣) والخبرية الخ) أي فأفضل التفضيل ذكر على سبيل المشاكلة

للكلام السابق فاندفع ما يقال إن أعمال الكفار لا خير فيها أصلا فكيف تصح المفاضلة (قوله أفرأيت الذي كفر بآياتنا) الاستفهام تعجبي : أي تعجب يا محمد من مقالة هذا الكافر الشنيعة (قوله العاص بن وائل) هو أبو سيدنا عمرو الذي فتح مصر في خلافة عمر بن الخطاب رضى الله عنهما وهو والد عبد الله أحد

(فَسَيَعْلَمُونَ مَنْ هُوَ شَرٌّ مَكَانًا وَأَضْعَفُ جُنْدًا) أحوالنا أم أم المؤمنين وجندهم الشياطين وجند المؤمنين عليهم الملائكة (وَيَزِيدُ اللَّهُ الَّذِينَ اهْتَدَوْا) بالإيمان (هُدًى) بما ينزل عليهم من الآيات (وَالْبَاقِيَاتُ الصَّالِحَاتُ) هي الطاعات تبقى لأصحابها (خَيْرٌ عِنْدَ رَبِّكَ ثَوَابًا وَخَيْرٌ مَرَدًّا) أي ما يرد إليه ويرجع بخلاف أعمال الكفار ، والخبرية هنا في مقابلة قولهم : أي الفريقين خير مقاما (أَفَرَأَيْتَ الَّذِي كَفَرَ بِآيَاتِنَا) العاصي بن وائل (وَقَالَ) لخباب بن الأرت القاتل له تبعث بعد الموت والطلب له بمال (لَا وَتَيْنَ) على تقدير البعث (مَالًا وَلَدًا) فأقضيك قال تعالى (أَطْلَعَ الْغَيْبِ) أي أعلمه وأن يؤتى ما قاله واستغنى بهمة الاستفهام عن همزة الوصل حذفت (أَمْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) بأن يؤتى ما قاله (كَلَّا) أي لا يؤتى ذلك (سَنَكْتُبُ) نأمر بكتب (مَا يَقُولُ) ونمذ له من العذاب مددا (يزيده بذلك عذابا فوق عذاب كفره (وَرَوَّاهُ مَا يَقُولُ) من المال والولد (وَيَأْتِينَا) يوم القيامة ،

العبادة المشهورة (قوله لخباب بن الأرت) هو بدرى من فقراء الصحابة ، وذلك أن خبابا كان صائغا فصاغ للعاصي حليا ثم طالبه بأجره ، فقال له لن أقضيك حتى تكفر بمحمد ، فقال خباب لن أكفر به حتى تموت ثم تبعث . قال وإني لمبعوث من بعد الموت فسوف أعطيك إذا رجعت إلى مال وولد (قوله واستغنى بهمة الاستفهام الخ) أي فأضله أطلع حذفت همزة الوصل تخفيفا (قوله كلا) ذكر النحويون في هذه اللفظة ستة مذاهب : أحسنها أنها حرف ردع وزجر . والثاني أنها حرف تصديق بمعنى نعم . الثالث أنها بمعنى حقا . الرابع أنها رد لما قبلها . الخامس أنها صلة في الكلام بمعنى أي . السادس أنها حرف استفتاح ، وذكر في القرآن في ثلاثة وثلاثين موضعا وكلها في النصف الثاني منه في خمس عشرة سورة كلها مكية ترجع إلى ثلاثة أقسام قسم يجوز الوقف عليها وعلى ما قبلها فينتهأ بها وذلك في خمسة مواضع اللتان في هذه السورة واللتان في الشعراء وواحدة في صبا ، وقسم اختلف فيه هل يجوز الوقف عليها أو يتعين على ما قبلها ، وذلك في تسعة مواضع واحدة في المؤمنين واثنان في سائل سائل الأولى والثالثة في اللدث الأولى في سورة القيامة والثانية في سورة ويل للطافين والأولى في سورة النجم والتي في سورة ويل لكل ، وقسم لا يجوز الوقف عليها باتفاق وهو التسع عشرة الباقية (قوله سنكتب ما يقول) أي نظيره له ونعلمه أنا كتبناه فاندفع ما يقال إن الكتابة لا تأخر عن القول . قال تعالى - ما يلفظ من قول إلا لديه رقيب عتيد (قوله يزيده بذلك عذابا الخ) أي لما تقدم أن كل من كان أشد كفرا كان أعظم عذابا (قوله وثره ما يقول) أي نسلبه وناخذ منه بأن يخرج من الدنيا خاليا من ذلك .

(قوله فردا) أى منقطعا عن ماله وولده بالكفاية فلا يلقى مالا ولا ولدا أصلا لافى البعث ولا فى حشر لا يقطع الأسباب بينهم وبين أولادهم بل وبين ما يشتهون كما قال تعالى : وحيل بينهم وبين ما يشتهون . وأما للمؤمنون وإن كانوا يبعثون فرادى إلا أنهم يلاقون أحبائهم وأولادهم وما يشتهونه (قوله واتخذوا) حكاية عما وقع من الكفار عموما (قوله الأوثان) هو مفعول أول وآلهة مفعول ثان (قوله سيكفرون الخ) فى معنى التلليل (قوله ضدا) أى أضدادا وإعما أفردة إما لكونه مصدرا فى الأصل أولآته مفرد فى معنى الجمع (قوله على الكافرين) أى وأما المؤمنون فليس للشياطين عليهم سبيل قال تعالى : إن عبادى ليس لك عليهم سلطان (قوله تهيجهم إلى المعاصي) أى تغريهم بتزيين الشهوات لهم (قوله أزا) مفعول مطلق لتؤزتهم ، والأز يطلق على الغليان وعلى الحركة الشديدة وعلى التهيج والإزعاج وهو المراد هنا (قوله فلا تعجل عليهم) أى لتسترع أنت والمؤمنون من شرهم ونظير الأرض من فسادهم لأن لهم أياما معصورة وأنفاسا معدودة يعيشونها ثم يردون إلى عذاب النار (قوله إنما نعد لهم عدا) أى نضبط ما يقع منهم ولا نهمل منه شيئا ليؤاخذوا به (قوله أو الأنفاس) تفسير ثان (قوله إلى وقت عذابهم) أى وهو موتهم لأن يومهم يصير قبورهم حفرة من حفر النار فيعذبون فيها إلى قيام الساعة فيقذفون فى النار (قوله يوم نحشر) ظرف معمول لمخدوف قدره المفسر بقوله اذ كر أى اذ كر يا محمد لقومك هذا اليوم العظيم فانه يوم الفصل بين أهل الجنة وأهل النار (قوله بمعنى راكب) هذا المعنى (٤٤) ليس مأخوذا من معنى الوفد لأن الوفد فى اللغة الجماعة الذين يقدمون

على الملوك للعطايا من غير تقييد بركوب بل هو مأخوذ من قرينة مدح المتقين لما ورد : أنهم يحشرون ركبا على نجائب مرجها من ياقوت وعلى نوق رحالها من ذهب . وأزمتها من زبرجد . واختلف فى وقت ركوبهم ف قيل من أول خروجهم من القبور ، وقيل من المنصرفهم من الموقف

(فَرَدًا) لا مال له ولا ولد (وَاتَّخَذُوا) أى كفار مكة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) الأوثان (آلِهَةً) يعبدونهم (لِيَكُونُوا لَهُمْ عِزًّا) شفعاء عند الله بأن لا يعذبوا (كَلَّا) أى لمانع من عذابهم (سَيَكْفُرُونَ) أى الآلهة (بِعِيَادِهِمْ) أى ينفونها كما فى آية أخرى : ما كانوا إيانا يعبدون (وَيَكُونُونَ عَلَيْهِمْ ضِدًّا) أحوانا وأعداء (أَلَمْ تَرَ أَنَا أَرْسَلْنَا الشَّيَاطِينَ) سلطانهم (عَلَى الْكَافِرِينَ تَوَزُّؤُهُمْ) تهيجهم إلى المعاصي (أَزَا . فَلَا تَعْجَلْ عَلَيْهِمْ) بطلب العذاب (إِنَّمَا نَعُدُّ لَهُمْ) الأيام والليالى أو الأنفاس (عَدًّا) إلى وقت عذابهم ، اذ كر (يَوْمَ نَحْشُرُ الْمُتَيْنِ) بإيمانهم (إِلَى الرَّحْمَنِ وَقَدًّا) جمع وافد بمعنى راكب (وَنَسُوقُ الْمُجْرِمِينَ) بكفرهم (إِلَى جَهَنَّمَ وَرِذًّا) جمع وارد بمعنى ماش عطشان (لَا يَمْلِكُونَ) أى الناس (الشَّفَاعَةَ إِلَّا مَنْ اتَّخَذَ عِنْدَ الرَّحْمَنِ عَهْدًا) أى شهادة أن لا إله إلا الله ،

ولا

وطى كل فيستمرون راكبين حتى يقرعوا باب الجنة ، وجمع بأنهم يركبون من أول خروجهم

من القبور حتى يأتوا الموقف ثم بعد انقضاء الموقف يركبون حتى يدخلوا الجنة . وعن ابن عباس من كان يحب ركوب الخيل وفد إلى الله تعالى على خيل لاتروث ولا تبول لجلها من الياقوت الأحمر ومن الزبرجد الأخضر ومن الفس الأبيض وسرجها السندس والإستبرق ، ومن كان يحب ركوب الإبل فعلى نجائب لاتبعر ولا تبول أزمتها من الياقوت والزبرجد ، ومن كان يحب ركوب السفن فعلى سفن من زبرجد وياقوت قد أمنوا الفرق وأمنوا الأهوال . وورد أيضا « يحشر الناس يوم القيامة على ثلاث طرائق راغبين وراغبين واثنان على بعير وثلاثة على بعير وأربعة على بعير وعشرة على بعير » (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن المراد بالمجرمين الكفار (قوله وردا) أى مشاة عطاشا قد تقطعت أعناقهم من العطش ومع ذلك يعملون أوزارهم على ظهورهم لما ورد « أن المؤمن إذا خرج من قبره استقبله عمله فى أحسن صورة وأطيب ريح فيقول هل تعرفنى ؟ فيقول لا فيقول أنا عملك الصالح طالما ركبتك وأتبعك فى الدنيا اركبنى اليوم ، وأن الكافر يستقبله عمله فى أقبح صورة وأنتها ربحا فيقول هل تعرفنى فيقول لا فيقول أنا عملك السيئ طالما ركبتنى وأتبعك فى الدنيا وأنا اليوم أركبك قال تعالى : وهم يعملون أوزارهم على ظهورهم » (قوله لا يملكون) أى الخلق عموما مؤمنهم وكافرهم وقوله الشفاعة أى كونه يشفع لغيره أو يشفع غيره فيه (قوله إلا من اتخذ) مستثنى من العموم للتقدم وهو متصل (قوله عند الرحمن) ككرر لفظ الرحمن فى هذه السورة ست عشرة مرة إشارة إلى أن رحمته غلبت غضبه (قوله أى شهادة أن لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله صلى الله عليه وسلم .

(قوله ولا حول ولا قوة إلا بالله) في رواية : والتبرى من الحول والقوة لله وعدم رجاء غيره (قوله ومن زعم أن الملائكة بنات الله) أى وهم مشركو العرب وهذا رجوع لذكر قبائح الكفار إثر بيان عاقبتهم وعاقبة المؤمنين (قوله قال تعالى) أى تقرىبا وتوبيخا (قوله منكرا عظيما) أى فظيما شديدا (قوله تكاد السموات الخ) هذا بيان لكون ذلك الشيء منكرا عظيما (قوله ينفطرن) أى يفتقن ويقطعن (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا وظاهره أن القراءات أربع وليس كذلك بل هي ثلاث فقط لأن في قراءة التاء من تكاد وجهين التاء والنون من ينفطرن وفي قراءة الباء وجهها واحدا وهو التاء من ينفطرن واثنان سبعيات (قوله وتنشق الأرض) أى تنخسف بهم (قوله من أجل أن دعوا للرحمن ولدا) المعنى أن هذه المقالة منهم ، وجبة للغضب عليهم الذى ينشأ عنه نزول السماء قطعا قطعا عليهم وخسف الأرض بهم وسقوط الجبال عليهم لولا حلمه وسبق رحمته ، والمعنى أن هذه المقالة من عظمها وشناعتها تفرع منها السموات والأرض والجبال وتفتى أنها لو أهلكت من نفقه بها لولا رحمة الله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم (قوله وما ينبئني) (٤٥) للرحمن) أى لا يليق به ذلك

ولا يتأتى لاستحالة عليه عقلا وقتلا لأن الولد علامة الضعف والحدوث (قوله لقد أحصاهم) أى أحاط بهم علمه (قوله وعدهم عدا) أى عدا أشخاصهم وأنفسهم وأقبا لهم فلا يخفى عليه شيء من أمورهم (قوله مبلغ جميعهم) راجع لقوله وعدهم وقوله ولا واحد منهم راجع لقوله وأحصاهم فكانه قال أحاط بهم علمه جمعا وفردا (قوله فردا) أى منفردا (قوله سيجعل لهم الرحمن ودا) أى فى الدنيا والآخرة

ولا حول ولا قوة إلا بالله (وَقَالُوا) أى اليهود والنصارى ومن زعم أن الملائكة بنات الله (اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) قال تعالى لهم (لَقَدْ جِئْتُمْ شَيْئًا إِذَا) أى منكرا عظيما (نَكَادُ) بالتاء والياء (السَّمَوَاتُ يَنْفَطِرُنَ) بالنون وفي قراءة بالتاء وتشديد الطاء بالانشقاق (مِنْهُ وَتَنْشَقُّ الْأَرْضُ وَتَخِرُّ الْجِبَالُ هَذَا) أى تنطبق عليهم من أجل (أَنْ دَعَوْا لِلرَّحْمَنِ وَلَدًا) قال تعالى (وَمَا يَنْبَغِي لِلرَّحْمَنِ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) أى ما يليق به ذلك (إِنْ) أى ما (كُلُّ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ إِلَّا آتَى الرَّحْمَنِ عَبْدًا) ذليلا خاضعا يوم القيامة منهم عزير وعيسى (لَقَدْ أَحْصَاهُمْ وَعَدَّهُمْ عَدًّا) فلا يخفى عليه مبلغ جميعهم ولا واحد منهم (وَكُلُّهُمْ آتِيهِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فَرْدًا) بلا مال ولا نصير يمنعه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ سَيَجْعَلُ لَهُمُ الرَّحْمَنُ وُدًّا) فيما بينهم يتوادون ويتحابون ويحبهم الله تعالى (فَإِنَّمَا يَسْمُرُ نَاهُ) أى القرآن (بِلِسَانِكَ) العربى (لِنُبَشِّرَ بِهِ الْمُتَّقِينَ) الفاترين بالإيمان (وَتُنذِرَ) تخوف (بِهِ قَوْمًا لُدًّا) جمع ألد أى جدل بالباطل وهم كفار مكة (وَكَمْ) أى كثيرا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ) أى أمة من الأمم الماضية بتكذيبهم الرسل (هَلْ تُحِسُّ) تجد (مِنْهُمْ مِنْ أَحَدٍ أَوْ تَسْمَعُ لَهُمْ رِكْزًا) صوتا خفيا ؟ لا ، فكما أهلكنا أولئك نهلك هؤلاء .

والتنوين للتعظيم أى ودا عظيما فكما عظمت طاعاتهم عظم ودعهم لربهم ولأحبابه وعبر بالرحمن لعظم تلك النعمة فإن المحبة رأس الإيمان وأساسه لما فى الحديث « ألا لإيمان لمن لأحبة له » فمن أعطى المحبة لله ولأحبابه فقد أعطى خير الدنيا والآخرة لأن المحبة حكمة إيجاد الخلق لما فى الحديث القدسي « فأحييت أن أعرف غفلت الخلق في عرفوني » وبالجملة فالحبة أمرها عظيم ولها كان تنافس العارفين فيها كبيرا ، فكل من عظمت معرفته ازداد محبة وشغفا ، وعبر بأداة الاستقبال لأن المؤمنين كانوا بمكة فى مبدأ الاسلام مفرقين فوعد الله رسوله بأن يؤلف بين قلوب المؤمنين ويضع فيها المحبة فهذه الآية نزلت فى مبدأ الاسلام نسلية له صلى الله عليه وسلم ، وودا بضم الواو للسبعة وقرئ بفتحها وكسرهما فهو مثلث (قوله فأنما يسمرناه) أى أنزلناه مبسرا (قوله العربى) أى فالمراد باللسان اللغة العربية (قوله جمع ألد) أى شديد الخصومة (قوله وكما أهلكنا الخ) تخويف لهم ونساية له صلى الله عليه وسلم (قوله هل تحس) بضم التاء وكسر الحاء من أحسن رباعيا والاستفهام إنكارى كما أشار إليه بقوله لا وقرئ شذوذا بفتح التاء وضم الحاء أو كسرهما (قوله منهم) حال من أحد لأنه نفى نكرة قدم عليها (قوله صوتا خفيا) أى والمعنى استأصلناهم بالهلاك جميعا حتى لا يرى منهم أحد ولا يسمع لهم صوت خفى

[سورة طه مكية] أى كلها وقيل إلا قاصراً على ما يقولون الآية وهذه السورة نزلت قبل إسلام هرون الخياط رضى الله عنه وكانت سبباً فيه (قوله أو أربعون الخ) أى فالخلاف فى سبع آيات أو خمس (قوله الله أعلم بمراده بذلك) أشار بذلك إلى أن طه حروف مقطعة استأثر الله بعلمها ، وقيل إن طه اسم من أسماء رسول الله صلى الله عليه وسلم حذف منه حرف النداء ، وقيل إنه فعل أمر وأصله طأها ، ولغى طاء الأرض بقدملك معا خوطب به لما كان يشدد على نفسه في تهجده حيث كان يقوم الليل كله ويقف على إحدى رجليه ويرجى الأخرى من شدة التعب فأمره الله بالتخفيف على نفسه ، فكان يصلى وينام ويقوم على رجليه معا (قوله من طول قيامك) بيان لما ، وقيل إن معنى لتشتقى لتتعب نفسك بتأسفك على كفر من كفر ، فأما عليك البلاغ فأمر نفسك من هذا التعب فإنا أنزلنا القرآن لمن يذكر ويخشى ، وقيل إنه رد وتكذيب للكفرة حيث قالوا لما رأوا كثرة عبادته وتهجداته إنك لتشتقى بترك ديننا وإن القرآن أنزل عليك لتشتقى به (قوله لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع لأن التذكرة ليست من جنس الشقاء (قوله تذكرة) مفعول لأجله ولتشتقى كذلك وإنما نصب الثانى دون الأول لأن فاعل الذكرى والانزال هو الله (٤٦) بخلاف الأول (قوله لمن يخشى) أى لمن فى قلبه رقة يتأثر بالمواعظ

(قوله بدل من اللفظ) أى عوض من التلفظ والنطق بفعله المقدر والأصل نزلناه تنزيلاً خفيف الفعل وجوباً لنياحة المصدر عنه فى المعنى والعمل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن الرحمن خبر لمحذوف وحينئذ فيكون نعتاً مقطوعاً قصد به المدح (قوله سرير الملك) أى الذى يجلس عليه الملك قال تعالى فى حق بلقيس: قال نكروا لها عرشها (قوله استواء يليق به) هذه طريقة السلف الذين

(سورة طه مكية)

مائة وخمس وثلاثون آية أو أربعون أو اثنتان

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طه) الله أعلم بمراده بذلك (مَا أَنزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) يا محمد (لَتَشْتَقِيَ) لتتعب بما فعلت بعد نزوله من طول قيامك بصلاة الليل ، أى خفف عن نفسك (إِلَّا) لكن أنزلناه (تَذْكِرَةً) به (لِمَن يَخْشَى) يخاف الله (تَنْزِيلًا) بدل من اللفظ بفعله الناصب له (يَمَن خَلَقَ الْأَرْضَ وَالسَّمَوَاتِ الْعُلَى) جمع عليا ككبرى وكبر ، هو (الرَّحْمَنُ عَلَى الْعَرْشِ) وهو فى اللغة سرير الملك (اسْتَوَى) استواء يليق به (لَهُ مَا فِى السَّمَوَاتِ وَمَا فِى الْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) من المخلوقات (وَمَا تَحْتَ الثَّرَى) هو التراب الندى ، والمراد الأرضيون السبع لأنها تحته (وَأَن تَجْهَرُ بِالْقَوْلِ) فى ذكر أو دعاء فإله غنى عن الجهر به (فَإِنَّهُ يَعْلَمُ السِّرَّ وَأَخْفَى) منه ، أى ما حدثت به النفس وما خطر ولم تحدث به ،

فلا

يفوضون علم المشابه لله تعالى ومن ذلك جواب الامام مالك رضى الله عنه

عن معنى الاستواء على العرش فى حقه تعالى حيث قال للسائل : الاستواء معلوم والكيف مجهول والإيمان به واجب والسؤال عنه بدعة أخرجوا عنى هذا المبتدع . وأما الخلف وهم من بعد الخمائة فيؤولونه بمعنى صحيح لائق به سبحانه وتعالى فيقولون إن المراد بالاستواء الاستيلاء بالتصرف والقهر فالاستواء له معنيان الركوب والجلوس والاستيلاء بالقهر والتصرف وكلا المعنيين وارد فى اللغة يقال استوى السلطان على الكرمى بمعنى جلس واستوى على الاقطار بمعنى ملك وقهر ، ومن الثانى قول الشاعر : قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مهوراق وحينئذ فالمتعين إطلاقة عليه تعالى بهذا المعنى هو الثانى (قوله من المخلوقات) بيان للثلاثة (قوله هو التراب الندى) أى الذى فيه نداوة فإن لم يكن ندياً فهو تراب ولا يقال له ثرى (قوله وإن تجهر بالقول) المقصود منه النهى عن الجهر لغير أمر شرعى كأنه يقول إن الله غنى عن الجهر فلا تجهد نفسك به فالجهر بالدكر أو الدعاء أو القراءة بقصد إسماع الله تعالى إما جهل أو كفر وأما لفرض آخر كإرشاد العباد وحضور القاب ودفع الشواغل والوسوسة فهو مطلوب (قوله فإله غنى الخ) ندره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف وقوله فإنه يعلم السراج تعليل لذلك المحذوف (قوله وأخفى) هو أفضل تفضيل أى والذى هو أخفى من السر (قوله أى ما حدثت به النفس الخ) هذا أحد أقوال فى تفسير السر وأخفى ، وقال ابن عباس : السر ما أمره ابن آدم

في نفسه وأخفى ما أخفى على ابن آدم مما هو قاعله وهو لا يعلمه فآله يعلم ذلك كله وعلمه فيما مضى من ذلك وما يستقبل علم واحد وجميع الخلائق في علمه كنفس واحدة (قوله فلا تجهد) بفتح التاء والماء أو ضم التاء وكسر الميم من جهد وأجهد : أى لا تتعب نفسك بالجهد بقصد إسماع الله تعالى ، وهذا نهى له صلى الله عليه وسلم والمراد به غيره (قوله والحسن مؤث الأحسن) أى فهمي أدم تفضيل يوصف بها الواحد من الثؤث والجمع من المذكر غير العاقل كآهنا (قوله وهل أذاك حديث موسى) الاستفهام للتشويق والتقرير في ذهن السامع والجملة مستأنفة خطاب لسيدنا محمد صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له إنا نرساناك بالتوحيد ولا غرابة في ذلك فإنه أمر مستمر فيما بين الأنبياء كآرا عن كابر ، وقد خوطب به موسى حيث قيل له : إني أنا الله لا إله إلا أنا فاعبدني ، وبه ختم موسى مقالته حيث قال : إنما إلهكم الله الذي لا اله إلا هو فالمقصود من الاستفهام تشويق السامع ليتلقى ماذا كر بتطلع والتفات وحضور قلب للاحقيقته فإنه مستحيل عليه تعالى أو أن هل بمعنى قد كما قال المفسر (قوله إذا رأى نارا) ظرف لحديث (قوله امرأته) أى وهى بنت شبيب واسمها صفورا وقيل صفورا واسم أختها ليا ، وقيل شرفا وقيل عبدا واختلاف في التي تزوجها فقيل هي الصغرى ، وقيل الكبرى وتقدم ذلك (قوله امكنوا) إنما أتى بجمع الذكور وإن كان الخطاب لامرأته تعظيما وأمرعاة لمن معها من الخدم والأولاد (قوله وذلك في مسيره الخ) روى أنه عليه السلام استأذن شعيبا عليه السلام في الخروج إلى أمه وأخيه بمصر فخرج بأهله وأخذ على (٤٧) غير الطريق مخافة من ملوك الشام فلما وافى وادى طوى

وهو بالجانب الغربي من الطور الذي هو بفلسطين لأنه هو الذي على يمين للتوجه من مدين وقيل هو الذي بين مصر وأيلة ورد بأنه على يسار التوجه من مدين إلى مصر كما هو مشاهد وقد قال تعالى وناديناه من جانب الطور الأيمن ولد له ولد في ليلة مظلمة شاتية باودة وكانت ليلة الجمعة وقد

فلا تجهد نفسك بالجهد (الله لا إله إلا هو الأسماء الحسنى) التسمية والتسمون الوارد بها الحديث والحسن مؤث الأحسن (وهل) قد (أتيتك حديث موسى . إذ رأى نارا فقال لأهله) لامرأته (أمكنوا) هنا وذلك في مسيره من مدين طالبا مصر (إني آتيت) أبصرت (نارا على آتيتكم منها يقبس) شعلة في رأس فتيلة أو عود (أو أجد على النار هدى) أى هاديا يهديني على الطريق وكان أخطأها لظلمة الليل ، وقال : لعل لعدم الجزم بوفاء الوعد (فلما أتيتها) وهى شجرة عوسج (نودى يا موسى إني) بكسر الهمزة بتأويل نودى بقيل وبفتحها بتقدير الباء (أنا) تأكيد لياء التكلم (ربك) فاخلع نعليك إنيك بالوادي المقدس (المظهر أو المبارك طوى) بدل أو عطف بيان بالتثوين وتركه مصروف باعتبار المكان وغير مصروف للتأنيث باعتبار البقعة مع العلمية ،

أخطأ الطريق وتفرقت ماشيته ولما عنده وقده زنده فلم يخرج نارا فبينما هو في ذلك إذ رأى عن يسار الطريق من جانب الطور نارا فأمر أهله بالمسك لئلا يقبعوه فيما عزم عليه من الذهاب إلى النار كاهو المعتاد لا لئلا يقتلوا إلى موضع آخر فإنه مما لا يخطر بالبال ، فلما وصل إلى تلك النار التي أبصرها خاطبه الله وأرسله إلى فرعون وخلف أهله في الموضع الذي تركهم فيه فلم يزالوا مقيمين فيه حتى مر بهم راع من أهل مدين ففرهم فحملهم إلى شعيب فمكنوا عنده حتى جاوز موسى يفي إسرائيل البحر وغرق فرعون وقومه فبعثهم شعيب إلى موسى بمصر (قوله إني آتيت) من الإناس وهو الابصار ومنه إنسان العين لأنه يبصر الأشياء (قوله أو أجد على النار هدى) أو مائة خلوت تجوز الجمع على بمعنى عند أى عند النار (قوله وكان أخطأها) أى لأنه سار على غير الطريق مخافة من ملوك الشام (قوله لعدم الجزم بوفاء الوعد) لأنه لا يدري ما يفعل الله به (قوله فلما أتتها) أى النار التي آتتها (قوله وهى شجرة عوسج) هذا أحد أقوال فيها وقيل عليق وقيل غناب (قوله نودى يا موسى إني أنا ربك) هذا أول للكلمة بينه وبين الله تعالى وآخرها قوله فيما يأتى أن العذاب على من كذب وتولى ، وهذا بالنسبة لهذه الواقعة وإلا فله مكالمات أخرى ومع الكلام بكل أجزائه من جميع جهاته حتى إن كل جارحة منه كانت أذنا (قوله فاخلع نعليك) أى تواضعا لله ومن ثم كان الساف يطوفون بالكعبة حفاة وقيل أمر بخلعها لتجاستها لأنها كانا من جلد حموريت لم يدبغ ، روى أنه خلعها وألقاها خلف الوادى (قوله بالتثوين وتركه) هما قراءتان سبعيتان .

(قوله وأنا اخترتك) أى للنبوّة والرسالة وكان عمره إذ ذلك أربعين سنة كما سيأتى عند قوله تعالى ثم جئت على قدر يا موسى : (قوله إني أنا الله) بدل مما يوحى وهو إشارة للعقائد العقلية وقوله : فأعبدنى إشارة للأعمال الفرعية ، وقوله إن الساعة آتية إشارة للعقائد السمعية فقد اشتمل ذلك على جملة الدين (قوله وأقم الصلاة) خصها بالذكر وإن كانت داخلة في جملة العبادات لعظم شأنها واحتوائها على الله كروشن القلب واللسان والجوارح فهى أفضل أركان الدين بعد التوحيد (قوله لذكركى فيها) أى لتذكركى فيها لأنها مشتملة على كل ما غيره من أنواع الذكر (قوله إن الساعة آتية) أى حاصلة ولا بد وسميت ساعة لأنها تأتى في ساعة أى قطعة من الزمان (قوله أكاد أخفيها) أى أريد إخفاء وقتها ، والحكمة في إخفاء وقتها وإخفاء الموت أن الله تعالى حكم بعدم قبول التوبة عند قربها وفي الغرغرة فلا عرف الخلق وقتها لاشتغالوا بالمعاصى إلى قرب ذلك الوقت ثم يتوبون فيخلصون من عقاب للعصية فتعريف وقتها كالإغراء بفعل المعاصى (قوله بعلاماتها) أى أماراتها وأول العلامات الصغرى بمئة رسول الله صلى الله عليه وسلم وآخرها ظهور المهدي (قوله لتجزي) إما متعلق بأخفيها أو بآتية وقوله أكاد أخفيها جملة معترضة بين المتعلق والتعلق (قوله بما تسمى) ماموصولة وجملة تسمى صلتها والعائد محذوف قدره المفسر بقوله به وقوله من خير وشر بيان لما (قوله فلا يصدك) الخطاب لموسى ، والمراد غيره والفعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة (قوله فتردى) منصوب بفتحة (٤٨) مقدرة على الألف بأن مضمرة بعد فاء السبية في جواب النهى (قوله

وماتلك يمينك يا موسى) أى بعد أن خلق عليه خلعة النبوّة والرسالة بسط له الكلام ليزداد حبا وشغفا ويؤيده بالمعجزات الباهرة وما اسم استفهام مبتدأ وتلك اسم إشارة خبر وقوله يمينك متعلق بمحذوف حال والعامل فيه معنى الإشارة وهذا أحسن من جعل تلك اسما موصولا بمعنى التي ويمينك صلتها لأنه ليس مذهب

(وَأَنَا اخْتَرْتُكَ) من قومك (فَاسْتَمِعْ لِمَا يُوحَى) إليك منى (إِنِّي أَنَا اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَأَعْبُدْنِي وَأَقِمِ الصَّلَاةَ لِذِكْرِي) فيها (إِنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ أَكَادُ أُخْفِيهَا) عن الناس ويظهر لهم قربها بعلاماتها (لِتَجْزَى) فيها (كُلُّ نَفْسٍ بِمَا تَسْمَى) به من خير أو شر (فَلَا يَصُدُّكَ) يصرفك (عَنْهَا) أى عن الإيمان بها (مَنْ لَا يُؤْمِنُ بِهَا وَاتَّبَعَ هَوَاهُ) في إنكارها (فَتَرْدَى) أى قهلك إن انصدت عنها (وَمَا تَلَكَ) كائنه (بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى) الاستفهام للتقرير ليرتب عليه المعجزة فيها (قَالَ هِيَ عَصَايَ أَتَوَكَّأُ) أعتمد (عَلَيْهَا) عند الثوب والشي (وَأَهْشُ) أخبط ورق الشجر (بِهَا) ليستط (فَلْيَ غَنِي) فتأكله (وَلِي فِيهَا مَا رُبُّ) جمع مأرب مثلث الراء أى حوائج (أُخْرَى) كحمل الزاد والسقاء وطرد الهوام ، زاد في الجواب بيان حاجاته بها (قَالَ أَلْقَاهَا يَا مُوسَى) فَأَلْقَاهَا فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ (ثَعْبَانٌ عَظِيمٌ تَسْعَى) تمشى على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الصغير ،

السمى

البصريين (قوله الاستفهام للتقرير) أى فحكمة الاستفهام

يكون موسى يقر ويعترف بصفات تلك العصا فيمنحه فوق ما يعلم منها ، وليس المراد حقيقة الاستفهام الذى هو طلب الفهم فانه مستحيل عليه تعالى لعلها بها (قوله قال هي عصاى) أى وكانت من آس الجنة نزل بها آدم منها ثم ورثها شعيب فلما زوجه ابنته أمرها أن تعطيه عصا يدفع بها السباع عن غنمه وكانت عصى الأنبياء عنده فوق في يدها عصا آدم فأخذها موسى بعلم شعيب ، وإنما زاد في الجواب لأن المقام مقام مياسطة ، وخطاب الحبيب ولا شك أن الزيادة في الجواب في هذا المقام مما يريح الفؤاد وإلا فكان يكفيه أن يقول هي عصاى (قوله عند الثوب) أى النهوض للقيام (قوله وأهش) يضم الهاء من هش بهش بمعنى خبط الشجر ليستط ورقه ، وأما هش بهش بكسر الهاء فيقال على اللين والاسترخاء وسرعة الكسر والبشاشة (قوله ولي فيها ما ربُّ) أجمل في هذا الجواب إباحية من الله تعالى لطول الكلام أو تسكالا على علمه تعالى (قوله كحمل الزاد) أشار بالسكاف إلى أن لها منافع أخرى فكان يستقى بها الماء من البئر فيجعلها موضع الحبل وكل شعبة من شعبتها تصير دلوًا ممتلئا وكانت تماشيه وتحادثه وكان يضرب بها الأرض فيخرج له ما يأكله يومه ويركزها فيخرج الماء فإذا رفعها ذهب الماء وكان إذا اشتوى ثمرة ركزها فنصن غصنين فصارت شجرة وأورقت وأثمرت وكانت شعبتها ضيآن بالليل كالسراج وإذا ظهر له عدو كانت تحارب (قوله فألقاها) أى طرحها على الأرض (قوله فإذا هي حية تسمى) عبر عنها بالحية وفي آية أخرى ثعبان

وفي أخرى : يا كالجآن وجهه الجمع ما أشار له للفسر بقوله تمشى على بطنها سريعا كسرعة الثعبان الخ . والحاصل أن تسميتها حية باعتبار كونها ثعبانا عظيما وجانا باعتبار مشيها (قوله المسمى بالجآن) أى وهو الثعبان الصغير . وأما الجآن فهو النوع المعروف (قوله قال خذها ولا تخف) إنما حصل له الخوف لأن صورتها هائلة فشعبتها صارتا شديقتين لها والمجن عنقها وعيناها تتقدبان نارا تمر بالشجرة العظيمة قتلتهما وتقطع الشجرة العظيمة بأنيابها . يسمع لأنيابها صوت عظيم فظن أنها سطوة من الله عليه فولى مدبرا ولم يعقب فلما قال الله له خذها لا تخف تبين له أنها نعمة لا نعمة (قوله فأدخل يده) أى مكشوفة ، وقيل كان عليه مدرعة صوف فلما قال الله له خذها لك كم المدرعة على يده فأمره الله أن يكشف يده وقال أرايت لو أذن الله لها أن كانت المدرعة تفتى عنك شيئا قال لا ولكنى ضعيف من الضعف خلقت فكشف عن يده ثم وضعها في فم الحية (قوله وتبين) هو فعل ماض وقاعله ضمير يعود على موسى أى عم (قوله أن موضع الخ) في محل المفعول به (قوله موضع مسكها) أى الانكاء عليها ، والمعنى أنه لما وضع يده في فمها وانقلبت عصا ويده بحالها رأى محل يده هو ما بين الشعبتين فالشعبتان صارتا شديقتين وصار ما تحتها وهو محل مسكها بيده عنقا لها (قوله ورأى ذلك) أى بصر الله موسى قلبها حية في ذلك الوقت لئلا يجزع الخ (قوله لدى فرعون) أى عنده (قوله بمعنى الكف) أى لاجمعى حقيقة وهى من الأصابع إلى النكس (٤٩) (قوله تحت العضد) بيان للراد من الجنب وقوله إلى الابط أى من المرفق منتهيا إلى الابط (قوله من الأدمة) أى السرة (قوله من غير سوء) متعلق بتخرج وهذا يسمى عند أهل البيان احتراسا وهو أن يؤتى بشئ يرفع ثوب غير اراد لأن البياض قد يراد به البرص والبهق (قوله تضىء كشعاع الشمس) أى فكان إذا أدخل يده اليمنى في جيبه وأدخلها تحت إبطه الأيسر وأخرجها كان لها نور ساطع

المسمى بالجآن المعبر به فيها في آية أخرى (قَالَ خُذْهَا وَلَا تَخَفْ) منها (سَمِعَ يَدَهَا سِيرَتَهَا) منصوب بنزع الخافض أى إلى حالتها (الْأُولَى) فأدخل يده في فمها فمادت عصا وتبين أن موضع الإدخال موضع مسكها بين شعبتيها وأرى ذلك السيد موسى لئلا يجزع إذا انقلبت حية لدى فرعون (وَأَضْمَمَ يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (إِلَى جَنَاحِكَ) أى حبك الأيسر تحت العضد إلى الإبط وأخرجها (تَخْرُجُ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (بَيَضاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى برص تضىء كشعاع الشمس تضىء البصر (آيَةٌ أُخْرَى) وهى وبيضاء حالان من ضمير تخرج (لَتُرِيَنَّكَ) بها إذا فعلت ذلك لإظهارها (مِنْ آيَاتِنَا) الآية (الْكُبْرَى) أى العظمى على رسالتك وإذا أراد عودها إلى حالتها الأولى ضمها إلى جناحه كما تقدم وأخرجها (أَذْهَبَ) رسولا (إِلَى فِرْعَوْنَ) ومن معه (إِنَّهُ طَغَى) جاوز الحد في كفره إلى ادعاء الإلهية (قَالَ رَبِّ اشْرَحْ لِي صَدْرِي) وسعه لتحمل الرسالة (وَيَسِّرْ) سهل (لِي أَمْرِي) لأبقتها (وَأَخْلَلْ عَقْدَةً مِنْ لِسَانِي) حدثت من احتراقه ،

بضىء بالليل والنهار كضوء الشمس واتمم واحد ضوءا ثم إذا ردتها إلى جيبه صارت إلى لونها الأول (قوله الآية الكبرى) قدره إشارة إلى أن الكبرى صفة لمحذوف مفعول ثان لقوله لتريك والكاف مفعول أول والكبرى اسم تفضيل ، والمعنى الذى هو أكبر من غيرها حتى من الصلوات لم تعارض أصلا ، وأما الصلوة فقد عارضها السحرة (قوله اذهب إلى فرعون) أى بهاتين الآيتين وهما الصلوة واليد . روى أن الله تعالى قال لموسى عليه السلام : اسمع كلامى واحفظ وصيقي وانطلق برسالتى فانك بعينى وصيى وإن ملك يدي ونصرى وإنى ألبسك جبة من سلطانى تستكمل بها القوة فى أمرك أبشرك إلى خلق ضعيف من خلقى بطر نعمتى وأمن مكرى وغرته الدنيا حتى جحد حتى وأنكر بوييقى ، أقسم بعزتى لولا الحجة التى وضعت بينى وبين خلقى لبطشت به بنشة جبار ولكن هان على وسقط من عينى ، فبلغه رسالتى وادعه إلى عبادتى وحذره نعتى وقل له قولنا لينا لا يفتقر لبئس الدنيا فإن ناصيته بيدي لا يطرף ولا يتنفس إلا بملئى ، فسكت موسى سبعة أيام لا يتكلم ثم جاءه الملك فقال له أجب ربك فيما أمرك ، ففند ذلك قال رب اشرح لى صدرى الخ (قوله وسعه لتحمل الرسالة) أى فانك كلفتنى بأمر عظيم لا يقوى عليه إلا من شرحت صدره وقويته (قوله وأخلل عقدة من لسانى) أى لكنته حاصلة فيه وقد أجيب بحلها فعاد لنصاحته الأصلية وهذا هو الأحسن ، وقيل زال بعضها بدليل قوله تعالى : [٧ - صلوى - ثالث]

- هو أنصح ، نى لسانا - وقول فرعون - ولا يكاد يبين - ورد بأن معنى هو أنصح أنه لم يطرأ عليه لكثرة وقول فرعون باعتبار ما يسهده منه (قوله بجمرة وضعها الخ) أى وذلك أن موسى لاعبه فرعون ذات يوم ففتفت لحيته ولطمه على وجهه فاغتم وهم بقتله فقالت له زوجته آسية بنت مزاحم مثل هذا الغلام لا ينعم منه لأنه لا يفرق بين التمرة والجمرة فأتى له بطست فيه تمر ، وقيل جوهر و بطست ، آخر فيه جمر فأراد أن يأخذ التمرة أو الجوهرة فأخذ جبريل بيده ووضعها على الجمر فأخذ جمرة ووضعها على فيه فاحترق لسانه وصار فيه لكثرة (قوله يفقهوا قولى) مجزوم فى جواب الدعاء (قوله وزيرا) من الوزر وهو الثقل مى بذلك لأنه يتحمل مشاق الملك ويعينه على أموره ويقوم بها (قوله مفعول ثان) أى والأول وزيرا والأحسن عكسه بأن يجعل وزيرا مفعولا ثانيا مقدما وهرون مفعولا أول مؤخرا لأن القاعدة إذا اجتمع معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو المعرفة لأن أصله الابتداء والنكرة المفعول الثانى لأن أصله الخبر ووزيرا نكرة وهرون معرفة ونكرة يجعل المفعول الأول هو الأمر والمضارع الخ) حاصل ما هنا أن القراآت السبعية خمس اثنتان عند الوقف على ياء أخى وهما قراءة الفعلين بصيغى فتضم الهمزة فى الأول وتفتح فى الثانى ، والمضارع تفتح فى الأول وتضم فى الثانى وثلاثة عند وصل أخى بما بعده وهى أن تسكن الياء معدودة قدر ألفين مع قراءة الفعلين بالمضارع أو فتحها والفعلان بالأمر أو تحذفها وهما بالأمر أيضا (قوله وهو جواب الطلب) أى وهو اجعل لى (قوله كى نسبحك كثيرا) تمثيل اسكل من الأفعال الثلاثة التى هى اجعل واشدد وأشرك (قوله قال قد أوتيت) أى جوابا لمطلوباته (٥٠) وقوله سؤلوك أى مسئولك ففعل بمعنى مفعول كأكل وخبز بمعنى مأكول

وعجوز (قوله ياموسى)
خاطبه بأبىه إشعارا
بمحبة وتعظيم شأنه
ورفعة قدره عليه السلام
(قوله منا عليك) أى
تفضلا حاصلًا عليك
وقدره دخولا على ما بعده
(قوله ولقد مننا عليك)
استئناف مسوق لزيادة
العلم بأنيسة لموسى كأن

بجمرة وضعها فيه وهو صغير (يفقهوا) يفهموا (قولى) عند تبليغ الرسالة (وأجئل لى وزيرا)
معينا عليها (من أهلى هرون) مفعول ثان (أخى) عطف بيان (اشدد به أزرى) ظهري
(وأشركه فى أخرى) أى الرسالة والفعلان بصيغى الأمر والمضارع المجزوم وهو جواب الطلب
(كى نسبحك) تسبيحا (كثيرا . ونذرك) ذكرا (كثيرا . إنك كنت نبأ بصيرا)
علما فانمت بالرسالة (قال قد أوتيت سؤلوك ياموسى) منّا عليك (ولقد مننا عليك مرة
أخرى . إذ) للتعليل (أوحينا إلى أمك) مناما أو الهاما لما ولدتك وخافت أن يقتلك
فرعون فى جملة من يولد .

(ما)

الله يقول له إنا قد مننا عليك بمن سابقه من غير دعاء منك ولا طلب

فلأن إعطيك ما نطلبه بالأولى ، وصدر الجملة بالقسم زيادة فى الاعتناء بشأنه (قوله مرة أخرى) تأييد آخر بمعنى غير أى تحققت منظر عليك مرة أخرى غير المنة التى تحققت لك بسؤالك ، والمراد بالمنة الجنس الصادق بالمنن الكثيرة (قوله للتعليل) أى لقوله مننا ، والمعنى لأننا أوحينا إلى أمك الخ ويصح أن تكون للظرفية ، والمعنى ولقد مننا عليك وقت إحنائنا إلى أمك الخ . وحاصل ما ذكره من المنن من غير سؤال ثمانية . الأولى قوله إذ أوحينا . الثانية قوله وألقيت عليك . الثالثة قوله : ولتضع على عيني . الرابعة قوله : فرجعناك إلى أمك . الخامسة قوله : وقتلت نفسا . السادسة قوله : وقتلنا . السابعة قوله : فلبثت سنين . الثامنة قوله : واصطنعتك لنفسى (قوله إلى أمك) أى واسمها يوحناذ بياض مضمومة فواو ساكنة بعدها حاء مهملة فالف فتون مكسورة فذال معجمة (قوله مناما أو الهاما) أى أو بظنة ولا ينافيه كونها ليست نبية فإن المخصوص بالأنبياء الوحي بالشرائع والتكاليف وأما الوحي بغير الشرع فإلزام حق للنساء كما وقع لمريم أم عيسى (قوله ما ولدتك) أى فى السنة التى رتب فرعون أتباعه للنج كل من يولد من الدكور فى تلك السنة ، وذلك أن فرعون رأى رؤيا هالته فقضاهى السكينة فميرت له ولود يكون زوال ما سكه على يديه فأمر أتباعه بأن يذبحوا كل من يولد من الدكور حتى شق الأمر فأبقى القتل فى سنة ورفع فى سنة فصادف ولادة موسى عليه السلام فى السنة التى فيها القتل ، فلما ولد جاء أتباع فرعون يقتلون على الولود فوضعت أمه فى التنور لجاءت أخته وأوقدته ففتشوا عليه فلم يجدوه ، فخرجوا من عندها فنظرت إلى التنور فوجدته موقدا فخافت عليه فناداها من التنور فأخرجته سالما فأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه فى الهم ، فأخذت صدوقا وجعلت فيه قطنا ووضعته فيه

ثم طأت رأس التابوت بالقار وألقته في اليم ، فتوجه البحر حتى أدخله في نهر كائن في بستان فرعون وكان فرعون جالساً مع آسية روجته فأمر به فأخرج ففتح فإذا هو صبي أحسن الناس وجهاً فأحبه عدو الله حباً شديداً حتى إنه لم يقدر على بعده عنه ، وذلك قوله تعالى - وألقيته عليك محبة منى - (قوله ما يوحى) أهمهم للتعظيم كقوله تعالى - فضربهم من اليم ما غشيهم - (قوله في أمرك) أى شأئك (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله أى شاطئه) المراد قربه لأن الصندوق أخذ من نفس البحر قريباً من البر (قوله والأمر بمعنى الخبر) أى وحكمة العدول عنه أنه لما كان إلقاء البحر إياه بالساحل أمراً واجب الحصول لتعلق الإرادة به نزل البحر منزلة شخص مطيع أمره الله بأمر لا يستطيع مخالفته (قوله وألقيت عليك محبة منى) يحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة صادرة منى بأن أحبيتك فتسبب عن محبي محبة الناس لك ، ويحتمل أن المعنى ألقيت عليك محبة خلقتها في قلوب الناس لك فأحبوك ، والأول أحسن لعدم الكلفة فيه (قوله ولتضع) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله لتحب من الناس (قوله تربي على رعايتي الخ) أى فالعين هنا بمعنى الرعاية والحفظ مجازاً مرسلًا من إطلاق السبب وهو نظر العين على السبب وهو الحفظ والرعاية ، لأن شأن من ينظر للشيء بعينه أن يحفظه ويرعاه (قوله أختك مريم) أى وكانت شقيقته وهى غير أم عيسى (قوله لتعرف خبرك) أى فوجدتك في يد فرعون (٥١) فدلهم على أمك حيث قالت

هل أدلكم الخ (قوله وأنت لا تقبل الخ) أى لحكمة عظيمة وهى وقوعك في يد أمك لأنك لورضت غيرها لاستغفوا عن أمك (قوله على من يكفله) أى يكمل رضاعه ، وقد أرضعته أمه قيل ثلاثة أشهر وقيل أربعة (قوله فرجعناك) معطوف على محذوف قدره المفسر بقوله فأجيبت الخ (قوله كي تفر عيناها) أى تسكن وتبرد دمة حزنها (قوله ولا تحزن حينئذ) أى حين

(مَا يُوحَى) في أمرك ويبدل منه (أَنْ أَقْدِفِيهِ) ألقيه (فِي التَّابُوتِ فَأَقْدِفِيهِ) بالتابوت (فِي الْيَمِّ) بحر النيل (فَلْيُلْقِيهِ الْيَمُّ بِالسَّاحِلِ) أى شاطئه والأمر بمعنى الخبر (يَأْخُذُهُ عَدُوٌّ لِي وَعَدُوُّ لَهُ) وهو فرعون (وَأَلْقَيْتُ) بعد أن أخذوك (عَلَيْكَ مَحَبَّةٌ مِنِّي) لتحب من الناس فأحبك فرعون وكل من رآك (وَلِتَضَعْ عَلَى عَيْنِي) تربي على رعايتي وحفظي لك (إِذْ) للتعليل (تَمْشِي أُخْتُكَ) مريم لتعرف خبرك وقد أحضروا مراضع وأنت لا تقبل ثدى واحدة منهن (فَتَقُولُ هَلْ أَدُلُّكُمْ عَلَى مَن يَكْفُلُهُ) فأجيبت غمامت بأمه قبل ثديها (فَرَجَعْنَاكَ إِلَى أُمِّكَ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بلفظك (وَلَا تَحْزَنَ) حينئذ (وَوَقَّعْتَ نَفْسًا) هو القبطى بمصر فاغتممت لقتله من جهة فرعون (فَنَجَّيْنَاكَ مِنَ الْغَمِّ وَفَتَنَّاكَ فُتُونًا) اختبرناك بالإيقاع في غير ذلك وخلصناك منه (فَلَبِثْتَ سِنِينَ) عشراً (فِي أَهْلِ مَدْيَنَ) بعد مجيئك إليها من مصر من عند شعيب النبي وتزوجك بابنته (ثُمَّ جِئْتَ عَلَى قَدَرٍ) في علمي بالرسالة وهو أرمون سنة من عرك (يَا مُوسَى . وَأَصْطَلَعْتَكَ) اخترتك (لِنَفْسِي) بالرسالة (أَذْهَبَ أَنْتَ وَأَخُوكَ) إلى الناس (بِآيَاتِي) التسع

إذ قبلت ثديها ، والمراد نفي دوام الحزن (قوله هو القبطى) أى واسمه قاب قان وكان طباحاً لفرعون (قوله من جهة فرعون) أى لامن جهة قتله فانه كان كافراً (قوله وفتنناك فتونا) أى خالصناك من عنة بعد أخرى . روى أن سعيد بن جبير سأل ابن عباس رضى الله عنهما عن هذه الآية فقال : خالصناك من عنة بعد عنة ولد في عام كان يقتل فيه الولدان فهذه فتنة يا ابن جبير ، وألقته أمه في البحر وهم فرعون يقتله وقتل قبطيا وأجر نفسه عشر سنين وضل الطريق وضلت غنمه في ليلة مظلمة ، وكان يقول عند كل واحدة فهذه فتنة يا ابن جبير (قوله سنين عشرا) أى ولبت في مصر قبل قتل القبطي ثلاثين سنة وقيل خرج من مصر وهو ابن اثنى عشرة سنة فكث بمدن رعى النعم عشرين وبعدها ثمانى عشرة سنة (قوله على قدر) أى مقدار من الزمان (قوله واصطلعتك لنفسى) أى لتشتغل بأوامرى وتبليغ رسالتى ، وأن تكون في حركاتك وسكناتك لى لا تغربى (قوله اذهب أنت وأخوك بآياتى) أى قد أجبناك فيما طلبت وأعطينا أهلك الرسالة فاذهب أنت وهو إلى فرعون ومومه (قوله إلى الناس) قدره إشارة إلى أنه حذف من هنا دلالة قوله فيما يأتى إلى فرعون عليه كأنه حذف فيما يأتى قوله بآياتى لدلالة ما هنا عليه ففى الكلام احتباك حيث حذف من كل نظير ما أتبعته فى الآخر (قوله بآياتى التسع) المناسب للمفسر أن يقول العسا واليد لأن بآى التسع لم يكن فى المبدأ بل كان فى أثناء المدة وعليه فجمع الآيات باعتبار ما اشتملت عليه العسا واليد من المعجزات المتعددة

(قوله ولا تنيا في ذكرى) يقال وفي بني نيا كوعد بعد وعدا إذا قرر وأصله نونيا حذف الواو لوقوعها بين عدونها الفتحه والكسرة (قوله وغيره) أى كتبليغ الرسالة وهو للقعود بالذات (قوله اذهبا إلى فرعون) إن قلت ما حكمة جمعهما في ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا في محل الناجاة بل كان في ذلك الوقت بمصر . أجيب بأن الله كشف الحجاب في ذلك الوقت عن مع هرون حتى سمع الخطاب مع أخيه لكن موسى سمعه من الله بلا واسطة وهرون سمعه من جبريل عن الله وهذا أحسن ما يقال (قوله فقولاه قولنا لينا) أى سهلا لطيفا وقد قصه الله في سورة النازعات في قوله هل لك إلى أن تزكى وأهديك إلى ربك فتخشى فانه دعوة في صورة عرض (قوله في رجوعه عن ذلك) أى عما هو فيه من ادعاء الربوبية والتكبر (قوله والترجى بالنسبة إليهما) أى إلى موسى وهرون ، والمعنى اذهبا مترجيين إيمانه وطامعين فيه ولا تذهبا آيسين منه (قوله اعلمه تعالى بأنه لا يرجع) أى والفائدة في إرسالهما لإزماء الحجة وقطع عذره لجرى ان عادته سبحانه وتعالى أنه لا يعذب أحدا إلا بعد تبليغه الدعوة وعنده بعد ذلك (قوله قال ربنا) أسند القول لهما لأنه وقع من كل منهما وإن كان مكانهما مختلفا لما تقدم أنه لا مانع من إزالة الحجاب (٥٢) عن هرون وسامعه من جبريل ما قبل لموسى وقت الناجاة (قوله أو يعجل بالعقوبة) أى فلا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة (قوله وأن يظني) أى يزداد تكبرا وكفرا وأوامعة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) أى لا تزعجانه (قوله فأتياه) أى اذهبا بأنفسكما إليه ولا تتعدا في مكان وترسلا له (قوله فقولنا إنا رسولا ربك) أمرها الله أن يقولوا له ست جعل أولها قوله : إنا رسولا ربك . الثانية قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل . الثالثة ولا تعذبهم . الرابعة قد جئناك بآية من ربك

(وَلَا تَنِيَا) فترا (فِي ذِكْرِي) بتسبيح وغيره (اُذْهَبَا إِلَى فِرْعَوْنَ إِنَّهُ طَغَى) بادعائه الربوبية (فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَّيْمًا) في رجوعه عن ذلك (لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أَوْ يَخْشَى) الله فيرجع ، والترجى بالنسبة إليهما لعلمه تعالى بأنه لا يرجع (قَالَا رَبَّنَا إِنَّا نَتَخَفُ أَنْ يَفْرِطَ عَلَيْنَا) أى يعجل بالعقوبة (أَوْ أَنْ يَطْغَى) علينا أى يتكبر (قَالَ لَا تَخَافَا إِنِّي مَعَكُمَا) بمونى (أَسْمِعْ) ما يقول (وَأَرَى) ما يفعل (فَأَتَيْنَاهُ قَقُولَا) إِنَّا رَسُولَا رَبِّكَ فَأَرْسِلْ مَعَنَا بَنِي إِسْرَائِيلَ (إِلَى الشَّامِ) وَلَا تَعَذِّبْهُمْ) أى خل عنهم من استعمالك إياهم في أشغالك الشاقة كالخفر والبناء وحمل الثقل (قَدْ جِئْنَاكَ بِآيَةٍ) بحجة (بَنِي رَبِّكَ) على صدقنا بالرسالة (وَالسَّلَامُ عَلَى مَنِ اتَّبَعَ الْهُدَى) أى السلامة له من العذاب (إِنَّا قَدْ أُوحِيَ إِلَيْنَا أَنَّ الْعَذَابَ عَلَى مَنْ كَذَّبَ) ما جئنا به (وَتَوَلَّى) أعرض عنه ، فأتياه وقال له جميع ما ذكر (قَالَ قَرْنِ رَبَّكُمَا يَا مُوسَى) اقتصر عليه لأنه الأصل ولادلالة عليه بالترية (قَالَ رَبَّنَا الَّذِي أُعْطِيَ كُلَّ شَيْءٍ مِنَ الْخَلْقِ) خلقه الذى هو عليه متميز به عن غيره (ثُمَّ هَدَى) الحيوان منه إلى مطعمه ومشربه ومنكحه وغير ذلك (قَالَ) فرعون (قَمَا بَالُ) حال (الْقُرُونِ) الأم (الْأُولَى) كقوم نوح وهود ولوط وصالح ،

بالعقوبة) أى فلا يصبر إلى تمام الدعوة وإظهار المعجزة (قوله وأن يظني) أى يزداد تكبرا وكفرا وأوامعة خلو تجوز الجمع (قوله قال لا تخافا) أى لا تزعجانه (قوله فأتياه) أى اذهبا بأنفسكما إليه ولا تتعدا في مكان وترسلا له (قوله فقولنا إنا رسولا ربك) أمرها الله أن يقولوا له ست جعل أولها قوله : إنا رسولا ربك . الثانية قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل . الثالثة ولا تعذبهم . الرابعة قد جئناك بآية من ربك

في

الخامسة : والسلام على من اتبع الهدى . السادسة : إنا قد أوحى إلينا أن العذاب

على من كذب وتولى (قوله فأرسل معنا بنى إسرائيل) أى أطلقهم من أسرك ولا تتول عليهم فانهم أولاد الأنبياء ولا يليق أن يولى عليهم خسيس ، والمعنى أن موسى وهرون أرسلوا إلى فرعون بأنه يؤمن بالله وحده ولا يتولى على بنى إسرائيل (قوله بحجة) أى دليل وبرهان على ما ادعينا من الرسالة (قوله فأتياه وقال له جميع ما ذكر) قدر ذلك إشارة إلى أن قوله قال فن ربكما الخ مرتب على محذوف وإشعارا بأنهما صارعا إلى امتثال الأمر من غير توان فيه (قوله قال فن ربكما) لم يصف الرب لنفسه تكبرا وطنيانا وخوفا على قومه إذا أضاف الرب لنفسه أن يميلوا لموسى (قوله أقمه عليه) أى مع توجيه الخطاب لهما (قوله لأنه الأصل) أى في الرسالة وهرون وإن كان رسولا إلا أن القعود منه معاونة موسى (قوله ولادلالة عليه بالترية) أى ولإقامة فرعون الدليل على موسى بأن ذكره بتريته له في قوله الآتى في الشعراء ألم نربك فينا وليدا (قوله خلقه) أى صورته وشكله (قوله الحيوان منه) أى من كل شئ (قوله قال فما بال القرون الأولى) لما ظهر للعين حقيقة ما قال موسى وبطلان ما هو عليه أراد أن يصرفه عليه السلام إلى ما لا يخفى من الأمور التى لا تعلق لها بالرسالة من الحكايات خوفا على رباسته أن تذهب فلم يلتفت موسى عليه السلام إلى ذلك الحديث وقال علمها عند ربى

(قوله في عبادتهم الأوثان) أى أكان سببا في شقاوتهم وأسعادتهم وإنما لم يوضح له الجواب لأنه مأمور بتلاطفته فإذا وضع له الجواب ربما نفر وتغير (قوله لا يضل ربي) أى لا يذهب شيء عن علمه (قوله ولا ينسى) أى بعد علمه (قوله الذى جعل لكم الأرض) هذا من جملة جواب موسى عن سؤال فرعون الأول (قوله مهادا) أى كالمهاد (قوله طرقا) أى تسلكونها من قطر إلى قطر لتقتضوا ما تريدكم (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله : فأخرجنا به أزواجا من كلامه تعالى لا بطريق الحكاية عن موسى بل خطابا لأهل مكة وامتنانا عليهم ويتهى إلى قوله تارة أخرى وقيل إنه من كلام موسى أيضا وفيه التفات من الغيبة للتكلم (قوله وخطابا لأهل مكة) أى في قوله : كلوا وارعوا (٥٣) (قوله شق) ألفه للتأنيث

(قوله يقال رعت الأنعام الخ) أى فيستعمل لازما ومتعديا (قوله أى مبيحين لكم) المناسب أن يقول أى قائلين لكم كلوا الخ فهو أمر إباحة (قوله جمع نهي) وقيل إنه اسم مفرد فهو صدر كالهدى والسرى (قوله بخلق أيكم آدم منها) أى لجميع الخلق غير آدم خلقوا من الأرض بواسطة وهذا أحد قولين وقيل كل إنسان خلق من التراب بلا واسطة لأن كل نقطة وقعت في الرحم يأخذ الملك الموكل بها شيئا من تراب السكان الذى يدفن فيه فيذره على النطفة فيخلق الله النسمة من النطفة والتراب (قوله ولقد أريناه آياتنا كلها) إخبار عما وقع لموسى في مدة دعائه لفرعون وبهذا

في عبادتهم الأوثان (قَالَ) موسى (عَلَيْهَا) أى علم عالم محفوظ (عِنْدَ رَبِّي فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ مجازيهم عليها يوم القيامة (لَا يَضِلُّ) يغيب (رَبِّي) عن شيء (وَلَا يَنْسَى) ربي شيئا، هو (الَّذِي جَعَلَ لَكُمُ) في جملة الخلق (الْأَرْضَ مِهَادًا) فراشا (وَسَلَكَ) مهلا (لَكُمُ فِيهَا سُبُلًا) طرقا (وَأَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً) مطرا قال تعالى تقبلا لما وصفه به موسى وخطابا لأهل مكة (فَأَخْرَجْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافا (مِنْ نَبَاتٍ شَتَّى) صفة أزواجا أى مختلفة الألوان والطعوم وغيرهما، وشتى جمع شتيت كريض ومرضى من شت الأمر : تفرق (كُلُوا) منها (وَارْعُوا أَنْعَامَكُمْ) فيها جمع نعم هى الإبل والبقر والغنم ، يقال رعت الأنعام ورعيتها والأمر للإباحة وتذكير النعمة والجملة حال من ضمير أخرجنا أى مبيحين لكم الأكل ورعى الأنعام (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور هنا (لَايَاتٍ) ليعبراً (لِأُولِي النُّهَى) لأصحاب العقول جمع نهي كغرفة وغرف ، سمى به العقل لأنه ينهى صاحبه عن ارتكاب القبائح (مِنْهَا) أى من الأرض (خَلَقْنَاكُمْ) بخلق أيكم آدم منها (وَفِيهَا نَعْمِدُكُمْ) مقبورين بعد الموت (وَمِنْهَا نُخْرِجُكُمْ) عند البعث (تَارَةً) مرة (أُخْرَى) كما أخرجناكم عند ابتداء خلقكم (وَلَقَدْ أَرَيْنَاهُ) أى أبصرنا فرعون (آيَاتِنَا كُلَّهَا) التسع (فَكَذَّبَ) بها وزعم أنها سحر (وَأَبَى) أن يوحد الله تعالى (قَالَ أَجِئْتُنَا لِتُخْرِجَنَا مِنْ أَرْضِنَا) مصر ويكون لك الملك فيها (بِسِحْرِكَ يَا مُوسَى . فَلَنَأْتِيَنَّكَ بِسِحْرٍ مِثْلِهِ) يمارضه (فَاجْعَلْ بَيْنَنَا وَبَيْنَكَ مَوْعِدًا) لذلك (لَا تَخْلَنَّهُ عَنْنَا) أنت مكنائنا (منصوب بنزع الخافض : في (سُوءٍ) بكسر أوله وضمه أى وسطا نستوى إليه مسافة الجاني من الطرفين (قَالَ) موسى (مَوْعِدُكُمْ يَوْمُ الزَّيْنَةِ) .

التقرير صح قول المفسر اتسع واندفع ما يقال إن فرعون في ابتداء الأمر لم ير إلا العصا واليد وعليه فتكون هذه الجملة معترضة بين القصة (قوله قال أجئنا لتخرجنا من أرضنا بسحرك يا موسى) أى بعد أن رأى ما رأى من معجزة العصا واليد قال ماذا كرتسرع وخوفا على حظ رياسته لثلاثيؤمن قومه (قوله فلنأتينك) اللام موطئة لقسم محذوف تقديره وعزتي وكبريائي وقوله بسحر متعلق بنأتينك (قوله مثله) أى في الغرابة (قوله موعدا) الأحسن أنه ظرف زمان مفعول أول مؤخر لقوله اجعل وقوله بيننا مفعول ثان مقدم وقوله بنزع الخافض أى فالمنع عين زمانا بيننا وبينك نجتمع فيه في مكان سوى أى متوسط (قوله بكسر أوله وضمه) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال موعداكم يوم الزينة) خصه عليه السلام بالتهيين لمزيد وثوقه بربه وعدم ميلانه بهم وليكون ظهور الحق على رؤوس الأشهاد ويشيع ذلك بين كل حاضر وباد فيكون أعظم غرا لموسى عليه السلام .

(قوله يوم هيدلهم) أى وكان يوم عاشوراء. وافترق أنه يوم سبت (قوله وأن يحشر الناس) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر معطوف على الزينة أى ويوم حشر الناس ضحى (قوله وقته) أى وقت الضحى وهو ارتفاع الشمس (قوله أدبر) أى انصرف من الجباس (قوله أى ذوى كيد) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ثم أتى بهم للوعد) أى في يوم الزينة في المكان المتوسط وهو سكنسرية (قوله وهم اثنان وسبعون) الاثنان من القبط والسبعون من بنى إسرائيل وهذا أحد أقوال في عددهم، وقيل كانوا اثنين وسبعين ألفا وهو ما في بعض النسخ، وقيل اثنى عشر ألفا (قوله مع كل واحد جبل وعصا) تقدم أنها كانت حمل أر بعانة بعر (قوله أى ألزمكم الله الويل) أشار بذلك إلى أن ويلكم منصوب بفعل محذوف والويل معناه الدمار والهلاك (قوله بإشراك أحد معه) أى بسبب إشراك أحد مع الله، والمعنى ألزمكم الله الويل إن التبريم على الله الكذب بسبب إشراككم مع الله بدوام تصديقكم لفرعون (قوله بضم الياء الخ) أى فهما قراءتان سبعيتان فالضم من الرباعى والفتح من الثلاثى (قوله فتنازعوا أمرهم بينهم) أى تناظروا (٥٤) وتنازعوا في أمر موسى وأخيه سراء واختلف فيما أمروه فقبل هو قولهم

يوم عيد لهم يترينون فيه ويجتمعون (وَأَنْ يُحْشَرَ النَّاسُ) يجمع أهل مصر (ضُجِّي) وقته للنظر فيما يقع (فَتَوَلَّى فِرْعَوْنُ) أدبر (فَجَمَعَ كَيْدَهُ) أى ذوى كيد من السحرة (ثُمَّ أَتَى) بهم الموعد (قَالَ لَهُمْ مُوسَى) وهم اثنان وسبعون مع كل واحد جبل وعصا (وَبَلَكَكُمْ) أى ألزمكم الله الويل (لَا تَقْتَرُوا عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بإشراك أحد معه (فَيَسْجِجَكُمْ) بضم الياء وكسر الحاء وبفتحهما أى يهلككم (بِعَذَابٍ) من عنده (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ افْتَرَى) كذب على الله (فَتَنَازَعُوا أَمْرَهُمْ بَيْنَهُمْ) في موسى وأخيه (وَأَمَرُوا النُّجُوزَى) أى الكلام بينهم فيهما (قَالُوا) لأنفسهم (إِنَّ هَٰذَيْنِ) لأبى عمرو، ولغيره هذان وهو موافق للغة من يأتى في الثنى بالألف في أحواله الثلاث (لَسَاحِرَانِ يُرِيدَانِ أَنْ يُخْرِجَاكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِمَا وَيَذْهَبَا بِطَرِيقَتِكُمُ اللَّئِلَى) مؤث مثل بمعنى أشرف، أى بأشرافكم بميلهم إليهما لقلبتهما (فَأَجْمِعُوا كَيْدَكُمْ) من السحر بهمة وصل وفتح الليم من جمع أى لم، وبهمة قطع وكسر الليم من أجمع أحكم (ثُمَّ اثْنُوا صَفًا) حال أى مصطفين (وَقَدْ أَفْلَحَ) فاز (الْيَوْمَ مَنْ اسْتَعْلَى) غلب (قَالُوا يَا مُوسَى) اختر (إِمَّا أَنْ تُلْقَىٰ عَصَاكَ) أى أولا (وَأِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَىٰ) عصاه (قَالَ بَلْ أَلْقُوا) فآلقوا (فَإِذَا جَاءَهُمْ وَعَصِيَهُمْ) أصله عضوا قلبت الواو ياءين،

إن هذين لساحران الخ وقيل هو قول بعضهم لبعض ما هذا ساحر فإن غلبنا اتبعناه وإن غلبناه بقينا على مانحن عليه (قوله وأمرنا النجوى) أى تحدثوا سرا فيما بينهم (قوله لأبى عمرو) أى فقراءته بالياء اسم إن وساحران خبرها واللام للابتداء زحلق للخبير وقوله ولغيره خبر مقدم وهذان مبتدأ مؤخر وقوله وهو موافق أى هذان موافق لمن يعرب المثنى بحركات مقصورة على الألف فيبنى اسم الإشارة الدال عليه على الألف وقد أجمل المفسر في قوله

وهكسرت

ولغيره هذان . والحاصل أن القراءات السبعيات أربع : الأولى

لأبى عمرو التى ذكرها المفسر وبقي ثلاث الأولى تشديد نون هذان مع تخفيف نون إن ، والثانية والثالثة تخفيف نون هذان مع تشديد نون إن أو تخفيفها فعلى تشديد نون إن يكون هذان اسمها مبني على الألف وساحران خبرها وعلى تخفيفها يكون هذان ساحران مبتدأ وخبر وإن مخففة واسمها ضمير الشأن والجملة خبر إن (قوله أى بأشرافكم) تفسير لطريقتهما فان من جملة صفات الطريقة ثمائل الناس وأشراهم : أى وذلك كفرعون وجلسائه (قوله فأجمعوا كيدكم) أى اجعلوه مجمعا بحيث لا يتخلف عنه واحد منكم (قوله بهمة وصل الخ) أى فهما سبعيتان (قوله ثم اثنوا صفا) أى لأنه أهيب في صدور الرائيين (قوله إما أن تلقى عصاك) أى فما بعدا في تأويل مصدر منصوب بفعل محذوف قدره المفسر بقوله اختر (قوله قال بل آلقوا) أى ليظهر الفرق بين المعجزة والسحر (قوله فإذا جاءهم وعصاهم) إذا جائية وجابهم وعصاهم مبتدأ خبره جملة يخيل إليه الخ (قوله أصله عضوا) بوزن فلوس وقوله قلبت الواو ياءين الخ أى قلبت الثانية ياء لوقوعها منطرفة فاجتمعت مع الواو وسبقت

أحداها بالسكون قلبت الواو ياء وادخمت في الياء (قوله وكسرت العين) أي أتباعا لقصاد وكسرت الصاد لتصح الياء (قوله يخجل إليه) أي لأنهم طلبوها بالزئيق فلما اشتد حر الشمس اضطربت واهتزت فتخجل أنها تتحرك (قوله خيفة) أصله خوفا قلبت الواو ياء لكسر ما قبلها (قوله من جهة أن سحرم الخ) جواب عما يقال كيف حصل له الخوف مع علمه بأنه على الحق ولا يصل له سوء منهم (قوله إنك أنت الأعلى) فيه إشارة إلى أن لهم علوا وغلبة بالنسبة لسائر الناس فطمئنه الله بأمره لا يخطر بباله فان ابتلاع العصا لحبالمهم وعصيم أمر لا يخطر ببال موسى (قوله تلقف) بفتح اللام وتشديد القاف أو يسكون اللام وفتح القاف قراءة ثان سبعتان (قوله ماصنوا) أي اخترعوا مما لاحقيقة له (قوله أي جنسه) دفع بذلك ما يقال لم لم يقل ولا يفلح السحرة بصيغة الجمع وفيه إشارة إلى أن الكلام موجه للعموم فكأنه قال لا يفاح كل ساحر سواء كان من هؤلاء أو من غيرهم (قوله حيث أتى) أي في أي زمان أو مكان أقبل منه (قوله فألقى موسى عصاه الخ) قدره إشارة إلى أن قوله فألقى السحرة سجدا مرتب على محذوف (قوله فألقى السحرة سجدا) أي إيمانا بالله وكفرا بفرعون وهذا من غرائب قدرة الله حيث ألقوا حبالمهم وعصيم للكفر والجحود، ثم ألقوا رؤوسهم بعد ساعة للشكر والسجود لما أعظم الفرق بين الالقاءين قيل لم يرفعوا رؤوسهم من السجود حتى رأوا الجنة والنار والثوب والعقاب ورأوا منازلهم في الجنة (قوله وقالوا آمنا) قدر للفسر الواو إشارة إلى أنه معطوف على قوله فألقى السحرة سجدا، وفيه إيماء إلى أنهم جمعوا في الإيمان بين القول

والفعل (قوله قال آمنتم له قبل أن آذن لكم) أي لما شاهد فرعون من السحرة السجود والاقرار خاف أن يقتدي الناس بهم في الإيمان بالله وحده فألقى شبهتين الأولى قوله آمنتم له قبل أن آذن لكم أي لم تشاورني ولم تستعينوا بنظر غيركم بل في الحال آمنتم له فثبت ذلك على أن إيمانكم ليس

وكسرت العين والصاد (يُخْجِلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا) حَيَات (تَسْمَى) عَلَى بَطُونِهَا (فَأَوْجَسَ) أَحْسَنُ (فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى) أَي خَافَ مِنْ جِهَةِ أَنْ سَحْرَهُمْ مِنْ جِنْسٍ مَعْجَزَةٍ أَنْ يَلْتَبَسَ أَمْرُهُ عَلَى النَّاسِ فَلَا يُؤْمِنُوا بِهِ (قُلْنَا) لَهُ (لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى) عَلَيْهِم بِالْقَلْبَةِ (وَأَتَى مَا فِي يَمِينِكَ) وَهِيَ عَصَاهُ (تَلْقَفْ) تَبْتَلِمُ (مَا صَنَعُوا إِنَّمَا صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ) أَي جِنْسِهِ (وَلَا يَفْلَحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى) بِسَحْرِهِ ، فَأَتَى مُوسَى عَصَاهُ فَتَلْقَفَتْ كُلَّ مَا صَنَعُوا (فَأَلْقَى السَّحْرَةَ سُجَّدًا) خَرُوا سَاجِدِينَ لِلَّهِ تَعَالَى ، وَ (قَالُوا آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى . قَالَ) فَرَعُونَ (ءَآمَنْتُمْ) بِتَحْقِيقِ الْهَمْزَتَيْنِ وَابْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفَا (لَهُ قَبْلَ أَنْ آذِنَ) أَنَا (لَكُمْ إِنَّهُ لَكَبِيرُكُمْ) مُعْلِمُكُمْ (الَّذِي عَلَّمَكُمْ السِّحْرَ فَلَا قُطْعَانَ أَيْدِيَكُمْ وَأَرْجُلَكُمْ مِنْ خِلَافِ) حَالٍ بِمَعْنَى مُخْتَلَفَةِ أَيْ الْأَيْدَى الْيُمْنَى وَالْأَرْجُلَ الْيُسْرَى (وَلَا صَلَبَيْنَكُمْ فِي جُدُوعِ النَّخْلِ) أَي عَلَيْهَا (وَلَتَعْلَمُنَّ أَيُّنَا) بِمَعْنَى نَفْسِهِ وَرَبِّ مُوسَى (أَشَدُّ عَذَابًا وَأَبْقَى) أَدْوَمُ ،

عن بصيرة بل بسبب آخر، الثانية قوله إنه لكبيركم الذي علمكم السحر : أي فأنتم أتباعه في السحر فتواطئتم معه على أن تظهروا العجز من أنفسكم وتوحيج الأمر وتفخما لشأنه لتتزعوا الملك من وهاتان الشبهتان لا يقبلهما إلا من عنده تردد أو شك وأما من كشف الله عنه الحجاب كالسحرة فلا يدخل عليه شيء من ذلك اظهور شمس الهدى واتضح لهم (قوله بتحقيق الهمزتين) أي الأولى وهي للاستفهام والثانية وهي للزيادة في الفعل الرباعي وقوله وابدال الثانية ألفا صوابه الثالثة وهي فاء الكلمة فيكون في كلامه إشارة لقراءة واحدة أو يقال إن معنى قوله الثانية أي في الفعل بقطع النظر عن همزة الاستفهام فيكون قد أشار لقراءتين : الأولى بتحقيق الهمزتين ، الثانية بتحقيق همزة الاستفهام، وبقيت قراءة أخرى وهي تسهيل الثانية والثلاث سبعيات ولا يتأتى هنا الرابعة المتقدمة في الأعراف وهي قلب الأولى وإزاا لعدم الضمة قبائها هنا ، بخلاف ما تقدم فأنها تقدمها ضمة ونص الآية قال فرعون آمنتم وأصل الفعل آمن كما كرم الهمزتين الأولى زائدة والثانية فاء الكلمة قلبت الثانية ألفا على القاعدة ، قال ابن مالك :

ومدا ابدال ثاني الهمسين من كلمة ان يسكن كآثر والتمن ثم دخلت همزة الاستفهام (قوله من خلاف) من ابتدائية أي فالقطع ابتدئ من مخالفة العضو للعضو (قوله أي عليها) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة تبعية حيث شبه الاستعلاء المطلق بالفترية المطلقة فسرى التشبيه من الكلمات الجزئيات فاستعيرت لفظة في الموضوعية للفترية الخاصة لمضى على الموضوعية للاستعلاء الخاص بجامع التحكن في كل .

(قوله على مخالفته) متعلق بكل من أخذ وأبى (قوله قالوا لن تؤثر على ما جاءنا) أى قالوا ذلك غير مكرئين بوعيده لهم (قوله من البيئات) أى للمجزات الظاهرة وجمعها باعتبار ما اشتملت عليه العصا واليد من الخوارق للعادات وإنما نسب الجبى لهم وإن كان موسى جاء بها لفرعون وقومه أيضا لأنهم هم المتفنون بها (قوله قسم) أى وجوابه محذوف تقديره لا تؤثر على الحق ولا يجوز أن يكون قوله لن تؤثر جوابه لأن القسم لا يجاب بلن إلا شذوذا ولا ينبغي حمل التنزيل عليه (قوله أو عطف على ما) أى والتقدير لن تؤثر على الذى جاءنا من البيئات ولا على الذى فطرنا (قوله فاقض ما أنت قاض) اقض فعل أمر وفاعله مستتر تقديره أنت وما اسم موصول مفعوله وأنت قاض صلتة والمائد محذوف تقديره الذى أنت قاضيه ، وقد أشار لهذا ابن مالك بقوله :
كذلك حذف ما بوصف خفضا كانت قاض بعد أمر من قضى

وهو جواب عن تهديده المذكور كأنهم قالوا لا نبالى بك ولا بهديديك فافعل ما بدالك ولم يثبت في الكتاب ولا في السنة أنه فعل ما هددهم به (قوله النصب على الاتساع) أى نصب هذه المبدلة منه الحياة الدنيا على نزع الحافض (قوله وما أكرهتنا عليه من السحر) معطوف على خطابنا : أى وينفر لنا الذى أكرهتنا عليه من السحر (قوله تعلموا وعملا) أى لأن فرعون كان يخبره الكهنة بظهور مولود من بنى إسرائيل يكون زوال ملكه على يديه فاعلمهم كانوا يصفونه له بهاتين العجبتين (٥٦)

على مخالفته (قَالَوا لَنْ نُؤْثِرَكَ) نختارك (عَلَى مَا جَاءَنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ) الدالة على صدق موسى (وَالَّذِي فَطَرَنَا) خلقنا ، قسم أو عطف على ما (فَاقْضِ مَا أَنْتَ قَاضٍ) أى اصنع ما قبلته (إِنَّمَا تَقْضِي هَذِهِ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا) النصب على الاتساع أى فيها وتجزى عليه فى الآخرة (إِنَّا آمَنَّا بِرَبِّنَا لِنُغْفِرَ لَنَا خَطَايَانَا) من الإثمراك وغيره (وَمَا أَكْرَهْتَنَا عَلَيْهِ مِنَ السَّحْرِ) تعلموا وعملا لمحارضة موسى (وَاللَّهُ خَيْرٌ) منك ثوابا إذا أطيع (وَأَبْقَى) منك عذابا إذا عصى ، قال تعالى (إِنَّهُ مَنْ يَأْتِ رَبَّهُ مُجْرِمًا) كافرا كفرعون (فَإِنَّ لَهُ) نار (جَهَنَّمَ لَا يَمُوتُ فِيهَا) فيستريح (وَلَا يَحْيَى) حياة تنفذه (وَمَنْ بَآئِنَهُ مُؤْمِنًا قَدْ عَمِلَ الصَّالِحَاتِ) الفرائض والنوافل (فَأُولَئِكَ لَهُمُ الدَّرَجَاتُ الثَّلَاثُ) جمع عليا مؤنث أعلى (جَنَّاتُ عَدْنٍ) أى إقامة بيان له (تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ فِيهَا) وذلك جزاءه من تَزَكَّى (تطهر من الذنوب) (وَلَقَدْ أَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ أْمُرْ بِعِبَادِي) بهمة قطع من أسرى وبهمة وصل وكسر النون من سرى لفتان أى سر بهم ليلا من أرض مصر (فَاضْرِبْ) اجل (لَهُمْ) بالضرب بعصاك (طَرِيقًا إِلَى الْبَحْرِ)

فأحب أن يتبها لمحارضته باكره الناس على تعليم السحر وإكراههم أيضا على الاتيان بهم من الدائن البعيدة وما يدل على كونهم مكرهين على عمله ماروى أنهم قالوا لفرعون أرنا موسى وهو نائم ففعل فوجدوه تحرسه عصاه فقالوا ما هذا ساحر فان الساحر إذا نام بطل سحره فابى إلا أن يعارضوه (قوله والله خير وأبقى) رد لقوله ولتعلمن أننا أشد عذابا وأبقى (قوله قال

يبسا)

تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله : إنه من يأت ربه الخ مستأنف من كلامه تعالى

وقيل إنه من كلام السحرة ألهمهم الله إياه (قوله إنه من يأت ربه مجرما) أى بأن يموت على كفره (قوله فيستريح) أى من العذاب (قوله حياة تنفذه) أى بأن تكون هنية مربية (قوله من تحتها الأنهار) أى من تحت قصورها (قوله وذلك) أى ما تقدم من قوله - جنات عدن - الخ (قوله تطهر من الذنوب) أى بدم فعلها أو بالتوبة النصوح منها (قوله ولقد أوحينا إلى موسى) عطف قصة على قصة لأن الله تعالى قص علينا أولا مبدء رسالة موسى إلى فرعون وما وقع منه وقص علينا ثانيا منتهى أمر فرعون وجنوده وكل ذلك عبرة للأمم الحميدة ليعلموا أن الظالم وإن أمهله الله وأمدته بالنعم لا يهمله ، وقد ذكرت هذه القصة هنا مختصرة وتقدم ذكرها في الأعراف مبسوطا (قوله بعبادى) أى وكانوا ستائة ألف وسبعين ألفا (قوله لفتان) أى وهما قراءتان سبعيتان وكان المناسب للفسر التنبية على ذلك (قوله أى سر بهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله من أرض مصر) أى إلى البحر فهو مأثور بالسيرة فلا يقال لم يسر بهم في البر في طريق الشام (قوله طريقا) مفعول به لتضمن اضرب معنى اجل كما أشار له للفسر ، والرواد بالطريق جنبه فان الطرق كانت اثنتي عشرة بعدد أسباط بنى إسرائيل .

(قوله يسا) أى يؤول إلى ذلك لأنه لم يكن أبسا قبل وإنما صرت عليه الصبا فجفت . قال ابن عباس : لما أمر الله موسى أن يقطع جومه البحر وكان يوسف عهد إليهم عند موته أن يخرجوا بعظامه معهم من مصر فلم يعرفوا مكانها حتى دلتهم عليها عجوز فأخذوها وقال لها موسى اطلبي منى شيئا ، فقالت أكون معك في الجنة فلما خرجوا تبعهم فرعون ، فلما وصل البحر وكان على حسان أقبل جبريل على فرس أتى في ثلاثة وثلاثين من الملائكة فسار جبريل بين يدي فرعون فأبصر الحصان الفرس فأتبعهم فرعون على أثرها فصاحت الملائكة بالقبض الحقوا حتى إذا لحق آخرهم وكاد أولهم أن يخرج التقي البحر عليهم ففرقوا فرجع بنو إسرائيل حتى ينظروا إليهم وقالوا يا موسى ادع الله أن يخرجهم لنا حتى ننظر إليهم فلفظهم البحر إلى الساحل فأصابوا من أمتعتهم شيئا كثيرا (قوله لا تخاف) العامة ما عدا حمزة وحده على الرفع وعليه فهو جملة مستأنفة لاجل لها من الاعراب أو حال من فاعل اضرب : أى ضرب لهم طريقا حال كونك غير خائف ، وقرأ حمزة بالجزم على أن لا ناهية وتخف مجزوم بها ، وقوله ولا تخشى هو بالألف باتفاق القراء فعل رفيع لا تخاف العطف ظاهر وعلى الجزم فيكون قوله ولا تخشى معطوفا على لا تخف مجزوما وعلامة جزمه حذف الألف والألف الموجودة للإشباع أتى بها موافقة للفواصل (٥٧) ورهوس الآي (قوله فأتبعهم

فرعون) أى بعد ما أرسل حاشرين يجمعون له الجيش فجمعوا جيوشا كثيرة حتى كان مقدمة جيشه سبعمائة ألف فضلا عن الجناحين والقلب والساقة (قوله بجنوده) الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من فرعون (قوله فغشيه من اليم) ما غشيه من اليم (قوله فغشيه من اليم) أى علام وعمرهم من الأمر المائل مالم يبلغ كنهه أحد (قوله وأصل فرعون قومه) إخبار عن حاله قبل الفرق (قوله خلاف قوله : وما

يَنبَسَا) أى أبسا فامثل ما أمر به وأبسن الله الأرض فروا فيها (لَا تَخَافُ دَرَكََا) أى أن يترك فرعون (وَلَا تَخْشَى) فرقا (فَاتَّبَعَهُمْ فِرْعَوْنُ بِجُنُودِهِ) وهو معهم (فَغَشِيَهُمْ مِنَ الْيَمِّ) أى البحر (مَا غَشِيَهُمْ) فأغرقهم (وَأَصْلُ فِرْعَوْنُ قَوْمُهُ) بدعائهم إلى عبادته (وَمَا هَدَى) بل أودعهم في الملاك خلاف قوله : وما أهديك إلا سبيل الرشاد (يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ عَدُوِّكُمْ) فرعون يا غرقه (وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنِ) فنوتى موسى التوراة للعمل بها (وَوَزَقْنَا عَلَيْكُمُ الْمُنَّ وَالسَّلْوَى) هما الترنجيبين والطير السمانى بتخفيف الميم والقصر ، وللنادى من وجد من اليهود زمن النبي صلى الله عليه وعلى آله وسلم ، وخطبوا بما أنعم الله به على أجدادهم زمن النبي موسى توطئة لقوله تعالى لهم (كُلُوا مِن طَيِّبَاتِ مَا رَزَقْنَاكُمْ) أى للمعم به عليكم (وَلَا تَطْغَوْا فِيهِ) بأن تكفروا النعمة به (فَيَعْلَلْ عَلَيْكُمْ غَضَبِي) بكسر اللام وضما (فَقَدْ هَوَى) سقط في النار (وَلِئَلَّا نَقَارَ لَئِنْ تَابَ) من الشرك (وَأَمَنَ) وحَّد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) يصدق بالفرض والنفل (ثُمَّ أَهْتَدَى) باستمراره على ما ذكر إلى موته .

أهديكم إلا سبيل الرشاد) أى أنه يخالف له فهو تكذيب لفرعون في قوله (قوله قد أنجيناكم من عدوكم الخ) قسم أولا نعمة الانجاء ثم النعمة الدنيوية ثم الدنيوية فهو ترتيب في غاية الحسن (قوله فنوتى موسى التوراة) جواب عما يقال إن الواعدة كانت لموسى لا لهم فكيف أضيف لهم . وأجيب أيضا بأنه أمر موسى أن يختار منهم سبعين رجلا فأضيفت الواعدة لهم بهذا الاعتبار (قوله ما الترنجيبين) هو شئ حلوا أيضا مثل الثلج كان ينزل عليهم في التيه من الفجر إلى طلوع الشمس لكل إنسان صاع (قوله والطير السمانى) أى فكان ربح الجنوب يأتيهم به فيذهب الرجل منهم ما يكفيه وشربهم من العيون التي تخرج من الحجر (قوله والنادى من وجد من اليهود الخ) هذا أحد قولين ، وقيل مخاطب من كان في عهد موسى (قوله توطئة) أى تمهيدا (قوله من طيبات ما رزقناكم) أى لذائذه وحللاته (قوله بأن تكفروا النعمة) أى بعدم شكرها وطردها (قوله بكسر اللام الخ) أى فنى كل قراءتان سبعيتان (قوله سقط في النار) أى على سبيل الخلود (قوله يصدق بالفرض والنفل) أى العمل الصالح يشمل كلا منهما (قوله باستمراره على ما ذكر إلى موته) أى بأن يدوم على التوبة والإيمان والأعمال الصالحة وهو جواب عما يقال ما فائدة ذكر الاهتداء آخر ما أنه داخل في عموم قوله وآمن فأقاد المفسران النجاة التامة والمغفرة الشاملة لمن حصلت منه التوبة والإيمان والأعمال الصالحة ثم استمر عليها إلى أن لقي مولاه [٨ - صدى - ثالث]

(قوله وما أعجلك عن قومك يا موسى) ما استفهامية مبتدأ وأعجلك خبره وعن قومك متعلق بأعجلك ، وللعنى أى شئ حالك متعجلا عن قومك وسابقا لهم . وحاصل ذلك أن الله سبحانه وتعالى وهب موسى ثلاثين يوما وأنها بشر بعد إغراق فرعون وقومه بصومها ولأيا كل ولا يشرب ولا ينالم فيها وأمره تعالى أن يحضر من قومه سبعين رجلا مختارهم من بني إسرائيل ليذهبوا معه إلى الطور لأجل أن يأخذوا التوراة فخرج بهم وخلف هرون على من بقي ، وفي رواية أنه أمر هرون أن يأتي بهم عند تمام الليقات فصار موسى بالسبعين ، ثم عجل من بينهم نشوقا إلى ربه وخلفهم وراءه وأمرهم أن يقبعوه إلى الجبل فقال تعالى له : وما أعجلك الخ ، والقصود من سؤال الله لموسى إعلامه بما حصل من قومه والإفستحيل عليه تعالى السؤال لطلب الفهم (قوله عن قومك) سياق التفسير يقتضى أن المراد بهم جملة بني إسرائيل وأيده جماعة من المفسرين (قوله لحيى) ميماد أخذ التوراة (أى لحيثك في ميماد أخذ التوراة) (قوله قال هم أولاء على أثرى) هم مبتدأ وأولاء خبره ، وقوله على أثرى خبر بعد خبر (قوله أى زيادة على رضاك) أى فسارعت إلى امتثال أمرك طلبا لزيادة رضاك ، لا لأصل الرضا فانه حاصل وطلبه لا يليق بحال الأنبياء (قوله وقيل الجواب) أى جواب السؤال وهو قوله - وهملت إليك ربى لترضى - (قوله أتى بالاعتذار) أى عن سبقه لقومه ، وقوله بحسب ظنه (٥٨) متعلق بالاعتذار (قوله وتخلف المظنون لما قال تعالى) أى ظهر لموسى أن ظنه

تخاف حين أخبره الله بأن قومه قد عبدوا العجل وهذا يؤيد ما قلناه أولا أن المراد بالقوم جميع بني إسرائيل (قوله أى بعد فراقك لهم) أى بعشرين يوما وهذا الإخبار من الله تعالى عند تمام الأربعين (قوله وأضلهم السامري) اسمه موسى بن ظفر منسوب إلى سامرة قبيلة من بني إسرائيل كان منافقا وكان قد ربه جبريل لأن فرعون لما

(وَمَا أَعْجَلَكَ عَنْ قَوْمِكَ) لحيى ميماد أخذ التوراة (يَا مُوسَى . قَالَ هُمْ أَوْلَاءُ) أى بالقرب منى يأتون (وَلَى أَثَرِي وَعَجِلْتُ إِلَيْكَ رَبِّ لِتَرْضَى) عنى ، أى زيادة على رضاك ، وقبل الجواب أتى بالاعتذار بحسب ظنه وتخلف المظنون لما (قَالَ) تعالى (فَإِنَّا قَدْ فَتَنَّا قَوْمَكَ مِنْ بَيْنِكَ) أى بعد فراقك لهم (وَأَضَلَّهُمُ السَّامِرِيُّ) فببدوا العجل (فَرَجَعَ مُوسَى إِلَى قَوْمِهِ غَضْبَانَ) من جهنهم (أَسِفًا) شديد الحزن (قَالَ يَاقَوْمِ أَلَمْ يَبْدِكُمْ رَبُّكُمْ وَعَدَا حَسَنًا) أى صدقا أنه يعطيكم التوراة (أَفَطَالَ عَلَيْكُمْ الْعَهْدُ) مدة مفارقتي إياكم (أَمْ أَرَدْتُمْ أَنْ يَحِلَّ) يجب (عَلَيْكُمْ غَضَبٌ مِنْ رَبِّكُمْ) بسبب بدتكم العجل (فَأَخْلَفْتُمْ مَوْعِدِي) وتركتم الحبيء بعدى (قَالُوا مَا أَخْلَفْنَا مَوْعِدَكَ بِمَلِكِنَا) مثلث الهم ، أى بددنا أو أمرنا (وَلَكِنَّا كُفَرْنَا) بفتح الحاء مخففا وبضمها وكسر الهم مشددا (أَوْ زَارًا) أنقالا (مِنْ زِينَةِ الْقَوْمِ) أى حلى قوم فرعون استعارها منهم بنو إسرائيل بعله عرس فبقيت عندهم (فَقَدَّ فَنَاهَا) طرحنها في النار بأمر السامري

(فكذلك)

شرع في ذبح الولدان وضعت أمه في حفرة فتعهده جبريل وكان ينفذه

من أصابه الثلاثة فيخرج له من إحداها لبن ومن الأخرى سم ومن الأخرى عسل (قوله فرجع موسى) أى بعد أن تم الأربعين وأخذ التوراة ، روى أنه لما رجع موسى مع الصياح والضجيج وكانوا يرقصون حول العجل ، فقال للسبعين الذين كانوا معه هذا صوت الفتنة (قوله أنه يعطيكم التوراة) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان لقوله بعدكم والأول الكاف (قوله أم أودتم أن يحل عليكم غضب من ربكم) للعنى إن كان الحامل لكم على عبادة العجل والمخالفة طول العهد فانه لم يطل ، وإن كان الحامل لكم على ذلك غضب الله عليكم فلا يليق من العاقل التعرض لغضب الله عليه (قوله وتركتم الحبيء بعدى) أى لأنه وعدم أن يقبعوه على أثره لليقات غفلوا واشتغلوا بعبادة العجل (قوله ما أخلفنا موعدهك بملكنا) أى لا نألوخيلنا وأنفسنا ما أخلفنا ولكن السامري سؤل لنا وغلب على عقولنا فأطعناه (قوله مثلث الهم) أى سلبها قرأت سبعيات (قوله وبضمها وكسر الهم) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله استعارها منهم بنو إسرائيل) أى قبل مسخ أموالهم (قوله بعله عرس) أى إن بني إسرائيل أظهروا أن العلة في استعارتها هو العرس وفي الواقع ليس كذلك (قوله بأمر السامري) أى فقال لهم إنا تأخر عنكم موسى لما معكم من الأوزار فالرأى أن تحفروا لها حفيرة وتوقدوا فيها نارا وتقذفوها فيها لتخلصوا من ذنبها .

(قوله فأخرج لهم محلاً) هذا من كلامه تعالى حكاية عن فتنة السامري فهو معطوف على قوله : وأضلهم السامري (قوله جسداً) حال من العجل ولا يقال جسد إلا للحيوان ولا يقال لغيره جسد إلا للزعران والدم إذا ييس (قوله وأتباعه) أى الذين ضلوا وصاروا يساعدونه على من توقف من بنى إسرائيل (قوله أفلا يرون) الاستفهام للتوبيخ والتفريع (قوله أن مخضفة من الثقيلة) أى فقوله لا يرجع بالرفع في قراءة العامة (قوله ولقد قال لهم هرون الخ) أى فنصحهم هرون قبل رجوع موسى (قوله وإن ربكم الرحمن) إنما ذكر هذا الاسم تنبيهاً على أنهم متى تابوا قبل الله توابعهم لأنه هو الرحمن (قوله حتى يرجع إلينا موسى) غاية لمكوفهم بطريق التعلل والتسويق لا بطريق الوعد وترك عبادته (٥٩) عند رجوعه (قوله إذ رأيتم) ظرف

منصوب بمنك ، والمعنى أى شئ منعك وقت رؤيتك سلام (قوله لازائدة) أى للتأكيد ، والمعنى ما منعك من اتباعي في النضب لله والمقاتلة لمن كفر (قوله باقامتك بين من بعد غير الله) أى ولم يبلغ في منهم والانكار عليهم (قوله بكسر الهم) أى خذفت الباء و بقيت الكسرة دالة عليها وقوله وفجها أى خذفت الألف للنقلية هن الباء و بقيت الفتحة دالة عليها والقراءتان سبعيتان (قوله أعطف لقا به) أى لالكونه أخاه من أمه فقط فان الحق أنه شقيقه (قوله وكان أخذ شعره) أى الرأس (قوله ولم ترقب قولى) معطوف على أن تقول أى وخشيت عدم ترقبك أى انتظارك

(فَكَذَلِكَ) كما ألقينا (أَلْقَى السَّامِرِيُّ) ماسمه من حليهم ومن التراب الذى أخذه من أثر حافر فرس جبريل على الوجه الآتى (فَأَخْرَجَ لَهُمْ مَحَلًّا) صاغه من الحلى (جَسَدًا) لحما ودما (لَهُ خَوَازِ) أى صوت يسمع أى انقلب كذلك بسبب التراب الذى أثره الحياة فيما يوضع فيه ووضعه بعد صوغه في فيه (فَقَالُوا) أى السامري وأتباعه (هَذَا إِلَهُكُمْ وَإِلَهُ مُوسَى . فَتَنَّى) موسى ربه هنا وذهب بطلبه ، قال تعالى (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّ) مخضفة من الثقيلة واسمها محذوف أى ثمة (لَا يَرْجِعُ) العجل (إِلَيْهِمْ قَوْلًا) أى لا يرد لهم جواباً (وَلَا يَمْلِكُ لَهُمْ ضَرًّا) أى دفعه (وَلَا نَفْعًا) أى جلبه أى فكيف يتخذ لها (وَلَقَدْ قَالَ لَهُمْ هَارُونُ مِنْ قَبْلُ) أى قبل أن يرجع موسى (يَا قَوْمِ إِنَّمَا فُتِنْتُمْ بِهِ وَإِنَّ رَبَّكُمُ الرَّحْمَنُ فَاتَّبِعُونِي) في عبادته (وَأَطِيعُوا أَمْرِي) فيها (قَالُوا لَنْ نَبْرَحَ) نزال (عَلَيْهِ عَاكِمِينَ) على عبادته مقيمين (حَتَّى يَرْجِعَ إِلَيْنَا مُوسَى . قَالَ) موسى بعد رجوعه (يَا هَارُونُ مَا مَنَعَكَ إِذْ رَأَيْتَهُمْ ضَلُّوا) بعبادته (أَنَّ) لا تتبعين (لا زائدة) (أَفَتَصْنَعُ أَمْرِي) بإقامتك بين من بعد غير الله تعالى (قَالَ) هرون (يَا أَبْنَى أُمَّ) بكسر الهم وفصحها أراد أى وذكرها أعطف لقلبه (لَا تَأْخُذْ بِلِغَتِي) وكان أخذها بشماله (وَلَا يَرَأْسِي) وكان أخذ شعره بيمينه غضباً (إِنِّي خَشِيتُ) لو اتبعتك ولا بد أن ينبغى جمع من لم يعبد العجل (أَنْ تَقُولَ فَرَّقْتَ بَيْنَ بَنِي إِسْرَءِيلَ) وتغضب على (وَلَمْ تَرْقُبْ) تنتظر (قَوْلِي) فيها رأيت في ذلك (قَالَ فَسَا خَطْبُكَ) شأنك الداهى إلى ما صنعت (يَا سَامِرِيُّ؟ قَالَ بَصُرْتُ بِمَا لَمْ يَبْصُرُوا بِهِ) بالياء والتاء أى علمت ما لم يعلموه (فَقَبَضْتُ قَبْضَةً مِنْ) تراب (أَثَرِ) حافر فرس (الرَّسُولِ) جبريل (فَنَبَذْتُهَا) ألقيتها في صورة العجل المصاغ (وَكَذَلِكَ سَوَّلَتْ) زينت (لِي نَفْسِي) وألقى فيها أن أخذ قبضة من تراب ما ذكر وألقيا على ما لا روح له يصير له روح ، ورأيت قومك ،

وتأملك في قولى حتى تفهم عذرى ذلاليه في قولى واقعة على هرون ، هذا هو المتبادر من عبارة المفسر ، وقيل إنه معطوف على فرقت أى وخشيت أن تقول لم ترقب قولى أى تحفظه وتعمل به فعليه الباء واقعة على موسى (قوله قال بصرت) بضم الصاد في قراءة العامة من باب ظرف وقرئ بكسرها من باب تعب (قوله بالياء) أى بنو إسرائيل وقوله والتاء أى أنت وقومك والقراءتان سبعيتان (قوله من أثر الرسول) أى وعرفه لسابق الألفة فلما جاء جبريل ليطلب موسى إلى الليقات لأخذ التوراة كان راكباً على فرس كلما وضعت حافرهما على شئ اخضر فعرف السامري أن للتراب الذى تضع الفرس حافرهما عليه شأناً (قوله في صورة العجل) أى في فيه (قوله المصاغ) صوابه المصوغ كما في بعض النسخ .

(قوله طلبوا منك) أى حين جاوزوا البحر كما قال تعالى : وجاوزنا بين إسرائيل البحر فأتوا على قوم يكفرون على أصنامهم الآية (قوله فإن لك في الحياة) إن حرف تأكيد ونصب والجار والمجرور خبرها مقدم وأن تقول في محل نصب اسمها مؤخر ، والمعنى أن هذا القول ثابت لك مادمت حيا لا ينفك عنك فكان يصيح في البرية لامساس وحرّم موسى عليهم مكالمته ومواجهته ومبايعته ، ويقال إن قومه باقية فيهم تلك الحالة إلى الآن ، وهذه الآية أصل في نفي أهل البدع والمعاصي وهجرانهم وعدم مخالطتهم (قوله فكان يهيم في البرية) أى مع السباع والوحوش . يقال إن موسى عليه السلام همّ بقتله فقال الله له لا تقتله فإنه سخي (قوله وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثم لنسفنه في اليم) أى فلا يبق له عين ولا أثر (قوله بعد ذبحه) أى ولما ذبحه سال منه الدم (قوله إنما الحكم الله الخ) كلام مستأنف لتحقيق الحق وإبطال الباطل ، وهذا آخر قصة موسى المذكورة في هذه السورة (قوله كذلك نقص عليك) جملة مستأنفة ذكرت تسلياً له صلى الله عليه وسلم وتكثيراً لمعجزاته وزيادة في علم أمته ليعرفوا (٦٠) أحباب الله فيحبونهم وأعداء الله فيبغضونهم ليزدادوا رفعة وشأنا

طلبوا منك أن تجعل لهم إلهاً فحدثني نفسى أن يكون ذلك العجل إلههم (قال) له موسى (فأذهب) من بيننا (فإن لك في الحياة) أى مدة حياتك (أن تقول) لمن رأيته (لا ميساس) أى لا تقربنى فكان يهيم في البرية وإذا مس أحداً أو مسه أحد حماً جيماً (وإن لك موعداً) لهذا (لن نخلفه) بكسر اللام أى لن تغيب عنه ، وفتحها أى بل تبعث إليه (وأنظر إلى إلهك الذى ظلت أصله ظلت بلامين أولاهما مكسورة حذفت تخفيفاً أى دمت (عليه عاكفاً) أى مقبلاً تعبده (لنخرقنه) بالنار (ثم لنسفنه في اليم نسفاً) نذرينه في هواء البحر وفصل موسى بعد ذبحه ما ذكره (إنما الحكم الله الذى لا إله إلا هو وسع كل شيء علماً) تمييز محمول من الفاعل أى وسع علمه كل شيء (كذلك) أى كما قصصنا عليك يا محمد هذه القصة (نقص عليك من أنباء) أخبار (ما قد سبق) من الأمم (وقد آتيناك) أعطيناك (من لدنا) من عندنا (ذكراً) قرآناً (من أعرض عنه) فلم يؤمن به (فإنه يحمل يوم القيامة وزراً) حملاً ثقيلاً من الإنهم (خالدين فيه) أى في عذاب الوزر (وساء لهم يوم القيامة حملاً) تمييز مفسر للضمير في ساء والخصوص بالذم محذوف تقديره وزرهم واللام للبيان ويبدل من يوم القيامة (يوم تنفخ في الصور) القرن النفخة الثانية (ونحشر المجرمين) الكافرين (يومئذ زرقاً) عيونهم مع سواد وجوههم (يتخافتون بينهم) ينساررون (إن) ما (ليثم) في الدنيا (إلا عسراً) :

بالإعراض عنه الكفر به وإنكار كونه من عند الله كلا أو بعضاً (قوله من الإنهم) بيان للحمل الثقيل (قوله خالدين فيها) الجملة في محل نصب على الحال من الضمير في يحمل العائد على من باعتبار معناها ، والتقدير يحملون الوزر حال كونهم محليين فيه (قوله أى في الوزر) أى عتابه فالسلام على حذف مضاف (قوله وساء لهم يوم القيامة حملاً) ساء فعل ماض لانشاء الدم والفاعل مستتر عائد على الحمل المفسر بقوله حملاً ولمس جار ومجرور متعلق بقول محذوف ويوم القيامة ظرف لساء وحملاً تمييز والخصوص بالذم محذوف تقديره المفسر بقوله وزرهم (قوله يوم تنفخ) أى فأمر بالنفخ وفي قراءة سبعة أيضاً بالياء مع بناء الفعل للفعل أى ينفخ إسرافيل (قوله القرن) أى وفيه طاقات على عند أرواح الخلائق (قوله النفخة الثانية) أى لحشر الخلائق (قوله زرقاً) حال من المجرمين (قوله مع سواد وجوههم) خست بالذكر لأنها مظهر القبح والحسن (قوله يتخافتون بينهم) أى يخفضون أصواتهم ويخفونها لما شاهدوه من الرعب والهول .

(قوله من اليبالي بأياها) حتى المفسر المشرط اليبالي دون الأيام لتجريده من التاء فان الممدود إذا كان مؤثرا جرد العدد من التاء
 عكس للذكر (قوله أمثلهم طريقة) أى أعد لهم رأيا في الدنيا (قوله لما عاينوه في الآخرة من المول) أى فنسب ذلك القول لهم
 لشدة ما عاينوا من المول لالكونه أقرب إلى الصدق (قوله ويستأثرونك) أى كفار مكة نعمتنا واستهزاء (قوله ثم يطيرها بالرياح)
 أى فالحنى أنها تذهب بقدره الله فلا يبقى لها أثر (قوله فيذرهما) أى يتركها والضمير عائدة على الأرض (قوله قاعا صافيا) حالان
 من الضمير في يذرهما ، والقاع المستوى الصلب ، والصنف الأرض للساء فهو قريب في المعنى من القاع فهو توكيد له (قوله عوجا)
 تقدم أن العوج بالكسر في المعنى وبالفتح في المحسوسات وما هنا من الثاني لكن عبر فيه بالكسر لأنه لشدة غرابته كأنه صار
 من قبيل اللعاني (قوله يتبعون لهامى) أى فيقبلون من كل جهة (قوله وهو إسرافيل) أى فيضع الصور على فيه ويقف على
 صخرة بيت المقدس ويقول : يا أيها العظام البالية والأوصال المتقطعة واللحوم المتزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء
 فيقبلون عليه ، وقيل للنادى جبريل والناخ إسرافيل وصحه بعضهم (قوله إلى عرض الرحمن) أى العرض عليه (قوله لا عوج
 له) أى لا يزيفون عنه عينا ولا شمالات بل يأتيونه سراعا (قوله الرحمن) أى (٦١) لجلاله وهيبته (قوله إلا همسا) مفعول به
 وهو استثناء مفرغ (قوله

وهو استثناء مفرغ (قوله
 إلا من أذن له الرحمن)
 من مفعول به وهي واقعة
 على المشفوع له أو على
 الشفيع فتقول المفسر أن
 يشفع له أى أو يشفع في
 غيره (قوله بأن يقول
 لا إله إلا الله) أى مع
 حديثها وهي محمد رسول
 الله ، والمعنى أن من مات
 على الإسلام فقد رضى الله
 قوله وأذن له أن يشفع في
 غيره وأن يشفع غيره فيه
 (قوله ما بين أيديهم) أى
 الخلق هموما (قوله ولا
 يحيطون به) أى بما بين
 أيديهم وما خلفهم (قوله

من اليبالي بأياها) (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَقُولُونَ) في ذلك ، أى ليس كما قالوا (إِذْ يَقُولُ امْكُثْهُمْ
 أَعْدَلُهُمْ (طَرِيقَةً) فِيهِ (إِنْ لَيْتُمْ إِلَّا يَوْمًا) يستأثرون بهم في الدنيا جدا لما يعاينونه
 في الآخرة من أهوالها (وَيَسْتَأْثِرُونَكَ مِنَ الْجِبَالِ) كيف تكون يوم القيامة (قُلْ) لهم
 (يَنْفَسُهَا رَبِّي نَفْثًا) بأن يفتتها كالرمل السائل ثم يطيرها بالرياح (فَيَذَرُهَا قَاعًا) منبسطا
 (صَفْصَفًا) مستويا (لَا تَرَى فِيهَا عِوَجًا) انخفاضا (وَلَا أَمْتًا) ارتقايا (يَوْمَئِذٍ) أى يوم
 إذ نسفت الجبال (يَتَّبِعُونَ) أى الناس بعد القيام من القبور (الْقَادِمِينَ) إلى المحشر بصوته
 وهو إسرافيل يقول : هلموا إلى عرض الرحمن (لَا عِوَجَ لَهُ) أى لا تباعصهم أى لا يقدر أن
 لا يتبعوا (وَحَشَمْتَ) سكنت (الْأَصْوَاتُ لِلرَّحْمَنِ فَلَا تَسْمَعُ إِلَّا هَمْسًا) صوت وطء الأقدام
 في قلها إلى المحشر كصوت أخفاف الإبل في مشيها (يَوْمَئِذٍ لَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ) أحدا (إِلَّا مَنْ
 أِذْنَهُ لَهُ الرَّحْمَنُ) أن يشفع له (وَرَضِيَ لَهُ قَوْلًا) بأن يقول : لا إله إلا الله (يَسْأَلُ مَا بَيْنَ
 أَيْدِيهِمْ) من أمور الآخرة (وَمَا خَلْفَهُمْ) من أمور الدنيا (وَلَا يُحِيطُونَ بِهِ عِلْمًا) لا يعلمون
 ذلك (وَعَنَتِ الْوُجُوهُ) خضعت (لِلْقِيُومِ) أى الله (وَقَدْ خَابَ) خسر (مَنْ حَمَلَ ظُلْمًا)
 أى شركا (وَمَنْ يَعْمَلْ مِنَ الصَّالِحَاتِ) الطاعات ،

لا يعلمون ذلك) أى لا تفصيلا ولا إجمالا وإنما يعلمه الله سبحانه وتعالى (قوله وعنت الوجوه) عنافعل ماض والتاء للتأنيث والوجوه فاعل
 وأصله عنوت تحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ثم حذفت لالتقاء الساكنين فهو من باب ما يسمو صموا وأما عنى كرضى يعنى عنافهو
 بمعنى تعب وليس مراداهنا بل المراد خضعت وذلت وأل في الوجوه للاستغراق أى كل الوجوه والمراد أصحابها وخضت الوجوه بالله كالأذن
 الدال أول ما يظهر فيها (قوله للحى) أى التى حياته أبدية لا أول لها ولا آخر (قوله القيوم) أى القائم على كل نفس بما كسبت فيجاز بها
 على الخبر والشر (قوله وقد خاب من حمل ظلما) أشار بذلك إلى أن الخلاق تنقسم في القيامة قسمين أهل سعادة وأهل شقاوة وكلاهما
 في خضوع وذلك لله جل جلاله لكن أهل السعادة خضوعهم إجلالا وهيبته ورغبة في الله وأهل الشقاوة خضوعهم رهبة وإشفاقا من عذاب
 الله وبأسا من رحمة الله قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة ووجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها فترة (قوله خسر) أى
 ظهر خسارته (قوله من حمل ظلما) أى تحمله وارثكه وهذه الآية باعتبار ظاهرها تدل على أن أهل الظلم خائبون خاسرون أى
 معرضون لذلك في الحديث « الظلم ظلمات يوم القيامة » فإن الظالم ربما أداه ظلمه إلى الكفر والعياذ بالله تعالى فإذا مات على
 ذلك فهو عند في النار وإن مات على الإسلام فقد نقص عن مراتب المطهرين بسبب الزيادة في سيئاته والنقص من حسناته .

(قوله هو مؤمن) الجملة حالية (قوله فلا يخاف ظمًا ولا هضمًا) أى وبضتها تحميز الأشياء ، فالعاصى الظالم يخاف زيادة سيئاته ونقص حسناته لما ورد أنه يؤخذ من حسناته للظلم فإذا لم يبق له حسنات طرح من سيئات الظلم عليه (قوله أى مثل إنزال ماذكر) أى الآيات المشتملة على تلك القصص العجيبة القريبة (قوله أنزلناه) أى على لسان جبريل مفرقا في ثلاث وعشرين سنة على حسب الوقائع (قوله عربيا) أى بلغة العرب ليعرفوا أنه في الفصاحة والبلاغة خارج عن طرق البشر (قوله من الوعيد) أى التخويف (قوله لعالمهم يتقون الشرك) أى يحملون بينهم وبين الشرك وقاية بأن يؤمنوا (قوله أو يحدث لهم ذكرا) أى موعظة في القلوب فينشأ عنها امتثال الأوامر واجتناب النواهي وتكرار المواعظ في القرآن من مزيد رحمته تعالى بعباده سيما مع إهمالهم وعدم معاجلتهم بالأخذ ولذلك يقال للكفار يوم القيامة أو لم نعمركم ما يتذكر فيه من تذكري وجاءكم النذير (قوله الملك) أى النافذ حكمه وأمره (قوله الحق) أى الثابت الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبداً (قوله ولا تتعجل بالقرآن من قبل أن يلقى إيليك وحيه) المعنى لا تتعجل بقراءة ما ألقاه عليك جبريل فى قلبك حتى يقرأ عليك ، وسبب ذلك أن جبريل كان يأتي للنبي بالقرآن فيلبس جسمه ويضعه فى قلبه (٦٢) فريد النبي التَّعَجُّل والنطق به فأمره الله أن لا ينطق به حتى يقرأه جبريل

باللسان عليه ظاهرا وهذا معنى قوله تعالى - لا تحرك به لسانك لتعجل به إن علينا جمعه وقرآنه فإذا قرأناه فاتبع قرآنه ثم إن علينا بيانه ، والحكمة فى تلقى رسول الله عن جبريل ظاهرا أنه يكون سنة متبعة لأمته فهم مأمورون بالتلقى من أفواه المشايخ ولا يفلح من أخذ العلم أو القرآن من السطور بل التلقى له سر آخر (قوله وقل رب زدنى علما) أى سل ربك الاستزادة من العلوم بسبب توالى نزول

(وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا يَخَافُ ظُلْمًا وَلَا هَضْمًا) بنقص من حسناته (وَكَذَلِكَ) معطوف على كذلك نقص ، أى مثل إنزال ماذكر (أَنْزَلْنَاهُ) أى القرآن (قُرْآنًا عَرَبِيًّا وَصَرَّفْنَا) كررنا (فِيهِ مِنَ الْوَعِيدِ لَعَلَّهُمْ يَتَّقُونَ) الشرك (أَوْ يُحْدِثُ) القرآن (لَهُمْ ذِكْرًا) بهلاك من تقدمهم من الأمم فيعتبرون (فَتَمَّالَى اللَّهُ الْمَلِكُ الْحَقُّ) عما يقول المشركون (وَلَا تَعْجَلْ بِالْقُرْآنِ) أى بقراءته (مِنْ قَبْلِ أَنْ يُقْضَى إِلَيْكَ وَحْيُهُ) أى يفرغ جبريل من إبلاغه (وَقُلْ رَبِّ زِدْنِي عِلْمًا) أى بالقرآن فكلمنا أنزل عليه شيء منه زاد به علمه (وَلَقَدْ عَهِدْنَا إِلَى آدَمَ) وصيناه أن لا يأكل من الشجرة (مِنْ قَبْلِ) أى قبل أكله منها (فَقَسَمَى) ترك عهدنا (وَلَمْ نَجِدْ لَهُ عَزْمًا) خزما وصبرا عما نهيناه عنه (وَ) اذكر (إِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لِآدَمَ فَسَجَدُوا إِلَّا إِبْلِيسَ) وهو أبو الجن كان يصحب الملائكة ويعبد الله معهم (أَبَى) عن السجود لآدم قال أنا خير منه (قُلْنَا يَا آدَمُ إِنَّ هَذَا عَدُوٌّ لَكَ وَزَوْجُكَ) حواء بالمد (فَلَا يَخْرُجَنَّكُمَا مِنَ الْجَنَّةِ فَتَشْقَى) تنمب بالحرث والزرع والحصد والطحن والحبز وغير ذلك ،

واقصر

القرآن فانها أفضل ما يستل وأعز ما يطلب ، ومن هنا أمر المشايخ للرايين بتلاوة القرآن

والتعبد به بعد كمالهم ونظافة قلوبهم وما داموا لم يكلوا يأمرهم بالمجاهدة بالذكر ونحوه لتخلص قلوبهم والحكمة فى ذلك أن الغفلة فى الذكر أخف منها فى القرآن لما فى الأثر : رب قارىء القرآن باعته ، فجعل العارفون للتوصل للقرآن طرقا يجاهدون أنفسهم فيها ليزدادوا بقرائهم القرآن علوما ومعارف وأخلاقا وحينئذ فليس تركهم القراءة فى البلى لكون غيره أفضل منه بل لينظفوا أنفسهم للقراءة (قوله وصيناه أن لا يأكل من الشجرة) أى نهيناه عن الأكل منها وحثنا عليه الأكل منها فطلب مرادنا على أمرنا (قوله ترك عهدنا) أى متأولا حيث غلطه إبليس بقوله : هل أدلك على شجرة الخلد وملاك لا يبلى ، فقسهما إني لكما إن الناصحين ، فظن أنه لا يخاف أحد بالله كذبا (قوله وإذ قلنا للملائكة) كررت هذه القصة فى سبع سور من القرآن نعلما للعباد امتثال الأمر واجتناب النهى وعطف هذه القصة على ما قبلها من عطف السبب على السبب لأن هذه القصة سبب فى عداوة إبليس لآدم (قوله فسجدوا) أى جميعا وتقدم الجواب عن سجود الملائكة بأوضح وجه (قوله إلا إبليس) استثناء متصل أو منقطع (قوله كان يصحب الملائكة الخ) توجيهه للاتصال لكونه لم يعبر بلسكن (قوله فلا يخرجنكما) للهى لابليس صورة ، والراد نهيهما عن تساطى أسباب الخروج فيقتسب عن ذلك حصول التبع له فى الدنيا .

(قوله واقتصر على شقاه) أى مع أن التنبه لهما معا (قوله إن لك أن لا تجوع فيها ولا تهرى الخ) قابل الله سبحانه ونصالي بين الجوع والهرى والظما والضحو وإن كان الجوع يقابل العطش والهرى يقابل الضحو ، لأن الجوع ذل الباطن والهرى ذل الظاهر والظما حر الباطن والضحو حر الظاهر ففى عن ما كن الجنة ذل الظاهر والباطن وحر الظاهر والباطن (قوله ففتح الهمة وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قال يا آدم) بيان لصورة الوسوسة (قوله فبذت لهما سواتهما) أى بسبب تساقط حلل الجنة عنهما لما أكلتا من الشجرة (قوله يسوء صاحبه) أى يحزنه (قوله من ورق الجنة) أى ورق التين فصارا يلزقان بعضه بعض حتى يصير طويلا عريضا يصلح للاستتار به (قوله وعصى آدم ربه فغوى) أى وقع فيها نهى عنه متأولا حيث تخلف ما قصده بأكله من الشجرة وصل عن مطلوبه وهو الخلود فى الجنة فمصيبته وغووه فى مخالفة باعتباره الواقع لافى القصد والنية بل قصده ونبته امتثال الأمر وتجنب ما يوجب الخروج وحيفته فلا يجوز أن يطلق على آدم العصيان والعوابة من غير اقتران بالتأويل ولا نفي اسم العصيان عنه لصرح الآية وحل حال فآله عنه راض وهو معصوم قبل النبوة وبعدها من كل ما يخالف أمر الله هذا هو الحق فى تقرير هذا المقام . وأعلم أن الخطأ والنسيان يقع من المعصومين للتصريح والمصالح كاهو معهود فى نصوص الشرع وتسمية الله له فى حقهم معصية من باب حسنات الأبرار سيئات المقربين (قوله بالأكل (٦٣) من الشجرة) تقدم أنها الحنطة

وقبل التين وقبل غير ذلك (قوله ثم اجتنباه) أى اصطفاها واختاره (قوله قبل توبته) أى بقوله ربنا ظلمنا أنفسنا الخ (قوله إلى المداومة على التوبة) أى الاستمرار عليها (قوله قال اهبطا) أى قال الله تعالى لآدم وحواء اهبطا من الجنة لأن مكنتهما فيها كان معلقا على عدم أكلاهما من الشجرة وقد سبق فى عامه تعالى أنهما يأكلان منها فهو أمر مبرم والمعلق على المبرم مبرم فأخراجهما

واقتصر على شقاه لأن الرجل يسمى على زوجته (إن لك أن) لا تجوع فيها ولا تهرى (وأنك) بفتح الهمة وكسرها عطف على اسم إن وجعلتها (لا تظموا فيها) تعطش (ولا تضحى) لا يحصل لك حر شمس الضحى لا انتفاء الشمس فى الجنة (فوسوس إليه الشيطان) قال يا آدم هل أدلك على شجرة الخلد (أى التى يحل من يأكل منها) (وملاك لا ينزل) لا يفتى وهو لازم الخلد (فأكلتا) أى آدم وحواء (منها فبذت لهما سواتهما) أى ظهر لكل منهما قبله وقبل الآخر ودبره وسمى كل منهما سواة لأن انكشافه يسوء صاحبه (وطبقا يَخَصِفَانِ) أخذا يلزقان (عليهما من ورق الجنة) ليستترا به (وعصى آدم ربه فغوى) بالأكل من الشجرة (ثم اجتنباه ربه) قرباه (فتأب عليه) قبل توجه (وهدى) أى هداه إلى المداومة على التوبة (قال اهبطا) أى آدم وحواء بما اشتملتا عليه من ذريتهما (منها) من الجنة (جميعا بمضكم) بمض النرية (ليمض عدو) من ظلم بعضهم بعضا (فاما) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (يأتينكم منى هدى فمن أتبع هداى) أى القرآن (فلا يضل) فى الدنيا (ولا يشقى) فى الآخرة (ومن أعرض عن ذكري) أى القرآن فلم يؤمن به (فإن له معيشة ضنكا)

ليس للضرب عليهما بل لمزيد شرفهما ورفع قدرهما لأنهما خرجا من الجنة منفردين ويعودان إليها بمائة وعشرين صفا من أولادها لا يحيط بعدة تلك الصفوف إلا الله تعالى . إن قلت ما الحكمة فى تعليق الخروج على الأكل من الشجرة ولم يكن بلا سبب . أجب بأن الله سبحانه وتعالى كريم ومن عادة الكرم أن لا يسلب نعمته عن النعم عليه إلا بحجة قال تعالى - ذلك بأن الله لم يك مغفرا نعمة أنعمها على قوم حتى يغيروا ما بأنفسهم (قوله أى آدم وحواء) يحتمل أن أى حرف نداء وآدم منادى مبنى على الضم فى محل نصب وحواء معطوف على آدم ، ويحتمل أن أى حرف تفسير وآدم وحواء تفسير للضمير فى اهبطا (قوله بما اشتملتا عليه) قصد بذلك التوفيق بين هذه الآية وآية الأعراف حيث جمع فيها وتقدم لنا وجه آخر فى التوفيق بينهما بأن الجمع باعتبار آدم وحواء وإبليس والحية وحل هذا بقوله بعضكم لبعض عدو باعتبار أن الحية وإبليس عدو لآدم وفريته (قوله من ظلم بعضهم بعضا) أى من أجل ظلم بعضهم بعضا لما فى الحديث « سألت ربى أن لا يسلط على أمتى عدوا من سوى أنفسها فاستجاب لى » (قوله فاما يأتينكم منى هدى) إن شرطية مدخلة فى ما الزائدة ويأتينكم فعل الشرط مبنى على الفتح فى محل جزم لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة ومنى متعلق بهدى وهدى فاهل وقوله لمن أتبع الخ من شرطية وانصب فعل الشرط وحمله فلا يضل جوابه وقوله ومن أعرض الخ جملة شرطية أيضا والجلتان فى محل جن جواب الشرط الأول (قوله أى القرآن) فى تفسير الهدى والذكر

فيما يأتي بالقرآن قصور لأن الخطاب مع آدم وذريته وهداهم وتذكيرهم أهم من أن يكون بالقرآن أو بغيره من الكتب الثائرة على الرسل فالمناسب أن يقول أي كتاب ورسول (قوله بالتثنية) أي وصلا وإيداله ألفا وقفا وفي قراءة شاذة ضنكي كسرى بألف بدل عن التثنية إجراء للوصل مجرى الوقف (قوله مصدر) أي وهو لا ينفى ولا يجمع ولا يؤث بل هو لفظ واحد للجميع ولذلك لم يقل ضنكة (قوله بذاب الكافر في قبره) أي لما ورد أنه بضبط عليه القبر حتى تختلف أضلاعه ولا يزال في العذاب حتى يبعث ، وقيل المراد بالعيشة الضنكي الحياة فيما ينضب الله تعالى وإن كان في رخاء ونعمة إذ لاخير في نعمة بعدها النار لما في الحديث «رب شهوة ساعة أورت حزنا طويلا» (قوله أي للعرض عن القرآن) المناسب أن يقول المعرض عن الهدى لما علمت (قوله أي أعمى البصر) أي وذلك في المنصر فاذا دخل النار زال عماه ليرى مقعده في النار وعذابه بها (قوله الأمر كذلك) قدره إشارة إلى أن كذلك خبر المحذوف (قوله تركتها ولم تؤمن بها) أي فالمراد بالنسيان الأهراس وعدم الإيمان بها ، وليس المراد حقيقة النسيان وحيفئذ فلا يصح الاستدلال بهذه الآية على أن من حفظ القرآن ثم نسيه يحشر يوم القيامة أعمى لأنه أمر اختاف فيه (٦٤) العلماء ، فذهب مالك رضي الله عنه حفظ الزائد عما تصح به الصلاة من القرآن

بالتثنية مصدر بمعنى ضيقة وفسرت في حديث بذاب الكافر في قبره (وَنَحْشُرُهُ) أي المعرض عن القرآن (يَوْمَ الْقِيَامَةِ أَعْمَى) أي أعمى البصر (قَالَ رَبِّ لِمَ حَشَرْتَنِي أَعْمَى وَقَدْ كُنْتُ بَصِيرًا) في الدنيا وعند البعث (قَالَ) الأمر (كَذَلِكَ أَنتُكَ آيَاتُنَا فَنَسِيَهَا) تركتها ولم تؤمن بها (وَكَذَلِكَ) مثل نسيانك آياتنا (الْيَوْمَ تَنسَى) تترك في النار (وَكَذَلِكَ) ومثل جزائنا من أعرض عن القرآن (نَجْزِي مَنْ أَشْرَفَ) أشرك (وَلَمْ يُؤْمِنْ بِآيَاتِ رَبِّهِ وَلَمَذَابُ الْآخِرَةِ أَشَدُّ) من عذاب الدنيا وعذاب القبر (وَأُتِي) أدم (أَقْلَمَ يَهْدٍ) يتبين (لَهُمْ) لكفار مكة (كَمْ) خبرية مفعول به (أَهْلَكْنَا) أي كثيرا إهلاكنا (قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ) أي الأمم الماضية بتكذيب الرسل (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِينِهِمْ) في سفرهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا ، وما ذكر من أخذ إهلاك من فعله الخالي عن حرف مصدرى لرعاية المعنى لا مانع منه (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّمَنْ هَدَى) لذوى العقول (وَلَوْ لَا كَلِمَةُ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ) بتأخير العذاب عنهم إلى الآخرة (لَكُنَّا) الإهلاك (لِزَامًا) لازما لهم في الدنيا (وَأَجَلٌ مُّسَمًّى) مضروب لهم معطوف على الضمير المستتر في كان وقام الفصل بخبرها مقام التأكيد ،

مستحب أ كيد ابتداء ودواما فنسيانه مكروه ، ومذهب الشافعي نسيان كل حرف منه كبيرة تكفر بالتوبة والرجوع لحفظه (قوله أدم) أي لأنه لا ينقطع بخلاف عذاب الدنيا والقبر (قوله أقم يهد لهم) الهمزة داخله على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أعموا فلم يهد لهم (قوله يتبين) أشار بذلك إلى أن يهد فعل لازم ، والمعنى أعموا فلم يظهر لهم إهلاكنا فكثيرا من قباهم من القرون (قوله مفعول به)

أى وتمييزها محذوف أى قرنا وقوله من القرون متعلق بمحذوف صفة لذلك التمييز (قوله بتكذيب الرسل) الباء سببية أى إن الإهلاك بسبب تكذيب الرسل وترك الإيمان ورسوله (قوله وما ذكر) مبتدأ وقوله لا مانع منه خبره ، والمعنى أن أخذ المصدر من الفعل لصحة المعنى لا يتوقف على الحرف للصدرى بل يسبك المصدر من الفعل بدون سابق لتوقف المعنى عليه وأما لصحة الأعراب فلا يكون غالبا إلا بحرف مصدرى (قوله لذوى العقول) أى السليمة الصافية وخصوا بالذكر لأنهم المنتفعون (قوله ولولا كلمة سبقت من ربك لكان لزاما) أى أن الله سبحانه وتعالى سبق في علمه تأخير العذاب العام لهذه الأمة إكراما لنبيها ولولا ذلك لحل بهم كما حل بمن قبلهم من القرون الماضية فتأخيره إهمال لا إهمال ليتدارك الكافر ما فاتته فيما بقي من عمره فإن تاب قبله ربه (قوله معطوف على الضمير المستتر في كان) أى والمعنى لكان الإهلاك والأجل المعين له لزما أى لازما لهم ، ولم يقل لازمين لأن لزما مصدر فى الأصل وإن كان هنا بمعنى اسم الفاعل وقوله وقام الفصل الخ أى أن العطف على ضمير الرفع المتصل جائز إذا حصل الفاصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما كما هنا ، قال ابن مالك : وإن على ضمير رفع متصل عطف فافصل بالضمير المنفصل أو فاصل ما

وأحسن مما قرره المفسر أن يجعل قوله وأجل منبى معطوفاً على كلمة . والمعنى ولولا كلمة وأجل مسمى وهو مدة معيشتهم في الدنيا التي قبرها الله لهم لكان العذاب العام لازماً (قوله فاصبر على ما يقولون) أى حيث علمت أن تأخير عذابهم ليس بإهمال بل هو لازم لهم في القيامة فتسلّ واصبر ولا تزعج (قوله منسوخ بآية القتال) أى وعليه فالمراد بقوله اصبر لاتعاجلهم بالقتال ، وقيل إن الآية محكمة وعليه فالمراد بالصبر عدم الاضطراب مما صدر منهم من الأذية (قوله صل) إنما سمى التسبيح والتحميد صلاة لاشتغالها عليهما ولأن المقصود من الصلاة تزيه الله عن كل نقص . والمعنى لا تشتغل بالدعاء عليهم بل صل الصلوات الحسنى ولما كان الأصل في الأمر الوجوب حمل الأمر بالتسبيح والتعجيل على الأمر بالصلاة (قوله حال) أى من فاعل سبح والباء في عهد ربك للابسة كما قال للمفسر (قوله ومن آناه الليل) جمع إني بكسر الهمزة والتعصر كهي وأصله آناه بهمزتين أبدلت الثانية ألفاً على القاعدة المعروفة (قوله وأطراف النهار) المراد بالجمع مافوق الواحد لأن المراد به الزمن الذى هو آخر النصف الأول وأول الثانى (قوله للنصب) أى بسبح . والمعنى صل في أطراف النهار وهو الوقت الذى يجمع الطرفين وهو الزوال (قوله لعلك ترضى) متعلق بسبح أى سبح في هذه الأوقات لعلك ترضى بذلك ، وانظر إلى هذا الخطاب اللطيف المشر بأنه صلى الله عليه وسلم حبيب رب العالمين وأفضل الخلق أجمعين (٦٥) حيث قال له ربه لعلك ترضى ولم

يقول لعلى أرضى عليك
ونحو ذلك ومن هنا قوله
عليه الصلاة والسلام
«وجئت قرعة عيني في الصلاة»
وقول السيدة عائشة
رضى الله عنها : ما أرى
ربك إلا يسارع في هواك
فصلاته صلى الله عليه
وسلم مأمورها ليرضى هو
لا يكفر الله عنه سيئاته
ولا ليرضى عليه وحينئذ
فلا كلفة عليه فيها لأن فيها
شهود له الذى هو قرعة
عينه وللعارفين السكاملين

(فَأُصْبِرُ عَلَى مَا يَقُولُونَ) منسوخ بآية القتال (وَسَبِّحْ) صل (بِحَمْدِ رَبِّكَ) خال أى متلبساً به (قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ) صلاة الصبح (وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) صلاة العصر (وَمِنْ آتَائِهِ اللَّيْلِ) ساعاته (فَسَبِّحْ) صل المغرب والعشاء (وَأَطْرَافِ النَّهَارِ) عطف على محل من آتائه المنصوب أى صل الظهر لأن وقتها يدخل بزوال الشمس فهو طرف النصف الأول وطرف النصف الثانى (لَمَّا لَكَ تَرْضَى) بما تعطى من الثواب (وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا) أصنافاً (مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) زينتها وبهجتها (لِنَمُتَّنَّهُمْ فِيهِ) بأن يطنوا (وَرِزْقُ رَبِّكَ) فى الجنة (خَيْرٌ) مما أوتوه فى الدنيا (وَأَبْقَى) أدام (وَأَمُرُ أَهْلِكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبْرَ) اصبر (عَلَيْهِمَا لَا نَسْأَلُكَ) نكلفك (رِزْقًا) لنفسك ولا لغيرك (نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ) الجنة (لِلتَّقْوَى) لأهلها (وَقَالُوا) أى المشركون (لَوْلَا) هلا (بَيِّنَاتٌ) محمد (بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) مما يقترحونه (أَوْ لَمْ تأْتِهِمْ) بالباء والياء (بَيِّنَةٌ) بيان ،

من أمته نصيب من هذا المقام (قوله ولا تمدن عينيك) عطف على فاصبر : أى لا تنتظر بعينيك إلى زهرة الدنيا نظر رغبة وهذا الخطاب لرسول الله ، والمراد غيره لأن ذلك مستحيل عليه لما ورد أنه خير بين أن يكون نبيا منكأ أو نبيا عبدا فاختار أن يكون نبيا عبدا وورد «لست من الدنيا وليست الدينانى» (قوله أصنافاً منهم) أى الخلق فالله فى أصناف الخلق فتارة تكون مع الشرف وتارة مع الوضيع وهكذا (قوله زهرة الحياة الدنيا) الأحسن أنه منصوب على أنه مفعول ثانٍ لمتعنا بتضمينه معنى أعطينا والاول هو قوله أزواجاً (قوله بأن يطنوا) الباء مسببة أى نفتنهم بسبب طغيانهم فيه (قوله ورزق ربك خير وأبقى) أى فعلى الانسان أن يشتغل بما هو خير وأبقى وهو الجنة ونعيمها وترك ما يخفى وهو الدنيا وقسمته الأزلية تأنيه منها من غير تعب ولا مشقة (قوله وأمر أهلك) أى أمتك (قوله واصطبر عليها) أى وأمرهم بذلك (قوله نحن نرزقك) أى نحن متكفلون برزقك فتفرغ لما كلفت به ولا تشتغل بما تكفلناك به ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان إذا أصاب أهل بيته ضيق أمرهم بالصلاة وتلاهذه الآية « (قوله والعاقبة للتقوى) أى الجملة الممودة لأهل التقوى (قوله أى المشركون) أى وهم كفار مكة (قوله مما يقترحونه) أى يطلبونه تمننا كما تقدم بعضه فى قوله تعالى : وقالوا لن تؤمن بك حتى تفجر لنا من الأرض ينبوعاً الآيات (قوله أو لم تأتتهم) لهمزة داخلية على محذوف والواو عاطفة على ذلك المحذوف أى أهموا ولم تأتتهم الخ (قوله بالياء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان

(قوله ما في الصحف الأولى) أي الكتب المقدمة . وللعنى ألم يكتفوا بالقرآن المخزى على أخبار الأمم الماضية (قوله ولو أنا أهلكنكم) كلام مستأنف لتقرير ما قبله (قوله لقالوا ربنا إلخ) أي لكان لهم أن يحتجوا يوم القيامة ويعتفروا بهذا العذر فقطع الله هذرهم بإرسال الرسول لهم ولم يهلكهم قبل مجيئه (قوله من قبل أن نذل) أي يحصل لنا القتل والهوان (قوله ونخزي) أي نفتضح (قوله ما يؤول إليه الأمر) أي أمرنا وأمركم (قوله فتربصوا) أي انتظروا (قوله من أصحاب الصراط السوى) من في الموضوعين استفهامية والكلام على حذف مضاف والتقدير فستعلمون جواب من أصحاب إلخ وهو أنهم هم المؤمنون (قوله ومن اهتدى من الضلالة) أشار المفسر إلى وجه الغاية بين التسميق ، فأصحاب الصراط السوى من لم يضل أصلاً كالنبي ومن أسلم صبيها ، ومن اهتدى هو من سبق له الكفر ثم أسلم بعد ذلك .

[سورة الأنبياء عليهم السلام] سميت بذلك لذكر قصص جملة من الأنبياء فيها (قوله مكية) أي نزلت قبل الهجرة باتفاق (قوله أو اثنتا عشرة آية) هذا الخلاف (٦٦) مرتب على الخلاف في قوله تعالى قال أفتعبدون من دون الله إلى قوله أفلا تعقلون هل

(مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) المشتمل عليه القرآن من أنباء الأمم الماضية وإهلاكهم بتكذيب الرسل (وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِمَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ) قبل محمد الرسول (لَقَالُوا) يوم القيامة (رَبَّنَا لَوْلَا) هلا (أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَقَّبِعَ آيَاتِكَ) المرسل بها (مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ) في القيامة (وَنَحْزَى) في جهنم (قُلْ) لهم (كُلُّ) منا ومنكم (مُتَرَبِّصٌ) منتظر ما يؤول إليه الأمر (فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ) في القيامة (مَنْ أَنْصَابُ الصِّرَاطِ) الطريق (السَّوِيِّ) المستقيم (وَمَنْ اهْتَدَى) من الضلالة أنحن أم أتم .

(سورة الأنبياء)

مكية، وهي مائة وإحدى أو اثنتا عشرة آية

(يُسْمِئُ اللَّهُ الرَّحْمَنُ الرَّحِيمُ . اقْتَرَبَ) قرب (لِلنَّاسِ) أهل مكة منكرو البعث (حِسَابُهُمْ) يوم القيامة (وَهُمْ فِي غَفْلَةٍ) عنه (مُعْرِضُونَ) عن التأهب له بالإيمان (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ ذِكْرٍ مِنْ رَبِّهِمْ مُحَدَّثٍ) شيئاً فشيئاً أى لفظ قرآن (إِلَّا أَسْتَمِعُوهُ وَهُمْ يَلْعَبُونَ) يستهزئون (لَاهِيَةً) غافلة (قُلُوبُهُمْ) عن معناه (وَأَسْرَوْا النَّجْوَى) أى الكلام (الَّذِينَ ظَلَمُوا) بدل من واو وأسروا النجوى ،

هو آية واحدة أو آيتان وأول الثانية قوله أف لكم إلخ (قوله أهل مكة) أشار بذلك إلى أنه من إطلاق العام وإرادة الخاص وحاصل ذلك أن كفار قريش قالوا محمد يهدونا بالبعث والجزاء على الأعمال وهذا بهيد فأنزل الله اقترب للناس حسابهم ووجه قرب الحساب أنه آلهامه لكل آت قريب أو يبال إن قربه باعتبار ماضى من الزمان فإن ما بقى أقل مما مضى (قوله وهم في غفلة معرضون) الجملة حالية أى قرب حسابهم والحال أنهم غافلون معرضون غير متأهبين له

والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية وإن كان سببها الرد على كفار مكة إلا أن العبرة بعمومها (قوله ما يأتىهم من ذكر) هذا في معنى العلة لما قبله كأنه قال معرضون لأنه ما يأتىهم من ذكر إلخ (قوله من ربههم) الجار والمجرور متعلق بيا تىهم (قوله أى لفظ قرآن) دفع بذلك ما يقال كيف وصف الله كذا بالحدث مع أن المراد به القرآن وهو قديم . فأجاب بأن وصفه بالحدث باعتبار ألفاظه المنزلة علينا ، وأما باعتبار المدلول وهو الوصف القائم بذاته تعالى فهو قديم وأما ما دلت عليه الالفاظ الحادثة ، فمنها ما هو قديم كمدلول آية السكرى والصمدية ، ومنها ما هو حادث كمدلول القصص وأخبار المتقدمين ، ومنها ما هو مستحيل كمدلول ما اتخذ الله من ولد (قوله وهم يلعبون) الجملة حالية من فاعل استمعوه وكذا قوله لاهية قلوبهم . والمعنى ما يقرأ عليهم القرآن إلا استمعوه في حال استهزائهم وكون قلوبهم غافلة عن معناه فلا يسمعون سمعاً تدبر وقبول وكل آية وردت في الكفار جرت بذيلها على عصاة الأمة ، ففي هذه الآية تحذير لمن يستمع القرآن في حال لهوه ولعبه وأقبح منه من يتررب بسماعه من حيث اشتغاله على الانعام المعروفة لا من حيث بلاغته ومواعظه وأحكامه وكونه من عند الله فأنافه وإنا إليه راجعون (قوله بدل من واو وأسروا النجوى)

(هل)

أشار بذلك إلى أن أسر فعل ماضٍ والواو فاعله والتجوى مفعوله والذين بدل وهذه إحدى طريقتين لتحويلين في الفعل الذي لحقته العلامة وأمسد للظاهر. والطريقة الثانية أن الواو حرف علامة والذين فاعل وتسمى بلفظة أكلوني البراغيث ولما كانت ضعيفة لا ينبغي حمل الآية عليها أعرض عنها المفسر (قوله هل هذا إلا بشر مثلكم) بدل من التجوى مفسر لها أى فكأنوا يتناجون بذلك سرايبهم ثم يشيع كل واحد منهم مقالته ليضل غيره (قوله أقتاتون السحر) أى تحضرونه وتقبلونه (قوله وأتم تبصرون) الجملة حالية من فاعل تأتون (قوله في السماء والأرض) أشار المفسر إلى أنه حال من القول أى يعلم القول حال كون القول كائناً في السماء والأرض (قوله للانتقال من غرض إلى آخر) أى فلتضع بل في القرآن إلا للانتقال لا للإبطال لأنه يكون إضراباً عن الكلام السابق وإعراضاً عنه لكونه صدر على وجه الغلط ونزه الله عنه خلافاً لمن يقول إنها تأتي للإبطال واستدل بقوله تعالى وقالوا اتخذ الرحمن ولداً سبحانه بل عباد مكرمون وقوله تعالى أم يقولون به جنة بل جاءهم بالحق ولا دليل في ذلك لأن بل فيها للانتقال من الأخبار بقولهم إلى الأخبار بالواقع فتأمل (قوله أضغاث أحلام) خبر محذوف فعله المفسر بقوله هو والجملة مقول القول (قوله بل هو شاعر) أى يأتي بكلام يخيل للسامع معاني لاحقة (٦٧) لها وليس المراد بالشعر هنا خصوص

الكلام المقفى الموزون قصداً بل ما هو أعم (قوله فليأتنا بآية) جواب شرط مقدر كأنه قيل وإن لم يكن كما قلنا بل كان رسولا كما يزعم فليأتنا الخ (قوله كما أرسل الأولون) صفة لصدر محذوف والتقدير إتيانا كائناً مثل إرسال الأولين (قوله من قرية) من زائدة في الفاعل (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله وما أرسلنا) رد لقولهم هل هذا إلا بشر مثلكم (قوله

(هَلْ هَذَا) أى محمد (إِلَّا بَشَرٌ مِّثْلُكُمْ) فإى يأتي به سحر (أَفَتَأْتُونَ السَّحَرَ) تبصرونه (وَأَنْتُمْ تَبْصِرُونَ) تعلمون أنه سحر (قُلْ) لهم (رَبِّى يَتْلُمُ الْقَوْلَ) كائناً (فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ وَهُوَ السَّمِيعُ) لما أسروا (الْعَلِيمُ) به (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر في المواضع الثلاثة (قَالُوا) فيما أتى به من القرآن هو (أَضْغَاثُ أَحْلَامٍ) أخلاط رآها في النوم (بَلِ افْتَرَاهُ) اختلقه (بَلْ هُوَ شَاعِرٌ) فإى يأتي به شعر (فَلْيَأْتِنَا بآيَةٍ كَمَا أُرْسِلَ الْأُولُونَ) كالناقة والمصا واليد، قال تعالى (مَا آمَنَتْ قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْيَةٍ) أى أهلها (أَهْلَكْنَاهَا) بتكذيبها ما أنها من الآيات (أَنْهُمْ يُؤْمِنُونَ) لا (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ إِلَّا رِجَالًا يُوْحَى) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِمْ) لا ملائكة (فَسِئَلُوا أَهْلَ الذِّكْرِ) العلماء بالتوراة والإنجيل (إِنْ كُنْتُمْ لَا تَعْلَمُونَ) ذلك فإنهم يعلمونه وأتم إلى تصديقهم أقرب من تصديق المؤمنين بمحمد (وَمَا جَعَلْنَاهُمْ) أى الرسل (جَسَداً) بمعنى أجساداً (لَا يَأْكُلُونَ الطَّعَامَ) بل يأكلونه (وَمَا كَانُوا خَالِدِينَ) في الدنيا (ثُمَّ صَدَقْنَاهُمُ الْوَعْدَ) بأنجائهم (فَأَنْجَيْنَاهُمْ وَمَنْ نَّشَاءُ) أى الصديقين لهم (وَأَهْلَكْنَا الْمُسْرِفِينَ) المكذبين لهم،

يوحى إليهم) أى يأتيهم الوحي بالشرائع والأحكام، والمعنى ما أرسلنا إلى الأمم قبل إرسالك لا تمتك إلا رجالاً من أفراد جنسك متأهلين للإرسال (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضاً (قوله فاستلوا أهل الذكر) أى المطلعين على أحوال الرسل الماضية فانهم يخبرونكم بحقيقة الحال (قوله العلماء بالتوراة والإنجيل) إنما أحاطهم عليهم لأنهم كانوا يرسلون للشركين أن ابقوا على ما أنتم عليه من التكذيب ونحن معكم فهم مشتركون في العداوة لرسول الله وأصحابه فلا يكذبونهم فيما هم فيه (قوله من تصديق المؤمنين) المصدر مضاف لمفعوله والفاعل محذوف أى أقرب من تصديقكم المؤمنين. والمعنى إذا أخبركم المؤمنون بحال محمد وحال الرسل المتقدمين وأخبركم أهل الكتاب بذلك صدقتم أهل الكتاب دون المؤمنين لا لفتكم أهل الكتاب وعداوتكم للمؤمنين (قوله وما جعلناهم جسداً لا يأكلون الطعام) رد لقولهم مال هذا الرسول يأكل الطعام. والمعنى لم نجعلهم ملائكة بل جعلناهم بشراً يأكلون الطعام (قوله وما كانوا خالدين) أى ما كثر على سبيل الخلود في الدنيا بل يموتون كغيرهم (قوله ثم صدقناهم الوعد) أى بإهلاك أعدائهم (قوله بأنجائهم) محمول على الرسل الذين أسروا بالجهاد فلا يرد من قتل من الرسل فانهم لم يؤمروا بالجهاد (قوله ومن نشاء) أى المؤمنين الذين اتبعوهم. وقد وقع ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فان كبراء الذين حضروا منازيته لم يموتوا في حروبه بل بقوا بعده ومهدوا دينه.

(قوله لقد أنزلنا إليكم كتابا) كلام مستأنف قصد به التثبيت عليهم . والمعنى كيف تعرضون عن كتاب فيه شرفكم وعزكم لأنه بلسانكم وعلى لتسكم فكان يقتضى الحية والعقل أن تعظموا هذا الكتاب وهذا النبي الذى جاء به وتكونوا أول مؤمن به فاعراضكم عنه دليل على عدم عقلكم (قوله فيه ذكركم) أى الثناء عليكم بالجليل أو شرفكم أو مواعظكم (قوله أفلا تعقلون) الهزمة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أجهلتم فلا تعقلون أن الأمر كذلك (قوله وكم قصمنا من قرية) كم خبرية مفعول مقدم لقصمنا ومن قرية بيان لكم (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف والمقصود من هذه الآية تحذير الكفار من هذه الأمة من عدم الإيمان والرجوع عن الكفر بأنهم لا يضرهم سعة الدنيا عليهم والتفاخر بالأموال والأولاد كأن الله يقول لهم لا تتفخروا بذلك فأننا أهلكتنا كثيرا من أهل القرى الكفار وما جرى عليهم يجرى عليكم وأهل القرى قيل للراد بهم الأمم الماضية كقوم نوح ولوط وحال وشعيب وغيرهم ، وقيل المراد بهم أهل قرية نسي حضور بوزن شكور بعث الله عليهم موسى بن ميثا بن يوسف بن يعقوب نبيا قبل موسى بن عمران فكذبوه وقتلوه (٦٨) فسلط الله عليهم يختنصر فقتل رجالهم ومسي نساءهم فلما استمر فيهم القتل

هربوا فقالت الملائكة لهم استهزاء لا تركضوا وارجعوا إلى مساكنكم وأموالكم لعلكم تسئلون شيئا من دنياكم فانكم أهل نعمة وغنى فاتبعهم يختنصروا أخذتهم السيوف ونادى مناد من جو السماء يا نارات الأنبياء فلما رأوا ذلك أقروا بالدنوب حيث لم ينفعهم فعلى القول الأول كم واقعة على القرى وعلى الثانى واقعة على أشخاص تلك القرية (قوله أى شر أهل القرية) بفتح العين بمعنى علم وأما بالضم فعناه

(لَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ) يامشر قريش (كِتَابًا فِيهِ ذِكْرُكُمْ) لَأنه بَلَّغْتُكُمْ (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) فَيُؤْمِنُونَ بِهِ (وَكَمْ قَصَمْنَا) أَهْلَكْنَا (مِنْ قَرْيَةٍ) أَى أَهْلَكْنَا (كَأَنَّا ظَالِمَةٌ) كَافِرَةٌ (وَأَنْشَأْنَا بَعْدَهَا قَوْمًا آخَرِينَ . فَلَمَّا أَحْشَوْا بَأْسَنَا) أَى شَرَّ أَهْلِ الْقَرْيَةِ بِالْإِهْلَاكِ (إِذَا هُمْ مِنْهَا يَرْكُضُونَ) يَهْرَبُونَ مُسْرِعِينَ قَالَتْ لَهُمُ الْمَلَائِكَةُ اسْتَهْزَأُوا (لَا تَرَوْا كُفُورًا وَأَرْجِعُوا إِلَى مَا أُتْرِفْتُمْ) نَعَمْ (فِيهِ وَمَتَا كَيْفُكُمْ لَمَلِكُكُمْ تُسْأَلُونَ) شَيْئًا مِنْ دُنْيَاكُمْ عَلَى الْعَادَةِ (قَالُوا يَا) لَقْنِيهِ (وَيَلْتَنَا) هَلَاكُنَا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بِالْكَفْرِ (فَمَا زَالَتْ تِلْكَ) الْكَلِمَاتُ (دَعْوَاهُمْ) يَدْعُونَ بِهَا وَيُرَدِّدُونَهَا (حَتَّى جَعَلْنَاهُمْ حَصِيدًا) أَى كَالزَّرْعِ الْمَحْصُودِ بِالنَّاجِلِ بَأَن قَتَلُوا بِالسَّيْفِ (خَامِدِينَ) مَيِّتِينَ كَحُمُودِ النَّارِ إِذَا طَفِئَتْ (وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا لَا عَيْنٍ) عَاشِينَ بِلِ دَالِيْن عَلَى قُدْرَتِنَا وَنَافِئِينَ عِبَادِنَا (لَوْ أَرَدْنَا أَنْ نَتَّخِذَ لَهْوًا) مَا يَلْهَى بِهِ مِنْ زَوْجَةٍ أَوْ وَلَدٍ (لَا نَتَّخِذُهُ مِنْ لَدُنَّا) مِنْ عِنْدِنَا (مِنْ الْخُورِ الْعَيْنِ وَالْمَلَائِكَةِ ،

تسلكم بالشعر ضد النثر (قوله يهربون) أى قال كس كناية عن الهرب (قوله استهزاء بهم) (إن) جواب عما يقال إن الملائكة معصومون من الكذب فكيف يقولون لهم ذلك مع علمهم بأنهم مهلكون عن آخرهم فأجاب بأن هذا القول ليس على حقيقته بل سخرية بهم على حد : ذق إنك أنت العزيز الكريم (قوله وما كنكم) بالجر عطفا على ما (قوله ثبنا من دنياكم) أى فاقم أهل سخاء وغنى تعطون الفقراء وهذا توبيع وتهكم بهم (قوله بالكفر) أى وقتل موسى (قوله فما زالت) مانافية وزال فعل ماض ناقص وتلك اسمها ودعواهم خبرها (قوله الكلمات) المراد بها قولهم يا ويلنا لما كنا ظالمين (قوله حتى جعلناهم) أى رجلهم وأما النساء فقد سباهم يختنصروا كما تقدم وكلام المفسر يفيد أن هذه الآية حكاية عن أهل حضور (قوله نكمود النار) أى سكون لها مع بقاء جمرها وأما الحمود فهو عبارة عن ذهاب النار بالكلية حتى تصير رمادا (قوله لا عين) حال من فاعل خلقنا وهو عطف النقي (قوله بل دالين على قدرتنا) ويسبحوننا دليل قوله تعالى - وإن من شئ إلا يسبح بحمده - (قوله ونافين عبادنا) أى وتفصيل جهات النفع بها لا يعلمها إلا الله سبحانه وتعالى (قوله لو أردنا أن نتخذ لهوا) رد على من أثبت الولد والزوجة لله (قوله لا نتخذناه من لدنا) جواب لو واستثناء قبيض التالى ينتج نقيض المقسم والمعنى لو جعلت إرادتنا باتخاذ الزوجة والولد لا نتخذناه من عندنا لكننا لم نتخذناه فلا سخط به إرادتنا لاستحالة ذلك علينا .

(قوله إن كنا قاعلين) يحتمل أن تكون إن نافية أى ما كنا قاعلين (قوله بل نقذف بالحق على الباطل) أى شأنا أن نؤيد الحق ونذهب الباطل (قوله مما تصفون الله به) أشار بذلك إلى أن ماموصولة والعائد محذوف ويصح أن تكون مصدرية . والمعنى ولكم الويل من أجل وصفكم إياه بما لا يليق (قوله أى الملائكة) عبر عنهم بالعندية إشارة إلى أنهم في مكانة وشرف ورفعة (قوله لا يستكبرون) أى يتكبرون (قوله ولا يستحسرون) أى لا يكرهون ولا يتعبون (قوله يسبحون الليل والنهار) المقصود من هذا الاخبار تحريض المؤمنين على الطاعات وتبكي الكفار على تركها لأن العبادة والتسبيح وصف أهل القرب والشرف وتركها وصف أهل البعد والحسة (قوله فهو منهم كالنفس منا) أى فهو سجيبة وطبيعة لهم ولا يشغلهم التسبيح عن غيره كلعن الكفرة وتزول الأرض وتبلغ الأحكام وغير ذلك كما أن شغلنا بالنفس لا يمنعنا الكلام . إن قلت إن هذا قياس مع الفارق لأن آلة النفس غير آلة الكلام وأما التسبيح واللعن فهما من جنس الكلام فاجتماعهما محال . أجب بأن الملائكة لهم ألسنة كثيرة بعضها يسبحون الله به وبعضها يلعنون أعداء الله به فلا يقاسون على بنى آدم (قوله وهمة الانكار) أى وهو راجع لقوله هم ينشرون (قوله هم ينشرون) أى حيث ادعوا أنها آلهة لهم ماذكر ضمنا والتزاما وإلا فهم لم يدعوا أنها تعجب الموتى (قوله لو كان فيهما آلهة إلا الله لفسدتا) لو حرف شرط (٦٩) وكان تامة فعل الشرط وآلهة قاعلها وفيهما متعلق بكان والإجماع غير صفة لآلهة ظهر اعرابها فيها بعدها وقوله لفسدتا جواب الشرط ففعل الشرط يقال له المقدم وجوابه يقال له التالى واستثناء نقيض التالى ينتج نقيض المقدم . والمعنى لكنهما لم تفسدا فلم يكن فيهما آلهة غير الله والجمع فى آلهة ليس قيذا وكذا قوله فيهما وإنما أتى بذلك ردا على الكفار فى اتخاذهم الآلهة فى السماء والأرض (قوله أى غيره)

(إِنْ كُنَّا قَاعِلِينَ) ذَلِكَ لَكُنَّا لَمْ نَفْعَلْ فَلَمْ نَرُدْ (بَلْ نَقْذِفُ) نَرْمِي (بِالْحَقِّ) الْإِيمَانِ (عَلَى الْبَاطِلِ) الْكُفْرِ (فَيَذِمُّهُ) يَذْهَبُ (فَإِذَا هُوَ زَاهِقٌ) ذَاهِبٌ ، وَدَمْنُهُ فِي الْأَصْلِ أَصَابَ دِمَاغَهُ بِالضَرْبِ وَهُوَ مَقْتُلٌ (وَلَكُمْ) يَا كُفَّارَ مَكَّةَ (الْوَيْلُ) الْمَذَابُ الشَّدِيدُ (مِمَّا تَصِفُونَ) اللَّهُ بِهِ مِنَ الزُّوجَةِ أَوْ الْوَلَدِ (وَلَهُ) تَعَالَى (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مُلْكًا (وَمَنْ عِنْدَهُ) أَى الْمَلَائِكَةُ مَبْتَدَأُ خَبَرِهِ (لَا يَسْتَكْبِرُونَ عَنْ عِبَادَتِهِ وَلَا يَسْتَحْسِرُونَ) لَا يَمِينُونَ (يُسَبِّحُونَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لَا يَفْتُرُونَ) عَنْهُ فَهُوَ مِنْهُمْ كَالنَّفْسِ مِنَّا لَا يَشْغَلُنَا عَنْهُ شَاغِلٌ (أَمْ) بِمَعْنَى بَلِ لِلانْتِقَالِ وَهَمَزَةُ الْانْكَارِ (اتَّخَذُوا آلِهَةً) كَانَتْ (مِنْ الْأَرْضِ) كَجَبَرٍ وَذَهَبٍ وَفُصَّةٍ (هُمْ) أَى الْآلِهَةُ (يُنْشِرُونَ) أَى يَحْيِيُونَ الْمَوْتَى ؟ لَا ، وَلَا يَكُونُ لَهُمَا إِلَّا مِنْ يَحْيَى الْمَوْتَى (لَوْ كَانَ فِيهِمَا) أَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ (آلِهَةٌ إِلَّا اللَّهُ) أَى غَيْرُهُ (لَفَسَدَتَا) خَرَجْنَا عَنْ نِظَامِهِمَا الْمَشَاهِدِ لَوْجُودِ التَّمَانِعِ بَيْنَهُمْ عَلَى وَفْقِ الْمَادَّةِ عِنْدَ تَعَدُّدِ الْحَاكِمِ مِنَ التَّمَانِعِ فِي الشَّيْءِ وَعَدَمِ الْإِتِّفَاقِ عَلَيْهِ (فَسُبْحَانَ) تَتَزَيَّهُ (اللَّهُ رَبِّ) خَالِقِ (الْعَرْشِ) ،

أشار بذلك إلى أن إلا صفة بمعنى غير فهي اسم لكن لم يظهر اعرابها إلا فيما بعدها لكونها على صورة الحرف ولا يجوز أن تكون أداة استثناء لامن جهة المعنى ولا من جهة اللفظ أما الأول فلائذ يلزم منه نفي التوحيد إذ التقدير لو كان فيهما آلهة ليس فيهم الله لفسدتا فيقتضى بمفهومه أنه لو كان فيهما آلهة فيهم الله لم تفسدا وهو باطل وأما الثانى فلأن المستثنى منه يشترط أن يكون عاما وآلهة جمع منسك في الاثبات فلا عموم له فلا يصح الاستثناء منه (قوله لوجود التمانع بينهم) أى التخالف بين الآلهة ويسمى الدليل على ذلك يبرهان التمانع والتطارد في فرض اختلافهما . وتقريره أن يقال لو فرض إلهان متصفان بصفات الألوهية وأراد أحدهما إيجاد شيء والآخر إعدامه فاما أن يتم مرادهما معا وهو باطل للزوم اجتماع الضدين أو لا يتم مرادهما معا وهو باطل أيضا للزوم عجز من لا يتم مراده وعجز من يتم مراده أيضا لوجود الممانعة بينهما فيطل التعدد وثبتت الوجدانية وإذا فرض اتفاقهما فهو باطل أيضا لوجود برهان التوارد وتقريره أيضا أن يقال لو فرض إلهان وأرادا معا إيجاد شيء فاما أن يحصل إرادتهما معا وذلك باطل لانه يلزم عليه اجتماع مؤثرين على أثر واحد أو يسبق أحدهما إلى إيجاده فيلزم عليه عجز الآخر أو تحصيل الحاصل ويلزم عجز الأول لوجود الممانعة بينهما . وإعلان الدليل على ثبوت الوجدانية لله النقل والعقل ، أما النقل فكآيات كثيرة جد منها : وإلهكم إله واحد لا إله إلا هو ، الله لا إله إلا هو الحى القيوم ، هو الذى يصوركم فى الأرحام كيف

يشاء لا إله إلا هو إلى غير ذلك وأما العقل فقد علمنا الله كيفيته بقوله تعالى - ما اتخذ الله من ولد وما كان معه من إله إذا ذهب كل إله بما خلق ولعل بعضهم على بعض - وكهذه الآية إذا علمت ذلك فالدليل في هذه الآية قطعي كما هو الحق لكون الفساد مرتباً على فرض الاتفاق والاختلاف وليس إقناعياً بحسب ما يفهمه المخاطب خلافاً لما تقتضيه عبارة المفسر حيث أحاله على العادة وبهذه الآية اثبت الكوم الخمسة السكم المتصل في الذات وهو التركيب فيها والسكم المنفصل فيها وهو النظر فيها والسكم المتصل في الصفات وهو التركيب فيها والسكم المنفصل فيها وهو الأفعال وهو المشارك له فيها ، والمتصل فيها لا ينفى لأنه ثابت لأن أفعاله كثيرة على حسب شؤونه في خلقه (قوله الكرسي) الصواب إبقاء العرش على ما هو عليه لأن التحقيق أن العرش جسم عظيم محيط بالعالم برمته والكرسي تحته وخص العرش بالله كونه لأنه أعظم من غيره فإذا كان الله رب العرش كان رب غيره بالأولى (قوله لا يستل عما يفعل) أي لا يستل عما يحكم في عباده من إعزاز وإذلال وهدي وإضلال وإسعاد وإشقاء لأنه الرب الخالق المالك لجميع الأشياء ، إذا علمت ذلك فالاعتراض على أفعال الله إما كفر أو قريب منه (قوله وهم يستلون) (٧٠) أي يقال للخلق لم فعلتم كذا لأنهم عبيد يجب عليهم امتثال أمر مولاهم

الكرسي (عَمَّا يَصِفُونَ) أي الكفار الله به من الشريك له وغيره (لَا يُسْتَلُّ عَمَّا يَفْعَلُ وَهُمْ يُسْتَلُونَ) عن أفعالهم (أَمْ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ تَمَالَى أَي سِوَاهُ (آلِهَةً) فيه استفهام توبيخ (قُلْ هَاتُوا بُرْهَانَكُمْ) عن ذلك ولا سبيل إليه (هَذَا ذِكْرٌ مِنْ مَعِيَ) أي أمي وهو القرآن (وَذِكْرٌ مِنْ قَبْلِي) من الأمم وهو التوراة والإنجيل وغيرها من كتب الله ليس في واحد منها أن مع الله إلهاً ما قالوا ، تعالى عن ذلك (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ الْحَقَّ) أي توحيد الله (فَهُمْ مُعْرِضُونَ) عن النظر الموصول إليه (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ إِلَّا يُوحَى) وفي قراءة بالنون وكسر الحاء (إِلَيْهِ أَنَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا أَنَا فَاعْبُدُونِ) أي وحدوني (وَقَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا) من الملائكة (سُبْحَانَهُ ، بَلْ هُمْ (عِبَادٌ مُكْرَمُونَ) عنده والعبودية تنافي الولادة (لَا يَسْبِقُونَهُ بِالْقَوْلِ) لا يأتون بقولهم إلا بعد قوله (وَهُمْ يَأْمُرُهُ بِعَمَلُونَ) أي بعده (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أي ما عملوا وما هم عاملون (وَلَا يَشْفَعُونَ إِلَّا لِمَنْ ارْتَضَى) تعالى أن يشفع له (وَهُمْ مِنْ خَشِيَتِهِ) تعالى (مُشْفِقُونَ) أي خائفون ،

وتبين بهذا أن من يستل عن أعماله كعيسى والملائكة لا يصلح للالهية (قوله أم اتخذوا من دونه آلهة) إضراب انتقالي من بطلان التعدد إلى إظهار بطلان اتخاذهم تلك الآلهة من غير دليل على ألوهيتها (قوله فيه استفهام توبيخ) أي من حيث إن أم بمعنى المهمة وسكت عن كونها بمعنى بل هنا والناسب لما تقدم أنها بمعنى أيضاً (قوله على ذلك) أي الاتخاذ كأن الله يقول لهم نحن

(ومن)

قد آتينا يراهم دالة على وحدانيتنا فأتوا يبرهان يدل

على ثبوت الشريك لنا (قوله هذا ذكر من معي) أي عظمتهم و متمسكهم على التوحيد (قوله ليس في واحد منها) أي فراجعوها وانظروا هل في واحد منها غير الأمر بالتوحيد والنهي عن الإشراك (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) إضراب انتقالي من حاجتهم إلى بيان أنهم كالبهايم لا يعيزون بين الحق والباطل (قوله الحق) الكلام على حذف مضاف أي توحيد الحق (قوله وما أرسلنا من قبلك إلخ) تقرير لما قبله من كون التوحيد نطق به الكتب القديمة واجتمعت عليه الرسل (قوله وفي قراءة) أي وهي سبغية أيضاً (قوله وقالوا) الضمير عائد على فرق من العرب وهم خزاعة وجهينة وبنو سلمة حيث قالوا الملائكة بنات الله (قوله والعبودية تنافي الولادة) أي لأن عبد الإنسان لا يكون ولده وهذا بحسب المعتاد عندهم (قوله وهم بأمره يعملون) أي لا يخالفونه في القول ولا في العمل (قوله يعلم ما بين أيديهم وما خلفهم) أي فهم يراقبونه في جميع أحوالهم فلا يقدمون على قول ولا عمل بغير مراده لهم بأنه تعالى محيط بهم (قوله إلا لمن ارتضى) أي كان مؤمناً فلا يقدمون على الشفاعة إلا لمن علموا أن الله راض عنه وقبل شفاعتهم فيه (قوله وهم من خشيته مشفقون) أي وجلون لا يأمنون مكروه ، والاشفاق الخوف مع الاجلال وبرادفه الحشية .

(قوله ومن يقل منهم) أي من الملائكة المحدث عنهم أولاً بقوله بل عباد مكرمون وهذا على سبيل الفرض والتقدير لأهم معصومون من الكفر والمعاصي ويحتمل أن القول قد وقع من بعضهم وهو إبليس كما قال المفسر وكونه من الملائكة باعتبار أنه كان بينهم وملحقاً بهم في العبادة حتى قيل إنه كان أعبدهم (قوله دعا إلى عبادة نفسه) أي لأجل الاضلال والاغواء ولا مانع من ذلك كما يقع لبعض الزنادقة من تشككاته لهم في الصور النيرة كالقمر والشمس وغير ذلك ودعواه أنه رب العالمين وكما وقع لبعضهم العابد حيث أتى له وهو مصلوب وقال له اسجد لي أنا أخلصك وإن كان في الواقع معترفاً بالعبودية لله تعالى وآيها من رحمته إذا علمت ذلك فيكلام المفسر لاغيار عليه (قوله كدبت يحري الظالمين) أي إياها (قوله أولم ير) الهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير ألم يتفكروا ويعلموا (قوله بواو ودونها) قراءة ثان سبعيتان (قوله ير الذين كفروا الخ) شروع في ذكر ستة أحلة على التوحيد وأن ماسوى الله مهوور وهو القاهر فوق عباده (قوله كاتارتقا) أي شيئاً واحداً لما روى أن الله خلق السموات والأرض بعضها على بعض ثم خلق ريحاً توسطتها ففتتها بها وقيل خلق السموات قطعة واحدة مرتفعة والأرض قطعة واحدة منخفضة فجعل السموات سبعة والأرض سبعة (٧١) ولكن السموات طباق والأرض

مختلف فيها قيل طباق وقيل مجاورة لبعضها كناية عن الأقاليم السبعة وتقدم الجواب عن جمع السموات وإفراد الأرض بأن جنس السموات مختلف بخلاف الأرض (قوله أن كانت لا تمطر) بفتح الهمزة مصدرية أي كونها لا تمطر فأمطرت (قوله من الماء) الجار والمجرور متعلق بمحذوف مفعول ثان مقدم وكل شيء مفعول أول مؤخر والمعنى ناشئاً ومتسبباً عنه (قوله نبات وغيره) أي فالحياء في كل شيء بحسبه

(وَمَنْ يَقُلْ مِنْهُمْ إِنِّي إِلَهٌ مِنْ دُونِهِ) أي الله أي غيره وهو إبليس دعا إلى عبادة نفسه وأمر بطاعتها (فَذَلِكَ تَجْزِيهِ جَهَنَّمَ كَذَلِكَ) كما يجزيه (تَجْزِي الظَّالِمِينَ) أي المشركين (أَوْ لَمْ) بواو وتمركها (يَرِ) يعلم (الَّذِينَ كَفَرُوا أَنَّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ كَانَتَا رَتْقًا) أي سداً بمعنى مسدودة (فَفَتَقْنَاهُمَا) أي جعلنا السماء سبعة والأرض سبعة، أو فتق السماء أن كانت لا تمطر فأمطرت وفتق الأرض أن كانت لا تنبت فأنبتت (وَجَعَلْنَا مِنَ الْمَاءِ النَّازِلَ مِنَ السَّمَاءِ وَالنَّارِجَ مِنَ الْأَرْضِ) (كُلُّ شَيْءٍ حَيٍّ) نبات وغيره أي فالماء سبب لحياته (أَفَلَا يَوْمِنُونَ) بتوحيدي (وَجَعَلْنَا فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبلاً ثوابتاً (أَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِهِمْ وَجَعَلْنَا فِيهَا) أي الرواسي (فَجَبَاجًا) مسالك (سُبُلًا) بدل أي طرقاً نافذة واسعة (لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) إلى مقاصدهم في الأسفار (وَجَعَلْنَا السَّمَاءَ سَقْفًا) للأرض كالسقف للبيت (مَحْفُوظًا) من انبثاق (وَهُمْ عَنْ آيَاتِنَا) من الشمس والقمر والنجوم (مُعْرِضُونَ) لا يتفكرون فيها فيطمنون أن خالقها لا شريك له (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي نُورِيهِ عَوْضٌ عَنِ الْمُضَاءِ) (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلٌّ فِي نُورِيهِ عَوْضٌ عَنِ الْمُضَاءِ) أي مستدير كالطاحونة

لحياء الحيوان قيام الروح به وحياء النبات بروزه من الأرض وخضرته وإثماره (قوله رواسي) جمع راسية من رسا الشيء إذا ثبت واستقر (قوله أن تميد) قدر المفسر لا النافية لصحة التعليل أي لأجل عدم تحركها بهم لأن تثبيتها بالجبال لأجل عدم التحرك لا للتحرك (قوله إلى مقاصدهم) أي الدنيوية والأخروية (قوله كالسقف للبيت) أي وهذا ما عليه أهل السنة وقالت الحكماء إن السماء محيطة بالأرض كاحاطة بياض البيضة بصفارها إذا علمت ذلك فلا فرار من قضاء الله إلا إليه (قوله محفوطاً من الوقوع) أي أو عن الفساد والخلل (قوله وهم عن آياتها) أي الدالة على وجود الصانع وكمال صفاته وأفعاله (قوله من الشمس والقمر) أي وغيرهما كالنجوم وارتفاعها من غير عمد وقزول الماء منها (قوله لا يتفكرون فيها) أي مع أنهم لو سئلوا ممن خلق السموات والأرض ليقولن الله (قوله وهو الذي خلق الليل الخ) فيه الثقات من التكلم للغبية (قوله من الشمس والقمر) بيان للمضاف إليه المحذوف (قوله أي مستدير كالطاحونة) أي كهيئة فلسة للفرل أي ثقائه وقيل الفلك السماء التي تسير فيها تلك الكواكب كما تسير السفن في البحر واختلاف الناس في حركات الكواكب على ثلاثة أقوال قيل إن الفلك ساكن والسير للكواكب وهو الذي يدل عليه لفظ القرآن، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب متحركة وحركة

كل تدافع حركة الآخر ، وقيل إن الفلك متحرك والكواكب ساكنة ولا يعلم الحقيقة إلا الله تعالى . واختلف هل الشمس والقمر يجريان من تحت الأرض وعليه الحكماء أو ينتهي سيرهما في العالم العلوي وعليه أهل السنة (قوله وللتشبيه به) جواب عما يقال لم جمعهما بضمير العقلاء . فأجلب بأنه لما أسندت لهما السباحة التي هي من أفعال العقلاء جمعا جمعهم (قوله ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت) أي شتمته به (قوله وما جعلنا لبشر من قبلك الخلد) أي سبقت حكمتنا بأن كل بشر من قبلك بل ومن بعدك لا يتخذ في الدنيا بل بطوق الموت والتقصير على البشر وإن كان غيره كذلك يدل على ما بعده للرد عليهم لكونهم من البشر (قوله فالجدة الأخيرة الخ) أي فالجمعة مقدمة من تأخير لأن الاستفهام له الصلوة والأصل أنهم الخالدون إن مت (قوله كل نفس) أي مخلوقة فلا يرد ذلك الله تعالى وهو دليل لما قبله أهم منه وليس معيبا وقوله ذاتقة الموت أي ذاتقة مرارة مفارقة الروح للجسم وهي في غاية الصعوبة جدا ومناوئة بصير القصب بالآلة المعروفة فانه لا يبقى فيه طراوة أصلا بل يؤخذ للنار حالا غير أن المؤمن يقبل برؤية ما أعد له من النعيم الدائم والكافر يزداد بالموت عقوبة لرؤيته ما أعد له من العذاب للقيم (قوله نختبركم) أي فماملكم معاملة المختبر إذ لا يخفى على الله شيء (قوله أتبصرون) راجع للشمر وقوله وتشكرون راجع للخبر (٧٢) فالؤمن الكامل يشاهد الأشياء كلها من الله فإذا ابتلى بالفقر أو الرض مثلا

في السماء (يَسْتَبْعُونَ) يسبون بسرعة كالساح في الماء ، وللتشبيه به أي بضمير جمع من يقل . ونزل لما قال الكفار إن محمدا سيموت (وَمَا جَعَلْنَا لِبَشَرٍ مِنْ قَبْلِكَ الْخُلْدَ) أي البقاء في الدنيا (أَفَأَنْتَ مُتُّهُمْ الْخَالِدُونَ) فيها ؟ لا ، فالجدة الأخيرة محل الاستفهام الانكارى (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ) في الدنيا (وَتَبْلُوكُمْ) نختبركم (بِالشَّرِّ وَالْخَيْرِ) كقفر وغنى وسقم وحمى (فِتْنَةً) مفعول له أي لننظر أتصبرون وتشكرون أولا (وَإِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) فنجازيكم (وَإِذَا رَأَوْا الَّذِينَ كَفَرُوا) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوءًا) أي مهزوا به يقولون (أَهَذَا الَّذِي بَذَرْنَاكُمْ) أي يبعثها (وَهُمْ يَذُكِّرُونَ) لهم (هُمْ) تأكيد (كَافِرُونَ) به إذ قالوا مانعرفه . ونزل في استعجالهم العذاب (خَلَقَ الْإِنْسَانَ مِنْ عَلَجٍ) أي إنه لكثرة عجله في أحواله كأنه خلق منه (سَارِيكُم آيَاتٍ) مواعدي بالعذاب (فَلَا تَسْتَعْجِلُونِ) فيه فأرام القتل بيدر ،

رضى به وازداد إقبالا عليه وإذا أفهم عليه بالنفى أو الصحة مثلا ازداد شكرا وخوفا من الله فهو راض عن الله في الحالتين وأما الكافر والفاسق فيشاهد الأشياء من الخلق فإذا ابتلى سخط وإذا أنعم عليه بطر فهو منضوب عليه في الحالتين ، (قوله وإلينا ترجعون) أي تردون فيظهر لكم جزاء أعمالكم إن خيرا غير

(ويقولون

وإن شرافتم (قوله وإذا رآك الذين كفروا)

رأى بصرية أي أبصر لك المشركون (قوله إن يتخذونك) جواب إذا وإن نافية بمعنى ما كما قال للفسر (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله أهذا الذي الخ مقول لقول محذوف والمعنى يقول بعضهم لبعض في حال الهزؤ والسخرية أهذا الخ (قوله وهم يذكرون الرحمن هم كافرون) هم مبتدأ وكافرون خبره وبذكرة تتعلق به وهم الثانية تأكيد لفظي للأولى وحينئذ فقد فصل بين العامل والعمول بالؤكد وبين المؤكد والمؤكد بالعمول وإضافة ذكر الرحمن من إضافة الصدر لقاعله كما أشاره للفسر حيث قدر لهم وحينئذ فالمراد بالذكر إرشاد الله لعباده بارسال الرسل وإزالة الكتب ويحتمل أنه مضاف لمفعوله أي ذكرهم الرحمن بالتوحيد (قوله إذ قالوا مانعرفه) أي الرحمن وذلك أنهم كانوا يقولون لانعرف الرحمن إلا الرحمن الجلالة وهو مسيلة الكذاب (قوله في استعجالهم العذاب) أي حيث قالوا اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء الآية (قوله من عجل) هو ضد البطء أي السرعة في الأمور (قوله أي أنه لكثرة عجله في أحواله الخ) أشار بذلك إلى أن في الكلام استعارة بالكناية حيث شبه العجل من حيث إن الإنسان طبع عليه حتى صار كالجبل له بالطين الذي خلق منه البشر وطوى ذكر التشبيه به ورمزه بشيء من لوازمه وهو خلق ، والمعنى أن الإنسان جبل على السرعة في الأمور والعجلة فيها حتى إنه يقع في المضرة ولا يشعر (قوله مواعدي بالعذاب) المراد متعلقاتها وهو أنواع العذاب في الدنيا كوقعة مدر وغيرها وفي الآخرة كعذاب النار

(قوله ويقولون) أى استهزاء واستعجالا للعذاب (قوله إن كنتم صادقين) شرط حذف جوابه والتقدير قاتلوا به وهو خطاب منهم للنبي (قوله قال تعالى) كلام مستأنف لبيان شدة هول ما يستعجلونه لجهلهم به (قوله ولا عن ظهورهم) أى فهو كناية عن إحاطة النار بهم من كل ناحية (قوله ما قالوا ذلك) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف (قوله بل تأتيهم بغتة) إضراب انتقالي من قولهم إلى بيان كفية وقوع العذاب بهم (قوله ردها) أى دفعها (قوله فيه تسلية للنبي) أى حيث كان يفتن من استهزئهم وعدم انقيادهم (قوله قل من يكلوكم الخ) أى قل يا محمد للمستهزئين القائلين لانعرف الرحمن من يحفظكم بالليل والنهار من عذابه إن أرادهم بكم وقدم الليل لكثرة الآفات فيه (قوله والمحاطون لا يخافون الخ) بثلاثة أقواله : بل من عن ذكر ربهم معرضون ، والمعنى ليس لهم حافظ ولا مانع غير الرحمن غير أنهم لا يخافونه لإعراضهم عن ذكره (قوله فيها معنى الهمة) (٧٣) أى زيادة على بل (قوله لا يستطيعون نصراً أنفسهم) أى فكيف يتوهم أن ينصروا

غيرهم (قوله يجارون) أى ينقذون (قوله بل متعنا هؤلاء الخ) إضراب مما توهموه من أن حفظهم وإمدادهم بالنعم من قبل آلهتهم بل ما هم فيه من السراء والنعم والحفظ منا استدراج لهم (قوله بالفتح على النبي) أى وتسلط المسلمين عليهم (قوله أفهم الغالبون) استفهام توبيخ وتقرير وفيه معنى الانكار ولذا قدر المفسر لا ، وقوله بل النبي وأصحابه أى هم الغالبون (قوله قل إنما أنذركم بالوحي) المقصود من ذلك توبيخهم على ما وقع منهم حيث أقام لهم الحجج والبراهين فلم يذعنوا لها (قوله ولا يسمع الصم)

(وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالقيامة (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه ، قال تعالى (لَوْ يَعْلَمُ الَّذِينَ كَفَرُوا حِينَ لَا يَكُونُونَ) يذفون (عَنْ وُجُوهِهِمُ النَّارَ وَلَا عَنْ ظُهُورِهِمْ وَلَا هُمْ يَنْصَرُونَ) يمنعون منها في القيامة ، وجواب لو ما قالوا ذلك (بَلْ تَأْتِيهِمْ) القيامة (بَغْتَةً فَتَبْهَتُهُمْ) تخبرهم (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ رَدَّهَا وَلَا هُمْ يُنظَرُونَ) يمهلون لتوبة أو معذرة (وَلَقَدْ أَسْتَهْزِئَ بِرُسُلٍ مِنْ قَبْلِكَ) فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم (فَتَقَاتِلْ) نزل (بِالَّذِينَ سَخِرُوا مِنْهُمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) وهو العذاب فكذا يحيق بمن استهزأ بك (قُلْ) لهم (مَنْ يَكْلُوْكُمْ) يحفظكم (بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ مِنَ الرَّحْمَنِ) من عذابه إن نزل بكم ؟ أى لا أحد يفعل ذلك ، والمحاطون لا يخافون عذاب الله لإنكارهم له (بَلْ هُمْ عَنْ ذِكْرِ رَبِّهِمْ) أى القرآن (مُعْرِضُونَ) لا يفتكرون فيه (أَمْ) فيها معنى الهمة للانكار أى أ (لَهُمْ آلِهَةٌ تَمْنَعُهُمْ) مما يسوؤهم (مِنْ دُونِنَا) أى ألهم من يمنهم منه غيرنا (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى الآلهة (نَنْصُرُ أَنْفُسَهُمْ) فلا ينصرونهم (وَلَا هُمْ) أى الكفار (مِنَّا) من عذابنا (يُنْجَبُونَ) يجارون ، يقال صحبك الله ، أى حفظك وأجارك (بَلْ مَتَّعْنَا هَؤُلَاءِ وَآبَاءَهُمْ) بما أنعمنا عليهم (حَتَّى طَالَ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) فاغترابوا بذلك (أَفَلَا يَرَوْنَ أَنَّا نَأْتِي الْأَرْضَ) نقصد أرضهم (نَنْفَعُهَا مِنْ أَطْرَافِهَا) بالفتح على النبي (أَفَهُمْ الْغَالِبُونَ) ؟ لا ، بل النبي وأصحابه (قُلْ) لهم (إِنَّمَا أَنْذَرُكُمْ بِالْوَحْيِ) من الله لا من قبل نفسي (وَلَا يَسْمَعُ الْعُمْرُ الدُّعَاءَ إِذَا) بتحقيق المميزين وتسهيل الثانية بينها وبين الياء (مَا يُنذَرُونَ) أى هم لتركهم العمل بما سمعوه من الإنذار كالصم (وَلَكِنَّ مَسْتَنَّهُمْ نَفْعَةٌ) وقعة خفيفة (مِنْ عَذَابِ رَبِّكَ لَيَقُولُنَّ يَا لَتَنبِيهِ (وَيْلَنَا) هلا كنا (إِنَّا كُنَّا ظَالِمِينَ) بالإشراك وتكذيب محمد (وَنَضَعُ الْمَوَازِينَ

الدعاء) بالياء المفتوحة ورفع الصم على القاعلية ونصب الدعاء على الفعلية وفي قراءة سبعة أيضا بالتاء الضميمة وكسر الهمزة خطاب للنبي والصم مفعولاه الأول والدعاء مفعوله الثانى والمقصود من ذلك تسليته صلى الله عليه وسلم كأن الله يقول له أرح قلبك ولا تعلقه بهم وأرض بحكم الله فيهم (قوله بتحقيق المميزين) أى همزة الدعاء وهمزة إذا (قوله وتسهيل الثانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قعة خفيفة) أخذ الخفة من التعبير بالصم والنفخ والنفخ فى الأصل هبوب الريح الشئ ، والمعنى وثائق أصابهم عذاب خفيف ليقولوا تحسروا وتندموا يا ويلنا الخ وهو كناية عن كونهم فى غاية الضعف والحقارة ومن كان كذلك فلا يبالى به (قوله ونضع الموازين) هذه الآية آخر خطابات قریش فى هذه السورة والجمع فى الموازين للتعظيم فإن الصحيح أنه ميزان واحد لجميع الأمم ولجميع الأعمال ، وهو جسم مخصوص له لسان وكفتان وعمود كل كفة قدر ما يزن [١٠ - صوى - ثالث]

الشرقي والغرب ومكانه قبل الصراط كفته الجني الحسنات وهي نيرة غن بين العرش وكنهه اليسرى للسنات وهي مظلمة عن يساره يأخذ جبريل بموده ناظرا إلى لسانه وميكائيل أمين عليه يحضره الجن والإنس ووقته بعد الحساب ولا يكون الوزن في حق كل أحد بل هو تابع للحساب فمن حوسب وزنت أعماله ومن لا فلا ، والحق أن الكفار توزن أعمالهم السيئة غير الكفر ليجازوا عليها بالعقاب زيادة على عذاب الكفر وأعمالهم الحسنة التي لا تتوقف على نية كالعتق وصلة الرحم والوقف فيخفف عنهم بذلك من عذاب غير الكفر فتوزن أعمالهم لأجل ذلك لا للنجاة من عذاب الكفر فانه لا يخفف عنهم ولا ينقطع ، وأما قوله تعالى : فلانقيم لهم يوم القيامة وزنا ، فعناه نافعا بحيث ينجون من الخلود في النار ، وقيل حسناتهم التي فعلوها يجازون عليها في الدنيا كمسحة وعافية ولا يجازون عليها في الآخرة أصلا . واختلاف هل الوزن صنيع أولا ، واستظهر الأول تحقيقا للعدل فتوضع السيئات في مقابلة الحسنات فإن رجع أحدهما وضع صنيع بقدر مارجح فينعم بقدره أو يعذب بقدره فإن لم يكن له إلا حسنات فقط أو سيئات فقط وضعت الصنيع في الكفة الأخرى . واختلاف أيضا هل الأعمال تصور وتوزن فالحسنات تصور بصورة حسنة نورانية ثم توضع في كفة الحسنات ، والسيئات تصور بصورة قبيحة ظلمانية ثم توضع في كفة السيئات أو توزن الصعافات أو توزن الأشخاص ولا مانع من حصول ذلك كله (قوله القسط) أفرد لأنه مصدر وصف به مبالغة أو على حذف مضاف (قوله شيئا) إما مفعول ثان أو مفعول مطلق (قوله وإن كان العمل) قتره المفسر إشارة إلى أن كان ناقصة واحمها مستتر يعود على العمل ومثقال بالنصب خبرها وفي قراءة سبعة برفعه على أنها تامة (٧٤) (قوله من خردل) المراد أقل قليل (قوله وكفى بنا حاسبين) أي عالمين

والقصود منه التحذير لأن الانسان العاقل إذا علم أن الله تعالى يحاسبه مع القدرة عليه وإحاطة علمه بجزئيات أعماله فانه يكون على حذر وخوف منه (قوله ولقد آتينا موسى وهرون الفرقان) شروع في ذكر قصص الأنبياء تسلية له

الْقِسْطَ (ذَوَاتِ الْمِدَالِ) (لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ) أَي فِيهِ (فَلَا تُظَلَّمُ نَفْسٌ شَيْئًا) مِنْ نَقْصِ حَسَنَةٍ أَوْ زِيَادَةِ سَيِّئَةٍ (وَإِنْ كَانَ) الْعَمَلُ (مِثْقَالَ) زَنَةِ (حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ أَتَيْنَا بِهَا) أَي بِمُوزُونِهَا (وَكُفَىٰ بِنَا حَاسِبِينَ) مُحْصِينَ فِي كُلِّ شَيْءٍ (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَىٰ وَهَارُونَ الْفُرْقَانَ) أَي التَّوْرَةَ الْفَارِقَةَ بَيْنَ الْحَقِّ وَالْبَاطِلِ وَالْحَلَالِ وَالْحَرَامِ (وَضِيََاءَ) بِهَا (وَذِكْرًا) أَي عِظَةً بِهَا (لِلْمُتَّقِينَ) الَّذِينَ يَخْشَوْنَ رَبَّهُم بِالْغَيْبِ عَنْ النَّاسِ أَي فِي الْخَلَاءِ عَنْهُمْ (وَهُمْ مِنَ السَّاعَةِ) أَي أَهْوَالِهَا (مُشْفِقُونَ) أَي خَائِفُونَ (وَهَذَا) أَي الْقُرْآنَ (ذِكْرُ مُبَارَكٍ أَزَلْنَا لَهُ أُنْتُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ) الْاسْتِفْهَامُ فِيهِ لِلتَّوْبِيخِ (وَلَقَدْ آتَيْنَا إِبْرَاهِيمَ رُشْدَهُ مِنْ قَبْلُ) أَي هُدَاهُ قَبْلَ بُلُوغِهِ ،

(وَكُنَّا

صلى الله عليه وسلم وزيادة في علم أمته ، وذكر منها عشر قصص :

الأولى قصة موسى وهرون . الثانية قصة إبراهيم . الثالثة قصة لوط . الرابعة قصة نوح . الخامسة قصة داود وسليمان . السادسة قصة أيوب . السابعة قصة إسماعيل وإدريس وذى الكفل . الثامنة قصة يونس . التاسعة قصة زكريا . العاشرة قصة مريم وهبسي صلوات الله وسلامه على الجميع (قوله ضياء) أي يستضاء بها من ظلمات الجهل والكفر (قوله الذين يخشون ربهم) أي عذابه (قوله بالغيب) حال من الفاعل في يخشون أي حال كونهم غائبين ومنفردين عن الناس ، والناس في ذلك مراتب فمنهم من يعتقد أن الله مطلع عليه ولا يغيب عنه ولكن قلبه غير ذائق لذلك وهذا محبوب قد تقع منه المعاصي . ومنهم من يراقب الله بقلبه بحيث يشاهد أنه في حضرة الله وأنه مطلع عليه وهذا أعلى من الأول ، ويسمى ذلك المقام مقام المراقبة . ومنهم من يشاهد الله بعين بصره وهذا أعلى المقامات ويسمى مقام الشهادة (قوله وهم من الساعة مشفقون) خست بالذكر لكونها أعظم ما يخاف منه (قوله مبارك) أي كثير الخير (قوله أفأنتم له منكرون) الخطاب لأهل مكة تقر بما لهم أي إن هذا القرآن فيه تكبركم وفيه خير كثير أيلق منكم إنكاره والاستهزاء به (قوله أي هداه قبل بلوغه) المراد بالهدى الاهتداء لصالح الدين والدنيا حين خرج من السرب وهو صغير وتفكر واستدل بالكواكب على وحدانية الله وليس المراد به النبوة ، وقيل من قبل موسى وهرون وعليه فالمراد بالرشد النبوة فتحصل أنه إن كان المراد بقوله قبل أي قبل البلوغ ، فالمراد بالرشد الاهتداء لصالح الدين والدنيا لأن الله تعالى لم يتخذ وليا جلهلا بمعرفته فضلا عن نهي وإن كان المراد به قبل موسى وهرون ، فالمراد بالرشد النبوة والرشاد الخلق .

(قوله وكنا به عالمين) أى ولم نزل كذلك (قوله إذ قال لأبيه) ظرف لقوله آتينا أو لمحذوف أى اذكر (قوله لأبيه) أى آزر (قوله الثمانين) جمع ثمان وهو الصورة المصنوعة من رخام أو نحاس أو خشب وكانت تلك الأصنام اثنين وسبعين صنما بعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من حديد وبعضها من رصاص وبعضها من نحاس وبعضها من حجر وبعضها من خشب ، وكان كبيرها من ذهب مكللا بالجواهر فى عينيه ياقوتتان متقدتان تضيئان بالليل (قوله عا كفون) عبر بالكوف الذى هو عبارة عن الاستمرار على الشئ لغرض ما ولم يعبر بالعبادة تحقيرا لهم (قوله قالوا وجدنا آبانا على الخ) أجابوا بذلك وإن كان غير موافق لسؤاله بما لأنه مأل سؤاله إذ هو يعرف حقيقتها من كونها من ذهب أو غيره كأنه قال ما هى لأى شئ عبدتموها وحينئذ فلم يكن لهم جواب إلا التقليد (قوله فى ضلال مبين) أى لعدم استنادكم إلى دليل (قوله قالوا أجتنا بالحق الخ) أى لما استبعدوا تضليل آبائهم ظنوا أن ما قاله على وجه اللعب فقالوا أصدق ما تقول أم أنت هازل فيه (قوله قال بل ربكم الخ) إضراب عن قولهم باقاة البرهان على صدق ما ادعاه (قوله وأنا على ذلكم) أى على ما ذكرته من كون ربكم رب السموات والأرض دون ما عده (قوله من الشاهدين) أى العالمين (٧٥) بالبرهان (قوله وتالله لا أكيدن أصنامكم) انتقال من

أصنامكم) انتقال من دلالة قولية إلى دلالة فعلية فلما لم يقد فيهم الدليل القولى عدل إلى الدليل الفعلى وهو الكسر والمعنى لأجتهدن فى كسرها وأكيدنكم فيها (قوله بعد ذهابهم إلى مجتمعهم) أى وقصد ذهاب معهم إبراهيم فلما كان فى أثناء الطريق ألقى نفسه وقال إني سقيم اشتكى رجله فتركوه ومضوا ثم نادى فى آخرهم وقد بقي ضعفاء الناس : تالله لأكيدن أصنامكم فسمعها الضعفاء فرجع إبراهيم إلى بيت

(وَكُنَّا بِهِ عَالِمِينَ) أى بأنه أهل لذلك (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا هَذِهِ التَّمَاثِيلُ) الأصنام (الَّتِي أَنْتُمْ كَمَا عَاكِفُونَ) أى على عبادتها مقيمون (قَالُوا وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَمَا كُنَّا عَابِدِينَ) فاعتدنا بهم (قَالَ) لهم (لَقَدْ كُنْتُمْ أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ) بعبادتها (فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) يَبْن (قَالُوا أَجِئْتَنَا بِالْحَقِّ) فى قولك هذا (أَمْ أَنْتَ مِنَ اللَّاعِينَ) فيه (قَالَ بَلْ رَبُّكُمْ) المستحق للعبادة (رَبِّ) مالك (السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ الَّذِي فَطَرَهُنَّ) خلقهن على غير مثال سبق (وَأَنَا عَلَى ذَلِكَ) الذى قلته (مِنَ الشَّاهِدِينَ) به (وَتَاللَّهِ لَا أَكِيدَنَّ أَصْنَامَكُمْ بَعْدَ أَنْ تُوَلُّوا مُدْبِرِينَ . فَجَعَلَهُمْ) بعد ذهابهم إلى مجتمعهم فى يوم عيد لهم (جُذَاذًا) بضم الجيم وكسرها : فتناكبا فأس (إِلَّا كَبِيرًا لَهُمْ) علق الفأس فى عنقه (لَعَلَّهُمْ إِلَيْهِ) أى إلى الكبير (رَجُوعُونَ) فيرون ماضل بغيره (قَالُوا) بعد رجوعهم ورؤيتهم ما فعل (مَنْ فَعَلَ هَذَا بِآلِهَتِنَا إِنَّهُ لَمِنَ الظَّالِمِينَ) فيه (قَالُوا) أى بعضهم لبعض (سَمِعْنَا فَتًى يَذْكُرُهُمْ) أى يعيهم (يُقَالُ لَهُ إِبْرَاهِيمُ . قَالُوا فَاتُّوا بِهِ عَلَى أَعْيُنِ النَّاسِ) أى ظاهرا (لَعَلَّهُمْ يَشْهَدُونَ) عليه أنه الفاعل (قَالُوا) له بعد إتيانه (ءَأَنْتَ) بتحقيق المزمزين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (فَكَلَّمَ هَذَا بِآلِهَتِنَا يَا إِبْرَاهِيمُ . قَالَ) ساكتا عن فعله

الأصنام وقبالة الباب صنم عظيم وإلى جنبه أصغر منه وهكذا كل صنم أصغر من الذى يليه ، وكانوا وضعوا عند الأصنام طعاما يأكلون منه إذا رجعوا من عيدهم إليهم ، فقال لهم إبراهيم : ألا تأكلون ؟ فلم يجيبوه فكسرها (قوله بضم الجيم وكسرها) أى فهما قراءتان سبعيتان وقرىء شذوذا بفتحها (قوله بفأس) هو مهموز الآلة التى يكسرها الحجر (قوله إلا كبيرا لهم) أى لم يكسره بل تركه والضمير فى لهم يصح أن يعود على الأصنام أو على عابديها (قوله من فعل هذا) أى التكسير ومن يحتمل أن تكون استفهامية مبتدأ وفعل هذا خبره أو موصولة وفعل صلتها وإنه لمن الظالمين خبره (قوله قالوا سمعنا فتى) القائل هم الضعفاء من قوم إبراهيم الذين سمعوا حلفه (قوله أى يعيهم) أى ينقصهم ويستهزئ بهم (قوله يقال له إبراهيم) مرفوع على أنه نائب فاعل يقال على إرادة لفظه أو مبتدأ خبره محذوف أى يقال له إبراهيم فاعل ذلك أو منادى وحرف النداء محذوف أو خبر لمحذوف أى يقال له هذا إبراهيم (قوله قالوا فاتوا به) القائل لذلك المخروذ (قوله لعلهم يشهدون) أى لعل الناس يشهدون عليه بفعله بأن يكون أحد من الناس رآه يكسرها (قوله بتحقيق المزمزين) أى بإدخال ألف بينهما وتركه فتكون القراءات السبعيات خسا . وحاصلها أن المزمزين إما محققان أو الثانية مسهلة وفى كل إما بإدخال ألف بينهما أولا

فهذه أربع والخامسة إبدال الثانية ألفا (قوله قال بل فعله كبيرم هذا) اعلم أن هذا من التعريض لأن القاعدة أنه إذا دار الفعل بين قادر عليه وعاجز عنه وأثبت للعاجز بطريق التكم به لزم منه انحصاره في الآخر فهو إشارة لنفسه مضمنا فيه الاستهزاء والتضليل وقوله هذا بدل من كبيرم أو نعت له . ورد أن إبراهيم قال لهم إن الكبير غضب من إشرأكم معه غيره الصغار في العبادة فكسره من ، وأراد بذلك إقامة الحجة عليهم (قوله إن كانوا ينطقون) أى إن كانوا ممن يمكن أن ينطق وخص النطق بالذكر وإن كان غيره من السمع والعقل وبقية أوصاف العقلاء كذلك لأنه أظهر في تبيكيتهم (قوله فيه تقديم جواب الشرط) أى وهو قوله فأسألهم وفيه إشارة إلى أن قوله : بل فعله كبيرم هذا مرتبط بقوله إن كانوا ينطقون ، والمعنى بل فعله كبيرم هذا إن كانوا ينطقون فأسألهم (قوله فرجعوا إلى أنفسهم) أى إلى عقولهم وتذكروا أن من لا يقدر على دفع المضرة أو جلب المنفعة كيف يصلح أن يكون لها (قوله ثم نكسوا على رؤوسهم) أى انقلبوا إلى المجادلة والكفر بعد استقامتهم بالمراجعة ونكسوا بالتخفيف مبنيًا للمفعول في قراءة العامة وفاعل النكس هو الله كما يشير له ما سر وقرئ : شذوذًا بالتشديد وبالتخفيف مبنيًا للفاعل (قوله أى ردوا إلى كفرهم) أى الاستمرار عليه (قوله وقالوا والله) أشار بذلك إلى أن قوله لقد علمت الخ جواب قسم محذوف (قوله بكسر الفاء) أى مع التنوين وتركه وقوله وفتحها أى بترك التنوين فالقرآت ثلاث سبعيات (قوله ٧٦) أفلا تعقلون) الهمزة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير

أجهلتم فلا تعقلون .

[فائدة] : ورد في الحديث أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : « لم يكذب إبراهيم إلا ثلاث كذبات فثنتان منها في ذات الله قوله : إني سقيم ، وقوله كبيرم هذا ، وقوله لسارة هذه أختي » والمعنى أنه لم يتكلم بكلام صورته صورة الكذب إلا هذه الكلمات الثلاث فقوله إني سقيم أراد

(بَلْ فَعَلَهُ كَبِيرُهُمْ هَذَا فَاسْأَلُوهُمْ) عن فاعله (إِنْ كَانُوا يَنْطِقُونَ) فيه تقديم جواب الشرط وفيما قبله تعريض لهم بأن الضم المعلوم عجزه عن الفعل لا يكون لها (فَرَجَعُوا إِلَى أَنْفُسِهِمْ) بالتفكير (فَقَالُوا) لأنفسهم (إِنَّكُمْ أَنْتُمُ الظَّالِمُونَ) أى بعبادتكم من لا ينطق (ثُمَّ نَكْسُوا) من الله (عَلَى رُءُوسِهِمْ) أى ردوا إلى كفرهم وقالوا والله (لَقَدْ عَلِمْتَمَا هُوَ لَاءُ يَنْطِقُونَ) أى فكيف تأمرنا بسؤالهم (قَالَ أَفَتَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى بدله (مَا لَا يَنْفَعُكُمْ شَيْئًا) من رزق وغيره (وَلَا يَضُرُّكُمْ) شيئًا إذا لم تعبدوه (أَفَ) بكسر الفاء وفتحها بمعنى مصدر ، أى تننا وفتحًا (لَكُمْ) وَلِمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) أن هذه الأصنام لا تستحق العبادة ولا تصلح لها وإنما يستحقها الله تعالى (قَالُوا حَرِّقُوهُ) أى إبراهيم (وَأَنْصُرُوا آلِهَتَكُمْ) أى بتحريقه (إِنْ كُنْتُمْ فَاعِلِينَ) نصرتها فجمعوا له الحطب الكثير وأضرموا النار في جميعه وأوتقوا إبراهيم وجعلوه ،

في

سقيم القلب من ضلالتكم ، وقوله بل فعله كبيرم هذا تبيكيت لقومه وقوله هذه أختي

أى في الدين والخلق فهذه الألفاظ صدق في نفسها ليس فيها كذب أصلا ومعنى كون الأولى والثانية في ذات الله أنهما من أجل غيرته على الله وأما الثالثة فمن أجل غيرته على زوجته وهذا ما فتح الله به (قوله قالوا حرقوه) القائل ذلك النمرود بن كنعان ابن سنجاريب بن نمرود بن كوس بن حام بن نوح عليه السلام ، وقيل رجل من أكراد فارس اسمه هيبوب خسف الله به الأرض والحكمة في اختيارهم التحريق على غيره من أنواع القتل أن إبراهيم بادأهم بالضيعة والتشنيع عليهم فأحبوا أن يجازوه بما فيه التشنيع المشهورة (قوله فجمعوا له الحطب الخ) حاصل التمسك في ذلك أنه لما اجتمع نمرود وقومه لإحراق إبراهيم حبسوه في بيت وبنوا بنيانا كالخظيرة بقرية يقال لها كوث ثم جمعوا له صلاب الحطب وأصناف الخشب مدة شهر حتى كان الرجل يمرض فيقول : لئن عوفيت لأجمعن حطب إبراهيم وكانت المرأة تنذر في بعض ما تطلبه لئن أصابته لتحطبنه في نار إبراهيم وكانت المرأة تنزل وتشتري الحطب بفزلها احتسابا في دينها وكان الرجل يوصي بשרاء الحطب وإلقائه فيه فلما جمعوا ما أرادوا أشعلوا في كل ناحية من الحطب نارا فاشتعلت النار واشتدت حتى إن كان الطير ليمر بها فيحترق من شدة وهجها وحرها فأوقدوا عليها سبعة أيام فلما أرادوا أن يلقوا إبراهيم فلم يعلموا كيف يلقونه فقبل إن إبليس جاء وعلمهم عمل المنجنيق فعملوه ثم همدوا إلى إبراهيم فقيده ورفعه على رأس البنيان ووضعه في المنجنيق مقيدا مظلولا فصاحت السماء والأرض ومن فيهما

من اللائكة وجميع الخلق إلا الثقلين صبيحة واحدة أى ربنا إبراهيم خليلك يلقى في النار وليس في أرضك أحد يعبدك غيره فاقنن لنا في نصرته ، فقال الله تعالى إنه خليلي ليس لي خليل غيره وأنا الإله ليس له إله غيره فإن استغاث بأحدكم أو دعاه فلينصره فقد أذنت له في ذلك وإن لم يدع غيره فأنا وليه وأنا أعلم به غلوا بيني وبينه ، فلما أرادوا إلقاءه في النار أتاه خازن اللباه وقال : إن أردت أخذت النار ، وأتاه خازن الهواء وقال : إن شئت طبرت النار في الهواء ، فقال إبراهيم : لا حاجة لي إليكم حسبي الله ونعم الوكيل . روى أنه قال حين أوثقوه ليلقوه في النار « لا إله إلا أنت سبحانك لك الحمد ولك الملك لا شريك لك » ثم رموا به في المنجنيق إلى النار فاستقبله جبريل فقال يا إبراهيم ألك حاجة ؟ قال أما إليك فلا . قال جبريل فاسأل ربك فقال إبراهيم حسبي من سؤالي علمه بحالي ، وكان وقت إلقاءه فيها ابن ست عشرة سنة وقيل ابن ست وعشرين سنة ، ولما ألقى فيها جعل كل شيء يطفى النار إلا الوزغ فإنه كان ينفخ في النار فصرع بسبب ذلك وأمر صلى الله عليه وسلم بقتله ، وقال من قتل وزغاً في أول ضربة كتب له مائة حسنة وفي الثانية دون ذلك وفي الثالثة دون ذلك . ذكر بعض الحكماء أن الوزغ لا يدخل بيتاً فيه زعفران ، ومدة مكثه في النار سبعة أيام وقيل أربعون يوماً وقيل خمسون يوماً (قوله في منجنيق) آلة ترمى بها الحجارة فارسي معرب لأن الجيم والثاف لا يجتمعان في كلمة واحدة من كلام العرب (قوله كوني برداً وسلاماً) أى بردي برداً غير ضار ، ورد أنه لما ألقى فيها أخذت اللائكة بضبعه فأقعده على الأرض فاذا عين ماء عذب وورد أحمر ونرجس وأتاه جبريل بقميص من حرير الجنة وطنفسة فألبسه القميص وأقعده على الطنفسة وجلس معه يحدثه ويقول له يا إبراهيم : إن ربك يقول لك أما علمت أن النار لا تضر أحبائي قال إبراهيم : ما كنت أياماً قط أنعم مني من الأيام التي (٧٧) كنت في النار ، ثم نظروا نمرود وأشرف

على إبراهيم من صرح له فرآه جالساً في روضة والملك قاعد إلى جنبه فداده يا إبراهيم إن إلهك الذي بلغت قدرته أن حال بينك وبين النار لكبير هل تستطيع أن تخرج منها ؟ قال نعم . قال هل

في منجنيق ورموه في النار ، قال تعالى (قُلْنَا يَا نَارُ كُونِي بَرْدًا وَسَلَامًا عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ) فلم تحرق منه غير وثاقه وذهبت حرارتها وبقيت إضاءتها وبقوله وسلاماً سلم من الموت بيردها (وأرادوا به كيداً) وهو التحريق (فَجَعَلْنَاهُمْ الْأَخْسَرِينَ) في مرادهم (وَجَعَلْنَاهُ لوطاً) ابن أخيه هاران من العراق (إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا لِلْعَالَمِينَ) بكثرة الأنهار والأشجار وهي الشام نزل إبراهيم بفلسطين ولوط بالمؤتفكة وبينهما يوم (وَوَهَبْنَا لَهُ) أى لإبراهيم وكان سأل ولدًا ،

تخفى إذا قلت أن ضرك ؟ قال لا . قال قم فاخرج منها فقام إبراهيم يمشي فيها حتى خرج منها فلما وصل إليه قال له يا إبراهيم من الرجل الذي رأيت معك مثلك في صورتك قاعداً إلى جنبك ؟ قال ذلك ملك الظل أرسله إلى ربى ليؤنسني فيها . قال نمرود يا إبراهيم إنى مقرب إلى إلهك قربانا لما رأيت من قدرته وعزته فيما صنع بك حين أبيت إلا عبادته وتوحيده وإنى ذابح له أربعة آلاف بقرة . قال إبراهيم إذا لا يقبل الله منك ما كنت على دينك حتى تفارقه وترجع إلى ديني ، فقال لا أستطيع ترك ملكي ولكن سوف أذبحها له فذبحها له نمرود وكف عن إبراهيم عليه السلام (قوله وبقوله وسلاماً الخ) أى ولو لم يقل على إبراهيم لما أحرقت النار أحداً ولما أوقدت (قوله فجعلناهم الأخسرين) أى لأنهم خسروا السعى والنفقة فلم يحصلوا مرادهم ويحتمل أن المراد بالأخسرين المالكون لأن الله ساطع عليهم البعوض فأكلت لحومهم وشربت دماءهم ودخلت في رأس النمرود بعوضة فأهلكته (قوله ابن أخيه هاران) أى الأصغر وكان له أخ ثالث اسمه ناخور والثلاثة أولاد آزر وأما هاران الأكبر فهو عم إبراهيم أبو سارة زوجته وقد آمنت به (قوله من العراق) أى وصحب معه لوطاً وسارة ونزل بجران فمكث بها ثم خرج منها حتى قدم مصر ثم خرج ورجع إلى الشام فنزل بالسبع من أرض فلسطين وترك لوطاً بالمؤتفكة فبعثه الله نبياً إلى أهلها وما قرب منها (قوله بكثرة الأنهار والأشجار) أشار بذلك إلى أن المراد بالبركة الدنيوية وعليه يحمل ماورد « إن عمر ابن الخطاب قال لكعب : ألا تتحول إلى المدينة فيها مهاجر رسول الله وقبره ؟ فقال كعب : أتى وجدت في كتاب الله المنزل يا أمير المؤمنين أن الشام كنز الله في أرضه وبها كنزه من عبادته » وإلا فالمدينة ومكة أفضل من الشام باتفاق (قوله بفلسطين) فتح الداء وكسرها مع فتح اللام لا غير قرى بيت المقدس (قوله ولوط بالمؤتفكة) هي قرى قوم لوط رفعها جبريل وأسقطها مقاربة بأمر من الله .

(قوله كما ذكر في الصفات) أى في قوله: ربّ هب لي من الصالحين (قوله نافلة) حال من يعقوب أى أعطى يعقوب لإبراهيم زيادة على مطلوبه (قوله وولده) أى إسحق ويعقوب (قوله وإبدال الثانية ياء) هو وجه من جملة خمسة أوجه تقدّمت في سورة براءة (قوله يهدون بأمرنا) أى يدعون الناس بوحينا (قوله وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة) عطف خاص على عام لأن الصلاة أفضل العبادات البدنية والإحسان أفضل العبادات المالية (قوله وكانوا لنا عابدين) تقديم الجار والمجرور يفيد الحصر أى كانوا لنا لا لغيرنا (قوله ولوطا) منصوب بفعل مقدر يفسره قوله آتينا (قوله فصلا بين الخصوم) أى على وجه الحق (قوله وعلمنا) أى بالشرائع والأحكام (قوله أى أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف أوفيه مجاز عطف (قوله الأعمال) قدره إشارة إلى أن الحباث صفة لموصوف محذوف (قوله والرمي بالبندق) أى رمى المارة بالبرام وأما بندق الرصاص فلم يحدث إلا في هذه الأمة (قوله (٧٨) وغير ذلك) كالضراط في المجالس (قوله بأن أنجبناه من قومه) المناسب

أن يقول: وأدخلناه في أهل رحمتنا أى جنتنا وإلا فيلزم عليه التكرار (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن نوحا منصوب بفعل محذوف وبث نوح وهو ابن أربعين سنة ومكث في قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين جملة عمره ألف وخمسون سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله بقوله رب لا تذر على الأرض الخ) أى بعد أن أوحى إليه أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (قوله الدين في سفينته) وجملة ستة رجال وساقم ، وقيل أربعون رجلا وأربعون

كما ذكر في الصفات (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ نَافِلَةً) أى زيادة على المسئول ، أو هو ولد الولد (وَكُلًّا) أى هو وولده (جَعَلْنَا صَالِحِينَ) أنبياء (وَجَعَلْنَاهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الممرتين وإبدال الثانية ياء يقتضى بهم في الخير (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) إلى ديننا (وَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِمْ فِعْلَ الْخَيْرَاتِ وَإِقَامَ الصَّلَاةِ وَإِيتَاءَ الزَّكَاةِ) أى أن تفعل وتقام وتؤتى منهم ومن أتباعهم وحذف هاء إقامة تخفيف (وَكَانُوا لَنَا عَابِدِينَ. وَلُوطًا آتَيْنَاهُ حُكْمًا) فصلاً بين الخصوم (وَعِلْمًا وَنَجَّيْنَاهُ مِنَ الْقَرْيَةِ الَّتِي كَانَتْ تَعْمَلُ) أى أهلها الأعمال (الْحَبَاثِ) من اللواط والرمي بالبندق واللعب بالطيور وغير ذلك (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِّءٍ) مصدر ساءه تقيض سره (فَاسْقِينَ. وَأَدْخَلْنَاهُ فِي رَحْمَتِنَا) بأن أنجبناه من قومه (إِنَّهُ مِنَ الصَّالِحِينَ. وَ) اذكر (نُوحًا) وما بعده بدل منه (إِذْ نَادَى) دعا على قومه بقوله: رب لا تذر الخ (مِنْ قَبْلِ) أى قبل إبراهيم ولوط (فَاسْتَجَبْنَا لَهُ فَجَئَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ) الذين في سفينته (مِنْ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى الفرق وتكذيب قومه له (وَنَصَرْنَاهُ) منعه (مِنْ الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بَيَاتِنًا) الدالة على رسالته ألا يصلوا إليه بسوء (إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمَ سَوِّءٍ فَأَغْرَقْنَاهُمْ أَجْمَعِينَ. وَ) اذكر (دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) أى قصتهما ويبدل منهما (إِذْ يَخْشَوْنَ فِي الْحَرْثِ) هو زرع أو كرم (إِذْ نَفَسَتْ فِيهِ غَمُّ الْقَوْمِ) أى رعبه ليلاً بلا راع بأن اتفقت (وَكُنَّا لِحُكْمِهِمْ شَاهِدِينَ) فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين ،

قال

امرأة (قوله منعه) أشار بذلك إلى أنه ضمن نصر معنى منع حيث عدى بمن

(قوله ألا يصلوا إليه) أى اتلصلوا إليه فهو تعليل لنصرناه (قوله وداد وسليمان) معمولان لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وعاش داود مائة سنة وبينه وبين موسى خمسمائة وتسع وستون سنة وقيل وتسع وسبعون ، وعاش ولده سليمان تسعا وخمسين وبينه وبين مولى النبي صلى الله عليه وسلم نحو ألف سنة وسبعمائة (قوله أى قصتهما) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله ويبدل منهما) في الحقيقة الإبدال من المضاف المحذوف (قوله إذ يحكمان) عبر عنه بالمضارع استحضارا للحال الماضية لمراتبها (قوله هو زرع أو كرم) هما قولان للمفسرين وعلى كل كان قبل تمام نضجه (قوله إذ نفست) أى تفرقت وانتشرت فيه فأنفست (قوله غم القوم) أى بعض القوم : أى قوم داود وهم أمته (قوله وكنا لحكمهم شاهدين) أى كان ذلك بعلمنا ومرأى منا فخذها أيها العاقل ولا تتردد فيها (قوله فيه استعمال ضمير الجمع لاثنين) أى بناء على أن أقل الجمع اثنان ، ويجب أيضا بأن الجمع باعتبار الحاكمين والمحكوم عليهما .

(قوله قال داود : لصاحب الحرث رقاب النعم) أى عودا من حرثه . وحاصل تلك القصة أن رجلين دخلا على داود عليه السلام أحدهما صاحب حرث والآخر صاحب نغم ، فقال صاحب الحرث إن هذا قد انفلتت غنمه ليلا فوقت في حرثي فأفسدته فلم يبق منه شيئا ، فأعطاه داود رقاب النغم في الحرث ، فخرجا فمرا على سليمان وهو ابن إحدى عشرة سنة ، فقال كيف قضى بينكما فأخبراه ، فقال سليمان لو وليت أمركما لقضيت بنير هذا . وروى أنه قال غير هذا أرفق بالفرسين ، فأخبر بذلك داود فدعاه فقال له بحسب النبوة والأبوة إلا ما أخبرني بالذي هو أرفق بالفرسين . قال ادفع النغم لصاحب الحرث يستمتع بلبنها وصوفها ونسلها ويزرع صاحب النغم لصاحب الحرث مثل حرثه فإذا صار الحرث كهيكته يوم أكل دفع إلى صاحبه وأخذ صاحب النغم غنمه ، فقال داود القضاء ما قضيت . ومن أحكام داود وسليمان عليهما السلام ما روى كانت امرأتان معهما ابناهما جاء الذئب فذهب بابن أحدهما فقالت لصاحبتها إنما ذهب بابنك ، وقالت الأخرى إنما ذهب بابنك فتحاكما إلى داود فقضى به للكبرى ، فخرجنا على سليمان بن داود فأخبرناه ، فقال اتنوني بالسكين أشقه بينهما ، فقالت الصغرى لا تفعل يرحمك الله هو ابننا فقضى به للصغرى (قوله ففهمناها) أى فهمناه الصواب فيها (قوله وحكماهما باجتهاد الخ) أى ويجوز الخطأ على الأنبياء إذا لم يكن فيه مضرة ولكن لا يبيحهم الله عليه لعصمتهم ، والمجتهد مأجور أخطأ أو أصاب لكن الصيب له أجران ، والخطي له أجر واحد (قوله وقيل بوحى) أى لكل منهما وهذا في شريعتهم ، وأما في شريعتنا فذهب (٧٩) مالك ما أنفلته البهائم ليلا وهى

غير معروفة بالعداء ولم تربط ولم يلقى عليها قطي ربهما وإن زاد على قيمتها يقوم إن لم يبد صلاحه بين الرجاء والخوف وإن بدا صلاحه ضمن قيمته على البت ، وأما ما أنفلته نهارا وهى غير عادية ولم يكن معها راع وصرحت بعبيدة عن المزارع فلا ضمان على ربهما وإن كان معها راع أو صرحتها ربهما

قال داود : لصاحب الحرث رقاب النغم ، وقال سليمان يستمتع بدرها ونسلها وصوفها إلى أن يعود الحرث كما كان باصلاح صاحبها فيردها إليه (فَفَهَمْنَاهَا) أى الحكومة (سُلَيْمَان) وحكماهما باجتهاد ورجع داود إلى سليمان ، وقيل بوحى والثاني ناسخ للأول (وَكُلًّا) منهما (آتَيْنَا) . (حُكْمًا) نبوة (وَعِلْمًا) بأمور الدين (وَسَخَرْنَا مَعَ دَاوُدَ الْجِبَالِ يُسَبِّحْنَ وَالطَّيْرَ) كذلك سُخِّرَا للتسبيح معه لأمره به إذا وجد فترة لينشط له (وَكُنَّا فَاعِلِينَ) تسخير تسبيحهما معه وإن كان عجا عندكم أى مجاوبته للسيد داود (وَعَلَّمْنَاهُ صَنْعَةَ لَبُوسٍ) وهى الدرع لأنها تلبس وهو أول من صنعها وكان قبلها صفائح (لَكُمْ) فى جملة الناس (لِنُخَصِّنَكُمْ) بالنون لله وبالتحتانية لداود ، وبالتوقانية لللبوس (مِنْ بَأْسِكُمْ) حربكم مع أعدائكم (فَهَلْ أَنْتُمْ) يا أهل مكة (شَاكِرُونَ) نعى بتصدق الرسول أى اشكرونى بذلك ،

قرب المزارع أو كانت عادية فعلى ربهما ليلا أو نهارا ، ومذهب أبى حنيفة لا ضمان فيما أنفلته البهائم ليلا أو نهارا إلا أن يكون معها سائق أو قائد ، ومذهب الشافعى فيه تفصيل فانظره ، ويمكن تخرج حكم داود على شريعتنا بأنه رأى أن قيمة النغم مثل قيمة الحرث وصاحب النغم مفلس ، فالحكم أنها تعطى لصاحب الحرث (قوله وكلا آتينا حكما وعلمنا) دفع بذلك ما يتوهم من قوله ففهمناها سليمان أن داود ناقص فى العلم (قوله وسخرنا) أى ذلنا (قوله يسبحن) حال من الجبال وقوله والطير فيه قراءة ثان سبعيتان الرفع والنصب فالنصب إما على أنه مفعول معه أو معطوف على الجبال والرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف كما قدره المفسر بقوله كذلك ، وقدم الجبال لكون تسبيحها أغرب وأعجب (قوله لأمره به إذا وجد فترة) أى فكان إذا وجد فترة أمر الجبال والطير فيسبحن (قوله وإن كان عجا عندكم) أى مستغربا ، وقد اتفق فى هذه الأمة لغير واحد منها كالسيد السوقي وأمثاله (قوله وعلّمناه صنعة لبوس) وسبب ذلك أنه مر به ملكان على صورة رجلين ، فقال أحدهما للآخر قم الرجل إلا أنه يا كل من بيت للمال فسأل الله أن يزرقه من كسبه فألآن الله له الحديد فكان يعمل منه اللروع فيه ثار كأنه طين فى يده (قوله وهى اللروع) وأنت الضمير لكون درع الحديد تؤثت وتذكر ، وأما درع المرأة أى قميصها فهو مذكر (قوله وهو أول من صنعها) أى حلقا بعضها داخل فى بعض وقبل ذلك كانوا يصنعونها من صفائح متصل بعضها ببعض (قوله لكم) أى يا أهل مكة (قوله فى جملة الناس) دفع به ما يرد كيف تكون لأهل مكة مع أن صنع داود لم يكن فى زمنهم فأفاد أنها نعمة ائسدت بمن بعده إلى أن كانوا من جملتهم (قوله وبالتوقانية لللبوس) أى لأنه بمعنى اللرع وهى تؤثت .

(قوله وسليمان الريح) عبر باللام إشارة إلى أن الله ملك الريح وجعلها ممثلة لأمره وعبر بجمع في حق داود لأن الحبل والطير قد صاحبه في التسبيح واشتركا معه (قوله أي شديدة المهبوب الخ) نف ونشر مرتب (قوله تجري بأمره) حال (قوله إلى الأرض التي باركنا فيها) أي لأنها مقره فكان ينتقل منها ويرجع إليها . قال وهب : كان سليمان عليه الصلاة والسلام إذا خرج إلى مجلسه عكفت عليه الطيور وقام له الانس والجن حيث يجلس على سريريه وكان امرأ غزياً قلما كان يقعد عن الغزو ولا يسمع في ناحية من الأرض بملك إلا أتاه حتى يذله . وقال مقاتل : نسجت الشياطين لسليمان بساطا فرسحا في فرسخ ذهباً في إبريسم وكان يوضع له منبر من الذهب وسط البساط فيقعد عليه وحوله ثلاثة آلاف كرسي من ذهب وقضة يقعد الأنبياء على كراسي الذهب والعلماء على كراسي الفضة وحولهم الناس وحول الناس الجن والشياطين ونظله الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس ويرفع ريح الصبا البساط مسيرة شهر من الصباح إلى الرواح . وقال الحسن : لما شغلت نبي الله سليمان الحيل حتى فاتته صلاة العصر غضب الله ففقر الحيل فأبدله الله مكانها خيراً منها وأمرع الريح تجري بأمره كيف يشاء ، فكان يندو من إيليا فيقبل باصطخ ثم يروح منها فيكون رواحها بابل ، وهكذا غدوها شهر ورواحها شهر حتى ملك الأرض مشرقاً ومغرباً ملك ساطنة وحكم ، وأمارساته فكانت لبني إسرائيل (قوله ومن الشياطين) أي الكفار منهم (قوله وغيره) أي كالنور والطاهون والقوارير والصابون فإن ذلك من استخراجهم (قوله لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل الخ) قيل إن سليمان كان إذا بعث شيطانا مع إنسان ليعمل له عملاً قال (٨٠) له إذا فرغ من عمله قبل الليل فأشغله بعمل آخر لئلا يفسد ما عمله ويخرجه

(قوله وأيوب) قدر اذكر إشارة إلى أن أيوب معمول لخدوف (قوله ويسدل منه) أي من أيوب والغنى اذكر قصة أيوب لإتدادي ربه في الحقيقة الإبدال من المضاف المقدر كاتقدم نظيره وسيأتي (قوله لما ابتلى متعلق بنادى (قوله بفقد جميع ماله) أي جملة ما ابتلاه الله به أربعة

(و) سخرنا (لِسُلَيْمَانَ الرِّيحَ عَاصِفَةً) وفي آية أخرى رخاء أي شديدة المهبوب وخفيفته بحسب إرادته (تَجْرِي بِأَمْرِهِ إِلَى الْأَرْضِ الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) وهي الشام (وَكُنَّا بِكُلِّ شَيْءٍ عَالِمِينَ) من ذلك علمه تعالى بأن ما يعطيه سليمان يدعو إلى الخضوع لربه ففعله تعالى على مقتضى علمه (و) سخرنا (مِنَ الشَّيَاطِينِ مَنْ يَفُوضُونَ لَهُ) يدخلون في البحر فيخرجون منه الجواهر لسليمان (وَيَعْمَلُونَ عَمَلًا دُونَ ذَلِكَ) أي سوى النوص من البناء وغيره (وَكُنَّا لَهُمْ حَافِظِينَ) من أن يفسدوا ماعملوا لأنهم كانوا إذا فرغوا من عمل قبل الليل أفسدوه إن لم يشغلوا بنوره (و) اذكر (أَيُّوبَ) ويبدل منه (إِذْ نَادَى رَبَّهُ) لما ابتلى بفقد جميع ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته سنين ثلاثاً أو سبعا ،

أو

أمور . وحاصل قصته باختصار أن أيوب كان رجلاً من الروم

وهو ابن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحاق بن إبراهيم وكانت أمه من ولد لوط بن هاران أخى إبراهيم ، وكان له من أصناف المال كله من الابل والبقر والغنم والحيل والحر ما لا يكون لرجل أفضل منه في العدة والكترة وكان له خمسمائة فدان يتبعها خمسمائة عبد لكل عبد امرأة وولد ومال وكان له أهل وولد من رجال ونساء وكان نبيا تقيا شاكراً لأنعم ربه وكان معه ثلاثة نفر قد آمنوا به وكانوا كهولاً وكان إبليس لا يحب عن شيء من السموات فيقف فيهن من حيث ما أراد فسمع صلاة لللائكة على أيوب فغسده ، وقال إلهي نظرت في عبدك أيوب فوجدته شاكراً حامداً لك ولو ابتليت لرجع عن شركك وطاعتك ، فقال الله له انطلق فقد سلطت على ماله ، فانطلق وجمع عفاريت الشياطين والجن وقال لهم قد سلطت على مال أيوب ، فقال عفريت أعطيت من القوة ما إذا شئت تحولت إصصاراً من نار فأحرق كل شيء أتى عليه . قال إبليس اذهب فانت الابل ورعاتها فلم يشعر الناس حتى ثار من تحت الأرض إصصار من نار فأحرق الابل ورعاتها حتى أتى على آخرها ، ثم جاء إبليس على صورة القيم على قعود إلى أيوب فوجده قائماً يصلى فقال له أحرقت نار إبلك ورعاتها ، فقال أيوب الحمد لله هو أعطانيها وهو أخذها ، ثم سلط عفريتاً على الغنم ورعاتها فصاح عليهم فماتوا جميعاً وعلى الحور فتحوّل ريحاً عاصفاً فاطارها ، ثم جاء إبليس وأخبر أيوب بذلك فحمد الله وأثنى عليه ، فلما رأى أنه قد أفنى ماله ولم ينجح منه شيء صعد إلى السماء وقال : يارب سلطنى على أولاده ، فقال له : انطلق فقد سلطتك على أولاده ، فذهب إليهم وزلزل بهم القصر وقلبه عليهم فماتوا جميعاً ، ثم جاءه في صورة للعلم الذى يعلمهم

الرحمة (قوله فاستجبنا له
نداءه) أى الذى فى ضمنه
الدعاء (قوله فكشفنا ما به
من ضرر) روى أن الله
تعالى قال له اركض برجلك
الأرض فركض فخرجت
عين ماء فأمره أن يغسل
منها ففعل فذهب كل داء
كان بظاهره ثم مشى
أربعين خطوة فأمره أن
يضرب برجله الأرض مرة
أخرى ففعل فنبعت عين
ماء بارد فأمره أن يشرب

منها فشرب. فذهب كل داء كان يباطنه فصار كأصح ما كان وهو معنى قوله تعالى في سورة ص - اركض برحلك هذا مغسل بارد وشراب - (قوله بأن أحيواله) أى لانهم ماتوا قبل انتهاء آجالهم، وقيل رزقه الله مثلهم، روى أن امرأته ولدت بعد ذلك ستة وعشرين ابناً (قوله ثلاث أوسبع) أى فجعلتهم ستة وأربعة عشر (قوله وكان له أنذر) هو الموضع الذى يدرس فيه الطعام (قوله أفرغت إحداها على أنذر القمح الذهب) أى لمناسبته له فى الحجرة وكذا يقال فيما بعده (قوله وذ كرى للعابدين) خصهم لانهم للمتفوعون بذلك (قوله وإسماعيل) عاش مائة وثلاثين سنة وكان له حين مات أبوه تسع وعمانون سنة وقصة صبره على الذبح ستأتى مفصلة فى سورة الصافات (قوله وإدريس) هو جد نوح ولد فى حياة آدم قبل موته بمائة سنة وبعث بعد موته بمائتى سنة وعاش بعد نبوته مائة وخمسين سنة فجعله عمره أربع مائة وخمسون سنة وكان يبنو بين نوح ألف سنة (قوله وذا الكفل) هذا لقبه واسمه بشر وهو ابن أيوب (قوله وأدخلناه) معطوف على عذوف تقديره فأعطيناهم ثواب الصابرين وأدخلناهم الجنة (قوله لانه تكفل بصيام جميع نهاره الخ) أى فكان يصوم النهار ويصلى بالليل ولا يفتر وكان ينام وقت القيلولة وكان لا ينام إلا تلك النومة فامتحنه إبليس لينظر هل يغضب أم لا فأراه إبليس حين أخذ مضجعه فذق عليه الباب، فقال من هذا؟ فقال شيخ (١) إذا كان تعفن الجسم ونبت الانسان على الكناسة وهجر جميع الناس إياه لا يعبث منفرأ فأى شئ منفر بعد ذلك؟ اللهم

كبير مظلوم بيني وبين قومي خصومة وإنيهم ظلموني ، فقام وفتح له الباب وضار يطيل عليه الكلام حتى ذهبته القيلولة فقال له إذا قدمت للحكم فانتني أخلص حقت فلما جالس للحكم لم يجدده فلما رجع إلى القاعة من الغد أتاه ودق الباب فقال له من هذا ؟ فقال الشيخ المظلوم ففتح الباب فقال ألم أقل لك إذا قدمت للحكم فانتني ؟ فقال إن خصومي أخبث قوم إذا علموا أنك قاعد قالوا نعطيك حقت وإذا كنت جحدوني فلما كان اليوم الثالث قال ذو الكفل لبعض أهله لا تدعن أحدا يقرب هذا الباب حتى أتاه فإنه قد شق على الناس ، فلما كانت تلك الساعة جاءه إبليس فلم يأذن له الرجل فرأى طاقة فدخل منها ودق الباب من داخل فاستيقظ فقال له أتنام والحصوم ببابك فعرف أنه عدو الله وقال فقلت ما فعلت لأغضبك فعصمك الله (قوله وقيل لم يكن نبيا) أي بل كان عبدا صالحا والصحيح أنه نبى قيل بعث إلى رجل واحد (قوله وذا النون) لقب ليونس وجمعه أنوان ونيان وهو اسم للحوت كبيرا وأصغرا (قوله ابن متى) اسم أبيه ، وقيل اسم أمه (قوله ويبدل منه) أي بدل اشتال (قوله مغاضبا لقومه) أي لآلئيه لأن خروجه باجتهاد منه حين وعدم بالعذاب فلما ينزل بهم ظن أنه إن بقي بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب (قوله) (٨٢) (أي غضبان عليهم) أشار بذلك إلى أن القاعة ليست على بابها (قوله أى نقضى

عليه بما قضينا) أشار بذلك إلى أن معنى أن لن نقدر عليه نقضى عليه بما قضينا من القدر وهو القضاء ، والمعنى فظن أننا لا نؤاخذه بخروجه (قوله أونضيق عليه) أى فمضى نقدر نضيق كفى قوله تعالى - الله ييسر الرزق لمن يشاء من عباده ويقدر - وقوله تعالى - ومن قدر عليه رزقه - لا من القدرة بمعنى الاستطاعة التى هى ضد العجز (قوله من حبسه فى بطن الحوت) أى وكانت مدة مكثه

وقيل لم يكن نبيا (و) اذكر (ذا النون) صاحب الحوت وهو يونس بن متى ويبدل منه (إذ ذهب مغاضبا) لقومه : أى غضبان عليهم مما قامى منهم ولم يؤذن له فى ذلك (فظن أن لن نقدر عليه) أى نقضى عليه بما قضينا من حبسه فى بطن الحوت أو نضيق عليه بذلك (فنأدى فى الظلمات) ظلمة الليل وظلمة البحر وظلمة بطن الحوت (أن) أى بأن (لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين) فى ذهابى من بين قومي بلا إذن (فاستجبنا له ونجيناه من الغم) بتلك الكلمات (وكذلك) كما نجيناه (ننجي المؤمنين) من كربهم إذا استغاثوا بنا داعين (و) اذكر (زكريا) ويبدل منه (إذ نادى ربه) بقوله (رب لا تدركنى فردا) أى بلا ولد يرثى (وأنت خير الوارثين) الباقى بعد فناء خلقك (فاستجبنا له) نداه (وهبنا له يحيى) ولدا (وأصلحنا له زوجه) فأتت بالولد بعد عقمها (إنهم) أى من ذكر من الأنبياء (كانوا يسارعون) يبادرون (فى الخيرات) الطاعات (ويدعوننا رجبا) فى رحمتنا (ورهبا) من عذابنا (وكانوا لنا خاشعين) متواضعين فى عبادتهم ،

(و)

بيطن الحوت أربعين يوما أو سبعة أيام أو ثلاثة أو أربع ساعات وأوحى الله

إلى ذلك الحوت لاتأكل له لحما ولا تشم له عظما فإنه ليس رزقا لك وإنما جعلتك سجناله . وحاصل ذلك أنه حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى توقعدهم به خرج فركب سفينة فسارت قليلا ثم وقفت فى لجة البحر ، فقال الملاحون هنا عبد آبق من سيده تظهره القرعة فضر بها فخرجت على يونس فألقوه فى البحر فابتلعه الحوت وهو آت بما يلام عليه من ذهابه للبحر وركوبه إياه فدعاه به فألقاه الحوت بالساحل ضعيفا وكانت تأتيه غزالة صباحا ومساء فيشرب من لبنها حتى قوى فرجع إلى قومه فآمنوا به جميعا . قال تعالى - وأرسلناه إلى مائة ألف أو يزيدون فآمنوا فمتنعناهم إلى حين - (قوله أن لا إله إلا أنت) أن إما مخففة من الثبيلة واسمها ضمير الشأن وما بعدها خبرها أو تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ، وهذا الدعاء عظيم جدا لاشتماله على التهليل والتسبيح والاقترار بالذهب ، ولما ورد فى الحديث « مامن مكروب يدعو بهذا الدعاء إلا استجيب له » (قوله وزكريا) معمول لمحدوف قتره بقوله اذكر (قوله أى بلا ولد يرثى) أى فى العلم والنبوة (قوله بعد عقمها) الترادف به انسداد الرحم عن الولادة (قوله إنهم كانوا يسارعون) علة لمحدوف : أى قالوا ما قالوا لأنهم العج (قوله رجبا ورهبا) إمامنصوبان عنى المفعول من أجله أو على أنهما واقعان موقع الحال : أى راضين راضين .

(قوله والى أخصنت فرجها) صفة لموصوف محذوف معمول لمحذوف قدر ذلك الفسر بقوله واذا ذكر مريم (قوله من أن ينال) أى يصل إليه أحد بحلال أو حرام . إن قلت المزية ظاهرة في حفظه من الحرام وأما الحلال فكيف تمدح على التعفف عنه . أجيب بأن الهرب كان مشروعا لهم أو لتكون ولادتها خارقة للعادة (قوله حيث تنزع في جيب درعها) أى أمرناه بفعل ذلك أو المراد ننزعنا فيها بعض الأرواح الخالقة لنا وهى روح عيسى (قوله آية للعالمين) لم يقل آيتين لأن كلا من مريم وابنها بانضمامه للآخر صار آية واحدة وفيه الحذف من الأول لدلالة الثانى عليه (قوله إن هذه أمتكم) أشار الفسر إلى أن اسم الإشارة يعود على ملة الإسلام والأمة في الأصل الجماعة ثم أطلقت على الملة لأنها قسم لازم الاجتماع ، والمعنى أن ملة الإسلام ملتكم لاختلاف فيها من لدن آدم إلى محمد فلا تغيير ولا تبديل في أصول الدين وإنما التغير في الفروع فمن غيّر وبدل في الملة فهو خارج عنها ضال مضل ، وحكمة ذكر هذه الآية عقب القصص دفع ما يتوهم أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث بعقائد تخالف عقائد من قبله من الرسل (قوله حال لازمة) أى من أمة ، وقيل بدل من هذه ويكون قد فصل بين البديل والبدل منه بخبر إن نحو إن زيدا قائم أخاك وأمتكم بالرفع خبر إن وقرئ شذوذا بالنصب على أنه بدل من هذه أو (٨٣) عطف بيان (قوله فاعبدون)

إن كان الخطاب للمؤمنين
فمعناه دوموا على العبادة
وإن كان الخطاب
للكفار فمعناه إنشاء
العبادة والتوحيد
(قوله وتقطعوا أئمتهم)
أى تفرقوا في أئمتهم
واختلفوا في دينهم
وهذا إخبار من الله بأن
الجميع لم يكونوا على دين
واحد لسبق حكمته البالغة
بذلك ، والحكمة في ذكر
العبادة هنا والتقوى في
المؤمنون وذكر الواو هنا
والفاء هناك ، قيل تغني
وقيل لأن الخطاب هنا

(وَ) اذكر مريم (الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا) حفظته من أن ينال (فَنَفَخْنَا فِيهَا مِنْ رُوحِنَا)
أى جبريل حيث تنزع في جيب درعها فحملت بعيسى (وَجَعَلْنَاهَا وَابْنَهَا آيَةً لِلْعَالَمِينَ) الإنس
والجن والملائكة حيث ولدته من غير غل (إِنَّ هَذِهِ) أى ملة الإسلام (أُمَّتُكُمْ) دينكم
أيها المخاطبون أى يجب أن تكونوا عليها (أُمَّةً وَاحِدَةً) حال لازمة (وَأَنَا رَبُّكُمْ فَاعْبُدُونِ)
وحدون (وَتَقَطَّعُوا) أى بعض المخاطبين (أَمْزَهُمْ بَيْنَهُمْ) أى تفرقوا أمر دينهم متخالفين
فيه وهم طوائف اليهود والنصارى ، قال تعالى (كُلُّ إِلَهٍ لِّنَا رَاجِعُونَ) أى فنجازيه بصله (فَنَ)
يَعْمَلُ مِنَ الصَّالِحَاتِ وَهُوَ مُؤْمِنٌ فَلَا كُفْرَانَ) أى جحود (لِسَعْيِهِ وَإِنَّا لَهُ كَاتِبُونَ)
بأن نأمر الحفظة بكتبته فنجازيه عليه (وَحَرَامٌ عَلَى قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) أريد أهلها (أَنَّهُمْ لَا)
زَائِدَةٌ (يَرْجِعُونَ) أى ممتنع رجوعهم إلى الدنيا (حَتَّى) غاية لامتناع رجوعهم (إِذَا فُتِحَتْ)
بالتخفيف والتشديد (يَأْجُوجُ وَمَأْجُوجُ) بالهمز وتركه اسماء أعجميان لقبيلتين ويقدر قبله
مضاف أى سدما ،

للكفار فناسبه ذكر التوحيد والخطاب هناك لارسل فناسبه ذكر التقوى وآتى بالواو هنا لأنها لا تقتضى الترتيب وهو المراد هنا فان التفرق
كان حاصلًا من قبل بخلاف ما يأتى فان التفرق حصل بعد إرسال الرسل فناسبه الفاء (قوله وهم طوائف اليهود والنصارى) لا مفهوم
له بل هذه الأمة افرقت ثلاثا وسبعين فرقة اثنتان وسبعون في النار وواحدة ناجية كما في الحديث (قوله كل إلينا راجعون) تهديد
للكفار . والمعنى أن الله تعالى لا يفلت أحدا بل كل من الثابت على الحق والزائع عنه راجع اليه (قوله من الصالحات)
أى الأعمال الحسنة من فرض ونفل (قوله فلا كفران لسعيه) أى لا يمنع من ثوابه ولا يحرم منه ، فالكفران معسر
يعنى الكفر الذى هو الجحود والانكار فنبه منع الثواب بالكفر والجحود (قوله وإنا له كاتبون) أى حافظون للعمل فلا يضيع
منه شئ (قوله وحرام) خبر مقدم وأنهم لا يرجعون مبتدأ مؤخر ، والمعنى رجوع أهل قرية أهلكتها ممتنع ، وقوله إلى الدنيا
إلى البقاء والعيشة فيها ، وقيل إلى الإيمان يعنى أن رجوعهم إلى الإيمان ممتنع لسبق الشقاء عليهم قال تعالى - ولو ردوا
لإعادوا لما نهوا عنه - (قوله غاية لامتناع رجوعهم) أى فهى متعلقة بحرام غاية لما قبلها ويصح أن تكون ابتدائية وتكون
الجملة مستأنفة (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله بالهمز وتركه) قرأتان سبعيتان (قوله أعجميان)
لقبيلتين) أى من نبي آدم يقال إنهم تسعة أشرار نبي آدم وتقتسم قسمتهم .

(قوله وذلك قرب القيامة) أى بعد نزول عيسى وهلاك الجبال حين يأتى ويمكث أربعين يوماً كسنة ويوم كسهر ويوم كجمعة وسائر أيامه كباقي الأيام ، وفي الحديث «قلنا يا رسول الله فى اليوم الذى كسنة يكفيننا فيه صلاة يوم؟ قال لا ، اقدروا له قدره قلنا يا رسول الله وما أسراعه فى الأرض؟ قال كالغيث استندبرته الريح فينزل عيسى على منارة بنى أمية شرق دمشق عليه حلتان مصرغان فيقتله ثم يخرج يأجوج ومأجوج من السد فيحصل للخلق جذب عظيم حتى تسكون رأس التور خيراً من مائة دينار ثم يدعو الله عيسى فيرسل الله عز وجل النصف فى رقابهم فيهلكون جميعاً فتملأ رممهم وجيفهم الأرض فيدعوا الله عيسى فيرسل الله عليهم طيراً كأعناق البخت فتحملمهم وتطرحهم حيث شاء الله ثم يرسل الله مطراً فيغسل الأرض من آثارهم ثم يقول الله الأرض أبقى ثمرك فيكثر الرزق جداً ويستقيم الحال لعيسى والمؤمنين فينهم كذلك إذ بعث الله عليهم ريحاً لينة تقبض روح كل مؤمن ومسلم وتبقى شرار الناس يتهارجون فى الأرض كتهارج الحمر فعابهم تقوم الساعة» وبين موت عيسى والنفخة الأولى وعشرون سنة لكن السنة بقدر شهر كما أن الشهر بقدر جمعة والجمعة بقدر يوم واليوم بقدر ساعة فيكون بين عيسى والنفخة الأولى قدر ثلث عشرة سنة من السنين المتعاقبة وفي الحديث «لا تقوم الساعة حتى تروا قبلها عشر آيات : الدخان والدجال والدابة وطاوع الشمس من مغربها ونزول عيسى ابن مريم ويأجوج ومأجوج وثلاثة خسوف بالشرق وخسف بالمغرب وخسف بجزيرة العرب وآخر ذلك نار تخرج (٨٤) من الجن تطرد الناس إلى محشرهم» (قوله وهم من كل حذب ينسلون)

أى يأجوج ومأجوج ينتشرون فى الأرض ويسرعون فيها من كل مرتفع من الأرض (قوله واقترب الوعد) عطف على فتحت (قوله أى النصه) أشار بذلك إلى أن الضمير للقصة وشاخصة خبر مقدم وأبصار مبتدأ مؤخر والجملة خبر هى والتعقيب عسرفى لأن التفاوت القليل كالعدم

وذلك قرب القيامة (وَهُمْ مِنْ كُلِّ حَذَبٍ) مرتفع من الأرض (يَنْسِلُونَ) يسرعون (وَاقْتَرَبَ الْوَعْدُ الْحَقُّ) أى يوم القيامة (فَإِذَا هِيَ) أى القصة (شَاحِصَةٌ أَبْصَارُ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى ذلك اليوم لشدة يقولون (يَا) للتنبيه (وَيَلْنَا) هلاكنا (قَدْ كُنَّا) فى الدنيا (فِي غَفْلَةٍ مِنْ هَذَا) اليوم (بَلْ كُنَّا ظَالِمِينَ) أفسنا بتكذيبنا للرسول (إِنَّكُمْ) يا أهل مكة (وَمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأوثان (حَصَبُ جَهَنَّمَ) وقودها (أَنْتُمْ لَهَا وَارِدُونَ) داخلون فيها (لَوْ كَانَ هَؤُلَاءِ الْأَوْثَانُ آلِهَةً) كما زعمتم (مَا وَرَدُوهَا) دخلوها (وَكُلٌّ مِنَ الْعَابِدِينَ وَالْمَعْبُودِينَ) فيها خالدون . لهم (فِيهَا زَفِيرٌ وَهُمْ فِيهَا لَا يَسْمَعُونَ) شيئاً لشدة غليانها . ونزل لما قال ابن الزبيرى عبد عزيز والمسيح والملائكة فهم فى النار على مقتضى ما تقدم (إِنَّ الَّذِينَ سَبَقَتْ لَهُمْ مِنَّا) ،

المنزلة

فاندفع ما يقال إنه رتب الشيوخ على فتح السد واقترب الساعة مع أن الشيوخ لا يوجد إلا يوم القيامة (قوله يقولون يا ويلنا) أشار بذلك إلى أن يا ويلنا مقول لقول محذوف (قوله بل كنا ظالمين) إضراب عن قولهم قد كنا فى غفلة لعله ينفعهم الاقرار بالذنب فلا ينفعهم (قوله من الأوثان) خصها بالله كرا لأنها كانت معظم معبوداتهم وإلا فالشمس والقمر يصيران نورين عقيرين فى النار (قوله وقودها) أى وصى حصبا لأنه يرى بهم فيها كما ترى الحصباء (قوله لو كان هؤلاء آلهة الخ) تبيكت عليهم (قوله زفير) أى أنين وتنفس شديد (قوله لشدة غليانها) أى فعدم سماعهم لشدة غليان النار عليهم لما ورد «إذا بقى من يخلف فيها جعلوا فى توايت من نار ثم جعلت تلك التوايت فى توايت أخرى ثم تلك التوايت فى توايت أخرى عليه مسامير من نار فلا يسمعون ولا يرى أحدهم منهم أن فى ذلك وأحداء مذبذبة» (قوله ونزل لما قال ابن الزبيرى الخ) حاصل ذلك : أن رسول الله صلى الله عليه وسلم دخل المسجد وصناديد قريش فى الحطيم وحول الكعبة ثلاثمائة وستون صنما فعرص له النضر بن الحارث فكلمه رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى أحفمه ثم تلا عليه : إنكم وما تعبدون من دون حصب جهنم الآيات الثلاث ثم قام فأقبل ابن الزبيرى وهو بكسر الزاى وفتح الباء وسكون العين وفتح الراء متصورا وقد أسلم بعد ذلك فأخبره الوليد بن المغيرة بما قاله رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال أما والله لو وجدته لحصته فدعوا رسول الله فقال له ابن الزبيرى أنت قلت إنكم وما تعبدون من دون الله حصب جهنم قال نعم قال أليست اليهود تعبد عزيرا والنصارى تعبد المسيح وبنو مدج يعبدون للملائكة ؟ فقال النبي صلى الله عليه وسلم بل هم يعبدون الشيطان فنزلت هذه الآية ردا عليه .

(قوله للنزلة الحسنى) أى الترتبة والرتبة الحسنى أول الراد الكلمة الحسنى وهى لا إله إلا الله أول الراد السعادة الأبدية (قوله ومنهم من ذكر) أى العزيز وعيسى والملائكة ، والمعنى أن كل من سبقت له الحسنى سواء عبد أولا فهو مبعد عن النار (قوله أولئك عنها مبعدون) أى عن جهنم . إن قلت كيف ذلك مع قوله تعالى - وإن منكم إلا واردها - والورود يقتضى القرب منها . أجيب بأن المراد مبعدون عن عذابها وألمها فإن المؤمنين إذا مروا على النار تخدم وتقول جز يامؤمن فإن نورك قد أطفأ لهما وهذا لا ينافى الورد (قوله لا يسمعون حسيبها) أى حركة تلها وفى هذا تأكيد بعدم عنها (قوله لا يحزنهم الفزع الأكبر) هذا بيان لنجاتهم من الفزع إثر بيان تجاتهم من النار (قوله وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار) أى الكافر ، وقيل هو حين تقاى النار على أهلها ويأسون من الخروج ، وقيل هو حين يذبح الموت بين الجنة والنار وينادى بأهل النار خلود بلاموت ، وقيل هو جميع أهوال القيامة (قوله عند خروجهم من القبور) أى تستقبلهم بالبشرى والسرور عند ذلك ، وقيل تستقبلهم على أبواب الجنة ولا مانع أنها تستقبلهم فى الحالىن (قوله اسم ملك) أى فى السماء الثالثة وطى هذا فالمصدر مضاف لغاظه فإن هذا الملك يطوى كتب الأعمال إذا رفعت إليه (قوله واللام (٨٥) زائدة) أى والكتاب مفعوله

(قوله أو السجل الصحيفة) أى والمعنى كطلى الصحف طى مكتوبها وعليه فهو من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف تقديره كما يطوى الرجل الصحيفة على ما فيها (قوله وفى قراءة) أى سبعة أيضا (قوله كما بدأنا) أى وأما على قراءة الأفراد فاللجنس (قوله كما بدأنا أول خلق) أى كما بدأناهم فى بطون أمهاتهم حفاة عراة غرلا كذلك نعيدهم يوم القيامة والخلق بمعنى المخلوق وإضافة أوله من إضافة

المنزلة (الحسنى) ومنهم من ذكر (أُولَئِكَ عَنْهَا مُبْعَدُونَ. لَا يَسْمَعُونَ حَسِيسَهَا) صوتها (وَهُمْ فِيهَا اشْتَبَتْ أَنْفُسُهُمْ) من النعيم (خَالِدُونَ. لَا يُخْزَنُهُمُ الْفَزَعُ الْأَكْبَرُ) وهو أن يؤمر بالعبد إلى النار (وَتَتَلَقَّاهُمْ) تستقبلهم (المَلَائِكَةُ) عند خروجهم من القبور يقولون لهم (هَذَا يَوْمُكُمْ الَّذِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) فى الدنيا (يَوْمَ) منصوب باذكر مقدراً قبله (نَطْوِي السَّمَاءَ كَطَيِّ السَّجِلِّ) اسم ملك (لِلْكِتَابِ) صحيفة ابن آدم عند موته واللام زائدة أو السجل الصحيفة والكتاب بمعنى المكتوب واللام بمعنى على وفى قراءة للكتب جمعا (كَمَا بَدَأْنَا أَوَّلَ خَلْقٍ) عن عدم (نُعِيدُهُ) بعد إعدامه فالكاف متعلقة بتعيد وضميره عائد إلى أول وما مصدرية (وَعَدًا عَائِنًا) منصوب بوعدا مقدراً قبله وهو مؤكد لمضمون ما قبله (إِنَّا كُنَّا فَاعِلِينَ) ما وعدنا (وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ) بمعنى الكتاب أى كتب الله المنزل (مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ) بمعنى أم الكتاب الذى عند الله (أَنَّ الْأَرْضَ) أرض الجنة (يَرُهَا عِبَادِيَ الْمُصَلِّينَ) عام فى كل صالح (إِنَّ فِي هَذَا) القرآن (لَبَلَاغًا) كفاية فى دخول الجنة (لِقَوْمٍ عَابِدِينَ)

الصفة للوصوف ، والمعنى كما بدأنا المخلوق الأول نعيدة ثانيا (قوله بعد إعدامه) هذا أحد قولين لأهل السنة . والقول الثانى أن الإعادة بعدة فرق الأجزاء قال فى الجوهرة : وقل يعاد الجسم بالتحقيق عن عدم وقيل عن تفريق (قوله وما مصدرية) أى وبدأنا صلتها والجملة فى محل جر بالكاف وأول خلق مفعول به لبدأنا (قوله وعدا علينا) أى فعلينا إنجازه لتعلق علمنا بوقوعه وقدرتنا على إنفاذه (قوله لمضمون ما قبله) أى الجملة الخبرية (قوله إنا كنا فاعلين) توكيد لما قبله (قوله بمعنى الكتاب) أى قال فى الزبور للجنس ، والمعنى جنس الكتب السماوية (قوله بمعنى أم الكتاب) أى وهو اللوح المحفوظ (قوله أن الأرض) مفعول كتبنا (قوله عام فى كل صالح) أى من هذه الأمة وغيرها من الأمم والمراد بالصلاح الموت على الإيمان ، والمعنى أن المؤمنين يرثون الجنة وينعمون فيها على قدر أعمالهم وعبر بالبراث لأنه ملك مستمر يأتى من غير تكسب ، وأما من مات على الكفر فلايس له فى الجنة نصيب لأن الجنة عزيزة عند الله فلا يعطىها لأعدائه ، وأما الدنيا فقد تعطى للكافر لعدم عزتها عنده لما فى الحديث «لو كانت الدنيا تزن عند الله جناح بعوضة ماسق الكافر منها جرعة ماء» ومعناه لو كان للدنيا قدر عند الله لبقيت ببقائه ولو كانت باقية مانع الكافر فيها لهوائه عاينه فقصر الله فى الأزل أن الدنيا فانية زائلة لا قدر لها عنده فتم فيها الكفار (قوله كفاية فى دخول الجنة) أى من حيث أنه يوصل لمرضاة الله تعالى فى الدنيا ويؤنس صاحبه فى القبر ويوضح فى الميزان ويرى به فى درجات الجنة

(قوله عاملين به) أى ممثلين أو امره مجتنبين نواهيه (قوله أى للرحمة) أشار بذلك إلى أن رحمة منصوب على أنه مفعول لأجله ويصح أن يكون منصوبا على الحال أى أنه نفس الرحمة لما ورد أن الأنبياء خلقوا من الرحمة وبنينا عين الرحمة أو على حذف مضاف أى ذا رحمة أو راحما لما في الحديث «إنما أنا رحمة مهداة» (قوله الانس والجن) أى برا وفاجرا مؤمنا وكافرا لأنه رفع بسببه الحسف والسخ وعذاب الاستئصال ورحمة أيضا من حيث إنه جاء بما يرشد الخلق إلى السعادة العظمى فمن آمن فهو رحمة له دنيا وأخرى ومن كفر فهو رحمة له في الدنيا فقط (قوله قل إنما يوحى إلى أنما إلهكم إله واحد) اعلم أن في هذه الآية قصرين . الأول قصر الصفة على الموصوف . والثاني بالعكس . والمعنى كما قال المفسر ما يوحى إلى في أمر الإله إلا اختصاصه بالوحدانية فيه رد (٨٦) على الكفرة الذين يعبدون غير الله . (قوله بمعنى الأمر) أى فالمراد منه

التخصيص على الإسلام لا الاستفهام عنه (قوله أعلمتكم بالحرب) أى أُنذرتكم . والمراد بالحرب محاربتة هو وأصحابه لهم والمعنى أعلمتكم بأنى محاربتكم والحال أنى وأتم مستوون في العلم بنقص الصالح لثلاث أنسب للغير المذموم فاعله (قوله لتأهبوا) أى لتستعدوا وتتهيئوا له وهو علة للنفى لا للنفى فالنفى لا أستبد به بل أعلمتكم لتأهبوا (قوله وإن أدري أقرب أم بعيد ما توعدون) أى لا أدري الوقت الذى يحل بكم العذاب فيه وإنما علمه موكل إلى الله ، والمراد بالعذاب تعذيبه إياهم بحربه في الدنيا وقوله أو القيامة أى

عاملين به (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ) يَا مُحَمَّد (إِلَّا رَحْمَةً) أى للرحمة (لِلْعَالَمِينَ) الإنس والجن بك (قُلْ إِنَّمَا يُوحَىٰ إِلَيَّ أَنَّمَا إِلَهُكُمُ إِلَهُ وَاحِدٌ) أى ما يوحى إلى في أمر الإله إلا وحدانيته (قُلْ أَنْتُمْ مُسْلِمُونَ) منقادون لما يوحى إلى من وحدانية الإله والاستفهام بمعنى الأمر (قَالُوا تَوَلَّوْا) عن ذلك (قُلْ أَذَنْتُكُمْ) أعلمتكم بالحرب (عَلَىٰ سَوَاءٍ) حال من الفاعل والمفعول أى مستوون في علمه لا أستبد به دونكم لتأهبوا (وَأِنْ) ما (أَدْرِي أَقْرَبُ أَمْ بَعِيدُ مَا تَوَعَّدُونَ) من العذاب أو القيامة المشتعلة عليه وإنما يعلمه الله (إِنَّهُ) تعالى (يَعْلَمُ الْغُيُوبَ مِنَ الْقَوْلِ) والفعل منكم ومن غيركم (وَيَعْلَمُ مَا تَكْتُمُونَ) أتم وغيركم من السر (وَأِنْ) ما (أَدْرِي لَعَلَّهُ) أى ما أعلمتكم به ولم يعلم وقته (فَتَنَّةٌ) اختبار (لَكُمْ) ليرى كيف صنعكم (وَمَتَاعٌ) تمتع (إِلَىٰ حِينٍ) أى انقضاء آجالكم وهذا مقابل للأول للترجي بلعل وليس الثانى محلا للترجي (قُلْ) وفي قراءة قال (رَبِّ أَحْكُم) بينى وبين مكذبنى (بِالْحَقِّ) بالعذاب لهم أو النصر عليهم فعذبوا بيدرا وأحد والأحزاب وحنين والحنديق ونصر عليهم (وَرَبُّنَا الرَّحْمَنُ الْمُسْتَعَانُ عَلَىٰ مَا تَصِفُونَ) من كذبكم على الله في قولكم اتخذولداً ، وعلى في قولكم ساحر ، وعلى القرآن في قولكم شعر .

(سورة)

تعذيبهم بالنار (قوله إنه يعلم الجهر من القول) أى ما تقولونه جهرا مما لا يليق (قوله والفعل) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء (قوله أى ما أعلمتكم به) أى وهو تأخير العذاب عنهم في الدنيا (قوله اختبار لكم) أى معاملتكم معاملة الاختبر (قوله وهذا مقابل للأول الخ) حاصله أن قوله لعله فتنة لكم محتمل للوقوع وعدمه وأما قوله ومتاع إلى حين فهو محقق الحصول والأحسن أن يجعل قوله ومتاع خبرا لمحدوف تقديره ، وهذا متاع إلى حين أى وتأخير عذابكم متاع أى تمتع لكم إلى وقت فراغ الأجل والجملة مستأنفة (قوله وفي قراءة قال) أى وهى سبعة أيضا فلا يرى أمر . والثانية إخبار عن مقالته (قوله احكم بالحق) أى عجل النصر لى والعذاب لأعدائى (قوله والحنديق) المناسب حذفه لأنه هو الأحزاب (قوله المستعان) أى الذى تطلب منه الاعانة (قوله على ما تصفون) أى على وصفكم لربكم ولنبهه بالتناقض . فقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتفويض الأمر إلى الله والصبر على المشاق تعلما لأتمته حسن الالتجاء إلى ربه

[سورة الحج ، محكمة] سميت بذلك لذكر الحج فيها (قوله إلا ومن الناس الحج) هذا أحد قولين في الدنى منها (قوله أو إلا هذان خصمان) هذا قول ثان وقوله الست آيات أى وتنتهى إلى صراط الحميد لكن أربع آيات منها متعلقات بالكفار وآيتان متعلقتان بالمؤمنين ، وقيل إن السورة كلها مدنية وقيل إلا أربع آيات من قوله وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي إلى قوله عذاب مقيم فهى مكيات والتحقيق أنها مختلطة منها مكى ومنها مدنى وهى من أعاجيب السور نزلت ليلا ونهارا سفرا وحضرا مكيا ومدنيا سلميا وحريرا ناسخا ومنسوخا محكما ومتشابها (قوله أو ثمان وسبعون آية) أى ثنها سبعون آية جزما والخلاف في النيف الزائد على خمسة أقوال (قوله أى أهل مكة) إما برفع أهل مكة أى أى حرف تفسير وأهل تفسير للناس أو نصبه على أن أى حرف نداء وأهل منادى وقوله وغيرهم بالرفع أو نصب وأشار بذلك إلى أن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب (قوله بأن تطيعوه) أى بفعل المأمورات واجتناب النهيات (قوله إن زلزلة الساعة الحج) تعليل للأمر بالتقوى . والمعنى اتقوا ربكم لتأمنوا من المخاوف فإن من دخل حضرته أمن من كل ما يزعج قال تعالى : إن للتقين في مقام أمين وإضافة زلزلة الساعة من إضافة المصدر لفاعله والمفعول محذوف تقديره الأرض وإسناد الزلزلة (٨٧) الساعة مجاز عطف لأنها مقدمتها ومن علاماتها الكبرى لما روى في حديث الصور :

(سورة الحج)

مكية إلا ومن الناس من يعبد الله الآيتين ، أو إلا هذان خصمان الست آيات قدنيات وهى أربع أو خمس أو ست أو سبع أو ثمان وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة وغيرهم (اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عقابه بأن تطيعوه (إِنْ زَلْزَلَةُ السَّاعَةِ) أى الحركة الشديدة للأرض التى يكون بعدها طلوع الشمس من مغربها الذى هو قرب الساعة (شَيْءٌ عَظِيمٌ) فى إزعاج الناس الذى هو نوع من العقاب (يَوْمَ تَرَوْنَهَا تَذْهَلُ) بسببها (كُلُّ مُرْضِعَةٍ) بالفعل (عَمَّا أَرْضَعَتْ) أى تنساه (وَتَضَعُ كُلُّ ذَاتِ حَمْلٍ) أى حبل (حَمْلَهَا وَتَرَى النَّاسَ سُكَارَى) من شدة الخوف (وَمَا هُمْ بِسُكَارَى) من الشراب (وَلَكِنْ عَذَابُ اللَّهِ شَدِيدٌ) فهم يخافونه . ونزل فى النصربن الحرث وجماعة (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ) قالوا الملائكة بنات الله والقرآن أساطير الأولين ، وأنكروا البعث وإحياء من صار ترابا (وَيَقْبِضُ) فى جداله (كُلَّ شَيْطَانٍ ،

للمشمس من مغربها) أشار المفسر بذلك إلى أن تلك الزلزلة تكون فى الدنيا قبل طلوع الشمس من مغربها ويقوى هذا القول قوله تعالى : تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ عَمَّا أَرْضَعَتْ والآية والرضاع والحمل إنما هو فى الدنيا وقيل تكون مع الذنخة لأولى وقيل تكون مع قيام الساعة عند الذنخة الثانية وحينئذ يكون قوله تَذْهَلُ كُلُّ مُرْضِعَةٍ مبالغة أى أن الزلزلة من شدة هولها وعظمة شأنها أن تذهل كل مرضعة عن ولدها (قوله كل مرضعة بالفعل) والمعنى مباشرة للرضاع (قوله عما أرضعت) يصح أن تكون مامصرة أى عن إرضاعها ويصح أن تكون موصولة أى عن الذى أرضعته (قوله كل ذات حمل) هو بفتح الحاء ما كان فى بطن أو على رأس شجرة وأما الحمل بكسر الحاء فهو ما يحمل على الظهر (قوله ولكن عذاب الله شديد) استدراك على محذوف تقديره فهذه الأحوال ليست شديدة ولكن عذاب الله الحج لما بعد لكن مخالف لما قبلها وهاتان الآيتان قيل نزلتا فى غزوة بنى المصطلق ليلا فتنادى رسول الله صلى الله عليه وسلم الناس حتى كانوا حوله فقرأها عليهم فلم يركبوا أكثرا من تلك الليلة فلما أصبحوا لم يحطوا السروج عن الدواب ولم يضربوا الحيام ولم يطبخوا والناس من بين بالك وجالس حزين متفكر (قوله من يجادل فى الله) أى فى قدرته وصفاته العظيمة (قوله بغير علم) حال من فاعل يجادل (قوله وأنكروا البعث) أى حيث قالوا أنذامتنا وكنا ترابا وعظاما أننا

يجمعون خلقا جديدا (قوله مرید) أى طاق والراد إما رؤساء الكفرة الذين يدعون من دونهم إلى الكفر وإما إبليس وجنوده وهو الأقرب لقوله في الآية الأخرى : إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدوا إنما يدعو حزبه ليكونوا من أصحاب السعير (قوله كتب عليه) هو فعل مبنى للفعول وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل (قوله من تولاه) إما شرطية والفاء واقعة في جوابها أو موصولة والفاء زائدة في الخبر لشبه التبديل بالشرط (قوله يدعوهم) أى وصي الدعاء هداية تهما بهم (قوله أى النار) أشار بذلك إلى أن الراد بالسعير النار بجميع طبقاتها لا الطبقة السابعة بذلك (قوله بأياها الناس إن كنتم في ريب من البعث) مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر من يجادل في قدرة الله بنير علم وكان جدالهم في البعث ذكر دليلين على ذلك : الأول في نفس الانسان وابتداء خلقه . والثاني في الأرض وما يخرج منها فاذا تأمل الانسان فيهما ثبت عنده البعث وأنه واقع لاحالة (قوله ثم من علقه) أى بأن (٨٨) نصير النطفة دما جامدا وهكذا يقال فيما بعده بدليل قوله تعالى في سورة المؤمنون

ثم خلقنا النطفة علقه
فخلقنا العلقه مضغة لما
ورد أن النطفة إذا وقعت
في الرحم وأراد الله أن
يخلق منها بشرا طارت
في بشرة المرأة تحت كل
ظفر وشرة ثم تمسكت
أربعين يوما ثم تصير
دما في الرحم فذلك جمعها
وهو وقت جعلها علقه
واختلط أن نفخ الروح
فيه يكون بعد مائة
وعشرين يوما وذلك
أربعة أشهر (قوله تامة
الخلق) أى تامة التصوير
بأن خاق الرأس واليدان
والرجلان (قوله أى غير
تامة الخلق) أى غير تامة
التصوير بأن لم يخلق فيها
شيء من ذلك (قوله كال

مرید) أى متشرد (كُتِبَ عَلَيْهِ) قضى على الشيطان (أَنَّهُ مِنْ تَوَلَّاهُ) أى اتبعه (فَأَنَّهُ
بُضِّلَهُ وَيَهْدِيهِ) يدعوهم (إِلَى عَذَابِ السَّعِيرِ) أى النار (بِأَيِّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (إِنْ
كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ) شك (مِنْ النَّبِيِّ فَإِنَّا خَلَقْنَاكُمْ) أى أصلكم آدم (مِنْ تَوَابٍ ثُمَّ)
خلقنا ذريته (مِنْ نُطْفَةٍ) مفر (ثُمَّ مِنْ عَلَقَةٍ) وهى الدم الجامد (ثُمَّ مِنْ مُضْغَةٍ) وهى لحمه
قدر ما يمتزج (مُخَلَّقَةٍ) مصورة تامة الخلق (وَعَبْرٍ مُخَلَّقَةٍ) أى غير تامة الخلق (لِنَبِّئَنَّ لَكُمْ)
كأن قدرتنا تستدلوا بها في ابتداء الخلق على إعادته (وَنُقَرِّئُ) مستأنف (فِي الْأَرْحَامِ مَا نَشَاءُ
إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت خروجه (ثُمَّ نَخْرِجُكُمْ) من بطون أمهاتكم (طِفْلًا) بمعنى أطفالا
(ثُمَّ) نصركم (لِتَبْلُغُوا أَشُدَّكُمْ) أى الكمال والقوة وهو ما بين الثلاثين إلى الأربعين سنة
(وَمِنْكُمْ مَنْ يُتَوَفَّى) يموت قبل بلوغ الأشد (وَمِنْكُمْ مَنْ يُرَدُّ إِلَى أَرْدَلِ الْعُمُرِ) أخسه
من الهرم والحرف (لِكَيْلَا يَعْلَمَ مِنْ بَعْدِ عِلْمٍ شَيْئًا) قال عكرمة من قرأ القرآن لم يضر بهذه
الحالة (وَتَرَى الْأَرْضَ هَامِدَةً) يابسة (فَإِذَا أَنْزَلْنَا عَلَيْهَا الْمَاءَ اهْتَزَّتْ) تحركت (وَرَبَّتْ)
ارتفعت وزادت (وَأَنْبَتَتْ مِنْ زَائِدَةٍ) (كُلُّ زَوْجٍ) صنف (بِهَيْجٍ) حسن (ذَلِكَ) للذكور
من بدء خلق الإنسان إلى آخر إحياء الأرض (بِأَنَّ) بسبب أن (اللهُ هُوَ الْحَقُّ) الثابت الدائم
(وَأَنَّهُ يُخَيِّمُ الْمَوْتَ وَأَنَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ)

قدرتنا) قدره إشارة إلى أن مفعول نبين محذوف (قوله ونقر في الأرحام ما نشاء)

وأن

أى فلا تسقطه الرحم (قوله إلى أجل مسمى) أى معين لإخراجه فتارة يخرج لسنة أشهر وتارة لأكثر (قوله طفلا) حال
من مفعول نخرجكم وأفرده لأنه مصدر في الأصل أو لأنه يراد به الجنس أو لأن المعنى نخرج كل واحد منكم طفلا كقولك
القوم يشبعهم رغيف أى كل واحد منهم والطفل يطلق على الولد من حين الانفصال إلى البلوغ (قوله إلى أردل العمر) قيل
هو خمس وسبعون سنة وقيل ثمانون وقيل تسعون (قوله والحرف) ففتحين هو فساد العقل من الكبر (قوله لكيلا يعلم)
متعلق يرد أى لكيلا يعلم من بعد عقله الأول شيئا ليعود كهيئته الأولى في أوان الطفولية من سخافة العقل وقلة الفهم فينسى
ما علمه وينكر ما عرفه (قوله قال عكرمة من قرأ القرآن الخ) أى فهو مخصوص بنير من قرأ القرآن والعلماء وأما ما فلا يردون إلى الأردل
بل يزداد عقلهم كما طال همهم كما هو مشاهد (قوله وترى الأرض هامدة) هذا هو الدليل الثاني على تمام قدرته تعالى (قوله
تحركت) أى في رأى العين بسبب حركة النبات (قوله بأن الله هو الحق) أى هذا الصنع بسبب أنه تعالى هو الثابت الذى

لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا الموجد للأشياء على طبق علمه وإرادته (قوله وأن الساعة آتية) تؤكد لقوله وأنه يحيي الموتى وكذا قوله - وأن الله يبعث من في القبور - (قوله ونزل في أبي جهل) واسمه عمرو بن هشام وأبو جهل كنيته ويكنى أيضا بأبي الحكم (قوله ومن الناس من يجادل في الله بغير علم) عطف على قوله ومن الناس الأول ، والمعنى أن الكفار تنوعوا في كفرهم فبعضهم كان يقد غير في الكفر وقد دلت الآية الأولى على هذا القسم ، وبعضهم كان قدوة يقتدى به غيره في الضلال والكفر وقد دلت هذه الآية عليه ، وبعضهم كان يدخل الإسلام باللسان وفي قلبه الريب والشك وهو الآتي في قوله - ومن الناس من يعبد الله على حرف - وحينئذ فليس في الآية تكرار (قوله بغير علم) أى معرفة وقوله ولا هدى أى استدلال وقوله ولا كتاب أى وحى . والمعنى أنه يجادل من غير مستند أصلا (قوله ثانى عطفه) أى لاوى جنبه ، والمراد منه الاعراض عن الحق لأن شأن من أعرض عن شئ لوى جنبه عنه فشب عدم التمسك بالحق لى الجانب واستعير اسم المشبه به للمشبه بجامع الاعراض فى كل على طريق الاستعارة التصريحية الأصلية والعامة على كسر العين وهو الجانب وقرئ شذوذا بفتحها وهو مصدر بمعنى التعطف كأنه قال تاركا تعطفه أى رحمة وتمسك بالقسوة (قوله أى لاوى عنقه) الأوضح أن يقول جنبه لأن العطف بالكسر الجانب إلا أن يقال يلزم من لى الجانب لى العنق (قوله ليضل) متعلق بيجادل وقوله بفتح الياء أى فهو فعل لازم ، والمعنى ليحصل له الضلال فى نفسه وقوله وضمها أى فهو متعد . والمعنى ليقع غيره فى الضلال (٨٩) وهما قراءتان سبعيتان واللام

للعاقبة والصيرورة (قوله عذاب) فى بعض النسخ زيادة قليل ومعناه عظيم متكرر وأخذ ذلك من التنوين على حد شرأمر ذائب (قوله عذاب الحريق) من إضافة الموصوف لصفة : أى العذاب المحرق أو الحريق طبقة من طباق جهنم (قوله ويقال له) أى من قبل الله على السنة

وَأَنَّ السَّاعَةَ آتِيَةٌ لَّارَيْبٍ شَكٍّ فِيهَا ، وَأَنَّ اللَّهَ يَبْعَثُ مَنْ فِي الْقُبُورِ) وَنَزَلَ فِي أَبِي جَهْلٍ (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) مَعَهُ (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) لَهُ نُورٌ مَعَهُ (ثَانِي عِطْفِهِ) حَالُ أَيِّ لَوْىٍ عَنْهُ تَكْبَرًا عَنِ الْإِيمَانِ ، وَالْعِطْفُ الْجَانِبُ عَنْ يَمِينٍ أَوْ شِمَالٍ (لِيَضِلَّ) بَفَتْحِ الْيَاءِ وَضَمِّهَا (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أَيِ دِينِهِ (لَهُ فِي الدُّنْيَا خِزْيٌ) عَذَابٌ قَتَلَ يَوْمَ بَدْرٍ (وَنَذِيقُهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَذَابَ الْحَرِيقِ) أَيِ الْإِحْرَاقِ بِالنَّارِ وَيُقَالُ لَهُ (ذَلِكَ بِمَا قَدَّمْتَ يَدَكَ) أَيِ قَدَمْتَهُ ، عِبْرَةٌ عَنْهُمَا دُونَ غَيْرِهِمَا لِأَنَّ أَكْثَرَ الْأَمْثَالِ تَزَاوُلَ بِهِمَا (وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ) أَيِ بَذَى ظَلَمٍ (لِلْعَبِيدِ) فَيُعَذِّبُهُمْ بِغَيْرِ ذَنْبٍ (وَمِنْ النَّاسِ مَنْ يَعْبُدُ اللَّهَ عَلَى حَرْفٍ) أَيِ شَكٍّ فِي عِبَادَتِهِ شَبَّهَ بِالْحَالِ عَلَى حَرْفٍ جَبَلٍ فِي عَدَمِ ثَبَاتِهِ (فَإِنْ أَصَابَهُ خَيْرٌ) خِصَّةٌ وَسَلَامَةٌ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ (أَطْمَأَنَّ بِهِ ، وَإِنْ أَصَابَتْهُ فِتْنَةٌ) مِحْنَةٌ وَسَقَمٌ فِي نَفْسِهِ وَمَالِهِ ،

ملائكة العذاب (قوله ذلك) أى ما ذكر من الخزي وعذاب الحريق (قوله عبر عنه بهما الخ) جواب عما يقال لم خص الديدن بالكر مع أن الفاعل هو الشخص ذاته (قوله تزاوُل) أى تعالج (قوله وأن الله) عطف على قدمت (قوله أى بذى ظلم) أى فظلام صيغة نسبة كتمان ونجار ودفع بذلك ما يقال إن نفي الكثرة يستدعى ثبوت أصل الظلم مع أنه مستحيل لأن الظلم التصرف فى ملك الغير بغير إذنه ولا ملك لأحد معه لأن حكمه فى ملكه دائر بين الفضل والعدل فلا يستل عما يفعل وحينئذ فلا يليق من الشخص الاعتراض على أحكام الله تعالى وإنما يرضى وإسماء يرضى وإسماء ليفوز بسعادة الدنيا والآخرة (قوله فيعذبهم بغير ذنب) أى ومما ظلم لأنه وعد الطامع بالجنة ووعد لا يتخاف لكن لو فرض لم يكن ظلمًا (قوله ومن الناس من يعبد الله على حرف) نزلت فى للناقطين وأعراب البوادي كان أحدهم إذا قدم المدينة فصيح فيها جسمه وتجت بها فرسه مهرا وولدت امرأته غلاما وكثر ماله قل هذا دين حسن وقد أصبت فيه خيرا وطمأن له وإن أصابه مرض وولدت امرأته جارية ولم تلد فرسه . قل ماله قال ما أصبت منذ دخلت فى هذا الدين إلا شرًا فينقلب عن دينه وقوله على حرف حال من فاعل يعبد أى متزلزلا وقد صار مثلا لكل من كان عنده شك فى شئ (قوله أى شك فى عبادته) أى ضعف يقين فيها (قوله شبه بالحال) على حرف جبل فى عدم ثباته (أشار بذلك إلى أن فى الآية استعارة تمثيلية حيث شبه حال من دخل الإسلام من غير اعتقاد وصحة قصد بحال الجالس على طرف جبل تحته مهالو بجامع التزلزل وعدم الثبات فى كل (قوله اطمأن به) أى رضى به وسكن إليه (قوله فتنه) المراد بها هنا كل مكروه لطبع وقيل على النفس ولم يقل وإن أصابه شر ليقع فى مقابلة الخبر لأن ما يخفى

هذه الطبع ليس شراً في نفسه بل قد يكون خيراً إذا حصل معه الرضا والتسليم (قوله اقلب على وجهه) أي اربط الحبال التي كان عليها أو لا من الكفر والاعتراض على الله تعالى (قوله بغوات مأمله) أي وهو كثرة ماله واجتماعه بأحبائه (قوله ذلك هو الحسran للبين) أي الذي لا خسran مثله لغوات حظه من الدنيا والآخرة (قوله من الصنم) لا مفهوم له بل مثله كل مخلوق . والحاصل أن العبارة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فهذه الآية تقال أيضاً للتجأ للمخلوق وترك الخالق معتمداً على ذلك المخلوق . وأما الالتجاء للمخلوق من حيث إنه مهبط الرحمت كواصله آل البيت والأولياء والصالحين فهو مطلوب وهو في الحقيقة التجاء للخالق يقرب ذلك أن الله تعالى أمرنا بالجلوس في المساجد والطواف بالبيت وقيام ليلة القدر ونحوها ، وما ذلك إلا للتعرض للرحمة النازلة في تلك الأماكن والأزمان فلا فرق بين الأشخاص وغيرها فهم مهبط الرحمت لا منشؤها تأمل (قوله اللام زائدة) أي ومن مفعول يدعو وضرة مبتدأ وأقرب خبره والجملة صلة من . إن قلت إنه أثبت الضرة والنفع هنا ونفاهما فيما تقدم فقد حل التعارض والتناقض . أجيب بأن النبي باعتبار ما في نفس الأمر والانبأ باعتبار زعمهم الباطل (قوله هو) قدره إشارة إلى أن المخصوص بالدم محذوف (٩٠) (قوله وعقب ذكر الشاك بالحسran) الجار والمجرور حال من الشاك والباء

لظلالسة وقوله بذلك المؤمنين متعلق بعقب ، والمعنى لما ذكر الشاك في الدين حال كونه ملتبسا بالحسran ذكر عقبه المؤمنين وما أعد لهم من الثواب الجزيل (قوله من الفروض) أي وهي ما أمر بها المكاف أمراً جازماً يعرب على فعلها الثواب وعلى تركها العقاب وقوله والنوافل هي ما أمر بها الشخص أمراً غير جازم يعرب على فعلها الثواب ولبس في تركها عقاب (قوله تجرى من تحتها)

(أُتْقَلَبَ عَلَى وَجْهِهِ) أي رجع إلى الكفر (خَسِرَ الدُّنْيَا) بغوات ما أمله منها (وَالْآخِرَةُ) بالكفر (ذَلِكَ هُوَ الْخُسْرَانُ الْأَمِينُ) البين (يَدْعُوا) يعبد (مِنْ دُونِ اللَّهِ) من الصنم (مَا لَا يَنْصُرُهُ) إن لم يعبد (وَمَا لَا يَنْفَعُهُ) إن عبده (ذَلِكَ) الدعاء (هُوَ الضَّلَالُ الْبَعِيدُ) عن الحق (يَدْعُوا لَمَنْ) اللام زائدة (ضَرَّهُ) بعبادته (أَقْرَبُ مِنْ نَفْعِهِ) إن وقع بتخليه (لَيْسَ الْمَوْلَى) هو أي الناصر (وَلَيْسَ الْمَشِيرُ) صاحب هو ، وعقب ذكر الشاك بالحسran بذكر المؤمنين بالثواب في (إِنَّ اللَّهَ يَدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ) من الفروض والنوافل (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يُرِيدُ من إكرام من يعطيه وإهانة من يعصيه (مَنْ كَانَ يَظُنُّ أَنْ لَنْ يَنْصُرَهُ اللَّهُ) أي محمداً نبيه (فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ فَلْيَمْدُدْ بِسَبَبٍ بِحَبْلِ) إِلَى السَّمَاءِ أي سقف بيته يشده فيه وفي عنقه (ثُمَّ لْيَقْطَعْ) أي ليختنق به بأن يقطع نفسه من الأرض كما في الصحاح (فَلْيَنْظُرْ هَلْ يُذْهِبَ كَيْدُهُ) في عدم نصره النبي (مَا يَقِظُهُ) منها، المعنى فليختنق غيظاً منها فلا بد منها (وَكَذَلِكَ) أي مثل ما تزلنا الآيات السابقة (أَنْزَلْنَاهُ) أي القرآن الباقي (آيَاتٍ يَتَنَبَّأُ) ظاهرات ،

حال

أي من تحت قصورها (قوله إن الله يفعل ما يريد) أي فلا معقب لحسره

ولا يستل هما يفعل (قوله من كان يظن أن لن ينصره الله) هذه الآية مرتبطة بقوله ومن الناس من يعبد الله على حرف ، وأما قوله إن الله يدخل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ فهو معترض بين أوصاف الشاك لجري عادة الله بذكر أهل الوعد إثر أهل الوعيد . والمعنى من كان يظن من الكفار والشاكين في دينهم أن الله لا ينصر محمداً في الدنيا والآخرة فليات بحبل يشده في سقف بيته وفي عنقه ثم يختنق به حتى يموت فليتنظر هل فعل هذا يذهب غيظه وهو نصره محمد فالتيان بالحبل والاختناق به كناية عن كونه يموت غيظاً فيكون بمعنى قوله تعالى - قل موتوا بغيظكم - وهذا هو المشهور في تفسير الآية ولما مشى عليه المفسر . وقيل إن المعنى من كان يظن أن لن ينصر الله محمداً فليطلب حيلة يصل بها إلى السماء ثم ليقطع النصر عنه وينظر هل يذهب ما احتال به غيظه إن أمكنه ذلك (قوله بلن يقطع نفسه) بالتحريك ، وهو إشارة إلى أن مفعول يقطع محذوف (قوله كما في الصحاح) راجع لجميع ما ذكر من قوله بحبل إلى السماء الخ . والصحاح ففتح الصاد اسم كتاب في اللغة للامام أبي النصر إسماعيل بن حماد الجوهري (قوله ما يفيظ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف ويفيظ صلتة والعائد محذوف والتقدير الشيء الذي يفيظه (قوله منها) بيان لما الواقعة على نصره النبي

(قوله حال) أى من الماء فى أنزلناه (قوله على هاء أنزلناه) أى فاللعن وآمرنا إن الله يهدى من يريد أى ويضل من يريد فى الآية اكتفاء (قوله إن الذين آمنوا الخ) أى فالأديان ستة واحد للرحمن وأصحابه فى الجنة وخسة للشيطان وأصحابها فى النار (قوله والمجوس) قيل هم قوم يعبدون النار وقيل الشمس ويقولون العالم له أصلان النور والظلمة وقيل هم قوم يستعملون التجاسات والأصل نجوس أبدلت النون ميم (قوله طائفة منهم) أى من اليهود وقيل هم طائفة من النصارى (قوله إن الله على كل شئ شهيد) تعليل لقوله إن الله يفضل بينهم (قوله عالم) أشار بذلك إلى أن الشهيد معناه الذى لا يغيب عنه شئ (قوله والشمس والقمر والنجوم) عطف خاص على قوله من فى السموات ونص عليها لما ورد أن بعضهم كان يعبدونها (قوله والجبال والشجر والدواب) عطف خاص على من فى الأرض وخصها بالذكر لأن بعضهم كان يعبدونها (قوله أى يخضع له) أشار بذلك إلى أن المراد بالسجود الخضوع والانتقاد لله وهو أحد قولين ، وقيل المراد بالسجود حقيقة لأنه ورد «ما فى السماء نجم ولا شمس ولا قمر إلا يقع ساجدا حين يغيب ثم لا ينصرف حتى يؤذن له» وقال تعالى - والله يسجد من فى السموات والأرض طوعا وكرها وظلالهم بالغدو والآصال - (قوله وكثير من الناس) أشار المفسر إلى أنه معطوف على (٩١) فاعل يسجد (قوله يشقه) أى يحتم عليه الشقاء وهو عدم الاهتداء (قوله إن الله يفعل ما يشاء) أى فلا حرج عليه ولا منازع له فى حكمه (قوله هذان خصمان) اسم الإشارة يعود على المؤمنين والكفار كما قاله المفسر، وسبب نزولها تخاصم حمزة وطى وعبيدة بن الحرث مع عتبة وشيبة ابني ربيعة والوليد بن عتبة فكان كل من الفريقين يسب دين الآخر ، وقيل نزلت فى المسلمين وأهل الكتاب حيث قال أهل الكتاب

حال (وَأَنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يُرِيدُ) هذاه معطوف على هاء أنزلناه (إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَالَّذِينَ هَادُوا) هم اليهود (وَالصَّابِئِينَ) طائفة منهم (وَالنَّصَارَى وَالْمَجُوسَ وَالَّذِينَ أَشْرَكُوا إِنَّ اللَّهَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) بإدخال المؤمنين الجنة وإدخال غيرهم النار (إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) من عملهم (شهِيدٌ) عالم به علم مشاهدة (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ يَسْجُدُ لَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ وَالشَّمْسُ وَالْقَمَرُ وَالنُّجُومُ وَالْجِبَالُ وَالشَّجَرُ وَالدَّوَابُّ) يخضع له بما يراى منه (وَكَثِيرٌ مِنَ النَّاسِ) وهم المؤمنون بزيادة على الخضوع فى سجد الصلاة (وَكَثِيرٌ حَقَّ عَلَيْهِ الْعَذَابُ) وهم الكافرون لأنهم أبوا السجود للتوقف على الإيمان (وَمَنْ يُهِنِ اللَّهُ) يشقه (فَإِنَّ لَهُ مِنْ مَكْرِمٍ) مسدد (إِنَّ اللَّهَ يَفْعَلُ مَا يَشَاءُ) من الإهانة والاكرام (هَذَانِ خَصْمَانِ) أى المؤمنون خصم والكفار الخصم وهو يطلق على الواحد والجماعة (أَخْتَصِمُوا فِي رَبِّهِمْ) أى فى دينه (فَالَّذِينَ كَفَرُوا قُطِعَتْ لَهُمْ ثِيَابٌ مِنْ نَارٍ) يلبسونها يعنى أحيطت بهم النار (يَصْبُ مِنْ فَوْقِ رُءُوسِهِمُ الْحَمِيمُ) الماء البالغ نهاية الحرارة (يَصْهَرُ) يذاب (بِهِ مَا فِي بُطُونِهِمْ) من شحوم وغيرها ،

نحن أولى بالله وأقدم منكم كتابا ونبيننا قبل نبيكم . وقال المسلمون نحن أحق بالله منكم آمنا بنبينا محمد صلى الله عليه وسلم ونبيكم وبما أنزل الله من كتاب وأتم تعرفون كتابنا ونبيننا وكفرتم حسدا . واختلف هل هذا الخصام فى الدنيا والتعقيب بقوله فالذين كفروا الخ باعتبار تحقق مضمونه أو فى الآخرة بدليل التعقيب ، ولذا قال على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنا أول من يجنو يوم القيامة للخصومة بين يدي الله تعالى (قوله وهو يطلق على الواحد والجماعة) أى لأنه مصدر فى الأصل ، والتائب لاعتعماله مفردا مذكرا وعليه قوله تعالى - وهل أتاك نبأ الخصم - ويبنى ويجمع كما هنا (قوله اختصموا) جمعه باعتبار ما احتوى عليه الفريق من الأشخاص فالجمع باعتبار المعنى كقوله تعالى - وإن طائفتان من المؤمنين اقتتلوا - (قوله أى فى دينه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله قطعت لهم ثياب من نار) أى هدرت على قدر جثتهم ، فى الكلام استعارة تمثيلية حيث شبه إعداد النار وإحاطتها بهم بتفصيل ثياب لهم وسترتها لأبدانهم ، وجمع الثياب لأن تراكم النار عليهم كالثياب الملبوس بعضها فوق بعض وهو أبلغ من مقابلة الجمع بالجمع (قوله يصب من فوق رؤوسهم الحميم) لما ذكر أن الثياب تغطى الجسد غير الرأس ذكر ما يصيب الرأس ، ولما ذكر ما يصيب ظاهرا الجسد ذكر ما يصيب باطنه وهو الحميم الذى يذوب ما فى البطن من الأضشاء لما فى الحديث «إن الحميم ليصب من فوق رؤوسهم فينفذ من جمجمة أحدم

حق يخلص إلى جوفه فيسلب مالى جوفه حتى يرمى من قدميه وهو الصهرنم يصاد كما كان (قوله ونشوى به الجلود) أشار بذلك إلى أن الجلود مرفوع فعمل مقتر لأن الجلود لا تذاب نظير * علفتها تبنا وماء باردا * ويصح أن يكون معطوفا على ما ويراد بالإذابة التقطع (قوله ولهم مقامع) جمع مقمعة بكسر الميم آلة القمع أى الضرب والجزر (قوله من غم) أى من أجل حصوله لهم (قوله أعيدها فيها) أى لما ورد « إن جهنم تقور بهم فيصطدون إلى أعلاها فيريدون الخروج منها فتضربهم الزبالية بمقامع الحديد فيهبون فيها سبعين خريفا » (قوله وقيل لهم) أى تقول لهم لللائكة ذلك (قوله عذاب الحريق) من إضافة اللوصوف للصفة أى العذاب المحرق (قوله إن الله يدخل الدين آمنوا الخ) لم يقل فى حقهم والدين آمنوا عطفًا على قوله فالدين كفروا إشارة لتعظيم شأن المؤمنين (قوله الأنهار) جمع نهر والمعنى تجري من تحت قصورهم (قوله من أساور) من إمازائدة أو للتبويض أو لبيان الجنس وقوله من ذهب من لا ابتداء الغاية (قوله بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب) العبارة فيها قلب والأصل بأن يرصع الذهب باللؤلؤ وقيل إنهم يلبسون الأساور من النوعين الذهب واللؤلؤ ، وفى آية هل آتى - وحلوا أساور من فضة - فهم يلبسونها من الأنواع الثلاثة لما ورد « إن المؤمن يسور فى الجنة بثلاثة أسورة سوار من ذهب وسوار من فضة وسوار من لؤلؤ » وفى الحديث « تبلغ حلية المؤمن حيث يبلغ الضوء » (قوله ولباسهم فيها حرير) غير الأسلوب حيث (٩٣) لم يقل ويلبسون فيها حريرا إشارة إلى أن الحرير ثيابهم المعتادة فى الجنة

فان العدول إلى الجملة الاسمية يدل على الدوام (قوله وهو المحرم لبسه على الرجال فى الدنيا) أى يوصلهم الله فى الآخرة إلى ما حرمه عليهم فى الدنيا . قال عليه الصلاة والسلام « من لبس الحرير فى الدنيا لم يلبسه فى الآخرة » واختلف فى معنى الحديث ف قيل لم يلبسه فى الآخرة إذا مات

(و) تشوى به (الجلود) . وَلَهُمْ مَقَامِعٌ مِنْ حَدِيدٍ (لضرب رؤوسهم) كَلِمًا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا (أى النار (مِنْ غَمٍّ) يلحقهم بها (أَعِيدُوا فِيهَا) ردوا إليها بالمقامع (و) قيل لهم (ذوقُوا عَذَابَ الْحَرِيقِ) أى البالغ نهاية الإحراق ، وقال فى المؤمنين (إِنَّ اللَّهَ يُدْخِلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ جَنَّاتٍ تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ يُحَلَّوْنَ فِيهَا مِنْ أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤًا) بالجر أى منها بأن يرصع اللؤلؤ بالذهب ، وبالنصب عطفًا على محل من أساور (وَلِبَاسَهُمْ فِيهَا خَرِيرٌ) وهو الحرير لبسه على الرجال فى الدنيا (وَهُدُوا) فى الدنيا (إِلَى الطَّيِّبِ مِنَ الْقَوْلِ) وهو لا إله إلا الله (وَهُدُوا إِلَى صِرَاطٍ الْحَمِيدِ) أى طريق الله الحمودة ودينه (إِنَّ الَّذِينَ كَفَرُوا وَيَصُدُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طاعته (و) عن (الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ الَّذِى جَعَلْنَاهُ) منسكا ومتعبداً (لِلنَّاسِ ،

سواء

مصراودخل النار فلا ينافى أنه إذا دخل الجنة يلبسه وقيل لم يلبسه أصلا ولو دخل الجنة

بل يقتنع بغير الحرير وأما هو فلا يشتهيها فيها والاعتماد الأول . وكذا يقال فى الأحاديث الواردة فىمن شرب الخمر ولبس الذهب (قوله وهو لا إله إلا الله) أى مع عديلتها وهى محمد رسول الله فهى أفضل القول لما فى الحديث « أفضل ما قلته أنا والنبىون من قبل لا إله إلا الله » فهى رأس المال لذا كرها لا يقبل شئ من الأعمال إلا بها فمن مات عليها حصلت له السعادة والسيادة . نسأل الله تعالى الثبات عايبا فى الدنيا والآخرة بمنه وكرمه (قوله إلى صراط الحميد) أى وهو دين الاسلام وسعى صراطا لأنه طريق يوصل إلى رضا الله تعالى (قوله أى طريق الله الحمودة) أشار بذلك إلى أن الحميد وصف لله تعالى ومعناه الحمود فى أفعاله (قوله ويصدون) معطوف على كفروا ففيه عطف المستقبل على الماضى وحينئذ قاما أن يراد بالماضى المضارع أو مجرد المضارع عن معناه بأن يراد به الثبوت والاستمرار لتناسب العطف وهذا هو الأحسن ولا يصح جعل جملة ويصدون حالا لأن الجملة المضارعية للثبوت إذا وقعت حالا لاتقرن بالواو . قال ابن مالك :

وذلك بدء بمضارع ثبت حوت ضميرا ومن الواو خلت

ولا جعل الواو زائدة لأن الأصل عدمها وخبر إن محذوف يقتصر بعد قوله والباد لدلالة قوله نذره من عذاب ألم عليه فاسيأتى فى التفسير (قوله منسكا) قدره إشارة الى أن مفعول جعلنا الثانى محذوف وقوله ومتعبدا عطف تفسير (قوله للناس) ظرف لئولاما متعلق بمنسكا الذى قدره للتفسير أو بجعلنا وهذا التقدير إنما هو لإيضاح المعنى والا فيصح جعل جملة سواء العاصف

فيه والباد مفعولا ثانيا وعلى ما قدره المفسر تكون حالية (قوله سواء العاكف فيه) سواء بالرفع خبر مقدم والعاكف وما عطف عليه مبتدأ مؤخر وقرأ حفص بالنصب فيعرب حالا والعاكف مرفوع على الفاعلية لسواء لأنه مصدر وصف به فهو في قوة اسم الفاعل المشتق تقديره جعلناه مستويا فيه العاكف الخ . وللمنى أن المقيم في المسجد والطارى سواء في النزول به فمن سبق إلى مكان فيه فهو حقه لا يقيمه منه غيره وليس المراد أن دور مكة غير مملوكة لأربابها فالغريب وأهل البلد سواء فيها بل هي مملوكة لأربابها ويحوز بيعها وإيجارها (قوله والباد) باثبات الياء وصلا ووقفا أو حذفها فيهما أو حذفها وقفا وإثباتها وصلا ثلاث قراءات سبعيات وقوله الطارى . فع به ما يتوهم من قوله البادى أن المراد به ساكن البادية بل المراد به الطارى كان من البادية أولا وإعاسى الطارى باديا لأنه لا يأتى إليها إلا من البادية (قوله ومن يرد فيه) أى يقصد فى المسجد الحرام (قوله بالحاد) أى عدول عن الاعتدال (قوله الباء زائدة) أى فى المفعول (قوله نذقه من عذاب أليم) أى فى الآخرة إلا أن يتوب . وأخذ منه أن السينة فى مكة أعظم من السينة فى غيرها ومن هنا كره مالك المجاورة فى مكة لغير أهلها ونذبه بالمدينة (قوله ومن هذا) أى جواب الشرط (قوله يؤخذ خبر إن) أى ويكون مقتولا بعد قوله والبادى (قوله واذكر) قدره إشارة إلى أن قوله بوأنا ظرف المحذوف (قوله بينا لإبراهيم مكان البيت) أريناه أصله لينبيه حين أسكن ولده إسماعيل وأمه هاجر فى تلك الأرض وأنهم الله عليهما بزمن (٩٣) فدعا الله بعمارة هذا البيت ،

فبعت الله له ربحا هفافة فكشفت عن أساس آدم فرتب قواعده عليه لأن أساسه فى الأرض كما قيل ثلاثون ذراعا بذراع آدم ، وقيل بعث الله تعالى سحابة بقدر البيت فقامت بحذاء البيت وفيها رأس يتكلم بإبراهيم ابن على دورى فبنى عليه وجعل طوله فى السماء سبعة أذرع بذراعه وأدخل

سَوَاءَ الْعَاكِفُ (فِيهِ وَالْبَادِ) الطَّارِى (وَمَنْ يُرْذِ فِيهِ بِالْحَادِ) الْبَاءُ زَائِدَةٌ (يَظْلُمُ)
أى بسببه بأن ارتكب منهيًا ولو شتم الخادم (نَذَقَهُ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ) مَوْلًى أَى بَعْضُهُ ، وَمِنْ هَذَا
يُؤْخَذُ خَبَرُ إِنْ ، أَى نَذِقْتَهُمْ مِنْ عَذَابِ أَلِيمٍ (وَ) اذْكَر (إِذْ بَوَّأْنَا) بَيْنَا (لِإِبْرَاهِيمَ مَكَانَ
الْبَيْتِ) لِيُنْبِئَهُ وَكَانَ قَدْ رَفَعَ زَمَانَ الطُّوفَانِ وَأَمْرَاهُ (أَنْ لَا تُشْرِكَ بِي شَيْئًا وَطَهَّرَ بَيْتِي) مِنْ
الْأَوْثَانِ (لِلطَّائِفِينَ وَالْقَائِمِينَ) الْمُقِيمِينَ بِهِ (وَالرُّكَّعِ السُّجُودِ) جَمْعُ رَاكِعٍ وَسَاجِدٍ : لِلصَّالِحِينَ
(وَأَذِّنْ) نَادٍ (فِي النَّاسِ بِالْحَجِّ) فَنَادَى عَلَى جَبَلِ أَبِي قَبَيْسٍ : يَا أَيُّهَا النَّاسُ إِنْ رَبِّكُمْ بَنَى بَيْنَنَا
وَأَوْجِبَ عَلَيْكُمُ الْحَجَّ إِلَيْهِ فَأَجِيبُوا رَبَّكُمْ وَانْفَتَحَ بَوَاجُهُ بَيْنَنَا وَشَمَالًا وَشَرْقًا وَغَرْبًا فَأَجَابَهُ كُلُّ مَنْ
كُتِبَ لَهُ أَنْ يَحْجِيَ مِنْ أَصْلَابِ الرِّجَالِ وَأَرْحَامِ الْأُمَمَاتِ : لِيَبْكِيَ اللَّهُ لِيُبْكِيَكَ وَجَوَابُ الْأَمْرِ (يَا نُوحُ
رَجُلًا) مَشَاءَ جَمْعُ رَاكِعٍ كَقَائِمٍ وَقِيَامٍ ،

الحجر فى البيت ولم يجعل له سقفا وجعل له بابا وحفر له بئرا يلقى فيه ما يهدى للبيت وبناه قبله شيث وقبل شيث آدم وقبل آدم الثلاثمائة ثم بعد إبراهيم بناه العملاقة ثم جرمهم ثم قصى ثم قرىش ثم ابن الزبير ثم الحجاج وهى باقية الآن على بناءه ثم يهدمها فى آخر الزمان ذو السويقتين فيجدها عيسى ابن مريم عليه السلام (قوله وأمرناه) قدره إشارة إلى أن قوله أن لا تشرك معمول المحذوف وذلك المحذوف معطوف على بوأنا (قوله من الأوثان) قيل المراد بها الأصنام لأن جرهما والعملاقة كانت لهم أصنام فى محل البيت قبل أن ينبئ إبراهيم عليه السلام وقيل المراد نزهه عن أن يعبد فيه غيره تعالى فهو كناية عن إظهار التوحيد ويصح أن يكون المراد طهره من الأقدار والأنجاس والدعاء وجميع ما تنفر منه النفوس (قوله وأذن فى الناس بالحج) أى بالدعاء إليه والأمر به (قوله على جبل أبى قبيس) أى فلما صعد للدعاء خففت الجبال رءوسها ورمعت له القرى ، فنادى فى الناس بالحج ، فأول من أجابه أهل اليمن فليس حاج من يومئذ إلى يوم تقوم الساعة إلا من أجاب إبراهيم عليه السلام يومئذ ، فمن لى مرة حج مرة ، ومن لى مرتين حج مرتين ؛ ومن لى أكثر حج بقدر تلييته (قوله لبيك اللهم لبيك) أى أجبتك إجابة بعد إجابة (قوله يأتوك) أى يأتوا مكانك لأن المقصود آتيان البيت لا آتيان إبراهيم وقوله رجلا وعلى كل ضامر ليس فيه دليل على أن راكب البحر لا يجب عليه الحج لأن مكة ليست على البحر وإنما يتوصل إليها على إحدى هاتين الحالتين .

(قوله وعلى كل ضامر) التضمير في الأصل أن تغلف الفرس حتى يسمن ثم تنقل عنه الأكل شيئا فشيئا حتى يصل إلى حد القوت وحينئذ فيكون سريع الجري وقدم الراجل لما ورد أن له بكل خطوة سبعمائة حسنة من حسنات المحرم كل حسنة مائة ألف حسنة وللراكب بكل خطوة سبعون حسنة ، وأخذ الشافعي من هذا الحديث أن النسي أفضل من الركوب ، وقال مالك الركوب أفضل لأنه أقرب للشكر ولأن رسول الله صلى الله عليه وسلم حج راكبا ولو كان النسي أفضل لفعله رسول الله وأجاب عن الحديث بأنه مزية وهي لا تقتضي لأفضلية (قوله حملا على المعنى) أي حيث ألحق الفعل العلامة ولو راعى اللفظ لقال يأتي (قوله بالتجارة) أي لأنها جائزة للحاج من غير كراهة إذا لم تكن مقصودة بالسفر (قوله ويذكروا اسم الله) أي عند إعداد الهدايا وذبحها (قوله عشر ذى الحجة) أي وصحبت معلومات لحرم الحاج على علمها لأن وقت الحج في آخرها (قوله إلى آخر أيام التشريق) راجع للتولين قبله (قوله على مارزقهم) أي لأجل مارزقهم (قوله فكلوا منها) أمر بإباحة لمخالفة ما كانت عليه الجاهلية من عدم الأكل من لحوم هداياهم فأمر الله بمخالفتهم واتفق العلماء على أن الهدى إذا كان تطوعا جاز الأكل منه . واختلفوا في الهدى الواجب فقال الشافعي لا يأكل منه (٩٤) وقال مالك يأكل من كل هدى وجب إلا من جزاء الصيد وفدية الأذى

والنذر إذا قصد به الساكنين . وقال أصحاب أبي حنيفة يأكل من دم النتح والقران ولا يأكل من واجب سواهما (قوله ثم ليقتضوا نفهم) أي بعد تمام حجهم وتحللهم لأن الواجب فعله يوم النحر أربعة أشياء على الترتيب الرمي فالتحرق فالحاق فطواف الإفاضة فبعد الفراغ منها حل له كل شيء كان محرما عليه قبل الإحرام (قوله بالتشديد والتخفيف) ما قراءتان سبعيتان (قوله لأنه أول بيت وضع) وقيل

(و) ركبانا (على كل ضامر) أي بعير مهزول وهو يطلق على الذكر والأنثى (يأتين) أي الضوامر حملا على المعنى (من كل فج عميق) طريق بعيد (ليشهدوا) أي يحضروا (متأفح لهم) في الدنيا بالتجارة ، أو في الآخرة ، أو فيهما أقوال (ويذكروا اسم الله في أيام معلومات) أي عشر ذى الحجة أو يوم عرفة أو يوم النحر إلى آخر أيام التشريق أقوال (على مارزقهم من بهيمة الأنعام) الإبل والبقر والغنم التي تنحر في يوم العيد وما بعده من الهدايا والضحايا (فكلوا منها) إذا كانت مستحبة (وأطعموا البائس الفقير) أي الشديد الفقر (ثم ليقتضوا نفهم) أي يزيلوا أوساخهم وشعثهم كطول الظفر (وليؤفوا) بالتخفيف والتشديد (نذورهم) من الهدايا والضحايا (وليطوفوا) طواف الإفاضة (بالبيت العتيق) أي القديم لأنه أول بيت وضع للناس (ذلك) خبر مبتدأ مقدر أي الأمر أو الشأن ذلك المذكور (ومن يمتظم حرمات الله) أي ما لا يحل انتهاكه (فهو) أي تعظيمها (خير له عند ربه) في الآخرة (وأحل لكم الأنعام) أكلها بعد الذبح (إلا ما يقتل عليكم) تعريمه في : حرمت عليكم الميتة الآية فالاستثناء منقطع ، ويجوز أن يكون متصلا والتحریم لما عرض من الموت ونحوه

(فاجتنبوا)

سمى عتيقا لأن الله أعنته من تسلط الجبارة

عليه ومن الفرق لأنه رفع أيام الطوفان (قوله أي الأمر أو الشأن ذلك) أشار بذلك إلى أن قوله ذلك خبر لمحذوف وهذا على عادة النصحاء إذا ذكروا جملة من الكلام ثم أرادوا الخوض في كلام آخر يقولون هذا وقد كان كذا فهو يذكر للفصل بين كلامين أو بين وجهي كلام واحد (قوله ما لا يحل انتهاكه) أي وهي التكاليف التي كلف الله بها عباده من واجب وسنة ومندوب ومكروه وحرام وتعظيمها كناية عن قبولها والخضوع لها فتعظيمها في الواجب والسنة والمندوب فعل كل وفي المكروه والحرام ترك كل بل وترك ما يؤدي لذلك (قوله خير له عند ربه) أي قربة وطاعة يثاب عليها في الآخرة واسم التفضيل على بابها باعتبار ما يؤرمه أهل اللهو والفسوق من أن من أطلق نفسه في الشهوات فقد أصاب حظها فهو خير باعتبار ما عندهم لا باعتبار ما عند الله لما ورد «رب شهوة ساعة أورث حزنا طويلا» (قوله الأنعام) أي الإبل والبقر والغنم (قوله بعد الذبح) أي أو النحر أو العقر (قوله إلا ما يقتل عليكم) أي إلا بدلول الآية التي تتلى عليكم (قوله فالاستثناء منقطع) أي ووجهه أن في الآية ما ليس من جنس الأنعام كالدم ولحم الخنزير (قوله ويجوز أن يكون متصلا) أي ووجهه العموم في قوله الأنعام لأن ظاهره حل الأنعام مطلقا ولو منخقة وموقودة ومتعدية فأفاد أن الحلال ما عدا ما في الآية .

(قوله تاجنبوا الرجس) هو في الأصل القنر والأوساخ وعبادة الأوثان فذكر معنوى (قوله قول الزور) تعميم بعد تخصيص لأن عبادة الأوثان رأس الزور (قوله أى الشرك بالله في تلييتهم) أى قاهم كانوا يقولون لبيك لاشريك لك إلا شريكا هو لك تملكه وما ملك (قوله أو شهادة الزور) أى الشهادة بما لا يعلم حقيقته (قوله حنفاء لله) أى عاصين له (قوله حالان من الواو) أى فى اجتنابوا لكن الأولى مؤسسة والثانية مؤكدة (قوله ومن يشرك بالله الخ) هذا مثل ضربه الله تعالى للشرك ، والمعنى أنه شبه حال الشرك بحال الهوى من السماء فى أن كلا لا يملك لنفسه حيلة حتى يقع فهو هالك لا محالة إما بتخطف الطير لجه أو تفرقة الرياح لأجزائه فى أمكنة بعيدة لا يرجى خلاصه (قوله يقدر قبله الأمر مبتدأ) أى واسم الإشارة خبر نظير ماتقدم (قوله شعائر الله) جمع شعيرة أو شعارة (قوله وهى البدن) فسرهما بذلك وإن (٩٥) كانت الشعائر فى الأصل أعلام

الحج وأفعاله مراعاة للسياق (قوله بأن تستحسن) أى تختار حسنة بأن تكون غالبية الثمن لما روى أن عمر أهدى نجبية طلبت منه بثلاثمائة دينار (قوله من تقوى القلوب) أى من امتثال الأوامر واجتناب النواهي وقوله منهم قدره إشارة إلى أن العائد محذوف (قوله بما تعرف به) أى بعلامة يعرف بها أنها هدى (قوله كطعن حديدة بسنامها) أى وشق الجلال وإخراج السنام من الشق وكتعليق النعال فى رقبتها (قوله كركوبها والحمل عليها) أى وشرب لبنها الفاضل عن ولدها (قوله أى عنده) أشار بذلك إلى أن إلى بمعنى عند (قوله

(فَاجْتَنِبُوا الرِّجْسَ مِنَ الْأَوْثَانِ) من البيان أى الذى هو الأوثان (وَاجْتَنِبُوا قَوْلَ الزُّورِ) أى الشرك بالله فى تلييتهم أو شهادة الزور (حُنَفَاءَ اللَّهِ) مسلمين عادلين عن كل دين سوى دينه (غَيْرَ مُشْرِكِينَ بِهِ) تأكيد لما قبله وهما حالان من الواو (وَمَنْ يُشْرِكْ بِاللَّهِ فَكَأَنَّمَا خَرَّ سَقَطًا مِنَ السَّمَاءِ فَتَخْطَفُهُ الطَّيْرُ) أى تأخذه بسرعة (أَوْ تَهْوِي بِهِ الرِّيحُ) أى تسقطه (فِي مَكَانٍ سَحِينٍ) بعيد أى هو لا يرجى خلاصه (ذَلِكَ) يقدر قبله الأمر مبتدأ (وَمَنْ يُعْظَمْ شَعَائِرَ اللَّهِ فَأَنَّهُ) أى فإن تعظيمها وهى البدن التى تهدى للحرم بأن تستحسن وتستسمن (مِنْ تَقْوَى الْقُلُوبِ) منهم وسميت شعائر لإشعارها بما تعرف به أنها هدى كطعن حديدة بسنامها (لَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ) كركوبها والحمل عليها ما لا يضرها (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) وقت نحرها (ثُمَّ يَحْمِلُهَا) أى مكان حل نحرها (إِلَى الْبَيْتِ الْمُقَدَّسِ) أى عنده ، والمراد الحرم جميعه (وَلِكُلِّ أُمَّةٍ) أى جماعة مؤمنة سلفت قبلكم (جَعَلْنَا مَنَسَكًا) بفتح السين مصدر وبكسرهما اسم مكان أى ذبحا قربانا أو مكانه (لِيَذْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَى مَا رَزَقَهُمْ مِنْ بَهِيمَةِ الْأَنْعَامِ) عند ذبحها (قَالَهُمْ كُفُّوا إِلَهُ وَاحِدًا فَلَهُ أَسْلِمُوا) انقادوا (وَبَشِّرِ الْمُخْبِتِينَ) اللطيمين المتواضعين (الَّذِينَ إِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَجِلَتْ) خافت (قُلُوبُهُمْ وَالصَّابِرِينَ عَلَى مَا أَصَابَهُمْ) من البلى (وَالْمُقِيمِي الصَّلَاةِ) فى أوقاتها (وَرِمَا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (وَالْبَذَنَ) جمع بدنة وهى الإبل (جَعَلْنَاهَا لَكُمْ مِنْ شَعَائِرِ اللَّهِ) أعلام دينه (لَكُمْ فِيهَا خَيْرٌ) نفع فى الدنيا كما تقدم وأجر فى المعنى (فَادْكُرُوا اسْمَ اللَّهِ عَلَيْهَا) عند نحرها (صَوَافٍ) قاعة على ثلاث مقولة اليد اليسرى ،

والمراد الحرم جميعه) أى لخصوص الكعبة (قوله أى ذبحا قربانا) مفعول للصدر الذى هو ذبحا ، والمعنى أن يذبحوا القرбан وقيل معنى منسكا نوعا من التعبد والتقرب (قوله ليدكروا اسم الله) مضاه أمرناهم عند ذبحهم بذكر الله (قوله من بهيمة الأنعام) أى عند ذبحها ونحرها (قوله انقادوا) أى خضعوا وفوضوا أمورهم إليه ورضوا بأحكامه (قوله المتواضعين) هذا أصل معناه لأن الاخبات نزول الحبث وهو المكان للنخض (قوله الذين إذا ذكر الله) أى بأن سمعوا الذكر من غيرهم أو ذكروا بأنفسهم (قوله من البلى) أى المهن بأن لا يجرعوا عند نزولها بهم (قوله يتصدقون) أى صدقة التطوع ويعلم منه أنهم يخرجون الزكاة الواجبة بالأولى (قوله وهى الإبل) أى فالبدن عند الشافى خاصة بالإبل ، وقال أبو حنيفة البدن الإبل والبقر وعلى كل حال فالبدن من شعائر الله أيضا (قوله لكم فيها خير) الجملة إما حالية أو مستأنفة (قوله فادكروا اسم الله عليها) أى بأن تقولوا عند ذبحها بسم الله والله أكبر اللهم إن هذا منك وإليك (قوله قاعة) للناسب أن يقول قائمات

(قوله فإذا وجبت جنوبها) كناية عن الموت وجمع الجنوب مع أن البعير إذا سقط عند النحر إنما يسقط على أحد جنبيه لأن ذلك الجمع في مقابلة جمع البدن (قوله سقطت إلى الأرض) أي فالجوب السقوط ، يقال وجبت الشمس : أي سقطت (قوله فكلوا منها) أي إن كانت مستحبة باتفاق وكذا إن كانت واجبة عند مالك إلا في جزاء الصيد وفدية الأذى والتندر إذا قصد به الساكين ولا يأكل من الواجبة عند الشافعي (قوله وأطعموا القانع) أي المستغنى بما أعطيه التمتع عما في أيدي الناس الذي لا التفات له إليهم الذي قال الله في حق من اتصف بصفته : يحسبهم الجاهل أغنياء من التعفف تعرفهم بسيماهم لا يسألون الناس إلحافاً ، وقال الامام الشافعي رضي الله عنه :

أمت مطامى فأرحت نفسي فان النفس ما طمعت تهون
وأحييت القنوع وكان ميتا ففي إحيائه عرضى مصون
إذا طمع يحل بقلب شخص علته مهانة وصلاه هون

(قوله أي مثل ذلك التسخير) أي المفهوم من قوله صواف (قوله وإلا لم تطلق) أي وإلا نسخرها لم يقدر على نحرها وركوبها (قوله لن ينال الله لحومها ولا دماؤها) رد لما كانت عليه المشركون من تشريح اللحم وجعله حول الكعبة وتضييقها بالدم تقربا إلى الله تعالى (قوله أي (٩٦) لا يرفعار إليه) أي وإنما يرفع إليه العمل الصالح ومنه التصديق (قوله لتكبروا

(فَأَذَا وَجِبَتْ جُنُوبُهَا) سقطت إلى الأرض بعد النحر وهو وقت الأكل منها (فَكُلُوا مِنْهَا) إن شئتم (وَأَطْعِمُوا الْقَانِعَ) الذي يقنع بما يعطى ولا يسأل ولا يتعرض (وَالْمُفْتَزَ) السائل أو المتعرض (كَذَلِكَ) أي مثل ذلك التسخير (سَخَّرْنَاَهَا لَكُمْ) بأن تنحروا وتركبوا وإلا لم تطلق (لَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ) إنا معي عليكم (لَنْ يَنَالَ اللَّهُ لُحُومُهَا وَلَا دِمَاؤُهَا) أي لا يرضان إليه (وَلَكِنْ يَنَالُهُ التَّقْوَى مِنْكُمْ) أي يرفع إليه منكم العمل الصالح الخالص له مع الإيمان (كَذَلِكَ سَخَّرَهَا لَكُمْ لِتُكَبِّرُوا اللَّهَ عَلَى مَا هَذَا كُمْ) أرشدكم لمعالم دينه ومناسك حجه (وَبَشِّرِ الْمُحْسِنِينَ) أي الموحدين (إِنَّ اللَّهَ يُدَافِعُ عَنِ الَّذِينَ آمَنُوا) غوائل المشركين (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ خَوَّانٍ) في أمانته (كَفُورٍ) لنعمته وهم المشركون المعنى أنه يماقبهم (أُذِنَ لِلَّذِينَ يُقَاتِلُونَ) أي المؤمنين أن يقاتلوا وهذه أول آية نزلت في الجهاد (بِأَنَّهُمْ) أي بسبب أنهم (ظَالِمُوا) بظلم الكافرين إياهم (وَإِنَّ اللَّهَ عَلَىٰ نَصْرِهِمْ لَقَدِيرٌ)

الله على ما هداكم) أي بأن تقولوا : الله أكبر على ما هداكنا والحمد لله على ما أولانا (قوله وبشر المحسنين) أي برضا الله والدرجات الرفيعة (قوله إن الله يدافع عن الدين آمنوا) مناسبة هذه الآية لما قبلها أن الله تعالى لما ذكر جملة من أفعال الحج والترغيب فيه وذكر أن الكفار يصدون الناس عن المسجد الحرام كان

قائلا يقول بأي شيء تمكن الناس من الحج والهدايا مع وجود المانع

فأنزل الله هذه الآية بشارة للمؤمنين وأنها تمكّنهم من المسجد الحرام ويدفع عنهم أعداءهم ، وهذه الآية وإن كان سبب نزولها ما ذكر إلا أن العبرة بعموم اللفظ ولذا حذف المعمول ليؤذن بالعموم فالمؤمنون ما لهم للنصر والفوز الأكبر وإن امتنعوا ببلاء أو غيره فذلك لتكفير سيئاتهم ورفع درجاتهم فهم بخير على كل حال (قوله غوائل المشركين) قدره إشارة إلى أن للفعول محذوف لدلالة المقام عليه والغوائل جمع غائلة وهي ما يصيب الإنسان من الكروه (قوله في أمانته) مفرد يضاف أي أماناته وهي الأوامر والنواهي (قوله وهم المشركون) أي لأنهم خائنون كافرون في كل وقت وأما العصاة من المؤمنين فليسوا كذلك وهذا وعيد للكفار إثر وعد المؤمنين لأن شأن الخائن يجازى على خيائته بالحزى والعقاب (قوله أذن للذين يقاتلون) أي يريدون القتال والمأذون فيه محذوف قدره المفسر بقوله أن يقاتلوا وفي قراءة سبعة أيضا يقاتلون بالبناء للفعول (قوله وهذه أول آية نزلت في الجهاد) أي بعد أن نهى عنه رسول الله صلى الله عليه وسلم في نيف وسبعين آية ، وذلك أن مشركي مكة كانوا يؤذون أصحاب رسول الله ويعذبونهم فيشكون لرسول الله صلى الله عليه وسلم فيقول لهم اصبروا فإني لم أؤمر بقتال حتى هاجر رسول الله صلى الله عليه وسلم فأنزل الله هذه الآية حينئذ كان يوم عيد عند المسلمين (قوله وإن الله على نصرهم لقدير) جملة مستأخفة

سيفتح بعد المؤمنين بالنصر على طريق الكناية .

(قوله هم الذين) فدر للفسر الضمير إشارة إلى أن الوصول خبر محذوف وهو أحد أوجه في إعرابه ريصح أن يكون هنا أو بيانا أو بدلا من الذين الأول أو منصوبا على المدح (قوله إلا أن يقولوا) استثناء مفرغ من محذوف قدره للفسر بقوله ما أخرجوا وهو متصل ، والمعنى لم يكن لهم سبب في إخراجهم إلا تعصب الشركين عليهم من أجل مخالفتهم في الدين . إن قلت إن سبب خروجهم أمر الله لنبيه . أجيب بأن سبب الخروج باطنا أمر الله لهم بالخروج وظاهرا تعصب الشركين عليهم ولا يصح استثناءه من المذكور لأنه يحسب المعنى الذين أخرجوا من ديارهم إلا أن يقولوا ربنا الله وهو لا يصح (قوله ولولا دفع الله الناس) لولا حرف امتناع لوجود ودفع مبتدأ والخبر محذوف والتقدير موجود وإضافة دفع لما بعده من إضافة المصدر لفاعله وقوله بعضهم أي الكافرين وقوله ببعض أي المؤمنين ، والمعنى لولا دفع الله الكافرين بالمؤمنين موجود لعدم في زمن موسى الكنائس التي كانوا يصلون فيها في شرعه ، وفي زمن عيسى الصوامع والبيع ، وفي زمن نبينا المساجد ، وهذا الدفع حين كانوا على الحق قبل التحريف والنسخ وأما من يوم بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فقد بطأ كل دين يخالف دينه قال تعالى - ومن يتبع غير الإسلام دينا فإن يقبل منه وهو في الآخرة من الخاسرين - فالمعنى لولا عز (٩٧) الإسلام وقوة شوكته ما عبد الله

في أي زمن (قوله بالتشديد للتكثير) باعتبار المواضع (قوله وبالتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله صوامع) جمع صومعة وهي المثل المرتفع البناء في الأماكن الحالية (قوله للرهبان) أي وقيل للصائين (قوله وصلوات) جمع صلاة سميته الكنائس بذلك لأنه يصلى فيها وقيل هي كلمة معربة أصلها بالعبرانية صلوتا بفتح الصاد والثاء المثناة والقصر ومعناه في لغتهم

م (الَّذِينَ أَخْرَجُوا مِنْ دِيَارِهِمْ بِغَيْرِ حَقٍّ) في الإخراج ، ما أخرجوا (إِلَّا أَنْ يَقُولُوا) أي يقولهم (رَبُّنَا اللَّهُ) وحده وهذا القول حق فالإخراج به إخراج بغير حق (وَلَوْلَا دَفْعُ اللَّهِ النَّاسَ بَعْضَهُمْ بِبَعْضٍ) بدل بعض من الناس (بِبَعْضٍ كَلَّمْتُ) بالتشديد للتكثير وبالتخفيف (صَوَامِعُ) للرهبان (وَبَيْعُ) كنائس للنصارى (وَصَلَوَاتُ) كنائس لليهود بالعبرانية (وَمَسَاجِدُ) للمسلمين (يُذَكِّرُ فِيهَا) أي في المواضع المذكورة (أَسْمُ اللَّهِ كَثِيرًا) وتنقطع العبادات بجرها (وَلَيَنْصُرَنَّ اللَّهُ مَنْ يَنْصُرُهُ) أي ينصر دينه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ) على خلقه (عَزِيزٌ) منيع في سلطانه وقدرته (الَّذِينَ إِنْ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ) بنصرهم على عدوهم (أَقَامُوا الصَّلَاةَ وَآتَوُا الزَّكَاةَ وَأَمَرُوا بِالْمَعْرُوفِ وَنَهَوْا عَنِ الْمُنْكَرِ) جواب الشرط وهو وجوبه صلة الموصول ويقدر قبله م مبتدأ (وَلِلَّهِ عَاقِبَةُ الْأُمُورِ) أي إليه مرجعها في الآخرة (وَإِنْ يَكْذِبُواكُمْ) إلى آخره فيه تسلية للنبي صلى الله عليه وآله وسلم (قَدْ كَذَّبَتْ قَبْلَهُمْ قَوْمُ نُوحٍ) تأنيت قوم باعتبار المعنى (وَعَادُ) قوم هود (وَنَمُودُ) قوم صالح (وَقَوْمُ إِبْرَاهِيمَ) وقَوْمُ لُوطٍ وَأَصْحَابُ مَدْيَنَ) قوم شعيب (وَكُذِّبَ مُوسَى) :

المعنى (قوله أي ينصر دينه) أي وأولياؤه ومعنى نصره تعالى هو أن يظفر أولياؤه بأعدائه ومعنى نصر العبيد لرهبان هو تجلدهم بالقتال لأعداء الله أو بإضاح الأدلة والحجج على أعداء الله كالعلاء (قوله منيع في سلطانه) المناسب أن يقول غالب على أمره وقد أمجز الله وعده بأن أذل الكفار وأعز المسلمين فأورثهم أرضهم وديارهم (قوله الذين إن مكناهم في الأرض الخ) يجوز في هذا الموصول ما جاز في الذي قبله (قوله جواب الشرط) أي قوله أقاموا ما عطف عليه (قوله وهو وجوبه) أي الشرط وفعله وجوبه (قوله صلة الموصول) أي لا محل لها من الإعراب (قوله ويقدر قبله الخ) أي على أحد الاحتمالات المتقدمة وهو إخبار من الله مما يكون عليه المهاجرون والأنصار رضى الله عنهم (قوله ولله عاقبة الأمور) أي آخر أمور الخلق مصيرها إليه فيجازي كل شخص بعمله إن خيرا غير وإن شرا فشر (قوله وإن يكذبوك) أي يدوموا على تكذيبك وعدم الإيمان بك والضمير عائد على أهل مكة ، والمعنى لا تحزن وتسل فلست بأول من لذبته قومه (قوله باعتبار المعنى) أي وهو الأمة والقبيلة (قوله وعاد ونمود) لم يقل قوم هود وقوم صالح لاشتهارها بهذين الاسمين (قوله وأصحاب مدين) خصهم بالذكور وإن كان شعيب أرسل إلى أصحاب الآية وكذبوه أيضا لأنهم ساجدون عليهم في التكذيب له خصوصا بالله كرسبتهم بالتكذيب .

(قوله كذبه القبط لأقومه) أشار بذلك إلى وجه بناء الفصل في هذا الأخير لفصول ، والقبط يوزن القسطن أهل مصر (قوله فأملت للكافرين) وضع الظاهر موضع الضمير زيادة في التشجيع عليهم (قوله أي إنكارى عليهم) أشار بذلك إلى أن نكير مصدر بمعنى الإنكار (قوله باهلا لهم) أي بعذاب الاستئصال (قوله للتقرير) أي والمعنى فليقر المخاطبون بأن إهلاكهم لهؤلاء كان واقعا موقعه وفي الحقيقة هو مضمن معنى التعجب . والمعنى ما أشد ما كان إنكارى عليهم (قوله فكأين) مبتدأ ومن قرية تميز وقوله أهلكها خبره وقوله وهي ظالمة الجلة حالية . والمعنى عدد كثير من القرى أهلكها والحال أنها ظالمة (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أي أهلها) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله فهي خاوية على عروشها) أي تهدمت حيطانها فسقطت الحيطان فوق السقوف (قوله وجر معطلة) قدر المفسر والجاء إشارة إلى أنه معطوف على قرية . والمعنى عدد كثير من الآبار معطلة عن الاستقاء منها بموت أهلها ، وقيل إن البر واحدة معهودة وهي التي تزل عليها صالح مع أربعة آلاف فر من آمن به ونجى الله من العذاب وهم محضرموت . وميت بذلك لأن صالحا حين خضرها مات وهناك بلدة عند البحر اسمها حاضرا (٩٨) بناها قوم صالح وصروا عليهم جلس بن جلاس وأقاموا بهازمان ثم كفروا وعبدوا

كذبه القبط لأقومه بنو إسرائيل أي كذب هؤلاء رسلهم فلك أسوة بهم (فَأَمَلَيْتُ لِلْكَافِرِينَ) أهلهم بتأخير العقاب لهم (ثُمَّ أَخَذْنَاهُمْ) بالعذاب (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) أي إنكارى عليهم بتكذيبهم بإهلاكهم والاستفهام للتقرير أي هو واقع موقعه (فَكَأَيْنَ) أي كم (مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْنَاهَا) وفي قراءة أهلكناها (وَهِيَ ظَالِمَةٌ) أي أهلها بكفرهم (فَهِيَ خَاوِيَةٌ) ساقطة (عَلَى عُرُوشِهَا) سقوفها (وَ) كم (بِئْسَ مُعْطَلَةٌ) متروكة بموت أهلها (وَقَصْرِ مَشِيدٍ) رفيع خال بموت أهله (أَفَلَمْ يَسِيرُوا) أي كفار مكة (فِي الْأَرْضِ فَتَكُونُ لَهُمْ قُلُوبٌ يَعْقِلُونَ بِهَا) منازل بالكاذبين قبلهم (أَوْ آذَانٌ يَسْمَعُونَ بِهَا) أخبارهم بالإهلاك وخراب الديار فيعتبروا (فَإِنَّمَا) أي القصة (لَا تَعْمَى الْأَبْصَارُ وَلَكِنْ تَعْمَى الْقُلُوبُ الَّتِي فِي الصُّدُورِ) تأكيد (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَنْ يُخْلِفَ اللَّهُ وَعْدَهُ) بانزال العذاب فأنجزه يوم بدر (وَإِنَّ يَوْمًا عِنْدَ رَبِّكَ) من أيام الآخرة بسبب العذاب (كَأَنَّ سَنَةً) مما تعدون (بِالْآثَاءِ وَالْيَاءِ فِي الدُّنْيَا ،

صنا وأرسل الله تعالى عليهم حنظلة بن صفوان نبيا فقتلوه فأهلكهم الله وعطس برهم وخرب قصورهم ، والتبادر من الآية العموم ولذا مشى عليه المفسر (قوله أفلم يسيرا) الممزقة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أعفوا فلم يسيرا فهو تحريض لهم على السير ليشاهدوا آثار من قبلهم من الكفار ليقتبوا وهم وإن كانوا سافروا لم يسافروا للاعتبار والنظر فجلسوا كأن لم

(وَكَايْنِ)

يسافروا ولم يسيرا (قوله فتكون لهم قلوب) مفرع على

قوله يسيرا المعنى فهو منى أيضا (قوله منازل بالمكذبين) مفعول يعقلون (قوله أي القصة) أي وما بعده تفسير له (قوله لاتعمى الأبصار الخ) أي فالحال ليس في حواسهم الظاهرية وإنما هو في قلوبهم فترتب على ذلك انهما كهم في الشهوات وعدم إذعانهم للحق لأن عمى القلب هو الضرر في الدين لما ورد في الحديث « ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب » (قوله تأكيد) أي قوله التي في الصدور تأكيد للقلوب لأن من العلوم أن القلوب حالة في الصدور ، ومنه قولهم سمعت بأذن ونظرت بعيني (قوله ويستعجلونك بالعذاب) أي يطلب كفار مكة تعجيل العذاب استهزاء حيث يقولون أين ما وعدتنا به مع حكومتنا كذبناك كما كذبت الأمم الباطية رسلهم (قوله ولن يخلف الله وعده) تضمن ذلك نزول العذاب بهم في الدنيا وتضمن قوله وإن يوما عند ربك الخ عذابهم في الآخرة فهم يعذبون مرتين في الدنيا بالقتل والأسر وفي الآخرة بدخول النار الدائم (قوله فأنجزه يوم بدر) أي فقتل منهم سبعون وأسروا سبعون من صناديدهم (قوله كأن سنة) اقتصر على الألف لانه منتهى العدد لا تكرار وهو كناية عن طول العذاب وعدم تناهيه (قوله بالآثاء والياء) أي فيها قراءتان سهلتان .

(قوله وكان من قرية) أتى هنا بالوار مناسبة ما قبلها في قوله : ولن يخلف الله وعده وإن يوما الخ بخلاف الأولى فأتى بالفاء مناسبة ما قبلها في قوله : فكيف كان نكير ، فأتى كل بما يناسبه (قوله قل يا أيها الناس) للوصوفون باستحجال العذاب وقد جرت عادة الله في كتابه أنه يخاطب المؤمنين بيا أيها الذين آمنوا وكفار مكة بيا أيها الناس (قوله وأنا بشير للمؤمنين) فترد إشارة إلى أن في الآية اكتفاء بدليل التعميم للذكور بعد (قوله لهم مغفرة) أي من الذنوب الصغار والكبار (قوله والذين سعوا) أي اجتهدوا (قوله باطلها) الباء بمعنى في ، والمعنى اجتهدوا في إبطالها حيث قالوا في القرآن إنه أصاطير الأولين وسحر وكهانة (قوله من اتبع النبي) أشار به إلى أن مفعول معجزين محذوف (قوله ويبطونهم) أي يعوقونهم ويبطلونهم (قوله أومقرين عجزنا) أي فالمفعول محذوف تقديره الله ، والمعنى عليه طائفتان عجزنا عنهم (قوله وفي قراءة معاجزين) أي وهي سبعة أيضا وتقدير المفعول عليها معاجزين الله أي مساجين له ، ومعنى مساجتهم ظنهم الفرار من عذاب الله ، ومعنى مسابقة الله إزال العذاب بهم وعدم فرارهم منه (قوله يظنون أن يفوتونا) أي فلا يلحقهم عذابنا (قوله أصحاب الجحيم) أي مآلهم لها وهي معدة لهم (قوله وما أرسلنا من قبلك الخ) هذه تسلية ثانية لرسول الله (٢٩) صلى الله عليه وسلم (قوله من رسول) من زائدة في المفعول أي رسولا (قوله هو نبي أمر بالتبليغ) أي إنسان ذكر حر أوحى إليه بشرع وأمر بقبليته . (قوله ولا نبي) عطف على رسول . إن قلت إن تفسير النبي بكونه لم يؤمر بالتبليغ يناقض قوله أرسلنا . أجيب بأن الإرسال معناه البعث لنفسه لأنه أوحى إليه بشرع يعمل به في نفسه وليس مأمورا بتبليغه للخلق أو يقدر قبل قوله ولا نبي ما يناسبه كأن يقال مثلا ولا نبأنا من نبي على

(وَكَأَيِّنْ مِنْ قَرْيَةٍ أَهْلَكْتُ لَهَا وَهِيَ ظَالِمَةٌ لَهَا فَمَا جَاءَهَا مُنْقَذَةٌ) (وَإِلَى الْمَعِيرِ) للرجع (قُلْ يَا أَيُّهَا النَّاسُ) أي أهل مكة (إِنَّمَا أَنَا لَكُمْ نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الانذار وأنا بشير للمؤمنين (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ) من الذنوب (وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) هو الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي آيَاتِنَا) القرآن بإبطالها (مُعْجِزِينَ) من اتبع النبي أي ينسبونهم إلى المعجز ويبطونهم عن الإيمان أو مقدرين عجزنا عنهم ، وفي قراءة معاجزين مسابقين لنا أي يظنون أن يفوتونا بإنكارهم البعث والعقاب (أُولَئِكَ أَصْحَابُ الْجَحِيمِ) النار (وَمَا أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ مِنْ رَسُولٍ) هو نبي أمر بالتبليغ (وَلَا نَبِيٍّ) أي لم يؤمر بالتبليغ (إِلَّا إِذَا تَمَتَّى) قرأ (أَلَيْسَ الشَّيْطَانُ فِي أُمْنِيَّتِهِ) قراءته ما ليس من القرآن مما يرضاه الرسل إليهم وقد قرأ النبي صلى الله عليه وسلم في سورة النجم بمجلس من قريش بعد : أفرايتم اللات والعزى ومناة الثالثة الأخرى بإلقاء الشيطان على لسانه من غير علمه صلى الله عليه وسلم به : تلك الفرائق العلا وإن شفاعتهن لترفجني ، ففروا بذلك ثم أخبره جبريل بما ألقاه الشيطان على لسانه من ذلك فخرن فسلى بهذه الآية ليطمنن (فَيَنْسَخُ اللَّهُ) يبطل (مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ ثُمَّ يُحْكِمُ اللَّهُ آيَاتِهِ) يثبتها (وَأَفَلَا يَعْلَمُ) بإلقاء الشيطان ما ذكر (حَكِيمٌ) في تمكنه منه يفعل ما يشاء

حد * علقها تبنا وماء باردا * (قوله أي لم يؤمر بالتبليغ) أشار المفسر بهذا إلى أن العطف في الآية مغاير وإن كان لفظ النبي أعم (قوله قراءته) إنما سميت القراءة أمانة لأن القارئ إذا وصل إلى آية رحمة تمنى حصولها أو آية عذاب تمنى البعد عنه (قوله ما ليس من القرآن) مفعول ألقى (قوله مما يرضاه) بيان لما (قوله الرسل إليهم) أي وهم الكفار (قوله وقد قرأ النبي) أشار بذلك إلى أن سبب نزول هذه الآية قراءة النبي سورة النجم ، وذلك كان في رمضان سنة خمس من البعثة وكانت الهجرة إلى الحبشة في رجب من تلك السنة ، وقدم المهاجرين إلى مكة كان في شوال من تلك السنة (قوله بإلقاء الشيطان) متعلق بقرأ (قوله تلك الفرائق) معمول قرأ ، والفرائق في الأصل الله كور من طير الماء واحدها غرنوق كغردوس أو غرنوق كعصفور ، وكانوا يزعمون أن الأصنام تقربهم من الله وتشفع لهم فشبهت بالطيور التي تلو في السماء وترتفع (قوله ففروا بذلك) أي بما سمعوه وقالوا ما ذكر آلمتنا بخير قبل اليوم (قوله يبطل) أي يزيل فالنسخ في اللغة معناه الإزالة وما ذكره المفسر من قصة الفرائق رواية عامة للمفسرين الظاهريين . قال الرازي : أما أهل التحقيق فقد قالوا هذه الرواية باطلة موضوعة ، واحتجوا على البطلان بالقرآن والسنة والمقول ، أما القرآن فبوجوه :

أحدها قوله تعالى : ولوقول علينا بعض الأقاويل الآية . ثانيها : قل ما يكون لي أن أبته من تلقاء نفسى الآية . ثالثها قوله تعالى : وما ينطق عن الهوى . وأما السنة فنحن نروى عن محمد بن خزيمة أنه سئل عن هذه القصة فقال هي من وضع الزنادقة وقال البيهقي هذه القصة غير ثابتة من جهة النقل فقد روى البخارى في صحيحه « أنه صلى الله عليه وسلم قرأ سورة النجم وسجد فيها المسلمون والكفار والانس والجن » وليس فيه حديث الفرائق ، وأما العقول فمن أوجه : أحدها أن من جوز على النبي صلى الله عليه وسلم تعظيماً للأوثان فقد كفر . ثانيها لو كان اللقاء على الرسول ثم الإزالة عنه لكانت عصمته من أول الأمر أولى وهو الذى يجب علينا اعتقاده في كل نبي . ثالثها وهو أقوى الأوجه أنا لجوزنا ذلك لارتفع الأمان عن شرعه ، ثم قال الرازى وقد عرفنا أن هذه القصة موضوعة وخبر الواحد لا يمرض الدلائل العقلية والنقلية التواترة قاله الخطيب ، ثم قال وهذا هو الذى يطمئن إليه القلب وإن أظن ابن حجر الصفتان في صحتهما اهـ ، ويكون معنى الآية على هذا التحقيق ألقى الشيطان في أمنيته أى تلاوته شياً وتخييلات في قلوب الأمم بأن يقول لهم الشيطان هذا مصر وكهانة فينسخ الله تلك الشبهة من قلوب من أراد لهم الهدى ويحكم الله آياته في قلوبهم (١٠٠) والله عليم بما ألقاه الشيطان في قلوبهم حكيم في تسليطه عليهم ليعز

للفسد من المصلح (قوله
ليجعل ما يلقي الشيطان)
متعلق بيحكم أى ثم يحكم
الله آياته ليجعل الخ
(قوله والقاسية قلوبهم)
عطف على الدين أى فتنة
للقاسية قلوبهم (قوله
حيث جرى على لسانه
الخ) قد علمت أن هذا
خلاف الصواب والصواب
أن يقول حيث سلط
الشيطان عليهم بالسوسة
والطعن في القرآن (قوله
وليعلم) عطف على
ليجعل (قوله فيؤمنوا به)
أى بالقرآن (قوله أى
دين الاسلام) أى وسمى

(لِيَجْعَلَ مَا يُلْقِي الشَّيْطَانُ فِتْنَةً) محنة (لِلَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَّرَضٌ) شك وفاق (وَالْقَاسِيَةِ قُلُوبُهُمْ) أى المشركين عن قبول الحق (وَإِنَّ الظَّالِمِينَ) الكافرين (لَنِي شِقَاقِي بَعِيدٍ) خلاف طويل مع النبي صلى الله عليه وسلم والمؤمنين حيث جرى على لسانه ذكر آلهتهم بما يرضيهم ثم أبطل ذلك (وَلِيَعْلَمَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) التوحيد والقرآن (أَنَّهُ) أى القرآن (الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ فَيُؤْمِنُوا بِهِ فَتُخْبِتَ) تطمئن (لَهُ قُلُوبُهُمْ وَإِنَّ اللَّهَ لَمَادٍ الَّذِينَ آمَنُوا إِلَى صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الاسلام (وَلَا يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُوا فِي مِرْيَةٍ) شك (مِنْهُ) أى القرآن بما ألقاه الشيطان على لسان النبي ثم أبطل (حَتَّى تَأْتِيَهُمُ السَّاعَةُ بَغْتَةً) أى ساعة موتهم أو القيامة فجأة (أَوْ يَأْتِيَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَقِيمٍ) هو يوم بدر لا خير فيه للكفار كالريح العقيم التى لا تأتى بخير ، أو هو يوم القيامة لا ليل له (الْمَلَكُ يَوْمَئِذٍ) أى يوم القيامة (لَهُ) وحده وما تضمنه من الاستقرار ناصب للظرف (بِحُكْمٍ يُنْفِئُهُمْ) بين المؤمنين والكافرين بما بين يده (فَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ) فضلاً من الله (وَالَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا فَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) شديد بسبب كفرهم (وَالَّذِينَ هَاجَرُوا فِي سَبِيلِ اللَّهِ) أى طاعته من مكة إلى المدينة (ثُمَّ قَتِلُوا أَوْ مَاتُوا لِيَرْزُقْنَهُمُ اللَّهُ رِزْقًا حَسَنًا)

هو

صراطاً لأنه يوصل لمرضاة الله كما أن الصراط يوصل لدار النعيم

(قوله ولا يزال الذين كفروا) رجوع له كرحال الكفار ومأم عليه (قوله أى القرآن) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القرآن وقيل عائد على الرسول أى في شك من أمر الرسول من كونه صادقاً أولاً (قوله بما ألقاه الشيطان على لسان النبي) هذا خلاف الصواب ، والصواب أن يقول بما ألقاه الشيطان في قلوب من أضلهم الله (قوله يوم عقيم) العقم في الأصل عدم الولادة فشبّه اليوم الذى لا خير فيه بمرأة عقيم وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو العقم فآياته تخييل والجامع عدم الفجرة في كل (قوله يومئذ) التنوين عوض عن جملة أى الملك يوم تأتيتهم الساعة بغتة أو يأتيهم العذاب يوم القيامة لله ، ومعنى كونه لله عدم نسبة شئ في الملك لأحد سواه في ذلك اليوم (قوله ناصب للظرف) أى قوله يومئذ (قوله يحكم بينهم) جملة مستأنفة سيفت جواباً لسؤال مقتر تقديره ماذا يصنع بهم (قوله فضلاً من الله) أى لا بسبب أعمالهم (قوله والذين هاجروا) مبتدأ خبره ليرزقهم الله وخصهم بالذكور وإن كانوا داخلين في جملة المؤمنين تعظيماً لشأنهم (قوله ثم قتلوا) أى في الحروب وقوله أو ماتوا أى على فراشهم من غير قتل .

(قوله هورزق الجنة) أى التمتع فيها (قوله أفضل المطيعين) أى فالمراد بالرزق الاعطاء وهو يناسب للخالق لا أن فسبته للخالق حقيقة ولغيره مجاز (قوله ليدخلهم الخ) إما مستأنف أو بدل من قوله ليرزقهم (قوله بضم الميم وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله حليم) أى فلا يسجل بالقوبة على من عصاه بل يعمله ليتوب فيستحق الجنة (قوله ذلك الذى قصصناه عليك) أى من وعد المؤمنين ووعيد الكافرين واسم الإشارة خبر المحذوف تقديره الأمر الذى قصصناه عليك ذلك : أى لاتخير فيه ولا تبدل فهو كلمة يؤتى بها لانتقال من كلام إلى آخر (قوله ومن عاقب) العقاب مأخوذ من التعاقب وهو محيى الشئ بعد غيره وحيث قد قوله عاقب بمعنى جازى حقيقة لغوية ، وأما قوله - بمثل ما عوقب به - أتى به لمشاكلة الأول للزوج نظير - فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم - والباء فى بمثل للالة والباء فى به للسببية (قوله أى قاتلهم) أى قاتل من كان يقاتله نزلت هذه الآية فى قوم من المشركين لقوا قوما من المسلمين الليثيين بقيتا من الحرم فقالوا إن أصحاب محمد يكرهون القتال فى الشهر الحرام فاحملوا عليهم فنشدهم المسلمون أن لا يقاتلهم فى الشهر الحرام فأبوا فحملوا عليهم وثبت المسلمون ونصرهم الله عليهم ، وإلى هذا يشير للفسر بقوله : غفور لهم عن قتالهم فى (١٠١) الشهر الحرام ، وقيل نزلت فى قوم من المشركين مثلاً بقوم من المسلمين قتالهم يوم أحد فعاقبهم رسول الله صلى الله عليه وسلم بمثله ، وقيل لأنها عامة فى النبي وأصحابه ، وذلك أن المشركين كذبوا نبيهم وآذوا من آمن به وأخرجوهم من مكة فوعده الله بالنصر محمد وأصحابه فانهم حزب الله والكفار حزب الشيطان (قوله غفور لهم) أى ما فعلوا لأنهم فعلوا دفعا عن أنفسهم لا نجرياً على الحرم (قوله ذلك) مبتدأ وبأن

هورزق الجنة (وإن الله لم يخبر الرازيين) أفضل المطيعين (ليدخلهم) بضم الميم وفتحها أى إدخالاً أو موصفاً (يرضونه) وهو الجنة (وإن الله لعليم) بنيتهم (حليم) عن عقابهم ، الأمر (ذلك) الذى قصصناه عليك (ومن عاقب) جازى من المؤمنين (بمثل ما عوقب به) ظلماً من المشركين أى قاتلهم كما قاتلوه فى الشهر الحرام (ثم ينهى عليه) منهم أى ظلم بإخراجه من منزله (لينهضته الله إن الله لمفوا) عن المؤمنين (غفور) لهم عن قتالهم فى الشهر الحرام (ذلك) النصر (بأن الله يولج الليل فى النهار ويولج النهار فى الليل) أى يدخل كلاهما فى الآخر بأن يزيد به وذلك من أثر قدرته تعالى التى بها النصر (وأن الله سميع) دعاء المؤمنين (بصير) بهم حيث جل فيهم الإيمان فأجاب دعاءهم (ذلك) النصر أيضاً (بأن الله هو الحق) الثابت (وأن ما يدعون) بالياء والتاء : يعبدون (من دونه) وهو الأصنام (هو الباطل) الزائل (وأن الله هو العلى) أى العالى على كل شئ بقدرته (الكبير) الذى يصنع كل شئ سواء (ألم تر) تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء) مطراً (فتصبح الأرض مخضرة) بالنبات وهذا من أثر قدرته (إن الله لطيف) بعباده فى إخراج النبات بالماء

الله خبره (قوله بأن يزيد) أى الآخر ، وقوله ذلك : أى الإيلاج فهو إشارة إلى أن الإيلاج دليل القدرة والقدرة دليل النصر لأن القادر على إدخال كل منهما فى الآخر قادر على نصر أحبائه وخلفائ أعدائه (قوله وأن الله) بالفتح فى قراءة العامة عطف على أن الأولى وقرئ شذوذاً بالكسر استئنافاً (قوله ذلك بأن الله) مبتدأ وخبر وقوله هو إمام مبتدأ أو ضمير فصل (قوله الثابت) الذى لا يقبل الزوال أزلاً ولا أبداً (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الزائل) أى الفانى الذى لا بقاء له (قوله وأن الله هو العلى الكبير) نتيجة ما قبله من الأوصاف (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء) شروع فى ذكر ستة أدلة على كونه هو الحق وبطلان ما قبله من الأدلة التى قبله فى الأدلة الترقى فى الاحتجاج والمعرفة فتأمل . الأول إزال الماء الناشئ عنه اخضرار الأرض . الثانى قوله - له ما فى السموات وما فى الأرض - . الثالث تسخير ما فى الأرض . الرابع تسخير الفلك . الخامس إمساك السماء . السادس إحياء ثم الإماتة ثم الإحياء ثانياً (قوله تعلم) فسر الرؤية بالعلم دون الابصار لأن الماء وإن كان مرتباً إلا أن كونه الله منزلاً له من السماء غير مرئى (قوله مطراً) لا مفهوم له لأن النيل وماء الآبار من السماء إلا أن يقال اقتصر على المطر لأنه هو المشاهد نزوله من جهة السماء دون غيره (قوله فتصبح الأرض مخضرة) عبر بالمضارع إشارة إلى استمرار النفع به بعد نزوله .

(قوله بما في قلوبهم عند تأخير الطر) أى من التأخر والضيوط (قوله على جهة الملك) أى فلا ملك لأحد معه (قوله سخر لكم ما في الأرض) أى ذلك لكم ما فيها من الدواب لتتغفوا بها (قوله والفلك) بالنصب في قراءة العامة عطف على ما في قوله ما في الأرض : أى وسخر لكم الفلك ، وأفردوا بالذكر ليكون تسخيرها أعجب من سائر السخرات والفلك يطلق على الواحد والجمع بلفظ واحد فوزن الواحد قفل ووزن الجمع بدن (قوله من أن أولئلا تقع) أشار بذلك إلى أن تقع إما في محل نصب على المفعول لأجله : أى لأجل أن لا تقع أو في محل جر على حذف حرف الجر ، والتقدير من أن تقع : أى من وقوعها (قوله لإيادته) استثناء مفرغ من معنى قوله - ويسك السماء أن تقع على الأرض - ، والتقدير لا يتركها تقع في حال من الأحوال إلا في حالة كونها ملتبسة بمشيئة الله تعالى (قوله وهو الذي أحياكم) أى أوجدكم من العدم لتسمعوا أو تشقوا فكل من الأحياء الأول والثاني إما نعمة أو نقمة (قوله ثم يحْيِيكُمْ عند البعث) أى للتوابع أو العقاب (قوله إن الإنسان لَكفور) أى جحود لنعم خالقه (قوله لكل أمة) (١٠٢) أى أهل دين فالمراد بالأمة من له ملة وشرع (قوله ففتح السين وكسرها)

(خَيْرٌ) بما في قلوبهم عند تأخير الطر (لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) على جهة الملك (وَإِنَّ اللَّهَ لَهُوَالْقَنِيُّ) عن عباده (الْحَمِيدُ) لأوليائه (أَلَمْ تَرَ) تعلم (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي الْأَرْضِ) من البهائم (وَالْفُلُوكَ) السفن (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ) للركوب والحمل (بِأَمْرِهِ) بإذنه (وَيُمَسِكُ السَّمَاءَ) من (أَنْ) أولئلا (تَقَعَ عَلَى الْأَرْضِ إِلَّا بِإِذْنِهِ) قهلكوا (إِنَّ اللَّهَ بِالنَّاسِ لَرَّوْفٌ رَحِيمٌ) في التسخير والإمسك (وَهُوَ الَّذِي أَحْيَاكُمْ) بالإنشاء (ثُمَّ يُمَيِّتُكُمْ) عند انتهاء آجالكم (ثُمَّ يُحْيِيكُمْ) عند البعث (إِنَّ الْإِنْسَانَ) أى للشرك (لَكفورٌ) لنعم الله بتركه توحيدكم (لِكُلِّ أُمَّةٍ جَعَلْنَا مَنْسَكًا) ففتح السين وكسرها : شريعة (هُمْ نَاسِكُوهُ) عاملون به (فَلَا يَنَازِعُكُمْ) يراد به لا تنازعهم (فِي الْأَمْرِ) أى أمر الدييعة إذا قالوا ما قتل الله أحق أن تأكلوه مما قتلتم (وَأَدْعُ إِلَى رَبِّكَ) أى إلى دينه (إِنَّكَ لَمَلَى هُدًى) دين (مُسْتَقِيمٌ) وَإِنْ جَادَلُوكَ) فى أمر الدين (قُلِ اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَا تَعْمَلُونَ) فهجازيكم عليه وهذا قبل الأمر بالقتال (اللَّهُ يَحْكُمُ بَيْنَكُمْ) أيها المؤمنون والكافرون (يَوْمَ الْقِيَامَةِ) فيما كنتم فيه تختلفون (بأن يقول كل من الفريقين خلاف قول الآخر) (أَلَمْ تَعْلَمْ) الاستفهام فيه للتقرير (أَنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ إِنَّ ذَلِكَ) أى ما ذكر (فِي كِتَابٍ) هو الوح المحفوظ ،

أى هما قراءتان سبعيتان (قوله شريعة) أى أحكام دين لكل أمة معينة من الأمم بحيث لا تتخطى أمة منهم شريعتها للمعينة لها إلى شريعة أخرى فالأمة التي كانت من مبعث موسى إلى مبعث عيسى منسكهم التوراة ومن مبعث عيسى إلى مبعث محمد صلى الله عليه وسلم منسكهم الانجيل والأمة للوجودون عند مبعث النبي صلى الله عليه وسلم ومن بعدهم إلى يوم القيامة منسكهم القرآن لاغيره وحينئذ فقوله فلا ينازعك في الأمر : أى لا ينازعك هؤلاء الأمم في أمر دينك

(إن

زعماء منهم أن شريعتهم باقية لم تنسخ فان التوراة والانجيل شريعتان

لمن مضى من الأمم قبل بعث محمد ومن وقت بعثته انسخ كل شرع سوى شرعه صلى الله عليه وسلم . إذا علمت ذلك فقول للفسر فلا ينازعك في الأمر : أى أمر الدييعة الخ لا يسلّم لانه يقتضى أن يكون أكل الميتة من حيلة للناسك والشرايع التي جعلها الله لبعض الأمم ولا شك في بطلان ذلك فكان المناسب له أن يفسر الآية بما فسرناها به (قوله وادع إلى ربك) أى ادعهم أو ادع الناس عموما (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو مفسوخ بآية القتال وهذا أحد قولين ، وقيل إن الآية محكمة ، وحينئذ فيكون المعنى أترك جدالمهم وفوض الأمر إلى الله بقوله الله أعلم بما تعملون فيكون وعيدالمهم على أعمالهم حيث داموا على الكفر وهو لا ينافي قتالهم لأن القتال يرقه أحد أمرين الاسلام أو الجزية مع البقاء على الكفر (قوله الله يحكم بينكم) أى يقضى ويفصل (قوله الاستفهام فيه للتقرير) أى وهو حمل المخاطب على الاقرار بالحكم (قوله هو الوح المحفوظ) هو من درة بيضاء فوق السماء السابعة معلق في الهواء طوله ما بين السماء والأرض وعرضه ما بين الشرق والغرب

(قوله أى علم ما ذكر) أى للوجود فى السماء والأرض (قوله سلطانا) أى من جهة الوحى (قوله وما ليس لهم به علم) أى دليل عقلى (قوله حال) أى من آيات (قوله فى وجوه الذين كفروا) وضع الظاهر موضع الضمير تبيكنا عليهم (قوله أى الإنكار لها) أشار بذلك إلى أن النكر مصدر ميمي على حذف مضاف (قوله يكادون يسطون) هذه الجملة حال إيمان الوصول أو من الوجوه وضمن يسطون معنى يبطشون فدهاء بالباء وإلا فهو متعدي على (قوله النار) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن النار خبر المحذوف كأنه قيل وما الأثر فقبل هو النار (قوله وعدا الله الذين كفروا) وعد متعدى لمفعولين الماء مفعول ثان مقدم والذين كفروا مفعول أول مؤخر نظير قوله تعالى - وعد الله للنافقين والنافقات والكفار نار جهنم - ويصح العكس بأن يحمل الضمير هو للمفعول الأول والذين كفروا هو للمفعول الثانى ، وإليه يشير المفسر بقوله بأن مصيرهم إليها حيث جعل الذين كفروا هو الموعود به والنار هى الموعودة ، وللعنى جعل الله الكفار طعاما للنار وعدها بهم والأول أنسب من جهة العربية لأن المفعول الأول شرطه صلاحيته للأخذ كأعطيت زيدا درهما (قوله يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له) (١٠٣) هذه الآية مرتبطة بقوله

- ويصدون من دون الله مالم يزل به سلطانا - فالخطاب وإن كان لأهل مكة إلا أن المراد به عموم من كان يعبد الأصنام . والمثل فى اللغة مرادف للمثل والشبه والنظير ثم صار حقيقة عرفية فى ما شبه مضربه بمورده كقولهم الصيف ضيعت اللبن ، وليس مرادا هنا بل المراد به الأمر القريب والقصة العجيبة وإليه يشير المفسر فى آخر العبارة بقوله هذا أمر مستغرب (قوله فاستمعوا له) أى اصنوا إليه لتعجبوا (قوله

(إِنَّ ذَلِكَ) أى علم ما ذكر (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) سهل (وَيَتَّبِدُونَ) أى المشركون (مِنْ دُونِ اللَّهِ تَالَمَ يُنْزَلَ بِهِ) هو الأصنام (سُلْطَانًا) حجة (وَمَا لَيْسَ لَهُمْ بِهِ عِلْمٌ) أنها آلهة (وَمَا لِلظَّالِمِينَ) بالإشراك (مِنْ نَصِيرٍ) يمنع عنهم عذاب الله (وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا) من القرآن (يَتَنَاتَى) ظاهرات حال (تَعْرِفُ فِي وُجُوهِ الَّذِينَ كَفَرُوا الْمُنْكَرَ) أى الإنكار لها ، أى أثره من الكراهة والمبوس (يَكَادُونَ يَسْطُونَ بِالَّذِينَ يَتْلُونَ عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا) أى يقعون فيهم بالبطش (قُلْ أَفَأَنْتُمْ تُبَشِّرُونَ مِنْ ذَلِكَُمْ) أى بأكره إليكم من القرآن الملعون عليكم ، هو (النَّارُ وَعَدَهَا اللَّهُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بأن مصيرهم إليها (وَيُبَشِّرَ الْمُصِرِّ) هى (يَأْيُهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (ضُرِبَ مَثَلٌ فَاستَمِعُوا لَهُ) وهو (إِنَّ الَّذِينَ تَدْعُونَ) تصدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره وهم الأصنام (لَنْ يَخْلُقُوا ذُبَابًا) اسم جنس ، واحدة ذبابة يقع على الذكر والمؤنث (وَلَوْ اجْتَمَعُوا لَهُ) خلقه (وَأِنْ يَسْلُبْنَهُمْ ذُكُلًا مِّنْهُ) مما عليهم من الطيب والزعفران الملطخون به (لَا يَسْتَنْقِذُوهُ) لا يسترده (مِنْهُ) لصعوم فكيف يصدون شركاء لله تعالى ؟ هذا أمر مستغرب عجز عنه بضرب المثل (صَفَّ الطَّالِبُ) العابد (وَالْمَطْلُوبُ) المعبود ،

وهو) أى المثل المضروب (قوله واحدة ذبابة) أى ويجمع على ذبان بالكسر كغربان وذبان بالضم كغضبان وأذبة كأغربة مأخوذ من ذب إذا طرد وآب إذا لرجع لأنه يغيب ويرجع وهو أحرص الحيوانات وأجهلها لأنه يرى نفسه فى المهلكات ، ومدة عيشه أربعمائة يوما ، وأصل خلقته من الصفوات ، ثم يتواله بضمه من بعض يقع روثه على التى الأبيض فيرى أسود وعلى الأسود فيرى أبيض (قوله ولوا اجتماعه) الجملة حالية كأنه قال اتفق خلقهم الذباب على كل حال ولوفى حال اجتماعهم (قوله وإن يسلبهم) أى يأخذ ويختطف منهم (قوله مما عليهم من الطيب والزعفران الخ) أى لأنهم كانوا يطلون الأصنام بالزعفران وروفسها بالصل ويطلقون عليها الأبواب فيدخل الذباب من الكوى فيأكله ، وكانوا يحلون بها بالواقيت واللاكى وأنواع الجواهر ويطيبونها بأنواع الطيب فربما سقط شيء منها فيأخذه طائر أو ذباب فلا تقدر الآلهة على استرداده (قوله الملطخون بها) المناسب أن يقول الملطخين لأنه نص سبى للطيب والزعفران (قوله لا يستنقذوه) أى لا يخلصوه منه (قوله عبر عنه بضرب المثل) جواب عما يقال إن الذى ضرب ويبنى ليس بمثل حقيقة فكيف سماه مثلا ، فأجلب بأن القصة العجيبة تسمى مثلا تشبيها لها ببعض الأمثال فى التبراة .

(قوله ماقدروا الله حق قدره) هذه الآية قيل ظهر مرتبطة بما قبلها وعليه سيكون سبب نزولها كما قيل أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان جالسا وحوله أصحابه وفي القوم مالك بن أبي الصيف من أخبار اليهود ، فقال له رسول الله ناشدتك الله هل رأيت في التوراة أن الله يبنض الحبر السمين ؟ فقال نعم ؟ فقال له رسول الله : وأنت حبر سمين ، فضحك القوم ، فالتفت مالك إلى عمر ابن الخطاب وقال - ما أنزل الله على بشر من شيء - وقيل سبب نزولها أن اليهود قالوا خلق الله السموات يوم الأحد والأرض يوم الاثنين والجبال يوم الثلاثاء والأوراق والأشجار يوم الأربعاء والشمس والقمر في يوم الخميس وخلق آدم وحواء في يوم الجمعة ثم استوى على ظهره ووضع إحدى رجله على الأخرى واستراح ، فغضب رسول الله صلى الله عليه وسلم . وقيل إنها من تمة المثل وعليه درج المفسر (قوله الله يصطفى) أى يختار (قوله من اللائكة رسلا) إن قلت إن هذا يقتضى أن يكون الرسل بعض اللائكة لا كلهم ، وآية فاطر تقتضى أن الكل رسل . أجب بأن التبعض بالنسبة لإرسالهم لبنى آدم والجميع رسل بالنسبة لبعضهم بعضا (قوله ومن الناس رسلا) أشار بذلك إلى أن في الآية الخلف من الثانى لدلالة الأول عليه (قوله نزل لما قال المشركون) القائل هو الوليد بن المغيرة ووافقه على ذلك قومه (قوله كجبريل الخ) مثل باثنين من اللائكة واثنين من الانس (قوله ماقدموا) (١٠٤) أى من الاعمال (قوله وما خلفوا) أى لم يعملوا بالفعل (قوله أو ما عملوا)

أى بالفعل وقوله وما هم عاملون : أى فى المستقبل (قوله ترجع الأمور) أى نصير أمور الخلق إليه تعالى ويجازى كلا بعدله (قوله أى صلوأ) أى وعبر عنها بالركوع والسجود من باب تسمية الشيء باسم أشرف أجزائه (قوله كصلة الرحم ومكارم الأخلاق) أى وغيرها من الخيرات الواجبة وللندوبة (قوله لعلكم تفلحون) الترحى فى القرآن بمنزلة التحقيق فالفلاح

(مَا قَدَرُوا اللَّهَ عَظْمَهُ) (حَقَّ قَدْرُهُ) عظمته إذ أشركوا به ما لم يتمتع من الذباب ولا ينتصف منه (إِنَّ اللَّهَ لَقَوِيٌّ عَزِيزٌ) غالب (اللَّهُ بِصُطْفَىٰ مِنَ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا وَمِنَ النَّاسِ) رسلا . نزل لما قال المشركون أنزل عليه الذكر من بيننا (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) لمقاتلهم (بَصِيرٌ) بمن يتخذة رسولا كجبريل وميكائيل وإبراهيم ومحمد وغيرهم صلى الله عليهم وسلم (يَعْلَمُ مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) أى ماقدموا وما خلفوا ، أو ما عملوا وما هم عاملون بعد (وَالِلَّهِ تُرْجَعُ الْأُمُورُ) يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَرْكَبُوا أَسْجُدُوا) أى صلوأ (وَأَعْبُدُوا رَبَّكُمْ) وحدوه (وَأَقْسَمُوا بِالْخَيْرِ) كصلة الرحم ومكارم الأخلاق (لَعَلَّكُمْ تَفْلَحُونَ) تفوزون بالبقاء فى الجنة (وَجَاهِدُوا فِي اللَّهِ) لإقامة دينه (حَقَّ جِهَادِهِ) باستفراغ الطاقة فيه ، ونصب حق على المصدر (هُوَ أَجْتَبَاكُمْ) اختارك لدينه (وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ) أى ضيق بأن سهله عند الضرورات كالقصر والتهم وأكل الليته واقطر للررض والسفر (مِلَّةَ أَبِيكُمْ)

منصوب

(قوله وجاهدوا فى الله) أى أعداءكم الظاهرية والباطنية ،

فالظاهرية فرق الضلال والكفر ، ومجاهدتها معلومة ويسمى الجهاد الأصغر ، والباطنية النفس والهوى والشيطان ، ومجاهدتها الامتناع من شهواتها شيئا فشيئا ويسمى الجهاد الأكبر كما فى الحديث ، ووجه تسميته أكبر أن الأعداء الظاهرية تحضر تارة وتغيب أخرى وتضالغ وإذا قتلها الشخص أو قتلته فهو فى الجنة بخلاف الأعداء الباطنية فلا تغيب أصلا ولا يمكن الصلح معها وإذا قتلت صاحبها وغلبته فهو فى النار (قوله حق جهاده) من إضافة الصفة للوصف : أى جهادا حقا (قوله هو اجتباكم) أى اصطفاكم وجعلكم أمة وسطا (قوله وما جعل عليكم فى الدين من حرج) الراد بالدين أصوله وفروعه حيث لم يشدد عليهم كما شدد على من قبلهم ، فمن ذلك قبول توبتهم إذا ندموا وأقنعوا ولم يجعل توبتهم قتل أنفسهم ، وإذا أذنب الشخص منهم ذنبا ستره الله ولم يفضحه فى الدنيا بأن يجده مكتوبا فى جيبته أو على باب داره كما كان فيمن قبلهم وجعل النجاسة تزال بالماء دون قطع محلها وغير ذلك . إن قلت كيف لا حرج فى الدين مع أن اليد تقطع بسرقة ربع دينار والمحسن يرمم بزنا مرة ونحو ذلك . أجب بأن رفع الحرج لمن استقام على منهاج الشرع ، وأما السراق وأصحاب الحدود فقد انتهكوا حرمة الشرع وانتقلوا من السهولة للصعوبة لأن الله لم يحرم المال مطلقا ولا النكاح مطلقا بل أحل أشياء وحرم أشياء لها أجزاء من شتى

الحدود إلا التشديد عليه (قوله بئزج الخافض الكاف) أى كلفه أىكم فالتشبيه فى أصول الدين وفى سهولة الفروع (قوله هو صاكم المسلمين) أشار للفسر إلى أن الضمير عائد على الله تعالى وقيل الضمير عائد على إبراهيم (قوله أى قبل هذا الكتاب) أى فى الكتب القديمة (قوله وفى هذا) أى بقوله - ورضيت لكم الإسلام ديناً - (قوله ليكون الرسول) متعلق بساكم واللام للعاقبة (قوله داوموا عليها) أى بشروطها وأركانها (قوله وآتوا الزكاة) أى لمستحقها (قوله ثقوا) أى فى جميع أموركم (قوله هو) قدره إشارة إلى أن الخصوص بالمذبح محذوف ومثله من الثانى لدلالة هذا عليه .

[سورة المؤمنون مكية] سورة مبتدأ وللمؤمنون مضاف إليه مجرور بياء مقترنة منع من ظهورها اشتغال المحل بواو الحكاية ومكية خبر وظاهره أن جميعها مكي ، وقيل إلا ثلاث آيات وهى قوله ولو رحمناهم إلى آخرها فانهن مدنيات (قوله وثمان) هذا قول الكوفيين وقوله أو تسع عشرة آية هو قول البصريين ، وسبب هذا اختلافهم فى قوله تعالى - ثم أرسلنا موسى وأخاه هارون بآياتنا وسلطان مبين هل هو آية كما قاله البصريون أو بعض آية كما قاله الكوفيون (قوله قد للتحقيق) أى لتحقيق ما يحصل فى المستقبل وتزيله منزلة الواقع (قوله فاز المؤمنون) أى ظفروا (١٠٥) بمقصودهم ونجوا من كل مكروه

قال تعالى - فمن زحزح عن النار وأدخل الجنة فقد فاز - والمؤمنون جمع مؤمن وهو المصدق بالله ورسله وملائكته وكتبه واليوم الآخر والقدر خيره وشره حلوه وصره (قوله خاشعون) أى ظاهرا وباطنا فالحشوع الظاهرى التمسك بأداب الصلاة كعدم الالتفات والعبث وسبق الامام ووضع اليد فى الحاصرة وغير ذلك ، والحشوع الباطنى استحضار عظمة الله وعدم التفكير بديوى ، وقدم الصلاة

منصوب بئزج الخافض الكاف (إبراهيم) حطف بيان (هو) أى الله (سَمِعَكُمْ الْمُسْلِمِينَ مِنْ قَبْلُ) أى قبل هذا الكتاب (وفى هذا) أى القرآن (لِيَكُونَ الرَّسُولُ شَهِيدًا عَلَيْكُمْ) يوم القيامة أنه بلغكم (وَتَكُونُوا) أتم (شُهَدَاءَ عَلَى النَّاسِ) أن رسلكم بلغتهم (فَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ) داوموا عليها (وَآتُوا الزَّكَاةَ وَاعْتَصِمُوا بِاللَّهِ) ثقوا به (هُوَ مَوْلَاكُمْ) ناصركم ومتولى أموركم (فَنِعْمَ الْمَوْلَى) هو (وَنِعْمَ النَّصِيرُ) أى الناصر لكم .

(سورة المؤمنون)

مكية ، وهى مائة وثمان أو تسع عشرة آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - قَدْ) لتحقيق (أُنْفِخَ) فاز (الْمُؤْمِنُونَ . الَّذِينَ هُمْ فِي صَلَاتِهِمْ خَاشِعُونَ) متواضعون (وَالَّذِينَ هُمْ عَنِ اللَّغْوِ) من الكلام وغيره (مُعْرِضُونَ . وَالَّذِينَ هُمْ لِلزَّكَاةِ فَاعِلُونَ) مؤدون (وَالَّذِينَ هُمْ لِفُرُوجِهِمْ حَافِظُونَ) عن الحرام (إِلَّا عَلَى أَزْوَاجِهِمْ) أى من زوجاتهم (أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) أى السرارى (فَلَهُنَّ غَيْرُ مُلْمِئِينَ) فى إتيانهم (قَمِنْ أَبْتَنَى وَرَاءَ ذَلِكَ) من الزوجات والسرارى ،

لأنها أعظم أركان الدين بعد الشهادتين (قوله والذين هم عن اللغو) المراد به كل ما لا يعود على الشخص منه فائدة فى الدين أو الدنيا كان قولاً أو فعلاً أو مكروهاً أو مباحاً كاللهزل واللعب وضباع الأوقات فيما لا يبنى والتوغل فى الشهوات وغير ذلك مما نهى الله عنه ، وبالجملة فينبئنا للانسان أن يرى ساعياً فى حصة لماده أو دبره لمعاشه و«من حسن إسلام المرء تركه ما لا يعنيه» قوله والذين هم للزكاة) اعلم أن الزكاة تطلق على القدر المخرج كربع الثمر من التقدين والشر أو نصفه من الحرث والشاة من الأربعين وعلى المصدر الذى هو فعل الفاعل فعلى الأول يكون معنى فاعلون مؤدون لأن القدر المخرج لامعنى لفعله وعلى الثانى ففاعلون على بابه (قوله حافظون) أى مانعون (قوله عن الحرام) أى عن كل ما لا يحل وطؤه بوجه من الوجوه (قوله أى من زوجاتهم) أشار بذلك إلى أن على بعض من (قوله أو ما ملكت أيمانهم) عبر بما دون من وإن كان المقام له لأن الاناث ناقصات ولا سيما الأرقاء فبين شبه بالبهايم فى حل البيع والشراء (قوله أى السرارى) جمع سرية بالضم وهى فى الأصل الأمة التى بوئت بيت مأخوذة من السر وهو الجماع أو الاخفاء لأن الانسان كثيراً ما يسترها ويسترها عن حرته أو من السرور لأن مالها يسرها (قوله فانهم غير ملومين) علة للإستثناء . [١٤ - صاوى - ثلاث]

(قوله كالاستمنا باليد) أي فهو حرام عند مالك والشافعي وأبي حنيفة ، وقال أحمد بن حنبل : يجوز بشرط ثلاثة أن يخاف الزنا وأن لا يجد مهر حرة أو ثمن أمة وأن يفعله بيده لا يديه أجنبية أو أجنبية (قوله والذين هم لأماناتهم) أي ما اتهموا عليه من حقوق الخلق كالصلاة والصوم والحج وفعل للعروف والنهي عن المنكر وحقوق الخلق كالودائع والصنائع وأعراض الخلق وهوراتهم (قوله جمعا ومفردا) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وعهدهم) مرادف للأمانات (قوله حافظون) أي غير مضيعين لها (قوله يحافظون) أي يداومون عليها بشروطها وأركانها وآدابها ، ولكون الصلاة عماد الدين وأعظم أركانه ابتداء بها أوصاف المؤمنين وختمها بها (قوله لاغيرهم) أخذ الحصر من وجود ضمير الفصل لأن الجملة المعرفة الطرفين تفيد الحصر وهو إضافي لا حقيقي لأنه ثبت أن الجنة يدخلها الأطفال والمجانين والعصاة الذين ماتوا على الإيمان بعد العفو لقوله تعالى - ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء - أو يقال إن الحصر فيهم حقيق بالنسبة للفردوس وباقي الجنان لمن لم يمت كافرا (قوله الذين يرتون الفردوس) عبر بالارت دون الاستحقاق لأن الارت ملك دائم (قوله ويناسبه ذكر للبدا بعده) أشار بذلك إلى وجه للناسبة بين هذه الآية وما قبلها ، والمعنى أن الآية التي سبقت ذكر فيها للمعاد وما يؤول إليه أمر من انصف بتلك الصفات وهذه الآية ذكر فيها بيان المبدأ وحيث قد بين الآيتين (١٠٦) مناسبة وهذا أتم مما قيل إن هذه الآية جملة مستأنفة لا ارتباط لها

بما قبلها (قوله ولقد خلقنا الإنسان الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى في هذه الآيات من هنا إلى قوله وعلى الفلك تحملون أربعة أنواع من دلائل قدرته تعالى: الأول تعلق الإنسان في أطوار خلقه وهي تسعة آخرها قوله نبعثون . الثاني خلق السموات . الثالث إزال للماء . الرابع منافع الحيوانات وذكر منها أربعة أنواع واللام

كالاستمنا باليد في إيمانهم (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُتَجَاوِزُونَ) إلى ما لا يحل لهم (وَالَّذِينَ هُمْ لِأَمَانَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (وَعَهْدِهِمْ) فيما بينهم ، أو فيما بينهم وبين الله من صلاة وغيرها (رَاعُونَ) حافظون (وَالَّذِينَ هُمْ عَلَى صَلَاتِهِمْ) جمعا ومفردا (يُحَافِظُونَ) يقيمونها في أوقاتها (أُولَئِكَ هُمُ الزَّائِرُونَ) لا غيرهم (الَّذِينَ يَرْتَوُونَ الْفِرْدَوْسَ) هو جنة أعلى الجنان (هُمْ فِيهَا خَالِدُونَ) في ذلك إشارة إلى المعاد ويناسبه ذكر للبدا بعده (وَ) الله (لَقَدْ خَلَقْنَا الْإِنْسَانَ) آدم (مِنْ سُلَالَةٍ) هي من سلالة الشيء من الشيء ، أي استخرجته منه وهو خلاصته (مِنْ طِينٍ) متعلق بسلالة (ثُمَّ جَعَلْنَاهُ) أي الإنسان نسل آدم (نُطْفَةً) منيا (فِي قَرَارٍ مَكِينٍ) هو الرحم (ثُمَّ خَلَقْنَا النُّطْفَةَ عَلَقَةً) دما جامدا (فَخَلَقْنَا الْعُلُقَةَ مُضْغَةً) لما قدر ما يعض (فَخَلَقْنَا الْمُضْغَةَ عِظَامًا فَكَسَوْنَا الْعِظَامَ لَحْمًا) وفي قراءة عظما في الموضعين وخلقنا في المواضع الثلاث بمعنى صيرنا (ثُمَّ أَنْشَأْنَاهُ خَلْقًا آخَرَ) بنفخ الروح فيه (فَتَبَارَكَ اللَّهُ أَحْسَنُ الْخَالِقِينَ)

موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله من سلالة) متعلق بخلقنا (قوله متعلق أي سلالة) أي لأنه بمعنى مسلول (قوله أي الإنسان نسل آدم) أشار للمفسر بذلك إلى أن الضمير يعود على الإنسان لكن لا بالمعنى الأول وحيث في الكلام استخدام ويؤيده قوله تعالى في الآية الأخرى - وبدأ خلق الإنسان من طين ثم جعل نسله من سلالة من ماء مهين - (قوله في قرار مكين) أي في مقر متمكن وصف بذلك لأنه محفوظ لا يطرأ عليه اختلال مع كونه ضيقا (قوله ثم خلقنا النطفة علقه) قيل كانا وقيل جزء منها والباقي بوضع نصفه في موضع تربته والنصف الثاني يوضع في السماء فإذا أراد الله إحياء الخلق من القبور أمطرت السماء منيا فتتلاقى النطفة النازلة من السماء بالنطفة الباقية في الأرض فتوجد الخلائق بينهما وهذا هو حكمة قوله تعالى - كما بدأكم تعودون - (قوله وفي قراءة عظما) أي وهي سبعة أيضا (قوله ثم أنشأناه خلقا آخر) أي من غير توان ، والمعنى حولنا النطفة عن صفاتها إلى صفة لا يحيط بها وصف الواصفين (قوله بنفخ الروح فيه) هذا قول ابن عباس والشعبي والضحاك ، وقيل الخلق الآخر هو خروجه إلى الدنيا ، وقيل خروج أسنانه وشعره ، وقيل كالشبابه والأنثى أنه عام في هذا وغيره من النطق والادراك وتحصيل العقولات وجميع الأمور التي اشتمل عليها بنو آدم من الكمالات الحسية والنفسية التي يشير لها قول بعض العارفين : ونصب أنك جرم صغير وفيك انطوى العالم الأكبر (قوله فتبارك الله) أي تعظم وتزعم قدره .

(قوله للمقدرين) أى للصوريين ودفع بذلك ما يقال إن اسم التفضيل يقتضى المشاركة مع أنه لاخالق غيره . فأجاب بأن اللزوم بالخلق التقدير لا الإيجاد والإيداع والتقدير حاصل من الحوادث (قوله للعالم به) أى من قوله الخالقين فإنه يدل عليه (قوله بعد ذلك) أى من الأمور العجيبة (قوله يوم القيامة) أى عند النفخة الثانية . إن قلت ما حكمة اختلاف التعاطفات يتم والقاء لأنه ورد أن مدة كل طور أو يعون يوما فإن نظر لآخر المدة وأولها اقتضى أن يعطف بهم وإن نظر لآخرها اقتضى أن يعطف بالقاء . أجب بأنه نزل التفاوت بين الأطوار منزلة التراخي والبعد الحسي لأن حصول النطفة من التراب غريب جدا وكذا جعلها مما يختلف جعل الدم لها فهو قريب لمشابهته له في اللون أو الصورة وكذا جعلها عظما وأما جعلها خلقا آخر فغريب وكذا الموت والبعث فظهر حكمة التعبير في كل موضع بما يناسبه (قوله ولقد خلقنا فوقكم) المراد به جهة العلو لأن كونها فوق إنما هو بعد خلق الخلق وإلا فوقت خلق السموات لم يكونوا مخلوقين (قوله لأنها طرق الملائكة) أى في العروج والمهبوط والطيران ، وقيل معنى طرائق مطروقات أى موضوعا بعضها فوق بعض فهو معنى طباقا في الآية الأخرى (قوله وأنزلنا من السماء) الجار والمجرور متعلق بأنزلنا (قوله بقدر) أى تقدير بحجب منافعهم ودفع مضارهم ، وقيل للمنى بقدر حاجاتهم وإليه يشير المفسر (قوله فأسكنناه في الأرض) أى جعلناه ساكننا ثابتا مستقرا (١٠٧) في الأرض بعضه على ظهرها وبعضه

في بطنها (قوله وإنا على ذهاب به لقادرون) الباء في به لاتعدية ، والمعنى وإنا لقادرون على إذهابه . روى الشيخان عن ابن عباس عن النبي صلى الله عليه وسلم قال «إن الله عز وجل أنزل من الجنة خمسة أنهار سيعون وجيحون ودجلة والفرات والنيل أنزلها الله عز وجل» من عين واحدة من عيون الجنة من أسفل درجة من درجاتها على جناحي جبريل استودعها

أى المقدرين ومميز أحسن محذوف للعلم به ، أى خلقنا (ثم إنكم بعد ذلك لمتون) ثم إنكم يوم القيامة تبعثون للحساب والجزاء (ولقد خلقنا فوقكم سبع طرائق) أى سبع سموات جمع طريقة لأنها طرق للملائكة (وما كنا عن الخلق غافلين) أن تسقط عليهم قهلكم بل نمسكها كآية «ويعسك السماء أن تقع على الأرض» (وأنزلنا من السماء ماء بقدر) من كفايتهم (فأسكنناه في الأرض وإنا على ذهاب به لقادرون) فيموتون مع دوابهم عطشا (فأنشأنا لكم به جنات من نخيل وأعقاب) ما أكثر فواكه العرب (لكم فيها فواكه كثيرة ومنها تأكلون) صيفا وشتاء (وأنشأنا شجرة تخرج من طور سيناء) جبل بكسر السين وفتحها ومنع الصرف للعلمية والتأنيث للبقعة (تنبت) من الرباعي والثلاثي (بالدهن) الباء زائدة على الأول ومعديّة على الثاني ، وهى شجرة الزيتون (وصيغ للآكلين) عطف على الدهن أى إدام يصنع اللقمة بنفسها فيه وهو الزيت ،

الجبال وأجراها في الأرض وجعل فيها منافع للناس فذلك قوله تعالى وأنزلنا من السماء ماء بقدر فأسكنناه في الأرض فإذا كان عند خروج يأجوج ومأجوج أرسل الله عز وجل جبريل فرفع من الأرض القرآن والعلم كله والحجر الأسود من ركن البيت ومقام إبراهيم وتابوت موسى بما فيه وهذه الأنهار الخمسة فيرفع ذلك إلى السماء فذلك قوله تعالى وإنا على ذهاب به لقادرون فإذا رفعت هذه الأشياء كلها من الأرض فقد أهلها خير الدنيا والدين (قوله لكم فيها) أى الجنات (قوله ومنها) أى من ثمر الجنات كالزيت والعب والتمر والزبيب وغير ذلك (قوله وشجرة تخرج من طور سيناء) المراد بها شجرة الزيتون وخضت بسيناء لأن أصلها منه ثم نقلت وهى أول شجرة نبقت في الأرض بعد الطوفان وتبقى في الأرض كثيرا حتى قيل إنها تعمر ثلاثة آلاف سنة (قوله سيناء) قيل معناه المبارك أو الحسن أو اللطيف بالأشجار وهو الجبل الذى نودى عليه موسى (قوله منع الصرف للعلمية والتأنيث) أى وقيل للعلمية والعجمة لأنه اسم أعجمي نطقت به العرب فاختلفت فيه لأنهم قالوا سيناء بكسر السين وفتحها وسينين فهو علم مركب كأمري القيس ومنع من الصرف وإن كان جزء علم نظرا إلى أنه عومل معاملة العلم (قوله والتأنيث للبقعة) أى والهمزة فيه ليست للتأنيث بل للحال بقراطس وهى متقلبة عن ياء أو واو لوقوعها متطرفة بعد ألف زائدة (قوله من الرباعي والثلاثي) أى فهما قراءتان سبعيتان .

(قوله وإن لكم في الأنعام لعبرة) عبر في جانب الأنعام بالعبرة دون الثبات لأن العبارة فيها أظهر (قوله مما في بطونها) عبر بلفظ الجمع هنا لأن المراد هنا العموم بدليل العطف بقوله ولكم فيها منافع الخ وذكر الضمير في التحمل باعتبار البعض فإن المراد خصوص الاناث بدليل الاختصار على اللين (قوله أي الإبل) خصها لأنها المحمول عليها غالباً ويصح عوده على الأنعام لأن منها ما يحمل عليه أيضاً كالغنم (قوله ولقد أرسلنا نوحاً إلى قومه) شروع في ذكر خمس قصص غير قصة خلق آدم فتكون ستاً : الأولى قصة نوح . الثانية قصة هود . الثالثة قصة القرون الآخرين . الرابعة قصة موسى وهرون . الخامسة قصة عيسى وأمه ، والقصود منه اطلاع الأمة الحميدة على أحوال من مضى ليقتدوا بهم في الحصال الرضية ويقباعدوا عن خصالهم الذمومة ، ونوح لقبه واسمه قيل عبد الغفار وقيل عبد الله وقيل يشكر وعاش من العمر ألف سنة وخمسين لأنه أرسل على رأس الأربعمائة ومكث يدعو قومه ألف سنة إلا خمسين وعاش بعد الطوفان ستين سنة وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله مالكم من إله غيره) بمنزلة التعليل لما قبله (قوله وهو اسم ما) أي قوله إله ، وأما لفظ غيره فيصح فيه الرفع إتباعاً لـلـه والجـر إتباعاً للفظه قراءتان سبعيتان (١٠٨) (قوله وما قبله الخبر) أي وهو الجار والمجرور وما مضى عليه للمفسر طريقة

(وَإِنَّ لَكُمْ فِي الْأَنْعَامِ) أي الإبل والبقر والغنم (لَعِبْرَةً) عظة تعتبرون بها (نَسْقِيكُمْ) بفتح النون وضمها (بِمَا فِي بَطُونِهَا) أي اللين (وَلَكُمْ فِيهَا مَنَافِعُ كَثِيرَةٌ) من الأصواف والأوبار والأشعار وغير ذلك (وَمِنْهَا تَأْكُلُونَ) وَعَلَيْهَا (أي الإبل) (وَعَلَى الْفَلَكَ) أي السفن (تُحْمَلُونَ) وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ (أطيعوه ووخدوه) (مَالَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ) وهو اسم ما وما قبله الخبر ومن زائدة (أَفَلَا تَتَّقُونَ) تخافون عقوبته بعبادتكم غيره (فَقَالَ الْمَلَأُ الَّذِينَ كَفَرُوا مِنْ قَوْمِهِ) لأتباعهم (مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ يُرِيدُ أَنْ يَتَفَضَّلَ) يتشرف (عَلَيْكُمْ) بأن يكون متبوعاً وأتم أتباعه (وَلَوْ شَاءَ اللَّهُ) أن لا يعبد غيره (لَأَنْزَلْنَا مَلَائِكَةً) بذلك لا بشراً (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا) الذي دعا إليه نوح من التوحيد (فِي آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ) أي الأمم الماضية (إِنْ هُوَ) أي مانوح (إِلَّا رَجُلٌ يَدْعُو إِلَى جَنَّةٍ) حالة جنون (فَتَرَبَّصُوا بِهِ) انتظروه (حَتَّى حِينٍ) إلى زمن موته (قَالَ) نوح (رَبِّ انصُرْنِي) عليهم (بِمَا كَذَّبُونِ) أي بسبب تكذيبهم إياي بأن تهلكهم، قال تعالى مجيباً دعاه (فَأَوْحَيْنَا إِلَيْهِ أَنْ اصْنَعْ الْفُلَ) السفينة (بِأَعْيُنِنَا) برأى منا وحفظنا (وَوَحَيْنَا) أمرنا ،

ضعيفة للنجاة وهي جوارز أعمال ما عند مخالفة الترتيب بين خبرها واسمها إذا كان الخبر ظرفاً أو جاراً ومجروراً والشهور إجمالها حينئذ فكان المناسب أن يقول وهو مبتدأ مؤخر وما قبله الخبر (قوله أفلا تتقون) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهاتم فلا تتقون (قوله فقال لنأ) أي الاشراف . وحاصل ما ذكره خمس مقالات : الأولى ما هذا إلا بشر مثلكم . الثانية ولو شاء

الله لأنزل ملائكة . الثالثة ما سمعنا بهذا في آباءنا الأولين .

(قذا)

الرابعة إن هو إلا رجل به جنة . الخامسة فتر بصوابه حتى حين ، ولكونها ظاهرة الفساد لم يتعرض لردّها (قوله بأن يكون متبوعاً) أي بادعاء الرسالة (قوله أن لا يعبد غيره) أشار بذلك إلى أن مفعول المشيئة محذوف (قوله بذلك) أي بأن لا يعبد غيره (قوله لا بشراً) أي لأن الملائكة لشدة سطوتهم وعلو شأنهم ينقاد الخلق إليهم من غير شك فلما لم يفعل ذلك علمنا أنه ما أرسل رسولاً (قوله حالة جنون) أي ففعله بالكسر للهيبة . قال ابن مالك : * وفعله لهيئة كجسه * (قوله إلى زمن موته) أي فسكانوا يقولون لبعضهم أصبروا فإنه إن كان نبياً حقاً فله ينصره ويقوى أمره وإن كان كاذباً فله يبطل أمره ففسرجه منه أو المراد بالحين الزمان الذي تظهر فيه العواقب فلنرى انتظروا عاقبة أمره فإن أفاق وإلا فاقتلوه (قوله قال رب انصُرْنِي) أي قال ذلك بعد أن أيس من إيمانهم (قوله أن اصنع الفلك) أن مفسرة لوقوعها بعد جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله بأعيننا) حال من الضمير في اصنع وجمع الأعين للبالغة (قوله برأى منا وحفظنا) أشار بذلك إلى أن في الآية مجازاً مرسل لأن شأن من نظر إلى الشيء بعينه حفظه فأطلق اللازم وأريد الملزوم (قوله ووحينا) أي تعليمنا فإن الله أرسل إليه جبريل فعلمه صنعها ، وصنعها في عامين وجعل طولها ثمانين فراساً وعرضها خمسة مائة فراساً ثلاثين والفراس إلى المكعب وهذا أشهر الروايات

وقيل غير ذلك ، وقد تقدم في هود وجعلها ثلاث طباق السفلى للسباع والحوام والوسطى للدواب والأنعام والعليا للانس (قوله فاذا جاء أمرنا) أى ابتداء ظهوره (قوله وفار التنور) عطف بيان لجيء الأمر . روى أنه قيل له عليه الصلاة والسلام « إذا فار الماء من التنور فاركب أنت ومن معك » وكان تنور آدم عليه السلام من حجر تخبز فيه حواء فصار إلى نوح فلما نبع منه الماء أخبرته امرأته فركبوا . واختلف في مكانه فقيل كان بمسجد الكوفة على عيين الداخل مما يلي باب كندة اليوم ، وقيل كان في عين وردة من الشام (قوله علامة لنوح) أى على ركب السفينة (قوله من كل زوجين) أى غير البشر لما يأتى أنه أدخل فيها من البشر سبعين أو ثمانين (قوله وغيرهما) أى من كل ما يلد أو يبيض بخلاف ما يتولد من العفونات كالديدن والبق فلم يحمله فيها (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله) (١٠٩) بالتثنية أى حذف ما أضيف إليه كل وعوض عنه التثنية

(قوله أى زوجته) أى المؤمنة لأنه كان له زوجتان إحداهما مؤمنة فأخذها معه في السفينة والأخرى كافرة تركها وهى أم ولده كنعان (قوله وهو زوجته) أى الكافرة (قوله بخلاف سام) أى وهو أبو العرب وحام هو أبو السودان وياث هو أبو الترك (قوله ستة رجال) أى فالجملة اثنا عشر (قوله بترك إهلاكهم) متعلق بتخاطبى (قوله إنهم مغرقون) أى يحكم عليهم بالفرق (قوله وإهلاكهم) أى ونجنا من إهلاكهم (قوله وقل رب أنزلنى إلح) العبرة بمعوم اللفظ فهذا الدعاء يبنى قراءته لكل من

(فَإِذَا جَاءَ أَمْرُنَا) يَاهْلَاكُم (وَفَارَ التَّنُّورُ) للخباز بالماء وكان ذلك علامة لنوح (فَاسْلُكْ فِيهَا) أى أدخل في السفينة (مِنْ كُلِّ زَوْجَيْنِ) أى ذكر وأنثى ، أى من كل أنواعهما (اثْنَيْنِ) ذكرًا وأنثى وهو مفعول ومن متعلقة بأسلك ، وفى القصة أن الله تعالى حشر لنوح السباع والطير وغيرهما فجعل يضرب بيديه فى كل نوع فتقع يده اليمنى على الذكر واليسرى على الأنثى فيحصلهما فى السفينة . وفى قراءة كل بالتثنية فزوجين مفعول واثنين تأ كيد له (وَأَهْلَاكَ) أى زوجته وأولاده (إِلَّا مَنْ سَبَقَ عَلَيْهِ الْقَوْلُ مِنْهُمْ) بالإهلاك وهو زوجته وولده كنعان بخلاف سام وحام وياث فحملهم وزوجاتهم ثلاثة وفى سورة هود « وَمَنْ آمَنَ وَمَا آمَنَ مَعَهُ إِلَّا قَلِيلٌ » قيل كانوا ستة رجال ونساءهم ، وقيل جميع من كان فى السفينة ثمانية وسبعون نصفهم رجال ونصفهم نساء (وَلَا تُخَاطِبُنِي فِي الَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا بترك إهلاكهم (إِنَّهُمْ مُغْرَقُونَ . فَإِذَا أَسْتَوَيْتَ) اعتدلت (أَنْتَ وَمَنْ مَعَكَ عَلَى الْفُلِكِ قُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِى نَجَّيْنَا مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) الكافرين وإهلاكهم (وَقُلْ) عند نزولك من الفلك (رَبِّ أَنْزِلْنِى مُنْزَلًا) بضم الميم وفتح الزاى مصدر أو اسم مكان و بفتح الميم وكسر الزاى مكان النزول (مُبَارَكًا) ذلك الانزال أو المكان (وَأَنْتَ خَيْرُ الْمُنْزِلِينَ) ما ذكر (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور من أمر نوح والسفينة وإهلاك الكفار (لآيَاتٍ) دلالات على قدرة الله تعالى (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها ضمير الشأن (كُنَّا لَمُبْتَلِينَ) مختبرين قوم نوح بإرساله إليهم ووعظه (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا) قومًا (آخَرِينَ) هم عاد ،

نزل محلا يريد الإقامة فيه (قوله عند نزولك من الفلك) أى حين استوت على الجودى وكان يوم عاشوراء وابتداء ركوبه السفينة كان لعشر خلون من رجب فكان مكثهم فى السفينة ستة أشهر (قوله بضم الميم) أى فهما قراءتان سبعيتان وظاهره أن الوجهين على قراءة ضم الميم وليس كذلك بل كل من الوجهين يتأتى على كل من القراءتين (قوله مباركاً ذلك الانزال) تفسير للضمير فى مباركاً والوجهان لكل من الضم والفتح (قوله وإن كنا لمبتلين) إن مخففة واللام فارقة ، والمعنى وإنا كنا معاملين قوم نوح معاملة المختبر لنظروا هل يطيعونه ويتعظون بوعظه (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم نوح (قوله قرنا) أى قوما سوا بذلك لأن بعضهم متعبرن ببعض فى الزمان (قوله هم عاد) اسم قبيلة أرسل إليها هود وأما ذكره المفسر من أن المراد بالقرن عاد والرسول هود هو ما عليه أكثر المفسرين ويشهد له مجيء قصة هود عقب قصة نوح فى الأعراف وهود والشعراء . وخير ما فسرته بالوارد . ولا يشكل على هذا قوله فى آخر القصة : فأخذتهم الصيحة الموم أن القرن هود وأن الرسول صالح لأنه يقال المراد بالصيحة صيحة الريح أو شدة صوته

(قوله فأرسلنا فيهم) أى فى القرن وإمّا جعل القرن موضع الإرسال ليدل على أنه لم يأت من مكان غير مكانهم (قوله رسولا منهم) أى من جنسهم وقبيلتهم لأن هودا بن عبد الله بن رباح بن الحارث بن عاد بن عوص بن إرم بن سام بن نوح وهم ينسبون لعاد وتقدم ذلك فى هود (قوله بأن أهدوا) أشار بذلك إلى أن مصدرية ويصح جعلها تفسيرية لتقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه لأن أرسلنا بمعنى قلنا (قوله وقال للآل) عطف على ما قبله وآتى بالواو إشارة إلى تباين الكلامين بخلاف ما فى الأعراف وهود فانه فى جواب سؤال مقتر ولذا ترك الواو (قوله الذين كفروا) وصف محض لأن قومه بعضهم آمن وبعضهم كفر (قوله وأترفناهم فى الحياة الدنيا) أى أعطيناهم ملكا عظيما قال تعالى مذكرا لهم بهذه النعم على لسان نبيهم - أهداكم بأنعام وبنين وجنات وعيون - (قوله ما هذا إلا بشر مثلكم) هذه شبهة أولى تنتهى لقوله: لخاسرون. والثانية إنكارهم البعث وتنتهى لقوله بمبعوثين وأهل الجواب عنهما لفسادها وركاكتها (قوله ويشرب مما تشربون) أى منه لحذف العائد لاستكمال الشروط التى أشار إليها ابن مالك بقوله: كذا الذى جربها الموصول جرب كمر بالذى مررت فهو ير (قوله ولئن أطعتم) اللام موطئة لقسم محذوف قدره المفسر بقوله والله (قوله والجواب لأولهما) أى على القاعدة التى ذكرها ابن مالك بقوله: (١١٠) واحذف لى اجتماع شرط وقسم جواب ما أخرت فهو ملتزم

(فَأَرْسَلْنَا فِيهِمْ رَسُولًا مِنْهُمْ) هوداً (أَنْ) أى بآن (أَعْبُدُوا اللَّهَ مَا لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرُهُ أَفَلَا تَتَّقُونَ) عقابه فتؤمنون (وَقَالَ الْمَلَأُ مِنْ قَوْمِهِ الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا الْآخِرَةِ) أى بالمصير إليها (وَأَتْرَفْنَاهُمْ) نعمناهم (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا مَا هَذَا إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُكُمْ بَأْسًا كُلِّ مِمَّا تَأْكُلُونَ مِنْهُ وَيَشْرَبُ مِمَّا تَشْرَبُونَ . وَ) الله (لَئِنْ أَطَعْتُمْ بَشَرًا مِثْلَكُمْ) فيه قسم وشرط والجواب لأولهما وهو من عن جواب الثانى (إِنْ كُنْتُمْ إِذَا) أى إذا أطعتموه (لَخَاسِرُونَ) أى مغبونون (أَيْدِيَكُمْ أَنْتُمْ إِذَا مِتُّمْ وَكُنْتُمْ تُرَابًا وَعِظَامًا أَنْتُمْ مُخْرَجُونَ) هو خبر أنكم الأولى وأنكم الثانية تأكيد لما طال الفصل (هَيْهَاتَ هَيْهَاتَ) اسم فعل ماض بمعنى مصدر أى بعد بعد (لِمَا تُوعَدُونَ) من الإخراج من القبور واللام زائدة للبيان (إِنْ هِيَ) أى ما الحياة (إِلَّا حَيَاتُنَا الدُّنْيَا نَمُوتُ وَنَحْيَا) بحياة أبنائنا (وَمَا نَحْنُ بِمَبْعُوثِينَ . إِنْ هُوَ) أى ما الرسول (إِلَّا رَجُلٌ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا وَمَا نَحْنُ لَهُ بِمُؤْمِنِينَ) أى مصدقين فى البعث بعد الموت (قَالَ رَبِّ انصُرْنِي

ولا يصلح أن يكون جوابا للشرط لعدم وجود الفاء (قوله إنكم إذا الخ) الكاف اسم إن وخاسرون خبرها واللام للابتداء زحلق للخبير وإذا لتأكيد مضمون الشرط ولذا قال المفسر إذا أطعتموه (قوله أيعدكم) استفهام لتقرير ما قبله (قوله أنكم مخرجون) أى من القبور أو من العدم إلى الوجود تارة أخرى (قوله تأكيد لها)

بما

أى تأكيد لفظي (قوله اسم فعل ماض) اختلف فى اسم الفعل فقيل معناه لفظ الفعل

وعليه فهو مبنى على الفتح لأجل أنه من الأعراب والثانى توكيد له واللام زائدة وما اسم موصول فاعله وتوعدون صلته أو اللام للبيان والفاعل مستتر فيه، والمعنى بعد وقوع خروجنا من القبور، وقيل معناه المصدر وعليه فهو مبتدأ فى محل رفع والثانى توكيد له ولما توعدون متعلق بمحذوف خبر المبتدأ فاللام ليست زائدة إذا علمت ذلك فكلام المفسر رضى الله عنه فى غاية الإجمال لأن قوله اسم فعل ماض أحد قولين وقوله بمعنى مصدر هو القول الثانى وقوله أى بعد بعد يصح أن يقرأ بلفظ الفعل فيكون تفسيراً للفعل للماضى أو بلفظ المصدر فيكون تفسيراً للمصدر وقوله واللام زائدة ظاهرة على كل من القولين وليس كذلك بل هى زائدة على كون المراد به لفظ الفعل والموصول فاعل لآعلى كونها للبيان ولاعلى كونه مصدرا وقوله للبيان هذا قول ثان فكان المناسب أن يأتى بأو وترك التفرع على المصدر وتقدم أنها ليست زائدة بل متعلقة بمحذوف خبر، وفى هذه اللفظة لغات كثيرة تزيد على الأربعين والمشهور منها ستة عشر وهى هيات بفتح التاء وضمها وكسرهما وفى كل مع التنوين وبدونه وهيات بأسكان التاء أو إبدالها هاء ساكنة وفى كل من الثمان إما بالهاء أولا أو إبدالها همزة وقرئ بالجميع لكن للتواتر القراءة الأولى وهى التفتح من غير تنوين (قوله أى ما الحياة) أشار بذلك إلى أن إن نافية والضمير عائد على الحياة (قوله بحياة أبنائنا) جواب عما يقال إن فى قولهم ونحيا اهترافا بالبعث مع كونهم منكربين له. فأجلب بأن المراد ونحيا أبنائنا بعد موتنا.

(قوله بما كذبون) أى بسبب تكذيبهم إياى (قوله صيحة العذاب والمهلك) جواب عما يقال إن الصيحة كانت عذاب قوم صالح لا قوم هود (قوله كاذبة بالحق) أى الندل فيهم وأشار بذلك إلى أن الجار والمجرور متعلق بمحذوف حال من الصيحة (قوله غشاء) مفعول ثان لجعلنا (قوله وهو نبت ييس) الأوضح أن يقول وهو العشب إذا ييس (قوله فبعدا للقوم الظالمين) بعدا مصدر بدل من لفظ الذل والأصل بعدوا بعدا واللام إما متعلقة بمحذوف لبيان أو يبعدا وهو إخبار أودعاء عليهم (قوله ثم أنشأنا من بعدهم) أى من بعد قوم هود ونوح وقوله قرونا آخرين أى كقوم صالح وإبراهيم ولوط وشعيب (قوله من أمة) أى جماعة (قوله وما يستأخرون) أى لا يتأخرون عنه ، وللقصود من هذه الآية التقرير والتخويف لأهل مكة كأنه قال لا تنتروا بطول الأمل فإن للظالم وقتا يؤخذ فيه لا يتقدم عليه ولا يتأخر عنه (قوله بعد تأنيثه) أى في قوله أجلها الراجع إلى أمة وقوله رعاية للمنى أى لأن أمة بمعنى قوم (قوله تراء) التاء مبدلة (١١١) من واو وأصله تراء وهو مصدر على التحقيق ومعناه

على التحقيق ومعناه التابعة مع مهلة ، وقيل التابعة مطلقا وإن لم تكن مهلة ولكن الآية تفسر بالأول لأنه الواقع (قوله بالتثنية وعدمه) أى فوصفا قراءتان سبعيتان فمن تون قال إن ألفه للأحق بجعفر كعلقى فلما تون ذهبت ألفه لالتقاء الساكنين ومن لم ينون قال إن ألفه للتأنيث كدعوى (قوله وتسهيل الثانية الخ) أى فينطق بها متوسطة بين الهزمة والواو وهما قراءتان سبعيتان (قوله وجعلناهم أحاديث) جمع أحادثة كأعجوبة وأضحوكة : ما يتحدث به

بِمَا كَذَّبُوا . قَالَ عَمَّا قَلِيلٍ) من الزمان وما زائدة (لَيُصْبِحُنَّ) ليصبحن (نَادِمِينَ) على كفرهم وتكذيبهم (فَأَخَذْتَهُمُ الصَّيْحَةُ) صيحة العذاب والمهلك كاذبة (بِالْحَقِّ) فأتوا (فَجَعَلْنَاهُمْ غُشَاءً) وهو نبت ييس أى صيرناهم مثله فى اليبس (فَبَعْدًا) من الرحمة (لِلْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) المكذبين (ثُمَّ أَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قُرُونًا) أقواما (آخَرِينَ . مَا تَشِيقُ مِنْ أُمَّةٍ أَجَلَهَا) بأن تموت قبله (وَمَا يَسْتَأْخِرُونَ) عنه ذكر الضمير بعد تأنيثه رعاية للمنى (ثُمَّ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا تَتْرًا) بالتثنية وعدمه أى متتابعين بين كل اثنين زمان طويل (كُلَّمَا جَاءَ أُمَّةٌ) بتحقيق الممرتين وتسهيل الثانية بينها وبين الواو (رُسُلًا كَذَّبُوهُ فَاتَّبَعْنَا بِمُفَضَّا) فى الملاك (وَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ فَبِمَدَّ الْقَوْمِ لَيُؤْمِنُونَ . ثُمَّ أَرْسَلْنَا مُوسَى وَأَخَاهُ هَارُونَ بِآيَاتِنَا وَسُلْطَانٍ مُبِينٍ) حجة بينة ، وهى اليد والمصاوغيرها من الآيات (إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ فَاسْتَكْبَرُوا) عن الإيمان بها وبالله (وَكَانُوا قَوْمًا ظَالِمِينَ) قاهرين بنى إسرائيل بالظلم (فَقَالُوا أَنُؤْمِنُ لِبَشَرَيْنِ مِثْلِنَا وَقَوْمُهُمَا لَنَا عَابِدُونَ) مطيعون خاضعون (فَكَذَّبُوهُمَا فَكَانُوا مِنَ الْمُهْلَكِينَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (لَعَلَّهُمْ) أى قومه بنى إسرائيل (يَهْتَدُونَ) به من الضلالة ، وأوتينا بعد هلاك فرعون وقومه جملة واحدة (وَجَعَلْنَا ابْنَ مَرْيَمَ) عيسى (وَأُمَّةً آيَةً) لم يقل آيتين لأن الآية فيهما واحدة ولادته من غير غل (وَآوَيْنَاهُمَا إِلَى رَبْوَةٍ) مكان مرتفع ،

عجبا ونسليا ولا يقال ذلك إلا فى الشر ولاية ل فى الخير (قوله فبعدا لقوم لا يؤمنون) بعدا منصوب بمحذوف أى بعدوا عن رحمتنا بعدا لا يزول (قوله بآياتنا) أى التسع وهى المصا واليد والسنون المجدبة والطمس والطوفان والجراد والقمل والضفادع والهم (قوله وسلطان مبين) عطف مرادف إشارة إلى أن المعجزات كما تسمى بالآيات تسمى بالسلطان أيضا (قوله وغيرها) أى من باقى التسع (قوله لبشرين مثلنا) أفرد مثل لأنه يجرى مجرى المضارع فى الأفراد والتذكير ولا يؤث أصلا (قوله وقومهما لنا عابدون) الجملة حالية (قوله فكانوا من المهلكين) أى من جملة من هلك (قوله أى قومه بنى إسرائيل) أشار بذلك إلى أن الضمير فى لعلمهم راجع لقوم موسى لانهرون وقومه لأن التوراة إنما جاءه بعد هلاك فرعون وقومه (قوله جملة واحدة) إما راجع لقوله وأوتينا أو راجع لهلاك فرعون وقومه (قوله لأن الآية فيهما واحدة) أى لأن ولادته من غير أب أمر خارق للعادة فيصح نسبته لها وله (قوله وآويناها إلى ربوة) سبب ذلك أن ملك ذلك الزمان كان أراد أن يقتل هيسى عليه السلام فهربت به أمه إلى تلك الربوة ومكثت بها اثنتى عشرة سنة حتى هلك ذلك الملك .

(قوله وهو بيت المقدس) هو أعلى مكان من الأرض لأنه يزيد على غيره في الارتفاع ثمانية عشر ميلا فهو أقرب البقاع إلى السماء (قوله ومعين) اسم مفعول منعان يعين فهو معين وأصله معيون كعبود استغلت الضمة على الياء غذفت فالتقى ساكنان حذفت الواو لالتقاء الساكنين وكسرت العين لتصح الياء (قوله يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) خطاب لجميع الرسل على وجه الاجمال ، فليس المراد أنهم خطبوا بذلك دفعة واحدة ، بل المراد خطب كل رسول في زمانه بذلك بأن قيل مثلا لكل رسول : كل من الطيبات واحمل صالحا إلى بما تعمل عليهم ، وحكمة خطاب النبي بها على سبيل الاجمال التشجيع على رهباني النصارى حيث يزعمون أن ترك المستغلات مقرب إلى الله فرد الله عليهم بأن المداير على أكل الحلال وفعل الطاعات (قوله الحلالات) أى مستغلات أم لا (قوله واحملوا صالحا) أى شكرا على تلك النعم لتزدادوا بها قربا من ربكم (قوله فأجازيكم عليه) أى إن خيرا غير وإن شرا فثأرا لآية فيها ترغيب وترهيب (قوله واعلموا أن هذه أممكم) قرر للفم لفظ اعلموا إشارة إلى أن أن فتح الهمزة معمولة (١١٢) لحذف وهذه اسمها وأممكم خبرها وأمة حال وواحدة صفة له (قوله دينكم)

وهو بيت المقدس أو دمشق أو فلسطين أقوال (ذات قرار) أى مستوية يستقر عليها ساكنوها (ومعين) أى ماء جار ظاهر تراه الميرون (يا أيها الرسل كلوا من الطيبات) الحلالات (وأعملوا صالحا) من فرض ونقل (إني بما تعملون علم) فأجازيكم عليه (و) اعلموا (أن هذه) أى ملة الإسلام (أممكم) دينكم أيها المخاطبون ، أى يجب أن تكونوا عليها (أمة واحدة) حال لازمة ، وفي قراءة بتخفيف التون وفي أخرى يكسرهما مشددة استنفا (ولأننا ربكم فاقنن) فاحذرون (فتمطموا) أى الاتباع (أممهم) دينهم (ينهم زبرا) حال من فاعل تقطعوا ، أى أحزابا متخالفين كاليهود والنصارى وغيرهم (كل حزب بما لديهم) أى عندهم من الدين (فرحون) مسرورون (فذرهم) أى اترك كفار مكة (في غمرتهم) ضلاتهم (حتى حين) أى حين موتهم (أيمسبون أنما نمدهم به) نعطيهم (من مال وبنين) في الدنيا (نسارع) نجعل (لهم في الخيرات) لا (بل لا يشعرون) أن ذلك استدراج لهم (إن الذين هم من خشية ربهم) خوفهم منه (مشفقون) خائفون من عذابه (والذين هم بإيات ربهم) القرآن (يؤمنون) يصدقون (والذين هم برهم لا يشعرون) معه غيره (والذين يؤمنون) ،

أشار بذلك إلى أن المراد بالأمة الدين ، والمراد به العقائد لأنها التي اتحدت في جميع الشرائع ، وأما الأحكام الفرعية فقد اختلف باختلاف الشرائع (قوله وفي قراءة بتخفيف التون) أى والهمزة مفتوحة والفاعل مقتركا في الشدة واسمها ضمير الشأن وهذه أممكم مبتدأ وخبر والجملة خبر أن (قوله استنفا) أى فهو إخبار من الله بأن جميع الشرائع متفقة الأصول والقراآت الثلاث سبعيات (قوله فاقنن)

يعنون

أى افعلوا ما أمرتكم به واتركوا ما نهيتكم عنه (قوله فتمطموا)

أمرهم) أى جعلوا دينهم مفرقا ، فذلك صاروا فرقا مختلفة كاليهود والنصارى والمجوس وغير ذلك من الأديان الباطلة (قوله زبرا) جمع زبور بمعنى فريق (قوله فرحون) أى لاعتقادهم أنهم على الحق (قوله فذرهم) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم والضمير لكفار مكة كما أشار لذلك المفسر وهو تسليية له (قوله في غمرتهم) مفعول ثان لقوم : أى مستقرين فيها ، والغمرة في الأصل الماء الذي يضرر القامة ثم استعير ذلك للجهالة ، والغم بالضم يقال لمن يجرب الأمور ، والغم بالكسر الحقد (قوله من مال وبنين) بيان لما (قوله بل لا يشعرون) إضراب انتقالي : أى لا يعلمون أن نوسعة الدنيا ليست ناشئة من الرضا عليهم بل استدراج لهم ، قال تعالى - إنما على لهم ليزدادوا إثمًا - (قوله إن الذين هم) الذين اسم إن وهم مبتدأ ومشفقون خبره ومن خشية ربهم متعلق بمشفقون ، وكذا يقال فيها بعده (قوله مشفقون) الاشتقاق الحرف مع زيادة التعظيم فهو أعلى من الخشية ، وهذه الأوصاف متلازمة من انصف بواحد منها لزم منه الانصاف بالباقي (قوله القرآن) أى وغيره من باقي الكتب السماوية .

(قوله يعذون) أشر بذلك إلى أن قوله يؤثرون من الإتياء وهو الأعطاء (قوله وللوهم وجلة) الجملة حالية من فاعل يؤثرون : أى والحال أن قلوبهم خائفة من عدم قبول أعمالهم الصالحة لما قام بقلوبهم من جلال الله وهيئته وعزته واستنفائه ، ولذا ورد عن أبي بكر الصديق أنه قال : لا آمن مكر الله ولو كانت إحدى قدي داخل الجنة والأخرى خارجها وكان كثير البكاء من خشية الله حتى أثرت الدموع في خديه (قوله يقدر قبله لام الجر) أى فيكون تعليلا لقوله وجلة (قوله أولئك يسارعون في الخيرات) هذه الجملة خبر عن قوله - إن الدين هم من خشية ربهم - وما عطف عليه فاسم إن أربع موصولات وخبرها جملة أولئك الخ (قوله وهم لها سابقون) الضمير قبل الخيرات ، وقيل للجنة ، وقيل للسعادة ، وقوله في علم الله : أى كتبوا سابقين في علم الله فظهر فيهم مقتضى سابقة العلم (قوله ولا تكلف نفسا إلا وسعها) أى فضلا منه سبحانه وتعالى وإلا فلا يستل عما يفعل ، وآتى بهذه الآية عقب أوصاف المؤمنين إشارة إلى أن تلك الأوصاف في طاقة الانسان وكذا جميع التكليف التي افترضها الله على عباده فعلا أو تركا ، وهذا لمن وفقه الله وكشفت عنه الحجب ، وأما المحجوب فيرى التكليف تثميلة يشق عليه تعاطيها. قال بعض العارفين : إذا رجع الحجاب فلا ملالة لتكليف الإله ولا مشقة (١١٣) (قوله عندنا) أى عندية رتبة

ومكانة واختصاص (قوله ينطق بالحق) أى يبين أعمال العباد خيرها وشرها (قوله بما عملته) الضمير عائد على النفس التقدمة ذكرها (قوله وهم لا يظلمون) الجمع باعتبار العموم المستفاد من لفظ نفس لأنه نكرة في سياق النفي (قوله فلا ينقص من ثواب أعمال الخير الخ) أى لأن الأعمال كلها والجزاء عليها مثبتة في اللوح المحفوظ وهو مطابق لما في علم الله (قوله بل قلوبهم) رجوع لأحوال

يمطون (مَا آتَوْا) أعطوا من الصدقة والأعمال الصالحة (وَقُلُوبُهُمْ وَجَلَةٌ) خائفة أن لا تقبل منهم (أَنَّهُمْ) يقدر قبله لام الجر (إِلَى رَبِّهِمْ رَاجِعُونَ . أُولَئِكَ يُسَارِعُونَ فِي الْخَيْرَاتِ وَهُمْ كَمَا سَابِقُونَ) في علم الله (وَلَا نُكَلِّفُ نَفْسًا إِلَّا وُسْعَهَا) أى طاقتها فمن لم يستطع أن يصلى قائما فليصل جالسا ، ومن لم يستطع أن يصوم فليأكل (وَلَدَيْنَا) أى عندنا (كِتَابٌ يَنْطِقُ بِالْحَقِّ) بما عملته وهو اللوح المحفوظ تسطر فيه الأعمال (وَهُمْ) أى النفوس العاملة (لَا يُظْلَمُونَ) شيئا منها فلا ينقص من ثواب أعمال الخيرات ولا يزداد في السيئات (بَلْ قُلُوبُهُمْ) أى الكفار (فِي غَبْرَةٍ) جهالة (مِنْ هَذَا) القرآن (وَلَهُمْ أَعْمَالٌ مِنْ دُونِ ذَلِكَ) المذكور للمؤمنين (هُمْ كَمَا عَالِمُونَ) فيمذبون عليها (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا أَخَذْنَا مُتْرَفِيَهُمْ) أغنياءهم ورؤساءهم (بِالْعَذَابِ) أى السيف يوم بدر (إِذَا هُمْ يَخْرُونَ) يضجون يقال لهم (لَا تَخْرُؤُوا أَيُّوْمَ بِئْسَ كُفْرًا مِمَّا لَا تَنْصُرُونَ) لا تمنعون (قَدْ كَانَتْ آيَاتِي) من القرآن (تُتْلَى عَلَيْكُمْ فَكُذِّبْتُمْ عَلَى أَعْقَابِكُمْ تَنْكَبُونَ) ترجعون قهقري (مُتَّكِبِينَ) عن الإيمان (بِهِ) أى بالبيت أو الحرم بأنهم أهل في أمن بخلاف سائر الناس في مواطنهم (سَامِرًا) حال ،

الكفار (قوله ولهم أعمال) أى سيئة (قوله من دون ذلك) أى غير ما ذكر للمؤمنين ، والمعنى أن الكفار لهم أعمال مضادة ومخالفة لأوصاف المؤمنين المتقدمة (قوله هم لها عاملون) أى مستمررون عليها (قوله ابتدائية) أى تبدأ بعدها الجمل (قوله إذا أخذنا مترفيهم) إذا ظرف لما يستقبل خافض لشرطه منصوب بجوابه وإذا الثانية للفتاحة قائمة مقام الفاء . قال ابن مالك : وتختلف الفا إذا للفتاحة

(قوله أغنياءهم ورؤساءهم) أى كآبي جهل وأضرابه من صناديدهم (قوله يجأرون) أى يصرخون ويتهلون أو يستغيثون ويلتجئون في كشف العذاب عنهم ومع ذلك فلا ينفعهم (قوله يقال لهم) الأقرب أن ذلك عند قبض أرواحهم حين تأتيم الملائكة بالطارق من نار يضربون بها وجوههم وأديارهم ، وقيل إنه يوم القيامة حين يعذبون في النار (قوله قد كانت آياتي الخ) تلييل لما قبله (قوله تنكسون) من باب جاس ودخل فهو بكسر الكاف وضمها (قوله ترجعون قهقري) أى إلى جهة الخلف وهو كناية عن إعراضهم عن الإيمان (قوله به) الجار والمجرور إما متعلق بمتكبرين أو بسامرا ، وأشار المفسر إلى أن الضمير إما عائد على البيت أو الحرم (قوله سامرا) من السمر ، وهو الحديث ليل (قوله حال) المناسب للفسر أن يقول أحوال رتبة خيرة عن قوله : تهجرون لأن الأحوال [١٥ - صاوى - ثالث]

ثلاثة مستكبرين وسامرا وشهبرون (قوله أى جماعة) أثار بذلك إلى أن سامرا اسم جمع واحده مسامر (قوله من الثلاث) أى مأخوذ من المجران وهو الترك أو من هجر هجرا بالتحريك : هذى ونكلم بما لا يعقله (قوله ومن الرابعى) أى مأخوذ من الاهجار وهو الفحش فى الكلام (قوله أفلم يدبروا القول) المزمة داخلة على محذوف والقاء عاطفة عليه ، والتقدير أحمرا فلم يدبروا ، وهذا شروع فى بيان أن إقدامهم على هذه الضلالات لابد أن يكون لأحد أمور أربعة : أحدها أن لا يتأملوا فى دليل نبوته وهو القرآن المعجز مع أنهم تأملوا وظهرت لهم حقيقته . ثانيها أن يعتقدوا أن بعثة الرسول أمر غريب لم تسمع ولم ترد عن الأمم السابقة وليس كذلك لأنهم عرفوا أن الرسل كانت ترسل إلى الأمم . ثالثها أن لا يكونوا علمين بأمانته وصدقه قبل ادعاء النبوة وليس كذلك بل سبقت لهم معرفة كونه فى غاية الأمانة والصدق . رابعها أن يعتقدوا فيه الجنون وليس كذلك لأنهم كانوا يعلمون أنه أعقل ر (١١٤) الناس ، وسيأتى خامس فى قوله - أم تيسلهم خرجا - وأم فى المواضع الأربعة

مقدرة بيل الاتقالية
ومزمة الاستفهام التقريرى
وهو حمل المخاطب على
الاقوار بما يعرفه (قوله
من صدق النبى الخ) بيان
للحق على طبق الآية على
سبيل اللف والنشر المرتب
(قوله وأكثرهم للحق)
أى القرآن وغيره فهو
أهم من الحق الأول
ولذا أظهر فى مقام الاضمار
وأشار بقوله : وأكثرهم
إلى أن الأقل لم يدم على
كراهة الحق بل رجع
عن كفره وآمن (قوله
عادة) المناسب أن يقول
عقلا لأن وجود الشريك
يقضى بفساد العالم عقلا
لأعادة (قوله بل أتيناكم

أى جماعة يتحدثون بالليل حول البيت (تَهْجُرُونَ) من الثلاثى : تتركون القرآن ، ومن الرابعى
أى تقولون غير الحق فى النبى والقرآن ، قال تعالى (أَفَلَمْ يَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا فأدغمت التاء
فى الدال (أَقُولُ) أى القرآن الدال على صدق النبى (أَمْ جَاءَهُمْ مَا لَمْ يَأْتِ آبَاءَهُمُ الْأَوَّلِينَ .
أَمْ لَمْ يَعْرِفُوا رَسُولَهُمْ فَهُمْ لَهُ مُنْكَرُونَ . أَمْ يَقُولُونَ بِهِ جِنَّةٌ) الاستفهام فيه للتقرير بالحق
من صدق النبى ومجىء الرسل للأمم الماضية ومعرفة رسولهم بالصدق والأمانة وأن لا جنون به
(بَلْ) للانتقال (جَاءَهُمُ بِالْحَقِّ) أى القرآن المشتمل على التوحيد وشرائع الاسلام (وَأَكْثَرُهُمْ
لِلْحَقِّ كَارِهُونَ . وَلَوْ أَتَبَعَ الْحَقُّ) أى القرآن (أَهْوَاءَهُمْ) بأن جاء بما يهوىونه من الشريك
والولد لله ، تعالى عن ذلك (لَفَسَدَتِ السَّمَوَاتُ وَالْأَرْضُ وَمَنْ فِيهِنَّ) أى خرجت عن نظامها
المشاهد لوجود التماسع فى الشيء عادة عند تعدد الحاكم (بَلْ أَتَيْنَاهُمْ بِذِكْرِهِمْ) أى بالقرآن
الذى فيه ذكركم وشرفهم (فَهُمْ عَنْ ذِكْرِهِمْ مُعْرِضُونَ . أَمْ تَسْأَلُهُمْ خَرْجًا) أجزا على ما جئتهم
به من الايمان (فَخَرَجَ رَبُّكَ) أجره وثوابه ورزقه (خَيْرٌ) وفى قراءة خرجا فى الموضعين وفى
قراءة أخرجا فهما (وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) أفضل من أعطى وأجر (وَلَا تَكُنْ لَتَدْعُوهُمْ إِلَى
صِرَاطٍ) طريق (مُسْتَقِيمٍ) أى دين الاسلام (وَالَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) بالبعث
والثواب والعقاب (عَنِ الصِّرَاطِ) أى الطريق (لَنَّا كَيُونٌ) عادلون ،

بذ كرم) إضراب اتقالي ، والمعنى كيف يكرهون الحق مع أن القرآن
أنهم بقشر يفهم وتعظيمهم فاللائق بهم الانقياد له وتعظيمه ، والعامية على قصر أتيناكم وقرئ بالمد بمعنى أعطينا وحينئذ قالباء
إما زائدة وذ كرم مفعول ثان أو المفعول محذوف وقرئ بالقصر مع تاء المتكلم أوتاه المخاطب ، وقوله بذ كرم هكذا قرأ العامة
وقرئ شذوذا بذ كراهم بألف التأنيث ونذ كرم بنون العظمة (قوله أم تسألهم خرجا) راجع لقوله - أم يقولون به جنة -
وما بينهما اعتراض (قوله فخرج ربك خير) تعليل لثنى السؤال للاستفاد من الانكار (قوله أجره وثوابه) أى فى الآخرة ،
وقوله ورزقه : أى فى الدنيا فهذه الأمور كالحراج من حيث إن الله تفضل بها لعبيده فلا يتركها أبدا (قوله وفى قراءة خرجا فى
للموضعين الخ) أى فالقرآت الثلاث سبعيات لكن الأولى أبغ من حيث إنه عبر فى حق الله بالحراج المفيد للتكرار وفى حق
العبيد بالحرج المفيد لعدم التكرار والمائلة فى القراءتين الباقيتين للشاكلة (قوله وأجر) بالقصر من باب ضرب ونصر وبالمد :
أى أثاب (قوله عن الصراط) متعلق هنا كيون (قوله عادلون) أى زاننون ومصرفون .

(قوله ولورحمتهم الخ) قال الأشياخ الأظهر أن هذه الآية والتين بعدها إلى مبلسون مدييات ، وسبب ذلك أن رسول الله صلى الله عليه وسلم لما هاجر إلى المدينة دعا على أهل مكة بقوله : اللهم أشدد وطأتك على مضر اللهم اجعلها عليهم سنينا كسنين يوسف فحطروا حتى أكلوا العلهز وهو بين مكسورة ولا مسا كنه وهاء وزاي معجمة شئ كانوا يتخذونه من السم ووبر الأبل في سنى المجاعة فجاء أبو سفيان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم بالمدينة فقال أشدك الله والرحم ألت ترعم أنك بعثت رحمة للعالمين قتلت الآباء بالسيف والأبناء بالجوع فنزلت الآية (قوله للجوا) اللجاج التهادى والاستمرار على العناد في تعاطى الفعل المنهى عنه (قوله) ولقد أخذناهم بالعذاب تأكيد لما قبله (قوله لما استكانوا) أصله استكونوا نقلت حركة الواو إلى ما قبلها فتحركت الواو وانفتح ما قبلها قلبت ألفا ، والمعنى لم يحصل منهم تواضع ورجوع إلى الله في الماضي ولم يحصل منهم التجاء إلى الله في المستقبل (قوله ابتدائية) أى تبدأ بعدها الجمل (قوله إذا فتحنا عليهم) إذا شرطية وإذا الثانية رابطة للجواب قائمة مقام الفاء (قوله آيسون) أى فلا بلاس اليأس ومنه إبليس ليأسه من رحمة الله (قوله وهو الذى أنبأ لكم الخ) خطاب (١١٥) للخلق عموما قصد به تذكير

النم للؤمنين والتوبيخ للكافرين حيث لم يصرفوا النم في مصارفها لأن السمع خاق ليسمع به ما يرشد والبصر لي شاهد به الآيات الدالة على كمال أوصاف الله والقلوب بمعنى العقول ليتأمل بها في مصنوعات الله فمن لم يصرف تلك النم في مصارفها فهو بمنزلة عادمها قال تعالى - فلما أغشى عنهم سمعهم ولا أبصارهم ولا أفتدتهم من شئ - وأفرد السمع وجمع الأبصار تفننا (قوله تأكيد للقللة) أى لنظ ما تأكيد للقللة الاستفادة من التشكير والمعنى شكرا قليلا وهو كناية عن عدمه (قوله تبعثون) أى تحيون بعد

(وَلَوْ رَحَّمْنَاهُمْ وَكَشَفْنَا مَا بِهِمْ مِنْ ضُرٍّ) أى جوع أصابهم بمكة سبع سنين (لَلْجَوَا) تمادوا (فِي طُغْيَانِهِمْ) ضلالتهم (يَتَّبِعُونَ) يترددون (وَلَقَدْ أَخَذْنَاَهُمْ بِالْعَذَابِ) الجوع (فَمَا اسْتَكَانُوا) تواضعوا (لِرَبِّهِمْ وَمَا يَتَضَرَّعُونَ) يرغبون إلى الله بالدعاء (حَقِّ) ابتدائية (إِذَا فَتَحْنَا عَلَيْهِمْ بَابًا ذَا) صاحب (عَذَابٍ شَدِيدٍ) هو يوم بدر بالقتل (إِذَا هُمْ فِيهِ مُبْلِسُونَ) آيسون من كل خير (وَهُوَ الَّذِي أَنْشَأَ) خلق (لَكُمْ السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَّا) تأكيد للقللة (تَشْكُرُونَ) وَهُوَ الَّذِي ذَرَأَكُمْ فِي الْأَرْضِ وَإِلَيْهِ تُحْشَرُونَ) تبعثون (وَهُوَ الَّذِي يُحْيِي) بنفخ الروح في المضة (وَيُمِيتُ وَلَهُ اخْتِلَافُ اللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بالسواد والبياض والزيادة والنقصان (أَفَلَا تَعْقِلُونَ) صنعه تعالى فتعتبرون (بَلْ قَالُوا مِثْلَ مَا قَالَ الْأَوَّلُونَ) قَالُوا) أى الأولون (أَنَذَا مِثْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَنِنَّا لَمَبْعُوثُونَ) لا ، وفي الممرتين في الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَقَدْ وَعَدْنَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا هَذَا) أى البعث بعد الموت (مِنْ قَبْلُ) (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) أكاذيب (الْأَوَّلِينَ) كالأضاحيك والأعاجيب جمع أسطورة بالضم (قُلْ) لهم (لَئِنْ الْأَرْضُ وَمَنْ فِيهَا) من الخلق (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) خالقها ومالكها (سَيَقُولُونَ اللَّهُ ، قُلْ) لهم (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الدال : تتعظون فتعلمون أن القادر على الخلق ابتداء قادر على الاحياء بعد الموت (قُلْ مَنْ رَبُّ السَّمَوَاتِ السَّبْعِ ،

الموت (قوله وله اختلاف الليل والنهار) أى خلقا وإيجادا (قوله بالسواد والبياض) لف ونشر مرتب (قوله أفلا تعقلون) الهمة داخلية على محذوف والفاء عاطفة عليه أى أغفلتم فلا تعقلون أن القادر على انشاء الخلق قادر على اعادتهم بعد الموت (قوله بل قالوا) أى كفار مكة (قوله مثل ما قال الأولون) أى من قوم نوح وهود وصالح وغيرهم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وترك الإدخال فالقرا آت أربع سبعيات في الثانى وثلاث في الأول بترك الإدخال بين الهمزة تين (قوله لقد وعدنا) وعد فعل ماض مبنى للجهرول ونائب الفاعل هو الضمير المتصل ونحن توكيد له وآباؤنا معطوف على الضمير المتصل فهو نائب فاعل أيضا وقوله هذا مفعول ثان لوعده ونائب الفاعل مفعول أول والأصل وعدنا الآن عهد بالبعث ووعد غيره آباءنا من قبلنا به وقده المرفوع الذى هو نائب الفاعل هنا وعكس في الفعل تفننا وإشارة إلى أنه يجوز الأسمان (قوله قل لهم) أى لأهل مكة المنكرين أيعب (قوله من الخلق) أى المخلوقات عقلا وغيرهم (قوله إن كنتم تعلمون) شرط حذف جوابه والتقدير فأخبروني بخالقهما (قوله سيقولون لله) إخبار من الله بما يقع منهم في الجواب قبل وقوعه (قوله بإدغام التاء) أى بعد قلبها دالا فذالا وتسكينها

(قوله الكرسي) للناسب إيقاؤه على ظاهره فإن العرش على التحقيق غير الكرسي (قوله والثناء للبالغة) أى وكذا الواو فهما زائدتان كز يادتهما فى الرحموت والرحبوت من الرحبة والرحمة (قوله يحصى ولا يحصى عليه) الأول بفتح الياء كيرحمه والثانى بضمها . والمعنى يتبع ويحفظ من أراد حفظه ولا يمنع منه أحد ولا ينصر من أراد خذلانه قال تعالى - إن ينصركم الله فلا غالب لكم وإن يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده - (قوله وفى قراءة لله بلام الجر) أى وهو لمعظم السبعة (قوله فى الموضعين) أى الأخيرين وأما جواب السؤال الأول فهو باللام باضاق السبعة ولم يقرأ بدونها أحد (قوله نظرا إلى أن المعنى) أى فلام الجر مقدرة فى السؤال فظهرت فى الجواب نظرا للمعنى وأما على قراءة إسقاطها فباعتبار مراعاة لفظ السؤال لأنه لا فرق بين قوله : من رب السموات وبين لمن السموات كقولك من رب هذه الدار فيقال زيد وإن شئت قلت لزيد لأن السؤال لا فرق فيه بين أن يقال لمن هذه الدار أو من ربها (قوله قل فأنى) أى فكيف تسحرون (قوله عبادة الله) بدل من الحق فهو بالجر (قوله أى كيف تخيل لكم) أشار بذلك إلى أن المراد بالسحر (١١٦) التخيل والوهم لاحتقيقه (قوله فى نفيه) أى الحق (قوله من ولد) من

زائدة فى المفعول وقوله من إله من زائدة فى اسم كان (قوله أى لو كان معه إله) أشار بذلك إلى أن قوله إذا للذهب جواب لشرط محذوف وهو لو الامتناعية علم من قوله وما كان معه من إله وتقديم تحقيق الكلام فى هذا البرهان فى سورة الانبياء (قوله كفعل ملوك الدنيا) كلامه يقتضى أن هذا أمر عاوى لا إزاحى قطعى وهو خلاف التحقيق بل التحقيق أنه دليل عقلى قطعى (قوله عالم الغيب والشهادة) هذا دليل آخر على

وَرَبِّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) الكرسي (سَيَقُولُونَ اللَّهُ قُلْ أَفَلَا تَتَّقُونَ) تحذرون عبادة غيره (قُلْ مَنْ بِيَدِهِ مَلَكُوتُ) ملك (كُلُّ شَيْءٍ) والثناء للبالغة (وَهُوَ يُبَيِّرُ وَلَا يُبَارِئُ عَلَيْهِ) يحصى ولا يحصى عليه (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ . سَيَقُولُونَ اللَّهُ) وفى قراءة لله بلام الجر فى الموضعين نظراً إلى أن المعنى من له ما ذكر (قُلْ فَأَنَّى تُسْحَرُونَ) تحذعون وتصرفون عن الحق عبادة الله وحده أى كيف تخيل لكم أنه باطل (بَلْ أَتَيْنَاهُم بِالْحَقِّ) بالصدق (وَلَا هُمْ لَكَادِبُونَ) فى نفيه ، وهو (مَا اتَّخَذَ اللَّهُ مِنْ وَلَدٍ وَمَا كَانَ مَعَهُ مِنْ إِلَهٍ إِذَا) أى لو كان معه إله (لَذَهَبَ كُلُّ إِلَهٍ بِمَا خَلَقَ) أى اقرده به ومنع الآخر من الاستيلاء عليه (وَلَمَّا بَعْثْنَاهُمْ عَلَى بَعْضٍ) مغالبة كفعل ملوك الدنيا (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيهاً له (عَمَّا يُصِفُونَ) به مما ذكر (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شهود ، بالجر صفة والرفع خبر هو مقدراً (فَتَعَالَى) تعظم (عَمَّا يُشْرِكُونَ) معه (قُلْ رَبِّ إِنَّمَا) فيه إدغام نون إن الشرطية فى ما الزائدة (تُرِيَنِي مَا يُوعَدُونَ) من العذاب هو صادق بالقتل بيد (رَبِّ فَلَا تَجْعَلْنِي فِي الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) فأهلك بهلاكهم (وَلِنَا عَلَى أَنْ تُرِيَكَ مَا نَعِدُهُمْ لِقَادِرُونَ . أَدْفَعْ بِآيَاتِي هِيَ أَحْسَنُ) ،

أى

الوحدانية كأنه قال الله عالم الغيب والشهادة

وغيره لا يعلمهما فغيره ليس به (قوله بالجر صفة) أى للفظ الجلالة أو بدل منه وقوله والرفع خبر هو مقدراً أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فتعالى عما يشركون) عطف على معنى ما تقدم كأنه قال علم الغيب فتعالى (قوله قل رب الخ) هذا أمر لرسول الله صلى الله عليه وسلم بكيفية دعاء يتخلص به من عذابهم وهو محاب لأن الله ما أمره بدعاء إلا استجاب له (قوله إما ترينى) إن شرطية وما زائدة وترينى فعل شرط والنون للوقاية والياء مفعول أول وما مفعول ثان ويوعدون صلة ما ورب تأكيد للأول وقوله فلا تجعلنى الخ جواب الشرط (قوله بالقتل بيد) أى وهو الذى رآه بالفعل (قوله فأهلك بهلاكهم) أى لأن شؤم الظالم قد يمت غيره . إن قلت إن رسول الله معصوم من جعله مع القوم الظالمين فكيف أمره الله بهذا الدعاء أجيب بأنه أمر بذلك لإظهار العبودية وتواضعاً لربه وتعظيماً لأجره وليكون فى جميع الأوقات ذا كرامة لله تعالى (قوله ولما على أن ترينى الخ) إن حرف توكيد ونصب ونا اسمها والجار والمجرور متعلق بقادرون وما واقعة على العذاب وقادرون خبر إن واللام للابتداء زحلت للخبر والمعنى ولما لقادرون على أن ترينى العذاب الذى نعدم به .

(قوله أى الخصلة الخ) أشار بذلك إلى أن إلى صفة لموصوف محذوف وقوله من الصفع الخ بيان للصلة التي هي أحسن (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أى فهو منسوخ ويحتمل أن المعنى ادفع بالتي هي أحسن ولو في حال القتال كأن الله يقول له إذا قدرت عليهم فاصفع عنهم ولا تعاملهم بما كانوا يعاملونك به . ويحتمل أن تكون الآية عكمة وقد حصل منه هذا الأمر عند فتح مكة (قوله وقل رب) أى في كل وقت لأن العصمة والحفظ من الشيطان أمرها عظيم جدا وهو وإن كان معصوما فالمقصود تعليم أمته وإظهار الالتجاء له به (قوله من همزات الشياطين) جمع همز وهي النغسة (قوله نزغاتهم) أى إفساداتهم ، والمعنى آتخصم بك من وساوس الشياطين (قوله وأعوذ بك رب) كرر ذلك للبالغة والاعتناء بهذه الاستعاذة (قوله ابتدائية) أى تبدأ بعدها الجمل إشارة إلى أن هذا الكلام منقطع عما قبله قصد به وصف حال السائر بعد موته (قوله الجمع للتعظيم) جواب عما يقال لم لم يقل رب ارجعنى بالافراد مع أن المخاطب واحد . وأجيب أيضا بأن الواو لتسكير الطلب كأنه قال ارجعن ارجعن ارجعن أو اجمع باعتبار الثلاثة الذين يقبضون روحه كأنه استغاث بالله أولا ثم رجع إلى طلب الرجوع إلى الدنيا من الثلاثة (قوله يكون فيما تركت) أى بدلا عنه (قوله أى لارجوع) أشار بذلك إلى أن كلا (١١٧) هنا معناها النفي ومع ذلك

فيها معنى الردع والزجر (قوله أى رب ارجعون) أى وما بعدها (قوله ومن ورأسهم) الجمع باعتبار معنى أحد (قوله برزخ) هو المدة التي من حين الموت إلى البعث والمعنى أن بينهم وبين الرجعة حجابا وما نعا من الرجوع وهو الموت إذا علمت ذلك فالأموات لا تعود أجسامهم في الدنيا بأرواحهم كما كانوا أبدا وإنما يبعثون يوم القيامة لافرق بين الأنبياء وغيرهم وما ورد عن بعض الصالحين من أنهم يحتجون بالنبي

أى الخصلة من الصفع والإعراض عنهم (السَّيِّئَةِ) أذام إياك وهذا قبل الأمر بالقتال (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَا يَصِفُونَ) أى يكذبون ويقولون ، فنجازيهم عليه (وَقُلْ رَبِّ أَعُوذُ) أعتصم (بك مِنْ هَمَزَاتِ الشَّيَاطِينِ) نزغاتهم بما يوسوسون به (وَأَعُوذُ بِكَ رَبِّ أَنْ يَحْضُرُونِ) في أموري لأنهم إنما يحضرون بسوء (حَتَّى) ابتدائية (إِذَا جَاءَ أَحَدَهُمُ الْمَوْتُ) ورأى مقعده من النار ومقعده من الجنة لو آمن (قَالَ رَبِّ أَرْجُونِ) الجمع للتعظيم (لَمَّا لَمْ أَعْمَلْ صَالِحًا) بأن أشهد أن لا إله إلا الله يكون (فِيمَا تَرَكْتُ) ضيعت من عمرى أى في مقابلته ، قال تعالى (كَلَّا) أى لا رجوع (إِنَّهَا) أى رب ارجعون (كَلِمَةٌ هُوَ قَائِلُهَا) له ولا فائدة فيها (وَمِنْ وَرَاسِهِمْ) أمامهم (بَرَزَخٌ) حاجز يصد عن الرجوع (إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) ولا رجوع بعده (فَإِذَا نُفِخَ فِي الصُّورِ) القرن النفخة الأولى أو الثانية (فَلَا أَنْصَابَ بَيْنَهُمْ يَوْمَئِذٍ) يتفخرون بها (وَلَا يَتَسَاءَلُونَ) عنها خلاف حالهم في الدنيا لما يشغلهم من عظم الأمر عن ذلك في بعض مواطن القيامة وفي بعضها يفيقون ، وفي آية : فأقبل بعضهم على بعض يتساءلون (فَمَنْ ثَقُلَتْ مَوَازِينُهُ) بالحسنات (فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الفائزون (وَمَنْ خَفَّتْ مَوَازِينُهُ) بالسيئات (فَأُولَئِكَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ)

صلى الله عليه وسلم بقلة فالمراد أن روحه الشريفة تشكات بصورة جثته الشريف وكذا يقال في الأولياء والشهداء لأن أرواح المطيعين مطلقة غير محبوسة وأما الكفار فأرواحهم محبوسة لا تنسى في الملكوت (قوله ولا رجوع بعده) أى يوم البعث (قوله النفخة الأولى) هو قول ابن عباس وقوله أو الثانية هو قول ابن مسعود (قوله يتفخرون بها) جواب عما يقال إن الأنساب ثابتة بينهم لا يصح فيها فأجاب بأن معنى لا أنساب بينهم لا يتفخرون بأنسابهم . وأجيب أيضا بأن معنى لا أنساب بينهم لا أنساب تنفهم لزوال التراحم والتعاطف من شدة الحسرة والذهشة (قوله خلاف حالهم في الدنيا) أى لأنهم كانوا يسألون عن بعضهم في الدنيا (قوله لما يشغلهم) علة لقوله ولا يتساءلون ودفع بذلك ما يقال كيف الجمع بين هذه الآية وآية : وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون فجعل المفسر بأن القيامة مواطن مختلفة وهذا مبنى على أن المراد النفخة الثانية وأما على أن المراد النفخة الأولى فوجه الجمع أن نفي السؤال إنما هو عند النفخة الأولى لموتهم حينئذ وإثباته إنما هو بعد النفخة الثانية (قوله موازينه) الجمع إما للتعظيم أو باعتبار الوزن (قوله بالحسنات) الباء سببية أى بسبب ثقل الحسنات (قوله بالسيئات) أى بسبب ثقل السيئات ، والمعنى فمن رجعت حسنة فأولئك هم المفلحون ومن رجعت سيئاته فأولئك الذين خسروا الخ .

(قوله فهم في جهنم) أشار للمفسر إلى أن قوله في جهنم خبر محذوف (قوله تلفح وجوههم) الفتح الإصابة بشدة (قوله نمرت شفاههم الخ) أي فالكلاوح تشر الشفة العليا واسترخاء السفلى لما ورد أنه تنقاص شفته العليا حتى تبلغ وسط رأسه وتسترخى السفلى حتى تبلغ مرتته (قوله تتلى عليكم) أي في الدنيا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله وهما مصدران بمعنى) أي وهوسوء العاقبة (قوله بعد قدر الدنيا مرتين) أي وقدرها قبل سبعة آلاف سنة بعدد الكواكب السيارة، وقيل اثنا عشر ألف سنة بعدد البروج، وقيل ثلثمائة ألف سنة وستون سنة بعدد أيام السنة (قوله اخسثوا فيها) أي اسكنوا سكوت هوان وذل (قوله فيقطع رجائهم) أي وهذا آخر كلامهم في النار فلا يسمع لهم بعد ذلك إلا الزفير والشهيق والنباح كنباح الكلاب (قوله إنه كان فريق) تعليل لما قبله (١١٨) (قوله بضم السين وكسرها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله وسلمان) للناسب

أن يقول بدله وخباب لأن سلمان ليس من المهاجرين (قوله فنسب إليهم) أي وحقه أن ينسب إلى الاستهزاء (قوله وكنتم منهم تضحكون) أي وذلك غاية الاستهزاء (قوله بكسر الهمزة وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بلسان مالك) دفع بذلك ما قال إن قوله قال يقتضي أن الله يكلمهم مع أنه قال في آية أخرى: ولا يكلمهم الله. فأجاب بأن للكلام لهم الملك عن الله (قوله وفي قراءة قل) أي وهي سبعة أيضا. والحاصل أن هنا وفيما يأتي في قوله قال إن لبستم ثلاث قراءات سبعيات الأمر فيهما والماضى فيهما والأمر

فهم (فِي جَهَنَّمَ خَالِدُونَ تَلْفَحُ وُجُوهَهُمُ النَّارُ) تحرقها (وَهُمْ فِيهَا كَالْحُوتِ) شمردت شفاههم العليا والسفلى عن أسنانهم ويقال لهم (أَلَمْ تَكُنْ آيَاتِي) من القرآن (تَقُولُ عَلَيْكُمْ) تخوفون بها (فَكُنْتُمْ بِهَا تُكَذِّبُونَ). قَالُوا رَبَّنَا غَلَبَتْ عَلَيْنَا شِقْوَتُنَا (وفي قراءة شقاوتنا بفتح أوله وألف وهما مصدران بمعنى (وَكُنَّا قَوْمًا ضَالِّينَ) عن الهداية (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا مِنْهَا فَإِنْ عُدْنَا) إلى الخالفة (فَإِنَّا ظَالِمُونَ. قَالَ) لهم بلسان مالك بعد قدر الدنيا مرتين (أَخْسَثُوا فِيهَا) ابعثوا في النار أذلاء (وَلَا تُكَلِّمُونِ) في رفع العذاب عنكم فيقطع رجائهم (إِنَّهُ كَانَ فَرِيقٌ مِنْ عِبَادِي) هم المهاجرون (يَقُولُونَ رَبَّنَا آمَنَّا فَاغْفِرْ لَنَا وَأَرْحَمْنَا وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ. فَاتَّخَذْتُمُوهُمْ سُخْرِيًا) بضم السين وكسرها مصدر بمعنى الهزء منهم بلال وصهيب وعمار وسلمان (حَتَّى أَنْسَوُكُمْ ذِكْرِي) فتركتموه لاشتغالكم بالاستهزاء بهم فهم سبب الإساءة فنسب إليهم (وَكُنْتُمْ مِنْهُمْ تَضْحَكُونَ. إِنِّي جَزَيْتُهُمُ الْيَوْمَ) النعيم المقيم (بِمَا صَبَرُوا) على استهزائكم بهم وأذاكم أيام (إِنَّهُمْ) بكسر الهمزة (هُمْ الْفَاطِرُونَ) بطلوبهم استئناف وفتحها مفعول ثان لجزيتهم (قَالَ) تعالى لهم بلسان مالك وفي قراءة قل (كَمْ لَبِثْتُمْ فِي الْأَرْضِ) في الدنيا وفي قبوركم (عَدَدَ سِنِينَ) تمييز (قَالُوا لَبِثْنَا يَوْمًا أَوْ بَعْضَ يَوْمٍ) شكوا في ذلك واستقصروه لعظم ما هم فيه من العذاب (فَسَنَلَّ النَّاسُ) أي لللائكة المحصين أعمال الخلق (قَالَ) تعالى بلسان مالك وفي قراءة أيضا قل (إِنْ) أي ما (لَبِثْتُمْ إِلَّا قَلِيلًا لَوْ أَنْتُمْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) مقدار لبثكم من الطول كان قليلا بالنسبة إلى لبثكم في النار (أَفَحَسِبْتُمْ أَنْتُمْ

في الأول والماضى في الثاني (قوله كم لبستم) كم في محل نصب على الظرفية الزمانية وقوله عدد سنين (وأنكم

هو عجزها، والمعنى لبستم كم عددا من السنين والقصد من هذا السؤال التوبيخ والتبكيت عليهم لأنهم كانوا يعتقدون بقاءهم في الدنيا ويقولون على اللبث فيها وينكرون البعث فلما أدخلوا النار وأيقنوا دوامهم وخلودهم فيها سألهم عن لبثهم في الدنيا زيادة في تحسرهم على ما كانوا يعتقدونه حيث أظهر خلافه (قوله فاسأل العادين) بالتشديد جمع عاد من العدد وهذا من جملة كلامهم لأنه غشيتهم من الهول والذباب ما يشغاهم عن ضبط ذلك وإحصائه (قوله قال تعالى) أي تقرعها وتوبيخها وتصديقا لهم (قوله لو أنكم) لو هنا امتناعية ومنعول العلم محذوف قدره المفسر بقوله مقدار لبثكم وجواب لو محذوف أيضا قدره المفسر بقوله كان قليلا أي في علمكم، والمعنى لو أنكم كنتم تعلمون مقدار لبثكم من الطول لعلمتم قلة لبثكم في الدنيا (قوله أفحسبتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه والتقدير أجهلتم حسبتم وحسب بمعنى ظن والاستفهام للتوبيخ والانكار (قوله عبثا) إما حال مؤول باسم الفاعل أي عابثين أو مفعول

لأجله والعيب اللب وكل ما ليس فيه فرض صحيح لقوله : لحكمة قصير لعيب (قوله وانكم إلينا لاترجعون) عطف على : أما خلقناكم فيكون حسب مسلطاً عليه (قوله بالبناء للفاعل وللفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله لا) قدره جواباً للاستفهام (قوله بل لتعبدكم) أى لتكفكم (قوله على ذلك) أى على امتثال التعبد المذكور (قوله إلا ليعبدون) أى حكمة خلق لهم كونهم يعتنقون أوامرهم ويحجبون نواهيهم (قوله فتعالى الله) أى تنزه (قوله لكلك الحق) أى الذى يحق له التصرف فى ملكه بالإيجاد والاعدام والثواب والعقاب وغير ذلك فكل ما سواه مقهور وهو القاهر فوق عباده (قوله الكريم) بالجر صفة للعرش لأن كل بركة ورحمة وخير نازلة منه وقرى شدوداً بالرفع على أنه نعت مقطوع للدح (قوله الكرسي) تقدم أن المناسب لإبقاؤه على ظاهره (قوله هو السرير الحسن) هكذا فى بعض النسخ وفى بعضها إسقاطها (قوله صفة كاشفة) أى بيان للواقع لأن كل من ادعى مع الله إلهاً آخر لابد وأن يكون لا يبرهان له به (قوله فأما حسابه عند ربه) هو جواب الشرط (قوله إنه لا يفلح الكافرون) الجمهور على كسر إن استئنافاً وفيه معنى الملة وقرى شدوداً بالفتح على أنه خبر حسابه والأصل حسابه أنه لا يفلح هو فوضع الظاهر موضع الضمير تسجيلاً عليهم (قوله فى الرحمة زيادة) (١١٩) على المغفرة) أى فذكر الرحمة بعد

المغفرة تحلية بعد تحلية
فى الغفران هو السيئات
وفى الرحمة رفع الدرجات
(قوله أفضل رحمة)
بالنصب على التمييز .

[سورة النور]

سميت بذلك لذكر
النور فيها وفى هذه السورة
ذكر أحكام العفاف والستر
وغبرها من الأحكام
الدينية المفصلة ، ولذلك
كتب عمر رضى الله عنه
إلى الكوفة : علموا
نساءكم سورة النور ،
وقالت عائشة رضى الله
عنها : لاتنزلوا النساء

(وَأَنكُمْ إِلَيْنَا لَا تَرْجِعُونَ) بالبناء للفاعل وللفعول ؟ لا ، بل لتعبدكم بالأمر والنهي وترجعوا إلينا ونجازى على ذلك « وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون » (فتعالى الله) عن العيب وغيره مما لا يليق به (الملك الحق لا إله إلا هو رب العرش الكريم) الكرسي هو السرير الحسن (وَمَنْ يَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلْهًا آخَرَ لَا بُرْهَانَ لَهُ بِهِ) صفة كاشفة لا مفهوم لها (فَأَنَّمَا حِسَابُهُ) جزاؤه (عِنْدَ رَبِّهِ إِنَّهُ لَا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لا يسعدون (وَقُلْ رَبِّ اغْفِرْ وَارْحَمْ) المؤمنين فى الرحمة زيادة على المغفرة (وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّاحِمِينَ) أفضل رحمة ،

(سورة النور)

مدنية ، وهى اثنتان أو أربع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) هذه (سُورَةٌ أَنْزَلْنَاهَا وَفَرَضْنَاهَا) مخففاً ومشدداً لكثرة المفروض فيها (وَأَنْزَلْنَا فِيهَا آيَاتٍ بَيِّنَاتٍ) واضحات الدلالات (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء الثانية فى الدال : تتعظون (الزانية والزاني) أى غير المحصنين ،

فى الفرق ولا تلوهن الكتابة وعلوهن سورة النور والنزل (قوله هذه سورة) أشار المفسر إلى أن سورة خبر لمخدوف قدره بقوله هذه والاشارة لما فى علم الله لكونها فى حكم الحاضر الشاهد و يصح أن تكون سورة مبتدأ وحمله أنزلناها صفة لها والخبر قوله الزانية والزاني ، والمعنى السورة المنزلة والمفروضة كذا وكذا والخبر مخدوف والتقدير فيما يتلى عليكم وهذا على قراءة الرفع وهى لعامة القراء وقرى سورة بالنصب فجعل مضمير يفسره أنزلناه فهو من باب الاشتغال أو على الاغراء أى دونك سورة (قوله وفرضناها) أى أوجبنا ما فيها من الأحكام إيجاباً قطعياً (قوله مخففاً ومشدداً) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وأنزلنا فيها) كسر الإبدال لكمال الاعتناء بشأنها (قوله آيات بينات) أى دلائل على وحدانية الله تعالى وقد ذكر فى أول هذه السورة أنواع من الأحكام والحدود وفى آخرها دلائل التوحيد فقوله : وفرضناها إشارة إلى الأحكام وقوله : وأنزلنا فيها آيات بينات إشارة إلى الأدلة (قوله بادغام التاء الثانية) أى بعد قلبها دالا فذالا أى وبسكينها أى فهما قراءتان سبعيتان وبقيت ثلاثة سبعة أيضاً وهى حذف إحدى التامين (قوله الزانية والزاني) مبتدأ والخبر مخدوف تقديره فيما يتلى عليكم أوجمة فاجهوا ودخلت الفاء لشبه المبتدأ بالشرط وعليه درج المفسر ، وقسمت للرأفة فى حد الزنا وأخرت فى آية السرقة لأن شهوة الزنا فى الرأفة أقوى وأكثر والسرقة ناشئة من الجسارة والقوة وهى فى الرجل أقوى وأكثر .

(قوله لرجعها بالسنة) أشار بذلك إلى أن الزانية والزاني لفظ عام يشمل المحسن وغيره فالسنة أخرجت المحسن وبيئت أن حقه الرجم فصار الكلام في غيره (قوله فاجلوا كل واحد منهما الخ) أي بسوط لين له رأس واحد ويجرد الرجل من ثيابه والوراء عما يقبها ألم الضرب وتوضع في قفص فيها تراب للسر (قوله والريق على النصف مما ذكر) أي الجلد والتغريب وهذا مذهب الشافعي وقال مالك : لا يترتب إلا الله كالحرة ، وأما المرأة والريق فلا يتربان (قوله ولا تأخذكم) قرأ العامة بالتأنيث مراعاة للفظ وقرئ شدوذا بالياء التحتية (قوله رافة) يسكون المهزلة وتحتها قراءتان سبعيتان (قرئ) بالمد بوزن سحابة ، والرافة أشد الرحمة ويقال رغب بالضم والفتح والكسر ككرم وقطع وطرب (قوله بأن تركوا شيئاً من حدّهما) أي لأن إقامة الحدود فيها رضا الله لما ورد « إقامة حدّ الله تعالى في الأرض خير من أن تمطروا أو يمين صباحا » (قوله في هذا) أي قوله إن كنتم تؤمنون الخ (قوله تحريض) أي حث على ما قبل الشرط وهو قوله : ولا تأخذكم بهما رافة فالواجب بالنسب لله واستيفاء الحدود اقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم فإنه قال « لو سرق فاطمة بنت محمد لقطعت يدها » (قوله وهو جوابه) أي كما هو رأى الكوفيين وقوله أودال كاهورأى البصريين (قوله وليشهد هذابهما طائفة) الأمر للندب والطائفة الفرقة التي يمكن أن تكون حاقة (قوله قيل ثلاثة الخ) (١٣٠) القولان للشافعي وعند مالك أقل ذلك أربعة (قوله أي للناس لكل منهما

ما ذكر) أي فهذا زجر لمن يريد نكاح الزانية ، والمعنى أن الزاني يرغب في نكاح الزانية أو للشركة والزانية ترغب في نكاح الزاني أو للشرك (قوله وحرم ذلك على المؤمنين) أي لما فيه من الفساد كالطعن في النسب والتعرض للتهمة والتشبه بالفاسق فالواجب التزوج بالعفيفات لما في الحديث « تحيروا لنطفكم فان العرق دساس » (قوله نزل ذلك) أي الآية

لرجعها بالسنة وأل فيما ذكر موصولة وهو مبتدأ ولشبهه بالشرط دخلت الفاء في خبره وهو (فَاجْلِدُوا كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةَ جَلْدَةٍ) أي ضربة ، يقال جلده ضرب جلده ويزاد على ذلك بالسنة تغريب عام والريق على النصف مما ذكر (وَلَا تَأْخُذْكُمْ بِهِمَا رَأْفَةٌ مِنْ دِينِ اللَّهِ) أي حكمه بأن تركوا شيئاً من حدّهما (إِنْ كُنْتُمْ تُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَالْيَوْمِ الْآخِرِ) أي يوم البعث وفي هذا تحريض على ما قبل الشرط وهو جوابه أو دال على جوابه (وَلْيَشْهَدْ عَذَابَهُمَا) أي الجلد (طَائِفَةٌ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) قيل ثلاثة ، وقيل أربعة عدد شهود الزنا (الزَّانِي لَا يَنْكِحُ) يتزوج (إِلَّا زَانِيَةً أَوْ مُشْرِكَةً وَالزَّانِيَةُ لَا يَنْكِحُهَا إِلَّا زَانٍ أَوْ مُشْرِكٌ) أي ، المناسب لكل منهما ما ذكر (وَحُرِّمَ ذَلِكَ) أي نكاح الزواني (عَلَى الْمُؤْمِنِينَ) الأخيار ، نزل ذلك لما هم قراء المهاجرين أن يتزوجوا بنات المشركين وهن موسرات لينفقن عليهم فقيا ، التحريم خاص بهم وقيل عام ونسخ بقوله تعالى : وَأَنْكِحُوا الْأَيَامَى مِنْكُمْ (وَالَّذِينَ يَزْنُونَ) (المُحْصَنَاتِ) العفيفات ،

وحيث قلنا في سبب النزل هو الآية الثانية وإنما ذكر الأولى زيادة في التفسير (قوله وهن موسرات) بالزنا أي غنيات (قوله خاص بهم) أي ولم ينسخ إلى الآن (قوله وأنكحوا الأيامى) جمع أيم وهي من ليس لها زوج تكرا أو ثيبا ومن ليس له زوجة وهو يشمل الزاني والزانية وغيرهما فإية الأمر أن نكاح الفاسق والفاسقة مكروه (قوله والذين يرمون المحصنات) تقدم أن الزاني والزانية إما أن يرجما إن كانا محصنين أو يجلدان إن لم يكونا كذلك فتبين أن الزنا أمره عظيم شديد لا بد وأن يثبت إما باقرار أو بأربعة شهود ، فان اتفق واحد من ذلك حدّ المدعى فين هذه الآية وما قبلها شدة مناسبة وقوله لا ين مبتدأ ويرمون صلته والخبر ثلاث جمل . الأولى فاجلوه . الثانية قوله : ولا تقبلوا لهم شهادة أبدا . الثالثة قوله : وأولئك هم الفاسقون ومعنى يرمون المحصنات يتهمونهن فشبّه الاتهام بالرمي بجامع التأدية للهلاك في كل لأنه إن ثبت ذلك الأمر فقد هلك الرمي وإن لم يثبت فقد هلك الرمي وقوله المحصنات لا مفهوم له بل وكذا المحصنون وإنما خصهن بالذكر لأن الشأن قوة شهوة النساء . (قوله العفيفات) تفسير للمحصنات باعتبار اللغة لأن الإحصان كما يطلق على العفة يطلق على الزوج وعمل الحرية ومفهوم قوله العفيفات أنه إذا رمي غير عفيف لا يحد ويشترط زيادة على العفة أن يكون الرمي يتأتى منه الزنا واللواط بأن يكون ذا آلة فان رمي محبوبا عزز ولا يحد وأن يكون حراما لمكانه فان اتفق شرط منها يحد القاذف إلا الرمي بالصبي بالوط به أو الصبية الطيبين فنهى مالك بحد وعند الشافعي يعز

(قوله بالزنا) أى أو اللواط فى أدنى مطلق أو حتى تشكل بآدمى (قوله بأربعة شهداء) أى عدول وقوله برؤيتهم متعلق بشهادة أى شهادته بأنهم رأوا الذكر فى الفرج ولا بد أن يتحدوا فى الرؤية والأداء فإن اختلفوا ولو فى أى صفة حد الجميع (قوله أبدا) أى ماداموا مصرين على عدم التوبة بدليل الاستثناء وعلى هذا درج مالك والشافعى وقال أبو حنيفة لا تقبل شهادتهم ولو تابوا (قوله إلا الذين تابوا) استثناء متصل لأن المستثنى منه الذين يرمون والتائبون من جملتهم (قوله من بعد ذلك) أى القذف (قوله فيها ينتهى فسقهم) هذا مبنى على رجوع الاستثناء للجملتين الأخريتين وهو مذهب مالك والشافعى فعندهما أن التائب تقبل شهادته ويحول عنه اسم الفسق (قوله وقيل لا تقبل) هذا مذهب أبى حنيفة واتفق الجميع على أن القاذف يجلد وإن تاب فليس الاستثناء واجبا إلى الجملة الأولى (قوله أزواجهم) جمع زوج بمعنى الزوجة وحذف التاء أنصح من إثباتها إلا فى الوازيت (قوله ولم يكن لهم شهداء) مفهومه لو كان له بيئة فلا لعان بينهما عند مالك وقال الشافعى له ترك البيئة ويلاعن وأجاب عن الآية بأنها خرجت على سبب الغرول فإنه لم يكن لهم بيئة (قوله إلا أنفسهم) بالرفع بدل من شهداء (قوله وقع ذلك) أى قذف الزوجة بالزنا (قوله لجماعة من الصحابة) أى وهم هلال بن أمية (١٢١) وعويمر العجلاني وعاصم بن عدى (قوله نصب على المصدر)

بالزنا (ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) على زناهن برؤيتهم (فَأَجْلَدُوهُنَّ) أى كل واحد منهم (تَمْسَايْنِ جَلْدَةً وَلَا تَقْبَلُوا لَهُنَّ شَهَادَةً) فى شيء (أَبَدًا وَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) لاتيانهن كبيرة (إِلَّا الَّذِينَ تَابُوا مِنْ بَعْدِ ذَلِكَ وَأَصْلَحُوا) عملهم (فَإِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ) لهم قذفهم (رَحِيمٌ) بهم بإلزامهم التوبة فيها ينتهى فسقهم وتقبل شهادتهم ، وقيل لا تقبل رجوعا بالاستثناء إلى الجملة الأخيرة (وَالَّذِينَ يَرْمُونَ أَزْوَاجَهُمْ) بالزنا (وَلَمْ يَكُنْ لَهُمْ شُهَدَاءُ) عليه (إِلَّا أَنْفُسُهُمْ) وقع ذلك لجماعة من الصحابة (فَشَهَادَةُ أَحَدِهِمْ) مبتدأ (أَرْبَعُ شَهَادَاتٍ) نصب على المصدر (بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الصَّادِقِينَ) فيما روى به زوجته من الزنا (وَالْخَامِسَةُ أَنَّ لَعْنَتَ اللَّهِ عَلَيْهِ إِنْ كَانَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) فى ذلك وخبر المبتدأ تدفع عنه حد القذف (وَيَذَرُ) يدفع (غَنَمًا أَمْذَابًا) أى حد الزنا الذى ثبت بشهادته (أَنْ تَشْهَدَ أَرْبَعَ شَهَادَاتٍ بِاللَّهِ إِنَّهُ لَمِنَ الْكَاذِبِينَ) فيما رماها به من الزنا (وَالْخَامِسَةَ أَنَّ غَضَبَ اللَّهِ عَلَيْهَا إِنْ كَانَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى ذلك (وَلَوْ لَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ) بالستر فى ذلك (وَأَنَّ اللَّهَ تَوَّابٌ) بقبوله التوبة فى ذلك وغيره (حَكِيمٌ) فيما حكم به فى ذلك وغيره لبيّن الحق فى ذلك وعاجل بالمعقوبة من يستحقها (إِنَّ الَّذِينَ جَاءُوا بِالْإِثْمِ) أسوأ الكذب على عائشة رضى الله عنها أم المؤمنين بقذفها

أربع الأول فيه الوجهان والثانى بالنصب لا غير وحكمة تخصيص الرجل باللعنة والمرأة بالغضب أن اللعن معناه الطرد والبعد عن رحمة الله وفى لعانه إبعاد الزوجة والولد ، وفى لعانها إغضاب الرب والزوج والأهل إن كانت كاذبة (قوله وخبر المبتدأ) أى الذى هو قوله فشهادة أحدهم (قوله فى ذلك) أى فيما رماها به .

[قائدة] يترتب على لعانه دفع الحد عنه وقطع نسب الولد منه وإيجاب الحد عليها وعلى لعانها دفع الحد عنها وتأنييد تحريمها وفسخ نكاحها (قوله بالستر) متعلق بكل من فضل ورحمة (قوله لبيّن الحق فى ذلك) جواب لولا (قوله إن الذين جاءوا بالإفك الخ) شروع فى ذكر الآيات المتعلقة بالإفك وهى ثمانية عشر تنتهى بقوله أولئك مبرءون مما يقولون لهم مغفرة ورزق كريم ومناسبة هذه الآيات لما قبلها أن الله لما ذكر ما فى الزنا من الشناعة والقبح وذكر ما يترتب على من روى غيره به وذكر أنه لا يليق بإحد الأمة فضلا عن زوجة سيد الراسخين صلى الله عليه وسلم ذكر ما يتعلق بذلك (قوله أسوأ الكذب) أى أقبحه وأفحشه (قوله على عائشة) متعلق بالكذب وقد عقد عليها النبي صلى الله عليه وسلم بمكة وهى بنت ست سنين أو سبع ودخل عليها بالمدينة وهى بنت تسع وتوفى عنها وهى بنت ثمانى عشرة سنة

(قوله عصبة منكم) العصبة من العشرة إلى الأربعين وإن كان من عيبتهم وذكرتهم أربعة فقط لأنهم هم الرؤساء في هذا الأمر (قوله من المؤمنين) أي ولو ظاهرا فإن عهد الله بن أبي من كبار المنافقين (قوله قالت) أي عائشة في تعيين أهل الافك (قوله وحننة بنت جحش) هي زوجة طلحة بن عبيد الله (قوله لا تحسبوه شرا لكم) الخطاب به النبي صلى الله عليه وسلم وأبو بكر وعائشة وصفوان تسليها لهم (قوله بل هو خير لكم) أي لظهور كرامتهم على الله وتبجيل شأنكم وتهويل الوعيد لمن تكلم فيكم والثناء على من ظن بكم خيرا (قوله يأجركم الله به) بسبب الصبر عليه (قوله ومن جاء معها) أي يقود بها الراحلة (قوله وهو صفوان) أي السلمي ابن العطل (قوله في غزوة) قيل هي غزوة بني المصطلق وكانت في السنة الرابعة وقيل في السادسة . وسببها أن رسول الله (ﷺ) صلى الله عليه وسلم بلغه أن بني المصطلق يجتمعون لحربه وقادهم الحرث

(عُصْبَةٌ مِنْكُمْ) جماعة من المؤمنين قالت : حسان بن ثابت وعبد الله بن أبي ومسطح وحننة بنت جحش (لَا تَحْسَبُوهُ) أيها المؤمنون غير العصبة (شَرًّا لَكُمْ بَلْ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ) يأجركم الله به . ويظهر براءة عائشة ومن جاء معها منه ، وهو صفوان فإنها قالت « كنت مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة بعد ما نزل الحجاب ففرغ منها ورجع ودنا من المدينة وأذن بالرحيل ليلة فحشيت وقضيت شأني وأقبلت إلى الرجل فإذا عقدى انقطع » هو بكسر المهملة القلادة « فرجمت ألحسه وحملوا هودجى هو ما يركب فيه على بعيرى يحسبونى فيه وكانت النساء خفافا إنما يأكلن الملقه » هو بضم المهملة وسكون اللام « من الطعام » أي القليل « ووجدت عقدى وجئت بعد ما ساروا فجلست في المنزل الذي كنت فيه وغلنت أن القوم سيفقدونى فيرجعون إلى فلبتنى عيناي فتمت ، وكان صفوان قد عرس من وراء الجيش فادخل » ما بتشديد الراء والهمزة : أي نزل من آخر الليل « للاستراحة فسار منه فأصبح في منزله فرأى سواد إنسان نائم أي شخصه فرفق حين رآنى وكان يرانى قبل الحجاب فاستيقظت باسترجاعه حين عرفنى » أي قوله إنا لله وإنا إليه راجعون « فخرت وجهى بجلبابى » أي غطيته بالملاء « والله ما كلنى بكلمة ولا سمعت منه كلمة غير استرجاعه حين أناخ راحلته ووطئ على يدها فركبتها فانطلق يقودى الراحلة حتى أتينا الجيش بعد ما نزلوا موغرين في نحر الظهيرة » أي من أوغر واقفين في مكان وغر « من شدة الحر فهلك من هلك في » وكان الذي تولى كبره منهم عبد الله ،

ابن ضرار أبو جويرية زوج النبي صلى الله عليه وسلم فلما سمع بذلك خرج إليهم حتى لقيهم على ماء من مياههم يقال له للرئيس من ناحية قديد إلى الساحل فالتقوا فهزم الله بني المصطلق وأمكن رسوله من أبنائهم ونساءهم وأموالهم فأقامها ووردها عليهم (قوله بعدما نزل الحجاب) أي وهي قوله تعالى وإذا سألتهم عن متاعا فاستألفوهن من وراء حجاب (قوله وأذن) بالمد والقصر أي أعلم (قوله وقضيت شأني) أي حاجتي كالبول مثلا (قوله فإذا عقدى انقطع) أي وكان من جزع أنظار وهو الحرز الجمانى غالى القيمة وكان أصله لأمه أعطته لها حين تزوجها رسول الله صلى

الله عليه وسلم وقيل لأختها أسماء (قوله ألحسه) أي أفقره عليه (قوله جلست في المنزل الذي كنت فيه) أي وهذا من حسن عقلها وجودة رأيها فإن من الآداب أن الإنسان إذا ضل عن رفقته وعلم أنهم يفتشون عليه أن يجلس في المكان الذي فقدوه فيه ولا ينتقل منه غربا يرجعوا فلم يجدوه (قوله قمت) أي وكانت كثيرة النوم لحدانة سنه (قوله وكان صفوان قد عرس) أي وأن صاحب ساقه رسول الله لشجاعته وكان إذا رحل الناس قام يصلى ثم اتبعهم لما سقط منهم شيء إلا حملة حتى يأتي به أصحابه (قوله فسار منه) أي فادخل بالتشديد سار من آخر الليل وأما أدلج سار من أوله (قوله في منزله) أي منزل الجيش الذي مكنت فيه عائشة (قوله ووطئ على يدها) أي الراحلة خوف أن تقوم (قوله موغرين) أي أتينا الجيش في وقت القيولة (قوله فهلك من هلك) أي تكلم بما كان سببا في هلاكه (قوله في) أي بسببي

(قوله ابن أبي سؤل) نسب أولا لأبيه ثم لأمه (قوله انتهى قولها) هذا باعتبار ما اختصره والإغديتها له بقية كما في البخاري وهي « فقد منا المدينة فاشتكت بها شهرا وهم يفيضون من قول أصحاب الافك ويرين في وجهي آني لا أرى من رسول الله صلى الله عليه وسلم اللطف الذي كنت أرى منه حين أمرض إنما يدخل فيسلم ثم يقول: كيف نيك لا أشعر بهي من ذلك حتى نقيت بفتح فكسر أي برئت من مرضي فخرجت أنا وأُم مسطح قبل الناصع متبرزنا لانخرج إلا ليلا إلى نيل ، وذلك قبل أن تتخذ الكنف قريبا من بيوتنا وأمرنا أمر العرب الأول في البرية أو في التزه ، فأقابت أنا وأُم مسطح بنت رهم نثنى ، ففترت في مرطها وهو بكسر الهم كساء من صوف ، فقالت نيس مسطح ، فقلت لها نيس ما قالت أنسيين رجلا شهد بدرا ؟ فقالت يا هنتاه أي قليلة المعرفة ألم تسمعي ما قالوا ؟ فأخبرتني بقول أهل الافك فازددت مرضا على مرضي ، فلما رجعت إلى بيتي دخل على رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال : كيف نيك ؟ فقالت أئذني لي إلى أبوي ، قالت وأنا حينئذ أريد أن أستيقن الخبر من قبلهما ، فأذن لي رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فأتيت أبوي فقلت لأمي ما يتحدث به الناس ؟ قالت يا بني هتوي على نفسك الشأن فوالله قلما كانت امرأة قط وضئة عند رجل يحبها ولها ضرائر إلا أكثرن عليها ، فقلت سبحان الله ولقد تحدثه الناس بهذا ، قالت فبت تلك الليلة حتى أصبحت لا أرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم ، ثم أصبحت فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم علي بن أبي طالب وأسامة بن زيد حين استلبث الوحي يستشيرهما في فراق أهله ، فأما أسامة فأشار إليه بالذي يعلم من نفسه بالوثة لهم ، فقال أسامة هم أهلاك يا رسول الله ولا نعلم والله إلا خيرا ، وأما علي بن أبي طالب فقال لم يضيق الله عليك والنساء سواها كثير وأسأل الجارية تصدقك ، فدعا رسول الله صلى الله عليه وسلم بريرة فقال : يا بريرة هل رأيت فيها شيئا يريبك ؟ فقالت بريرة لا والذي بعنك بالحق نبيا إن رأيت منها أمرا أعجبه عليها هو همزة مفتوحة فتبين معجمة فصاد مهملة أي أعجبه وأنكره أكثر من أنها جارية حديثة السن تنام عن العجين ، فيأتي الداجن هو بدال مهملة ثم جيم ما يأنف البيوت من الشاة والدجاج ونحو ذلك فيأكله ، فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم من يومه فاستعذر من (١٢٣) عبد الله بن أبي ابن سؤل ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم من يعذرني من

ابن أبي سؤل» اه قولها رواه الشيخان ، قال تعالى :

رجل بلغني أذاه في أهلي فوالله ما علمت في أهلي إلا خيرا وقد ذكروا رجلا ما علمت عليه إلا خيرا وما كان يدخل على أهلي إلا معي فقام سعد بن معاذ وقال : يا رسول الله أنا والله أعذر لك منه إن كان من الأوس ضربنا عنقه وإن كان من إخواننا من الخزرج أمرتنا ففعلنا أمرك ، فقام سعد بن عباد وهو سيد الخزرج وكان قبل ذلك رجلا صالحا ولكن احتملته الحمية فقال : كذبت لعمر الله لا تقتله ولا تقدر على ذلك ، فقام أسيد بن حضير فقال : كذبت لعمر الله لنقتله فانك منافق تجادل عن المنافقين فثار الحيان الأوس والخزرج حتى هموا أن يقتتلوا ورسول الله صلى الله عليه وسلم على المنبر ، فزل غفصهم حتى سكتوا وسكت وقيت يوحى لا يرقا لي دمع ولا أكتحل بنوم ، فأصبح عندي أبوي وقد بكيت ليلتي ويوما حتى أظن أن البكاء فائق كبدي ، قالت فيبينهما جالسنا عندي وأنا أبكي إذ استأذنت امرأة من الأنصار فأذنت لها فجلست تبكي معي ، فبينما نحن كذلك إذ دخل رسول الله صلى الله عليه وسلم فجلس ولم يجلس عندي من يوم قيل لي ما قيل قبلها وقد مكث شهرا لا يوحى إليه في شأني شيء قالت فتشهد ثم قال : يا عائشة إنه قد بلغني عنك كذا وكذا فإن كنت بريئة فسيرونيك الله ، وإن كنت ألمت بذنب فاستغفري الله وتوبتي إليه ، فإن العبد إذا اعترف بذنبه ثم تاب تاب الله عليه ، فلما قضى رسول الله صلى الله عليه وسلم مقالته قالص دمي : أي انتلع جريانه حتى ما أحسن منه بقطرة وقلت لأبي أجب عن رسول الله صلى الله عليه وسلم . قال والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقلت لأمي أجيبني عن رسول الله صلى الله عليه وسلم فيما قال . قالت والله ما أدري ما أقول لرسول الله صلى الله عليه وسلم قالت وأنا جارية حديثة السن لا أقرأ كثيرا من القرآن ، فقلت إني والله لقد علمت أنكم سمعتم ما تحدث به الناس ووقر في أنفسكم وصدقتم ، ولئن قلت لكم إني بريئة والله يعلم إني بريئة لاتصدقوني بذلك ، ولئن اعترفت لكم بأمر والله يعلم إني بريئة لاتصدقني . والله ما أجد لي ولكم مثلا إلا أبا يوسف إذ قال - فصر جميل والله المستعان على ما تصفون - ثم تحولت فاضطجعت على فراشي وأنا أرجو أن يبرئني الله ولكن ما ظننت أن يغزل في شأني وحي ، ولأنا أحقر في نفسي من أن يتكلم بالقرآن في أمري ولكن كنت أرجو أن يبرئني رسول الله صلى الله عليه وسلم في النوم رؤيا يبرئني الله بها ، فوالله ما رام أن يرج مجلسه ولا يخرج أحد من أهل البيت حتى أزل عليه الوحي ، فأخذ ما كان يأخذه من البراء أي الشدة

والكوب حتى إنه ليتحدر منه مثل الجمان أى الأول من العرق فى يوم شات ، فلما مررتى أى كشف عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو يضحك ، فكان أول كلمة تكلم بها أن قال يا عائشة احدى الله فقد برأك الله ، فقالت أى قولى لرسول الله صلى الله عليه وسلم فقلت والله لا أقوم إليه ولا أحمده إلا الله فأنزل الله عز وجل - إن الدين جاءوا بالافك عصبه منكم - الآيات ، فلما أنزل الله هذا فى برأتى قال أبو بكر الصديق وكان ينفق على مسطح بن أثاثة لقرايته منه والله ما أنفق على مسطح بشئ أبدا بعد ما قال فى عائشة فأنزل الله عز وجل - ولا تأتوا أولوا الفضل منكم والسعة - الآية إلى قوله - غفور رحيم - فقال أبى بكر بنى والله إنى لأحب أن يغفر الله لى فرجع إلى مسطح الذى كان يجرى عليه ، وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم يسأل زينب بنت جحش عن أمرى فقال يا زينب ما علمت ما رأيت ؟ فقالت يا رسول الله أحى محى وبصرى والله ما علمت عليها إلا خيرا ، قالت وهى التى كانت تسمينى فعصمها الله بالورع انتهى (قوله لكل امرئ منكم) أى من العصبه (قوله ما اكتسب من الإثم) أى جزاء ما اكتسب من الإثم فى الدنيا وهو لغير عبد الله بن أبى ، فأنهم قد حقوا حد القذف ، ومعى حنان وشلت يده فى آخر عمره ، ومعى مسطح أيضا أو فى الدنيا والآخرة وهو لابن أبى ، فعذبه الله بجزى الدنيا والخلود فى النار (قوله لولا إذ معتموه) لما بين سبحانه وتعالى حال الخاطئين فى الافك وأنهم اكتسبوا الإثم شرع فى توبيخهم وزجرهم بقصة زواج : الأول هذا . الثانى لولا جاءوا عليه الخ . الثالث (١٣٤) ولولا فضل الله الخ . الرابع إذ تلقونه الخ . الخامس ولولا إذ معتموه الخ .

السادس يعظمكم الله الخ . السابع إن الدين يحبون الخ . الثامن ولولا فضل الله عليكم الخ . التاسع يا أيها الذين آمنوا لا تتبعوا خطوات الشيطان ، إلى سميع عليم ولولا هنا للتوبيخ لدخولها على الخاضى ، لأن لولا هنا ثلاثة أحوال : إذا دخلت على ماض كان معناها التوبيخ وإذا دخلت على مضارع كان معناها التحضيض

(لِكُلِّ امْرِئٍ مِنْهُمْ) أى عليه (مَا اكْتَسَبَ مِنَ الْإِثْمِ) فى ذلك (وَالَّذِى تَوَلَّى كِبْرَهُ مِنْهُمْ) أى تحمل معظمه فبدأ بالخوض فيه وأشاعه وهو عبد الله بن أبى (لَهُ عَذَابٌ عَظِيمٌ) هو النار فى الآخرة (لَوْلَا) هلا (إِذْ) حين (سَمِعْتُمُوهُ ظَنَّ الْمُؤْمِنُونَ وَالْمُؤْمِنَاتُ بِأَنَّهُمْ) أى ظن بعضهم ببعض (خَيْرًا وَقَالُوا هَذَا إِفْكٌ مُّبِينٌ) كذب بين فى التفات عن الخطاب أى ظننتم أيها العصبه وقتلتم (لَوْلَا) هلا (جاءوا) أى العصبه (عَلَيْهِمْ بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ) شاهده (فَإِذَا لَمْ يَأْتُوا بِالشُّهَدَاءِ فَأُولَئِكَ عِنْدَ اللَّهِ) أى فى حكمه (هُمُ الْكَاذِبُونَ) فيه (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ لَمَسَّكُمْ فِي مَا أَفَضْتُمْ) أيها العصبه أى خضم (فِيهِ عَذَابٌ عَظِيمٌ) فى الآخرة (إِذْ تَلَقَّوْنَهُ بِأَلْسِنَتِكُمْ) أى يرويه بعضكم عن بعض وحذف من الفعل إحدى التاءين ، وإذ منصوب بمسكم أو بأفضم (وَتَقُولُونَ بِأَنفُسِكُمْ مَا لَيْسَ لَكُمْ بِهِ عِلْمٌ وَتَحْسَبُونَهُ هَيِّنًا) لا إثم فيه (وَهُوَ عِنْدَ اللَّهِ عَظِيمٌ) فى الإثم ،

(ولولا)

وإذا دخلت على جملة اسمية كانت امتناعية ، وقد كررت هنا

فى ستة مواضع : الأول والثانى والرابع توبيخية لاجواب لها . والثالث والخامس والسادس شرطية ذكر جوابها فى الثالث والسادس وحذف فى الخامس تقدير وإذا ظرف لظن ، والمعنى كان ينبغي لكم بمجرد سماعه أن تحسبوا الظن فى أم المؤمنين ولا تصرّوا على الأمر التبيح بعد سماعه (قوله بأنفسهم) أى بأبناء جنسهم فى الإيمان والصحة (قوله فى التفات عن الخطاب) أى إلى النبىة إذ كان مقتضى الظاهر ظننتم - وحكته التسجيل عليهم وللبالغة فى توبيخهم (قوله لولا جاءوا عليه) أى الافك (قوله شاهد) أى عاينوا الزنا (قوله فى حكمه) أى للشرعى لأن مداره على الشهادة والأمر الظاهر ، وهذا جواب عما يقال إنهم كاذبون والله مطلقا ولو أتوا جهدا . فأجاب بأنهم كاذبون باعتبار حكم الشرع ، ولا شك أنهم لو أتوا ببينة معتبرة لكان حكم الله أنهم صادقون فى الظاهر ، فأراد الله أن يكذبهم ظاهرا وباطنا (قوله ولولا فضل الله عليكم ورحمته) لولا امتناعية وجوابها قوله لمسكم ، والمعنى امتنع مس العذاب لكم لوجود فضل الله ورحمته عليكم (قوله فيما أفضمتم فيه) أى بسببه وما اسم موصول وأفضم صلتة أو مصدرية : أى بسبب الذى أفضمتم فيه أو بسبب إفضمكم . (قوله عذاب عظيم) أى لغير ابن ساول فإن عذابه عظم (قوله إذ تلقونه بألسنتكم) أى تلتفطون به باللسان فقط دون اعتقاده بالقلب فهم يعتقدون برأيتهم وإعما تافظهم بالافك محض حسد وهناد

(قوله ولولا إذ سمعتموه) لولا توبيخه وإذ ظرف قلتم ، والمعنى كان الواجب عليكم حين سمعتم هذا الأمر أن تقولوا سبحانك وحصل بالظرف بين لولا وقلتم لأنه يقتضي في الظروف ما لا يقتضي في غيرها (قوله هو لتعجب هنا) أي مع التزييه ، والمعنى تزيها لك عن اهتلاك حرماتك ، فانه غير لائق بك ولا بأحبائك الذين قلت فيهم - إنما يريد الله ليذهب عنكم الرجس أهل البيت ويطهركم تطهيرا - (قوله فيها كم) أشار بذلك إلى أنه ضمن يعظكم معنى فيها كم فعدها بمن (قوله أبدا) أي مدة حياتكم (قوله إن كنتم مؤمنين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه أي فلا تعودوا مثله (قوله باللسان) أي فالمراد بأشاعتها إشاعة خبرها (قوله بنسبتها إليهم) أشار بذلك إلى أن الراد بالدين آمنوا خصوص عائشة وصفوان (قوله وهم العصبه) تفسير للذين يحبون (قوله لحق الله) أي ذنب الاقدام وهو محمول على عبد الله بن أبي ، وأما غيره فقد تاب وحسنت توبته (قوله وأن الله ردوف رحيم) عطف على فضل الله (قوله لما جلستم بالعقوبة) جواب لولا (١٢٥) وخبر للبتداء محذوف والتقدير

موجودان (قوله خطوات) بضم الطاء وسكونها قراءتان سبعيتان (قوله ومن يتبع خطوات الشيطان) شرط حذف جوابه تقديره فلا يفلح أبدا وقوله فانه يأمر الخ تعليل للجواب (قوله أي التبع) هكذا بصيغة اسم الفعول وهو الشيطان (قوله باتباعهما) متعلق بيأمر (قوله ما زكا منكم من أحد أبدا) هذا يفيد أنهم تابوا وطهروا وهو كذلك بإعبد الله بن أبي فانه استمر على النفاق حتى هلك كآرا (قوله ولا ياتل) لانهية والفعل مجزوم بحذف الياء (قوله أي أصحاب الفنى) في تفسير

(وَلَوْلَا) هَلَا (إِذْ) حِينَ (سَمِعْتُمُوهُ قُلْتُمْ مَا يَكُونُ) مَا يَنْبَغِي (لَنَا أَنْ نَتَكَلَّمَ بِهَذَا سُبْحَانَكَ) هُوَ لَتَعْجَبَ هُنَا (هَذَا يُهْتَكُنُ) كَذِبٌ (عَظِيمٌ) . يَنْطَكُمُ اللَّهُ (يُنْهَكُمُ) أَنْ تَعُودُوا لِأَمْلِهِ أَبَدًا إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ) تَعْمَلُونَ بِذَلِكَ (وَيُؤَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) فِي الْأَمْرِ وَالنَّهْيِ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بِمَا بِأَسْرِهِ وَيَنْهَى عَنْهُ (حَكِيمٌ) فِيهِ (إِنَّ الَّذِينَ يُحِبُّونَ أَنْ تَشِيعَ الْفَاحِشَةُ) بِاللِّسَانِ (فِي الَّذِينَ آمَنُوا) بِنَسَبَتِهَا إِلَيْهِمْ وَهِيَ الْعَصْبَةُ (لَكُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ فِي الدُّنْيَا) بِحَدِّ الْقَذْفِ (وَالْآخِرَةِ) بِالنَّارِ لِحَقِّ اللَّهِ (وَاللَّهُ يَعْلَمُ) انْتِزَاعَهَا عَنْهُمْ (وَأَنْتُمْ) أَيُّهَا الْعَصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكَ (لَا تَعْلَمُونَ) وَجُودَهَا فِيهِمْ (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ) أَيُّهَا الْعَصْبَةُ (وَرَحْمَتُهُ) وَأَنَّ اللَّهَ رَدُوفٌ رَحِيمٌ (بِكُمْ لِمَا جَلَسْتُمْ بِالْعُقُوبَةِ) (يَأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَقْبَلُوا خُطُواتِ الشَّيْطَانِ) أَيُّ طَرَفِ تَزْيِينِهِ (وَمَنْ يَتَّبِعْ خُطُواتِ الشَّيْطَانِ فَإِنَّهُ) أَيُّ الْمَتَّبِعِ (يَأْمُرُ بِالْفَحْشَاءِ) أَيُّ الْقَبِيحِ (وَالْمُنْكَرِ) شَرًّا بِاتِّبَاعِهِمَا (وَلَوْلَا فَضْلُ اللَّهِ عَلَيْكُمْ وَرَحْمَتُهُ مَا زَكَا مِنْكُمْ) أَيُّهَا الْعَصْبَةُ بِمَا قُلْتُمْ مِنَ الْإِفْكَ (مِنْ أَحَدٍ أَبَدًا) أَيُّ مَا صَلَحَ وَطَهَّرَ مِنْ هَذَا الذَّنْبِ بِالتَّوْبَةِ مِنْهُ (وَلَكِنَّ اللَّهَ يُزَكِّي) يَطْهَرُ (مَنْ يَشَاءُ) مِنَ الذَّنْبِ بِقَبُولِ تَوْبَتِهِ مِنْهُ (وَاللَّهُ سَمِيعٌ) بِمَا قُلْتُمْ (عَلِيمٌ) بِمَا قَصَدْتُمْ (وَلَا يَأْتِلِ) يَحْلِفُ (أَوَّلُوا الْفَضْلِ) أَيُّ أَصْحَابِ الْفَنَى (مِنْكُمْ وَالسَّعَةِ أَنْ) لَا (يُؤْتُوا أَوْلَى الْقُرْبَى وَالْمَسَاكِينِ وَالْمُهَاجِرِينَ فِي سَبِيلِ اللَّهِ) نَزَلَتْ فِي أَبِي بَكْرٍ حَلْفٍ أَنْ لَا يَنْفِقَ عَلَى مَسْطَحٍ وَهُوَ ابْنُ خَالَتِهِ مَسْكِينٌ مُهَاجِرٌ بَدْرِي

الفضل بالفنى نوع تكرار مع قوله والسعة وحينئذ فالمناسب تفسير الفضل بالعلم والدين والاحسان وكفى به دليلا على فضل الصديق (قوله أن لا يؤتوا) أشار المفسر إلى أن الكلام على تقدير لا تنافى . قوله أولى القربى أي القرابة وقوله والمساكين والمهاجرين معطوفان على أولى فهذه الأوصاف الثلاثة لموصوف واحد وهو مسطح (قوله حلف أن لا ينفق على مسطح) أي فبعد ذلك تاب وجاء إلى أبي بكر واعتذر وقال إنما كنت أغشو مجلس جسان وأسمع منه ولا أقول ، فقال له أبو بكر لقد ضحكت وشاركت فيما قيل وكفر عن عيبي . [لطيفة] وقع لابن القرى أنه وقع منه هفوة فقطع والده ما كان يجريه له من النفقة فكتب الولد لأبيه :

لأقطعن عادة برّ ولا تجعل عقاب المرء في رزقه فان أمر الادك من مسطح

يحط قدر النجم من أفقه وقد جرى منه الذي قد جرى وعوتب الصديق في حقه

فكتب إليه والده : قد يمنع للضطر من ميتة إذا عصى بالسير في طرقه

لأنه يسوى على توبة توجب لإصلا إلى رزقه

ولم يقب مسطح من ذنبه ما هو تب الصديق في حقه انتهى

(قوله لما خاض في الإفك) ظرف لقوله حلف (قوله وليعفوا) أى أولوا الفضل (قوله وليصفحوا) أى ليعرضوا عنهم
لومهم (قوله ورجع إلى مسطح ما كان يتفق عليه) أى وحلف أن لا ينزع نفقته منه أبداً ومسطح هو ابن أمانة بن عباد بن
الطلب بن عبد مناف وقيل اسمه عوف ومسطح لقبه (قوله العافلات عن الفواحش) أى سلامة صدورهن ونقاء قلوبهن
واستغراقهن في مشاهدة الله تعالى (قوله لعنوا في الدنيا) أى بعدوا فيها عن الثناء الحسن على السنة المؤمنين وقوله والآخرة
أى بالعذاب إن لم يتوبوا (قوله ناصبه الاستقرار الخ) أى والتقدير وعذاب عظيم كأن لهم يوم تشهد (قوله بالفوقانية
والتحتانية) أى فهما قراءتان (١٢٦) سبعيتان (قوله يومئذ) معمول ليوفيهم أو ليعلمون (قوله

جزاءم الواجب عليهم)
أشار بذلك إلى أن المراد
بالدين الجزاء لما في الحديث
كاندين تدان (قوله هو
الحق) أى الثابت الذي
لا يقبل الزوال أزلاً ولا
أبداً (قوله ومنهم عبد الله
ابن أبي) أتى بهذا ليصح
قوله كانوا يشكون فيه
فالشك من بعضهم وأما
حسان ومسطح وحمدة
فهم مؤمنون لا يترددون
في الجزاء (قوله أزواج
النبي) أى لأن من قذف
واحدة منهم فقد قذف
الجميع لا شترا كهن في
العفة والصيانة والنسبة
لرسول الله صلى الله عليه
وسلم (قوله لم يذكر في
قذفهن توبة) أى مثل
ما ذكر نيا تقدم في قوله
إلا الذين تابوا (قوله ومن

لما خاض في الإفك بعد أن كان ينفق عليه وناس من الصحابة أقسموا أن لا يتصدقوا على من
تكلم بشيء من الإفك (وَلْيَعْفُوا وَلْيَصْفَحُوا) عنهم في ذلك (أَلَا تُحِبُّونَ أَنْ يَغْفِرَ اللَّهُ لَكُمْ
وَاللَّهُ غَفُورٌ رَحِيمٌ) للمؤمنين ، قال أبو بكر بلى أنا أحب أن يغفر الله لي ورجع إلى مسطح ما كان
ينفقه عليه (إِنَّ الَّذِينَ يَرْمُونَ) بالزنا (الْمُحْصَنَاتِ) العفاف (الْعَافِلَاتِ) عن الفواحش بأن
لا يقع في قلوبهن فعلها (الْمُؤْمِنَاتِ) بالله ورسوله (لَعَنُوا فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ وَلَهُمْ عَذَابٌ
عَظِيمٌ . يَوْمَ) ناصبه الاستقرار الذي تعلق به لهم (تَشْهَدُ) بالفوقانية والتحتانية (عَلَيْهِمْ
أَسَدْتُهُمْ وَأَبْدِيَهُمْ وَأَرْجُلُهُمْ بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) من قول وفعل وهو يوم القيامة (يَوْمَئِذٍ
يُوقَفُهُمُ اللَّهُ دِيْنَهُمُ الْحَقُّ) يجازيهم جزاءم الواجب عليهم (وَيَعْلَمُونَ أَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ
الْمُبِينُ) حيث حقق لهم جزاءه الذي كانوا يشكون فيه ومنهم عبد الله بن أبي . والمحصنات
هنا أزواج النبي صلى الله عليه وسلم لم يذكر في قذفهن توبة ومن ذكر في قذفهن أول السورة
التوبة غيرهن (الْحَبِيبَاتُ) من النساء ومن الكلمات (لِلْحَبِيبِينَ) من الناس (وَالْحَبِيبُونَ)
من الناس (لِلْحَبِيبَاتِ) مما ذكر (وَالطَّيِّبَاتُ) مما ذكر (لِلطَّيِّبِينَ) من الناس (وَالطَّيِّبُونَ)
منهم (لِلطَّيِّبَاتِ) مما ذكر : أى اللاتي بالحيث مثله وبالطيب مثله (أُولَئِكَ) الطيبون
والطيبات من النساء ومنهم عائشة وصفوان (مُبْرَدُونَ بِمَا يَقُولُونَ) أى الحبشون والحيثيات
من النساء فيهم (لَهُمْ) للطيبين والطيبات من النساء (مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) في الجنة ، وقد
افتخرت عائشة بأشياء : منها أنها خلقت طيبة ووعدت مغفرة ورزقا كريما .

(بأيها)

ذكر) مبتدأ وغيرهن خبره وهذا من باب التهنيل والتعظيم لأمر الإفك وإلا فهو كثير

من سائر المعاصي التي تعمى بالتوبة وأما بعد نزول الآيات فقد صار قذف عائشة رضي الله عنها بصفوان ككفرا لمصادمة القرآن
العظيم فاعتقاد براءتها شرط في صحة الإيمان (قوله الحبشيات للحيثين) كلام مستأنف سيق لنا كيد البراءة لعائشة وتقبيحا
على من تكلم فيها . وللعنى أن المجالسة من دواعي الانضمام فالحيث لا تكاد يألف غير جنسه والطيب كذلك وهو بمعنى قولهم :
* وكل إناء بالذي فيه ينضح * (قوله من النساء ومن الكلمات) هذان قولان في تفسير الحبشيات وقوله مما ذكر أى من
النساء والكلمات (قوله والطيبات للطيبين) لاشارة بذلك لرسول الله وعائشة أى حيث كان رسول الله أطيب الطيبين تبين
بذلك أن عائشة من أطيب الطيبات (قوله أى اللاتي بالحيث مثله) أى من نساء أو كلمات (قوله وقد افتخرت عائشة بأشياء) منها
أن جبريل عليه السلام أتى بصورتها في سرفة حرير وقال هذه زوجتك ، ويروى أنه أتى بصورتها ففراحت ، ومنها أن النبي

صلى الله عليه وسلم لم يتزوج بكراً غيرها وقبض رسول الله صلى الله عليه وسلم في حجرها وفي يومها ودفن في بيتها وكان ينزل الوحى عليه وهم معه في الاحاف ونزلت براءتهم من السماء وأنها ابنة الصديق خليفة رسول الله صلى الله عليه وسلم وخلقت طيبة ووعدت متفجرة ورزقا كريما ، وفي القرطبي قال بعض أهل التحقيق : إن يوسف عليه الصلاة والسلام لما رأى بالفاشة برأه الله على لسان صبي في الهمد وإن مريم لما رمت بالفحشاء برأها الله على لسان ولدها عيسى عليهما السلام وإن عائشة لما رمت بالفحشاء برأها الله بالقول لما رضى لها براءة صبي ولا نبى حتى برأها الله بكلامه من القذف والبهتان انتهى (قوله يأبىها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوتكم الخ) لما ذكر الله أحكام العفاف وكان من جملة العفاف عدم دخول منازل الغير إلا بإذن أهلها ذكر الاستئذان عقب ذلك ، وسبب نزولها أن امرأة من الأنصار قالت يا رسول الله إنى أكون في بيتى على حال لأحب أن يرانى عليها أحد لا والله ولا ولد فىأتى الأب فيدخل على وإنه لا يزال يدخل على رجل من أهلى وأنا على تلك الحالة فنزلت (قوله غير بيوتكم) أى غير محل سكنكم وحيث قد خرج مالك ذات الدار إذا دخل على مكثريها فيجب عليه الاستئذان لأنه قد صدق عليه أنه غير بيته (قوله حتى تستأنسوا) من الاستئناس وهو ضد الاستيحاش مى بذلك لأن الستأذن مستوحش ، فإذا أذن له فقد زال الاستيحاش (قوله فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل) أشار بذلك إلى أن السلام مقدم على الاستئذان وهو قول الأكثر والحق التفصيل فإن وقع بصره على أحد في البيت قدم السلام والإقدام الاستئذان (١٢٧) ثم يسلم ويكون كل من السلام والاستئذان ثلاث مرات

يفصل بين كل مرتبة بسكوت يسير : الأول إعلام . والثانى للتهيؤ . والثالث استئذان في الدخول أو الرجوع وإذا أتى الباب لا يستقبله من تلقاء وجهه بل يجىء من جهة ركنه الأيمن أو الأيسر وإذا طلب منه التعيين فليعين نفسه بصفة تميزه ولا يكتفى

(يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ بِيُوتِكُمْ حَتَّى تَسْتَأْذِنُوا) أَيْ تَسْتَأْذِنُوا (وَتَسَلُّوا عَلَى أَهْلِهَا) فيقول الواحد السلام عليكم أأدخل كما ورد في حديث (ذَلِكَ خَيْرٌ لَكُمْ) من الدخول بغير استئذان (لَعَلَّكُمْ تَذَكَّرُونَ) بإدغام التاء الثانية في الدال خيريته فتصلون به (فَإِنْ لَمْ تَجِدُوا فِيهَا أَحَدًا) يَأْذَن لَكُمْ (فَلَا تَدْخُلُوهَا حَتَّى يُؤْذَنَ لَكُمْ وَإِنْ قِيلَ لَكُمْ) بعد الاستئذان (أَرْجِعُوا فَأَرْجِعُوا هُوَ) أى الرجوع (أَرْجِعُوا) أى خير (لَكُمْ) من القعود على الباب (وَاللَّهُ يَمَّا تَعْمَلُونَ) من الدخول بإذن وغير إذن (عَلِيمٌ) فيجازيكم عليه (لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَنْ تَدْخُلُوا بُيُوتًا غَيْرَ مَسْكُونَةٍ فِيهَا مَتَاعٌ) أى منفعة (لَكُمْ) باستئذان وغيره كبيوت الربط والخانات المسبلة (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَعْمَلُونَ) تظهرون (وَمَا تَكْنُومُونَ) تخفون في دخول غير بيوتكم من قصد صلاح أو غيره وسياق أنهم إذا دخلوا بيوتهم يسلمون على أهلهم

بقوله أنا مثلا لما روى عن جابر بن عبد الله قال «استأذنت على النبي صلى الله عليه وسلم فقال: من هذا قلت أنا فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا أنا كأنه كره ذلك لعدم إعادته» فالواجب أن يفعل الشخص كما فعل عمر بن الخطاب رضى الله عنه حين أراد الدخول على النبي صلى الله عليه وسلم وهو في مشربة ، فقال السلام عليك يا رسول الله السلام عليكم أيدخل عمر (قوله من الدخول بغير استئذان) أى ومن تحية الجاهلية حيث كان الرجل منهم إذا أراد أن يدخل بيتا غير بيته يقول حيثكم صلبا حيثكم مساء فربما أصاب الرجل مع امرأته في لحاف (قوله بإدغام التاء الثانية في الدال) أى بعد قلبها دالا فذالا (قوله أحد يأذن لكم) السالبة تصدق بنى الموضوع فهو صادق بأن لا يكون فيها أحد أصلا أو فيها من لا يصلح للاذن أو فيها من يصلح لكن لم يأذن (قوله حتى يؤذن لكم) أى حتى يأتىكم الاذن ولو مع خادم يوثق به (قوله هو أوزكى) أى أطير للأمن من الرذائل والدنات (قوله ليس عليكم جناح) هذا كالأستثناء من قوله لا تدخلوا بيوتا غير بيوتكم . وسبب نزولها أن أبا بكر رضى الله عنه لما نزلت آية الاستئذان قال يا رسول الله كيف بالبيوت التى بين مكة والشام على ظهر الطريق والخانات أفلا ندخلها إلا بإذن فنزلت (قوله غير مسكونة) أى غير معدة لسكنى طائفة مخصوصة كالربط والخانات والحمامات والخوانيت ونحوها (قوله باستئذان) أى طلب كمن يستتر فيه من الحر والبرد وقوله وغيره كالبيع والعمارة (قوله للمسبلة) اقتصر عليها لأن مورد سؤال أبى بكر في الخانات المسبلة التى بين مكة والشام (قوله وسياق) أى فى آخر السورة فى قوله فإذا دخلتم بيوتا فسلموا على أنفسكم أى قولوا السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن لللائكة ردة عليكم أى وإن كان بها أهل فسلموا عليهم

(قوله قل للمؤمنين الخ) شروع في ذكر أحكامهم مع المستأذنين وغيرهم (قوله ينضوا) أي يغضضوا (قوله ومن زائدة) أي ينضوا أبصارهم وحكمة دخول من في غض البصر دون حفظ الفرج الإشارة إلى أن أمر النظر أوسع من أمر الفرج (قوله ذلك أركي لهم) أي لأنه أبعد للريبة ولا مفهوم للبصر والفرج بل باقي الجوارح كذلك وخص البصر والفرج بالتمسك لأنهما مقدمتان نظيرهما من الجوارح (قوله فيجازيهم عليه) أي فالتعاض يجازي بالحسنات وغيره يجازي بالسبئات (قوله وقل للمؤمنات ينضن من أبصارهن) هذا أمر من الله سبحانه وتعالى للمؤمنات بغض الأبصار وحفظ الفروج وبسط الكلام في شأنهن لأن النساء شأنهن التبرج والحيلاء والعجب لما روى «إذا أقبلت المرأة جلس إبليس على رأسها فزيها لمن ينظر وإذا أدبرت جلس على عجزها فزيها لمن ينظر» وقد اشتملت هذه الآية على خمسة وعشرين ضميرا للأنثى ما بين مرفوع ومجرور ولم يوجد لها نظير في القرآن في هذا الشأن (قوله عما لا يحل لهن فعله بها) أي عن الأمر الذي لا يحل فعله بالفروج كأن تمسكن المرأة من فرجها غير زوجها نظرا أو فعلا (قوله زيتتهن) أي موضع زيتتهن (قوله فيجوز نظره لأجنبي الخ) هذا مذهب مالك وأحد قولين عند الشافعي (قوله حسما للباب) أي (١٢٨) سدا للفرجة (قوله وليضربن بخمرهن) أي يلقين خمرهن على

موضع جيوبهن وهو العنق والجيب في الأصل طوق القميص وكانت النساء على عادة الجاهلية يسدلن خمرهن من خلفهن فتبدو نحورهن وقلائدهن من جيوبهن لستها فأمرن بارسال خمرهن على جيوبهن ستر لما يبدو منها (قوله زيتتهن) أي مواضع زيتتهن (قوله إلا لبعولتهن) حصل هذه الاستثنائات اثنا عشر نوعا آخرها أو الطفل (قوله أو آبائهن) أي وإن علوا وقوله أو آبائهن) ولو من الرضاع

(قُلْ لِلْمُؤْمِنِينَ يَنْضُوا مِنْ أَبْصَارِهِمْ) عما لا يحل لهم نظره ومن زائدة (وَيَحْفَظُوا فُرُوجَهُمْ) عما لا يحل لهم فعله بها (ذَلِكَ أَرْكَي) أي خير (لَمْ يَنْزِلْ اللَّهُ خَيْرٌ بِمَا يَنْضُونَ) بالأبصار والفروج فيجازيهم عليه (وَقُلْ لِلْمُؤْمِنَاتِ يَنْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ) عما لا يحل لهن نظره (وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ) عما لا يحل لهن فعله بها (وَلَا يُبْدِينَ) يظهرون (زِيَّتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا) وهو الوجه والكفان فيجوز نظره لأجنبي إن لم يخف فتنة في أحد وجهين . والثاني يحرم لأنه مظنة الفتنة ورجح حسما للباب (وَلِيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ) أي يسترن الرؤوس والأعناق والصدور بالمقانع (وَلَا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ) الخفية وهي ما عدا الوجه والكفين (إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ) جمع بعل أي زوج (أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءِهِنَّ أَوْ أَبْنَاءَ بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) فيجوز لهم نظره إلا ما بين السرة والركبة فيحرم نظره لغير الأزواج وخرج بنسائهن الكافرات فلا يجوز للسلمات الكشف لمن وشمل ما ملكت أيماهن العبيد (أَوْ الْقَائِمِينَ) في فضول الطعام (غَيْرِ) بالجر صفة والنصب استثناء (أُولَى الْإِرْبَةِ) أصحاب الحاجة إلى النساء (مِنْ الرِّجَالِ) بأن لم ينتشر ذكر كل (أَوْ الطِّفْلِ) بمعنى الأطفال ،

(الدين)

وإن سفلوا (قوله أو إخوانهن) جمع أخ كان من نسب أو رضاع (قوله أو نسائهن)

أي نساء جنسهن اللاتي اشتركن معهن في الإيمان فيخرج الكافرات (قوله فيجوز لهم نظره) أي يجوز للرجال المحارم رؤية ما عدا ما بين السرة والركبة من محارمهم النساء ويجوز لهن نظر ذلك منهم . وهذا مذهب الشافعي ، وعند مالك لا يحل للرجال المحارم إلا نظر الوجه والأطراف من النساء المحارم ، وأما النساء فيحل لهن نظر ما عدا ما بين السرة والركبة من الرجال المحارم (قوله فلا يجوز للسلمات الكشف لمن) أي باتفاق مالك والشافعي لثلاث تصفها الكافرة لأهل دينها فتصل للمفاسد (قوله العبيد) أي فيجوز أن يكشفن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة لكن بشرط العفة وعدم الشهوة من الجانبين ، وهذا مذهب الشافعي وعند مالك يفرق بين الوغد وغيره فالوغد يرى من سيده الوجه والأطراف وغيره كالحر الأجنبي يرى منها الوجه والكفين (قوله أو التابعين) الحق أن المراد بالتابع الشيخ الهرم الذي لا يشتهي النساء أو الأهل الذي لا يعرف الأرض من السماء ولا الرجل من المرأة (قوله غير أولى الإربة) بالسكسر الحاجة (قوله من الرجال) حال من التابعين : أي فيجوز لمن ذكر نظر ما عدا ما بين السرة والركبة عند الشافعي وعند مالك يحل نظر الوجه والأطراف فقط .

(قوله الذين لم يظهروا على عورات النساء) اعلم أن الصبي إماماً لا يبلغ أن يحكي ما رأى وهذا غيبته كحضوره، وأن يبلفه وليس فيه ثوران شهوة وهذا كالحرم، أو يعرف أمر الجماع والشهوة وهذا كالبالغ باتفاق مالك والشافعي (قوله ليعلم ما يخفين من زينتهن) أي فإن ذلك يورث الرجال ميلاً إليهن، وهذا من باب سد الباب وتعليم الأحوط والإصوت الخلخال مثلاً ليس بعورة (قوله وتوبوا إلى الله جميعاً) هذا حسن اختتام لهذه الآية كأن الله يقول لا تقنطوا من رحمتي فمن كان قد وقع منه شيء مما نهيته عنه فليقب فان التوبة فيها الفلاح والظفر بالمقصود (قوله تغليب الذكور) أي في قوله وتوبوا إلخ (قوله) وأنكحوا الأبايى منكم إلخ) الخطاب للأولياء والسادات والانكاح تزويج النبر (قوله جمع أيم) أي بوزن فيعل، قيل غير مقلوب، وقيل إن الأصل أياهم فقلب (قوله وهي من ليس لها زوج إلخ) أي فلفظ الأيم يطلق على كل من الرجل والمرأة غير المتزوجين سواء سبق لهما تزويج أولاً، والأمر للوجوب إن خيف الزنا على المرأة أو الرجل أو اضطرت المرأة للنفقة لكن المرأة يزوجه زوجها ولها والرجل يزوجه نفسه إن كان رشيداً أو أذن له وليه، وهذا مذهب مالك والشافعي، وعند أبي حنيفة تزوج المرأة نفسها فإن لم تخف الزنا أو لم تضطر للمرأة كان مباحاً عند الشافعي ومندوباً عند مالك وأبي حنيفة. واعلم أن النكاح تعتريه الأحكام الأربع: فتارة يجب وذلك إذا خاف الزنا ولو كان ينفق عليها من حرام، وتارة يندب إذا كان راعياً غيبته ولم يخش الزنا أو راعياً النفس، وتارة يحرم كما إذا كان يقطعها عن عبادة واجبة أو ينفق عليها من حرام مع (١٢٩) كونه لم يخش الزنا، وتارة يكره كما

إذا كان يقطعها عن عبادة مندوبة (قوله وهذا في الأحرار إلخ) أي بقرينة قوله وإمائكم (قوله أي للمؤمنين) أي فالعبيد المؤمنون يزوجون وجوباً إن خيف بترك الزنا وهذا عند الشافعي وعند مالك لا يجب على السيد تزويج عبده ولو خاف العبد الزنا وحيفتد فالأمر عنده للندب (قوله من عبادكم) أي فيزوجه سيده ولو بحرة

(الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا) يَظْهَرُوا (عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاءِ) للجماع فيجوز أن يبدن لهم ما عدا ما بين السرة والركبة (وَلَا يَخْفَيْنَ بِأَرْجُلَيْهِ لِيُعْلَمَ مَا يَخْفَيْنَ مِنْ زِينَتِهِنَّ) من خلخال يتقمع (وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهُ الْمُؤْمِنُونَ) فما وقع لكم من النظر الممنوع منه ومن غيره (لَمَلَّكُمْ تَغْلُحُونَ) تنجبون من ذلك لقبول التوبة منه، وفي الآية تغليب الذكور على الإناث (وَأَنكِحُوا الْأَيَّامِي مِّنْكُمْ) جمع أيم، وهي من ليس لها زوج بكر كانت أو ثيباً ومن ليس له زوج وهذا في الأحرار والحرائر (وَالصَّالِحِينَ) أي المؤمنين (مِنْ عِبَادِكُمْ وَإِمَائِكُمْ) وعباد من جموع عبد (إِنْ يَكُونُوا) أي الأحرار (فَقَرَاءَ يَغْنِيهِمُ اللَّهُ) بالتزويج (مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ وَاسِعٌ) لخلقه (عَلِيمٌ) بهم (وَلَيْسْتَغْفِرِ الَّذِينَ لَا يَجِدُونَ نِكَاحًا) أي ما ينكحون به من مهر وفتة عن الزنا (حَتَّى يُغْنِيَهُمُ اللَّهُ) يوسع عليهم (مِنْ فَضْلِهِ) فينكحون (وَالَّذِينَ يَدْتَنِفُونَ الْكِتَابَ) بمعنى المكتابة (بِمَا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء،

وقوله وإمائكم: أي فيزوج السيد أمته لرقيق وكذا حرته بشرط أن لا يجد للحرائر طولا وأن يخشى الزنا ومحل الشرطين إن لم يكن عقياً (قوله من جموع عبد) أي وله جموع أخر كعبيد وأعابد وأصبيد ونحو ذلك (قوله إن يكونوا فقراء يغنيهم الله من فضله) أي فإن في فضل الله كفاية عن المال لقوله عليه الصلاة والسلام «اطلبوا النسي بالتزويج» فالهم تزويج الصالحين من عباد الله نساء ورجالا وإن كانوا فقراء لما في الحديث «تنكح المرأة لما لها وجمالها ودينها فضلك بذات الدين تربت يداك» (قوله والله واسع) أي ذو العطايا العظيمة التي لا تنفذ (قوله عليم بهم) أي بحالهم فيغنيهم (قوله وليستغفر الذين لا يجدون نكاحاً) أي ليجتهدوا في طلب العفة وتحصيل أسبابها وذلك يكون بالتباعد عن النملان والنساء ويكون بملازمة الصوم والرياضة لما في الحديث «من استطاع منكم الباءة فليتزوج ومن لم يستطع فليصم فإنه له وجاء» ويكون بترك استعمال العقاقير التي تقوى الشهوة واستعمال ضدها (قوله أي ما ينكحون به) أي فالمصدر بمعنى اسم المفعول ككتاب بمعنى مكتوب (قوله من الزنا) قدره إشارة إلى أن متعلق يستغفر محذوف (قوله والذين) اسم موصول مبتدأ ويتنقون صلته والكتاب معمول لبيتقون، وقوله: مما ملكت إيمائكم حال من قائل بيتقون، وقوله: فكتابهم الجملة خبر وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى الشرط (قوله بمعنى المكتابة) أي وهي مفاعلة لأن السيد كتب على نفسه العتق والعبد كتب على نفسه التجوم .

(قوله فكاتبوهم) الأمر للندب (قوله أي أمانة) أي في دينه (قوله وقدرة على الكسب) أي بحرفة وغيرها (قوله وآتوهم) الأمر قيل للندب وقيل للوجوب (قوله حط شيء) أي وهو أفضل من الاعطاء لأنه قد يصرفه في غير جهة الكتابة والأفضل أن يكون ذلك الحط في آخر نعيم (قوله ولا تسكروها فتياتكم) جمع فتاة ولا مفهوم للاكرام بل الرضا بالزنا من الكبار وإما عبره لأنه سبب النزول (قوله على البغاء) هو مصدر بغت المرأة تبتغي بغاء : أي زنت وهو مختص بزنا النساء (قوله إن أردن تحصنا) لا مفهوم له بل يحرم الاكرام على الزنا وإن لم يردن التحصن ، وإما نص على ذلك لأنه الواقع من عبد الله بن أبي الذي نزلت في حقه الآية (قوله محل الاكرام) أي فلا يتحقق الاكرام إلا عند تلك الإرادة وأما عند ميله له فذلك باختياره فلا يتصور الاكرام حينئذ فالتقييد لأجل صحة قوله تسكروها (قوله كان يكره جواريه) أي وكن - متا - فشكا ثنتان منهم للنبي صلى الله عليه وسلم فنزلت الآية (قوله غفور لمن) أي مالموقع منهم لأن الكره وإن لم يكن آثماً فلا يحصل منه بعض ميل والاكرام المبيح للزنا هو خوف القتل أو الضرب المؤدى له أو تلف عضو ، وأما القتل فلا يباح بخوف القتل بل يسلم نفسه ولا يقتل غيره ، وأما ترك الصلاة (١٣٠) فلا فالأكرام عليه يحصل بالضرب ونحوه (قوله بفتح الياء وكسرهما) أي

فهما قراءتان سبعيتان (قوله بين فيها ما ذكر) راجع للفتح ، وقوله أو بينة راجع للكسر (قوله ومثلاً) عطف على آيات (قوله أي من جنس أمثالهم) أشار بذلك إلى أن في الآية حذف مضافين والأصل ومثلاً من جنس أمثال الذين خلوا (قوله الله نور السموات والأرض) اعلم أن حقيقة النور كيفية تدركها الباصرة أولاً وتدرج بواسطتها سائر البصريات كالكيفية الفائضة من النسرين على الأجرام

(فَكَاتِبُوهُمْ إِنْ عَلِمْتُمْ فِيهِمْ خَيْرًا) أي أمانة وقدرة على الكسب لأداء مال الكتابة ، وصيغتها مثلاً كاتبك على أثنين في شهرين كل شهر ألف فإذا أدبتهما فأت حر فيقول قبلت (وَأَتَوْهُمْ) أمر للسادة (مِنْ مَالِ اللَّهِ الَّذِي آتَيْكُمْ) ما يستعينون به في أداء ما التزموه لكم وفي معنى الإيتاء حط شيء مما التزموه (وَلَا تُكْرِهُوا فَتِيَاتِكُمْ) أي إمائكم (عَلَى الْبِغَاءِ) أي الزنا (إِنْ أَرَدْنَ تَحَصُّنًا) تعفوا عنه وهذه الإرادة محل الاكرام فلا مفهوم للشرط (لِتَبْتَغُوا) بالإكرام (عَرَضَ الْحَيَوةِ الدُّنْيَا) نزلت في عبد الله بن أبي كان يكره جواريه على الكسب بالزنا (وَمَنْ يُكْرِهْهُنَّ فَإِنَّ اللَّهَ مِنْ بَعْدِ إِكْرَاهِهِنَّ غَفُورٌ) لمن (رَحِيمٌ) بهن (وَلَقَدْ أَنْزَلْنَا إِلَيْكُمْ آيَاتٍ مُبَيِّنَاتٍ) بفتح الياء وكسرهما في هذه السورة بين فيها ما ذكر أو بينة (وَمَثَلًا) خبراً عجيباً وهو خبر عائشة (مِنَ الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلِكُمْ) أي من جنس أمثالهم أي أخبارهم العجيبة كعبر يوسف ومريم (وَمَوْعِظَةً لِّلْمُتَّقِينَ) في قوله تعالى : ولا تأخذكم بهما رأفة في دين الله الخ ، لولا إذ سمعتموه ظن المؤمنون الخ ولولا إذ سمعتموه قلتم الخ ، بعظكم الله أن تعودوا الخ وتخصيصها بالمتقين لأنهم المنتفعون بها (اللَّهُ نُورُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي منورها بالشمس والشمس (مَثَلُ نُورِهِ) أي صفته في قلب المؤمن (كَشِبْكُورَةٍ فِيهَا مِصْبَاحٌ مِّصْبَاحٌ فِي زُجَاجَةٍ)

الكشفية المحاذية لهما وهو بهذا المعنى مستحيل إطلاقه على الله تعالى ، وحينئذ

فيجاء عن الآية بأن معنى قوله - نور السموات والأرض - خالق النور في السموات والشمس والقمر والنجوم والكواكب والعرش والملائكة ، وفي الأرض بالمصباح والشموع والأنبياء والعلماء والصالحين أفاد هذا المفسر بقوله : أي منورها وقيل معنى نور السموات والأرض مظهرها لأن النور كما يطلق على الكيفية يطلق على الظاهر في نفسه المظهر لغيره ، وهو بهذا المعنى يصح إطلاقه على الله تعالى فهو سبحانه وتعالى نور بمعنى مظهر للأشياء من العدم إلى الوجود . قال ابن عطاء الله في الحكم : الكون كله ظلمة أنارة ظهور الحق فيه فوجود العالم بوجود الله إذ لولا وجود الله ما وجد شيء من العالم (قوله مثل نوره) مبتدأ ، وقوله كشكاة خبر والمثل بمعنى الصفة والكلام على حذف مضاف : أي كمثل مشكاة (قوله أي صفته في قاب المؤمن) أشار بذلك إلى أن في الكلام شبه استخدام حيث ذكر النور أولاً بمعنى ثم ذكره ثانياً بمعنى آخر فتحصل أنه فسر النور أولاً بالمعنى وثانياً بالمعنى (قوله كشكاة) اختلف في هذه اللفظة ، قيل عربية وقيل حبشية مغربة (قوله في زجاجة) واحدة الزجاج وفيه ثلاث لغات الضم وبه قرأ العامة والفتح والكسر وبهما قرأه شافعية .

بين البصر ، وفي هذا المقام تنافس المتنافسون فأدّاهم أهل الرقية وأعلام أهل المشاهدة ، ومن هذا المعنى قوله تعالى - إن الذين اتقوا إذا مسهم طائف من الشيطان تذكروا فإذا هم مبصرون - وقوله في الحديث « اتقوا فراسة المؤمن فإنه يتحرّح بحور الله » وقوله في الحديث أيضا « الاحسان أن تعبد الله كأنك تراه » وللعارفين تفنّات وضرب أمثال في هذه المقامات لا يدركها إلا من كان من أهل هذا النور (قوله في بيوت) الزاد بها جميع الساجد ، وقيل خصوص مساجد أربع السكبة ومسجد المدينة وبيت المقدس وقباء لأنه لم يبق فيها إلا النبي فالسكبة بناها إبراهيم وإسماعيل وبيت المقدس بناه داود وسليمان ومسجد المدينة وبقباء بناها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، والأقرب الأول لأن العمرة بموم اللفظ (قوله يتعلق بيسبح الآتي) أى سواء قرئ يثناه للفاعل أو المفعول وكرر الظرف وهو قوله فيها اعتناء بشأن الساجد لما ورد « بيوت الله في الأرض نصي . لأهل السماء كما نصي النجوم لأهل الأرض » ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف دلّ عليه قوله يسبح ، والتقدير سبحانه بكم في بيوت وعلى هذين فالوقف على علم ويصح أن يكون الجار والمجرور صفة لمشكاة أو لمصباح أو لزجاجة أو متعلق بتوقد على هذه الأربعة لا يوقف على علم (قوله أذن الله) أى أمر والجملة صفة لبيوت وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مجرور بالباء القدرة ، والتقدير أمر الله برفعها (قوله تعظم) أى حسا ومعنى فالتعظيم الحسى رفعها بالبنيان المتين الحسن مساويا لبنيان البلد أو أعلى ولا منافاة بين هذا وقوله عليه الصلاة والسلام « إذا ساء عمل قوم زخرفوا مساجدهم » لأن المنهى عنه الزخرفة والتزيين لاحسن البنيان وإتقانه ومن التعظيم الحسى (١٣٢) تطهيرها من الأقدار والنجاسات . قال القرطبي : كره بعض أصحابنا تعليم

الصبيان في المساجد لأنهم لا يتحرزون عن الأقدار والأرساخ فيؤدّي ذلك إلى عدم تنظيف المساجد وقد أمر رسول الله صلى الله عليه وسلم بتنظيفها وتطهيرها فقال « جنبوا مساجدكم صبيانكم ومجانينكم ومملّ سيوفكم وإقامة حدودكم ورفع

(فِي بَيُوتٍ) متعلق بيسبح الآتي (أَذِنَ اللَّهُ أَنْ تُرْفَعَ) تعظم (وَيَذْكُرَ فِيهَا أَسْمَهُ) بتوحيده (يُسَبِّحُ) بفتح اللوحدة وكسرهما : أى يصلى (لَهُ فِيهَا بِالْقُدُّو) مصدر بمعنى الندوات أى البكر (وَالْأَصَالِ) الشيا من بعد الزوال (رَجَالٌ) فاعل يسبح بكسر الباء وعلى فتحها نائب الفاعل له ورجال فاعل فعل مقدار جواب سؤال مقدر كأنه قيل من يسبحه (لَا تَأْتِيهِمْ تِجَارَةٌ) أى شراء (وَلَا يَبِيعُ عَنْ ذِكْرِ اللَّهِ وَإِقَامِ الصَّلَاةِ) حذف هاء إقامة تخفيف (وَإِيتَاءِ الزَّكَاةِ يَخَافُونَ يَوْمًا تَتَقَلَّبُ) تضطرب (فِيهِ الْقُلُوبُ وَالْأَبْصَارُ) من الخوف ، القلوب بين النجاة والمهلك ، والأبصار

بين

أصواتكم وخصوماتكم وجروها في الجمع واجعلوا لها على أبوابها المطاهر « والتعظيم

للمعنى بترك اللهو واللعب والحديث الدنيوى وغير ذلك مما لا يعنى (قوله ويذكر فيها اسمه) أى بأى ذكر كان (قوله بفتح الموحدة وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الفتح يكون نائب الفاعل أحد المجرورات الثلاثة والأول أولى ، ولذا اقتصر عليه المفسر ورجال فاعل فعل محذوف أو خبر لمحذوف تقديره بحسبه أو المسبح وعليه فالوقف على الأصل وعلى الكسر فرجال فاعله ولا يوقف على الأصل (قوله أى يصلى) فسر التسبيح بالصلاة لاشتغالها عليه ، واختاف في المراد بالصلاة فقيل المراد صلاة الصبح في القدو وباقي الخمس في الأصل ، وقد أشار لهذا المفسر بقوله من بعد الزوال ، وقيل المراد صلاة الصبح والعصر لما قيل إنهما الصلاة الوسطى (قوله مصدر) أى فى الأصل وأما هنا فالمراد منه الأزمنة (قوله أى البكر) أى وهى أوائل النهار ، وقوله العشاي هى أواخر النهار (قوله رجال) خصوا بالله لأن شأنهم حضور المساجد للجمعة والجماعة (قوله شراء) خص التجارة بالشراء وإن كان لفظ التجارة يقع على البيع أيضا كره البيع بعده ، وقيل المراد بالتجارة حقيقة وهو يكون خص البيع لأنه لا يشتغل به أعظم لكون الربح الحاصل من البيع ناجزا محققا والربح الحاصل من الشراء مشكوك فيه مستقبل فلا يكاد يشغله (قوله عن ذكر الله) أى عن حقوق الله صلاة أو غيرها فقوله : وإقام الصلاة وإيتاء الزكاة من ذكر الحاصل بعد العام اعتناء بشأنهما فإن المواظبة عليهما كامل الإيمان (قوله وإقام الصلاة) أى أدائها فى أوقاتها بشروطها وأركانها وآدابها (قوله يخافون يوما) أى هؤلاء رجال وإن أكثروا الذكروا الطاعات فانهم مع ذلك وجلون خائفون من الله سبحانه وتعالى لهم بأنهم ماعبدوه حق عبادته (قوله بين النجاة والمهلك) وراجع لتقلب القلوب ، وقيل معنى قلب القلوب لارتفاعها إلى الخناجر فلا تنزل ولا تخرج من شدة المحول

(قوله بين ناحيتي البين والشمال) وقيل قلب الأجر شخصها من هول الأمر وشدة (قوله ليحزبهم الله) اللام للعاقبة والصبرية أي إن مال أحرم وعاقبته الجزاء الحسن وليست لام العلة لأن هذه مرتبة عامة للمؤمنين وتلك الأوصاف إنما هي لكامل لايمان (قوله وأحسن بمعنى حسن) أي فلهتز عنه المجازاة على القبيح فالحق يجازون على كل عمل حسن قال تعالى - إنا لانضيق أجراً من أحسن عملاً - ولا يجازون على ما سبق من العمل القبيح (قوله ويزيدهم من فضله) أي فلا يقتصر في إعطائهم على جزاء أعمالهم بل يعطون أشياء لم تخطر ببالهم (قوله والله يرزق من يشاء بغير حساب) تذييل ووعد كريم بأنه تعالى يعطيهم فوق أجور أعمالهم من الخيرات ما لا يقي به الحساب (قوله يقال فلان ينفق بغير حساب الخ) أي فهو كناية عن كون الله يعطيهم ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر بغير نهاية فوق ما وعدهم به (قوله والذين كفروا الخ) لما ضرب الله للثقل للمؤمنين بأشرف الأمثال وأعلاها ضرب المثل للكفار بأشرف الأشياء وأخسها . والحاصل أن الله ضرب للكفار مثليين مثل لأعمالهم الحسنة بقوله كسر اب الخ ومثل لأعمالهم السيئة بقوله أو كظلمات الخ والاسم الموصول مبتدأ وكفروا صلته وأعمالهم مبتدأ ثان وكسر اب خبر الثاني والثاني وخبره خبر الأول ويصح أن يكون أعمالهم بدل اشتغال وكسر اب خبر الذين (قوله أعمالهم) أي الصالحة كصدقة وعنتى وغير ذلك مما لا يتوقف على نية (قوله بقيمة) الباء بمعنى في كاشير له للفسر بقوله أي في فلاة (قوله جمع قاع) أي كجيرة جمع جارة ، وقيل القيمة مفرد بمعنى القاع (قوله يشبه الماء الجاري) أي ويسمى ألا أيضاً قال الشاعر : إذا أنا كالذي يجري لورد إلى آل فلم يدرك بلالا (١٣٣) ويسمى سراباً لأنه يفسر أي يجري كالماء (قوله

بين ناحيتي البين والشمال هو يوم القيامة (لِيَحْزِبَهُمُ اللَّهُ أَحْسَنَ مَا عَمِلُوا) أي ثوابه وأحسن : بمعنى حسن (وَيَزِيدُهُمْ مِنْ فَضْلِهِ وَاللَّهُ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ) يقال فلان ينفق بغير حساب : أي يوسع كأنه لا يحسب ما ينفقه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا أَعْمَالُهُمْ كَسَرَابٍ بِقِيمَةٍ) جمع قاع : أي في فلاة ، وهو شعاع يرى فيها نصف النهار في شدة الحر يشبه الماء الجاري (يَحْسَبُهُ) يظنه (الظَّالِمَانِ) أي العطشان (مَاءٌ حَتَّى إِذَا جَاءَهُمْ لَمْ يَجِدْهُ سَيْئًا) مما حسبه كذلك الكافر يحسب أن عمله كصدقة ينفعه حتى إذا مات وقدم على ربه لم يجد عمله أي لم ينفعه (وَوَجَدَ اللَّهُ عِنْدَهُ) أي عند عمله (فَوَفَاءُ حِسَابُهُ) أي جزاءه عليه في الدنيا (وَاللَّهُ سَرِيعُ الْحِسَابِ) أي المجازاة (أَوْ) الذين كفروا أعمالهم السيئة (كَظُلُمَاتٍ فِي بَحْرٍ ،

يحسبه) بكسر السين وفتحها قراءتان سبعيتان وماضيه حسب بكسر السين وهو من باب تعب في لغة جميع العرب إلا بني كنانة فأنهم يكسرون الضارع مع كسر الماضي أيضاً (قوله الظلمان) أي وكذا كل من رآه وإمعنا خص

الظلمان لأنه أخرج إليه من غيره (قوله حتى إذا جاءه) أي جاء ما قصده وظنه ماء وهو غاية في محذوف أي يستمر سائرًا إليه حتى إذا جاءه الخ (قوله كذلك الكفار الخ) أشار بذلك إلى وجه الشبه فتحصل أنه شبه حال الكافر من حيث اعتقاده أن عمله الصالح ينفعه في الآخرة فإذا جاء يوم القيامة لم يجد الثواب الذي كان يظنه بل وجد العقاب العظيم والعذاب الأليم فعظمت حسرته بحال الظلمان الذي اشتدت حاجته إلى الماء فإذا شاهد السراب تعالى به فإذا جاءه لم يجد شئاً (قوله ووجد الله) أي وجد وعد الله بالجزاء على عمله أو العنى وجد عذاب الله له (قوله أي جزاءه عليه في الدنيا) العنى أن الكافر يوم القيامة يعلم ويتحقق أن الله جزاءه على أعماله الحسنة التي لم تتوقف على نية في الدنيا بالمال والبنين والعافية وغير ذلك من لذات الدنيا هكذا قال المفسر وهو وإن كان صحيحاً في نفسه إلا أن المفسرين على خلافه فأنهم قالوا : معنى وفاء حسابه جزاءه عليه في الآخرة بالعذاب . والحاصل أنه إن أريد مثل أعماله الصالحة التي تتوقف على نية فسلم أنه لا يجد لها جزاء في الآخرة ولا تنفعه أصلاً وإن أريد خصوص ما لا يتوقف على نية فليل لا يجد لها نفعاً أصلاً ، وقيل يجد نفعها إما في الدنيا كتوسيتها عنه وعافيته وغير ذلك ، أو في الآخرة بتخفيف عذاب غير الكافر (قوله أو كظلمات) أول التقسيم أي أن أعمال الكافر حينها تنقسم قسمين : قسم كالسراب وهو العمل الصالح ، وقسم كالظلمات وهو العمل السيئ ، وقوله : أو كظلمات معطوف على قوله : كسراب على حذف مضاف تقديره لو كذا ظلمات يدل عليه قوله - إذا أخرج يده لم

(قوله لجي) . منسوب للبحر أولاجة وهو الماء الغزير (قوله يشاء موج الخ) أى يعلوه وهو اضطلة على كلمة الأمواج وتراكبها ، والمعنى أن البحر الائجى يكون باطنه مظلماً بسبب غزارة الماء فإذا تراكفت الأمواج ازدادت الظلمة فإذا كان مع ذلك سحب ازدادت الظلمة جداً ، ووجه الشبه أن الله تعالى ذكر ثلاث ظلمات : ظلمة البحر والأمواج والسحاب ، كذلك السحاب له ثلاث ظلمات : ظلمة الاعتقاد وظلمة القول وظلمة الفعل (قوله من فوقه سحب) أى قد غطى أنوار النجوم (قوله هذه ظلمات) أشار بذلك إلى أن قوله : ظلمات خبر لمخدوف (قوله إذا أخرج يده) خصها لأنها أقرب الأشياء إليه (قوله ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) استغيد من هذا أن النور ليس بالحول ولا بالقوة بل بفضل الله يعطيه لمن يشاء ، والمعنى من لم يجعل الله له ديناً وإيماناً فلا دين له (قوله ألم تر) الخطأ لكل عاقل وهو توبيخ للسكفار كأن الله يقول لهم إن تسبيحى ليس قاصراً عليكم بل جميع من في السموات والأرض يسبحون (قوله ومن التسبيح صلاة) ذكر ذلك توطئة لقوله - كل قد علم صلاته وتسبيحه - فالصلاة مندرجة في عموم التسبيح (قوله والطير) بالرفع عطف على من والنصب على المعية وصفات بالنصب على الحال على كل من القراءتين وقرئ شذوذاً برفعهما على الابتداء والخبر ومفعول صافات محذوف أى أجنحتها (قوله بين السماء والأرض) (١٣٤) (والأرض) أشار بهذا إلى أن العطف مغاير لأنه في حالة الطيران يكون

بين السماء والأرض (قوله قد علم الله صلاته الخ) أشار بذلك إلى أن الضمير في علم يائد على الله ، ويصح عوده على كل أى علم كل صلاة نفسه وتسبيحها (قوله فيه تغليب العاقل) أى حيث عبر بالفعل (قوله خزان المطر والرزق) راجع للسماء وقوله والنبات راجع للأرض وفي كلام المفسر إشارة إلى أن الكلام على حذف مضاف والأصل والله ملك

لجى) عميق (يشاء موج من فوقه) أى الموج (موج من فوقه) أى الموج الثانى (سحاب) أى غيم ، هذه (ظلمات بعضها فوق بعض) ظلمة البحر ، وظلمة الموج الأول ، وظلمة الثانى ، وظلمة السحاب (إذا أخرج يده) فى هذه الظلمات (لم يكدر أها) أى لم يقرب من رؤيتها (ومن لم يجعل الله له نوراً فما له من نور) أى من لم يهده الله لم يهتد (ألم تر أن الله يسبح له من فى السموات والأرض) ومن التسبيح صلاة (والطير) جمع طائر بين السماء والأرض (صافات) حال باسطات أجنحتهن (كل قد علم) الله (صلاته وتسبيحه) والله عليم بما يفعلون (فيه تغليب العاقل) (ولله ملك السموات والأرض) خزان المطر والرزق والنبات (والى الله المصير) المرجع (ألم تر أن الله يرزق سحاباً) يسوقه برفق (ثم يؤلف بينه) يضم بعضه إلى بعض فيجمل القطع المتفرقة قطعة واحدة (ثم يجعله ركاماً) بعضه فوق بعض (فترى الودق) المطر (يخرج من خلاله) يخارجه (ويُنزل من السماء من) زائدة (جبال فيها) فى السماء ،

بدل

خزائن السموات والأرض ، والأصح إبقاء الآية على ظاهرها كما سلكه غيره

وعلى كل فهو من أدلة تنزيه المخلوقات له (قوله وإلى الله المصير) أى مرجع الخلائق كلها إلى الله فيجازى كل أحد بعمله (قوله ألم تر) الخطاب لكل عاقل لا خصوص النبي صلى الله عليه وسلم لأن من تأمل ذلك حصل له العلم به (قوله ثم يؤلف بينه) أى بين أجزائه لأن كل جزء سحب وبهذا اندفع ما قيل إن بين لا تدخل إلا على متعدد وإلى هذا يشير المفسر بقوله يضم بعضه إلى بعض الخ (قوله ركاماً) الركام الشيء المتراكم بعضه على بعض (قوله فترى الودق) أى تبصره (قوله يخارجه) أى ثقبه فالسحاب غر بال المطر . قال كعب الأحبار : لولا السحاب حين ينزل المطر من السماء لأنسد ما يقع عليه من الأرض (قوله وينزل من السماء من جبال فيها من برد) أشار بذلك إلى أن السماء كما ينزل منها المطر الذى هو نفع للعباد ينزل منها بخر الجبال التى هى البرد وهو ضرر للعباد فسبحان من جعل السماء منشأ للخير والشر (قوله من زائدة) الحاصل أن من الأولى ابتدائية لا غير والثانية فيها ثلاثة أوجه : قيل زائدة ، وقيل ابتدائية ، وقيل تبعيضية وهو الأحسن ، والثالثة فيها أربعة أوجه الثلاثة المتقدمة وقيل بيانية وهو الأحسن وحيثما فيكون المعنى على ذلك وينزل بعض جبال كاتسة فى السماء التى هى البرد إنزالاً ناشئاً ومبتدأً من السماء (قوله فيها) الحار والجورر متعلق بمحذوف صفة لجبال .

(قوله بدل باعادة الجار) هذا راجع لقوله من جبال وللناس ينحسر أن يقول أو يدل فيكون قولاً ثانياً لأن هذا لا يتأتى على جعلها زائدة بل على جعلها ابتدائية (قوله فيصيب به) أى بالبرد (قوله سنابرقه) هو بالقصر في قراءة العامة معناه الضياء وأما بالمدة لغناه الرفعة وليس مراداً (قوله أى يخطفها) أشار بذلك إلى أن الباء في الأبصار التعدية ، وللعنى يذهبها بسرعة لأن الضوء القوى يذهب الضعيف ومن ذلك قول الفقهاء إذا فعل رجل بآخر فعلاً أذهب بصره وأريد أن يقتص منه بإذهاب بصره فإنه يؤتى به مجرداً وتوضع في الشمس ويجلس الشخص قبالتها وتقلب للرأى عينا وشمالاً فإن ذلك يخطف بصره (قوله أى يأتي بكل منهما بدل الآخر) أى ويقصر هذا ويطول هذا وفي هذا رد على من ينسب الأمور للدهر (قوله لأولى الأبصار) جمع بصيرة وخشم بالذكر لأنهم المنتفعون بذلك حيث يتأملون فيجدون الماء والنور والنار والظلمة تخرج من شئ واحد فسبحان القادر على كل شئ (قوله على قدرة الله) متعاقب بدلالة (قوله أى حيوان) أشار بذلك إلى أن الراد بالدابة مادب على وجه الأرض لا خصوص ذوات الأربع (قوله أى نقطة) هذا بحسب الغالب في الحيوانات الأرضية وإلا فاللائكة خلقوا من النور والجن خلقوا من النار وآدم خلق من الطين وعيسى خلق من النفس الذى نفخه (١٣٥) جبريل في جيب أمه والدود

تخلق من الفاكهة والعفونات وقيل المراد بالماء حقيقته لما ورد أن الله خلق ماء وجعل بعضه ريحاً ونوراً خلق منه الملائكة وجعل بعضه ناراً خلق منه الجن وجعل بعضه طيناً خلق منه آدم (قوله فمنهم) الضمير راجع لكل باعتبار معناه وفيه تغليب العاقل على غيره حيث أتى بضمير جماعة الذكور العقلاء في الجمع (قوله من يمشى على بطنه) قدمه لغرابته وصحابة مشياً مشاً كلة لما

بدل باعادة الجار (من برى) أى بعضه (فيصيب به من يشاء ويصرفه عن من يشاء يكاد) يقرب (سنابرقه) لغناه (يذهب بالأبصار) الناظرة له أى يخطفها (يقلب الله الليل والنهار) أى يأتي بكل منهما بدل الآخر (إن في ذلك) التقليل (لعبارة) دلالة (لأولى الأبصار) لأصحاب البصائر على قدرة الله تعالى (والله خلق كل دابة) أى حيوان (من ماء) أى نقطة (فمنهم من يمشى على بطنه) كالحيات والموام (ومنهم من يمشى على رجليه) كالإنسان والطير (ومنهم من يمشى على أربع) كالبهائم والنعام (يخلق الله ما يشاء إن الله على كل شئ قدير) لقد أنزلنا آيات مبينات أى بينات هي القرآن (والله يهدي من يشاء إلى صراط) طريق (مستقيم) أى دين الإسلام (ويقولون) أى المنافقون (آمنّا) صدقنا (بالله) بتوحيده (وبالرسول) محمد (وأطعنا) ما فيها حكماً به (ثم يقول) يعرض (فريق منهم من بعد ذلك) عنه (وما أولئك) المعرضون (بالمؤمنين) اليهودين الموافق قلوبهم لألسنتهم (وإذا دعوا إلى الله ورسوله) المبلغ عنه (ليحكم بينهم) إذا فريق منهم معرضون (عن الهوى إليه (وإن يكن لهم الحق يأتوا إليه مذعنين) مسرعين طامعين (أفي قلوبهم مرض) كتم

بعده وإلا فهو زحف (قوله كالحيات والموام) بالقتل شديد أى خشاش الأرض وأدخات الكاف البدود والسماك (قوله كالإنسان والطير) أى والنعام (قوله ومنهم من يمشى على أربع) أى ومنهم من يمشى على أكثر كالعقارب والعنكبوت والحيوان المعروف بأربع وأربعين وإنما لم يصرح بهذا القسم لندوره واندخوله في قوله : يخلق الله ما يشاء (قوله إن الله على كل شئ قدير) أى بما ذكر وما لم يذكر (قوله لقد أنزلنا) اللام موطئة لقسم محذوف : أى والله لقد أنزلنا الحق (قوله مبينات) بكسر الباء وفتحها قراءة ثان سبعتان (قوله والله يهدي من يشاء) أشار بذلك إلى أن الهدى يهدى الله وعنايته فلا يهتدى إلا من حقه الله بالعناية فليس ظهور الآيات سبباً في الاهتداء دون عناية الله (قوله ويقولون آمنا بالله) شروع في ذكر أحوال المنافقين (قوله وأطعنا) قدر المفسر الضمير إشارة إلى أن مفعول أطعنا محذوف (قوله وإذا دعوا إلى الله ورسوله) تفصيل لما أجمل أولاً (قوله المبلغ عنه) جواب عما يقال لم أفرد الضمير في ليحكم مع أنه تقدمه اثنان فاجاب بأن الرسول هو المباشر للحكم وإنما ذكر الله معه تفخيلاً لشأنه وتعظيماً لقدمه (قوله إذا فريق) إذا فجائية قائمة مقام الفاء في ربط الجواب بالشرط (قوله معرضون) أى إن كان الحكم عليهم بدليل مابعد (قوله إليه) يصح أن يكون متعاقباً يأتوا أو مذعنين (قوله أفي قلوبهم مرض) أشار بذلك إلى أن منشأ الإعراض وسببه أحد أمور ثلاثة

(قوله أم أرتابوا) أم بمعنى بل والهمزة وكذا يقال فيها بعده والاستفهام للتقرير (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام في هذا الأخير بمعنى النفي . والمعنى لاجل خوفهم لاستعانة الحيف على الله ورسوله (قوله بالاعراض عنه) أي الحكم (قوله إنما كان قول للمؤمنين) العامة على نصب القول خبرا لكان والاسم أن وما دخلت عليه وقرئ تنفذوا برقعته على أنه اسمها وأن وما دخلت عليه خبرها (قوله بالإجابة) أي قولوا وفلا (قوله حينئذ) أي حين إذ قالوا هذا القول (قوله ومن يطع الله الخ) قال بعض الأحرار هذه الآية جمعت ما في توراة موسى وإنجيل عيسى (قوله يخافه) هذا حل معنى وإلا فكان حقه أن يقول يخفه (قوله وكسرهم أي بأشباع ودونه فهذه ثلاث قراآت و يسكون القاف مع كسر الهاء بدون إشباع فتكون أربعة وكلها سبعة) (قوله هم الفائزون) أي الظافرون بمقصودهم الناجون من كل مكروه (قوله وأقسموا بالله) الضمير عائد على المنافقين وهو معطوف على قوله ويقولون آمنا بالله وبالرسول (قوله جهد أيمانهم) جهد منصوب على للفعولية المطلقة ، والمعنى جهدوا أيمانهم جهدا خدفع الفعل وأقيم المصدر مقامة وأضيف إلى المفعول كضرب الرقاب وهذه الآية نزلت لما قال المنافقون لرسول الله صلى الله عليه وسلم إنما كنت نكنا معك لكن (١٣٦) خرجت خرجنا ونحن أفت فمنا وإن أمرتنا بالجهاد جاهدنا (قوله ليخرجن)

(أم أرتابوا) أي شكوا في نبوته (أم يخافون أن يحيف الله عليهم ورسوله) في الحكم أي فيظلموا فيه ؟ لا (بل أولئك هم الظالمون) بالإعراض عنه (إنما كان قول المؤمنين إذا دعوا إلى الله ورسوله ليحكم بينهم أن يقولوا سمعنا وأطعنا) بالإجابة (وأولئك) حينئذ (هم المؤمنون) الناجون (ومن يطع الله ورسوله ويخش الله ويخش) يخافه (ويتق) يسكون الهاء وكسرها بأن يطيعه (وأولئك هم الفائزون) بالجنة (وأقسموا بالله جهد أيمانهم) غايتها (لئن أمرتهم) بأماها (ليخرجن ، قل) لهم (لا تعصوا طاعة معروفة) للشي خير من قسمكم الذي لا تصدقون فيه (إن الله خير بما تعملون) من طاعتكم بالقول ومخالفتكم بالفعل (قل أطيعوا الله وأطيعوا الرسول فإن تولوا) عن طاعته يحذف إحدى التامين خطاب لهم (فإنما عليه ما حمل) من التبليغ (وعليكم ما أمركم) من طاعته (وإن تطيعوه تهتدوا وما على الرسول إلا البلاغ المبين) أي التبليغ البين (وعند الله الذين آمنوا ومنكم وعمالوا الصالحات ليستخلفنهم في الأرض) بدلا عن الكفار (كما استخلف) بالبناء للفاعل والمفعول (الذين من قبلهم) من بني إسرائيل بدلا عن الجبارة (وليستكنن لهم دينهم ،

اللام موطنه للقسم ويخرجن فصل مضارع يؤكد بالنون وأصله ليخرجون حذف تون الرفع تسواي الأمثال فالتقى ساكنان الواو ونون التوكيد حذف الواو لالتقاءهما وبقيت الضمة لتدل عليها (قوله طاعة) متدا ومعرفة صفته والخبر محذوف قبله المفسر بقوله خير من قسمكم ويصح أن يكون طاعة خبرا محذوف تقديره أمركم طاعة معروفة أي الأمر المطلوب منكم طاعة معروفة

الذي

بالصدق وموافقة الواقع لا مجرد القول باللسان (قوله إن الله

خير بما تعملون) تحليل لما قبله والمعنى لا تخلفوا باللسان مع كون قلوبكم ليس فيها الامتثال والاخلاص فان الله مطلع على بواطنكم وظواهركم لا تخفى عليه خافية (قوله فان تولوا) شرط حذف جوابه والتقدير فلا ضرر عليه وقوله فأنما عليه ما حمل حلة لذلك المحذوف (قوله ما حمل) أي كلف (قوله تهتدوا) أي حصلوا للرشاد والنور برضا الله وهذا راجع لقوله وعليكم ما حملتم ، وقوله وما على الرسول إلا البلاغ المبين راجع لقوله فأنما عليه ما حمل على سبيل اللف والنشر للشوش (قوله أي التبليغ البين) أي الظاهر وقد أداء فعليكم أن تؤدوا ما حملتم من الطاعة لله ورسوله (قوله وعهد الله الخ) وعد فعل ماضى ولفظ الجلالة فاعله لا اسم الوصول مفعوله الأول والمفعول الثاني محذوف تقديره الاستخلاف في الأرض وتمكين دينهم وتبديل خوفهم أمنا يدل على هذا المحذوف قوله ليستخلفنهم الخ فان اللام موطنه لقسم محذوف تقديره أقسم الله ليستخلفنهم (قوله منكم) الجار والمجرور حال من الذين آمنوا والخطاب لعموم الأمة (قوله في الأرض) أي جميعها وقد حصل ذلك (قوله كما استخلف) ماضية والمعنى استخلفا كاستخلف الذين من قبلهم (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أي فهما قراءتان سبعيتان

(قوله الذي ارتضى لهم) العائد محذوف أي لارتضاه لهم ، وليس وليقبلن دينهم الذي رضيهم لهم ظاهرا وفاقا على جميع الأديان (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بما ذكر) أي وهو ما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله يعبدوني) أي يوحّدوني ، وقوله لا يشركون في شئنا حال من فاعل يعبدوني أو بفعل مما قبله (قوله هو مستأنف) أي واقع في جواب سؤال مقتر كأنه قيل ما بالهم يستخلفون ويحصل دينهم ظاهرا على جميع الأديان ويؤمنون فليل يعبدوني الخ (قوله بعد ذلك الانعام) أي بما ذكر من الأمور الثلاثة ، فالمراد بالكفر كفر النعم بدليل قوله - فأولئك هم الفاسقون - وليس المراد به ما قبل الإيمان والإلقال الكافرون (قوله وأول من كفر به) أي بالانعام (قوله قتلة عثمان) أي وهم جماعة من الرعية أخذوه بقتة (قوله وأقيموا الصلاة) معطوف على قوله - أطيعوا الله وأطيعوا الرسول - (قوله لعلكم ترحمون) الترحي في القرآن بمنزلة التحقيق (قوله بالفوقانية والتحتانية) قراءتان سبعيتان (قوله والفاعل الرسول) أي على كل من القراءتين واسم الموصول مفعول أول ومعجزين مفعول ثان (قوله بأن يفوتونا) أي يفوتوا من (١٣٧) عذابنا (قوله ومأواهم النار) معطوف على جملة لا تحسبن

أو على مقدر تقديره بل هم متهورون ومأواهم (قوله هي) قدره إشارة إلى أن الخصوص بالنعم محذوف (قوله بآبائها الذين آمنوا ليستأذنكم الذين ملكت أيمانكم) اختلاف في الأمر فليل للوجوب وقيل للندب والأمر متعق بالخدومين لا بالخدم . وسبب نزول هذه الآية أن رسول الله صلى الله عليه وسلم بعث غلاما من الأنصار يقال له مدلج ابن عمرو إلى عمر بن الخطاب ليدعوه فدعاه فوجده نائما وقد أغلق عليه الباب فدق الغلام

الَّذِي أَرْتَضَى لَهُمْ) وهو الإسلام بأن يظهره على جميع الأديان ويوسع لهم في البلاد فيسلكوها (وَلْيُعْبُدْ لَهُمُ) بالتخفيف والتشديد (مِنْ بَعْدِ خَوْفِهِمْ) من الكفار (أُنْمَا) وقد أنجز الله وعده لهم بما ذكر ، وأثنى عليهم بقوله (يَعْبُدُونِي لَا يُشْرِكُونَ بِي شَيْئًا) هو مستأنف في حكم التعليل (وَمَنْ كَفَرَ بَعْدَ ذَلِكَ) الإنعام منهم به (فَأُولَئِكَ هُمُ الْفَاسِقُونَ) وأول من كفر به قتلة عثمان رضي الله عنه فساروا يقتتلون بعد أن كانوا إخوانا (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَآتُوا الزَّكَاةَ وَأَطِيعُوا الرَّسُولَ لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أي رجاء الرحمة (لَا تَحْسَبَنَّ) بالفوقانية والتحتانية والفاعل الرسول (الَّذِينَ كَفَرُوا ثُمَّ جِزِينَ) لنا (فِي الْأَرْضِ) بأن يفوتونا (وَمَأْوَاهُمْ) مرجعهم (النَّارُ وَلَبِئْسَ الْمَصِيرُ) المرجع هي (بِأَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لِيَسْتَأْذِنَكُمْ الَّذِينَ مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) من العبيد والإماء (وَالَّذِينَ لَمْ يَبْتَاعُوا الْخُلُمَ مِنْكُمْ) من الأحرار وعرفوا أمر النساء (ثَلَاثَ مَرَّاتٍ) في ثلاثة أوقات (مِنْ قَبْلِ صَلَاةِ الْفَجْرِ وَحِينَ تَضَعُونَ ثِيَابَكُمْ مِنَ الظَّهْرِ) أي وقت الظهر (وَمِنْ بَعْدِ صَلَاةِ الْعِشَاءِ ثَلَاثَ عَوْرَاتٍ لَكُمْ) بالرفع خبر مبتدا مقدر بعده مضاف وقام المضاف إليه مقامه ، أي هي أوقات ، وبالنصب بتقدير أوقات منصوبا بدلا من محل ما قبله قام المضاف إليه مقامه وهي لإلقاء الثياب تبدوا فيها العورات (لَيْسَ عَلَيْكُمْ ،

عليه الباب فناداه ودخل فاستيقظ عمر فأنكشف منه شيء ، فقال عمر وددت أن الله نهى أبناءنا ونساءنا وخدمنا أن لا يدخلوا علينا في هذه الساعات إلا بأذن ، ثم انطلق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد هذه الآية قد نزلت غفرا ساجدا شكرا لله تعالى (قوله وعرفوا أمر النساء) أي ميزوا بين الفورة وغيرها (قوله في ثلاثة أوقات) أشار بذلك إلى أن قوله ثلاث مرات منصوب على الظرفية (قوله من قبل صلاة الفجر) أي لأنه وقت القيام من النوم وليس ثياب البيضة (قوله وحين تضعون ثيابكم) أي التي تلبس في البيضة تضعونها لأجل التقليل (قوله من الظهر) أي من أجل الظهيرة وهي شدة الحر (قوله ومن بعد صلاة العشاء) أي لأنه وقت التجرد عن الثياب والنوم في الفراش (قوله بالرفع) أي وعليه فالوقف على قوله العشاء (قوله أي هي أوقات الخ) أي فالأصل أوقات ثلاث عورات حذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله وبالنصب) أي وعليه فالوقف على لكم والقراءتان سبعيتان (قوله وهي لإلقاء الثياب) مبتدا وقوله تبدوا فيها العورات خبره (قوله ليس عليكم) أي في تمكينكم إياهم من لدخول عليكم .

وَلَا عَلَيْهِمْ) أَى الْمَالِكِ وَالصَّبِيانِ (جُنَاحٌ) فِي الدُّخُولِ عَلَيْكُمْ بغيرِ اسْتِئْذَانٍ (بِمَذْهَبٍ) أَى بَعْدَ الْأَوْقَاتِ الثَّلَاثَةِ ، هـ (طَوَّافُونَ عَلَيْكُمْ) لِلْخِدْمَةِ (بِمَذْهَبِكُمْ) طَائِفٌ (عَلَى بَعْضِ) وَالْجُمْلَةُ مُؤَكَّدَةٌ لِمَا قَبْلَهَا (كَذَلِكَ) كَمَا يَبَيِّنُ مَا ذَكَرَ (يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) أَى الْأَحْكَامَ (وَاللَّهُ عَلِيمٌ) بِأُمُورِ خَلْقِهِ (حَكِيمٌ) بِمَا دَبَّرَهُ لَهُمْ ، وَآيَةُ الْاسْتِئْذَانِ قِيلَ مَنْسُوخَةٌ ، وَقِيلَ لَا وَلَكِنْ تَهَانُونَ النَّاسَ فِي تَرْكِ الْاسْتِئْذَانِ (وَإِذَا بَلَغَ الْأَطْفَالُ مِنْكُمُ) أَيُّهَا الْأَحْرَارُ (الْحُلُمَ فَلْيَسْتَأْذِنُوا) فِي جَمِيعِ الْأَوْقَاتِ (كَأَسْتَأْذَنَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) أَى الْأَحْرَارُ الْكِبَارُ (كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ آيَاتِهِ وَاللَّهُ عَلِيمٌ حَكِيمٌ) وَالْقَوَاعِدُ مِنَ النِّسَاءِ (قَمَدَنَ عَنِ الْخِيصِ وَالْوَلَدَ الْكَبِيرَ) (الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ نِكَاحًا) لِذَلِكَ (فَلْيَسْ عَلَيْنَ جُنَاحٌ أَنْ يَضَعْنَ نِيَابَهُنَّ) مِنَ الْجِلْبَابِ وَالرِّدَاءِ وَالْفَنَاعِ فَوْقَ الْحِجَابِ (غَيْرَ مُتَبَرِّجَاتٍ) مَظْهَرَاتٍ (بِزِينَةٍ) خَفِيَّةٍ كَقِلَادَةٍ وَسَوَارٍ وَخُلُجَالٍ (وَأَنْ يَشْتَفِفْنَ) بِأَنْ لَا يَضَعْنَهَا (خَيْرٌ لِمَنْ وَاللَّهُ سَمِيعٌ) لِقَوْلِكُمْ (عَلِيمٌ) بِمَا فِي قُلُوبِكُمْ (لَيْسَ عَلَى الْأُنثَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْأُنْثَى حَرَجٌ وَلَا عَلَى الْمَرْيُوسِ حَرَجٌ) فِي مَوَاقِلِهِ ،

جمع قاعد بغير تاء كحائض وطامث فإن هذا الوصف مخصوص بالنساء وكل وصف مخصوص بالنساء مقابليهم فلا يحتاج تمييز بناء وهو مبتدأ واللاتي صفته ، وقوله فليس عليهن جناح خبره وقرن بالفاء لعموم الابتداء فإن آل فيه اسم موصول أول لكونه وصف بالاسم الموصول (قوله تعدن عن الحيض) أى انقطع حيضهن (قوله اللاتي لا يرجون نكاحاً) أى لا يطمعن فيه موت شهوتهن عن الرجال (قوله أن يضعن) أى يزرعن (قوله من الجلباب) أى وهى المصحفة التى يغطي بها جميع البدن كالملاءة والخبرة (قوله والفتنح) أى الذى يلبس فوق الحمار لستر الوجه والعنق (قوله غير متبرجات بزينة) أى متزيئات خفيث وبعد الشرط جاز لمن كشف الوجه واليدين بين الأجانب لعدم الفتنة وهو المفق به عند مالك وأحد قولين عند الشافعى (قوله بأن لا يعضها) أى بأن يدمن الستر للوجه والكفين بين الأجانب (قوله خبر لمن) أى لما فيه من سد الذرائع فالأفضل لمن الستر للوجه واليدين لأن كل ساقطة لها لا تقطع (قوله ليس على الأعمى حرج الخ) اختلف العلماء فى سبب نزول هذه الآية ، فقال ابن عباس : لما نزل - يا أيها الذين آمنوا لا تأكلوا أموالكم بينكم بالباطل - تخرج المسلمون عن مؤاكلة المرضى والزمنى والعمى والعرج ، وقالوا الطعام أفضل الأموال وقد نهانا الله تعالى عن أكل المال بالباطل والأعمى لا يميز موضع الطعام الطيب والأعرج لا يمشى من الجلوس ولا يستطيع الزواجة على الطعام والمرضى يضعف عن

الانناول ولا يستولى حقه من الطعام فزلت هذه الآية ، وعلى هذا فتكون على معنى في : أى ليس عليكم في مؤاكلة الأعمى والأعرج والمرضى حرج . وقيل سبب نزولها أن هؤلاء الجماعة كانوا يخرجون عن مؤاكلة الأصحاء خوف أن يستقنروهم وعلى هذا فعلى على بابها ، وقيل إن الآية نزلت في الجهاد ، والمعنى ليس على هؤلاء حرج في التخلف عن الجهاد ، وقيل كانت الصحابة إذا خرجوا للنزود دفعوا مفاتيح بيوتهم لهؤلاء الجماعة ويقولون لهم قد أحلفنا لكم أن تأكلوا مما في بيوتنا فكانوا يخرجون من ذلك ويقولون لاندخلها وأصحابها غائبون مخافة أن لا يكون إذنتهم من طيب نفس ، فزلت هذه الآية رخصة لهم وكل صحيح إذ علمت ذلك فنفي الحرج عن هؤلاء في أمور مخصوصة وليس ذلك على العموم فإن ما كلف به الصحيح كلف به غيره (قوله مقابلهم) أى السالمين من هذه الثلاثة (قوله ولا على أنفسكم) معطوف على الأعمى ، والمعنى ليس عليكم حرج في الأكل من بيوتكم (قوله من بيوتكم) بضم الباء وكسرهما قراءتان سبعيتان هنا وفي جميع ما يأتي (قوله أى بيوت أولادكم) أى ذكورا أو إناثا لأن بيت الولد كبيتته لقوله عليه الصلاة والسلام « أنت ومالك لأبيك » وقوله عليه الصلاة والسلام « إن أطيب ما يأكل الرء من كسبه وإن ولده من كسبه » والحامل للفسر على هذا التقدير عدم توم حرمة الأكل من بيت نفسه وعدم ذكر الأولاد صراحة ، فدل ذلك على أن المراد ببيوتكم بيوت أولادكم (قوله أو بيوت آبائكم) أى وإبنه علوا (قوله إخوانكم) جمع أخ ويجمع على إخوة وهو المراد هنا ، لأن المراد بهم إخوة النسب وهم من (١٣٩) شاركوك في رحم أو صلب

(قوله أو بيوت إخوانكم) جمع أخت أى مما تملكه أو من ملك زوجها إن كان صديقه أو مأذونة فيه وكذا يقال فيما يأتي (قوله أو ما ملكتكم) بالتخفيف وقرئ شذوذا بضم الميم وتشديد اللام مكسورة أى ملككم غيركم (قوله مفتاحه) جمع مفتاح بكسر الميم في قراءة العامة وقرئ مفاتيحه بالياء ومفتاحه بالافراد

مقابلهم (ولاً) حرج (على أنفسكم أن تأكلوا من بيوتكم) أى بيوت أولادكم (أو بيوت آبائكم أو بيوت أمهاتكم أو بيوت إخوانكم أو بيوت أخواتكم أو بيوت أعمامكم أو بيوت عماتكم أو بيوت أخوالكم أو بيوت خالاتكم أو ما ملكتكم مفتاحه) أى خزنتموه لغيركم (أو صدقكم) وهو من صدقكم في مودته ، المعنى يجوز الأكل من بيوت من ذكر وإن لم يحضروا ، أى إذا علم رضام به (ليس عليكم جناح أن تأكلوا جميعاً) مجتمعين (أو أشتاتاً) متفرقين جمع شت ، نزل فيمن تخرج أن يأكل وحده وإذا لم يجد من يؤاكلة يترك الأكل (فإذا دخلتم بيوتا) لكم لأهل بها (فسلموا على أنفسكم) أى قولوا : السلام علينا وعلى عباد الله الصالحين فإن الملائكة تود عليكم وإن كان بها أهل فسلموا عليهم (تحية) مصدر حيا (من عند الله ،

(قوله أى خزنتموه لغيركم) أى حفظتموه بان تكونوا وكلاء عليه أقول ابن عباس عفى بذلك وكيل الرجل وقيمة في ضيعته وما يشتهه فلا بأس عليه أن يأكل من ثمرته وثمره ضيعته ويشرب من لبن ماشيته ولا يحمل ولا يدخر اه (قوله وهو من صدقكم في مودته) أى من كان خالصا لكم في المحبة (قوله من بيوت من ذكر) أى الأصناف الأحد عشر وخصوا بالذكر لأن الشأن التبسط بينهم (قوله أى إذا علم رضام به) أى ولو بقرينة وهذا أحد قولين للعلماء ، وقيل يجوز الأكل من بيوت من ذكر ولو لم يعلم رضام به ، لأن القرابة التي بينهم تقتضى العطف والسماح . فإن قلت على الأول حيث كان مشروطا بعلم رضام فلا فرق بينهم وبين غيرهم من الأجانب . وأجيب بأن هؤلاء يكنى فيهم أدنى قرينة بل الشرط فيهم أن لا يعلم عدم الرضا بخلاف غيرهم من الأجانب فلا بد من علم الرضا بصريح الاذن أو قرينة (قوله مجتمعين) أشار بذلك إلى أن قوله جميعا حال من فاعل تأكلوا وكذا قوله أشتاتا (قوله جمع شت) هو مصدر بمعنى التفرق (قوله نزل فيمن تخرج الخ) أى فهو كلام مستأنف بيان لحكم آخر وهم فريق من المؤمنين يقال لهم بنو ليث بن عمرو من بني كنانة كان الرجل منهم لا يأكل ويمتلك يومه حتى يجد ضيفا يأكل معه فإن لم يجد من يؤاكلة لم يأكل شيئا . وقيل نزلت في قوم تخرجوا عن الاجتماع على الطعام لاختلاف الآكلين في كثرة الأكل وقلته (قوله فإذا دخلتم بيوتا لكم) أى مساكنكم (قوله تحية) منصوب على المصدر من معنى فسلموا من باب جلست قعودا ولأت وقوا (قوله من عند الله) أى تاجه مأمرة .

(قوله مباركة) أى لأنه يرجى بها زيادة الخير والثواب (قوله لى فهموا ذلك) أى معالم دينكم فهذا أمر إرشاد وأدب للعباد (قوله إنما المؤمنون الخ) المقصود من هذه الآية مدح المؤمنين الخالصين والتعريض بدم المنافقين وإنما أداة حصر والمؤمنون مبتدأ وقوله الذين آمنوا خبره (قوله على أمر جامع) إسناد الجمع للأمر مجاز على وحقه أن يسند للمؤمنين (قوله خطبة الجمعة) أى والأعياد والحروب والحديث وغير ذلك وكان رسول الله صلى الله عليه وسلم إذا صعد المنبر يوم الجمعة وأراد الرجل أن يخرج من المسجد حاجة أو غير لم يخرج حتى يقوم تجاه النبي صلى الله عليه وسلم بحيث يراه فيعرف أنه إنما قام ليستأذن فيأذن لمن شاء منهم (قوله حتى يستأذنه) أى يطلبوا منه الإذن فيأذن لهم (قوله إن الذين يستأذنونك الخ) هذا توكيد لما تقدم ذكره تفضيها وتعظيما للاستئذان (قوله فإذا استأذنتك لبعض شأنهم) أى كما وقع لسيدنا عمر بن الخطاب حين خرج مع النبي صلى الله عليه وسلم في غزوة تبوك حيث استأذن الرسول في الرجوع إلى أهله فأذن له النبي صلى الله عليه وسلم ، وقال ارجع فليست بمنافق وكتخلف عثمان لتجهيز زوجته بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم حين مات والنبي صلى الله عليه وسلم متجهز لغزوة بدر (قوله فأذن لمن شئت منهم) (١٤٠) في ذلك تفويض الأمر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنه

الواسطة العظمى بين الخلق وربهم فإذا أذن لأحد علم من ذلك أن رضا الله في إذنه قال العارف: وخصك بالهدى في كل أمر فليست تشاء إلا ما يشاء (قوله واستغفر لهم الله) أى ليعوضهم بدل ما فاتهم من مجالستك من أجل العذر الذى نزل بهم (قوله لا تجمعوا دعا) الرسول بينكم) أى نداءه بمعنى لاتنادوه باسمه فتقولوا يا محمد ولا بكنيته فتقولوا يا أبا القاسم ، بل نادوه وخطبوه بالتعظيم

مُبَارَكَةً طَيِّبَةً) يثاب عليها (كَذَلِكَ يَبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمْ الْآيَاتِ) أى يفصل لكم معالم دينكم (لَمَّا كُنْتُمْ تَقُولُونَ) لى فهموا ذلك (إِنَّمَا الْمُؤْمِنُونَ الَّذِينَ آمَنُوا بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ وَإِذَا كَانُوا مَعَهُ) أى الرسول (عَلَى أَمْرٍ جَامِعٍ) خطبة الجمعة (لَمْ يَذْهَبُوا) لمرؤض عذرهم (حَتَّى يَسْتَأْذِنُوهُ) إِنَّ الَّذِينَ يَسْتَأْذِنُونَكَ أُولَئِكَ الَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِاللَّهِ وَرَسُولِهِ فَإِذَا أَسْتَأْذَنُوكَ لِبَعْضِ شَأْنِهِمْ) أَرْمِمْ (فَأَذْنِ لِمَنْ شِئْتَ مِنْهُمْ) بالانصراف (وَأَسْتَغْفِرْ لَهُمْ اللَّهُ إِنَّ اللَّهَ غَفُورٌ رَحِيمٌ) لَا تَجْمَعُوا دُعَاءَ الرَّسُولِ بَيْنَكُمْ كَدُعَاءِ بَعْضِكُمْ بَعْضًا) بَأَن تَقُولُوا يَا مُحَمَّد ، بَلْ قُولُوا يَا نَبِيَّ اللَّهِ يَا رَسُولَ اللَّهِ فِي لَيْلٍ وَتَوَاضَعْ وَخَفَضْ صَوْتَ (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الَّذِينَ يَتَسَلَّلُونَ مِنْكُمْ لِوَاذًا) أى يخرجون من المسجد في الخطبة من غير استئذان خفية مستترين بشئ ، وقد للتحقيق (فَلْيَحْذَرِ الَّذِينَ يُخَالِفُونَ عَنْ أَمْرِهِ) أى أمر الله أو رسوله (أَنْ تُصِيبَهُمْ فِتْنَةٌ) بلاء (أَوْ يُصِيبَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) في الآخرة (أَلَا إِنَّ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا خلقا وعبيدا (قَدْ يَعْلَمُ مَا أَنْتُمْ) أيها الكافرون (عَلَيْهِ) من الإيمان والنفاق ،

(و)

والتكريم والتوقير بأن تقولوا يا رسول الله يا نبي الله يا إمام المرسلين يا رسول رب العالمين يا خاتم النبيين وغير ذلك واستفيد من الآية أنه لا يجوز نداء النبي بغير ما يفيد التعظيم لا في حياته ولا بعد وفاته فهذا يعلم أن من استخف بجنازة صلى الله عليه وسلم فهو كافر ملعون في الدنيا والآخرة (قوله وخفض صوت) أى لقوله تعالى : يا أيها الذين آمنوا لا ترفعوا أصواتكم فوق صوت النبي ولا تجهروا له بالقول كجهر بعضكم لبعض أن تحبط أعمالكم وأتم لا تشعرون وهذه الآداب كما تكون في حق النبي تكون في حق حملة شريعته فينبغي لتلامذة الأشياخ أن يفعلوا معهم هذه الآداب ويتخلقوا بها ليحصل لهم الفتح والفلاح (قوله الذين يتسللون) أى يذهبون واحدا بعد واحد لأن المنافقين كانوا يجتمعون مع الصحابة إذا رآى النبي المنبر فإذا كثرت الناس نظروا يمينا وشمالا ويخرجون واحدا بعد واحد إلى أن يذهبوا جميعا (قوله لو اذا) حال من الواو في يتسللون من التلاوذ وهو الاستتار بأن يضم بعضهم بعضا بالخروج (قوله فليحذر الذين يخالفون الخ) مرئى على ما قبله ضمن يخالفون معنى يعرضون فعدها بمن (قوله أن تصيبهم فتنه) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول يحذر أى إصابة فتنه (قوله أو يصيبهم) أو مانعة خلو تجوز الجمع (قوله ألا إن الله الخ) كالدليل لما قبله (قوله قد يعلم ما أتم عليه) قد للتحقيق . وللعلم أن الله يعلم الأمر الذى في قلوب المنافقين من الخالفة والإعراض عن أوامر الله تعالى

(قوله ويوم يرجعون إليه) معطوف على ما : أى يردون إليه وهو يوم البعث (قوله فينبئهم بما عملوا) أى يخبرهم بأعمالهم فينبئهم على الحسنات ويعاقبهم على السيئات .

[سورة الفرقان] سميت بذلك لأن بها الفرق بين الحق والباطل لاشتغالها على أحكام التوحيد وأدلتها ومكارم الأخلاق وأحوال العباد (قوله إلى قوله رحيا) أى وهو ثلاث آيات (قوله تعالى) أى تنزه في ذاته وصفاته وأفعاله عن النقائص ومماثلة ماسواه له لأنه قديم وما سواه حادث أو معنى تبارك تعظم أى تصف بكل كمال ولا يوصف بهذا الوصف غيره تعالى فلا يقال تبارك النبي ولا تبارك الساطان مثلا وهو فعل ماض غير متصرف فلا يأتى منه مضارع ولا مصدر ولا اسم فاعل (قوله الفرقان) من الفرق وفله فرق من باب قتل وبها قرى قوله تعالى فافرق بيننا وبين القوم الفاسقين وقرى شدوذا من باب ضرب وهو بالتخفيف في المعاني وبالتشديد في الأجسام يقال فرقت بين الكلامين وفرقت بين العبدین والصحيح أنهما بمعنى واحد في المعاني والأجسام (قوله القرآن) أى ويسمى به البعض كما يسمى به الكل فالسورة الواحدة تسمى فرقانا والجميع يسمى فرقانا لأنه معجز للبشر وفارق بين الحق والباطل كلا أو بعضا وصح أن يراد به جملة القرآن ويكون نزل مستعملا في حقيقته بالنسبة لما نزل إذ ذاك وبمعنى المستعمل بالنسبة لما سينزل (قوله لأنه فرق بين (١٤١) الحق والباطل) أى ميز بينهما وقيل لأنه نزل مفرقا في أوقات كثيرة (قوله على عبده) إنما وصفه بهذا الوصف لأنه أشرف الأوصاف وأعلاها (قوله ليكون) علة لقوله نزل والضمير عائذ على النبي صلى الله عليه وسلم لأنه أقرب مذكور ويصح أن يكون عائذا على الفرقان أو المنزل وهو الله تعالى والأوضح الأول (قوله دون الملائكة) أنشر بذلك إلى أن الانذار خاص بالانس والجن لأن

(وَ) يعلم (يَوْمَ يُرْجَعُونَ إِلَيْهِ) فيه التفات عن الخطاب أى متى يكون (فَيُنَبِّئُهُمْ) فيه (بِمَا عَمِلُوا) من الخير والشر (وَاللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ) من أعمالهم وغيرها (عَلِيمٌ) .

(سورة الفرقان)

مكية : إلا ، والذين لا يدعون مع الله إلها آخر إلى قوله رحيا فندني

وهي سبع وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَبَارَكَ) تعالى (الَّذِي نَزَّلَ الْفُرْقَانَ) القرآن لأنه فرق بين الحق والباطل (عَلَى عَبْدِهِ) محمد (لِيَكُونَ لِلْعَالَمِينَ) أى الإنس والجن دون الملائكة (نَذِيرًا) مخوفا من عذاب الله (الَّذِي لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَلَمْ يَتَّخِذْ وَلَدًا وَلَمْ يَكُنْ لَهُ شَرِيكٌ فِي الْمُلْكِ وَخَلَقَ كُلَّ شَيْءٍ) من شأنه أن يخلق (قَدْرَهُ قَدِيرًا) سواء نسوية (وَأَتَّخِذُوا) ،

الملائكة لأجور عليهم العاصي والمخالفة لهمصمتهم من ذلك وإن كان النبي عليه الصلاة والسلام أرسل لهم إرسال تكليف بما يليق بهم على المتمدن . والحاصل أن إرسال النبي للثقلين إرسال تكليف وكذا للملائكة ، وأما للحيوانات التي لا تعقل والحجرات فارسل تشریف (قوله نذيرا) أى وبشيرا وإنما اقتصر على الانذار لأن السورة مكية ، وفي ذلك الوقت لم يصلحوا للتبشير (قوله الذي له ملك السموات والأرض) نفت للوصول الأول أو بيان أو بدل أو خبر المحذوف : أى هو الذى أو منصوب على المدح وما بعده من تمام الصلة فلا يلزم عليه الفصل بأجنبي بين الوصول الأول والثاني على جملة تابعها له (قوله ولم يتخذ ولدا) رد على اليهود والنصارى (قوله ولم يكن له شريك في الملك) رد على عباد الأصنام (قوله وخلق كل شيء) كالدليل لما قبله لأن الخالق لكل شيء لا شريك له ولم يتخذ ولدا (قوله من شأنه أن يخلق) دفع بذلك ما يقال إنه دخل في الشيء ذاته تعالى وصفاته . فأجاب بأن المراد بالشيء ما شأنه أن يتعلق به الخلق وهو اللعدم (قوله سواء نسوية) أى علة تعديلا بأن جملة على شكل حسن ودفع بذلك ما قيل إن الآية فيها قلب لأن الخلق متأخر عن التقدير لأن التقدير أزل لأنه تعلق العلم والارادة الأزل والخلق حادث لأنه تعلق القدرة التنجيزى الحادث . فأجاب بأن التقدير معناه التصوير على شكل حسن ولا شك أن ذلك حاصل بعد إيجاده على طبق العلم والارادة ، وهذا سر قول الفزالي : ليس في الامكان أبدع مما كان لأن ما أوجده الله من المخالقات تعلق به العلم

والإرادة ألا فوجد على طبق ذلك فإذا كان كذلك كان التغيير لذلك مستحيلا لأنه حينئذ يغلط علم الله جهلا وهو لا يتحقق به القدرة . إن قلت يشكل على هذا قوله تعالى : إن يشأ يذهبكم ويأت بخلق جديد ، وقوله تعالى : إنا لقادرون على أن نبدل خيرا منهم وما نحن بمسبوقين فإنه يقتضى أن في قدرة الله إذهاب هذا العالم والأتان بغيره . أجيب بأن ما في الآية باعتبار التعلق الصلحي للقدرة والتجوز العقلي وما قاله القرأى باعتبار التعلق التنجيزى الذى حصل متعاقبه (قوله أى الكفار) أى المعلومون من قولنا للعالمين (قوله آلهة) ومنهم بسبمة أوصاف أولها قوله لا يخلقون شيئا وآخرها قوله نشورا (قوله وهم يخلقون) أى يصورون من حجارة وغيرها بنحت عبادها لها (قوله لأنفسهم) أى فضلا عن غيرهم (قوله ضرا) قدمه لأن دفعه أهم وقدم الموت لمناسبة الضر (قوله وقال الذين كفروا) شروع فى ذكر أمطيلهم المتعلقة بالقرآن إثرأ كاذبيهم المتعلقة بالله سبحانه وتعالى (قوله افتراء) أى اختلقه (قوله وهم من أهل الكتاب) أرادوا بهم اليهود حيث قالوا إنهم يأتون له بالأخبار الماضية وهو يعبر عنها بعبارة من عنده فهذا معنى إعاتهم له (قوله (١٤٣) قال تعالى) أى ردالمقاتلهم (قوله كفرا وكذبا) لف به نشر مررت (قوله

أى الكفار (من دوني) أى الله أى غيره (آلهة) هى الأصنام (لا يخلقون شيئا وهم يخلقون ولا يملكون ولا يشيرون) أى دفعه (ولا نقما) أى جرء (ولا يملكون موتا ولا حياة) أى إماتة لأحد وإحياء لأحد (ولا نشورا) أى بعثا للأموات (وقال الذين كفروا إن هذا) أى ما القرآن (إلا إفك) كذب (افتراء) محمد (وأعانه عليه قوم آخرون) وهم من أهل الكتاب قال تعالى (فقد جاءوا ظلما وزورا) كفرا وكذبا ، أى بهما (وقالوا) أيضا هو (أساطير الأولين) أ كاذبيهم جمع أسطورة بالضم (أكتبها) انتسخها من ذلك القوم بغيره (فهي تملى) تقرأ (عليه) ليحفظها (بكرة وأصيل) غدوة وعشيا ، قال تعالى ردا عليهم (قل أنزل الله الذى يعلم السر) الغيب (فى السموات والأرض إنه كان غفورا) للمؤمنين (رحيما) بهم (وقالوا مال هذا الرسول يأتنا كل الطعام ويمشى فى الأسواق أولا) هلا (أنزل إليه ملك فيكون معه نذيرا) بصدقه (أو يلقى إليه كنز) من السماء ينفعه ولا يحتاج إلى المشى فى الأسواق لطلب المعاش (أو تكون له جنة) بستان (يأت كل منها) أى من ثمارها فيكتفى بها ، وفى قراءة فأكل بالنون أى نحن فيكون له مزية علينا بها (وقال الظالمون) أى الكافرون للمؤمنين (إن) ما تدعون إلا رجلا مسحورا) مخدوعا مغلوبا على عقله قال تعالى (أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) بالمسحور والحجاج إلى ما ينفعه وإلى ملك يقوم معه بالامر

أى بهما) أشار بذلك إلى أن ظاهرا وزورا منصوبان بنزع الخافض ويصح نصبهما بجهاد بتضمينه معنى فعل (قوله وقالوا أيضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله أساطير الأولين) خبر لمخدوف قدره بقوله هو (قوله أكتبها) أى أمر بكتبتها لأنهم يعلمون أنه أسمى لا يقرأ ولا يكتب (قوله من ذلك القوم) المناسب أن يقول من أولئك القوم (قوله تقرأ عليه) أى فليس للراد بالاملاء الالتقاء على الكتاب ليكتبه (قوله بكرة وأصيل) المراد دائما أبدا (قوله ردا عليهم) أى

مقاتلهم الشنعة (قوله الغيب) أى ما غاب عنا (قوله للمؤمنين) كذا قال المفسر ويصح أن يكون المراد (فقد جاءوا)

الكفار فيكون تعليلا لمخدوف تقديره وآخر عقابكم ولم يعاجلكم به لأنه الخ ، وقوله كان أى ولم يزل (قوله وقالوا مال هذا الرسول الخ) شروع فى بعض قبائحهم التى قالوها فى حق الرسول عليه السلام . والمعنى أى شئ حصل لهذا الذى يدعى الرسالة حالة كونه يأكل الطعام كإناء كل ويمشى فى الأسواق لطلب الرزق كما تفعل قسميتهم إياه رسولا بطريق الاستهزاء به (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضه (قوله فيكون معه نذيرا) بالنصب فى قراءة العامة على جواب التحضيض وقرئ شذوذا بالرفع عطفا على أنزل (قوله يصدق) أى يشهد له بالرسالة والصدق (قوله أو تكون له جنة) ببناء فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالياء لأن نثبت الجنة مجازى (قوله وقال الظالمون) إظهار فى موضع الاضمار للاشعار بوصف الظلم وتجاوز الحد فيما قالوا (قوله مخدوعا مغلوبا على عقله) أى فالمراد بالسحر الاختلال فى العقل من إطلاق المزموم وإرادة اللازم (قوله أنظر كيف ضربوا لك الأمثال) خطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم على سبيل الاستفهام التعجبى أى تعجب يا محمد من وصف هؤلاء لك تلك الأوصاف التى كانت سببا فى ضلالتهم

(قوله فضلوا بذلك) أي ضرب الأمثال (قوله من الهدى) أي الحق (قوله فلا يستطيعون سبيلاً) أي لا يقدرون على الوصول إلى الهدى لما طبع على قلوبهم وصممهم وأبصارهم (قوله تبارك) اعلم أن هذا الوصف جامع لكل كال مستلزم لنفي كل نقصي وحينئذ فيحسن تفسيره في كل مقام بما يناسبه لما كان ما تقدم مقام تزيه فسرته تعالى ، ولما كان ما هنا مقام إعطاء فسرته بتكثير خبره ولما كان ما يأتي في آخر السورة مقام عظمة وكبرياء فسرته بتعظيمه وهكذا يقال في كل مقام (قوله خبراً من ذلك) أي بما اقترحوا بأن يجعل لك أعظم من ذلك في الدنيا (قوله جنات) بدل من خبراً (قوله لأنه شاء أن يعطيه إياها في الآخرة) على لقوله أي في الدنيا ، وللعنى تكثير خبر الله الذي إن شاء جعل لك خبراً مما أغنوه لك في الدنيا وإعماله يتعلق بإرادة الله به لكونه قانياً ، والله سبحانه وتعالى لم يجعل الغني جزاء لأحبابه لأن الدنيا دار عمر لا مقر حلالها حساب وحرامها عقاب ، وحاشاه سبحانه وتعالى أن يوقع حبيبه ومن كان على قدمه في الحساب أو العقاب (قوله بالجزم) أي عطفاً على هل جعل لأنه جواب الشرط والمعطوف على الجواب جواب (قوله بالرفع استثناء) أي أو معطوف على جواب الشرط بناء على أنه غير مجزوم بقول ابن مالك * وبعد ماض رفعك الجزأ حسن * وإعماله يحزم لضعف تأخير إن في المعطوف لكونه ماضياً فارتفع والقراءتان سبعيتان (قوله بل كذبوا بالساعة) إضراب انتقالي عن ذكر قبائحهم إلى بيان ما لهم (١٤٣) في الآخرة من أنواع العذاب

(قوله واعتدنا) أي هيأنا وأحضرنا ، وفي هذا دليل على أن النار مخلوقة الآن كما أن الجنة كذلك لقوله تعالى - أهبط للتقيظ - (قوله ناراً مسعرة) بالتشديد والتخفيف (قوله إذا رأتهم) أي حقيقة بعينها لما في الحديث «من كذب على متعمداً فليتبوأ» بين عيني جهنم مقعداً قبل يارسول الله وألها عينان ؟ قال أمامهم الله عز وجل يقول : إذا رأتهم من مكان

(فَضَّلُوا) بِذَلِكَ مِنَ الْهُدَى (فَلَا يَسْتَطِيعُونَ سَبِيلًا) طَرِيقًا إِلَيْهِ (تَبَارَكَ) تَكَثَّرَ خَيْرُ اللَّهِ (الَّذِي إِنْ شَاءَ جَعَلَ لَكَ خَيْرًا مِنْ ذَلِكَ) الَّذِي قَالَهُ مِنَ الْكَثْرِ وَالْبَسْتَانِ (جَنَّاتٍ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ) أَيْ فِي الدُّنْيَا لِأَنَّهُ شَاءَ أَنْ يَعْطِيَهُ إِيَّاهَا فِي الْآخِرَةِ (وَيَجْمَلْنَ) بِالْجَزْمِ (لَكَ قُصُورًا) أَيْضًا فِي قِرَاءَةِ بِالرَّفْعِ اسْتِثْنَاءًا (بَلْ كَذَّبُوا بِالسَّاعَةِ) الْقِيَامَةِ (وَأَعْتَدْنَا لِمَنْ كَذَّبَ بِالسَّاعَةِ سَعِيرًا) نَارًا مَسْعُورَةً أَيْ مُشْتَدَّةً (إِذَا رَأَتْهُمْ مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ سَمِعُوا لَهَا تَغَيُّظًا) غَلِيظًا كَالنَّضْبَانِ إِذَا خَلَى صَدْرُهُ مِنَ النَّضْبِ (وَزَفِيرًا) صَوْتًا شَدِيدًا أَوْ سَمَاعَ التَّغَيُّظِ رُؤْيَاهُ وَعَلِمَهُ (وَإِذَا أُلْقُوا مِنْهَا مَكَانًا ضِيقًا) بِالتَّشْدِيدِ وَالتَّخْفِيفِ بَأَنْ يَضِيقَ عَلَيْهِمْ وَمِنْهَا حَالٌ مِنْ مَكَانَاتٍ لِأَنَّهُ فِي الْأَصْلِ صِفَةٌ لَهُ (مُتَرَتِّبِينَ) مُصَفِّدِينَ قَدْ قُرِئَتْ أَيْ جُمِعَتْ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ فِي الْأَغْلَالِ وَالتَّشْدِيدُ لِلتَّكْثِيرِ (دَعَوْا هُنَاكَ ثُبُورًا) هَلَاكَ كَمَا يُقَالُ لَهُمْ (لَا تَدْعُوا الْيَوْمَ ثُبُورًا وَاحِدًا وَادْعُوا ثُبُورًا كَثِيرًا) ،

بعيد سمعوا لها تغيظاً وزفيراً - يخرج عنق من النار له عينان يبصران ولسان ينطق فيقول وكنت بمن جعل مع الله إلها آخر فلهو أبصر به من الطير يحب السمسم فيلتقطه * وفي رواية « يخرج عنق من النار يوم القيامة له عينان يبصران وأذنان يسمعان ولسان ينطق يقول : إني وكنت بكل جبار عنيد وكل من دعاه الله إلهاً آخر وبالصورين انتهى ، وهذا مذهب أهل السنة ، وقالت المعتزلة : الكلام على حذف مضاف : أي رأته زبانيته بناء منهم على أن الرؤية مشروطة بالحياة (قوله من مكان بعيد) قيل مسيرة سنة ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة (قوله أو سماع التغيظ رؤيته وعلمه) أشار بذلك إلى أن السماع ليس على حقيقته بل للراد منه الرؤية والعلم ، وأجيب أيضاً بأن الراد سماع ما يدل عليه وهو الغليان وقد أفاده أولاً فتحصل أن للفسر أجاب بجوابين (قوله وإذا ألقوا) أي طرحوا (قوله مكاناً) منصوب على الظرفية : أي في مكان (قوله بالتشديد والتخفيف) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله بأن يضيق عليهم) أي كضيق الحائط على الرعد الذي يدق فيه نصف (قوله لأنه في الأصل مفعول) أي وهو نكرة ومن المعلوم أن نعت النكرة إذا تقدم عليها يربح حالا كقول الشاعر * لمية موحشا طلل * والأصل لجة طلل موحش (قوله مترتين) حال من الواو في ألقوا ، والتقرين تقييد الأرجل وجمع الأيدي والأعناق في السلاسل (قوله مصفدين) من التصفيد وهو الشد والاثاقم بالقيود (قوله دعوا هناك) أي في ذلك المكان (قوله ثبورا) أي فيقولون يا ثبوراه هذا أولئك فاحضر لأنه أخف مما هم فيه (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التهكم والسخرية بهم (قوله ثبورا واحدا) أي صفة

واحدة (قوله كذايكم) تشبيه في الكثرة وفي نسخة باللام : أي لأجل دوام عذابكم وكثرته فينبغي أن يكون دعاؤكم كذلك (قوله قل أذلك خير) الاستفهام للتوبيخ والتقريع والإفليس في النار خير (قوله في علمه تعالى) جواب عما يقال إنها لم تكن جزاء ومصيرا الآن ، فأجاب بأن الغنى قد سبق علم الله بأنها تكون لهم جزاء ومصيرا (قوله مرجعا) أي مستقرا (قوله لهم فيها ما يشاءون) أي من النعم اللاتمة بهم ، وأما ما لا يليق بهم فلا يخطر ببالهم فكل إنسان يرضيه الله بما أعطاء ولا يلتفت إلى عطاء من هو أشرف منه ولا يخطر بباله سؤاله ، وبهذا اندفع ما قيل إن مقتضى الآية أن الإنسان يتجنى مراتب الأنبياء في الجنة ويعطها (قوله حال) أي من الماء في لهم أو من الواو في يشاءون (قوله كان وعدمه ماذكر) أشار بذلك إلى أن اسم كان يعود على الوعد المفهوم من قوله : وهذا المتقون (قوله ربنا وآتنا) أي كما قال تعالى حكاية عن دعايهم لأنفسهم ، وقوله : ربنا وأدخلهم أي كما قال تعالى حكاية عن دعايهم للؤمنين (قوله ويوم نحشرهم) ظرف معمول لمخوف تقديره اذكر والضمير في نحشرهم للعابدين لعنير الله (قوله بالنون) أي مع النون في نقول أو الياء ، وقوله والتحتانية : أي مع التحتانية في يقول فالفراآت ثلاث سبعيات خلافا لما يوجهه المفسر (١٤٤) من أنها أربع (قوله وما يعبدون) معطوف على مقول نحشرهم وأوقع

ما على العقلاء وهو قليل وهذا ما يفنده المفسر بالتشليل ويصح أن يراد من ما العاقل وغيبه كالأصنام وغلب غير العاقل على العاقل لكثرة (قوله إثباتا للحجة على العابدين) أي وتبكيه لهم وهو جواب عما يقال إن الله عالم في الأزل بما ذكر لها فائدة هذا السؤال (قوله بتحقيق المميزين) أي مع إدخال ألف بينهما وتركه فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والابدال واحدة فتكون خمسا خلافا لما يوجهه المفسر من

كذايكم (قل أذلك) المذكور من الوعيد وصفة النار (خير أم جنة الخلد التي وعدت) ها (المتقون كانت لهم) في علمه تعالى (جزاء) ثوابا (ومصيرا) مرجعا (لهم فيها ما يشاءون خالدين) حال لازمة (كان) وعدمه ماذكر (على ربك وعدا مستقولا) يسأله من وعده : ربنا وآتنا ما وعدتنا على رسلك ، أو تسأله لهم الملائكة : ربنا وأدخلهم جنات عدن التي وعدتهم (ويوم نحشرهم) بالنون والتحتانية (وما يعبدون من دون الله) أي غيره من الملائكة وعيسى وعزير والجن (فيقول) تعالى بالتحتانية والنون للمعبودين إثباتا للحجة على العابدين (أنتم) بتحقيق المميزين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه (أضللتهم عبادي هؤلاء) أو قمتهم في الضلال بأمرهم بعبادتهم (أم هم ضلوا السبيل) طريق الحق بأنفسهم (قالوا سبحانك) تنزيها لك عما لا يليق بك (ما كان ينبغي) يستقيم (لنا أن نتخذ من دونك) أي غيرك (من أولياء) مفعول أول ومن زائدة لتأكيد النفي وما قبله الثاني فكيف نأمر بعبادتنا (ولكن متعتهم وآباءهم) من قبلهم بإطالة العمر وسعة الرزق (حتى نسوا الله ذكر) تركوا الموعظة والإيمان بالقرآن ،

(وكانوا)

أنها أربع وكلها سبعة . إن قات على قراءة الابدال يلزم عليه التقاء

الساكنين على غير حده وهو ممنوع . أجيب بأن محل منعه مالم يكن مسموعا وهذا مسموع من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله هؤلاء) نعت لعبادي أو عطف بيان أو بدل منه (قوله قالوا) أي للعبودون وهو كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدر كأنه قيل ماذا قالوا في الجواب (قوله من أولياء) أي أتباعا يعبدوننا ويصح أن يراد بالأولياء التبوعون : أي معبودون لنا لأن الولي كما يطلق على التبوع يطلق على التابع كالمولى يطلق على الأعلى والأسفل ، وكلام المفسر يفيد المعنى الثاني ، إذا علمت ذلك فالتبري حاصل في هذه الآية من الأولياء بمعنى المعبودين أو العابدين لعنير الله وأما بمعنى من تولوا خدمة الله أو من تولاهم الله فلم يكلمهم لعنير ههنا اتخذهم الله وأمر بالعلق بأذيالهم (قوله مفعول أول) أي نتخذ (قوله وما قبله) أي وهو قوله من دونك (قوله فكيف نحشر بعبادتنا) أي بعبادتهم إيانا فنحن لم نضلهم (قوله ولكن متعتهم الخ) استندراك لرفع ما يتوهم نبوته ، والمعنى أنت أنعمت عليهم بنعم عظيمة فجعلوا ذلك سببا للضلال وليس لنا مدخل في ذلك ، وفي هذا الاستدراك رجوع للحقيقة (قوله تركوا الموعظة) أي غفلوا عن التذكير في آياتك فالتفسيران معناه الترك .

(قوله بورا) يحتمل أنه جمع باثر أو مصدر من البوار وهو الهلاك (قوله فقد كذبوكم) خطاب للعابدين قهرا وإعانة على المعبودين والكاف على العابدين ، وقوله بما تقولون : أى فيما تقولون ، وقوله بالفوقانية : أى باتفاق العشرة ، وقوله إنهم آلهة مقول القول (قوله أى لاهم) راجع للثبانية ، وقوله ولا أتم راجع للفوقانية (قوله ومن يظلم منكم) أى أيها المكلفون من العابدين والمعبودين فظلم العابد بعبادته غير الله وظلم المعبود برضاه بذلك (قوله نذقه) بنون العظمة في قراءة العامة (قوله وما أرسنا قبلك إلخ) المقصود من هذه الآية تسليته صلى الله عليه وسلم والرد على الشركين حيث قالوا - مال هذا الرسول يأكل الطعام - إلخ (قوله إلا إنهم) الجملة حالية وإن مكسورة باتفاق القراء واللام للابتداء زحلت للخبر، والمعنى ما أرسنا قبلك من للرسلين في حال من الأحوال إلا في حال أكلهم الطعام ومشيهم في الأسواق : أى فهذه عادتهم ودأبهم فإن هجوك بذلك فقد هجوا جميع الأنبياء فلا تحزن (قوله وجعلنا بعضكم لبعض فتنة) أى إن الدنيا دار بلاء وامتحان فجعل بعض العبيد فتنة لبعض ليظهر الصابر من غيره (قوله ابتلى النفى بالفقر إلخ) أى فالتى تمتحن بالفقر يحسده والفقر تمتحن بالنفى يسخر به ويحتقر به والصحيح تمتحن بالمرض يقول لم لم نفاق ونصبر مثل هذا والمرضى تمتحن بالصحيح يتكبر عليه وينتر بصحته والشريف كالأنبياء والعلماء والصلحاء تمتحن بالوضع يحسده على ما أعطاه الله وهكذا (١٤٥) والخلص من ذلك الصبر على

أحكام الله والرضا بها لأن الواجب على الإنسان أن ينظر في أمور الدنيا إلى من هو فوقه ولا ينظر إلى من هو فوقه لئلا يزدري نعمة الله عليه وفي أمور الآخرة إلى من هو فوقه ليصرف نفسه فيرجع عليها باللوم والندم ومن هنا ينبى حجة الصالحين والساكنين ومرافقتهم ليقبلى بهم (قوله يقول الثانى) أى الفقير والمريض والوضع ، وقوله في كل

(وَكَانُوا قَوْمًا بُورًا) هلكت ، قال تعالى (فَقَدْ كَذَّبُواكُمْ) أى كذب المعبودون العابدين (بِمَاتَقُولُونَ) بالفوقانية إنهم آلهة (فَمَا يَسْتَطِيعُونَ) بالثبانية والفوقانية أى لاهم ولا أتم (صَرَخًا) دفعا للمازى عنكم (وَلَا تَصْرًا) منعا لكم منه (وَمَنْ يَظْلِمُ) يشرك (مِنْكُمْ) نَذَقَهُ عَذَابًا كَبِيرًا) شديداً في الآخرة (وَمَا أَرْسَلْنَا قَبْلَكَ مِنَ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا إِيَّاهُمْ لِيَأْكُلُونَ الطَّعَامَ وَيَمْشُونَ فِي الْأَسْوَاقِ) فأت مثلهم في ذلك وقد قيل لهم مثل ما قيل لك (وَجَعَلْنَا بَعْضَكُمْ لِبَعْضٍ فِتْنَةً) بلية ابتلى النفى بالفقر والصحيح بالمريض والشريف بالوضع يقول الثانى في كل : مالى لا أكون كالأول في كل (أَتَصْبِرُونَ) على ما تسمعون ممن ابتليتم بهم ؟ استفهام بمعنى الأمر أى اصبروا (وَكَانَ رَبُّكَ بَصِيرًا) بمن يصبر ومن يجزع (وَقَالَ الَّذِينَ لَا يَرْجُونَ لِقَاءَنَا) لا يخافون البعث (لَوْلَا) هلا (أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْمَلَائِكَةَ) فكانوا رسلا إلينا (أَوْ نُرِى رَبَّنَا) فنخبر بأن محمداً رسوله ، قال تعالى (لَقَدْ اسْتَكْبَرُوا) تكبروا (فِي) شَأْنِ أَنْفُسِهِمْ وَعَتَوْا) طغوا (عُتُوًّا كَبِيرًا) ،

أى من ألقم الثلاثة ، وباجملة فافتته أن يحسد المعنى المتبلى والصبر أن يحبس كل منهما نفسه هذا عن البطر وهذا عن الضجر ، عن أبى لمرداء أنه سمع رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول « ويل للعالم من الجاهل وويل للجاهل من العالم وويل للمالك من المملوك وويل للمملوك من المالك وويل للضعيف من الشديد وويل للشديد من الضعيف وويل للسلطان من الرعية وويل للرعية من السلطان بعض فتنة وهو قوله تعالى - وجعلنا بعضكم لبعض فتنة أصبرون - » (قوله استفهام بمعنى الأمر) هذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن الاستفهام على حقيقته : أى لينظر أى حصل منكم صبر أم لا فيجازيكم على ذلك (قوله وكان ربك بصيرا) فى ذلك تأييد للعبد : أى إن الله بصير ومطلع على من يصبر ومن يجزع فلا تنبى الشكوى للخلق ولا إظهار مالى القلوب بل إن وجد الشخص فى نفسه صبرا فليشكر الله وإن وجد غير ذلك فعليه أن يرجع إلى ربه بالندم والتوبة (قوله لا يخافون البعث) أى لأنهم منكرون له فهم يزعمون أنهم آمنون منه (قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضه (قوله فكانوا رسلا إلينا) أى بالسرائع ونحوها بدل محمد (قوله أو نرى ربنا) أى يكشف الحجاب لنا فقراء عيانا (قوله فنخبر) بالبناء للفعول : أى يخبرنا هو بأن محمداً رسوله (قوله قال تعالى) أى ردا عليهم مقاتلهم (قوله تكبروا) أى حيث لم يرضوا بأن يكون رسولهم من البشر بل طمعوا أن يكون من الملائكة (قوله فى شأن أنفسهم) أى أنهم عدوا أنفسهم كبيرة لأمر

(قوله بطليهم رؤية الله) متعلق بعنوا والباء السببية ولم يرد كرم متعلق استكبروا ولقد علمته ، وفي الآية لف ونهر مررب فلا استكبار راجع لطليهم نزول الملائكة والعنوا راجع لطليهم رؤية الله (قوله على أصله) أى من غير إبدال (قوله بالابدال فى مريم) أى لمااسبة رموس الآى وأصله عنوا كسرت الحاء فوقت الواو ما كنة إثر كسرة قلبت ياء ثم اجتمعت الواو والياء وسبقت إحداهما بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت فى الياء (قوله يوم يرون الملائكة) أى للتولين عذابهم (قوله لا بشرى يومئذ) هذه الجملة مقولة لقول محذوف حال من الملائكة تقديره قائلين لهم لا بشرى (قوله فلهم البشرى بالجنة) أى لقوله تعالى : بشرناكم اليوم جنات تجري من تحتها الأنهار (قوله ويقولون) معطوف على يرون فالضمير للكفار (قوله حجرا محجورا) العامة على كسر الحاء وقرئ شذوذا بفتحها وضمها (قوله يستعبدون من الملائكة) أى يطلبون من الله إنقاذهم منهم بهذه العبارة (قوله حمدنا) أى تعلق إرادتنا ودفع بذلك ما قبل إن القدوم من صفات الحوادث وهو محال على الله تعالى ففسره بلامزمه وهو القصد والراد من القصد فى حقه تعالى تعلق إرادته بالشئ (قوله وقرى ضيف) بكسر الكاف مع القصص أو فتحها مع اللد ومعناه الاحسان إليه (قوله فى الدنيا) متعلق بعملاوا (قوله فى الكوى) جمع كوة وهى الطاقة فى الحائط بفتح الكاف وضمها (قوله لعدم شرطه) أى وهو الايمان (١٤٦) (قوله ويجازون عليه فى الدنيا) أى باعطاء المال والولد والعافية وغير

ذلك من ملاذ الدنيا فأعمال الكافر الحسنة التى لا تتوقف على نية يعطى جزاءها فى الدنيا ، وأما ماتتوقف على نية فلا يجد لها جزاء أصلا لعدم صحها (قوله خير مستقرا من الكافرين) أى إن مستقر المؤمنين فى الجنة خير من مستقر الكافرين فى الدنيا فأفعل التفضيل على يابه وإلى هذا أشار المفسر بقوله فى الدنيا فهو جواب مما يقال إن مستقر أهل النار لاخير فيه ويصح

بطليهم رؤية الله تعالى فى الدنيا ، وعنوا بالواو على أصله بخلاف عطيا بالابدال فى مريم (يَوْمَ يَرَوْنَ الْمَلَائِكَةَ) فى جملة الخلائق هو يوم القيامة ونصبه باذ كر مقدرا (لَا بُشْرَى يَوْمَئِذٍ لِلْمُجْرِمِينَ) أى الكافرين بخلاف المؤمنين فلهم البشرى بالجنة (وَيَقُولُونَ حَبْرًا مَّحْجُورًا) على عاداتهم فى الدنيا إذا نزلت بهم شدة : أى عودا معاذا يستعبدون من الملائكة قال تعالى (وَقَدِمْنَا) حمدنا (إِلَى مَا عَمِلُوا مِنْ عَمَلٍ) من الخير : كصدقة وصلة رحم وقرى ضيف وإغاثة ملهوف فى الدنيا (فَجَعَلْنَاهُ هَبَاءً مَنْثُورًا) عو ما يرى فى الكوى التى عليها الشمس كالغبار للفرق : أى مثله فى عدم النفع به إذ لا ثواب فيه لعدم شرطه ويجازون عليه فى الدنيا (أَسْحَابُ الْجَنَّةِ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (خَيْرٌ مُسْتَقَرًّا) من الكافرين فى الدنيا (وَأَحْسَنُ مَقِيلًا) منهم أى موضع قائلة فيها ، وهى الاستراحة نصف النهار فى الحر وأخذ من ذلك انقضاء الحساب فى نصف نهار كما ورد فى حديث (وَيَوْمَ تَشْقُقُ السَّمَاءُ) أى كل سماء (بِالْقَمَامِ) أى معه وهو غيم أبيض (وَنُزِّلَ الْمَلَائِكَةُ) من كل سماء (تَنْزِيلًا) هو يوم القيامة ،

أن يراد استقرار كل فى الآخرة والتفضيل ليس مرادا بل المقصود التقرير والتوبيخ للكفار ونصبه (قوله من ذلك) أى من قوله وأحسن مقيلا (قوله كما ورد فى حديث) قال ابن مسعود ولا يتنصف النهار يوم القيامة حتى يقبل أهل الجنة فى الجنة وأهل النار فى النار ، والقيولة الاستراحة نصف النهار وإن لم يكن مع ذلك نوم لأن الله تعالى قال : وأحسن مقيلا والجنة لا نوم فيها ويرى « أن يوم القيامة يقصر على المؤمنين حتى يكون كأيّن العصر إلى غروب الشمس » (قوله ويوم تشقق السماء) يوم ظرف معمول لمحذوف تقديره اذ كر كما قاله المفسر (قوله أى كل سماء) أشار بذلك إلى أن أل فى السماء استغراقية (قوله أى معه) أشار بذلك إلى أن الباء بمعنى مع ويصح أن تكون السببية أو للابسة أو بمعنى عن (قوله وهو غيم أبيض) أى سحب فوق السموات السبع نخه كسفن السموات السبع وقوله كسفلها فينزل على السماء السابعة فيخرقها شقلا وهكذا حتى ينزل إلى الأرض وفيه ملائكة كل سماء فينزل أولا ملائكة سماء الدنيا وهم مثل أهل الأرض عشر مرات ثم ملائكة السماء الثانية وهم مثلهم عشرين مرة وهكذا وإذا نزل ملائكة السماء الدنيا اصطفوا حول العالم المجموع فى الحشر صفا وإذا نزل ملائكة السماء الثانية لاصطفوا خاف هذا الصف صفا آخر وهكذا حتى تصير الصفوف سبعة كلهم يحرسون أهل الحشر من الفرار ويطردون عنهم النار وتقدم بسط ذلك فى سورة إبراهيم عند قوله تعالى : يوم تبدل الأرض غير الأرض الخ .

(قوله ونصبه باذكر مقترا) أى وهو معطوف على : يوم يرون الملائكة ، وكذا قوله : ويوم يعص الظالم (قوله فى الأصل) أى قبل قلبها شيئا وتسكنها وإدغامها فى الشين (قوله وفى أخرى ونزل بنونين الخ) هذه القراءة إنما أتت عند تشديد الشين فتحصل أن القراءات ثلاث سبعيات فعند تشديد الشين يجوز فى نزل القراءتان وعند التخفيف يجوز فى نزل قراءة واحدة وهى كونه ماضيا مبنيًا للمفعول خلافا لما يوهمه المفسر من أنها أربع قراءات (قوله الملك) مبتدأ ويومئذ ظرف له والحق نعت له وللرحمن خبره ، والمعنى أن الملك يوم القيامة لله وحده ، وحكمة التفتيد بهذا اليوم وإن كان الملك لله فى كل زمن أن نبوت الملك له خاصة فى ذلك اليوم فليس لأحد ملك ظاهر أبدا ، وأما فيما عداه من أيام الدنيا فيكون للخلق تصرف صورى وإلى هذا أشار المفسر بقوله لا يشركه فيه أحد (قوله بخلاف المؤمنين) أى فليس عليهم عسيرا لما ورد « أنه يهون عليهم حتى يكون أخف من صلاة مكتوبة » (قوله ويوم) منصوب باذكر أو معطوف على يوم يرون كما تقدم (قوله يعص الظالم) هو من باب تعب ونفع ، والمعنى أن الكافر حين يرى النار ويسمع تغيظها وزفيرها يعص على يديه . قال عطاء : يأكل الظالم يديه حتى يأكل مرفقيه ثم يبتنان ثم يأكلهما وهكذا كلما نبت يدها يأكلهما (قوله عقبة بن أبى معيط) أشار المفسر بذلك إلى أن الآية نزلت فى ظالم خاص ويقاس عليه كل ظالم وهو أحد قولين ، وقيل نزلت فى الظالمين عموما (قوله كان نطق بالشهادتين الخ) « وذلك أنه صنع طعاما ودعا الناس إليه ودعا رسول الله (١٤٧) صلى الله عليه وسلم فلما قدم الطعام قال رسول الله صلى الله عليه وسلم ما أتانا بكل طعامك حتى تشهد أن لا إله إلا الله وأنى عهد رسول الله ففعل فأكل رسول الله من طعامه وكان عقبة صديقا لأبى ابن خلف فلما أخبر بذلك قال له يا عقبة صبت قال لا ولكن دخل على رجل فأبى أن يأكل طعامى إلا أن

ونصبه باذكر مقدراً ، وفى قراءة بتشديد شين تشقى بادغام التاء الثانية فى الأصل فيها ، وفى أخرى ونزل بنونين الثانية ساكنة وضم اللام ونصب الملائكة (الملك يومئذ الحق للرحمن) لا يشركه فيه أحد (وكان) اليوم (يومًا على الكافرين عسيرا) بخلاف المؤمنين (ويوم يعص الظالم) المشرك عقبة بن أبى معيط كان نطق بالشهادتين ثم رجع إرضاء لأبى بن خلف (على يديه) ندما وتحسرا فى يوم القيامة (يقول يا) للتنبيه (ليتنى اتخذت مع الرسول) محمد (سبيلا) طرقا إلى الهدى (يا ويلتى) أنه عوض عن ياء الإضافة : أى ويلتى ، ومعناه هلكتى (ليتنى لم اتخذ فلانا) أى أيبا (خليلا . لقد أضلنى عن الذكر) أى القرآن (بمد إذ جاءني) بأن ردى عن الإيمان به قال تعالى (وكان الشيطان للإنسان الكافر خذولا) بأن يتركه ويتهرب منه عند البلاء (وقيل الرسول) محمد (يارب إن قومى) قريشا (اتخذوا هذا القرآن

أشهد له فاستحييت أن يخرج من بيتي ولم يطعم فشهدت له فطعم فقال ما أنا راض عنك حتى تأتبه فتبزيق فى وجهه ففعل عقبة فعاد بزأقه على وجهه حرقه فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أراك خارج مكة إلا علوت رأسك بالسيف فأمر يوم بدر فأمر عليا فقتله ، وطعن النبي آيبا بأحد فى البارزة فرجع إلى مكة ومات ، وحكم الآية عام فى كل صاحبين اجتماعا على معصية الله تعالى لما روى « يحشر الرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخال » (قوله يقول ياليتنى) الجملة حالية من فاعل يعص (قوله للتنبيه) أى وليست للدعاء لأن المنادى شرطه أن يكون اسما وليت حرف تمن أو للدعاء والمنادى مخشوف أى يا قوم (قوله عوض عن ياء الإضافة) أى وأصله ويلتى بكسر التاء وفتح الياء فتحت التاء فتحركت الياء وانفتح ما قبلها قلبت ألفا فيقال فى إعرابه وباتما مضاف والألف مضاف إليه فى محل جر وليس لنا ألف فى محل جر إلا ما كانت عوضا عن ياء التكلم (قوله لم اتخذ فلانا خليلا) فلان كناية عن علم من يعقل من الذكور وفلانة كناية عن علم من يعقل من الاناث (قوله لقد أضلنى) علة لتعنيه وأكده باللام القسمية إظهارا لندمه وتحسره (قوله أى القرآن) أى وقيل كلمة الشهادة (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله وكان الشيطان الخ جملة مستأنفة من كلامه تعالى وكلام الظالم ثم عند قوله جاءني (قوله وكان الشيطان) أى وهو كل عات متعمد صد عن سبيل الله من الجن والإنس (قوله بأن يتركه) أى يترك نصره (قوله وقال الرسول) عطف على قوله - وقال الذين لا يرجون لقاءنا - وما بينهما اعتراض مسوق لاستعظام ما قالوه وبيان ما يحق بهم فى الآخرة من الأهوال ، وهذا القول قيل صدر منه فى الدنيا ، وهليه يحمل قول المفسر فاصبر كما صبروا ، وقيل سبق منه

في الآخرة حال إقامة الحجة عليهم ، ولما ورد أنه يقول حين يشاهد نزول العذاب بهم -حقاً حقاً (قوله مهجوراً) أى فأعرضوا عنه ولم يؤمنوا به ، فهذه الآية وردت في الكفار المعرضين عن القرآن الذين لم يؤمنوا به لافيمن حفظه من المؤمنين ثم نسيه وإن كان يعاتب عليه في الآخرة لما ورد « من تعلم القرآن وعلق مصحفه لم يتعاهده ولم ينظر فيه جاء يوم القيامة منعقاً به يقول يارب عبدك هذا اتخذني مهجوراً أقض بيني وبينه » (قوله وكذلك جعلنا الخ) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم ، والمعنى كما جعلنا قومك يعادونك ويكذبونك جعلنا لكل نبي عدواً (قوله برك) الباء زائدة في الفاعل (قوله هادياً) أى موصلاً لك إلى الطريق القويم (قوله وقال الذين كفروا الخ) حكاية عن بعض قبائح كفار مكة وشبههم التي تتعلق بالقرآن ولما كانت تلك الشبهة ربما تدخل على بعض الضعفاء اعتنى الله بردها والتوبيخ لمن أبداها (قوله لولا نزل عليه القرآن) نزل بمعنى أنزل لأن نزل بالتشديد معناه الانزال مفزقاً وأنزل معناه الانزال جملة فلولا لم يجعل بمعنى أنزل لناقضه قوله جملة يؤيده قوله تعالى - إنا أنزلناه في ليلة القدر - حيث عبر بأنزلنا دون نزلنا لأن المراد نزوله جملة في سماء الدنيا (قوله قال تعالى) أى رداً لتلك الشبهة بأمر ثلاثة مقتضية لنزوله مفزقاً : الأول تثبيت فؤاده صلى الله عليه وسلم . الثاني ترتيبه ليسهل حفظه . الثالث قوله ولا يأتونك بمثل إلا جئناك بالحق وأحسن تفسيراً (قوله نزلناه كذلك) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك نفت لمصدر محذوف والمعنى نزلناه نزيلاً مثل ذلك التزيل (قوله لنثبت به فؤادك) (١٤٨) علة للمحذوف الذي قدره المفسر ، والمعنى أنزلناه مفزقاً ليتقوى قلبك على

مهجوراً) متروكاً قال تعالى (وَكَذَلِكَ) كما جعلنا لك عدواً من مشركي قومك (جَعَلْنَا لِكُلِّ نَبِيٍّ) قبلك (عَدُوًّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) للمشركين فاصبر كما صبروا (وَكَفَى بِرَبِّكَ هَادِيًا) لك (وَنَصِيرًا) ناصراً لك على أعدائك (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لَوْلَا) هلا (نُزِّلَ عَلَيْكَ الْقُرْآنُ) أَنْ جُمْلَةً وَاحِدَةً (كَالتُورَةِ وَالْإِنْجِيلِ) والذين كفروا قال تعالى نزلناه (كَذَلِكَ) أى مفزقاً (لِنُثَبِّتَ بِهِ فُؤَادَكَ) هوئى قلبك (وَرَتَّلْنَاهُ تَرْتِيلًا) أى أتينا به شيئاً بعد شيء يتمهل وتؤدة لتيسر فهمه وحفظه (وَلَا يَأْتُونَكَ بِمَثَلٍ) في إبطال أمرك (إِلَّا جِئْنَاكَ بِالْحَقِّ) الدافع له (وَأَحْسَنَ تَفْسِيرًا) بيانا ، هم (الَّذِينَ يُحْشَرُونَ عَلَىٰ وُجُوهِهِمْ) أى يساقون (إِلَىٰ جَهَنَّمَ) أولئك شر مكالاً هو جهنم (وَأَصْلُ سَبِيلًا) أخطأ طريقاً من غيرهم وهو كفرهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة ،

تلقية فلا يحصل لك منه ثقل لأن القرآن في نفسه ثقل سيحاطى من لم يقرأ ولم يكتب قال تعالى - إنا سنلقى عليك قولاً ثقيلاً - ولذلك لما نزل عليه صلى الله عليه وسلم أقرأه الوحي ثلاث سنين لبشاشات لللقى فان الشيء إذا جاء على شوق كان أثبت (قوله ورتلناه ترتيلاً) أى فرقناه آية بعد آية وشيئاً بعد

(وجعلنا

شيء في عشرين أو ثلاث وعشرين سنة) (قوله لتيسر

فهمه وحفظه) أى لك ولأمتك عن ظهر قلب وهذه عطية لهذه الأمة المحمدية لم يعطها غيرهم ولما ورد « وجعلت من أمتك أقواماً قلوبهم أنجليهم » ومن هنا كان تعليم القرآن بالتدريج سبباً للأطفال ليثبت في قلوبهم واغتفر التنكيس في تعليمه ليسهل حفظه فان الطفل إذا رأى السورة قصيرة قوى على حفظها ونشط لما بعدها (قوله ولا يأتونك بمثل) أى سؤال عجيب يريدون به القدح في نبوتك (قوله إلا جئناك بالحق) استثناء مفرغ من عموم الأحوال كأنه قيل لا يأتونك بمثل في حال من الأحوال إلا في حال إتياننا إليك بالحق وبما هو أحسن بيانا له ، والمعنى كلما أوردوا شبهة أو أتوا بسؤال عجيب أجبت عنه بجواب حسن يرده ويدفعه من غير كلفة عليك فيه فلو نزل القرآن جملة لكان النبي هو الذي يبيح في القرآن عن رد تلك الشبهة كالعالم الذي يكشف في الكتب عن جواب المسائل التي يسأل عنها فيكون الأمر موكولاً له فتكون الكلفة عليه وما كان موكولاً إلى الله كان أتم بما هو موكول إلى العبد وفيه قبح للعائدين (قوله وأحسن) معطوف على الحق فهو مجرور بالفتحة للوصفية ووزن الفعل (قوله الذين يحشرون) خبر لمحذوف قدره المفسر بقوله هم (قوله أى يساقون) أى يسحبون مقلوبين يطشون الأرض برؤوسهم ووجوههم وترتفع أقدامهم بقدره الله تعالى (قوله من غيرهم) متعلق بكل من شر وأصل والمراد بغيرهم باقي الكفار ، والمعنى أن من عانده صلى الله عليه وسلم فهو في أسوأ الأحوال وأشرها في الآخرة (قوله وهو كفرهم) الضمير عائذ على السبيل (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم على مكائد قومه بذكر بعض قصص الأنبياء

على سبيل الاجمال ، وللمنى لا يحزن يا محمد فان من خالك وعانك يحل به الدار كما حل بالخالف من الائم المتقدمة (قوله وجعلنا معه) مطوف على آتينا والواو لاتقضي تريبا ولا تعقبا فان إتيان موسى التوراة كان بعد رسالة هرون وهلاك فرعون وقومه ، ويمكن أن يحاج من الآية بأن الراد بقوله آتينا موسى الكتاب قدرنا له أن يأتيه في علمنا فهو إخبار عما سيحصل فالمضى بالنسبة لما سبق في علم الله (قوله أخاه) مفعول أول جعلنا وهرون بدل منه ووزيرا مفعول ثان جعلنا ، والمضى جعلنا هرون معينا لموسى يوحى منا له في دعوى القوم إلى التوحيد وإعلاء الكلمة فهو نبي ورسول بما جاء به موسى ، بخلاف وزارة على للنبي صلى الله عليه وسلم الاستفادة من قوله عليه الصلاة والسلام له «أنت منى بمنزلة هرون من موسى» فالمراد بها مطلق الاعانة للمشاركة في الانصاف بالرسالة فان من أثبتنا على فقد كفر (قوله بآياتنا) أى أدلة توحيدنا لخصوص التسع (قوله فدمرناهم تدميرا) عطف على محذوف قدره المفسر بقوله فذهب الخ (قوله لما كذبوا الرسل) لما شرطية وجوابها قوله أغرقناهم كما قال المفسر (قوله لطول لبته) دفع بذلك ما يقال لم جمع الرسل مع أنه رسول واحد وهو نوح فأجاب بجوابين : الأول أنه جمعه لطول مدته في قومه فكانه رسل متعددة . (١٤٩) الثاني أن من كذب رسولا

فقد كذب باقى الرسل (قوله وجعلناهم) أى جعلنا هلاكم وما وقع منهم (قوله للظالمين) وضع الظاهر موضع الضمير تسجيلا عليهم بوصف الظلم (قوله سوى ما يحل) أى ينزل بهم وهو بهذا المعنى بضم الحاء وكسرهما بخلاف سائر معانيه فهو بالكسر لاغير (قوله وتمددا) بالصرف على معنى الحى وتركه على معنى القبيلة قراءتان سبعيتان (قوله اسم بئر) اختلف هل هو اسم لبئر القى لم تطو أو لبئر مطلقا وما قاله

(وَجَعَلْنَا مَعَهُ أَخَاهُ هَرُونَ وَزِيْرًا) معينا (قَعَلْنَا أَذْهَبًا إِلَى الْقَوْمِ الَّذِينَ كَذَبُوا بِآيَاتِنَا) أى القبط فرعون وقومه فذهب إليهم بالرسالة فكذبوها (فَدَمَّرْنَاهُمْ تَدْمِيرًا) أهلكتناهم إهلاكا (وَ) اذكر (قَوْمَ نُوحٍ لَمَّا كَذَبُوا الرُّسُلَ) بتكذيبهم نوحا لطول لبته فيهم فكانه رسل ، أولأن تكذيبه تكذيب لباقى الرسل لا شراكم فى الحجى . بالتوحيد (أَغْرَقْنَاهُمْ) جواب لما (وَجَعَلْنَاهُمْ لِلنَّاسِ) بدم (آيَةً) عبرة (وَأَعْتَدْنَا) فى الآخرة (لِلظَّالِمِينَ) الكافرين (عَذَابًا أَلِيمًا) مؤلما سوى ما يحل بهم فى الدنيا (وَ) اذكر (عَادًا) قوم هود (وَثَمُودًا) قوم صالح (وَأَنْحَابَ الرَّسْمِ) اسم بئر ، ونبيهم قيل شعب ، وقيل غيره كانوا قودا حولها فانهارت بهم وبمنزلهم (وَقُرُونًا) أقواما (بَيْنَ ذَلِكَ كَثِيرًا) أى بين عاد وأصحاب الرس (وَكُلًّا ضَرَبْنَاهُ) بالأمثال (فى إقامة الحجة عليهم فلم نهلكهم إلا بعد الانذار (وَكُلًّا نَبَّزْنَا تَبْذِيرًا) أهلكتنا إهلاكا بتكذيبهم أنبياءهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا) أى سر كفار مكة (عَلَى الْقَرْيَةِ الَّتِي أَنْطَرَتْ مَطَرًا سَوَاءً) مصدر ساء أى بالحجارة وهى عظمى قرى قوم لوط فأهلك الله أهلها لفعالهم الفاحشة (أَفَلَمْ يَكُونُوا يَرَوْنها) فى سفرهم إلى الشام فيمتبرون ؟ والاستفهام للتقرير ،

المفسر أحد أقوال فى الرس ، وقيل هو قرية باليمن كان فيها بقايا ثمود فبعث إليهم نبي فقتلوه فهلكوا وقيل الأخدود ، وقيل هم أصحاب حنظلة بن صفوان النبي ابتلام الله بطير عظيم فيه من كل لون فسموه العنقاء لطول عنقها وكانت تسكن الجبال وتختطف صبيانهم فدعا عليها حنظلة فأصابها الصاعقة ثم إنهم قتلوه فأهلكوا (قوله وقيل غيره) أى وهو حنظلة (قوله فانهارت) أى انخسفت بهم (قوله وكلا) منصوب بفعل محذوف يلاقى ضربنا فى معناه تقديره وخوفنا كلا ضربنا له الأمثال ، والمعنى بينا لكل القصص العجيبة فلم يؤمنوا فتبرناهم تبييرا : أى فتنناهم فتيتا فجعلناهم كالتبر وهو قطع الذهب والفضة المفتتة (قوله مر) أشار بذلك إلى أنه ضمن آتوا معنى مروا فعدى على وإلا فأتى بتعدى بنفسه أو بالى ، والمعنى مروا عليهم فى أسفارهم إلى الشام (قوله مصدر ساء) أى بحسب الأصل والمراد فى الآية بالمطر السوء الرى بالحجارة (قوله وهى عظمى قرى قوم لوط) أى واسمها سدوم وتقدم أن القرى خمسة ، وقيل إن آل فى القرية لا جنس فيشمل جميعها لأن الخسف وتزول الأحجار عم جميعها وقيل نجت منها واحدة كانت لاتعمل الحنائث (قوله يرونها) أى يرون آثارها (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو حل الخطاب على الاقرار بما يعرفه .

(قوله بل كانوا لا يرجون نشورا) أى كانوا كفارا لا يتوقعون نشورا ولا عاقبة فهو إضراب انتقالي من توبيخهم إلى ذكر بعض قبائحهم وهو عدم إيمانهم بالبعث وعدم خوفهم منه (قوله إن يتخذونك) جواب إذا (قوله إلا هزوا) مفعول ثان ليتخذون وقوله مهزوما به أشار به إلى أن المصدر مؤول باسم المفعول لأن المفعول الثانى فى الأصل خبر والمصدر لا يصح الاخبار به إلا بتأويل (قوله أهذا الذى الخ) الجملة فى محل نصب مفعول لقول محذوف قدره المفسر (قوله فى دعواه رسولا) قدر ذلك دفعا لما يقاله هم لا يعترفون برسالته فكيف يقولون ماذ كر (قوله ليضلنا عن آلهتنا) أى بكثرة الأدلة والمعجزات (قوله لولا أن صبرنا عليها) أى ثبقتا واستمسكنا بعبادتها (قوله قال تعالى) أى ردا لقولهم إن كان ليضلنا (قوله من أضل سبيلا) من اسم استفهام مبتدأ وأصل خبره وسبيلا تمييز وقد أشار المفسر إلى ذلك بقوله أم أم المؤمنين (قوله قدم المفعول الثانى) أى وقيل لا تقديم ولا تأخير لاستوائهما فى التعريف (قوله وجملة من الخ) أى بحسب الصورة وإلا فهى وصلتها فى قوة المفرد (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله أم تحسب) أم منقطعة تفسر بيل والمهزمة والاستفهام فيها إنكارى (قوله أن أكثرهم) استفيد منه أن الأقل سمع وعقل فآمن (قوله إن هم إلا كالأنعام) أى فى عدم انتفاعهم بالآيات (قوله بل هم أضل سبيلا) أى لأن الأنعام تنقاد لمن يتبعها (١٥٠) وتميز من يحسن إليها من يسىء إليها وتطلب ما ينفعها وتهرب عما يضر بها

وهؤلاء ليسوا كذلك (قوله ألم تر إلى ربك كيف مد الظل) أقام الله سبحانه وتعالى أدلة محسوسة على انفرادته تعالى بالالوهية وذكر منها خمسة الأول هذا الثانى قوله - وهو الذى جعل لكم الليل لباسا - الثالث قوله - وهو الذى أرسل الرياح - الرابع قوله - وهو الذى مرج البحرين - الخامس قوله - وهو الذى خلق من الماء بشرا - وهذا

(بَلْ كَانُوا لَا يَرْجُونَ) يخافون (نُشُورًا) بمثا فلا يؤمنون (وَإِذَا رَأَوْكَ) (إِنْ) ما (يَتَّخِذُونَكَ إِلَّا هُزُوًا) مهزوما به يقولون (أَهَذَا الَّذِي بَعَثَ اللَّهُ رَسُولًا) فى دعواه محقرين له عن الرسالة (إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (كَادَ لَيُضِلُّنَا) يصرفنا (هَنَّا لِهَيْبَتِنَا لَوْلَا أَنْ صَبَرْنَا عَلَيْهَا) لصرفنا عنها ، قال تعالى (وَسَوْفَ يَعْلَمُونَ حِينَ يَرَوْفَ الْعَذَابِ) هيانا فى الآخرة (مَنْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا أم أم المؤمنين (أَرَأَيْتَ) أخبرنى (مَنْ أَخَذَ إِلَهُهُ هَوَاهُ) أى هو به قدم المفعول الثانى لأنه أم وجملة من اتخذ مفعول أول لرأيت والثانى (أَفَأَنْتَ تَكُونُ عَلَيْهِ وَكِيلًا) حافظا تحفظه عن اتباع هواه ؟ (أَمْ تَحْسَبُ أَنْ أَكْثَرُهُمْ يَسْمَعُونَ) سماع تفهم (أَوْ يَفْقَهُونَ) ماتقول لهم (إِنْ) ما (هُمْ إِلَّا كَالْأَنْعَامِ بَلْ هُمْ أَضَلُّ سَبِيلًا) أخطأ طريقا منها لأنها تنقاد لمن يتبعها وهم لا يطيعون مولاهم المنعم عليهم (أَلَمْ تَرَ) تنظر (إِلَى) فعل (رَبِّكَ كَيْفَ مَدَّ الظَّلَّ) من وقت الإسفار إلى وقت طلوع الشمس (وَلَوْ شَاءَ لَجَعَلَهُ سَاكِنًا) مقبلا لا يزول بطلوع الشمس ،

الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ولكل عاقل فان من تأمل فى تلك الأدلة حق التأمل عرف أن موجدها (ثم) فاعل مختار منفرد بالكمال (قوله تنظر) أشار بذلك إلى أن الرؤية بصرية فقوله كيف منصوب بمد على الحال . والمفعول ألم تنظر إلى صنع ربك مد الظل كيف على أى حالة وقدر المفسر فعل إشارة إلى أن المراد رؤية المصنوعات لأروية الذات لأن المقصود نصب الأدلة ليستدل بها على مؤثرها فان كل صنعة لا بد لها من صانع وإن كان يلزم من التفسير فى تلك الأشياء رؤية الله بعين القلب لأنه لا يقب عن مخلوقه طرفه عين ، ومن هنا قيل نهار العارف يرى الله فى كل شىء فالآثار كالمرآة للنظر فمن تأمل فيها رأى مؤثرها ولا تحجب إلا من سبقت له الشقاوة (قوله من وقت الاسفار الخ) المناسب أن يقول من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس إذ هو أحد أقوال ثلاثة للمفسرين . ثانيهما من غروب الشمس إلى طلوعها . ثلثهما من طلوع الشمس إلى أن تزول ومن زوالها إلى غروبها ، وأما مقاله المفسر فلم يوافق عليه أحد من المفسرين وهذا الوقت أعنى من طلوع الفجر إلى طلوع الشمس أطيب الأوقات وأفضلها ولذا وصفت به الجنة قال تعالى - وظل ممدود - وفيه يجد المريض راحته والمسافر وكل ذى علة وفيه ترد أرواح الأموات منهم إلى الأجساد وتطيب نفوس الأحياء قال أبو العالية نهار الجنة هكذا وأشار إلى ساعة يصلون صلاة الفجر (قوله ولو شاء لجعله ساكنا) أى ثابتا مستقرا لا يذهب عن وجه الأرض (قوله لا يزول بطاوع الشمس) أى بأن لا تطلع فلا يزول بأن يستمر الليل مقبلا أو تطلع من غير ضوء

(قوله ثم جعلنا الشمس عليه دليلاً) أى جعلنا الشمس دليلاً على النخل ليلا ونهاراً فالمراد بالظل مقابل نور الشمس وكل من الظل، ونور الشمس عرض لقيامه بنيره، وأما ذات الشمس فجوهى (قوله ثم قبضناه إلينا قبضاً يسيراً) أى قليلاً شيئاً فشيئاً، وذلك أن الشمس إذا طلعت ظهر لكل شاخص ظل إلى جهة المغرب فكما ارتفعت في الأفق نقص الظل شيئاً فشيئاً إلى أن تصل الشمس وسط السماء فعند ذلك ينتهى نقص الظل فيبض البلاد لا يبق فيها ظل أبداً في بعض أيام السنة ككمكة وزبيد وما عداها تبقى بقية وهذا على حسب الأشهر القبطية وضبط ذلك بعضهم بقوله «طرزه جبا ابدوحى» فالطاء بقسمة أطوبة فظل الزوال فيه تسعة أقدام والزأى بسبعة لأمشير والماء بخمسة لبرمهاث والجيم بثلاثة لبرمودة والباء باثنين لبشنس والآلف بواحد لبثونة والآلف الثانية بواحد لأيب والباء باثنين لمسرى والعدل بأربعة لتوت والواو بستة لبابة والحاء بثمانية لهاثور والياء بعشرة لكيبك، فإذا زالت الشمس زاد الظل جهة المشرق شيئاً فشيئاً حتى تقرب الشمس (قوله كاللباس) أشار بذلك إلى أنه من التشبيه البليغ بحذف الأداة والجامع بين التشبه والشبه به الستر في كل (قوله والنوم سباتاً) من السبت وهو القطع لقطع الأعمال فيه كما قال للفسر (قوله بقطع الأعمال) الباء سببية والجار والمجرور متعلق براحة (قوله لابتغاء الرزق) أى طلبه (قوله وهو الذى أرسل الرياح) أى البشرات وهى ثلاث (١٥١) الشمال وتأتى من جهة القطب

والجنوب تقابلها والعباء وتأتى من مطلع الشمس والدبور وتأتى من المغرب وبها أهلكتم قوم عاد (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعية أيضاً وأل فيها للجنس (قوله وفى قراءة بسكون الشين الخ) حاصل ما ذكره المفسر من القراءات الأربع وكلها سبعية الأولى والثانية جمع نشور كرسل والثالثة مصدر نمر والرابعة جمع بشير (قوله ومفرد الأولى) أى والثانية

(ثُمَّ جَعَلْنَا لِلشَّمْسِ هَدًى) أى الظل (دَلِيلًا) فلولا الشمس ما عرف الظل (ثُمَّ قَبَضْنَاهُ) أى الظل للمحدود (إِلَيْنَا قَبْضًا يَسِيرًا) خفياً بطولع الشمس (وَهُوَ الَّذِى جَعَلَ لَكُمُ اللَّيْلَ لِبَاسًا) ساتراً كاللباس (وَالنَّوْمَ سُبَاتًا) راحة للأبدان بقطع الأعمال (وَجَعَلَ النَّهَارَ نُشُورًا) منشوراً فيه لاجتناء الرزق وغيره (وَهُوَ الَّذِى أَرْسَلَ الرِّيحَ) وفى قراءة الريح (نُشْرًا يَبْنَ يَدَى رَحْمَتِهِ) أى مضركة قدام المطر وفى قراءة بسكون الشين تخفيفاً وفى أخرى بسكونها وفزع النون مصدراً وفى أخرى بسكونها وضم للوحدة بدل النون أى مبشرات ومفرد الأولى نشور كرسول والأخوية بشير (وَأَنْزَلْنَا مِنَ السَّمَاءِ مَاءً طَهُورًا) مطهراً (لِنُخْرِجَ بِهِ بَلَدَةً مَّيْمَنًا) بالتحفيف يسعوى فيه الذكر والمؤنث ذكره باعتبار المكان (وَنُتْقِيهِ) أى الماء (يَمَّا خَطَّطْنَا أُنْطَاكًا) إبلا وبقرا وغنما (وَأَقَامِيَ كَثِيرًا) جمع إنسان وأصله أناسن فأبدلت النون ياء وأدخمت فيها الميم أو جمع إنسى (وَلَقَدْ صَرَّفْنَاهُ) أى الماء (يَبْنَهُمْ لِيَذَّكَّرُوا) أصله يذكروا،

(قوله وأنزلنا من السماء) فيه التفات من الغيبة للكلام (قوله طهوراً) أى طاهراً فى نفسه مطهراً لغيره (قوله لهدى) أى أرضاً (قوله بالتحفيف) أى لاغير لأن الخفف لما ليس ذا روح غالباً ولما بالتحديد لما كانت فيه الروح. قال تعالى - إنك ميت وإنتهم ميتون - وقال بعضهم :

أيا سائلى تفسير ميت وميت فموتك قد فسرت ما هنه نسال

فما كان ذا روح فذلك ميت وما لبت إلا من إلى القبر يحمل

(قوله يسعوى فيه الذكر الخ) جواب عما يقال لم ذكر ميتاً مع أنه نعت لهدى وقوله ذكره الخ جواب ثان فكان المناسب أن يأتى بأو (قوله أنطاكيا) خصها بالذكر لأنها عزيزة عند أهلها لسكونها سبباً لحياتهم ومعاشهم (قوله جمع إنسان) هو الراجح، وقيل جمع إنسى وهو معترض بأن الياء فى إنسى للجنس وهو لا يجمع على فعلى كما قال ابن مالك : **•** واجعل فعلى لغير ذى نسب **•** (قوله وأصله أناسين) أى كسرحان وسراحين (قوله ولقد صرفناه) أى فرقناه فى البلاد المختلفة والأوقات المتغيرة على حسب ما قدر فى سابق علمه. روى عن ابن مسعود أنه قال : « ليس من سنة بأمطر من أخرى ولسكن الله عز وجل قسم هذه الأرزاق فجعلها فى السماء الدنيا فى هذا القطر ينزل منه كل سنة بكيلى معلوم، وإذا همل قوم بالمعاصى حوّل الله ذلك إلى غيرهم، وإذا عصوا جميعاً صرف الله ذلك المطر إلى الغياى والبحار » .

(قوله أدعيت التاء في الذال) أي بعد قلبها دالا فذالا (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أي نعمة الله به) أي فيقوموا بشكرها ليزدادوا خيرا (قوله جودا للنعمة) أي حيث أضافوها لتبر خالقها (قوله مطرنا بنوه كذا) التوء سقط نجم من النازل في المغرب وطلوع رقبته من الشرق في ساعته في عدة أيام معلومة لهم وكانت العرب خفيف الأمطار والرياح والحر والبرد إلى الساقط، وقيل إلى الطالع واعتقاد تأثير تلك الأشياء في الصنوعات كفر لأنه لا أثر لشيء في شيء بل المؤثر هو الله وحده وإعنا تلك الأشياء من جملة الأسباب العادية التي توجد الأشياء عندها لا بها ويمكن تخلفها كالإحراق للنار والرى للماء والشبع للأكل (قوله لبشنا في كل قرية) أي في زمناك (قوله ليعظم أجرك) أي قالبي صلى الله عليه وسلم له مثل أجر من آمن به من بعثته إلى يوم القيامة (قوله فلا تطع الكافرين) أي بل اصبر على أحكام ربك (قوله جهادا كبيرا) أي لأن مجاهدة السفهاء بالحجج أكبر من مجاهدة الأعداء بالسيف (قوله أرسلهما متجاورين) أي أجراما متلاصقين لا يمازجان ولا يبغي أحدهما على الآخر (قوله هذا عذب فرات) هذه الجملة يحتمل أن تكون مستأنفة جواب سؤال مقدر كأنه قيل كيف مرجعهما ويحتمل أن تكون حالية بتقدير القول أي مقولا فيهما هذا عذب الخ وصي للماء العذب فراتا لأنه يفرق العطش (١٥٢) أي يشقه ويقطعه (قوله شديد الملوحة) أي وقيل شديد الحرارة وقيل

شديد المראה وهذا من أحسن المقابلة حيث قال عذب فرات وملح أجاج (قوله حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر) أي فالماء العذب داخل في الملح وجار في خلاله ومع ذلك لا يتغير طعمه ولا يختلطان بل يبقى كل على ماهو عليه بسبب منع الله لكل منهما عن الآخر بحاجز معنوي لا يحس بل بمحض قدرته تعالى وهذا من أكبر الأدلة

أدعيت التاء في الذال وفي قراءة ليدذكروا بسكون الذال وضم الكاف أي نعمة الله به (قَابِي أَكْثَرُ النَّاسِ إِلَّا كُفُورًا) جودا للنعمة حيث قالوا مطرنا بنوه كذا (وَلَوْ شِئْنَا لَبِمَثْنًا فِي كُلِّ قَرْيَةٍ نَذِيرًا) يخوف أهلها ولكن بشناك إلى أهل القرى كلها نذيرا ليعظم أجرك (فَلَا تَطِيعُ الْكَافِرِينَ) في هوام (وَجَاهِدْهُمْ بِهِ) أي القرآن (جِهَادًا كَبِيرًا) وَهُوَ الَّذِي مَرَجَ الْبَحْرَيْنِ (أَرْسَلَهُمَا مُتَجَاوِرِينَ) هَذَا عَذْبٌ فُرَاتٌ (شديد المذوبة) (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَجَعَلَ بَيْنَهُمَا بَرْزَخًا) حاجزا لا يختلط أحدهما بالآخر (وَجِجْرًا مَحْجُورًا) أي سترًا ممنوعا به اختلاطهما (وَهُوَ الَّذِي خَلَقَ مِنَ الْمَاءِ بَشَرًا) من المني إنسانا (فَجَعَلَهُ نَسَبًا) ذا نسب (وَصِهْرًا) ذا صهر بأن يتزوج ذكرا كان أو أنثى طلبا للتناسل (وَكَانَ رَبُّكَ قَدِيرًا) قادرا على ما يشاء (وَيَعْبُدُونَ) أي الكفار (مِنْ دُونِ اللَّهِ مَا لَا يَنْفَعُهُمْ) بعبادته (وَلَا يَضُرُّهُمْ) بتركها وهو الأصنام (وَكَانَ الْكَافِرُ عَلَى رَبِّهِ ظَاهِرًا) معينا للشيطان بطاعته ،

(وما

على انفراد الله تعالى بالألوهية (قوله وحجرا محجورا) تقدم أن معناه

تعودنا تعودا وللراد هنا السر للمانع فشبّه البحران بطائفتين متعاديتين كل منهما تنصن من الأخرى وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشيء من لوازمه وهو قوله حجرا محجورا على طريق الاستمارة للكنية (قوله حجرا) أي خلقا كاملا مركبا من لحم وعظم وعصب وعروق ودم على شكل حسن . قال تعالى - لقد خلقنا الإنسان في أحسن تقويم - (قوله ذا نسب الخ) أي قسمه قسمين ذوى نسب أي ذكوراً ينسب إليهم وذوات صهر أي إناثا يصاهر بهن وآخر الصهر لأنه لا يحصل إلا بعد الكبر والنزوح (قوله ذا صهر) صهر الرجل أقارب زوجته وصهر المرأة أقارب زوجها (قوله وكان ربك قديرا) أي حيث خلق من مادة واحدة إنسانا ذا أعضاء مختلفة وطباع متباعدة وأخلاق متعددة وجملة قسمين متقابلين فمن كان قادرا على ذلك وأمثاله فهو حقيق بأن لا يعبد غيره (قوله ويعبدون من دون الله) شروع في ذكر قبائح الشركين مع ظهور تلك الأدلة (قوله ما لا ينفعهم ولا يضرهم) قدم النفع في بعض الآيات وأخره في بعضها تفننا (قوله وكان الكافر على ربه ظهيرا) أي يعاون الشيطان ويتابعه بالعداوة والشرك وآل في الكافر للجنس فالمراد كل كافر ، وقيل معنى ظهيرا مهينا لا يعصا به فعلى بمعنى عند ، والمعنى وكان الكافر عند ربه مهانا لا حرمة له مأخوذ من قولهم ظهرت به إذا نبذته خلف ظهره (قوله بطاعته) أي الشيطان والباء سببية والمعنى صار الكافر معينا للشيطان على معصية الله بسبب طاعته إياه والخروج عن طاعة الله .

(قوله وما أرسلناك إلا مبشرا ونذيرا) أي لم نرسلك في حال من الأحوال إلا في حال كونك مبشرا ونذيرا فمن آمن فقد تحقق بالبراءة ومن استمر على الكفر فله النذارة (قوله على تبليغ ما أرسلت به) أي المفهوم من قوله أرسلناك (قوله لكن من شاء الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لا أطلب من أموالكم جلا لنفسى لكن من شاء أن ينفق أمواله لوجه الله تعالى طلبا لمرضاه فليفعل (قوله في مرضاته تعالى) أي كالصدقة والنفقة في سبيل الله تعالى (قوله وتوكل على الحى الذى لا يموت) لما قدم أن الكافر يخرج عن طاعة ربه وعن طاعة رسوله وأمر الرسول أن لا يسأله أحد على تبليغه أمره بالاعتقاد عليه تعالى ليكفيه ضروره ويضيقه عن أجورهم فإنه الحقيق بأن يتوكل عليه دون الأحياء الذين يموتون فإنهم إذا ماتوا ضاع من توكل عليهم والتوكل هو وثوق القلب بالله تعالى في جميع الأمور من غير اعتداد على الأسباب وإن تعاطاها (قوله الذى لا يموت) صفة كاشفة لأن معنى الحى في حقه تعالى ذو الحياة الأبدية التى يستحيل عليها الموت والفناء ووصفه بالحياة بهذا المعنى مستلزم لانصافه بوجوب الوجود والقدم والبقاء وجميع الصفات الوجودية والسلبية (قوله وسبح) أى تزه عن كل نقص (قوله بحمده) الباء للابسة كما قال المفسر أى صغ بالكمالات (قوله أى قل سبحان الله والحمد لله) أى فذلك جمع التسبيح والتحميد لأن معنى سبحان الله تزيه الله عن كل نقص ومعنى الحمد لله كل كمال ثابت لله فهاتان الكلمتان من جوامع الكلم اتى أوتها رسول الله صلى الله عليه وسلم وهما من جملة الباقيات الصالحات وغراس الجنة التى بقيتها لا إله إلا الله والله أكبر وحكمة تأخير لا إله إلا الله عن هاتين الجملتين (١٥٣) ليكون النطق بها عن معرفة

ويقين فهى نتيجة ما قبلها والله أكبر نتيجة الثلاث قبلها لأنه إذا تزه عن النقص وانصف بالكمالات وثبت أنه لا إله غيره فقد انفرد بالكبرياء والعظمة وحكمة الاختصار هنا على التسبيح والتحميد لأنهما مستلزمان للجملتين بعدها (قوله وكفى به) الباء زائدة فى الفاعل

(وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا مُبَشِّرًا) بالجنة (وَنَذِيرًا) مخوفا من النار (قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) أى على تبليغ ما أرسلت به (مِنْ أَجْرٍ إِلَّا) لكن (مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَىٰ رَبِّهِ سَبِيلًا) طريقا باتفاق ماله فى مرضاته تعالى فلا أمتعه من ذلك (وَتَوَكَّلْ عَلَى الْحَيِّ الَّذِي لَا يَمُوتُ وَسَبِّحْ) متلبسا (بِحَمْدِهِ) أى قل سبحان الله والحمد لله (وَكُفَىٰ بِهِ يَذُنُوبَ عِبَادِهِ خَيْرًا) علما تعلق به بذنوب ، هو (الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) من أيام الدنيا أى فى قدرها لأنه لم يكن ثم شمس ولو ناء خلقهن فى لحة والمدول عنه لتعلم خاتمه الثبوت (ثُمَّ اسْتَوَىٰ عَلَى الْعَرْشِ) هو فى اللغة سرير الملك (الرَّحْمَنُ) بدل من ضمير استوى أى استواء يليق به ،

(قوله علما) أى بالذنوب والطائع (قوله تعلق به) أى بخير (قوله بذنوب) أى لفظ بذنوب وقدم لرعاية الفاصلة ، والمعنى أن الله قادر على مجازاة الخلق فى كل وقت فلا ينظر الإنسان لصيوب الناس ولا طاعتهم بل عليه بنفسه ويخوض أمرهم إليه (قوله هو الذى) أشار بذلك إلى أن الوصول خبر المحذوف وهذه الجملة سبقت تحريضا للتوكل عليه تعالى فإن من كان قادرا على ذلك فهو حقيق بالتوكل عليه (قوله فى ستة أيام) أى فالأرض فى يومين والأشياء وما عليها فى يومين الثلاثة والأرض وبهاء السموات فى يومين الخميس والجمعة وفرغ من آخر ساعة من يوم الجمعة (قوله أى فى قدرها) دفع بذلك ما يقال إن الأيام لم تكن موجودة إذ ذاك (قوله والمدول عنه) أى عن الخلق فى لحة (قوله الثبوت) أى التأتى والتؤدة فى الأمور وعدم العجلة فيها لما ورد « إِنَّ الْعَجَلَةَ مِنَ الشَّيْطَانِ » واستثنى العلماء من ذلك مسائل : إفراء الضيف وتزويج البكر وتجهيز الميت والصلاة فى أول وقتها وقضاء الدين وتعجيل الآوبة للسافر بعد قضاء حاجته والتوبة من الذنب (قوله هو فى اللغة سرير الملك) أى ومنه قوله تعالى - أَيْكُم بِأَتَيْنِي بِعَرْشِي - والراد هو جسم عظيم محيط بالعالم فوق السموات السبع (قوله بدل من ضمير استوى) ويصح أن يكون خبرا المحذوف أو خبر الذى خلق (قوله أى استواء يليق به) هذا إشارة لمذهب السلف وهم من كانوا قبل الحسمانة ومذهب الخائف تفسير الاستواء بالاستقياء عليه والتصرف فيه وهو أحد معنى الاستواء واستدلوا بذلك بقول الشاعر : قد استوى جسر على العراق من غير سيف ودم مهران

تعالى استوى على العرش بوصف الرحمة فوسع العاطلين ،

وكان سق الجنة لأبوصف الجلال وإلا لادب ولم يبق له أثر (قوله فسئل به خيرا) به متعلق بخيرا قدم لرعاية الفاصلة . والمعنى لسأل يا محمد خيرا بصفاته تعالى وليس خيرا بصفاته إلا هو سبحانه وتعالى . ويصح أن يكون الجار والمجرور متعلقا بأسأل والباء بمعنى عن . والمعنى أسأل عنه خيرا أى علما بصفاته يطالعك على ما خفى عليك والخير يختلف باختلاف السائل ، فإن كان السائل النبي عليه الصلاة والسلام فالخير هو الله ، وإن كان السائل أصحابه فالخير النبي ، وإن كان السائل التابعين فالخير الصحابة عن النبي عن الله وهكذا قال الأمر إلى أن الشايع العارفين يخيدون الطالب عن الله ، وفيه دليل على وجوب معرفة التوحيد (قوله وإذا قيل لهم) أى لكفار مكة (قوله قالوا وما الرحمن) أى ظنا منهم أن للراد به غيره تعالى لأنهم كانوا يطلقون الرحمن على مسيلة الكذاب (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله والأمر محمد) أى على كل من القراءتين (قوله ولا نعرفه) راجع لقوله لما تأمرنا فكان المناسب ذكره بلفظه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله تعظم) أى افرد بالعظمة لأن من كانت هذه أوصافه فهو منفرد بالكبرياء والعظمة وتقدم أن لفظة تبارك من الصفات الجامعة تفسر في كل مقام بما يناسبه (قوله بروج) جمع برج وهو فى الأصل القصر العالى مبيت هذه النازل بروجاً لأنها للكواكب السبعة السيارة كالنزل الرفيعة (١٥٤) التى هى كالقصور لسكانها فالمراد بالبروج الطرق والمنازل للكواكب السيارة

(قوله الحمل) أى ويسمى بالكبش (قوله والأسد) أى ويسمى بالليث أيضا وقوله والمثلوى يسمى الدالى أيضا (قوله المريج) بكسر الليم (قوله وله) أى من البروج المذكورة . والحاصل أن خمسة من الكواكب السبعة أخفت هجرة بروج كل واحد اثنين واثنان من السبعة وهما الشمس والقمر كل واحد منهما أخذ واحدا من البروج وتقدم

(فَسُئِلَ) أيها الإنسان (بِ) بالرحمن (خَيْرًا) يخبرك بصفاته (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ) لكفار مكة (اسْجُدُوا لِلرَّحْمَنِ قَالُوا وَمَا الرَّحْمَنُ أَنْسَاجُ لِمَا تَأْمُرُنَا) بالفوقانية والتحتانية والأمر محمد ولا نعرفه ؟ لا (وَزَادَهُمْ) هذا القول لهم (تَبُورًا) عن الإيمان ، قال تعالى (تَبَارَكَ) تعظم (الَّذِي جَعَلَ فِي السَّمَاءِ بُرُوجًا) اثني عشر : الحمل والثور والجوزاء والسرطان والأسد والسنبلة والميزان والقرب والقوس والجدى والدلو والحوت ، وهى منازل الكواكب السبعة السيارة ، المريج وله الحمل والقرب ، والزهرة ولها الثور والميزان ، وعطارد وله الجوزاء والسنبلة ، والقمر وله السرطان ، والشمس ولها الأسد ، وللشترى وله القوس والحوت ، وزحل وله الجدى والدلو (وَجَعَلَ فِيهَا) أيضا (مِرَاجًا) هو الشمس (وَقَرَأَ مُنِيرًا) وفى قراءة مرجا بالجمع أى نيرات وخص القمر منها بالذكر لنوع فضيلة . (وَهُوَ الَّذِي جَعَلَ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ خِلْفَةً) أى يخلف كل منهما الآخر (لِيَنْ أَرَادَ أَنْ يَذْكَرَ) بالتشديد والتخفيف كما تقدم ،

فى سورة الحجر نظم الكواكب والبروج وتقدم أن

زحل نجم فى السماء السابعة والشترى فى السادسة والمريج فى الخامسة والشمس فى الرابعة والزهرة فى الثالثة وعطارد فى الثانية والقمر فى الأولى وتخصيص الشمس بالأسد لكونه بينها النسوب لها فلا ينافى سيرها فى البروج كلها وكذا غيرها من بواقى الكواكب السبعة وذلك لأن البروج أصلها فى سماء الدنيا وتمتد للسماء السابعة ، فالبروج كلها طرق للكواكب السبعة كلها (قوله والزهرة) بفتح الهاء (قوله وعطارد) بضم العين ممنوع من الصرف لصيغة منتهى الجموع (قوله وزحل) ممنوع من الصرف للعلمية والعديل كعمر وقد جعل الله تعالى بهذه الكواكب النفع فى العالم السفلى كالأكل والشرب يوجد النفع عندها لأهلها فهى من جملة الأسباب العادية فمن اعتقد تأثيرها بطبعها فقد كفر ، أو بقوة جعلها الله فيها فقد فسق (قوله وجعل فيها) أى السماء (قوله أى نيرات) صفة لموصوف محذوف أى كواكب نيرات ودخل فيها القمر فذلك قال وخص القمر المريج (قوله لنوع فضيلة) أى لأن مواقيت العبادة تنهى على الشهوات القمرية قال تعالى : يسألونك عن الأهلة قل هى مواقيت للناس والحج (قوله أى يخلف كل منهما الآخر) أى بأن يقوم مقامه فكل واحد من الليل والنهار يخلف صاحبه (قوله بالتشديد) أى فاصله يذكّر قلبك التاء دالا ثم ذالا وأدغمت فى الدال (قوله والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كما تقدم) أى فى قوله : وقد صرفناه عنهم ليدكروا .

(قوله ما فاتته في أحدهما من خير الخ) أى فمن فاتته نهي من الخير بالليل أدركه بالتهار ومن فاتته بالتهار أدركه بالليل من فرائض وسنن وغيرها (قوله أو أراد شكورا) أو مانعة خلوة تجوز الجمع (قوله وعباد الرحمن الخ) لما ذكر أحوال المنافقين والكفار وما آل إليه أمرهم ذكر هنا أوصاف المؤمنين الكاملين ووصفهم بأوصاف ثمانية بها تنال المراتب العالية وإضافتهم إليه تعالى للتحريف وإلا فكل المخلوقات عباد الله أو يقال إضافتهم له من حيث كونه رحمانا لكونهم مظهر الرحمة واستخفافهم بهم في الآخرة (قوله وما بعده) أى من الموصولات الثمانية التي أولها قوله الدين يشون وآخرها قوله والذين يقولون ربنا هب لنا (قوله إلى أولئك) أى وهو الخبر كما سيذكره هناك (قوله غير المعترض فيه) أى وهو قوله ومن يفعل ذلك يلق أثاما إلى قوله متابا وهو ثلاث آيات . وحاصل ما ذكره من الأوصاف أن بعضها متعلق بالخلق وبعضها متعلق بالخالق (قوله هونا) هو مصدر هان كقال (قوله أى بسكنية) أى تؤدة وتأن (قوله الجاهلون) أى السفهاء (قوله قالوا سلاما) أى مع القدرة على الانتقام فالمراد الاغضاء عن السفهاء وترك مقابلتهم في الكلام وهذا الخلق من أعظم الأخلاق لما في الحديث « كاد الحليم أن يكون نبيا » وفي الحديث « يبلغ الحليم بحلمه ما لا يبلغه الصائم القائم » الآثار ٤ (١٥٥) في ذلك كثيرة (قوله والذين

يبيتون) شروع في ذكر معاماتهم للخلق إثر معاماتهم للخالق وخص البيوتة بالذكر لأن العبادة بالليل أبعد عن الرياء وفي الحديث لازال جبريل يوصي بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون ، وآخر القيام مراعاة للفواصل (قوله أى يصلون بالليل) هذا صادق بصلاة العشاء والصبح في جماعة ولكن كلما كثرت الصلاة بالليل كان خيرا (قوله والذين يقولون الخ) أى فهم

ما فاتته في أحدهما من خير فيفعله في الآخر (أو أراد شكورا) أى شكرا لنعمة ربه عليه فيها (وَعِبَادُ الرَّحْمَنِ) مبتدأ وما بعده صفات له إلى أولئك يجزون غير المعترض فيه (الَّذِينَ يَمْشُونَ عَلَى الْأَرْضِ هَوْنًا) أى بسكنية وتواضع (وَإِذَا خَاطَبَهُمُ الْجَاهِلُونَ) بما يكرهونه (قَالُوا سَلَامًا) أى قولوا يصلون فيه من الإثم (وَالَّذِينَ يَبِيتُونَ لِرَبِّهِمْ سُجَّدًا) جمع ساجد (وَقِيَامًا) بمعنى قائمين أى يصلون بالليل (وَالَّذِينَ يَقُولُونَ رَبَّنَا اصْرِفْ عَنَّا عَذَابَ جَهَنَّمَ إِنَّ عَذَابَهَا كَانَ غَرَامًا) أى لازما (إِنَّهَا سَاءَتْ مُسْتَقَرًّا وَمُقَامًا) هى أى موضع استقرار وإقامة (وَالَّذِينَ إِذَا أَتَقَوْا) على عيالهم (لَمْ يَسْرَفُوا وَلَمْ يَقْتُرُوا) بفتح أوله وضه أى يضيقوا (وَكَانَ) إتفاقهم (بَيْنَ ذَلِكَ) الاسراف والإقتار (قَوَامًا) وسطا (وَالَّذِينَ لَا يَدْعُونَ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ وَلَا يَقْتُلُونَ النَّفْسَ الَّتِي حَرَّمَ اللَّهُ) قتلها (إِلَّا بِالْحَقِّ وَلَا يَزْنُونَ وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ) أى واحدا من الثلاثة (يَلْقَ أَثَامًا) أى عقوبة (يُضَاعَفْ) وفي قراءة يضاعف بالتشديد (لَهُ الْعَذَابُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَيَخْلُدْ فِيهِ) مجزوم الفاعلين ،

مع حسن المعاملة للخلق وللخلق ليس عندهم غرور ولا أمن من مكر الله بل هم خائفون من عذابه وجالون من هيئته (قوله إن عذابها الخ) تعليل لقولهم ربنا اصرف عنا عذاب جهنم (قوله كان غراما) أى فى علمه تعالى (قوله أى لازما) أى لزوما كليا فى حق الكفار ولزوما بعده خروج فى حق عصاة المؤمنين (قوله إنها ساءت) الفاعل ضمير مستقر يفسر به التمييز للذكور والخصوص بالذم محذوف قدره بقوله هى (قوله مستقرا ومقاما) هما بمعنى واحد وهو الذى يشير إليه للفسر وقيل مستقرا لعصاة المؤمنين ومقاما للكافرين (قوله بفتح أوله) أى مع كسر التاء وضما من باب ضرب وفصر وقوله وضه أى مع كسر التاء لاغير فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله أى يضيقوا) أى على عيالهم مع يسارهم (قوله وكان بين ذلك قواما) هو بمعنى قوله تعالى : ولا تجعل يدك مغلولة إلى عنقك ولا تبسطها كل البسط الآية (قوله والذين لا يدعون مع الله الخ) شروع فى بيان اجتنابهم للعاصى إثر بيان إتيانهم الطاعات (قوله إلا بالحق) أى لا يقتلون النفس المحرمة بسبب من الأسباب إلا بسبب الحق بأن تكون مستحقة للقتل كالمتردد والزانى المحسن والقاتل (قوله أى واحدا من الثلاثة) فى بعض النسخ أى ماذكر وهو المناسب لقوله يضاعف لأن المشرک إذا ارتكب العاصى مع الشرك تضاعف له العقوبة (قوله وفى قراءة يضاعف) أى فهما قراءتان سبعيتان وكل منهما مع جزم الفعل فافترقا آت لم يجمع سبعيات .

(قوله بدلا) أى من يلقى بذلك اشتغال (قوله مهانا) أى ذليلا خفيرا (قوله إلا من تاب) استثناء متصل من الضمير في يلقى (قوله فأولئك) اسم الإشارة راجع لقوله من تاب (قوله يبذل الله سيئاتهم) أى يحوو ما سبق منهم من المعاصي بسبب التوبة ويثبت مكانها الطاعات أو يثبتها. وفي القرطبي ولا يبعد في كلام الله تعالى إذا صحت توبة العبد أن يضع مكان كل سيئة حسنة (قوله ومن تاب) أى عن المعاصي بتركها والتندم عليها (قوله وعمل صالحا) أى فعل الطاعات ولو بالنية كمن لجأ للوث عقب التوبة (قوله فيجازيه خيرا) دفع بذلك ما يتوهم من اتحاد الشرط والجزاء كأنه قال: من تاب وعمل صالحا فإنه يرجع إلى جزاء الله في الآخرة الجزاء الحسن (قوله والذين لا يشهدون الزور) أى لا يحضرونه أو لا يشهدون به (قوله وإذا مروا باللغو) أى من غير قصد منهم له (قوله وغيره) أى وهو الفعل القبيح (قوله مروا كراما) أى مكرمين أنفسهم بالنفس عن الفواحش (قوله بل خروا سامعين الخ) أشار بذلك إلى أن النفي مسلط على القيد فقط وهو قوله صامعا ومهيئا، واللغز إذا قرئ عليهم القرآن ذكروا آخرتهم ومعلوم ولم يتفادوا حتى يكفوا بمنزلة من لا يسمع ولا يبصر (قوله من أزواجنا) من البيان (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله) (١٥٦) قرأة أعين) أى ما يحصل به ضرورها (قوله وأجعلنا للتقين إماما)

بدلا وبرضهما استثناء (مهانا) حال (إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا) منهم (فأولئك يبذل الله سيئاتهم) للذكورة (حسنات) في الآخرة (وكان الله غفورا رحيمًا) أى لم يزل متصفا بذلك (ومن تاب) من ذنوبه غير من ذكر (وعمل صالحا فإنه يتوب إلى الله متابا) أى يرجع إليه رجوعا فيجازيه خيرا (والذين لا يشهدون الزور) أى الكذب والباطل (وإذا مروا باللغو) من الكلام القبيح وغيره (مروا كراما) معرضين عنه (والذين إذا ذكروا) وعظوا (بآيات ربهم) أى القرآن (لم يحزوا) يسقطوا (عليها صما ومعيانا) بل خروا سامعين ناظرين منتفعين (والذين يقولون ربنا هب لنا من أزواجنا وذرياتنا بالجمع والافراد) (قرأة أعين) لنا بأن نراهم مطيعين لك (وأجعلنا للتقين إماما) في الخير (أولئك يجزون الغرفة) الدرجة العليا في الجنة (بما صبروا) على طاعة الله (ويلقون) بالتشديد والتخفيف مع فتح الياء (فيها) في الغرفة (نحية وسلاما) من الملائكة (خالدین فيها حسنات مستقرًا ومقامًا) موضع إقامة لهم ، وأولئك وما بعده خبر عباد الرحمن المبتدأ (قل) يا محمد لأهل مكة (ما) نافية (يتوبوا) يكثر (بكم ربى لولا دعاؤكم) إياه في الشدائد فيكشفها (فقد) أى فكيف يسألكم وقد (كذبتم) الرسول والقرآن ،

أى اجعلنا هداة يقتدى بنا في مواسم الخيرات والطاعات بأن نفسى بواطننا من غيرك حتى يسكن حالنا سببا في هداية الخلق ولذا قيل : حال رجل في ألف رجل أفع من وهظ ألف رجل في رجل ولفظ إمام يستوى فيه الجمع وغيره فالطابقة حاصلة (قوله أولئك) اسم الإشارة عائد على المتصفين بالأوصاف الثمانية (قوله الغرفة) اسم جنس أريد به الجمع والغرفة أعلى منازل الجنة وأفضلها كما أن الغرفة أعلاما مسكن

(فسوف)

الدنيا (قوله بالتشديد) أى ومعناه يعطون والفاعل الله وقوله والتخفيف

أى لغناه يجدون والقراءتان سبعيتان (قوله نحية وسلاما) جمع بينهما لأن المراد بالنحية الإكرام بالهدايا والتحف والسلامة تعالى عليهم بالقول أو سلام الملائكة أو سلام بعضهم على بعض (قوله للملائكة) أى أو من الله أو من بعضهم لبعض ، والمعنى تحييم الملائكة ويدعون لهم بطول الحياة والسلامة من الآفات فتحصل أن قوله نحية وسلاما قيل هما بمعنى واحد وجمع بينهما لاختلاف لفظهما وقيل متخالفان ، فالتحية الإكرام بالهدايا والتحف ، والسلام الدعاء إما من الملائكة أو من الله أو من بعضهم لبعض (قوله خالدین فيها) أى لا يموتون ولا يخرجون (قوله وأولئك) أى الواقع مبتدأ وقوله وما بعده : أى قوله يجزون الواقع خبره (قوله بل ما يعايبكم ربى الخ) لما ذكر أوصاف المؤمنين الكاملين أفاد أن للدار على تلك الأوصاف التى بها العادة لله ، فلولا العبادة الواقعة من الخلق لم يكثر بهم ولم يعتد بهم عنده فان الانسان خلق ليعرف ربه ويعبده وإلا فهو شبيه بالبهائم قال تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - ففى العبادة يقفاس التنافسون وبها يفوز الفائزون (قوله لولا دعاؤكم إياه) أشار بذلك إلى أن الصدر مضاف لقامه

(قوله فسوف يكون العذاب) أى الذى دل عليه قوله فقد كذبتم (قوله لزاما) مصدر لازم كقاتل قتالا والراد هنا اسم الفاعل وفي الآية تهديد لكفار مكة (قوله فقتل منهم يوم بدر سبعون الخ) روى الشيخان عن عبد الله بن مسعود قال : خمس قد مضين الدخان والزام والروم والبطشة والقمر وقوله خمس أى خمس علامات دالة على قيام الساعة قد وقعن بالفعل فاللهان هو قوله تعالى - يوم تآتى السماء دخانا وبين السماء دحانا ، والقمر فى قوله تعالى - اقتربت الساعة واشقق القمر - والروم فى قوله تعالى - غلبت الروم فى أدنى يئنه وبين السماء دحانا ، والقمر فى قوله تعالى - يوم نبطش البطشة الكبرى - وهى القتل يوم بدر والزام هو الأسرى يومها (قوله دل على ما قبلها) أى وهو قوله قل ما يعيا بكم ربى والتقدير لولا دعاؤكم : أى طلبكم من الله رفع الشدائد وأتم تتعلقون بأستار الكعبة ما يعيا بكم أى ما يكثر بكم فلا يرفها عنكم وقوله فقد كذبتم أى دتم على تكذيبه بعد إخراجها من بينكم فسوف يكون العذاب لازما لكم لا يرد عنكم ولا يقبل منكم دعاء قدبر .

[سورة الشعراء] أى السورة التى ذكر فيها الشعراء سميت باسم بعضها على عادته تعالى ، وقد ورد فى فضل الطواشين أحاديث منها ما روى عنه صلى الله عليه وسلم أنه قال «إن الله أعطانى السبع الطوال (١٥٧) مكان التوراة وأعطانى المص

مكان الانجيل وأعطانى الطواشين مكان الزبور وفضلنى بالخواميم والمفصل ما قرأهن نبى قبلى» (قوله) إلا والشعراء إلى آخرها) أى وجملة أربع آيات (قوله طسم) هكذا كتبت متصلة بعضها ببعض وفى مصحف ابن مسعود ط س م مفصلة من بعضها وبها قرئ فىقف على كل حرف وقفة يميز بها كل حرف وقرئ هنا وفى القصص بكسر اللام على البناء وأما

(فَسَوْفَ يَكُونُ) العذاب (لِزَامًا) ملازما لكم فى الآخرة بعد ما يحل بكم فى الدنيا قتل منهم يوم بدر سبعون ، وجواب لولا دل عليه ما قبلها .

(سورة الشعراء)

مكية إلا : والشعراء إلى آخرها فمدنى ، وهى مائتان وسبع وعشرون آية

(يٰمَنْعُ اللَّهِ الرَّخَمَنِ الرَّحِيمِ . طسّم) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أى هذه الآيات (آياتُ الْكِتَابِ) القرآن ، والاضافة بمعنى من (الْمُبِينِ) الظاهر الحق من الباطل (لَمَلَكٌ) ياحمد (بَاخِعٌ نَفْسَكَ) قاتلها غما من أجل (أَنْ) (لَا يَكُونُوا) أى أهل مكة (مُؤْمِنِينَ) ولعل هنا للاشفاق : أى أشق عليها بتخفيف هذا الغم (إِنْ نَشَأْ نُنْزِلْ عَلَيْهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ) بمعنى المضارع : أى تظل أى تدوم (أَعْنَاقَهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ) فيؤمنون ، ولما وصفت الأعناق بالخضوع الذى هو لأربابها جمعت الصفة منه جمع العقلاء (وَمَا يَأْتِيهِمْ

الطاء بعض القراء (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أصح وأسلم (قوله تلك) مبتدأ وآيات الكتاب خبره واسم الإشارة عائد على آيات هذه السورة (قوله والاضافة بمعنى من) أى والمعنى آيات من الكتاب (قوله الظاهر الحق من الباطل) أشار بذلك إلى أن المبين من أبان بمعنى أظهر ويصح أن يكون من بان اللازم بمعنى ظهر أى الظاهر إيجازه (قوله لملك باخع نفسك) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم والباخع من نجح من باب نفع قتل نفسه من وجد أو غيظ (قوله ولعل هنا للاشفاق) أى ولترجى بمعنى الأمر والمعنى ارحم نفسك وارأف بها (قوله أى أشق عليها) بقطع الهمزة من الرباعى وبوصلها من الثلاثى والأول إن تعدى بمن كان بمعنى الخوف وإن تعدى بلى كان بمعنى الرحمة والرفق (قوله إن نشأ نزل عليهم الخ) هذا تسلية لرسول الله صلى الله عليه وسلم ببيان حقيقة أمرهم ، والمعنى لا تحزن على عدم إيمانهم فاتنا لو شئنا إيمانهم لأنزلنا عليهم معجزة تأخذ بقلوبهم فيؤمنون فها عليهم ولكن سبق فى علمنا شقاؤهم فعدم إيمانهم منا لا منهم فأرح نفسك من التيب القائم بها ، إن حرف شرط ونشأ فعل الشرط ونزل جوابه (قوله آية) أى معجزة تخوفهم كرفع الجبل فوق رؤوسهم كاقوع لبنى إسرائيل (قوله بمعنى المضارع) أشار بذلك إلى أن قوله فظلت مستأنف ويصح أن يكون معطوفا على نزل فهو فى محل جزم (قوله ولما وصفت الأعناق بالخضوع الخ) دفع بذلك ما يقال كيف جمع الأعناق بجمع العقلاء ؟ فأجاب بأنه لما نسب بالخضوع لما هو وصف العقلاء جميعها بالياء ، النون

كقوله تعالى - رأيهم لى ساجدين - قالتا أيننا طامتين - وإلا فكان مقتضى الظاهر أن يقول حاضنة وهناك أجوبة أخر : منها أن المراد بالأعناق الرؤساء ، ومنها أن لفظ الأعناق متعمم والأصل فظلوا لها خاضعين ، ومنها غير ذلك (قوله من زائدة وقوله من الرحمن من ابتدائية (قوله صفة كاشفة) أى لأنه فهم من قوله يأتيهم لأن التعبير بالفعل بهيد التجدد والحدوث (قوله إلا كانوا عنه معرضين) أى غير متأملين له (قوله عواقب) أى وعبر عنها بالأنباء لأن القرآن أخبر عنها والمراد نزل بهم مثل ما نزل بمن قبلهم (قوله أو لم يروا إلى الأرض) أى إلى عجائبها والهمزة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم ينظروا إلى الأرض الخ وهذا بيان للأدلة التى تحدث فى الأرض وقتا بعد وقت تدل على أنه منفرد بالألوهية ومع ذلك استمر أكثرهم على الكفر (قوله كم أنبتنا فيها) كم فى محل نصب مفعول لأنبتنا ومن كل زوج تمييز لها (قوله نوع حسن) أى كثير النفع (قوله إن فى ذلك لآية الخ) قد ذكرت هذه الآية فى هذه السورة ثمان مرات (قوله فى علم الله) هذا مبني على أصالة كان وقوله وكان قال سيبويه الخ توجيه ثان فكان المناسب أن يقول وقال سيبويه كان زائدة (قوله ذوالعزة) أى الهيبة والجلال (قوله ينتقم من الكافرين) أى بظهر عزته الذى هو القهر والغلبة وقوله يرحم المؤمنين أى بظهر رحمته (قوله وإذ نادى ربك موسى الخ) ذكر الله سبحانه وتعالى فى هذه السورة سبع قصص : أولها قصة موسى وهرون . ثانيها قصة إبراهيم . ثالثها قصة نوح . رابعها قصة هود . خامسها قصة صالح . (١٥٨) سادسها قصة لوط . سابعها قصة شعيب ، وتقدم حكمة ذكر تلك القصص

من ذكر قرآن (من الرحمن محدث) صفة كاشفة (إلا كانوا عنه معرضين . فقد كذبوا) به (فسيأتينهم أنباء) عواقب (ما كانوا به يستهزون . أو لم يروا) ينظروا (إلى الأرض كم أنبتنا فيها) أى كثيرا (من كل زوج كريم) نوع حسن (إن فى ذلك لآية) دلالة على كمال قدرته تعالى (وما كان أكثرهم مؤمنين) فى علم الله وكان قال سيبويه زائدة (وإن ربك هو العزيز) ذوالعزة ينتقم من الكافرين (الرحيم) يرحم المؤمنين (و) إذ ذكر يا محمد لقومك (إذ نادى ربك موسى) ليلة رأى النار والشجرة (أن) أى بأن (أنت القوم الظالمين) رسولا (قوم فرعون) معه ظلموا أنفسهم بالكفر بالله وببنى إسرائيل باستعبادهم (ألا) الهمزة للاستفهام الإنكارى (يتقون) الله بطاعته فيوحدونه (قال) موسى (رب إني أخاف أن يكذبون . ويضيق صدري) من تكذيبهم لى (ولا ينطق لسانى) بأداء الرسالة ،

أن بها تكون الحجة على الكافرين والزيادة فى علم المؤمنين ولذا كان المؤمن من هذه الأمة أسعد السعداء وكافرها أشقى الأشقياء وحكمة التكرار الزيادة فى إيمان المؤمن وقطع حجة الكافر والظرف معمول لمحذوف قدره المفسر بقوله اذكر وليس المراد به ذكر وقت الندادة بل المراد ذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت

للعقدة

(قوله ليلة رأى النار والشجرة) أى رأى النار موقدة

فى الشجرة الحضرء وليس هذا مبدءا ما وقع فى الندادة وإنما هو مافصل فى سورة طه من قوله تعالى - إذ رأى نارا فقال لأهله امكثوا إني آنست نارا ، إلى قوله : لنريك من آياتنا الكبرى - (قوله أنت القوم الظالمين) يصح أن تكون أن مصدرية كما مشى عليه المفسر أو مفسرة لثقلها جملة فيها معنى القول دون حروفه وكان النداء بكلام نفسه سمعه من جميع جهاته بجميع أجزائه من غير واسطة (قوله رسولا) حال من فاعل أنت (قوله قوم فرعون) بدل من القوم الظالمين وقوله معه أى فرعون وهذا قد فهم بالأولى لأنه رأس الضلال (قوله وبنى إسرائيل) معطوف على أنفسهم والتقدير وظلموا بنى إسرائيل (قوله باستعبادهم) أى معاملتهم بإيهم معاملة العبيد فى استخدامهم فى الأعمال الشاقة والصنائع الحسيسة نحو أر بعمائة سنة ، وكانوا فى ذلك الوقت ستمائة ألف وثلاثين (قوله للاستفهام الإنكارى) المناسب أن يقول للاستفهام التعجيبى لأن المعنى على الإنكار فاسد لأنه للنفى ومدخولها نفى ونفى النفى إثبات ، فيصير المعنى أنهم اتقوا الله وليس كذلك ، ويصح أن تكون ألا للعرض (قوله قال رب إني أخاف الخ) اعتذره من موسى لظهور العجز عن الأمر الذى كلفه وقد أتى بثلاثة أعذار كل واحد منها مرتب على ما قبله (قوله ويضيق صدري ولا ينطق لسانى) ما بالرفع على الاستئناف أو عطف على خبر إن عند السبع وقرئ شذوذا بنصبهما عطفا على مدخول إن والتصور من هذا الاعتذار الاعانة على هذا الأمر المهم بشرح الصدر وطلق اللسان وإرسال أخيه والأمن من القتل وقد دل

على ذلك قوله في سورة طه رب اشرح لي صدري ويسر لي أمري واحلل عقدة من لساني الآيات (قوله للعقدة التي فيه) أي الثقل الحاصل بسبب وضع الحجر عليه وهو صخر حين تنف لحية فرعون فافتم لذلك وم بقتله فأشارت عليه زوجته أن يمتحنه فقدم له تمر وجرة فأخذ الحجر بتحويل جبريل يده فوضعا على لسانه فحصل فيه قتل في النطق (قوله فأرسل إلى هرون) أي وكان في مصر فأتاه جبريل بالرسالة على حين غفلة فومى جأته الرسالة من ربه بلا واسطة جبريل وإن كان خشعا وهيون جأته الرسالة في ذلك الوقت أيضا بواسطة جبريل (قوله موى) أي ليكون معينا لي وهو بمعنى قوله في سورة القصص فأرسله موى ردا يصدقني (قوله ولهم على ذنب) أي في زعمهم (قوله فأخاف أن يقتلون) أي فيفوت القصد من الارسال (قوله فيه تغليب الحاضر على الغائب) أي بالنسبة لموسى وإلا فهما حاضران بالنسبة لله تعالى لكن مع موسى الخطاب من الله بلا واسطة وهيون صحبه بواسطة جبريل (قوله بآياتنا) جمع الآيات مع أنهما اثنتان العصا واليد باعتبار ما اشتملت العصا عليه من الآيات (قوله إنا معكم) أي معية خاصة بالعون والنصر (قوله أجريا مجرى الجماعة) أي تعظيما لهما (قوله أي كلامنا) قدر ذلك لتحصل المطابقة بين اسم إن وخبرها الذي هو الرسول حيث أفرد (قوله أن) (١٥٩) أرسل معنا بنى إسرائيل) أي خلصهم وأطلقهم (قوله فأتينا الخ) أشار بذلك إلى أن قوله

قال ألم نربك الخ مرتب على محذوف روى أنهما لما انطلقا إلى فرعون لم يؤذن لهما سنة في النحول عليه فدخل البواب على فرعون وقال له ههنا إنسان يزعم أنه رسول رب العالمين فقال له فرعون أئذن له لعلنا نصحك معه فدخل عليه فوجداه قد أخرج سباعا من أسد وغور وفهود يتفرج عليها يخاف خدامها أن تبطش بموسى وهرون

للعقدة التي فيه (فَأَرْسِلْ إِلَى) أَخِي (هَرُونَ) موى (وَلَهُمْ عَلَى ذَنْبٍ) بقتل القبطى منهم (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به (قَالَ) تعالى (كَلَّا) أى لا يقتلونك (فَاذْهَبَا) أى أنت وأخوك ، فيه تغليب الحاضر على الغائب (بِآيَاتِنَا إِنَّا مَعَكُمْ مُسْتَمِعُونَ) ما تقولون وما يقال لكم أجريا مجرى الجماعة (فَأْتِيَا فِرْعَوْنَ فَقُولَا إِنَّا) أى كلا منا (رَسُولُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) إليك (أَنْ) أى بأن (أُزِيلَ مَعَنَا) إلى الشام (بَنِي إِسْرَائِيلَ) فأتياه فقالا له ما ذكر (قَالَ) فرعون لموسى (أَلَمْ نَرْبُكَ فِينَا) فى منازلنا (وَلِيدَا) صغيرا قريبا من الولادة بعد قطامه (وَكَلَيْتَ فِينَا مِنْ مُهْرَكِ سِنِينَ) ثلاثين سنة يلبس من ملابس فرعون ويركب من براكبه وكان يسمى ابنه (وَفَعَلْتَ فَعَلْتَكِ الْآتَى فَعَلْتَ) هى قتله القبطى (وَأَنْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ) الجاحدين لنعمتى عليك بالترية وعدم الاستعداد (قَالَ) موسى (فَعَلْتُهَا إِذَا) أى حينئذ (وَأَنَا مِنَ الضَّالِّينَ) عما آتانى الله بعدها من العلم والرسالة (فَقَرَرْتُ مِنْكُمْ لَمَّا خِفْتُكُمْ فَوَهَبَ لِي رَبِّ حُكْمًا) علما (وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُرْسَلِينَ) . وَتِلْكَ نِعْمَةٌ تَمُنُّهَا عَلَى) أصله تمن بها على (أَنْ عِبَدْتَ بَنِي إِسْرَائِيلَ) بيان لتلك أى اتخذتهم عبدا

فأسرعوا إليهما وأسرت السباع إلى موسى وهرون فأقبلت تلحس أقدامهما وتناصق خدودها بفخذيهما فعجب فرعون من ذلك فقال ما أتيا قالا إنا رسول رب العالمين فعرف موسى لأنه نشأ في بيته فقال ألم نربك فينا وليدا الخ فامتن عليه أولا بنعمة الترية . وثانيا بعدم مؤاخذته بما وقع منه من قتل القبطى (قوله قريبا من الولادة) قصده بذلك دفع ماورد على الآية بأن الوليد يطلق على الولود حال ولادته وليس مرادا هنا فانه كان زمن الرضاع عنده ثم أخذه فرعون بعد الغطام والأولى إبقاء الآية على ظاهرها لأن موسى وإن كان عند أمه إلا أنه تحت نظر فرعون فهو في تربيته من حين ولادته (قوله من مهورك) حال من سنين لأنه نعت نكرة قدم عليها (قوله وعدم الاستعداد) أى اتخذك لي عبدا مثل بنى إسرائيل (قوله حينئذ) هذا حل معنى لاجل إهراق دمه وحرف جواب فقط ، وقيل حرف جواب وجزاء (قوله عما آتاني الله بعدها الخ) أى فليس على فيما فعلته في تلك الحالة لوم لعدم التكليف حينئذ ، أو المعنى من الخطئين لامن التعمدين (قوله وجعلنى من المرسلين) فى ذلك رد لما وبخه به فرعون وهو القتل غير حق فكانته قال كيف تدعى الرسالة وقد حصل منك مايقدر فى تلك الدعوى فأجابه موسى بأنه قتله قبل أن تأتية الرسالة ثم أنه بعد ذلك (قوله وتلك نعمة) مبتدأ وخبر وقوله تمنها صفة لنعمة وأن عبت الخ عطف بيان موضع التبتدأ كما قاله للمفسر (قوله أصله تمن ما على) أى بغد الجار فاقصص الضمير فهو من باب الحذف والإيجاز

(قوله ولم تستعبدني) أي فلا منة لك علي في عدم استعبادك إلي لأن استعبادك غيري ظلم وقد نجاني الله منه (قوله وضمهم بعضهم) أي وهو الأخفش (قوله أول الكلام) أي والأصل أو تلك نعمة الخ (قوله للانكار) أي وهو بمعنى النفي (قوله أي شيء هو) أي وذلك لأن ما يستل بها عن الحقيقة . واللعن أي جنس هو من أجناس الوجودات (قوله وما بينهما) أي جنس السموات والأرض ، فاندفع ما قيل لم نفي الضمير مع أن مرجعه جمع (قوله إن كنتم موقنين) أي محققين أن الله تعالى هو الخالق لها (قوله من أشرف قومه) أي وكانوا خمسمائة لابسين الأساور ولم يكن لبسها إلا السلاطين على عادة الملوك (قوله الذي لم يطابق السؤال) أي لأن ما يستل بها عن الحقيقة وقد أجابه بالصفات التي يستل عنها بأي والعدول عن الطاقة لأن السؤال عن الحقيقة عيب (١٦٠) وسفه لاستحالة (قوله قال ربكم رب آبائكم الأولين) إنما ذكر ذلك

لأن نفوسهم أقرب الأشياء إليهم (قوله وهذا) أي الجواب (قوله ولذلك) أي لشدة غيظه (قوله قال إن رسولكم) سماه رسولا استهزاء وأضافه إلى مخاطبين استنكافا من نسبته له (قوله قال رب الشرق والغرب وما بينهما) أي فتشاهدون في كل يوم أنه يأتي بالشمس من الشرق ويذهب بها من الغرب (قوله إن كنتم تعقلون) أي إن كان لكم عقل ، وفيه رد لقوله إن رسولكم الذي أرسل إليكم لجنون (قوله قال لئن اتخذت إلها غيري الخ) عدول عن الحاجة إلى التهديد لتصرحته وجهله وعدم استقامته روى أنه فرع

ولم تستعبدني لانه لك بذلك لظلمك باستعبادهم ، وقدر بعضهم أول الكلام همزة استفهام للانكار (قَالَ فِرْعَوْنُ) لموسى (وَمَا رَبُّ الْعَالَمِينَ) الذي قلت إنك رسوله : أي أي شيء هو ، ولما لم يكن سبيل للخلق إلى معرفة حقيقته تعالى وإنما يعرفونه بصفاته أجابه موسى عليه الصلاة والسلام ببعضها (قَالَ رَبُّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) أي خالق ذلك (إِنْ كُنْتُمْ مُوقِنِينَ) بأنه تعالى خالقه فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون (لَئِنْ حَوَّلَهُ) من أشرف قومه (أَلَا تَسْمَعُونَ) جوابه الذي لم يطابق السؤال (قَالَ) موسى (رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأُولِينَ) وهذا وإن كان داخلا فيما قبله فيخط فرعون ولذلك (قَالَ) إن رَسُوَاكُمْ الَّذِي أَرْسَلَ إِلَيْكُمْ لَجُنُونٌ . (قَالَ) موسى (رَبُّ الْمَشْرِقِ وَالْمَغْرِبِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إن كنتم تعقلون) أنه كذلك فآمنوا به وحده (قَالَ) فرعون لموسى (لَئِنْ أَخَذْتُ بِالْعَغَايِرِ لَأَجْعَلَكَ مِنْ الْمُسْجُوتِينَ) كان سجنه شديدا يحبس الشخص في مكان تحت الأرض وحده لا يصر ولا يسمع فيه أحدا (قَالَ) له موسى (أَوْ لَوْ) أي أقفل ذلك ولو (جِئْتُكَ بِشَيْءٍ مُبِينٍ) أي برهان بين على رسالتى (قَالَ) فرعون له (فَأْتِ بِهِ) إن كُنتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فيه (فَأَلْقَى عَصَاهُ) فَإِذَا هِيَ ثُعْبَانٌ مُبِينٌ) حية عظيمة (وَوَرَعَ يَدَهُ) أخرجها من جيبه (فَإِذَا هِيَ بَيْضَاءُ ذَاتُ شُعَاعٍ) (لِلنَّاطِرِينَ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (قَالَ) فرعون (الْمَلَأَ حَوْلَهُ إِنْ هَذَا لَسَاحِرٌ عَلِيمٌ) فاتق في علم السحر (يُرِيدُ أَنْ يُخْرِجَكُمْ مِنْ أَرْضِكُمْ بِسِحْرِهِ فَمَاذَا تَأْمُرُونَ) قَالُوا أَرْجِهْ وَأَخَاهُ) أخر أمرها (وَأَبْعَثْ فِي الْمَدَائِنِ حَاشِرِينَ) جامعين (بِأَنُوكَ بِكُلِّ سَعَارٍ عَلِيمٍ) يفضل موسى في علم السحر (فَجَمَعَ السَّحَرَةُ لِيلِقَاتِ يَوْمٍ مَعْلُومٍ) وهو وقت الضحى

من موسى فزعا شديدا حتى كان

اللعين لا يمسك بوله (قوله أي أفعل ذلك) أشار إلى أن همزة داخلية على محذوف والواو عطفة على ذلك المحذوف (قوله قال فأت به) إنما أمر فرعون بالاتباع به لظنه أنه يقدر على معارضة (قوله وورع يده) أي من جيبه قيل لما رأى فرعون الآية الأولى قال هل لك غيرها ؟ فأخرج يده فأدخلها في إبطه ثم نزعها ولما شعاع يكاد ينشى الأبصار ويسد الأنف (قوله من الأدمة) أي السمرة (قوله حوله) ظرف في محل الحال (قوله يريد أن يخرجكم من أرضكم) لما رأى تلك الآيات الباهرة خاف على قومه أن يتبعوه فتنزل إلى مشارقتهم بعد أن كان مستقلا بالرأى والتدبير ، وأراد تنفيرهم عن موسى عليه السلام (قوله فليذا تأمرون) أي أي شيء تأمرون به (قوله ما لك) مجزوم في جواب الأمر (قوله بفضل موسى) أي بنفوقه ويريد عليه .

(قوله من يوم الزينة) كان يوم عيد لهم ، وقيل كان يوم - وفي (قوله والترجى على تقدير غلبتهم) أى الترجى على فرض النقلة
للمقتضية للاتباع (قوله على الوجهين) أى تحقيقهما ونسبيل الثانية وكان عليه أن يقول وتركه أى ترك الإدخال على الوجهين
فتصكون القراءات أربعة (قوله لأجرا) أى أجره وحلا (قوله قال نعم) أى لىكم الأجرة على عملكم السحر وزادهم بقوله
وإنكم إذا الخ (قوله فالأمر فيه) جواب عما يقال كيف يأمرهم بفعل السحر مع أنه لا يجوز الأمر به لأن الأمر به رضا والرضا
بالكفر كفر . وحاصل الجواب أن الممتنع الأمر به في حال كونه مستحسنا له ، وأما الأمر به للتوسل لابطاله فليس فيه
استحسان ولا رضا بل هو المدح شرعا (قوله وقالوا بعزة فرعون) أى تقسم ونحلف بعزة فرعون وأقسموا لفرط اعتقادهم
في أنفسهم أنهم غالبون (قوله من الأصل) أى أصل الصيغة (قوله (١٦١) يلقبونه) أى يغيرونه عن حاله الأول
من الجمانية إلى كونه

حية تسمى وقوله بتجويرهم
الباء سببية (قوله فأتى
السحرة) أى خروا
وسقطوا ساجدين لما رأوا
من باهر العجزة فلم
يخالخوا أنفسهم (قوله
رب موسى وهرون)
بدل مما قبله للتوضيح
وللاشعار بأن سبب
إيمانهم ما أجراه الله على
يد موسى وهرون (قوله
وابدال الثانية ألفا) صوابه
الثالثة لأنها هي للنقلة
ألفا وترك قراءة أخرى
وهي حذف الأولى من
الهمزتين وقلب الثالثة
ألفا (قوله فعلمكم شيئا
منه وغلبكم بآخر) أى
أخفاه منكم وأراد فرعون
بهذا الكلام التلبيس على
قومه لئلا يعتقدوا أن

من يوم الزينة (وقيل للناس هل أنتم محتمون . لعلنا نتبع السحرة إن كانوا هم
الغالبين) الاستفهام للحث على الاجتماع والترجى على تقدير غلبتهم ليستمروا على دينهم
فلا يتبعوا موسى (فلما جاء السحرة قالوا لفرعون أن) بتحقيق الهمزتين ونسبيل الثانية
وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لنا لأجرا إن كنا نأمن الغالبين . قال نعم وإنكم
إذا) أى حينئذ (لن المقرين . قال لهم موسى) بعد ما قالوا له إما أن تأتى وإما أن نكون
مع الملقين (ألقوا ما أنتم ملقون) فالأمر فيه للاذن بتقديم إلقاءهم توسلا به إلى إظهار
الحق (فألقوا حبالهم وعصيهم وقالوا بعزة فرعون إنا لنغلب الغالبين . قال لى موسى
عصاه فإذا هي تلقف) بحذف إحدى التاءين من لأصل تتلع (ما يافكون) يلقبونه
بتجويرهم فيخيرون حبالهم وعصيهم أنها حيات تسمى (فأتى السحرة ساجدين . قالوا آمنا
رب العالمين . رب موسى وهرون) أعلمهم بأن ما شاهدوه من العصا لا يتأتى بالسحر (قال -
فرعون (أأمنتم) بتحقيق الهمزتين وإبدال الثانية ألفا (له) لموسى (قبل أن آذن) أما
(لكم إنه لكبيركم الذى علمكم السحر) فعلمكم شيئا منه وغلبكم بآخر (فلسوف
تعلمون) ما بينا لكم مني (لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) أى يده كل واحد اليمنى
ورجله اليسرى (ولا صلبنكم أجمعين . قالوا لاضرب) لاضرر علينا في ذلك (إنا إلى ربنا)
بعد موتنا هاهنا وجه كان (منقلبون) راجعون في الآخرة (إنا نطمع) نرجو (أن يغير
لنا ربنا خطايانا أن) أى بأن (كنا أول المؤمنين) في زماننا (وأوحينا إلى موسى)
بعد سنين أقامها بينهم يدعوم بآيات الله إلى الحق فلم يزيدوا إلا اعتوا (أن أمر

السحرة آمنوا على بصيرة وظهور حق (قوله لأقطعن أيديكم وأرجلكم من خلاف) حاصله أنهم لما آمنوا باجمعهم اشتد
خوف فرعون على باقى قومه من دخولهم في الإيمان فنفر الباقي بقوله لأقطعن الخ (قوله إنا إلى ربنا منقلبون) تعليل لنفي
التعبد وهل فعل بهم ما توعدهم به خلاف ولم يرد في القرآن ما يدل على أنه فعل (قوله في زماننا) أى من أتباع فرعون فلا
ينافى أن بنى إسرائيل سبّوهم بالإيمان (قوله وأوحينا إلى موسى) يحتمل أن يكون الوحي بتكليم الله له أو على لسان جبريل (قوله
بعد سنين) أى ثلاثين وذلك أن موسى مكث في مصر أولا ثلاثين ، وفي مدين عشر سنين ثم لما رجع إلى مصر ثانيا مكث
يدعوم إلى الله ثلاثين سنة ثم أغرق الله فرعون وقومه وعاش بعد ذلك خمسين سنة فجعله عمره مائة وعشرون سنة (قوله بآيات الله)
أى باقى التسع لأن موسى اقتحم أولا بالعصا واليد فلم يزدوا إلا جأهم بالسنين المحدة ثم بالطوفان والجراد والقمل والضفادع والقمل
والطامس على أموالهم فلم يزدوا فيهم ذلك . قد سبق ذلك مفصلا في الأعراف .

(قوله عبادي) الإضافة للتشريف ، والمعنى سر عبادي المختصين برحمتي وإلا فالكل من حيث الحاق عباده (قوله وفي قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله أى سربهم ليلا) تفسير لكل من القراءتين (قوله إلى البحر) أى بحر التزم فخرج موسى عليه السلام بنى إسرائيل في آخر الليل فترك طريق الشام على يساره وتوجه جهة البحر فكان الرجل من بنى إسرائيل يراحمه في ذلك فيقول هكذا أمرنى ربى فلما أصبح فرعون وعلم بسير موسى بنى إسرائيل خرج فى أثرهم وبعث إلى مدائن مصر لتلحقه الجيوش (قوله نكم متبعون) علة للأمر بالسير (قوله حين أخبر بسيرهم) روى أن قوم موسى قالوا لجماعة فرعون إن لنا فى هذه الليلة عيدا ثم استعاروا منهم حلبيهم بهذا السبب ثم خرجوا تلك الأموال فى الليل إلى جانب البحر فلما سمع فرعون ذلك جمع قومه وتبعهم (قوله ومقدمة جيشه الخ) أى وجلة جيشه ألف ألف وستائة (قوله فاعلون مايفيظنا) أى حيث خالفوا دينا وطمسوا على أموالنا وقتلوا أبنائنا لما روى : أن الله أمر الملائكة أن يقتلوا أبنائهم وأوصى إلى موسى أن يجمع بنى إسرائيل لكل أربعة أبيات فى بيت ثم يذبحوا (١٦٢) أولاد الضأن ويأطخوا أبوابهم بدمائهم لتبخر الملائكة بيوت

بنى إسرائيل من بيوت القبط فذخات الملائكة فقتلت أبنائهم فأصبحوا مشغولين بموتهم وهذا هو سبب تأخر فرعون وقومه عن موسى وقومه (قوله وإنالجميع حذرون) أى من عادتنا الحذر والحزم فى الأمور (قوله وفى قراءة الخ) أى وهى سبعة أيضا بمعنى الأولى ، وقيل الحذر التيقظ والحذر الخائف (قوله كانت على جانبي النيل) أى من أن-وان إلى رشيد . قال كعب الأحبار : أربعة أنهار من الجنة وضعها الله تعالى فى الدنيا سيحان وجيحان والنيل

عبادي) بنى إسرائيل ، وفى قراءة بكسر النون ووصل همزة أسرى من سرى لغة فى أسرى أى سربهم ليلا إلى البحر (إِنَّكُمْ مُتَّبَعُونَ) يتبعكم فرعون وجنوده فيلجئون وراءكم البحر فأنجيكم وأغرقهم (فَأَرْسَلَ فِرْعَوْنُ) حين أخبر بسيرهم (فِي الْمَدَائِنِ) قيل كان له ألف مدينة وأثنا عشر ألف قرية (حَاشِرِينَ) جامعين الجيش قائلا (إِنَّ هَؤُلَاءِ لَشِرَذِمَةٌ) طائفة (قَلِيلُونَ) قيل كانوا ستائة ألف وسبعين ألفا ومقدمة جيشه سبعةائة ألف فقتلهم بالنظر إلى كثرة جيشه (وَإِنَّهُمْ لَنَا لِفَاطِنُونَ) فاعلون مايفيظنا (وَلَنَا لَجَمِيعٌ حَذِرُونَ) متيقظون وفى قراءة حاذرون مستعدون قال تعالى (فَأَخْرَجْنَاهُمْ) أى فرعون وقومه من مصر ليلحقوا موسى وقومه (مِنْ جَنَّاتٍ) بساتين كانت على جانبي النيل (وَعِوُونَ) أنهار جارية فى الدور من النيل (وَكُنُوزٍ) أموال ظاهرة من الذهب والفضة ، وسميت كنوزا لأنه لم يسط حق الله تعالى منها (وَمَقَامٍ كَرِيمٍ) مجلس حسن للأمرء والوزراء يحفه أتباعهم (كَذَلِكَ) أى إخراجنا كما وصفنا (وَأَوْرَثْنَاهَا بَنِي إِسْرَائِيلَ) بعد إغراق فرعون وقومه (فَأَتَبِعُونَهُمْ) لحقوهم (مُشْرِقِينَ) وقت شروق الشمس (فَلَمَّا تَرَأَى الْجَمْعَانِ) أى رأى كل منهما الآخر (قَالَ أَنَحَابُ مُوسَى إِنَّهُ لَمَذْرَكُونَ) يدركنا جمع فرعون ولا طائفة لنا به (قَالَ) موسى (كَلَّا) ،

والفرات فسيحان نهر الماء فى الجنة وجيحان نهر اللبن فى الجنة والنيل نهر العسل فى الجنة والفرات نهر الحمر فى الجنة (قوله أموال ظاهرة) هذا أحد قولين ، وقيل المراد بالكنوز الأموال التى تحت الأرض وخصها بالذ كر لأن ما فوق الأرض انطمس وحيث قد قسميتها كنوزا ظاهرا (قوله مجلس حسن للأمرء والوزراء) قيل كان إذا قعد على سرير وضع بين يديه ثلثة كرسى من ذهب يجلس عليها الأشراف من قومه والأمراء وعليهم قبة الديباج مرصعة بالذهب ، وقيل المقام الكريم المنابر وكانت ألف منبر لألف جبار يعظمون عليها فرعون وملكه (قوله أى إخراجنا كما وصفنا) أشار بذلك إلى أن قوله كذلك خبر لمحدوف (قوله وأورثناها) أى الجنات والعيون والكنوز . وقيل المراد أورثنا بنى إسرائيل مااستعاروه من حلى آل فرعون ، والأحسن أن يراد ما هو أعم فان بنى إسرائيل رجعوا إلى مصر بعد هلاك فرعون وقومه وملكوا مشارق الأرض ومغاربها (قوله وقت شروق الشمس) أى يوم الملاقة وليس المراد أنهم أدرکوا بنى إسرائيل يوم خروجهم لأنهم تأخروا عنهم حتى جمعوا جيوشهم ودفنوا موتاهم .

(قوله آى لن يدركونا) أشار بذلك إلى أن كلا لثنى ، ولثنى لاسبيل لهم علينا لأن الله وعدنا بالخلاص منهم (قوله فأوحينا إلى موسى الخ) قيل لما انتهى موسى ومن معه إلى البحر هاج فصار يرمى موج كالجبال فصار بنو إسرائيل يقولون أين أمرت فرعون من خلفنا والبحر أمامنا وموسى يقول ههنا فأوحى الله إليه أن اضرب ب عصاك البحر فإذا الرجل واقف على فرسه ولم يقتل سرجه ولا لبدته (قوله اثنتى عشر فرقا) أى قطعة بعدد أسباط بنو إسرائيل (قوله بينها مسالك) أى بين لاثتى عشر فرقا (قوله على هيئته) أى وهى انه لاقه اثنتا عشرة فرقة (قوله وحز قيل) هو الذى ذكر فى قوله تعالى : وقال رجل مؤمن من آل فرعون الخ وقوله ومريم بنت ناموسى أى وكانت عجوزا تعيش من العمر نحو سبع مائة سنة (قوله التى دلت على عظام يوسف عليه السلام) وسبب ذلك أن الله أمر موسى بأخذ يوسف معه إلى الشام حين خروجه من مصر فسأل على قبره فلم يعرف إذ ذاك فدلته عليه هذه العجوز بعد أن ضمن لها موسى على الله الجنة وكان يوسف قد دفن فى قبر بحر النيل فخر عليه موسى وأخرجه وذهب به إلى الشام .

قائدة — قال قيس بن حجاج : لما فتحت مصر أتى أهلها إلى سيدنا عمرو بن العاص حين دخل بثوثة من أشهر القبط فقالوا أيها الأمير إن ليلتنا هذا سنة ، عادة لا يجرى إلا بها فقال لهم وما ذاك فقالوا إذا كان (١٦٣) لثنتى عشرة ليلة تخلو من هذا

الشهر عمدنا إلى حارية بكر بين أبويها أرضينا أبويها وحلنا عليها من الحلى والثياب أفضل ما يكون ثم ألقيناها فى هذا النيل فقال لهم عمرو هذا لا يكون فى الاسلام وإن الاسلام ليهدم ما قبله ، فأقاموا بثوثة وأيب وسرى لا يجرى قليلا ولا كثيرا وهما بالجلاء فلما رأى ذلك عمرو بن العاص كتب إلى أمير المؤمنين عمر بن الخطاب رضى الله عنه فأعلمه بالقصة ، فكتب إليه عمر

أى لن يدركونا (إِنْ مَعِيَ رَبِّي) بنصره (سَيَهْدِينِ) طريق النجاة قال تعالى (فَأَوْحَيْنَا إِلَى مُوسَى أَنْ اضْرِبْ بِعَصَاكَ الْبَحْرَ) فضر به (فَأَنفَلَقَ) فانشق اثنتى عشر فرقا (فَكَانَ كُلُّ فِرْقٍ كَالطَّوْدِ الْعَظِيمِ) الجبل الضخم بينها مسالك سلكوها لم يقتل منها سرج الراكب ولا لبدته (وَأَرْزَلْنَاهَا) قربنا (نَمَمٌ) هناك (الْآخَرِينَ) فرعون وقومه حتى سلكوا مسالكهم (وَأُنَجِّمُنَا مُوسَى وَمَنْ مَعَهُ أَجَابِينَ) بإخراجهم من البحر على هيئته المذكورة (ثُمَّ أَغْرَقْنَا الْآخَرِينَ) فرعون وقومه باطباق البحر عليهم لما تم دخولهم فى البحر وخروج بنو إسرائيل منه (إِنْ فِي ذَلِكَ) أى إغراق فرعون وقومه (لآيَةٍ) عبرة لمن بعدهم (وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) بالله لم يؤمن منهم غير آسية امرأة فرعون وحز قيل مؤمن من آل فرعون ومريم بنت ناموسى التى دلت على عظام يوسف عليه السلام (وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُ الْعَزِيزُ) فانتقم من الكافرين باغراقهم (الرَّحِيمُ) بالمؤمنين فأنجاهم من الفرق (وَأَنزَلْنَا عَلَيْهِمُ) أى كفار مكة (نَبَأً) خبر (إِذْ هُمْ) ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِأَبِيهِ وَقَوْمِهِ مَا تَعْبُدُونَ . تَالُوْا أَنعْبُدُ أَصْنَامًا) صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه (فَتَنَّا لَهُمَا عَاكِفَيْنِ) أى قيم نهاراً على عبادتها زادوه فى الجواب افتخاراً به (قَالَ هَلْ يَسْمَعُونَكُمْ)

ابن الخطاب : إليك قد بعثت إليك بطاقة فى داخل كتابى فالحقها فى النيل إذا أتاك كتابى ، فلما قدم كتاب عمر إلى عمرو بن العاص أخذ البطاقة ففتحها فإذا فيها من عبد الله عمر أمير المؤمنين إلى نيل مصر ، أما بعد فإن كنت إنما تجرى من قبلك فلا تجروا وإن كان الله الواحد القهار هو الذى يجرى بك فسأل الله الواحد القهار أن يجرى بك فألقى البطاقة فى النيل قبل الصليب بيوم فأصبحوا وقد زاد فى تلك الليلة ستة عشر ذراعا وقطع الله تلك السيرة من تلك السنة (قوله واتل عليهم نبأ إبراهيم) عطف على إذ ذكر العامل فى قوله : وإذ نادى ربك موسى الخ عطف قصة على قصة (قوله أى كفار مكة) خصهم بالله كرا لأنهم الحاضرون وقت نزول الآية وإلا فهو خطاب لهم ولمن بعدهم إلى يوم القيامة (قوله ويبدل منه) أى بدل مفصل من مجمل (قوله ما تعبدون) ما هم استفهام معمول لتعبدون ، والمعنى ما هذا الذى تعبدونه أى ما حقيقته (قوله صرحوا بالفعل الخ) جواب عما يقال كان القياس أن يقولوا أصناما كقوله : ويسألونك ماذا ينفعون قل العفو . فأجاب بأنهم صرحوا بالفعل ليعطفوا عليه ما فيه الافتخار (قوله أى قيم نهاراً على عبادتها) هذا معنى نطل الأصل . ولكن مقتضى الافتخار أن يكون معناها ندوم على عبادتها ليلا ونهارا (قوله زدوه) أى قوله فنظل الخ (قوله قال هل يسمعونكم) أتى بالمضارع إشارة إلى أن هذا الوصف مستمر وثابت فى الأصنام فى الماضى والحال والمستقبل ولا بد من محذوف هنا دل عليه قوله : إذ تدعون تقديره هل يسمعون دعاءكم .

(قوله إذ تدعون) إذ هنا بمعنى إذا استحضارا للحال الماضية وحكاية لما تبكىنا عليهم (قوله قالوا بل وجدنا الخ) هذا الجواب يفيد تسليم ما قاله إبراهيم وإنما اعتقدوا عن ذلك بالتقليد فلما لم يجدوا خلاصا غيره احتجوا به (قوله قال أفرأيتم) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أنما لم تعلمتم أو أبصرت ما كنتم تعبدونه (قوله وآبأؤ كم) عطف على الضمير في تعبدون وهو ضمير رفع متصل فلما فصل بالضمير للتفصل . قال ابن مالك :

وإن على ضمير رفع متصل عطف فاصل بالضمير للتفصل

(قوله فأنهم عدو لي) أسند العداوة لنفسه ثم يضاهي وهو أبلغ في النصيحة من التصريح بأن يقول فأنهم عدو لكم . إن قلت كيف وصف الأصنام بالعداوة وهي لا تعقل ؟ أجب بأجوبة منها : أن المعنى عدو لي يوم القيامة إن عبدتهم في الدنيا ، ومنها أن الكلام على حذف مضاف : أي فإن أصنامهم عدو لي ، ومنها أن الكلام على القلب : أي فاني عدو لهم (قوله إلا رب العالمين) أشار المفسر بقوله لكن إلى أن الاستثناء منقطع ، والمعنى لكن رب العالمين ليس بعدو بل هو ولي في الدنيا والآخرة (قوله الذي خلقتني) نعت لرب العالمين أو بدل أو عطف بيان أو خبر لمحذوف وما بعده عطف عليه (قوله فهو يهدين) أتى بالفاء هنا وفي قوله فهو يشفين لترتيب الهداية على الخلق والشفاء على المرض بخلاف الإطعام والاستقاء فليس بينهما ترتيب وأتى بهم في جانب الإحياء لبعد زمنه عن زمن (١٦٤) الموت لأن المراد به الإحياء في الآخرة (قوله إلى الدين) أي وغيره من مصالح

دنياي وآخري وإنما خص الدين لأن المقام للرد ولأنه أهم (قوله والذي هو يطعمني ويسقين) أي في الدنيا والآخرة (قوله وإذا مرضت فهو يشفين) أسند المرض لنفسه وإن كان الكل من الله تأدبا كما قال تعالى - ييدك الخير - ولم يقل والشر ، وقال الخضر : فأردت أن أعيها ، وقال فأرد ربك

إِذْ حِينَ تَدْعُونَ أَوْ يَنْفَعُونَكُمْ) إِنْ عَدَعْتُمْ (أَوْ يَضُرُّونَ) كَمْ إِنْ لَمْ تَعْبُدُوهُمْ (قَالُوا بَلْ وَجَدْنَا آبَاءَنَا كَذَلِكَ يَفْعَلُونَ) أَيْ مِثْلَ فَعَلْنَا (قَالَ أَفَرَأَيْتُمْ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ . أَنْتُمْ وَآبَاؤُكُمْ الْأَقْدَمُونَ . فَإِنَّهُمْ عَدُوٌّ لِي) لَا أُعْبِدُ (إِلَّا) لَكِنْ (رَبِّ الْعَالَمِينَ) فَإِنِّي أُعْبِدُ (الَّذِي خَلَقَنِي فَهُوَ يَهْدِينِ) إِلَى الدِّينِ (وَالَّذِي هُوَ يُطْعِمُنِي وَيَسْقِينِ . وَإِذَا مَرِضْتُ فَهُوَ يَشْفِينِ . وَالَّذِي يُمِيتُنِي ثُمَّ يُحْيِينِ . وَالَّذِي أَطْمَعُ) أَرْجُو (أَنْ يَقْبَلَنِي خَطِيئَتِي يَوْمَ الدِّينِ) أَيْ الْجَزَاءِ (رَبِّ هَبْ لِي حُكْمًا) عِلْمًا (وَأَلْحِقْنِي بِالصَّالِحِينَ) النَّبِيِّينَ (وَأَجْعَلْ لِي لِسَانَ صِدْقٍ) ثَنَاءً حَسَنًا (فِي) (فِي الْآخِرِينَ) الَّذِينَ يَأْتُونَ بَعْدِي إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ (وَأَجْعَلْنِي مِنْ وَرَثَةِ جَنَّةِ النَّعِيمِ) أَيْ مِمَّنْ يَمْطَاها (وَأَغْفِرْ لَأَيِّ إِنَّهُ كَانَ مِنَ الصَّالِحِينَ) بَأَن تَتُوبُ عَلَيْهِ فَتَغْفِرَ لَهُ وَهَذَا قَبْلَ أَنْ يَتَبَيَّنَ لَهُ أَنَّهُ عَدُوٌّ لَهُ كَمَا ذَكَرَ فِي سُورَةِ بَرَاءَةِ (وَلَا تُخْزِنِي) تَقْضِي (يَوْمَ يَبْعَثُونَ) أَيْ النَّاسَ ،

قال

أن يبلغا أشدهما (قوله والذي أطمع) عبر بالطمع المفيد عدم الأخذ في الأسباب

مع أنها حاصلة منه لعدم اعتماده عليها (قوله أن يغفر لي) ذكر ذلك تواضعا وتعليلًا للأمة والإفهام معصوم من الخطايا (قوله رب هب لي حكما) لما ذكر تلك الأوصاف قوى رجاءه في ربه فطلب منه تعالى الأمور وخير الدنيا والآخرة (قوله علما) أي زيادة فيه (قوله وألحقتني بال صالحين) أي في العمل أوفى درجات الجنة (قوله واجعل لي لسان صدق) من إضافة الموصوف للصفة : أي ذكرنا حسنا من باب تسمية الشيء باسم آله (قوله الذين يأتون بعدي) وقد أجابه الله تعالى فإمن أمة من الأمم إلا وهي تحييه وتقي عليه بخير سيما في هذه الأمة الحميدة خصوصا المؤمنين منهم فانهم يذكرونه بخير في كل تشهد وإعطاء ذلك لينتفع به وهو ينتفع به المثنى لكن بشرط الإيمان ، أو ما حديث « من أحب قوما حشر معهم وإن لم يعمل بعملهم » فعناه إذا اشتد كوامعهم في الإيمان وإن لم يصافوا لمقاهم (قوله من ورثة جنة النعيم) أي مندرجا فيهم ومن جهاتهم وإضافة جنة النعيم من إضافة المحل إلى الحال فيه فالمراد مطلق الجنة لا خصوص الدار المسماة بذلك ، وقد أجابه الله في جميع دعواته سوى الدعاء بالفقران لأبيه (قوله بأن تتوب عليه الخ) ظاهره أن هذا الدعاء صدر من إبراهيم وأبوه حي ولكن ينافيه قوله - وهذا قبل أن يتبين له - فإن التبيين المذكور إنما حصل بموته كافرا وحيثئذ فلا يصح جعله قيدا للدعاء له في حياته بالتوفيق للإيمان وإنما يصح لو كان المراد الدعاء بشفاعة الذنوب على حاله التي هو عليها ، وأجب بأنه لا مانع أن الله أعلم إبراهيم بموت أبيه كافرا وهو حي وحيثئذ فقد صح ما قاله المفسر (قوله وهذا) أي الدعاء له بما ذكر (قوله كما ذكر في سورة براءة) أي في قوله - وما كان استغفار إبراهيم لأبيه - الآية (قوله تقضيني)

أى تمكثف عيوبى بين خلقك وهذا تواضع منه أو بالنظر للتجوز العقلى فان تعذيب المطيع جائز عقلا لا شرعا (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن قوله - يوم لا ينفع مال ولا بنون - الخ من كلام الله تعالى ويصح أن يكون من كلام إبراهيم فيكون بدلا من يوم قبله (قوله لكن من آتى الله الخ) أشار للفسر بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ولكن ينافيه تقديره أحدا فتحصل أن الاستثناء إما منقطع إن جعل من قوله مال ولا بنون ويكون المعنى لكن من آتى الله بقلب سليم فانه يتنفع أو متصل إن جعل من المفعول الذى قدره المفسر، والتقدير لا ينفع المال والبنون أحدا إلا الذى آتى الله بقلب سليم فانه ينفعه المال والبنون (قوله وهو قاب للمؤمن) أى فيتنفع بالمال الذى أوقفه في الخير والولد الصالح بدعائه له لما في الحديث «إذا مات ابن آدم انقطع عمله إلا من ثلاث صدقة جارية أو علم ينتفع به أو ولد صالح يدعو له» (قوله وأزلفت الجنة للمتقين) أى بحيث يشاهدونها في الوقف ويعرفون مافيا فتحصل لهم البهجة والسرور وعبر بالمضى لتحقيق الحصول (قوله وبرزت الجحيم للناوين) أى جعلت لهم بارزة ظاهرة بحيث يرونها مع مافيا من أنواع العذاب فتحصل لهم السآة والأحزان ويوقنون بأنهم واقعوها ولا يجدون (١٦٥) عنها مصرفا (قوله وقيل لهم)

أى على سبيل التوبيخ (قوله أين ما كنتم تعبدون) أين خبر مقتم وما مبتدأ مؤخر وكنتم تعبدون صلة ما والعائد محذوف تقديره تعبدونه وقوله من دون الله حال (قوله ألقوا) أى مرة بعد أخرى لأن الكسبة تكرير الكسب وهو الالتقاء على الوجه كأن من ألقى في النار يشكب مرة بعد أخرى حتى يستقر في قعرها (قوله والناوين) عطف على ضمير كبكبوا وسوغه الفصل بالجار والمجرور وضمير الفصل (قوله ومن أطاعه) عطف

قال تعالى فيه (يَوْمَ لَا يَنْفَعُ مَالٌ وَلَا بَنُونَ) أَحَدًا (إِلَّا) لَكِنْ (مَنْ آتَى اللَّهَ بِقَلْبٍ سَلِيمٍ) من الشرك والتفارق وهو قلب المؤمن فانه ينفعه ذلك (وَأَزَلَّتْ الْجَنَّةُ) قربت (الْمُتَّقِينَ) فيرونها (وَبُرَزَتِ الْجَحِيمُ) أظهرت (لِلْكَافِرِينَ) (وَقِيلَ لَهُمْ أَئِنَّ مَا كُنْتُمْ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره من الأصنام (هَلْ يَنْصُرُوكُمْ) بدفع العذاب عنكم (أَوْ يَنْقُصُوكُمْ) بدفعه عن أنفسهم ، لا (فَكُفُّوا) ألقوا (فِيهَا هُمْ وَالْغَاوُونَ) وَجُنُودُ إبْلِيسَ) أتباعه ومن أطاعه من الجن والإنس (أُجْرُونَ) قالوا) أى الناوين (وَهُمْ فِيهَا يَخْتَصِمُونَ) مع معبوديهم (تَاللَّهِ إِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أى إنه (كُنَّا لَفِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (إِذْ) حيث (نُسَوِّيَكُمُ رَبِّ الْعَالَمِينَ) في العباداة (وَمَا أَضَلُّنَا) عن الهدى (إِلَّا الْأَجْرَ مُمْوَنًا) أى الشياطين أو أولونا الذين اقتدينا بهم (قَالُوا لَنْبَا مِنْ شَافِعِينَ) كما للمؤمنين من الملائكة والنبیین والمؤمنين (وَلَا صَدِيقٍ حَمِيمٍ) أى يهيمه أمرنا (فَلَوْ أَنَّ لَنَا كَرَّةً) رجعة إلى الدنيا (فَنَكُونُ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لو هنا للتمنى ونكون جوابه (إِنْ فِي ذَلِكَ) المذكور من قصة إبراهيم وقومه (لَايَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ) وَإِنْ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ كَذَّبَتْ قَوْمُ نُوحٍ الْمُرْسَلِينَ) بتكذيبهم له لاشتراكهم في الجحى بالتوحيد ، أو لأنه لطلول لبثه فيهم كأنه رسل ، وتأنيت قوم باعتبار معناه ،

تفسير (قوله وهم فيها يختصمون) الجملة حالية ومقول القول تالله الخ (قوله واسمها محذوف الخ) قد يقال إنها في الآية مهمة فلا لعم لها ولا خبر لوجود اللام . قال ابن مالك * وخفت إن قتل العمل * الخ (قوله إذ نسويكم) ظرف لكونهم في ضلال مبين (قوله أو أولونا) أى السابقون علينا وهو جمع أول (قوله من الملائكة والنبیین الخ) أى فالشفعاء تكثر للمؤمنين لما ورد « لكل مؤمن شفاعة يوم القيامة » (قوله ولا صديق حميم) أفرد الصديق وجمع الشفعاء لكثرة الشفعاء في العادة وقلة الصديق والحميم القريب من قولهم حامة فلان : أى خاصته أو الخاص ويؤيده قول المفسر : أى يهيمه أمرنا . وقوله يهيمه بضم أوله وكسر ثانيه وفتح أوله وضم ثانيه (قوله ونكون جوابه) أى فهو منصوب في جواب التثنية (قوله لآية) أى عظة لمن أراد أن يستبصر بها ويعتبر قاتها على أحسن ترتيب (قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل لم يؤمن منهم إلا لوط ابن أخيه وسارة زوجته كما تقدم في سورة الأنبياء (قوله بتكذيبهم له) جواب عما يقال لم جمع المرسلين مع أنهم إنما كذبوا رسولا واحدا وهو نوح فأجاب بأن تكذيبهم له تكذيب للباقي فالجمع على حقيقته ، وقوله أولاته الخ جواب ثان وعليه فالجمع مجاز (قوله وتأنيت قوم)

أى تأتيت الفعل للسند إليه وقوله باعتبار معناه أى وهو الأمة والجماعة (قوله وتذكيره) أى تذكير الضمير العائد عليه فى قوله :
 إذ قال لهم ولا مفهوم لقوم بل كل اسم جمع أو جمع تكسير لذكر أولئك كذلك (قوله نسباً) أى لافى الدين (قوله نوح) تقدم
 أن اسمه عبد الغفار أو يشكرو نوح لقبه (قوله ألا تقنون) ألا العرض (قوله إني لكم رسول أمين) إنما أخبر بذلك ليقبح
 وليس قصده الافتخار (قوله فاقنوا الله) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله من أجر) من زائدة فى المفعول أى أجرة
 وجعلاً (قوله كرره تأكيذاً) أى وحسن ذلك كون الأول مرتباً على الرسالة والأمانة والثانى على عدم سؤاله أجراً منهم (قوله قالوا
 أنؤمن لك الخ) هذا من سخافة عقولهم وفساد رأيهم حيث جعلوا اتباع الفقراء مانعاً من إيمانهم وأشاروا بذلك إلى أن اتباعهم
 ليس خالصاً لوجه الله بل هو طمع فى أن ينالهم شئ من الدنيا (قوله وفى قراءة) ظاهره أنها سبعية وليس كذلك بل هى عشرية
 والمعتمد جواز القراءة بها (قوله وأتباعك) مبتدأ وخبره الأرذلون ، وأما القراءة الأولى فهى جملة فعلية وهى حالية على كل حال
 (قوله الأرذلون) جمع أرذل كالأكبرون جمع أكبر (قوله السفلة) المراد بهم الفقراء والضعفاء وسبب مبادرتهم للإيمان قلة عواقبهم
 كالباسة والغنى فإن ذلك موجب (١٦٦) للأنفة عن الاتباع (قوله قال وما علمى) يحتمل أن تكون ماستفهامية

والإيه يشير المفسر بقوله
 أى علم لى ويحتمل أن
 تكون نافية (قوله بما
 كانوا يعملون) أى لم
 أكلف العلم بعقائدهم
 الباطنية وإنما كلفت أن
 أدعوم إلى الإيمان (قوله
 إن حسابهم) أى حساب
 بواطنهم (قوله ما عبتهم)
 قدره إشارة إلى أن لو
 شرطية حذف جوابها
 (قوله وما أنا بطارد
 المؤمنين) جواب لمفهمه
 من طلبهم طرد الضعفاء
 وهذا كما سألت قریش
 النبی صلی الله علیه وسلم

وتذكيره باعتبار لفظه (إذ قال لهم أخوهم) نسباً (نوح ألا تقنون) الله ، (إني لكم
 رسول أمين) على تبليغ ما أرسلت به (فاقنوا الله وأطيعون) فيما أمركم به من توحيد الله
 وطاعته (وما أسألكم عليه) على تبليغه (من أجر إن) ما (أجريت) أى نوابي (إلا على
 رب العالمين . فاقنوا الله وأطيعون) كرره تأكيذاً (قالوا أنؤمن) نصدق (لك) لقولك
 (وأنتم) وفى قراءة وأتباعك جمع تابع مبتدأ (الأرذلون) السفلة كالحاكة والأسا كفة
 (قال وما علمى) أى علم لى (بما كانوا يعملون . إن) ما (حسابهم إلا على ربى) فيجاز بهم
 (لو تشعرون) تعلمون ذلك ما عبتهم (وما أنا بطارد المؤمنين . إن) ما (أنا إلا نذير
 مبين) بين الانذار (قالوا لئن لم تنته يا نوح) عما تقول لنا (لتكونن من المذمومين)
 بالحجارة أو بالشم (قال) نوح (رب إن قومى كذبون . فافتح بيني وبينهم فتحاً) أى احكم
 (وتجني ومن معي من المؤمنين) قال تعالى تأخينا ومن معي فى الفاك المشحون (الملوء من
 الناس والحيوان والطير ثم أغرقنا بعد) أى بعد إنجائهم (الباقين) من قومه (إن فى ذلك لآية
 وما كان أكثرهم مؤمنين . وإن ربك له العزيز الرحيم . كذبت عاد المرسلين إذ قال لهم

أن يطرد الموالي والفقراء كما تقدم فى سبب نزول قوله تعالى : ولا تطرد الذين يدعون ربهم بالغيب والعشى
 (قوله إن أنا الإنذير مبين) أى للسكان أعزاء وغيرهم فكيف يلقى من طرد الفقراء (قوله قالوا لئن لم تنته) أى ترك ما أنت عليه
 من معارضتنا (قوله قال رب إن قومى كذبون) إنما قال ذلك تمهيداً للدعاء عليهم كأنه قال إنهم أعرضوا عن دينك وتوحيدك
 فأنا أدعو عليهم فجعل ذلك ، وللعنى أنهم استمروا على تكذيبى وأصروا عليه بعد ما كررت عليهم الدعوة وسيأتى تفصيل ذلك
 فى سورة نوح فى قوله : قال رب إنى دعوت قومى ليلاً ونهاراً الخ (قوله فافتح بيني وبينهم فتحاً) من الفتاحة بالضم والكسر
 وهى الحكومة أى احكم بيننا بما يستحقه كل منا (قوله ومن معي من المؤمنين) آثار الإيمان إشارة إلى أنهم خاضعون فى الاتباع وكان
 من معه من المؤمنين ثمانين أربعون من الرجال وأربعون من النساء على أحد أقوال تقدمت (قوله ثم أغرقنا بعد) أى بالطوفان حيث
 التقى ماء السماء على ماء الأرض (قوله الباقين من قومه) أى صغاراً وكباراً فالهلاك الديوى عم الكبار والصغار والبهائم وأما فى
 الآخرة فالخلود فى النار مخصوص بمن مات كافراً بعد البلوغ ، وأما صبيانهم بل وصبيان المشركين من أول الدنيا إلى آخرها فيدخلون
 الجنة بشفاعته (قوله كذبت عاد) اسم أى قبيلة هود الأظلى سميت القبيلة باسمه فالمراد كذبت القبيلة المنسوبة
 العاد وقوله المرسلين المراد هود وإنما جمع لأن من كذب رسولاً واحداً فقد كذب الجميع لا شراك الكل فى الجبىء بالتوحيد .

(قوله أخوم) أى من النسب لما تقدم أنه من ذرية عاد ، وكان هود ناجرا جليل المودة يشبه آدم ، وعاش من العمر أربعمائة وأربعمائة سنة (قوله ألا تتقون) ألا أداة عرض وهو الطلب بلين ورفق تأليفاً لقلوب المجرمين لهمم بهتدون (قوله إني لكم رسول أمين) تعطيل لمرضه التقوى عليهم . والمعنى إني لكم رسول أبلغكم ما أرسلت به إليكم أمين لا أزيد ولا أنقص (قوله فاتقوا الله) تفرغ على قوله إني لكم رسول أمين : أى حيث كنت رسولا أميناً فالواجب عليكم تقوى الله وطاعته من حيث كونه رسولا من عند الله لا من حيث ذاته ولذا لم يقل ألا تتقون وتطيعوني (قوله من أجر) أى جعل وأجرة هي رسالي (قوله إلا على رب العالمين) أى لأنه المرسل إلى النبي المعنى (قوله أتبنون) الاستفهام للتقريع والتوبيخ وهو شروع في توبيخهم على أمور ثلاثة كل واحد منها مناف للتعوى البناء العبث واتخاذ للصانع والتجبر (قوله بكل ربيع) بكسر الراء ويقال فتحها هو المكان المرتفع (قوله علما للمارة) أى كالعلم في الارتفاع (قوله بمن يمر بكم الخ) هذا أحد أوجه في تفسير متعلق العبث ، وقيل تعبثون بالبناء لظنهم أن المارة يحتاجون إلى البناء ليهندوا به في الأسفار مع أنهم يستغنون عنه بالنجوم ، وقيل المعنى تبنون بروج الحمام لتعبثوا بها ، وقيل المعنى تبنون بانيانا تجتمعون فيه للعبث وكل صحيح واقع منهم (١٦٧) (قوله مصانع) جمع مصنعة بفتح الميم مع فتح النون أو وضما هو الحوض أو البركة تجعل تحت الأرض كالصهاريج (قوله كأنكم) فسر لعل بكان بدليل القراءة الشاذة كأنكم تخلدون والأولى إبقاء لعل على بابها من الترجي ويكون المعنى راجين أن تخلدوا في الدنيا بسبب عملكم عمل من يرجو ذلك لأن مجيء لعل بمعنى كان لم يرد (قوله وإذا بطشتم) أى فعلتم فعل الجبارين من الضرب بالسياط والقتل بالسيف (قوله فاتقوا الله

أخوهم هود ألا تتقون . إني لكم رسول أمين . فاتقوا الله وأطيعوني . وما أسألكم عليه من أجر إن) ما أجرى إلا على رب العالمين . أتبنون بكل ربيع) مكان مرتفع (آية) بناء علما للمارة (تعبثون) بمن يمر بكم وتسخرون منهم ، والجملة حال من ضمير تبنون (وتخذون مصانع) للماء تحت الأرض (لعلكم) كأنكم (تخلدون) فيها لا تموتون (وإذا بطشتم) بضرب أو قتل (بطشتم جبارين) من غير رافة (فاتقوا الله) في ذلك (وأطيعوني) فيما أمرتكم به (واتقوا الذي أمدكم) أنعم عليكم (بما تعلمون . أمدكم بأنعام وبنين . وجنات) بساتين (وعيون) أنهار (إني أخاف عليكم عذاب يوم عظيم) في الدنيا وفي الآخرة إن عصيتموني (قالوا سوا علينا مستورا) أوعظت أم لم تكن من الواعظين (أصلا : أى لا نزعوى لوعظك (إن) ما (هذا) الذي خوفنا به (إلا خلق الأولين) أى اختلاقهم وكذبهم ، وفي قراءة بضم الخاء واللام : أى ما هذا الذي نحن عليه من أن لا نبش إلا خلق الأولين : أى طبعيتهم وعاداتهم (وما نحن بمعدين فكذبوه) بالعذاب (فأهلكناهم) في الدنيا بالريح (إن في ذلك لآية ،

في ذلك) أى فيما تقدم من الأمور الثلاثة (قوله الذي أمدكم) أى أعطاكم الممد وهو النعم (قوله أمدكم بأنعام) بدل مما قبله بدل مفصل من مجمل (قوله وبنين) أى ذرية (قوله وجنات) جمع جنة (قوله إني أخاف عليكم) أى إن دمتم على مخالفتي ولم تشكروا على هذه النعم بعد معني (قوله في الدنيا) أى بالريح العقيم وقوله وفي الآخرة أى بالخلود في النار (قوله أم لم تكن من الواعظين) هذا أبلغ من أن يقولوا أم لم تعظ لأن المعنى سواء علينا أوعظت أم لم تكن من أهل الوعظ أم لم تكن أصلا من أهلها بأن كنت أمينا مثانا ولست نبيل (قوله أي لا نزعوى لوعظك) أى لا تردع ولا تتكف له (قوله إلا خلق الأولين) أى من تقدموا قبلك كيث ونوح فانهم كانوا يخلقون أمورا فاقتديت بهم فاسم الإشارة على هذه القراءة راجع لما خوفهم به (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا واعياها فاسم الإشارة عائد على معتقدهم وهو عدم البعث (قوله أى طبعيتهم وعاداتهم) أى عادة الأولين من قبلنا أنهم يعيشون ما عاشوا ثم يموتون ولا بعث ولا حساب (قوله وما نحن بمعدين) أى على ما فعلناه من الأعمال (قوله فكذبوه) أى استمروا على تكذيبه (قوله بالريح) أى العاصف وكانت باردة شديدة الصوت لاماء فيها وسلطت عليهم سبع ليل وثمانية أيام أولها من صبح يوم الأربعاء لثمان بقين من شوال ، وكانت في أواخر الشتاء ومباني

(قوله وما كان أكثرهم مؤمنين) أى بل أكثرهم كانوا مع هود فى حظيرة نفوس عليهم ربح لينه حتى مضت تلك المدة ، فأخذهم وهاجر من تلك الأرض إلى مكة (قوله العزيز) أى الغالب على أمره (قوله الرحيم) أى اللين على عباده بدقائق النعم (قوله كذبت نمود) اسم أبى قبيلة صالح الأعلى سميت القبيلة باسمه وتسمى أيضا عادا الثانية وهم ذرية من آمن من قوم هود (قوله للرسلين) المراد بهم صالح وقنص وجه التعبير بالجمع (قوله أخوهم) أى فى النسب لاجتماعهم معه فى الأدب الأعلى وعاش صالح من العمر مائتين وعشرين سنة وبينه وبين هود مائة سنة (قوله ألا تقفون) تقفم أن ألا أداة عرض كما فى قول الشاعر :

يا ابن الكرم ألا تدنو قنصرما قد حدثوك لما رآه كن مما

وحكمة التعبير أولا بالعرض تأليف قلوبهم لتوحيد الكلام اللين لقصر عقولهم وجهلهم (قوله أن تكون) الاستفهام إنكارى توبيخى وما اسم موصول فيها المفسر بقوله من الحيريات وهنا اسم إشارة للكان القريب والمراد دار الدنيا ، والمعنى أنظنون أنكم تتركون فى الدنيا متمتعين بأنواع النعم والتسهوات آمنين من كل مكروه لا تمتحنون بأوامر ونواه ولا تحاسبون على شئ فيها لا تظنوا ذلك بل الواجب عليكم ترك الفانى والاشتغال بالباقى (قوله فى جنات) بدل من قوله ههنا باعادة الجار (قوله ونخل) هو اسم جنس جمى واحد نخلة يذكر ويؤث ، وأما النخيل بالياء فهوثة اضافة (قوله طلعها) هو عمرها فى أول ما يطلع اكتمل السيف فى جوفه شحارح (١٦٨) القنو وبعده الاغريض ويسمى خلا ثم الباح ثم الزهر ثم البسرة ثم

لرطب ثم القمر يجمعهما قولك «طاب زبرت» فأطوار النخيل سبعة كأطوار الانسان ولما ورد فى الحديث «أكرموا عماكم النخل» وأفرد النخل بالذكر لفضله على سائر الأشجار (قوله وتمتحنون من الجبال بيوتا) أى لطول أعماركم فان السقوف والأبنية كانت تبلى قبل فناء أعمارهم لأن الواحد منهم

وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَمَوْعِزٌ رَّحِيمٌ . كَذَّبَتْ ثَمُودُ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ صَالِحٌ أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ مَا (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْمَالِينَ . أَنتُمْ كُونَ فِي مَا هُنَا) من الخيرات (آمِنِينَ . فِي جَنَّاتٍ وَعُيُونٍ . وَزُرُوعٍ وَنَخْلٍ طَلْعُهَا هَضِيمٌ) لطيف لين (وَتَنَجَّيْتُمْ مِنَ الْجِبَالِ بَيْوتًا فَرَّهِينَ) بطرين ، وفى قراءة فارهين حاذقين (فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا) فيها أمرتكم به (وَلَا تُطِيعُوا أَمْرَ الْمُسْرِفِينَ الَّذِينَ يَفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصى (وَلَا يُصْلِحُونَ) بطاعة الله (قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ) الذين سحرُوا كثيرا حتى غلب على عقولهم (مَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بَآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) فى رسالتك (قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ نَصِيبٌ مِنَ الْمَاءِ (وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ . وَلَا تَمْسُوهَا سَوْفَ يَأْخُذَ كُمْ عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ) بعظم العذاب (فَعَقَرُوهَا) أى عقرها بعضهم برضام (فَأَصْبَحُوا

نادمين

كان يعيش ثلثمائة سنة إلى ألف (قوله بطراين) أى لنم

ربكم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله حاذقين) أى ماهرين فى العمل (قوله ولا تطيعوا أمر السرفين) الاسناد مجازى فى النسبة ، والأصل ولا تطيعوا السرفين فى أمرهم (قوله الذين يفسدون فى الأرض) صفة للسرفين (قوله ولا يصلحون) دفع بذلك ما يتوهم أنه يقع منهم الإصلاح فى بعض الأوقات (قوله ما أنت إلا بشر مثلنا) أى فكيف تدعى أنك رسول إلينا (قوله قال هذه ناقة) الإشارة إليها بعد أن خرجت من الصخرة بدعائه كما طلبوا عن أبى موسى الأشعرى قال رأيت مبركها فإذا هو ستون ذراعا فى ستين ذراعا (قوله لها شرب الخ) أمرهم صالح بأمرين الأول قوله لها شرب . الثانى قوله ولا تمسوها بدواء (قوله نصيب من الماء) أى فهو شرب منه يوما وأتم شربون منه يوما لا تراحمكم ولا تراحمونها وفى يومها تشربون من بينها (قوله فعقروها) أى يوم الثلاثاء وأخذهم العذاب يوم السبت وقد جعل لهم علامة على زول العذاب بهم وهو أنهم فى اليوم لأول تصفر وجوههم ثم تحمر فى اليوم الثانى ثم تسود فى اليوم الثالث (قوله أى عقرها بعضهم) أى وهو قدار وكان قصيرا أزرق وكان ابن زنا ضربها فى ساقها بالسيف . قال السدى وغيره : أوحى الله إلى صالح أن قومك سيعقرون ناقتك فقال لهم ذلك ، فقالوا ما كنا لنفضل فقال لهم صالح إنه سيولد فى شهركم هذا غلام يعقرها ويكون هلاككم على يديه فقتلوا الإبل فى هذا الشهر ذكر الاكثناء قوله لستعة منهم فى ذلك الشهر فذبحوا أبناءهم ثم للعاشر فأنى أن يذبح ابنه وكان لم يولد له قبل ذلك فكان

ابن القاسم أزرقي أخر قُتِبَتْ نباتا سريعا فكان إذا مر بالقسعة فرأوه قالوا لو كان أبناؤنا أحياء لكانوا مثل هذا، و غضب القسعة على صالح لأنه كان سببا لقتلهم أبناءهم فتعصبوا وتقايموا بالله لنبيته وأهله فقالوا نخرج إلى سفر فيرى الناس سفرنا فنكمن في غار حتى إذا كان الليل وخرج صالح إلى مسجده أتينا فقتلناه ثم قلنا ماشهدنا مهلك أهله وإنا لصادقون فيصدقون ويعلمون أنا قد خرجنا إلى سفر وكان صالح لا ينام في القرية بل كان ينام في المسجد فإذا أصبح أتاهم فوعظهم فلما دخلوا الغار أرادوا أن يخرجوا فسقط عليهم الغار فقتلهم، فرأى ذلك ناس من كان قد اطاع على ذلك فصاحوا في القرية يا عباد الله أما رضى صالح أنه أمر بقتل أولادهم حتى قتلهم فاجتمع أهل القرية على عقر الناقة (قوله ناديين على عقرها) إن قلت لم يرفع عنهم العذاب بسبب ندمهم . أعجب بأن ندمهم لحوف نزول العذاب فقط لا توبة منهم (قوله العزيز الرحيم) حكمة ختم كل قصة في هذه السورة بهذين اليمين الإشارة إلى أن العذاب النازل بالكفار لا ينادر منهم أحدا والرحمة الحاصلة للمؤمنين لا تقادر منهم أحدا فكل من مظهر اليمين ظهر في مستحقه (قوله أخوهم لوط) أي في البلد بسبب السكنى والمجاورة لافي النسب لأنه ابن أخي إبراهيم عليهما السلام وهما من بلاد للشرق من أرض بابل فنزل إبراهيم بالخليل من أرض الشام ولوط بسدوم وقراها (قوله القدران) جمع ذكر أي أديارهم (قوله أي من الناس) وكذا غيرهم من الحيوانات غير (١٦٩) للعاقل فهذه الحيلة القبيحة لم تكن

في أحد قبل قوم لوط ثم لما خفف بهم تنوسيت حتى ظهرت في هذه الأمة الحمدية فأن الله وإنا إليه راجعون (قوله ما خلق لكم) أي أهل وأباح (قوله أي أقبالهن) أي لأنه عمل نبات البذر قال تعالى: نسأؤكم حرث لكم فأتوا حرثكم أنى شئتم (قوله عادون) أي متعدون (قوله من القالين) متعلق بمحذوف خبر إن أي لقال من القالين ومن القالين صفته ولعلكم متعلق

نَادِيَيْنَ عَلَى عَقْرِهَا (فَأَخَذَهُمُ الْعَذَابُ) (لَوْعُودُ بِهِ فَهَلَكُوا) (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَتْ قَوْمُ لُوطٍ الْمُرْسَلِينَ. إِذْ قَالَ لَهُمْ أَخُوهُمْ لُوطُ أَلَا تَتَّقُونَ. إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ. فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا. وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) (مَا) (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ. أَتَأْتُونَ الذَّكَرَ كَرَانٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) (أَي مِنَ النَّاسِ) (وَتَذَرُونَ مَا خَلَقَ لَكُمْ رَبُّكُمْ مِنْ أَزْوَاجِكُمْ) (أَي أَقْبَالَهُنَّ) (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ عَادُونَ) (متجاوزون الحلال إلى الحرام) (قَالُوا لَنْ لَمْ تَنْفَعْهُ يَا لُوطُ) (عن إنكارك علينا) (لَتَسْكُوتَنَّ مِنَ الْمُتَكَرِّجِينَ) (من بلدتنا) (قَالَ) (لُوطُ) (إِنِّي لَمَمْلِكُكُمْ مِنَ الْقَالِينَ) (المبغضين) (رَبِّ نَجْفِي وَأَهْلِي مِمَّا يَعْمَلُونَ) (أَي مِنْ عَذَابِهِ) (فَنَجِّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ. إِلَّا نَحْوَراً) (أَمْرَاتِهِ) (فِي الْغَارَيْنِ) (الباقين أهلكناها) (ثُمَّ دَمَرْنَا الْآخَرِينَ) (أهلكناهم) (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) (حجارة من جملة الإهلاك) (نساءً مَطَرُ الْمُتَذَرِّينَ) (مَطَرُ) (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ. وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ. كَذَّبَ أَصْحَابُ الْأَيْكَةِ) (وفي قراءة بحذف الهمزة ،

بالجبر المحذوف ولا يصح أن يجعل قوله من القالين خبر إن فيكون عاملا في لعلكم لئلا يلزم عليه تقديم معمول الصلة على الموصول وهوأل مع أنه لا يجوز (قوله أي من عذابه) أشار بذلك إلى أن الكلام على عذف مضاف لأن بقاءه على ظاهره بعيد لعصمته منه فطلب النجاة منه تحصيل للحاصل (قوله وأهله) أي بنفيه وزوجته المؤمنة (قوله الباقين) أي في العذاب قيل تبع لوطا ثم التفتت لقومها فنزل عليها حجرو قيل لم تتبعه بل بقيت غسفت بها مع قومها (قوله أهلكناهم) أي بقلب قراهم حتى جعل عاليها سافلها (قوله أمطرا عليهم) أي على من كان منهم خارج القرى لسفر أو غيره (قوله مطرم) هذا هو المخصوص بالذم (قوله كذب أصحاب الأيكة) هذه آخر القصص التي ذكرت في هذه السورة على سبيل الاختصار وقد وقع لفظ الأيكة في أربع مواضع في القرآن في المجروق وهماوص فالأوليان بآل مع الجر لاغير والأخريان يقرآن بالوجهين (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله بحذف الهمزة) أي ثنائية وقوله على اللام أي لام التعريف ، وأما الهمزة الأولى فقد حذف للاستغناء عنها بتحريك اللام لأنها همزة وصل أتى بها للتوصل للنطق بالسالكين ، وفي كلام المفسر نظر لأنه يقتضى أن اللام الموجودة لام التعريف . وحينئذ فلا يصح قوله وفتح الماء لأن المقرون بآل يجز بالكسرة وقع فيه نقل أم لا . قال ابن مالك :

فالناسب أن يقول وفي قراءة بوزن ليلة ليفيد أن اللام من بنية الكلمة وحركتها أصلية وحيث جازم بالفتحة ظاهر للعلمية والتأنيث باعتبار البقعة إن كان هذا اللفظ عربيا للعلمية والعجمة إن كان أجميا (قوله وفتح الماء) في بعض النسخ وفتح التاء وهي أوضح (قوله هي غيضة شجر) بفتح التين وبالضاد المعجمة : أي مكان فيه شجر ملتف بضه على بعض وكان شجرهم الدوم (قوله قرب مدين) هي قرية شعيب ، سميت باسم يانها مدين بن إبراهيم ، وبينها وبين مصر مسيرة ثمانية أيام (قوله للرسلين) المراد به شعيب وفي جمعه ماعلت ، وقد أرسل شعيب أيضا لأهل مدين لكن أهل مدين أهلكوا بالصيحة وأصحاب الأيكة أهلكوا بذاب يوم الظلة (قوله لأنه لم يكن منهم) أي بل كان من مدين . قال تعالى - وإلى مدين أخام شعيبا - (قوله الناقصين) أي لحقوق الناس (قوله ولا تبغسوا الناس أشياءهم) أي فكانوا إذا اكتالوا على الناس يستوفون وإذا كلوهم أو وزنوم يحسرون ومن جملة بخسهم أنهم ينقصون الدرام والدينار (قوله وغيره) أي كقطع الطريق (قوله لمعنى عاملها) أي ولفظهما مختلف (قوله والجليلة) بكسر الجيم والباء وتشديد اللام : أي الجماعة والأمم المتقدمة الذين كانوا على خلقه وطبيعة عظيمة كأنها الجبال قوة وصلابة وهذه قراءة العامة (١٧٠) وقرئ شذوذا بضم الجيم والباء وتشديد اللام وفتح الجيم أو كسرهما مع سكون

الباء (قوله وما أنت إلا بشر مثنا) أي بالواو هنادون قصة صالح مبالغة في تكذيبه لأنه عند دخول الواو يكون كل من الأمرين التسحير البشرية مقصودا بخلاف تركها فلم يقصد إلا التسحير والثاني دليل له (قوله مخففة من الثقيلة) المناسب أن يقول مهمة لأعمل لها لأن السكسورة إذا خففت قل عملها والأولى حمل القرآن على الكثير (قوله بسكون السين وفتحها) قراءتان سبعيتان (قوله فكذبوه) أي استمروا على

وإلقاء حركتها على اللام وفتح الماء : هي غيضة شجر قرب مدين (المُرْسَلِينَ . إِذْ قَالَ لَهُمْ شُعَيْبٌ) لم يقل أخوم لأنه لم يكن منهم (أَلَا تَتَّقُونَ . إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ . فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُوا . وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِنْ) ما (أَجْرِي إِلَّا عَلَى رَبِّ الْعَالَمِينَ . أَوْفُوا الْكَيْلَ) أتموه (وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُخْسِرِينَ) الناقصين (وَزِنُوا بِالْقِسْطَاسِ الْمُسْتَقِيمِ) الميزان السوى (وَلَا تَبْغَسُوا النَّاسَ أَشْيَاءَهُمْ) لا تنقصوهم من حقهم شيئا (وَلَا تَعْمُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره من عنى بكسر المثلثة : أفسد ، ومفسدين حال مؤكدة لمعنى عاملها (وَاتَّقُوا اللَّهَ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالْجَلِيلَةَ) الخليفة (الْأَوَّلِينَ . قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ وَمَا أَنْتَ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَإِنْ) مخففة من الثقيلة واسمها محذوف : أي إنه (نَظَذُكَ لِمَنِ الْكَاذِبِينَ . فَأَسْقِطْ عَلَيْنَا كِسْفًا) بسكون السين وفتحها قطعة (مِنَ السَّمَاءِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في رسالتك (قَالَ رَبِّي عَلِيمٌ بِمَا تَعْمَلُونَ) فيجازيكم به (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَهُمْ عَذَابٌ يَوْمَ الظَّلَّةِ) هي سحابة أظلمتهم بعد حر شديد أصابهم فأمطرت عليهم نارا فاحترقوا (إِنَّهُ كَانَ عَذَابٌ يَوْمٍ عَظِيمٍ . إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً وَمَا كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ رَبَّكَ لَهُو الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ . وَإِنَّهُ) أي القرآن (لَتَنْزِيلُ رَبِّ الْعَالَمِينَ . نَزَلَ بِهِ الرُّوحُ الْأَمِينُ) جبريل (عَلَى قَلْبِكَ ،

تسكون

تكذيبه (قوله عذاب يوم الظلة) روى أن الله تعالى فتح عليهم بابا من أبواب جهنم

وأرسل عليهم حرا شديدا فأخذ بأنفاسهم فدخلوا بيوتهم فلم ينفعهم ظل ولا ماء فأفضجهم الحر فخرجوا فأرسل الله تعالى سحابة فأظلمتهم فوجدوا لها بردا وريحا طيبة ، فنادى بعضهم بعضا فلما اجتمعوا تحت السحابة ألهمها الله عليهم نارا ورجفت بهم الأرض فاحترقوا كما يحترق الجراد للقلبي فصاروا رمادا ، وهذا العذاب الذي حل بهم هو الذي طلبوه تهكما بشعيب بقولهم - فأسقط علينا كسفا من السماء - (قوله أصابهم) أي سبعة أيام ثم لجئوا إلى السحابة بعد السبعة الأيام (قوله وإنه لتنزيل رب العالمين) شروع في مدح القرآن ومن أنزله والمنزل عليه ، والمعنى أن هذا القرآن منزل من عند الله تعالى ليس بشعر ولا سحر ولا كهانة كما يزعمون (قوله نزل به) الباء للابسة والجار والمجرور متعلق بمحذوف حال كأنه قال نزل في حال ملاسته له على حد خرج زيد بقبابه (قوله على قلبك) خصه بالذكور لأنه سلطان الأعضاء فكل شيء وصل للقلب وصل لسائر الأعضاء ، ففي الحديث «ألا وإن في الجسد مضغة إذا صلحت صلح الجسد كله وإذا فسد فسد الجسد كله ألا وهي القلب» حيث نزل على قلبه فقد تمكن من سائر بدنه فلا يطرأ عليه بعد ذلك نسيان ولما ورد أنه كان إذا نزل عليه جبريل بالآية يريد أن يقرأها بلسانه قبل أن

يُلوها جبريل عليه ظاهرا حتى أمر بعدم الاستعجال بالقراءة قال تعالى: لا تحرك به لسانك لتعجل به (قوله لتكون من المنذرين) أي ومن البشرين (قوله بلسان) يصح أن يكون بدلا من قوله به باعادة الجراء، ويصح أن يكون متعلقا بالمنذرين . والمعنى لتكون من الذين أنذروا بهذا اللسان العربي وهم هود وصالح وشعيب وإسماعيل عليهم الصلاة والسلام (قوله وفي قراءة) أي وفي سبعة (قوله أي ذكر القرآن) دفع بذلك ما يقال إن ظاهر الآية أن القرآن نفسه ثابت في سائر الكتب مع أنه ليس كذلك ، والمراد بذكره فتنه والاختبرته بأنه ينزل على محمد وأنه صدق وحق (قوله أولم يكن لهم آية) الاستفهام للتوبيخ والتقريع (قوله وأصحابه) أي وكانوا أربعة غيره أسد وأسيد وقلبة وابن يامين فالخسة من علماء اليهود وقد حسن إسلامهم (قوله ويكون بالتحانية ونصب آية) أي على أنه خبر يمكن مقدم واسمها قوله أن يعلمه الخ (قوله ورمع آية) أي على أنه فاعل بتسكن وقوله أن يعلمه بدل من آية (قوله جمع أعجم) أصله أعجمي بياء النسب خفف بحذفها وبه اندفع ما يقال إن أفعل فعلاء لا يجمع جمع للذكر السالم (قوله أمة من اتباعه) أي تكبرا (قوله كذلك) معمول للسلكناه والضمير في سلكناه للقرآن على حذف مضاف أفاده المفسر (قوله لا يؤمنون به الخ) الجملة مستأنفة أو حال من الماء (١٧١) في سلكناه وقوله حتى يروا العذاب

الآليم مقدم من تأخير وأصل الكلام حتى يأتيهم العذاب بغته وهم لا يشعرون فيرونه فيقولوا هل نحن منظرون أي مؤخرون عن الاهلاك ولوطرفة عين لنؤمن فيقال لهم لا: أي لا تأخير ولا إهمال (قوله أفتبعذابنا يستعجلون) استفهام توبيخ وتهكم حيث استعجلوا ما فيه هلاكهم والثناء للعطف على مقدر يقتضيه المقام تقديره أيقولون ما ينزل بهم (قوله أفرأيت) معطوف على فيقولوا وما بينهما اعتراض

لِتَكُونَ مِنَ الْمُنذِرِينَ بِلِسَانٍ عَرَبِيٍّ مُبِينٍ (مُبِينٍ) عِين ، وفي قراءة بتشديد نزل ونصب الروح والفاعل الله (وإنه) أي ذكر القرآن النزل على محمد (لَنِي زُبُرٌ) كتب (الأوليين) كالطهارة والإنجيل (أَوْ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ) لكفار مكة (آيَةٌ) على ذلك (أَنْ يَمْلِكَهُمْ عَلَمُوا ابْنِي إِسْرَائِيلَ) كمبداه بن سلام وأصحابه ممن آمنوا فانهم يخبرون بذلك ، ويكون بالتحانية ونصب آية وبالوقائية ورمع آية (وَلَوْ تَرَاءَاهُ عَلَى بَعْضِ الْأَعْجَمِينَ) جمع أعجم (فَقَرَأَهُ عَلَيْهِمْ) أي كفار مكة (مَا كَانُوا بِهِ مُؤْمِنِينَ) أمة من اتباعه (كَذَلِكَ) أي مثل إدخالنا التكذيب به بقراءة الأعجمي (سَلَكْنَاهُ) أدخلنا التكذيب به (فِي قُلُوبِ الْمُتَجَرِّبِينَ) أي كفار مكة بقراءة النبي (لَا يُؤْمِنُونَ بِهِ حَتَّى يَرَوْا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ) قِيَاتِيهِمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ . فيقولوا هل نحن مُنْظَرُونَ) لنؤمن فيقال لهم لا قالوا متى هذا العذاب قال تعالى (أَفَبِعَذَابِنَا يَسْتَعْجِلُونَ) . أفرأيت) أخبرني (إِنْ مَتَّعْنَاهُمْ سِنِينَ . ثُمَّ جَاءَهُمْ مَا كَانُوا يُوعَدُونَ) من العذاب (مَا) استغماية بمعنى أي شيء (أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَمْتَعُونَ) في دفع العذاب أو تخفيفه : أي لم يغن (وَمَا أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ إِلَّا كَمَا مُنْذِرُونَا) رسل تنذر أهلها (ذِكْرَى) عظة لهم (وَمَا كُنَّا ظَالِمِينَ) في إهلاكهم بعد إنذارهم .

وقوله ما كانوا يوعدون تنازعه رأيت يطلبه مفعولا أول وجاءهم يطلبه فاعلا فاعملنا الأول وأضرنا في الثاني ضميرا يعود عليه أي ثم جاءهم هو أي الذي كانوا يوعدون ، وجملة ما أغنى عنهم الخ في محل نصب سدت مسد المفعول الثاني لرأيت (قوله ما كانوا يوعدون) أي به وما اسم موصول (قوله استغماية) أي استفهام إنكار كما أشار له بقوله أي لم يغن فهذا مساو في المعنى ، لقول بعضهم إنها نافية وهي على صنيع المفسر مفعول مقدم لأغنى ، وقوله ما كانوا يمتعون فاعل بأغنى وما مصدرية (قوله وما أهلكنا من قرية الخ) أي أنه جرت عادته سبحانه وتعالى أنه لا يهلك أهل قرية إلا بعد إرسال الرسول إليهم وعصيانهم وذلك تفضل منه سبحانه وتعالى وإلا فلو أهلكهم من أول الأمر لا بعد ظالما لأنه متصرف في ملكه يحكم لامعقب لحكمه ففعله دائر بين الفضل والعدل (قوله الالهة منذرون) الجملة صفة لقرية . فان قلت لم تركت الواو هنا ، وذكر في قوله تعالى : وما أهلكنا من قرية إلا ولها كتاب معلوم . أجيب بأن الأصل ترك الواو ، وإذا زيدت كانت لتأكيده وصل الصفة بالموصوف كما في قوله سبعة وثامنهم كلبهم (قوله ذكرى) مفعول لأجله أي لأجل تذكريهم العواقب (قوله وما كنا ظالمين) أي لا نفع لنعل الظالمين بأن نهلكهم قبل الإنذار بل لانهلكهم إلا بعد إتيان الرسول وإهلاكهم الزمن الطويل حتى يقين لهم الحق من الباطل

(قوله ردا لقول المشركين) مقول القول محذوف تقديره إن الشياطين يلقون القرآن على لسانه فهو من جملة الكهنة (قوله وما ينبغي لهم) أى لا يمكنهم (قوله إنهم من السمع الخ) علة لقوله وما ينبغي لهم وما يستطيعون (قوله لكلام الملائكة) إن كان المراد كلامهم بالوحى الذى يبلغونه للأنبياء فالشياطين معزولون عنه لا يصلون إليه أصلا ، وإن كان المراد به الميقات التى ستقع فى العالم فكانوا أولا يسترقونها فلما صلى الله عليه وسلم منعوا من السموات فلما بحث سلطت عليهم الشهب وحينئذ فقد انسد باب السماء على الشياطين وانقطع نزولهم على الكهنة فبطل قول المشركين أن القرآن تنزلت به الشياطين على رسول الله (قوله فلا تدع مع الله إلها آخر) نزل ردا لقول المشركين اعبدوا آلهتنا سنة ونحن نعبد إلهك سنة والخطاب له صلى الله عليه وسلم والمراد غيره (قوله رواه البخارى ومسلم) أى فقد ورد أنه صلى الله عليه وسلم قال فى إنذاره « يا معشر قريش اشتروا أنفسكم لا أغنى عنكم من الله شيئا يا بنى عبد المطلب لا أغنى عنكم من الله شيئا يا عباس بن عبد المطلب لا أغنى عنك من الله شيئا يا صفية حمة رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا يا فاطمة بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم لا أغنى عنك من الله شيئا وفى رواية « أنه صلى الله عليه وسلم صعد على الصفا فجعل ينادى يا بنى فهر يا بنى عدى ليطون من قريش قد اجتمعوا فجعل الذى لا يستطيع أن يخرج يرسل (١٧٢) رسولا لينظر ما هو فجاء أبو لهب وقريش فقال أرايتكم لو أخبرتكم أن

ونزل ردا لقول المشركين (وَمَا تَنَزَّلَتْ بِهِ) بالقرآن (الشَّيَاطِينُ) وَمَا يَنْبَغِي) يصلح (لَهُمْ) أن ينزلوا به (وَمَا يَسْتَطِيعُونَ) ذلك (إِنَّهُمْ عَنِ السَّمْعِ) لكلام الملائكة (لَمْزُولُونَ) بالشهب (فَلَا تَدْعُ مَعَ اللَّهِ إِلَهًا آخَرَ فَتَكُونُ مِنَ الْمَعْذُوبِينَ) إن فعلت ذلك الذى دعوك إليه (وَأَنْذِرْ عَشِيرَتَكَ الْأَقْرَبِينَ) وهم بنو هاشم وبنو المطلب وقد أنذرهم جهارا رواه البخارى ومسلم (وَأَخْفِضْ جَنَاحَكَ) ألن جانبك (لِيَنْ أَتْبِعَكَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الموحدين (فَإِنْ عَصَوْكَ) أى عشيرتك (قُلْ) لهم (إِنِّي بَرِيءٌ مِمَّا تَعْمَلُونَ) من عبادة غير الله (وَتَوَكَّلْ) بالواو والقاء (عَلَى الْغَزِيِّزِ الرَّحِيمِ) الله : أى فوض إليه جميع أمورك (الَّذِى يَرِيكَ حِينَ تَقُومُ) إلى الصلاة (وَتَقْلُبُكَ) فى أركان الصلاة قائما وقاعدا وراكما وساجدا (فى السَّاجِدِينَ) أى المصلين (إِنَّهُ هُوَ السَّمِيعُ الْعَلِيمُ) هَلْ أَتَبَّيْكُمْ) أى كفار مكة (عَلَى مَنْ تَنَزَّلُ الشَّيَاطِينُ) يحذف إحدى التاءين من الأصل (تَنَزَّلُ عَلَى كُلِّ أَفَّاكٍ) كذاب (أُفٍّ) فاجر مثل مسيلة

خيلا بالواوى تريد أن تنصير عليكم أكنتم مصدق قالوا ما جربنا عليك كذبا قال فاني نذير لكم بين يدي عذاب شديد فقال أبو لهب تبالك ألهذا جمعنا فنزلت تبث يدا أبى لهب وتب إلى آخر السورة (قوله واخفض جناحك) أى فبعد الانذار تواضع لمن آمن منهم وتبرأ من بقى على كفره ولا تخف من تحزبهم واجتماعهم وكثرتهم فان الله حافظك وناصرك عليهم فتوكل

وغیره

عليه (قوله بالواو والقاء) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو هو معطوف على قوله وأنذر وعلى القاء هو بدل من قوله فقل إلى برىء (قوله على الغزير) أى الغالب على أمره القاهر فكل معارض لأمره (قوله الرحيم) أى بالؤمن الممثل لأمره (قوله حين تقوم) أى منفردا وقوله وتقلبك فى الساجدين أى مع الجماعة (قوله إلى الصلاة) لامفهوم لها بل يراه حين يقوم للجهاد والخطبة والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر وغير ذلك من سائر تنقلاته وإنما خص الصلاة لأنها أعظم أركان الاسلام بعد الشهادتين ولأن قرءة عينه فيها لما فى الحديث «وجعلت قرءة عيني فى الصلاة» والمراد برؤيته إياه زيادة تجلى الرحمة عليه والإفروية الله حاصلة لكل مخلوق (قوله وتقلبك فى الساجدين) فى على كلام المفسر يعنى مع، وقيل إن فى على بابها والمراد بالساجدين المؤمنون . والمعنى براك متقلبا فى أصلاب وأرحام المؤمنين من آهم إلى عبد الله فأصوله جميعا مؤمنون وأورد على هذا آزر أبو إبراهيم فانه كان كافرا . وأجيب بجوابين : الأول أنه كان عمه واسم أبيه تارخ . الثانى أنه كان أباه حقيقة وقولهم إن أصوله صلى الله عليه وسلم ليسوا كفارا محله مادام النور الحمدي فى الواحد منهم فإذا انتقل لمن بعده فلا مانع من أن يعبد غير الله ، وحينئذ فأزر ما كفر لإلحاد انتقال النور منه إلى إبراهيم ولله (قوله قل هل أنفستم الخ) هذا رد لقولهم إنه كاهن (قوله على من تنزل الشياطين) الجبار والمجرور متعلق بتنزل والجملة فى محل نصب سادة مسد المفعول الثانى والثالث

إن جعل أنبئكم متعباً لثلاثة، ومسد الثاني فقط إن جعل متعباً لاثنتين (قوله وغيره) أى كالسطيح (قوله من الكهنة) جمع كاهن ، وهو الذى يخبر عن الأمور المستقبلية ، والعراق هو الذى يخبر عن الأمور الماضية (قوله يلقون السمع) . يحتمل أن الضمير عائذ على الشياطين ، والمعنى يلقون مسمعوه إلى الكهنة ، ويحتمل أنه عائذ على كل أفك أئمة ، والمعنى يلقون مسمعوه من الشياطين إلى عوام الخلق، أو المعنى يصفون إلى الشياطين بكائهم حين يسمعون منهم (قوله وأكثروا كاذبون) الضمير إما عائذ على الشياطين أو الكهنة والأكثرية باعتبار الأقوال أى أكثر أقوالهم كاذبون فيها والأقل فيها صدق وليس المراد أن الأقل فيهم صادق بل السكل طبعوا على الكذب وأكثر الكلمات كذب وأقلها صدق (قوله وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء) دفع بذلك التناقض بين ما هنا وما تقدم في قوله : إنهم عن السمع لعزلون . وحاصل ذلك أن هذه الآية إخبار من الله عن الشياطين قبل عزلهم عن السموات وتمثيله بمسيلة باعتبار ما كان قبل وجوده صلى الله عليه وسلم وأما بعد وجوده فلم يصل لمسيحة ولا غيره شئ من الشياطين (قوله والشعراء) أى الذين يستعملون الشعر وهو الكلام الموزون بأوزان عربية المقتضى قصداً ، والمراد شعراء الكفار الذين كانوا يهجون رسول الله صلى الله عليه وسلم منهم عبد الله بن الزبير السهمي وهيرة بن أبي وهب الخزومي ومسافع بن عبد مناف وأبو عزة عمرو بن عبد الله الجمحي وأمية بن أبى الصلت التثني تكلموا بالكذب والباطل وقالوا نحن نقول مثل ما يقول محمد وقالوا الشعر واجتمع إليهم ضواة قومهم يسمعون أشعارهم (قوله من أدوية الكلام وفنونه) أشار بذلك إلى أن الشعراء يخوضون في كل كلام فهم (١٧٣) مشبهون بالهائم في الأودية

الذى لا يدري أين يتوجه (قوله يصفون) أى يخوضون (قوله أى يكذبون) أى لا أنهم يمدحون الكرم والشجاعة ويحنون عليهما ولا يفعلون ماذكر ويذمون ضدما ويصرون عليه ويهجون الناس بأذى شئ صدر منهم (قوله إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) الذى لا يدري أين يتوجه

وغیره من الکھنة (يُلقون) أى الشياطين (السمع) أى مسمعوه من الملائكة إلى الكهنة (وأكثرهم كاذبون) يصفون إلى المسموع كذباً كثيراً ، وكان هذا قبل أن حجب الشياطين عن السماء (والشعراء يتبعهم الغاؤون) في شعرهم فيقولون به ويروونه ضميمهم مذمومون (ألم تر) تعلم (أنهم في كل واد) من أدوية الكلام وفنونه (يهيمون) يمحضون فيجاوزون الحد مدحا وهجاء (وأنهم يقولون) فلنا (ملا يفتعلون) أى يكذبون (إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات) من الشعراء (وذكروا الله كثيراً) أى لم يشغلهم الشعر عن الذكر (وانتصروا) بهجوم الكفار (من بعد ما ظنوا) بهجوم الكفار لهم في جملة المؤمنين فليسوا مذمومين ،

سبب نزولها «أن كعب بن مالك قال للنبي صلى الله عليه وسلم قد أنزل في الشعر ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : إن المؤمن يجاهد بسيفه ولسانه ، والذي نفسي بيده لكان ماتروهم به نضح النبل» وقوله قد أنزل في الشعر أى أنزل القرآن في ذم الشعر وأهله (قوله من الشعراء) أى ومنهم حسان بن ثابت وعبد الله بن رواحة وكعب بن مالك وغيرهم . واعلم أن الشعر منه مذموم وهو مدح من لا يجوز مدحه وذم من لا يجوز ذمه وعليه تخرج الآية الأولى وقوله عليه الصلاة والسلام «لأن يمتلي جوف أحدكم فيجادوا خيله من أن يمتلي شعرا» ومنه ممدوح وهو مدح من يجوز مدحه وذم من يجوز ذمه وعليه تخرج الآية الثانية وقوله صلى الله عليه وسلم «إن من الشعر لحكمة» وقال الشعبي : كان أبو بكر يقول الشعر وكان عمر يقول الشعر وكان عثمان يقول الشعر وكان علي أشعر الثلاثة ، وروى عن ابن عباس أنه كان يشد الشعر في المسجد ويستنشد فروى أنه دعا عمر بن أبي ربيعة الخزومي فاستنشد قصيدة فأنشده إياها وهي قريب من تسعين بيتا ثم إن ابن عباس أعاد القصيدة جميعها وكان حفظها من مرة واحدة وروى «أنه عليه الصلاة والسلام قال يوم قرينة لجان اهجع للشركين فان جبريل معك وكان يضع له منبرا في المسجد يقوم عليه قائما فاخر عن رسول الله صلى الله عليه وسلم وينافح ويقول رسول الله : إن الله يؤيد حسان بروح القدس مانافح أرفاخر عن رسول الله » وروى عن عائشة رضي الله عنها أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال « اهجوا قريشا فإنه أشد عليها من رشق النبل فأرسل إلى ابن رواحة فقال اهجم فهاجم فلم يرض وأرسل إلى كعب بن مالك ثم أرسل إلى حسان بن ثابت فلما دخل عليه حسان قال قد آن لكم أن ترسلوا إلى هذا الأسود الضارب بذنبه ثم أدلع بلسانه فجعل يحركه فقال والذي بعثك

بالحق لأفرينهم بلساني فرى الأديم ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم لانجل فان أبا بكر أعلم قريش بأنسائها وإن لي فيهم نسبا حتى يحاص لك نسي فأناه حسان ثم رجع فقال والذي بعثك بالحق نبيا لأسنك منهم كما تسل الشجرة من العجين قالت عائشة فسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول لحسان إن الله يؤيدك بروح القدس لا يزال يؤيدك ما ناخث عن رسوله قالت : وسمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول «هجام حسان نشق واشتق» فقال حسان :

هجومت محمدا فأجبت عنه	وعند الله في ذاك الجزاء	هجومت محمدا برأ قنيا
رسول الله شيمته الوفاء	فان أبي ووالدتي وعرضي	لعرض محمد منكم وقاه
نكحت بنيتي إن لم تروها	تثير النقع موعدها كداء	ينازعن الأعنة مصعدات
على أكنافها الأسل الظماء	نظل جيادنا متمطرات	تلطمهن بالحر النساء
فان أعرضتمو عنا اعتمرنا	وكان الفتح وانكشف الغطاء	وإلا فاصبروا لضراب يوم
يعز الله فيه من يشاء	وقال الله قد أرسلت عبدا	يقول الحق ليس به خفاء
وقال الله قد سيرت جندا	هم الأنصار عرضتها اللقاء	تلاقي كل يوم من معد
سهاب أو قتال أو هجاء	فمن يهجو رسول الله منكم	ويعدده وينصره سواء

وجبريل رسول الله فينا (١٧٤) وروح القدس ليس له خفاء (قوله قال الله تعالى لا يحب الله

قال الله تعالى : لا يحب الله الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم ؛ فمن اعتدى عليكم فاعتدوا عليه بمثل ما اعتدى عليكم (وَسَيَقْلَمُ الَّذِينَ ظَلَمُوا) من الشراء وغيرهم (أَيُّ مُنْقَلَبٍ) مرجع (يَنْقَلِبُونَ) يرجعون بعد الموت ،

(سورة النمل)

وهي ثلاث أو أربع أو خمس وتسمون آية مكية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . طس) الله أعلم بمراده بذلك (تِلْكَ) أي هذه الآيات (آيَاتُ الْقُرْآنِ) آيات منه (وَكِتَابٍ مُبِينٍ) مظهر للحق من الباطل ، عطف بزيادة صفة هو (هُدًى) أي هاد من الضلالة (وَبُشْرَى)

الجهر بالسوء من القول إلا من ظلم استدل على جواز هجوم للكفار في مقابلة هجوم الكفار لهم وقوله فمن اعتدى عليكم الخ استدل على شرط المائلة في المقابلة فلا يجوز للظالم أن يزيد في الدم على ما ظلم به من الهجوم (قوله أي منقلب) معمول لينقلبون الذي

بعده لا لما قبله لأن الاستفهام له الصدر وهو

مفعول مطلق : أي ينقلبون أي انقلاب والجملة سادة مسد مفعولي يعلم ، والمعنى يرجعون مرجعا سيئا لأن مصيرهم إلى النار وهو أقبح مرجع وأشره .

[سورة النمل مكية] أي كلها، وقد اشتملت هذه السورة على خمس قصص: الأولى قصة موسى مع فرعون الثانية قصة النملة الثالثة قصة بلقيس الرابعة قصة صالح مع قومه الخامسة قصة لوط مع قومه وما بقي منها حكم ومواعظ (قوله ثلاث أو أربع الخ) أي أنه اختلف في النيف الزائد على التسعين على ثلاثة أقوال (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا القول أسلم وعليه فليس لهذا اللفظ محل من الاعراب لأنه فرع معرفة للمعنى والموضوع أنه لم يعرف (قوله تلك) مبتدأ وآيات القرآن خبره واسم الإشارة عائد على ما في هذه السورة (قوله آيات منه) أشار بذلك إلى أن الإضافة على معنى من كما تقول جلست مع زيد ساعة الليل تريد ساعة منه (قوله مظهر الحق من الباطل) أي فالحق صار بالقرآن ظاهرا واضحا والباطل كذلك (قوله عطف بزيادة صفة) جواب عما يقال لم عطف الكتاب على القرآن مع أنهما متحدان معنى فأجاب بأنه صوغ ذلك وصف الكتاب بصفة لم تكن في القرآن (قوله هدى) خبر لمخدوف قدره للفسر بقوله هو فالجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما فائده الاثبات به وما الثمرة المترتبة عليه فأجاب بأنه هدى وجرى للمؤمنين (قوله أي هاد من الضلالة) هذا أحدا احتمالات في تفسير الهدى ويحتمل أن المراد ذوهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى على حد ما قبله فزيد عدل

للمؤمنين

(قوله المؤمنين) حذف من الأول دلالة الثاني عليه فالقرآن هدى للمؤمنين وجرى لهم لا للكافرين بدليل قوله تعالى : والذين لا يؤمنون في آذانهم وقر وهو عليهم سمى ، وخص المؤمنين بالذكر لأنهم المعنى بهم للشر فون بخدمته تعالى (قوله يأتون بها طرؤجهها) أى بشروطها وأركانها وآدابها طى الوجه الأكل (قوله ويؤتون الزكوة) أى الواجبة للأصناف الثمانية (قوله وهم) مبتدأ ويوقنون خبره وبالأخرة متعلق يوقنون (قوله يعلمونها بالاستدلال) أى من الآيات القرآنية والأحاديث النبوية فمن شك في ذلك فقد كفر (قوله لما فصل بينه وبين الخبر) أى بمتعلق الخبر وهو قوله بالأخرة (قوله إن الذين لا يؤمنون بالأخرة) قابل قوله هدى وبشرى للمؤمنين الخ طى عادته سبحانه وتعالى متى ذكر وصف المؤمنين يعقبه بذكر ضدهم (قوله زينا لهم أفعالهم) أى حسناها لهم بأن جعلناها محبوبة لأنفسهم وهى فى الواقع ليست حسنة ، وإنما ذلك ليقتضى الله أمرا كان مفعولا قال الشاعر :
يقضى طى للرء فى أيام محنته حتى يرى حسنا مالىس بالحسن

(قوله يتحبرون فيها) أى لتعارض تزوين الشيطان وإخبار الرحمن ولم تكن لهم بصيرة يميزون بها الحسن من القبيح فأهل الكفر متحبرون فى كفرهم لكونهم فى ظلمات ، ومن المعلوم أن السائر (١٧٥) فى الظلمات متحبر بخلاف السائر

فى النور ، فأهل الإيمان مصدقون مصممون طى اعتقادهم ، وأهل الكفر متشككون متحبرون (قوله هم الأخسرون) أى أن خسراتهم فى الآخرة أشد من خسراتهم فى الدنيا لدوام العذاب عليهم فى الآخرة (قوله بشدة) أخذ ذلك من تشديد الفعل (قوله من لدن حكيم عليم) أى من عند من يضع الشيء فى محله العالم بالكليات والجزئيات فذكر وصف العلم بعد الحكمة من ذكر العلم

للمؤمنين (المصدنين به بالجنة (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) يأتون بها على وجهها (وَيُؤْتُونَ) يسلون (الزَّكَاةَ) وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ) يعلمونها بالاستدلال ، وأعيد هم لما فصل بينه وبين الخبر (إِنَّ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ زَيَّنَّا لَهُمْ أَعْمَالَهُمْ) القبيحة بتركيب الشهوة حتى رأوها حسنة (فَهُمْ يَعْمَهُونَ) يتحبرون فيها لقبها عندنا (أُولَئِكَ الَّذِينَ لَهُمْ سُوءُ الْعَذَابِ) أشد فى الدنيا القتل والأسر (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمُ الْأَخْسَرُونَ) لمصيرهم إلى النار المؤبدة عليهم (وَإِنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (لَتَلَذِّقُنَّ الْقُرْآنَ) أى يلقى عليك بشدة (مِنْ لَدُنْ) من عند (حَكِيمٍ عَلِيمٍ) فى ذلك . اذكر (إِذْ قَالَ مُوسَى لِأَهْلِهِ) زوجته عند مسيره من مدين إلى مصر (إِنِّي آنَسْتُ) أبصرت من بعيد (نَارًا سَاءَ تِيكُمُ مِنْهَا بِخَبِيرٍ) عن حال الطريق وكان قد ضلها (أَوْ أَتَيْتُكُمْ بِشَهَابٍ مَبْسُورٍ) بالإضافة للبيان وتركها : أى شعلة نار فى رأس فخمة أو حود (لَتَلَكَّكُمْ تَضَلُّوْنَ) والطاء بدل من تاء الافتعال من صلى بالنار بكسر اللام وضعها تستدفئون من اللهد (فَلَمَّا جَاءَهَا نُودِيَ أَنْ) أى بأن (بُورِكَ) أى بارك الله (مَنْ فِي النَّارِ) أى موسى (وَمَنْ رَوَّاهَا) أى الللائكة أو العكس ، وبارك يتعدى بنفسه وبالطرف

بعد الخاص (قوله اذكر) قدره إشارة إلى أن قوله إذ قال طرف لمحذوف . والمعنى اذكر يا محمد لقومك قصة موسى وموقعه (قوله زوجته) أى بنت شبيب أى وولده وخادمه (قوله عند مسيره من مدين) أى ليجتمع بأمه وأخيه بمصر وكان فى ليلة مظلمة باردة مثلجة وقد ضل عن الطريق وأخذ زوجته الطلق (قوله وكان قد ضلها) أى تاء عنها (قوله أوتيتكم) أو مائة خلوت تجوز الجمع (قوله أى شعلة نار) أى شعلة مقتبسة من النار فالإضافة لبيان الجنس كما قال المفسر لأن الشهاب يكون من النار وغيرها كالسكوكب (قوله بدل من تاء الافتعال) أى لأنها وقعت بعد الصاد وهى من حروف الاطباق فقلت طاء على القاعدة المعلومة (قوله بكسر اللام) أى من باب تعب وقوله وقبحها أى من باب رعى (قوله نودى) أى ناداه الله (قوله أى بأن) أشار بذلك إلى أن أن مسدرة وما بعدها فى تأويل مصدر وحرف الجزر مقدر قبلها أى نودى يركب من فى النار الخ أى بتقديره وتطهيره عما يشغل قلبه عن غير الله وتخليصه للنبوة والرسالة : أى ناداه الله بأننا قدسناك وطهرناك واختارناك للرسالة كما تقدم فى طه حيث قال وأنا اخترتك الخ (قوله من فى النار) هو نائب فاعل بورك وهذا محبة لموسى وتكرمة له (قوله أو العكس) أى تفسر من الأولى بالللائكة والثانية بموسى ، وعلى هذا التفسير فلا يحتاج لتقدير مضاف (قوله يتعدى بنفسه) أى فيقال باركك الله (قوله وبالطرف) أى اللام وفى وعلى .

(قوله ويقدر بعد في مكان) أي على التفسير الأول فيقل أن يورك من في مكان النار ، وإنما احتج لهذا التقدير لأن موسى إذ ذاك لم يكن في النار حقيقة بل كان في المكان القريب منها (قوله من جملة ما نودى) أي أتى به وإنما أتى بالتزوية هنا لدفع ما يتوهم أن الكلام الذي سمعه في ذلك المكان بحرف وصوت أو كون الله في مكان أوجهة (قوله وأنتي عصاك) لم يقل هنا وأن كفاي القصص لأنه هنا ذكر بعد أن فعل حسن عطف أنتي عليه وما يأتي لم يذكر قصد عطف وأن أنتي على قوله أن ياموسى إلى أنا الله (قوله تهتز) حال من ضمير رآها (قوله حية خفيفة) أي في سرعة الحركة فلا ينافي عظم جثتها (قوله يرجع) أي لم يرجع على عقبه (قوله لا تخف منها) أي لأنك في حضرتي ومن كان فيها فهو آمن لا يخطر بباله خوف من شيء (قوله لكن من ظلم الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع ومن ظلم مبتدأ وقوله فأتى غفور خبره (قوله آناه) أي عمله (قوله طوق القميص) إنما لم يأمره بادخلها في كه لأنه كان عليه مدرعة صغيرة من صوف لا كم لها وقيل لها كم قصير (قوله تخرج بيضاء) جواب لقوله أدخل (قوله لها شعاع) أي لمعان وإشراق (قوله آية) أشار بذلك إلى أن في تسع آيات في عمل نصب متعلق بمحذوف حال أخرى من (١٧٦) ضمير تخرج ، وقد صرح بهذا المحذوف في سورة طه حيث قال هناك

ويقدر بعد في مكان (وَسُبُّعَلَىٰ اللَّهُ رَبَّ الْعَالَمِينَ) من جملة ما نودى ، ومعناه تزويه الله من السوء (يَا مُوسَىٰ إِنَّهُ) أي الشأن (أَنَا اللَّهُ الْكَرِيمُ الْحَكِيمُ) وَأَنْتِي عَصَاكَ فَأَلْقَاهَا فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ (تنحرك) كأنها جان (حية خفيفة) (وَلَيْ مُذْ بَرَأَ وَلَمْ يُتَّقَبْ) يرجع قال تعالى (يَا مُوسَىٰ لَا تَخَفْ) منها (إِنِّي لَا يَخَافُ لَدَيَّ) مندى (الْمُرْسَلُونَ) من حية وغيرها (إلا) لكن (مَنْ ظَلَمَ) نفسه (ثُمَّ بَدَّلْ حُسْنًا) آناه (بِمَدِّ سُوهِ) أي تاب (فَأَتَىٰ غُفُورٌ رَّحِيمٌ) أقبل التوبة وأغفر له (وَأَدْخِلْ يَدَكَ فِي جَيْبِكَ) طوق القميص (تَخْرُجُ) خلاف لونها من الأدمة (بِيَضَاءٍ مِنْ غَيْرِ سُوهِ) برص لها شعاع ينفى البصر آية (فِي تِسْعِ آيَاتٍ) مرسلاتها (إِلَىٰ فِرْعَوْنَ وَقَوْمِهِ) إِيَّاهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . فَلَمَّا جَاءَتْهُمْ آيَاتُنَا مُبْصِرَةً) أي مضيئة واضحة (قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ) بين ظاهر (وَجَحَدُوا بِهَا) أي لم يقروا (وَقَدْ اسْتَبَقْتُمُهَا أَنْفُسُهُمْ) أي تيقنوا أنها من عند الله (ظَلَمُوا وَعُكُّوا) تكبراً عن الإيمان بما جاء به موسى راجع إلى الجحد (فَانظُرْ) يا محمد (كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الْمُفْسِدِينَ) التي علمتها من إهلاكهم (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ وَسُلَيْمَانَ) ابنه (عِلْمًا) بالقضاء بين الناس ومنطق الطير وغير ذلك (وَقَالَا) شكر الله (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي فَضَّلَنَا) بالنبوة وتسخير الجن والإنس والشياطين (هَلَىٰ كَثِيرٌ مِنْ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ) .

تخرج بيضاء من غير سوء آية أخرى ، فالحن هنا حال كونها آية مندرجة في جملة الآيات التسع (قوله إلى فرعون) متعلق بما قدره المفسر وقوله إنهم كانوا الخ تحليل لذلك المقدر (قوله فلما جاءتهم آياتنا) أي جاءهم موسى بها وقوله مبصرة اسم فاعل والمراد به المفعول أطلق اسم الفاعل على المفعول إشعاراً بأنها لفرط وضوحها وإثارتها كأنها تبصر نفسها (قوله أي مضيئة) أي إضاءة معنوية

وورث

في جميعها وحسية في بعضها وهو اليد (قوله قالوا هذا) أي ما شاهدناه من الخوارق التي

أتى بها موسى (قوله واستبقتموها أنفسهم) حال من الواو في جحدوا ، ولذا قدر فيه قد (قوله أي تيقنوا الخ) أشار به إلى أن السين زائدة (قوله راجع إلى الجحد) أي على أنه علة له (قوله كيف كان عاقبة المفسدين) كيف خبر مقدم لكان وعاقبة اسمها مؤخر والجملة في محل نصب على إسقاط الخائض (قوله من إهلاكهم) أي بالإغراق على الوجه الهائل الذي هو عبرة للعالمين (قوله ولقد آتينا داود وسليمان) هو بالمد بمعنى أعطينا وهو شروع في ذكر القصة الثانية وكان لداود تسعة عشر ولداً أجملهم سليمان ، وعاش داود مائة سنة وسليمان ابنه نيفاً وخمسين سنة ، وبين داود وموسى خمس مائة سنة وتسع وستون سنة وبين سليمان ومحمد صلى الله عليه وسلم ألف وسبع مائة سنة (قوله بالقضاء بين الناس) أي وهو علم الشرائع (قوله ومنطق الطير) أي تصويته (قوله وغير ذلك) أي كتسبيح الجبال (قوله وقالوا الحمد لله) أي شكر كل منهما ربه على ما أنعم عليه به (قوله الذي فضلنا) أي أعطانا هذا الفضل العظيم (قوله وتسخير الجن والإنس الخ) ظاهره أن هذا كان لكل من داود وسليمان وهو كذلك إلا أن سليمان فاق أباه وكانت له السلطنة الظاهرة (قوله على كثير من عباده المؤمنين) أي الذين لم يؤثروا مثلاً

وهذه مزينة وهي المختص الأفضلية ، فداود وسليمان وإن أعطيا تلك الزايات فالزعم أفضل منهما لأن التفضيل من الله لا بالزوايا (قوله وورث سليمان داود) أي قام مقامه في ذلك دون سائر فيه التسعة عشر مع كون النبوة والعطايا التي مع داود مستمرة معه وليس المراد أن نبوة داود وعطاياه انتقلت منه لسليمان وصار داود بلا شيء (قوله وقال يا أيها الناس) أي قال سليمان لبني إسرائيل شكريا لله على نعمه (قوله علمنا منطق الطير) أي فهمنا الله أصوات الطير ، ولا مفهوم للطير ، بل كان الزرع والنبات يكلمه ويفهم كلامه ، ورد أن سليمان كان جالسا إذ مر به طائر يطوف فقال لجلسائه أتدرون ما يقول هذا الطائر إنه قال لي السلام عليك أيها الملك السلطان والنبى لبني إسرائيل أعطاك الله الكرامة وأظهرك على عدوك إني منطلق إلى أفراسي ثم أمرت بك الثانية ، إنه سيرجع إلينا الثانية ثم رجع فقال لهم يقول السلام عليك أيها الملك السلطان إن شئت أن تأذن لي كيما أكتسب حتى أفراسي حتى يقبوا ثم آتيتك فأفعل بي . أشئت فأخبرهم سليمان بما قال وأذن له فانطلق ، ومرت سليمان على بلبل فوق شجرة يحرك رأسه ويميل ذنبه فقال لأصحابه أتدرون ما يقول هذا البلبل قالوا لا يا نبى الله قال إنه يقول أكلت نصف ثمرة فعلى الدنيا الغناء ، ومر بهد فوق شجرة وقد نصب له صبي فخاف فقال له سليمان احذر فقال المهدد يا نبى الله هذا صبي ولا عقل له فأنا أسخر به ثم رجع سليمان فوجده قد وقع في حباله الصبي وهو في يده فقال له ما هذا قال ما رأيته حتى وقعت بها يا نبى الله قال ويحك فأنت ترى الماء تحت الأرض أما ترى الفخ فقال يا نبى الله إذ أنزل القضاء عمى البصر ، وصاح ورشان عند سليمان بن داود فقال سليمان أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول : هذا الموت وابنوا للخراب ، وصاحت فاختة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول ليت الخلق لم يخلقوا وليتهم إذ خلقوا علموا ما خلقوا له ، وصاح عنده طائوس فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول كما تدين تدان ، وصاح عنده هدهد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول إن من لا يرحم (١٧٧) لا يرحم ، وصاح عنده صرد فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه

وَوَرِثَ سُلَيْمَانُ دَاوُدَ (النبوة والعلم دون باقى أولاده) (وَقَالَ يَا أَيُّهَا النَّاسُ عَلَّمْنَا مَنَظِقَ الطَّيْرِ) أَيْ فَهَمَّ أَصْوَاتَهُ (وَأَوْتَيْنَا مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) تَوَاتَا الْأَنْبِيَاءَ وَالْمُلُوكَ (إِنْ هَذَا) الْمُؤَقَّى (لَمْؤَا قَمَضُلُ الْمُبِينِ) (الْبَيْنُ الظَّاهِرُ) (وَحُسْرَى) جَمْعُ (سُلَيْمَانَ جُنُودُهُ مِنَ الْجِنِّ وَالْإِنْسِ وَالطَّيْرِ) فِي مَسِيرِهِ (فَهُمْ يُوزَعُونَ) :

يقول استغفروا الله يا مذنبون فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله ، وقبل إن الصرد هو الذى دل آدم

على مكان البيت ، ولذلك يقال له الصرد الصرام ، وصاحت عنده طيطرجى فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول كل حي ميت وكل جديد بال ، وصاحت عنده خطافة فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول قدموا خيرا تجدوه فمن ثم نهى رسول الله صلى الله عليه وسلم عن قتله . وقيل إن آدم خرج من الجنة فاشتكى إلى الله تعالى الوحشة فأنساه الله الحطاف وأزعمها البيوت فهي لا تفارق بني آدم أنسألم ، قال ومعها أربع آيات من كتاب الله لو أنزلنا هذا القرآن على جبل إلى آخرها وتعد صوتها بقوله العزيز الحكيم . وهدرت حمامة عند سليمان فقال أتدرون ما تقول قالوا لا قال إنها تقول سبحان ربى الأعلى عدد ما فى السموات والأرض ، وصاح قرى عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول سبحان ربى العظيم للهيمن ، قال كعب وحدثهم سليمان فقال الغراب يقول اللهم العن المثار ، والحدأ يقول كل شيء هالك إلا وجهه ، والقطة تقول من سكت سلم ، والبغاء تقول ويل لمن الدنيا همه ، والضفدع تقول سبحان ربى القدوس ، والبارزى يقول سبحان ربى وبحمده ، والسرطان يقول سبحان المذكور بكل مكان ، وصاح دراج عند سليمان فقال أتدرون ما يقول قالوا لا قال إنه يقول الرحمن على العرش استوى ، وقال النبى صلى الله عليه وسلم «الديك إذا صاح قال اذكروا الله يا غافلون» وقال النبى صلى الله عليه وسلم «النسر إذا صاح قال يا ابن آدم عش ما شئت فأخرك الموت» وإذا صاح العقاب قال فى البعد من الناس راحة ، وإذا صاح القنبر قال إلهى العن مبغض آل محمد ، وإذا صاح الحطاف قال الحمد لله رب العالمين إلى آخرها فيقول ولا الضالين فيمدها صوته كما يمد القارىء (قوله وأوتينا من كل شيء) قال ذلك تحذيرا بنعمة الله وشكرا على ما أعطاه (قوله وحشر لسليمان جنوده من الجن والإنس) أى من الأماكن البعيدة وكان له نقيب ترد أول العسكر على آخره ثلاثا يتقدموا فى السيرة قال محمد بن كعب القرظى كان عسكر سليمان عليه السلام مائة فرسخ فى مائة فرسخ خمسة وعشرون منها للإنس وخمسة وعشرون للجن وخمسة وعشرون للطير وقبل نسجت له الجن بساطا من ذهب وحرير فرسخا فى فرسخ وكان يوضع كرسيه

في وسطه فتعد وحوله كرامى من ذهب وفضة فيقعد الأنبياء على كراسى الذهب والفضة والناس حوله والجن والشياطين حول الناس والوحش حولهم وتظللهم الطير بأجنحتها حتى لا يقع عليه شمس وكان له ألف بيت من قولير على الخشب فيها ثلثمائة منسكحة بنى حرة وسبعمائة سرية فيأمر الريح العاصف فترفعه ثم يأمر الرخاء ففسره به ، وروى عن كعب الأحبار أنه قال كان سليمان إذا ركب حمل أهله وخدمه وحشمه ، وقد اتخذ مطابخ ومخازن فيها تنانير الحديد والقصور النظام تسع كل قدر عشرة من الابل فتطبخ الطباخون وتخبز الخبازون وهو بين السماء والأرض ، واتخذ ميسادين للدواب فتجري بين يديه والريح تهوى فسار من إصطخر يريد اليمن فسلك على مدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فلما وصل إليها قال سليمان : هذه دار هجرة نبي يكون آخر الزمان طوبى لمن آمن به وطوبى لمن اتبعه ، ولما وصل مكة رأى حول البيت أصناما تعبد لجأوزه سليمان فلما جاوزه بكى البيت فأوحى الله إليه مايبكيك قال يارب أباكأنى أن هذا نبي من أنبيائك ومعه قوم من أوليائك مروا على ولم يصلوا عندى والأصنام تعبد حولى من دونك فأوحى الله إليه لاتبك فأتى سوف أملاك وجوها سجدا وأنزل فيك قرآنا جديدا وأبث منك نبيا في آخر الزمان أحب أنبيائي إلى وأجعل فيك عمارا من خلقي يعبدوننى أفرض عليهم فريضة يحضون إليك حينئذ الناقة إلى ولدها والحمامة إلى بيضها وأطهرك من الأوثان والأصنام وعبدية الشيطان ، ثم مضى سليمان حتى مر برادى النمل (قوله يجمعون ثم يساقون) أى ينعنون من التقديس حتى يجتمعوا ثم يؤمرون بالسير (قوله حتى إذا أتوا) غاية المحذوف أى فساروا مشاة على الأرض وركبانا حتى إذا أتوا الخ (قوله نمل صغار) أى وهو المعروف وقوله أو كبار أى كالبعثات أو الدباب (قوله قالت نملة) قيل اسمها طاحية ، وقيل جرى حكي الزمخشري عن أبى حنيفة رضى الله عنه أنه وقف على قتادة وهو يقول سلونى فأمر أبو حنيفة شخصا سأل قتادة عن نملة سليمان هل كانت ذكرا أو أنثى فلم يجب فقيل لأبى حنيفة فى ذلك فقيل كانت أنثى واستدل بلحاق (١٧٨) العلامة ، قال بعضهم : وفيه نظر لأن لحاق التاء فى قالت لا يبدل على أنها

مؤنثة لأن تاء للوحدة
لالتأنيث وحينئذ فيصح
أن يقال قال نملة وقالت
نملة ، وما استدلل به أبو حنيفة

يجمعون ثم يساقون (حتى إذا أتوا على واد النمل) هو بالطائف أو بالشام نملة صغار أو كبار
(قالت نملة) ملكة النمل وقد رأت جند سليمان (يا أيها النمل اذخلوا مساكنكم ،

لا

يفيد الظن لا التحقيق (قوله وقد رأت جند سليمان) أى من ثلاثة أميال بدليل قوله
الآتى وقد سمع من ثلاثة أميال (قوله يا أيها النمل الخ) اشتمل هذا القول على أحد عشر نوعا من البلاغة ، أولها النداء بيا
ثانيها لفظ أى . ثالثها التنبيه . رابعها التسمية بقولها النمل . خامسها الأمر بقولها ادخلوها . سادسها التنصيص بقولها
مساكنكم . سابعها التحذير بقولها لا يحطمنكم . ثامنها التخصيص بقولها سليمان . تاسعها التعميم بقولها وجنوده . عاشرها
الإشارة بقولها وم . حادى عشرها العنبر بقولها لا يشعرون ، وكانت تلك النملة عرجاء ذات جناحين ، وهى من جملة الحيوانات
الهمزة التى تدخل الجنة ، وهى براق رسول الله صلى الله عليه وسلم وهدد بلقيس ونملة سليمان وعجل إبراهيم وكبش ولده وبقرة
بنى إسرائيل وكتب أهل الكهف وحمار العزيز وناقة صالح وحوت يونس روى أن سليمان قال لها لم حذرت النمل أخفت من
ظلمى أما علمت أتى نبي عدل فلم قلت لا يحطمنكم سليمان وجنوده فقالت النملة أما سمعت قولى وهم لا يشعرون مع أتى لم أرد
حطم النفوس وإنما أردت حطم القلوب خشية أن يمتنن مثل ما أعطيت ويفتن بالدنيا ويستغل بالنظر إلى ملكك عن
التسبيح والذكر ، فلما تكلمت مع سليمان مضت مسرعة إلى قومها فقالت هل عندكم من شئ يهديه إلى نبي الله قالوا وما قدر
مانهدي له والله ما عندنا إلا ناقة واحدة فقالت حسنة ائتوني بها فأتوها بها فحماها فيها وانطلقت تجرها وأمر الريح فحماها
وأقبلت تشق الجن والناس والعلماء والأنبياء على البساط حتى وقفت بين يديه ووضعت تلك الناقة من فيها فى فيه وأنشأت تقول :

ألم ترنا نهدي إلى الله ماله وإن كان عنه ذاغنى فهو قابله
ولو كان يهدي للجليل بقدرة لأقصر عنه البحر يوما وساحله
ولسكننا نهدي إلى من نتجبه فيرضى بها عنا ويشكر قاعله
وما ذاك إلا من حكرهم فماله وإلا فما فى ملكنا من يشاكله

فقال لها : بارك الله فيهم ، فهم بتلك الدعوة أشكر خلق الله وأكثر خلق الله . والنمل حيوان معروف شديده

الاحساس والشم حتى أنه يشم الشيء من بعيد ويدخر قوته ، ومن شدة إدراكه أنه يفاق الحبة فلتقين خوفا من الانطواء ويقاق حبة الكزبرة أربع فلق لأنها إذا فلتقت فلتقين نبتت ، ويأكل في عامه نصف ما جمع ويستبقى باقية عدة (قوله لا يحطمنكم) فيه وجهان أحدهما أنه نهى والثاني أنه جواب الأمر (قوله وهم لا يشعرون) جملة حالية (قوله فتبسم ضاحكا) مفرع على محذوف تقديره فسمع قولها للذكور فتبسم ، وكان سبب ضحكك شيئين أحدهما ما دل على ظهور رحمته ورحمة جنوده وشفتهم من قولها وهم لا يشعرون الثاني سروره بما آتاه الله مالم يؤت أحدا من إدراك سمع ما قالته الجملة (قوله ابتداء الخ) أى فالتبسم افتتاح الفم من غير صوت والضحك افتتاحه مع صوت خفيف والقهقهة افتتاحه مع صوت قوى . وهي لا تكون من الأنبياء (قوله وعلى السير) أى في خصوص سيره على وادى النمل وكان هو وجنوده في غير هذا المكان راكبين على البساط وتسيرهم الريح (قوله وعلى والدي) إنما ذكر نعمة والديه تذكيرا للنعمة ليزداد في الشكر عليها (قوله في عبادك الصالحين) على حذف مضاف أى في جملة عبادك ، أو بمعنى مع والراد الكاملون في الصلاح لأن الصلاح مقول بالتشكيك لما من مقام إلا وفوقه أعلى منه والكامل يقبل الكمال (قوله وتفقد الطير) شروع في القصة الثالثة والمعنى نظر في الطير فلم ير المدهد ، وكان سبب سؤاله عن المدهد أنه كان دليل سليمان على الماء وكان (١٧٩) يعرف موضع الماء ويرى

الماء تحت الأرض كما يرى في الزجاجة ويعرف قربه وبعده فينقر في الأرض ثم تجيء الشياطين فيحفرون ويستخرجون الماء في ساعة يسيرة ، قيل لما ذكر ذلك ابن عباس قيل له إن الصبي يضع له غشا ويحنو عليه التراب فيجىء المدهد وهو لا يبصر الفسخ حتى يقع في عنقه فقال ابن عباس إذا نزل القضاء والقدر ذهب اللب وعمى البصر قيل ولم يكن له في مسيره

لَا يَحْطِمَنَّكُمْ) لَا يَكْسِرُنَكُمْ (سُلَيْمَانُ وَجُنُودُهُ وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) نَزَلَ النَّمْلُ مَنْزِلَةً الْعَقْلَاءُ فِي الْخُطَابِ بِخُطَابِهِمْ (فَتَبَسَّمَ) سُلَيْمَانُ ابْتِدَاءً (ضَاحِكًا) انْتِهَاءً (مِنْ قَوْلِهَا) وَقَدْ سَمِعَهُ مِنْ ثَلَاثَةِ أَمْيَالٍ حَمَلَتْهُ إِلَيْهِ الرِّيحُ فَخَسَّ جَنْدَهُ حِينَ أَشْرَفَ عَلَى وَادِيهِمْ حَتَّى دَخَلُوا بَيْوتَهُمْ وَكَانَ جَنْدَهُ رُكْبَانًا وَمِشَاةً فِي هَذَا السَّيْرِ (وَقَالَ رَبِّ أَوْزِعْنِي) أَلْهِنِي (أَنْ أَشْكُرَ نِعْمَتَكَ الَّتِي أَنْعَمْتَ) بِهَا (عَلَيَّ وَعَلَى وَالِدَيَّ وَأَنْ أَعْمَلَ صَالِحًا تَرْضَاهُ وَأَذِخْنِي مِنْ رَحْمَتِكَ فِي عِبَادِكَ الصَّالِحِينَ) الْأَنْبِيَاءُ وَالْأَوْلِيَاءُ (وَتَفَقَّدَ الطَّيْرَ) أَيْ الْمَدَّهْدَ الَّذِي يَرَى الْمَاءَ تَحْتَ الْأَرْضِ وَيَدُلُّ عَلَيْهِ بِنَقَرِهِ فِيهَا فَتَسْتَخْرِجُهُ الشَّيَاطِينُ لِحَاجَتِهَا إِلَى الْمَاءِ لِلصَّلَاةِ فَلَمْ يَرَهُ (وَقَالَ مَا لِي لَا أَرَى الْمَدَّهْدَ) أَيْ أَعْرَضَ لِي مَا مَعْنَى مِنْ رُؤْيَاهُ ؟ (أَمْ كَانَ مِنَ الْغَائِبِينَ) فَلَمْ أَرَهُ لِنَفْسِي ، فَلَمَّا تَحَقَّقَهَا قَالَ (لَا أَعَذَّبُهُ عَذَابًا) تَعْذِيْبًا (شَدِيدًا) بِنَفْسِ رِيْشِهِ وَذَنَبِهِ وَرُمِيهِ فِي الشَّمْسِ فَلَا يَمْتَنِعُ مِنَ الْهَوَامِّ (أَوْ لَا ذُبْحَنَهُ) بِقَطْعِ حَلْقُومِهِ (أَوْ لِيَأْتِيَنِي) بِنُونٍ مُشَدَّدَةٍ مَكْسُورَةٍ أَوْ مُفْتَرَحَةٍ يَلِيهَا نُونٌ مَكْسُورَةٌ (بِسُلْطَانٍ مُبِينٍ) يَبْرَهُانَ بَيْنَ ظَاهِرٍ عَلَى عَذَرِهِ ،

إلا هدهد واحد (قوله فتستخرجه الشياطين) أى بأن تسليخ وجه الأرض عن الماء كما تسليخ النملة (قوله ما لي لا أرى المدهد) استفهام استخبار (قوله أم كان من الغائبين) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة كأنه لما لم يره ظن أنه حاضر ولا يراه لساتر أو غيره فقال ما لي لا أرى المدهد ثم احتاط فظهر له أنه غائب فأضرب عن ذلك وهو إضراب اتقالي (قوله لأعذبه عذابا شديدا) الحلف على أحد الأولين بتقدير عدم الثالث فأو بين السكنتين الأوليين للتخيير وفي الثالث للترديد بينه وبينها فهي في الأخير بمعنى إلا (قوله بئس ريشه) هذا أحد أقوال في معنى التعذيب ، وقيل هو أن يحشره مع غير أبناء جنسه ، وقيل هو أن يطلى بالقطران ويوضع في الشمس (قوله بنون مشدة الخ) أى والقراءتان سبعيتان (قوله بسطان ميين) أى حجة ظاهرة على غيبتها ، والسبب في عيبة المدهد أن سليمان عليه السلام لما فرغ من بناء بيت المقدس عزم على الخروج إلى أرض الحرم فتجهز للسير واستصحب جنوده من الجن والإنس والطير والوحش فماتهم الريح ، فلما وافى الحرم أقام ماشاء الله أن يقيم أى من غير صلاة بالكعبة كراهة في الأصنام ولم يكن مأمورا بتكسيهها فاندفع التعارض بين ما هنا وما تقدم ، وكان ينحرف في كل يوم طول بقمته خمسة آلاف ناقة وبذبح خمسة آلاف نور وعشرين ألف شاة ، وقال لمن حضره من أشرف قومه إن هذا المكان يخرج منه نبي عربي صفته كذا وكذا ويعطى النصر على جميع من عاذه وتبلغ هيئته مسافة شهر القريب والبعيد عنده

في الحق سواء لاتأخذه في الله لومة لائم قالوا يا بني الله قال بدين الله الخبيفة فطوى لمن أدركه وآمن به قالوا كم بيننا وبين خروجه يا بني الله ؟ قال مقدرا ألف سنة فليبلغ الشاهد الغائب فانه سيد الأنبياء وخاتم الرسل قال فأقام بمكة حتى قضى نسكه ، ثم خرج من مكة صباحا وسار نحو اليمن فوالى صنعاء وقت الزوال وذلك مسيرة شهر فرأى أرضا حسناء ترهو خضرتها فأحب النزول بها ليصلى ويتغدى ، فلما نزل قال المدهد قد اشتغل سليمان بالنزول فارتفع نحو السماء ينظر إلى طول الدنيا وعرضها ففعل ذلك فبينما هو ينظر يمينا وشمالا رأى بستانا بلقيس تنزل إليه فإذا هو بهدهد آخر وكان اسم هدهد سليمان يعفور وهدهد اليمن غفير فقال غفير ليغفور من أين أقبلت ؟ قال أقبلت من الشام مع صاحبي سليمان بن داود قال ومن سليمان ؟ قال ملك الانس والجن والشياطين والطير والوحش والرياح فمن أين أنت قال غفير أنا من هذه البلاد قال ومن ملكها قال امرأة يقال لها بلقيس وإن لصاحبك ملكا عظيما ولكن ليس ملك بلقيس دونه فانها تلك اليمن وتحت يدها أربع بعثة ملك كل ملك على كورة مع كل ملك أربع آلاف مقاتل ولها ثلثمائة وزير يدرون ملكها ولها اثنا عشر قائدا مع كل قائد اثنا عشر ألف مقاتل فهل أنت منطلق متى حتى تنظر إلى ملكها قال أخاف أن يتفقدني سليمان في وقت الصلاة إذا احتاج الماء قال المدهد العجاني إن صاحبك يسره أن تأتيه بخبر هذه الملكة فانطلق معه ونظر إلى بلقيس وملكها . وأما سليمان فإنه نزل على غير ماء فسأل عن الماء الجن والانس فلم يعلموا فتفقد المدهد فلم يره فدعا بعريف الطير وهو النسر فسأله عن المدهد فقال أصلح الله الملك ما أدرى أين هو وما أرسلته إلى مكان ، فغضب سليمان وقال لأعذبه عذابا شديدا الآية ، ثم دعا بالعقاب وهو أشد الطير طيرانا فقال له على بالمدهد الساعة فارضع العقاب في الهواء حتى نظر إلى الدنيا كالقصعة بين يدي أحدكم ثم التفت يمينا وشمالا فرأى المدهد (١٨٠) مقبلا من نحو اليمن فاقضى العقاب بريدته وعلم المدهد أن العقاب يقصده بسوء ، فقال بحق الذي قواك وأندرك على إلا مارحتني ولم تعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويلك نكثت أملك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك

(فَكَثَّ) بضم الكاف وفتحها (غَيْرَ بَعِيدٍ) أى يسيرا من الزمان وحضر لسليمان متواضعا برفع رأسه وإرخاء ذنبه وجناحيه ففأخذه وسأله عما لقي في غيبته (فَقَالَ أَحَطْتُ بِمَا لَمْ تَحِطْ بِهِ) أى اطلمت على ما لم تطلع عليه (وَجِئْتُكَ مِنْ سَبَإٍ) بالصرف وتركه ، قبيلة باليمن سميت باسم جد لهم باعتباره صرف (بِقَبَا) خبر (يَقِينٍ . لَأَنِّي وَجَدْتُ أَمْرًا تَمْلِكُهُمْ) أى هي ملكة لهم اسمها بلقيس ،

يقصده بسوء ، فقال بحق الذي قواك وأندرك على إلا مارحتني ولم تعرض لي بسوء فتركه العقاب وقال ويلك نكثت أملك إن نبي الله قد حلف أن يعذبك أو يذبحك

(وأوتيت

فصارا متوجهين نحو سليمان عليه السلام ، فلما انتهيا إلى العسكر

تلقاه النسر والطير وقال له ويلك أين غبت في يومك هذا فلقد توعدتك نبي الله وأخبراه بما قال سليمان ، فقال المدهد أو ما استثنى نبي الله فقالوا بلى إنه قال أو ليأتيني بسلطان مبين فقال نجوت إذا وكانت غيبته من الزوال ولم يرجع إلا بفقد العصر فانطأق به العقاب حتى أتيا سليمان وكان قاعدا على كرسيه فقال العقاب قد أتيتك به يا بني الله فلما قرب منه المدهد رفع رأسه وأرخى ذنبه وجناحيه يجرحها على الأرض تواضعا لسليمان عليه الصلاة والسلام ، فلما دنا منه أخذ برأسه فدهه إليه وقال له أين كنت لا أعذبتك عذابا شديدا فقال يا بني الله اذكر وقوفك بين يدي الله عز وجل ، فلما سمع سليمان عابه الصلاة والسلام ذلك ارتعد وعفا عنه ثم سأله ما الذي أبطأك عني فقال المدهد أحطت بما لم تحط به إلى آخره (قوله فكث) أى المدهد (قوله بضم الكاف وفتحها) أى فهما قراءتان سبعيتان والأول من باب قوب والثاني من باب نصر (قوله أى يسيرا من الزمان) أى وهو من الزوال إلى العصر (قوله ففأخذه) أى من أول الأمر قبل أن يذكر العذر (قوله وسأله عما لقي في غيبته) قدره إشارة إلى أن قوله فقال أحطت الخ مفرع على محذوف (قوله فقال أحطت بما لم تحط به) أى علمت ما لم تعلمه أنت ولا جنودك ، وفي هذا تنبيه على أن الله تعالى أرى سليمان عجزه لكونه لم يعلم ذلك مع كون للسافة قريبة وهي ثلاث مراحل (قوله بالصرف وتركه) أى فهما قراءتان سبعيتان فالصرف نظرا إلى أنه اسم رجل وتركه نظرا إلى أنه اسم القبيلة العلمية والتأنيث (قوله اسمها بلقيس) بالكسرة فتشراحيل من نسل يعرب بن قحطان وكان أبوها ملكا عظيم الشأن قد ولد له أربعون ملكا هي آخرهم وكان الملك يملك أرض اليمن كلها يقول للملوك الأطراف ليس أحد منكم كفؤا لي وأبى أن يتزوج منهم فخطب إلى اليمن فزوجوه امرأة منهم يقال لها ريمحانة بنت السعكن ، قيل في سبب وصوله إلى اليمن حتى خطب إليهم إنه

كان كثير الصييد فربما اصطاد من الجن وهم على صورة الظباء فيخلى عنهم فظهر له ملك الجن وشكره على ذلك وانخذه صديقا فخطب ابنته فزوجه إياها (قوله وأوتيت من كل شيء) عطف على قوله تملكهم لانه بمعنى ملكهم . قال ابن عباس كان يخدمها ستمائة امرأة (قوله يحتاج إليه الملوك) أشار بذلك إلى أن قوله من كل شيء عام أريد به الخصوص (قوله ولها عرش عظيم) أى تجلس عليه أو وصفه بالعظم بالنسبة إلى ملوك الدنيا ، وأما وصف عرش الله بالعظم فهو بالنسبة إلى جميع المخلوقات من السموات والأرض وما بينهما فحصل الفرق (قوله طولها ثمانون ذراعا الخ) وقيل طولها ثمانون وعرضه كذلك وارتفاعه في الهواء كذلك (قوله عليه سبعة أبواب) صوابه أبيات بدليل قوله على كل بيت باب مغلق (قوله يسجدون للشمس) أى فهم محبوس (قوله فهم لا يهتدون أن لا يسجدوا لله الخ) ذكر ذلك ردا على من يعبد الشمس وغيرها من دون الله لانه لا يستحق العبادة إلا من هو قادر على من في السموات والأرض عالم بجميع العلوم (قوله أى أن يسجدوا له) أشار بذلك إلى أنه على هذه القراءة تكون أن ناصبة ولا زائدة ويسجدوا فعل مضارع منصوب بأن وعلامة نصبه حذف النون والواو فاعل ، وعليها فلا يجوز الوقف على (١٨١) يهتدون لانه من تمته كأنه

قال فهم لا يهتدون إلى أن يسجدوا الخ وقرأ الكسائي بتخفيف الاء وتوجيهها أن يقال إن الاء للاقتناع ويأحرف تنبيه واسجدوا فعل أمر لكن سقطت ألف يا وهمزة الوصل من اسجدوا خطأ ووصلت الياء بسين اسجدوا فأتحدت القراءة نانا لفظا وخطا ، وهناك وجه آخر في هذه القراءة وهو أن يأحرف نداء والنادى محذوف والتقدير ألا يا هؤلاء وهو ضعيف لئلا يؤدي إلى حذف كثير من غير ما يدل

(وَأُوتِيتُ مِنْ كُلِّ شَيْءٍ) يحتاج إليه الملوك من الآلة والعدة (وَلَهَا عَرْشٌ عَظِيمٌ) طولها ثمانون ذراعا وعرضه أربعون ذراعا وارتفاعه ثلاثون ذراعا مضروب من الذهب والفضة مكلل بالدر والياقوت الأحمر والزرجد الأخضر والزمرد وقوامه من الياقوت الأحمر والزرجد الأخضر والزمرد عليه سبعة أبواب على كل بيت باب مغلق (وَجَدْتُهَا وَقَوْمَهَا يَسْجُدُونَ لِلشَّمْسِ مِنْ دُونِ اللَّهِ وَزَيَّنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) طريق الحق (فَهُمْ لَا يَهْتَدُونَ . أَلَا يَسْجُدُوا لِلَّهِ) أى أن يسجدوا له فزيدت لا وأدغم فيها نون أن كما في قوله تعالى : لئلا يعلم أهل الكتاب ، والجملة في محل مفعول يهتدون باسقاط إلى (الَّذِي يُخْرِجُ الْخَبْءَ) مصدر بمعنى الخبوء من المطر والنبات (فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَيَعْلَمُ مَا تُخْفُونَ) في قلوبهم (وَمَا يُعْلِنُونَ) بالسهم (اللَّهُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ رَبُّ الْعَرْشِ الْعَظِيمِ) استئناف جملة ثناء مشتمل على عرش الرحمن في مقابلة عرش بلقيس وبينهما بون عظيم (قَالَ) سليمان للهدهد (سَنَنْظُرُ أَصَدَقْتَ) فيما أخبرتنا به (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ) أى من هذا النوع فهو أبلغ من أم كذبت فيه ثم دله على الماء فاستخرج وارثوا وتوضوا وصلوا ثم كتب سليمان كتابا بصورته « من عبد الله سليمان بن داود إلى بلقيس ملكة سبأ : بسم الله الرحمن الرحيم السلام على من اتبع الهدى أما بعد ،

على المحذوف (قوله من المطر والنبات) لف ونشر مرتب فالمرتب هو الخبوء في السموات والنبات هو الخبوء في الأرض (قوله الله لا إله إلا هو رب العرش العظيم) اعلم أن ما ذكره الهدهد من قوله الذي يخرج الخبء إلى هنا إنما هو بيان حقيقة عقيدته وعلومه التي اقتبسها من سليمان وليس داخل تحت قوله أحطت بما لم تحط به ، وإنما ذكر الهدهد ذلك ليغري سليمان على قتالهم وليبين أنه لم يكن عنده ميل لهم بل إنما غرضه وصف ملكها (قوله وبينهما بون) أى فصل ومزية (قوله قال سننظر) هذه الجملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره فإذا قال سليمان للهدهد حين أخبره بالخبر (قوله فهو أبلغ من أم كذبت) أى لانه يفيد أنه إن كان كاذبا في هذه الحادثة كان معدودا من الكاذبين ومحسوبا منهم ، والكذب له عادة ، وليست فلتة يعنى عنه فيها ، لأن الكذب على الأنبياء أمر عظيم (قوله من عبد الله) خص هذا الوصف لانه أشرف الأوصاف وقدم اسمه على البسملة لانها كانت في ذلك الوقت كافرة فخاف أن تنتهض باسم الله فجعل اسمه وقاية لاسم الله تعالى (قوله السلام على من اتبع الهدى) أى أمان الله على من اتبع طريق الحق وترك الضلال .

(قوله فلا تملأوا على) أي لا تكبروا (قوله مسفين) أي متفادين لدين الله ، وفي هذا الخطاب إشعار بأنه رسول من عند الله يدعوهم إلى دين الله وليس مطلق سلطان وإلا لقال واتوني طامعين (قوله ثم طبعه بالمسك) أي جعل عليه قطعة مسك كالشمع (قوله فألقه إليهم) إما بسكون الماء أو كسرهما من غير إشباع أو بإشباع ثلاث قرات سبعيات (قوله ماذا يرجعون) إن جعل انظر بمعنى انتظر فإذا بمعنى الذي ويرجعون صلته والمائد محذوف ويكون مفعول يرجعون ، والني انتظر الذي يرجعونه وإن جعل بمعنى تأمل وتفكر كانت الاستفهامية وإذا بمعنى الذي ويرجعون صلته والمائد محذوف والتقدير أي شيء الذي يرجعونه والموصول هو خبر ما الاستفهامية أو ماذا سألها اسم واحد مفعول ليرجعون تقديره أي شيء يرجعون (قوله من الجواب) بيان لما (قوله وأناها وحولها جندها الخ) وقيل أنها فوجدها نائمة وقد غلقت الأبواب ووضعت للفاتيح تحت رأسها وكذلك كانت تفعل إذا رقدت فألقى الكتاب على نحوها ، وقيل كانت لها كوة مستقبلة الشمس تقع فيها حين تطاع فإذا نظرت إليها سجدت لها فجاء المدهد (١٨٢) فسدت الكوة بجناحيه فارتفعت الشمس ولم تعلم فلما استبطأت الشمس

قامت تنظر فرمى بالصحيفة إليها (قوله فلما رآته ارتعدت) أي حين وجدت الكتاب عثوما ارتعدت لأن ملك سليمان كان في خاتمه وعرفت أن الذي أرسل الكتاب أعظم ملكا منها فقرأت الكتاب وتأخر المدهد غير بعيد وجاءت حتى قعدت على سرير ملكها وجمعت أشراف قومها (قوله قلبها واوا مكسورة) للناسب أن يقول وتسهيل الثانية بين الهمزة والياء أو قلبها واوا الخ فالقراآت ثلاث سبعيات (قوله إني ألقى إلى الخ) لم

فلا تملأوا على واتوني مسلمين ثم طبعه بالمسك وختمه بخاتمه ثم قال للمدهد (أذهب بكتابي هذا فألقه إليهم) أي بليس وقومها (ثم قول) انصرف (عنهم) وقف قريبا منهم (فانظر ماذا يرجعون) يردون من الجواب فأخذه وأناها وحولها جندها وألقاه في حجرها فلما رآته ارتعدت وخضت خوفا ثم وقفت على مافيه ثم (قالت) لأشراف قومها (يا أيها الملأ إني) بتحقيق المميزين وتسهيل الثانية قلبها واوا مكسورة (ألقى إلى كتاب كريم) مختم (إنه من سليمان وإنه) أي مضمونه (بسم الله الرحمن الرحيم) (أ) ن (لا تملأوا على واتوني مسلمين) قالت يا أيها الملأ أفتروني بتحقيق المميزين وتسهيل الثانية قلبها واوا : أي أشعروا على (في أمرى ما كنت قاطعة أمرا) قاضيته (حتى تشهدون) تحضرون (قالوا نحن أولوا قوة وأولوا بأس شديد) أي أصحاب شدة في الحرب (والأمر إليك فانظري ماذا تأمرين) لنا نطعمك (قالت إن الملوك إذا دخلوا قرية أفسدوها) بالتحريب (وجعلوا أعزة أهلها أذلة وكذلك يفعلون) أي مرسلو الكتاب (وإني مرسلة إليهم بهدية فنادية بمرجع المرسلون) من قبول الهدية أو ردّها إن كان ملكا قبلها أو نبيا لم يقبلها فأرسلت خدما ذكورا وإناثا ألفا بالسوية وخمسةائة لبنة من الذهب وتاجا مكللا بالجرار ومسكا وعبرا وغير ذلك مع رسول بكتاب ، فأسرع المدهد إلى سليمان يخبره الخبر .

فأمر

فذكر صورة الكتاب بل اقتصرت على مافيه القائدة لشدة معرفتها وبلاغة لفظها

(قوله كريم) أي مكرم معظم (قوله مختم) أي لأن الكتاب المختم يشعر بالاعتناء بالمرسل إليه لما ورد من كتب إلى أخيه كتابا ولم يختمه فقد استخف به (قوله إنه من سليمان) جملة مستأنفة وقعت جوابا لسؤال مقتر تقديره ماذا مضمونه (قوله قالت يا أيها الملأ) أي الأشراف ، مما بذلك لأنهم يملئون العين بمباهتهم وكانوا ثلثائة واثنى عشر لكل واحد منهم عشرة آلاف من الأنبايع (قوله ما كنت قاطعة أمرا) أي إن عادتي معكم لأنزل أمرا حتى أشاوركم (قوله نحن أولوا قوة الخ) استفيد من ذلك أنهم أشاروا عايبا بالقتال أولاهم ردوا الأمر إليها (قوله نطعمك) مجزوم في جواب الأمر (قوله قالت إن الملوك الخ) أي فلم رض بالحرب الذي أشاروا عليها به بل اختارت الصلح وبينت سببه (قوله إذا دخلوا قرية) أي عنوة (قوله بمرجع نرسلون) أي منتظرة رجوع الرسل وعودهم إلى (قوله إن كان ملكا قبلها) أي قائلناه (قوله أو نبيا لم يقبلها) أي واتبعناه ، لأنها كانت لبيبة عاقلة تعرف سياسة الأمور (قوله ألفا بالسوية) أي خمسةائة ذكر وخمسةائة أنثى .

(قوله فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة) أي كما يضرب الطين (قوله وأن تبسط من موضعه) أي توضع في الأرض كالبلاط (قوله إلى تسعة فراسخ) أي وهو مسير قيرم وعن يوم (قوله وأن يبنوا) أي الجن (قوله عن يمين الديدان وشماله) أي وقصد بذلك إظهار البأس والشدة . وحاصل تفصيل تلك القصة أن بلقيس همدت إلى خسيانة غلام وخسيانة جارية فألبست الجوارى لباس النملان الأقيية والنطاق وألبست النملان لباس الجوارى وجعلت في أيديهم أساور الذهب وفي أعناقهم أطواق الذهب وفي آذانهم أقراطه وشنوقا مرصعات بأنواع الجواهر وحمت الجوارى على خسيانة فرس والنملان على خسيانة بردون على كل فرس مرج من ذهب مرصع بالجواهر وأفضية الديباج ، وبعت إليه لبنات من ذهب ولبنات من فضة وقابجا مكلا بالبر والياقوت وأرسلت بالمسك والعنبر والعود ، وهمدت إلى حقة جعلت فيها درة ثمينة غير مثقوبة وخرزة جزع معوجة الثقب ودعت رجلا من عشارف قريش يقال له المنذر بن عمرو وضمت إليه رجلا من قومها أصحاب عقل ورأى شديد وكتبت مع المنذر كتابا تذكر فيه الهدية وقالت إن كنت نبيا لفيز الوصفاء والإصاف وأخبرنا بما في الحقة قبل أن تفتحها واتعب العشرة تعباً مستويا وأدخل في الحرز خيطا من غير علاج إنس ولا جن ، وأمرت بلقيس النملان فقالت إذا كلمكم سليمان فكلّموه بكلام فيه تأنيث وتحيث يشبه كلام النساء ، وأمرت الجوارى أن يكلمنه بكلام فيه غلظة يشبه كلام الرجال ، ثم قالت للرسول انظر إلى الرجل إذا دخلت عليه فإن نظر إليك نظرا فيه غضب فاعلم أنه ملك فلا يهولنك منظره فأنا أهزّ منه وإن رأيت الرجل هاشا باشا لطيفا فاعلم أنه نبي فتفهم قوله ورد الجواب ، فانطلق الرسول بالهدايا وأقبل المهدد مسرعا إلى سليمان عليه السلام فأخبره الخبر ، فأمر سليمان الجن أن يضربوا لبنات من الذهب والفضة ، ففعلوا وأمرهم بعمل ميدان مقدار تسعة فراسخ وأن يفرش فيه لبن الذهب والفضة وأن يخاوأ قدر (١٨٣) تلك اللبنات التي معهم وأن يعملوا

حول الديدان حائطاً مشرقاً من الذهب والفضة ففعلوا ثم قال سليمان عليه السلام أيّ دواب البر والبحر والبحر أحسن ؟ فقالوا يا نبي الله رأينا في بحر

فأمر أن تضرب لبنات الذهب والفضة وأن تبسط من موضعه إلى تسعة فراسخ ميدياً وأن يبنوا حوله حائطاً مشرقاً من الذهب والفضة وأن يؤتى بأحسن دواب البر والبحر مع أولاد الجن عن يمين الديدان وشماله (فلما جاء) الرسول بالهدية ومعه أتماه (سليمان) ،

كذا دواب مختلفة ألوانها لها أجنحة وأعراف ونواص قال عليّ بها فاتوه بها فل شقوها عن يمين الديدان وشماله وقال للجن عليّ بأولادكم فاجتمع منهم خلق كثير فأقامهم على يمين الديدان وشماله ثم قعد سليمان في مجلسه على سريره ووضع أربعة آلاف كرمي على يمينه وعلى شماله وأمر الجن والأنس والشياطين والوحوش والسباع والطير فاصطفوا فراسخ عن يمينه وشماله ، فلما دنا القوم من الديدان ونظروا إلى ملك سليمان ورأوا الدواب التي لم يروا مثلها تروث على لبن الذهب والفضة تقاصرت إليهم أنفسهم ووضعوا مامعهم من الهدايا ، وقيل إن سليمان لما فرش الديدان بلبنات الذهب والفضة ترك من طريقهم موضعاً على قدر مامعهم من اللبنات ، فلما رأى الرسل موضع اللبنات خاليا خافوا أن يتهموا بذلك فوضعوا مامعهم من اللبن في ذلك الموضع ، ولما نظروا إلى الشياطين حالهم مارأوا وفرغوا فقالت لهم الشياطين جوزوا بالأس عليكم وكانوا يعمرون على كرديس الأنس والجن والوحش والطير حتى وقفوا بين يدي سليمان فأقبل عليهم بوجه طلق وتلقاهم ماق حسنا وسألهم عن حالهم فأخبره رئيس القوم بما جاءوا به وأعطاه كتاب للسلطة فنظر فيه وقال أين الخقة تأتي بها وحركها فجاءه جبريل عليه السلام فأخبره بما فيها فقال لهم إن فيها درة ثمينة غير مثقوبة وجزعة فقال الرسول صدقت فأتقب الدرة وأدخل الحيط في الجزعة فقاتل سليمان من لى بشقها وسأل الأنس والجن فلم يكن عندهم علم ذلك ثم سأل الشياطين فقالوا أرسل إلى الأرض فلما جاءت الأرض أخذت شعرة في فمها ودخلت فيها حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك ؟ قالت تصبر رزقي في الشجر فقال لها لك ذلك ثم قل من لهذه الجزعة ؟ فقالت دودة بيضاء أنا لها يا نبي الله فأخذت لدودة خيطا في فمها ودخلت الثقب حتى خرجت من الجانب الآخر فقال لها سليمان عليه السلام ما حاجتك ؟ قالت يكون رزقي في الفواكه فقال لك ذلك ، ثم ميز بين النملان والجوارى بأن أمرهم أن يسلوا وجوههم وأيديهم ، فجعلت الجارية تأخذ الماء بيدها وتضرب بها الأخرى وتسل وجهها والسلام يأخذ الماء بيده ويضرب به وجهه وكانت الجارية تصب الماء على باطن ساعدها والسلام يصبه على ظاهره فميز بين النملان والجوارى

ثم رث سليمان الهدية كما أخبر الله عنه بقوله - فلما جاء سليمان - الخ (قوله قال أعدوني الخ) استنظام إنكار وتوبيخ : أي لا ينبغي لكم ذلك (قوله وهم صاغرون) حال ثانية مؤكدة للأولى (قوله أي إن لم يأتوني مسلمين) أفاد بذلك أن عين سليمان معلق على عدم إتيانهم مسلمين (قوله داخل سبعة أبواب) صوابه آيات وتقدم أنه داخل سبعة آيات فيكون حينئذ في داخل أربعة عشر بيتاً (قوله حرساً) بفتحين جمع حارس (قوله قيل) بفتح القاف : أي ملك ، محي بذلك لأنه ينفذ ما يقول (قوله إلى أن قربت منه) أي من سليمان (قوله شعر بها) أي علم وذلك أنه خرج يوماً فجلس على سريرهِ فسمع رهجاً قريباً منه فقال ما هذا ؟ قالوا بلقيس قد نزلت هنا بهذا المكان وكانت على مسيرة فرسخ من سليمان (قوله قال يا أيها الملك) الخطاب لكل من عنده من الجن والإنس وغيرهما (قوله ما تقدم) أي من التحقيق أو قلب الثانية واووا (قوله أيكم يأتيني بعرضها) أي وكان سليمان إذ ذاك في بيت المقدس وعرضها في سبأ وبينها وبين بيت المقدس مسيرة شهرين (قوله فلي

(١٨٤)

أخذه قبل ذلك) أي قبل إتيانهم مسلمين لأنهم حريون حينئذ (قوله لا بعده) أي لأن إسلامهم بعصم الملم وهذا بحسب الظاهر وأما باطن الأمر فقصده أن يهر عقابها بالأمور المستغربة لتزيد إيماناً (قوله عفريت) بكسر العين وقرى شذوذا بفتحها (قوله وهو القوي) أي وكان مثل الجبل يضع قدمه عند منتهى طرفه وكان اسمه ذكوان وقيل صخر (قوله أنا آتيك به) يحتمل أنه فعل مضارع أصله أتى بهمزتين أبدلت الثانية ألفاً ، ويحتمل أنه اسم فاعل كضارب وقائم (قوله من مقامك) أي مجلسك (قوله أسرع من

قَالَ أَعْدُونِي بِمَا لِي فَأَتَيْنِي اللَّهُ) مِنَ النُّبُوَّةِ وَالْمَلِكِ (خَيْرٌ جَمًّا آتَيْكُمْ) مِنَ الدُّنْيَا (بَلْ أَنْتُمْ يَهْدِيكُمْ تَقْرَحُونَ) لَفَحْرَمَ بَرْخَارِ الدُّنْيَا (أَرْجِعْ إِلَيْهِمْ) بِمَا أَتَيْتَ بِهِ مِنَ الْهَدِيَّةِ (فَلَسَأَلْتَهُمْ يَجْنُدُ لَا قَبِيلَ) لِاطَّاعَةِ (كُلُّهُمْ بِهَا وَلَفَخَرِجَتُهُمْ مِنْهَا) مِنْ بَلَدِهِمْ سَبَأَ ، حَمِيَتْ بِاسْمِ أَبِي قَبِيلَتِهِمْ (أَذَلَّةٌ وَهُمْ صَاغِرُونَ) أَيِ إِنْ لَمْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ ، فَلَمَّا رَجَعَ إِلَيْهَا الرَّسُولُ بِالْهَدِيَّةِ جَلَسَتْ سَرِيرَهَا دَاخِلَ سَبْعَةِ أَبْوَابٍ دَاخِلَ قَصْرِهَا وَقَصْرِهَا دَاخِلَ سَبْعَةِ قُصُورٍ وَأَغْلَقَتْ الْأَبْوَابَ وَجَلَسَتْ عَلَيْهَا حَرَسًا وَتَجَهَّزَتْ إِلَى الْمَسِيرِ إِلَى سُلَيْمَانَ لِنَتَظَرَ مَا يَأْتِيهَا بِهِ فَارْتَحَلَتْ فِي اثْنَيْ عَشَرَ أَلْفَ قَبِيلٍ مَعَ كُلِّ قَبِيلٍ أَلُوفٌ كَثِيرَةٌ إِلَى أَنْ قَرِبَتْ مِنْهُ عَلَى فَرْسِهَا شَعْرَبًا (قَالَ يَا أَيُّهَا الْمَلِكُ أَيُّكُمْ) فِي الْمَهْمَزَيْنِ مَا تَقْدَمُ (يَأْتِينِي بِعَرَضِهَا قَبْلَ أَنْ يَأْتُونِي مُسْلِمِينَ) مُنْقَادِينَ طَائِعِينَ فَلِأَخْذِهِ قَبْلَ ذَلِكَ لِابْنِهِ (قَالَ عَفْرِيَّتُ مِنَ الْجِنِّ) هُوَ الْقَوِيُّ الشَّدِيدُ (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ تَقُومَ مِنْ مَقَامِكَ) الَّذِي تَجْلِسُ فِيهِ لِقَضَاءِ وَهُوَ مِنَ الْغَدَاةِ إِلَى نِصْفِ النَّهَارِ (وَإِنِّي عَلَيْهِ قَوِيٌّ) أَيِ عَلَى حِمْلِهِ (أَمِينٌ) أَيِ عَلَى مَا فِيهِ مِنَ الْجَوَاهِرِ وَغَيْرِهَا ، قَالَ سُلَيْمَانُ أُرِيدُ أَسْرَعَ مِنْ ذَلِكَ (قَالَ الَّذِي عِنْدَهُ عِلْمٌ مِنَ الْكِتَابِ) لِلنَّزْلِ وَهُوَ آصَفُ بْنُ بَرْخِيَا ، كَانَ صَدِيقًا يَعْلَمُ اسْمَ اللَّهِ الْأَعْظَمَ الَّذِي إِذَا دُعِيَ بِهِ أَجِيبَ (أَنَا آتِيكَ بِهِ قَبْلَ أَنْ يَرْتَدَّ إِلَيْكَ طَرْفُكَ) إِذَا نَظَرْتَ بِهِ إِلَى شَيْءٍ ، قَالَ لَهُ انْظُرْ إِلَى السَّمَاءِ فَانْظُرْ إِلَيْهَا ثُمَّ رَدَّ بِطَرَفِهِ فَوَجَدَهُ مَوْضُوعًا بَيْنَ يَدَيْهِ فِي نَظَرِهِ إِلَى السَّمَاءِ دُعَا آصَفَ بِالْأَسْمِ الْأَعْظَمِ أَنْ يَأْتِيَ اللَّهُ بِهِ فَحَصَلَ أَنْ جَرَى تَحْتَ الْأَرْضِ حَتَّى نَبَعَ تَحْتَ كَرَمِي سُلَيْمَانَ (فَلَمَّا رَأَاهُ مُسْتَقَرًّا) أَيِ سَاكِنًا (عِنْدَهُ قَالَ هَذَا) أَيِ الْإِيمَانِ لِي بِهِ

(من)

ذلك) أي لأن المقصود الايمان به قبل أن تقدمي والحال أن بين قدومها مسيرة

ساعة ونصف وحجسه من الغداة إلى نصف النهار (قوله علم من الكتاب) أي وهو التوراة (قوله وهو آصف بن برخيا) بالاء والقصر ، وكان وزير سليمان ، وقيل كاتبه وكان من أولياء الله تعالى ، وقيل الذي عنده علم من الكتاب هو جبريل ، وقيل الخضر ، وقيل ملك آخر ، وقيل سليمان نفسه وعلى هذا الخطاب في قوله : أنا آتيك للعفريت ، وما مشى عليه المفسر هو المشهور (قوله كان صديقاً) أي مبالغاً في الصديق مع الله ومع عباده (قوله طرفة) هو بالسكون البصر (قوله قال) أي آصف ، وقوله له : أي لسليمان (قوله دعا بالاسم الأعظم) قيل كان الدعاء الذي دعا به إذا ذا الجلال والاكرام ، وقيل يا حي يا قيوم ، وقيل يا إلهنا وإله كل شيء وإله واحد لا إله إلا أنت اتقنى بعرضها (قوله بأن جرى تحت الأرض) أي بحمل اللانثكة له لأمر الله لهم بذلك (قوله أي ساكناً) أي غير متحرك كأنه وضع من قبل بزمن متسع ، وليس المراد مطلق الاستقرار والحصول وإلا كان واجب

الحذف لأن الظرف يكون مستقرا وعلى ما ذكره المفسر فالظرف لمواعله خاص مذكور فتدبر (قوله من فضل ربى) أى إحسانه إلى (قوله وإدخال ألف الخ) أى فالفراآت أربع سبعيات وبقيت خامسة وهى إدخال ألف بين المحققين (قوله لأن ثواب شكره له) أى لأن انشكر سبب في زيادة النعم ، قال تعالى - لئن شكرتم لأزيدنكم - (قوله بالافضال على من يكفرها) أى فلا يقطع نعمه بسبب إعراضه عن الشكر وكفران النعمة (قوله قال نكروا لها عرشها) معطوف في المعنى على قوله - قال هذا من فضل ربى - وكلاهما مرتبط على قوله - فلما رآه مستقرا عنده - (قوله إلى حالة تنكره إذا رآته) أى فالتنكير إبهام الهى بحيث لا يعرف ضد التعريف ومنه التنكرة والمعرفة في اصطلاح النحويين (قوله تنظر) هو جواب الأمر (قوله قصد بذلك الخ) أشار بذلك إلى حكمة التغير (قوله لما قيل له إن فيه شيئا) أى نصا والقائل له ما ذكر الجن وقالوا له أيضا إن رجلها كرجل حمار وقالوا له أيضا إن في ساقها شعرا لأنهم ظنوا أنه يزوجه فكروها ذلك ثلاثشئى له أسرار الجن وثلاثا يأتى له منها أولاد فيخلفوه في استخدام الجن فيدوم عليهم الدل (قوله قيل لها) القائل لها سليمان أو مأموره (قوله أهكذا عرشك) الهمة للاستفهام والماء للتنبيه والكاف حرف جر وذا اسم إشارة مجرور بها والجار والمجرور خبر (١٨٥) مقدم وعرشك مبتدأ مؤخر

وفصل بين ها التنبيه واسم الإشارة بحرف الجر وهو الكاف اعتناء بالتنبيه وكان مقتضاه أن يقال أهكذا عرشك (قوله أى أمثل هذا) أشار بذلك إلى أن الكاف اسم بمعنى مثل وقولهم لا يصل بين ها التنبيه واسم الإشارة بشئ من حروف الجر إلا بالكاف معناه ولو صورة وإن كانت في المعنى اسميا بمعنى مثل (قوله وشبهت عليهم الخ) أى فأتت بهذه العبارة مشاكلة لكلام سليمان والمشكلة الاتيان بمثل الكلام السابق وإن

(مِنْ فَضْلِ رَبِّي لِيَبْلُغَنِي) لِيَجْتَبِرَنِي (أَشْكُرُ) بِتَحْقِيقِ الْمَزْتَنِ وَإِبْدَالِ الثَّانِيَةِ أَلْفًا وَتَسْمِيْلَهَا وَإِدْخَالَ أَلْفٍ بَيْنَ السَّهْلَةِ وَالْأُخْرَى وَتَوَكُّه (أَمْ أَكْفَرُ) النِّمَّةَ (وَمَنْ شَكَرَ فَإِنَّمَا يَظْكَرُ لِنَفْسِهِ) أَيْ لِأَجْلِهَا لِأَنَّ ثَوَابَ شُكْرِهِ لَهُ (وَمَنْ كَفَرَ) النِّمَّةَ (فَإِنَّ رَبِّي غَفِي) عَنْ شُكْرِهِ (كَرِيمٌ) بِالْأَفْضَالِ عَلَى مَنْ يَكْفُرُهَا (قَالَ نَكُرُوا لَهَا عَرْشَهَا) أَيْ غَيْرُوه إِلَى حَالِ تَنْكُرِهِ إِذَا رَأَتْهُ (نَنْظُرُ أَتَهْتَدِي) إِلَى مَعْرِفَتِهِ (أَمْ تَكُونُ مِنَ الَّذِينَ لَا يَهْتَدُونَ) إِلَى مَعْرِفَةِ مَا يَنْبَغِي عَلَيْهِمْ ، قَصْدُ ذَلِكَ اخْتِبَارَ عَقْلِهَا لِمَا قِيلَ لَهُ إِنَّ فِيهِ شَيْئًا فَغَيَّرُوهُ بِزِيَادَةِ أَوْ قُصْ أَوْ غَيْرِ ذَلِكَ (فَلَمَّا جَاءَتْ قِيلَ) لَهَا (أَهْكَذَا عَرْشُكَ) أَيْ أَمْثَلُ هَذَا عَرْشِكَ (قَالَتْ إِنَّهُ هُوَ) أَيْ فَرَفَتْهُ وَشَبَّهَتْ عَلَيْهِمْ كَمَا شَبَّهُوا عَلَيْهَا إِذْ لَمْ يَقُلْ أَهَذَا عَرْشُكَ وَلَوْ قِيلَ هَذَا قَالَتْ نَعَمْ قَالَ سُلَيْمَانُ لَهَا رَأَى لَهَا مَعْرِفَةً وَعِلْمًا (وَأَوْتَيْنَا الْعِلْمَ مِنْ قَبْلُهَا وَكُنَّا مُسْلِمِينَ وَصَدَّهَا) عَنْ عِبَادَةِ اللَّهِ (مَا كَانَتْ تَعْبُدُ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أَيْ غَيْرِهِ (إِنَّمَا كَانَتْ مِنْ قَوْمٍ كَافِرِينَ . قِيلَ لَهَا) أَيْضًا (أَدْخِلِي الصَّرْحَ) هُوَ سَطْحٌ مِنْ زَجَاجٍ أَيْبُضٌ شَفَافٌ تَحْتَهُ مَاءٌ عَذْبٌ جَارِيٌّ فِيهِ سَمَكٌ اصْطَنَعَهُ سُلَيْمَانُ لَهَا قِيلَ لَهُ إِنَّ سَاقِيهَا وَقَدَمِيهَا كَقَدَمِي الْحَارِ (فَلَمَّا رَأَتْهُ حَسِبَتْهُ لُجَّةً) مِنَ الْمَاءِ (وَكَشَفَتْ عَنْ سَاقِيهَا) لَتَخْوَضَهُ وَكَانَ سُلَيْمَانُ عَلَى صَرِيرِهِ فِي صَدْرِ الصَّرْحِ

لم يتحد الكلامان كقوله تعالى - ومكروا ومكر الله - (قوله قال سليمان) أى تحدثا بنعمة الله (قوله وأوتينا العلم من قبلها) أى العلم بالله وصفاته من قبل أن تؤتى العلم بمآذ كره ، وكنا مسلمين من قبل أن تسلّم فنحن أسبق منها علما وإسلاما (قوله وصدها) أى منعها ، وقوله ما كانت فاعل صد ، والمعنى منعها عن عبادة الله الذى كانت تعبد من دون الله وهو الشمس (قوله إنما كانت من قوم كافرين) بكسر إن في قراءة العامة استئناف وقرئ شدوذا بفتحها على إسقاط حرف التعليل (قوله قيل لها أيضا) أى كما قيل نكروا لها عرشها (قوله هو - طح) وقيل الصرح القصر أو من الدار (قوله من زجاج أبيض) أى وهو المسمى بالبلور (قوله اصطنعه سليمان) أى أمر الشياطين به فحفروا حفيرة كالصهرج وأجروا فيها الماء وضعوا فيها سمكا وضفدعا وغيرها من حيوانات البحر وجعلوا سقفها زجاجا شفافا فصار الماء وما فيه يرى من هذا الزجاج فمن لم يكن عالما به يظن أنه ماء مكشوف يخاض فيه مع أنه ليس كذلك (قوله لما قيل له) القائل ذلك الجن (قوله فلما رآته) أى أبصرته (قوله وكشفت عن ساقها) أى على عادة من أراد خوض الماء قيل لما رأت اللجة فزعت وظننت أنه قصد بها الفرق فلما لم يكن لها بد من امتثال الأمر سلت وكشفت عن ساقها (قوله اتخوضه)

أى لأجل أن تصل إلى سليمان (قوله فرأى ساقيا الخ) أى فلما علم ذلك صرف بصره عنها (قوله مجرد) صفة أولى لصرح ، وقوله من قوارير صفة ثانية جمع قارورة (قوله ملمس) ومنه الأبرد للاسعة وجهه : أى نعومته لعدم الشعر به (قوله بعبادة غيرك) أى وهو الشمس (قوله مع سليمان) حال من التناء فى أسلفت كما أشار لذلك بقوله كائنة ، والمعنى أسلفت حالة كوفى مصاحبة له فى الدين ولا يصح أن يكون متعلقا بأسلفت لأنه يومئ أنها متحدة معه فى الاسلام فى زمن واحد (قوله نعمت له الشياطين النورة) أن بعد أن سأل الانس عما يزيل الشعر فقالوا له يحلق بالموسى ، فقالت لم يمس الحديد جسمى فكره سليمان الموسى وقال إنها تقطع ساقيا فسأل الجن فقالوا لا ندرى ، فسأل الشياطين فقالوا نحمل لك حتى يكون جسدها كالفضة البيضاء فاتخذوا النورة والحمام فكانت النورة والحمام من يومئذ (قوله فتزوجها) أى وولدت منه ولما وسمته داود ومات فى حياة أبيه وبقيت معه إلى أن مات وهذا أحد قونين ، وقيل إنها لما أسلفت قال لها سليمان اختارى رجلا من قومك حتى أزوجك إياه ، فقالت ومثلى يابى الله ينكح الرجال وقد كان لى من قوى الملك والسلطان ؟ قال نعم إنه لا يكون فى الاسلام إلا ذلك ولا يبنى لك أن تحرمى ما أحل الله . قالت إن كان ولا بد فتزوجنى ذاتبع ملك حمدان فتزوجها إياه وذهب بها إلى اليمن وملك زوجها ذاتبع على اليمن ، ودعا سليمان زوبعة ملك الجن وقال له اعمل لى تبع ما استعملك فيه فلم يزل يعمل له ما أراد إلى أن مات سليمان وحال الحول ولم يعلم الجن موته ، فأقبل رجل منهم حتى بلغ جوف اليمن (١٨٦) وقال بأعلى صوته يامعشر الجن إن سليمان قد مات فارفعوا أيديكم فرفعوا أيديهم .

وتفرقوا (قوله وأقرها على ملكها) أى وأمر الجن فبنوا لها بارض اليمن ثلاثة حصون لم ير الناس مثلها فى الارتفاع والحسن (قوله ويقم عندها ثلاثة أيام) أى وكان يبكر من الشام إلى اليمن ومن اليمن إلى الشام (قوله روى أنه ملك) أى أعطى الملك (قوله فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه) أى فما سواه يفنى وهو الباقي بلا زوال .

فرأى ساقيا وقدمها حسانا (قَالَ) لها (إِنَّهُ صَرَحُ مُمَرَّدٍ) ملمس (من قوارير) أى زجاج ودعاها إلى الإسلام (قَالَتْ رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بعبادة غيرك (وَأَسْلَمْتُ) كائنة (مَعَ سُلَيْمَانَ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) وأراد تزوجها فكره شر ساقيا فعملت له الشياطين النورة فأزالته بها فتزوجها وأحبها وأقرها على ملكها وكان يزورها فى كل شهر مرة ويقم عندها ثلاثة أيام وانقضى ملكها باقضاء ملك سليمان . روى أنه ملك وهو ابن ثلاث عشرة سنة ومات وهو ابن ثلاث وخمسين سنة ، فسبحان من لا انقضاء لدوام ملكه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَىٰ ثَمُودَ أَخَاهُمْ) من القبيلة (صَالِحًا أَنْ) أى بآن (أَعْبُدُوا اللَّهَ) وحده (فَإِذَا هُمْ بِرِيقَانٍ يَخْتَصِمُونَ) فى الدين فريق مؤمنون من حين إرساله إليهم وفريق كافرون (قَالَ) للكاذبين (يَا قَوْمِ لِمَ تَسْتَعْجِلُونَ بِالسَّيِّئَةِ قَبْلَ الْحَسَنَةِ) أى بالمذاب قبل الرحمة حيث قلتم إن كان ما أتينا به حقا فأتينا بالمذاب (لَوْلَا) ،

هلا

ما أعم فى الكون وما إبليس ما ملك سلمان وما بلقيس

قال العارف :

الكل إشارة وأنت المعنى يامن هو للقلوب مغناطيس فالأ كوان جميعها إشارات دالة على القصور بالدات وهو الله الواحد القهار (قوله ولقد أرسلنا إلى ثمود) شروع فى القصة الرابعة من هذه السورة ، وثمود اسم لقبيلة صالح سميت باسم أبى القبيلة فهو ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث وتسمى عاد الثانية ، وأما عاد الأولى فهم قوم هود (قوله أخاهم صالحا) أى فى النسب لأنه من أولاد ثمود الذى هو أبو القبيلة ، وعاش صالح مائتين وعشرين سنة (قوله أى بآن اعبدوا الله) أشار بذلك إلى أن أن مصدرية وحرف الجر محذوف ويصح أن تكون مفسرة لوجود ضابطها وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله وحده) أى اعتقدوا أنه واحد فى ذاته وصفاته وأفعاله لا شريك له فى شئ منها (قوله فاذاهم) إذا فجائيه ، والمعنى ففاجأ إرساله نفرتهم واختصامهم فكمن فريق وكفر فريق ، وتقدم حكاية اختصام الفريقين فى سورة الأعراف فى قوله تعالى - قال اللأ الذين استكبروا من قومه للذين استضعفوا لمن آمن منهم - الخ (قوله فريق مؤمنون) جمع وصف الفريق مراعاة لعناه (قوله من حين إرساله) أى وبعد ظهور العجرات (قوله لم تستعجلون بالسبيته) أى لآى شئ تستعجلون العذاب وتطلبونه لأنفسكم ولا تطلبون الرحمة ، ويصح أن يراد بالسبيته والحسنة أسباب العذاب وأسباب الرحمة ، والمعنى لم تؤخرن الإيمان الذى هو سبب فى الرحمة وتقدمون الكفر الذى هو سبب العذاب .

(قوله هلا) أشار بذلك إلى أن لولا تحضيضه (قوله من الشرك) أي بأن تركوا الشرك وتؤمنوا (قوله لعلمكم زحون) الترجي في كلام الله بمنزلة التحقيق لأنه صادر من قادر عالم بالعواقب لا يخلف وعده (قوله أدغمت التاء في الطاء) أي بمد قلبها طاء (قوله واجتلبت همزة الوصل) أي للتوصل للنطق بالساكن (قوله أي تشاء منا) أي لأصابت الشؤم وهو الضيق والشدة (قوله حيث قحطوا المطر) أي حبس عنهم (قوله قال طائرهم عند الله) أي جزاء عملكم من عند الله عاملكم به فالشؤم وصفكم لاوصى وصى طائرا لأنه يأتي الظالم بقنة وسرعة كنزول الطائر (قوله تفتنون) أتى بالحطاب مراعاة لتقدم الضمير وهو الراجع ويجوز مراعاة الاسم الظاهر فيؤتى بالغبية فيقال مثلا نحن قوم نقرأ ويقرءون (قوله تختبرون بالخبر والشر) أي لتعلموا أن ما أصابكم من خير فمن الله وما أصابكم من شر فبما كسبت أيديكم (قوله مدينة نمود) أي وهي الحجر وتقدم أنه واد بين الشام والمدينة (قوله تسعة رهط) الرهط مادون الشرة من الرجال ، والنفر مادون السبعة إلى الثلاثة (قوله أي رجال) دفع بذلك ما يقال إن تمييز التسعة جمع مجرور فكيف يؤتى به مفردا ؟ فأجاب بأنه وإن كان مفردا في اللفظ فهو جمع في المعنى ، وهؤلاء التسعة هم الذين قتلوا أولادهم حين أخبرهم صالح أن مولودا يولد في شهرهم هذا يكون عقر الناقة على يديه ، فقتل التسعة أولادهم وأبى العاشر أن يقتل ابنه ، فعاش ذلك الولد ونبت نباتا سريرا (١٨٧) فكان إذا مرّ بالتسعة حزنوا على قتل أولادهم فسؤل لهم الشيطان أن يجتمعوا في غار فاذا جاء الليل خرجوا إلى صالح وقتلوه وتقدم أنهم اجتمعوا في الغار فأرادوا أن يخرجوا منه فسقط عليهم الغار فقتلهم وعقر الناقة ولد العاشر وهو قدار بن سالف . وقيل إنهم جاءوا ليلا لقتله شاهر بن سيفهم فرمتهم الملائكة بالأحجار كما أفاده المفسر (قوله أي احلفوا) أشار بذلك إلى أن قوله تقاصموا فعل أمر

هلا (تَسْتَفْرِوْنَ اللَّهَ) من الشرك (لَمَلَّكُمْ تُرْجَحُونَ) فلا تمذبون (قَالُوا أَطِيعْنَا) أصله تطيعنا أدغمت التاء في الطاء واجتلبت همزة الوصل أي تشاء منا (بِكَ وَبَيْنَ مَعَك) أي المؤمنين حيث قحطوا المطر وجاعوا (قَالَ طَائِرُكُمْ) شؤمكم (عِنْدَ اللَّهِ) أناكم به (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ تُفْتَنُونَ) تختبرون بالخبر والشر (وَكَانَ فِي الْمَدِينَةِ) مدينة نمود (تِسْعَةُ رَهْطٍ) أي رجال (يُفْسِدُونَ فِي الْأَرْضِ) بالمعاصي ، منها قرضهم الدنانير والدرهم (وَلَا يُصْلِحُونَ) بالطاعة (قَالُوا) أي قال بعضهم لبعض (تَقَاتَمُوا) أي احلفوا (بِاللَّهِ لَنَمِيتَنَّهُ) بالنون والتاء وضم التاء الثانية (وَأَهْلُهُ) أي من آمن به أي قتلهم ليلا (ثُمَّ لَنَقُولَنَّ) بالنون والتاء وضم اللام الثانية (لَوْلِيٍّ) أي وليّ دمه (مَا شَهِدْنَا) حضرنا (مُذَلِكَ أَهْلِهِ) بضم الميم وفتحها أي إهلاكم أو هلاكم فلا ندرى من قتلهم (وَإِنَّا لَصَادِقُونَ) ومكروا في ذلك (مَكْرًا وَمَكْرَنَا مَكْرًا) أي جازيناهم بتعجيل عقوبتهم (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) فانظر كيف كان عاقبة مكبرهم إِنَّا دَمَرْنَاهُمْ (أَهْلُكُنَّاهُمْ) وقومهم أجمعين (بصيحة جبريل ،

أي قال بعضهم لبعض احلفوا على كذا (قوله بالنون) أي مع فتح التاء وقوله والتاء كان المناسب أن يقول وبالتاء لأن ضم التاء لا يكون إلا على قراءة التاء فهما قراءتان سبعيتان (قوله أي من آمن به) وسيأتي أنهم أربعة آلاف (قوله بالنون) أي مع فتح اللام وقوله والتاء أي فحراءة النون هنا مع قراءة النون في الذي قبله وقراءة التاء مع التاء فهما قراءتان فقط (قوله أي وليّ دمه) أي دم من قتل من صالح ومن معه (قوله مهلك أهله) أي أهل وليّ الدم الذي يقوم عند موت صالح وأقاربه المؤمنين به (قوله بضم الميم) أي مع فتح اللام وقوله وفتحها أي مع فتح اللام وكسرهما فالحقائات ثلاث سبعيات (قوله أي إهلاكم) راجع للضم لأنه من الرباعي (قوله وهلاكم) راجع للفتح بوجهيه لأنه من الثلاثي (قوله وإنا لصادقون) أي ونحلف إنا لصادقون أو المعنى والحال إنا لصادقون فيما قلنا (قوله ومكروا مكرا) أي أرادوا إخفاء ما يتوا عليه من قتل صالح وأهله (قوله ومكرونا مكرا) أي أهلكناهم من حيث لا يشعرون وهو من باب المشاكلة نظير قول الشاعر :

قالوا اقترح شيئا نجد لك طبعه قلت اطبخوا لي جبة وقبصا

وإلا حقيقة المكسر مستحيلة على الله تعالى لأنه التحيل على الغدر وهو من صفات العاجز والعجز على الله محال (قوله فانظر) أي تأمل وتفكر (قوله إنا دمرناهم) بكسر إن على الاستئناف وفتحها على أنه خبر لهذا وفي أي وهي تدميرنا إياهم والقراءتان سبعيتان

(قوله أو برى لللائكة) أو للتنويع أى أن عذابهم نوعان موزعان عليهم روى الحجازة على التسعة بسبب تبينهم على قتل صالح وأهله ، والصيحة على غيرهم بسبب عقر الناقة ، ولو قال المفسر أهلكناهم برى لللائكة الحجازة وقومهم أجمعين بصيحة جبريل لكان أوضح (قوله تلك بيوتهم) مبتدأ وخبر أى ديارهم (قوله بظلمهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والباء سببية (قوله إن في ذلك) أى المذكور من إهلاكهم (قوله وأنجيننا الذين آمنوا) أى من الهلاك ، فخرج صالح بهم إلى حضرموت ، فلما دخلها مات صالح فسميت تلك البلدة بذلك ، ثم بنى الأربعة آلاف مدينة يقال لها حضرة (قوله وكانوا يتقون) أى يدرمون على اتقاء الشرك بأن لم يرتدوا (قوله ويبدل منه) أى بدل اشتال ، والمراد ذكر القول لاذكر وقته (قوله لقومه) أى من حيث لم يرساله إليهم وإقامته عندهم وإلا فهو في الأصل من أرض بابل ، فلما قدم مع عمه إبراهيم إلى الشام نزل إبراهيم بفلسطين ونزل لوط بسدوم (قوله يبصر بعضكم بعضا) أشار بذلك إلى أن المراد الابصار بالعين . وقيل المراد إحصاء القلب ويكون المعنى وتعلمون أنها قبيحة (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالفقرات أربع سبعيات (قوله لتأتون الرجال شهوة من دون النساء) (١٨٨) أشار بذلك إلى أنهم أساءوا من الطرفين في الفعل والترك وقوله شهوة

منفعل لأجله (قوله عاقبة فلستم) أى وهى العذاب الذى نزل بهم (قوله فما كان جواب قومه) خبر كان مقدم ، وقوله إلا أن قالوا اسمها مؤخر (قوله آل لوط) المراد هو وأهله وهم بنتاه وزوجته المؤمنة (قوله من قريبتكم) الإضافة للجنس لأنه تقدم أن قراهم كانت خمسة وأعظمها سدوم (قوله يتظهرون) أى يتزهون وقالوا ذلك على سبيل الاستهزاء (قوله فاتنجيناه وأهله) أى فخرج لوط

أو برى لللائكة بحجازة يرونها ولا يرونهم (فَتِلْكَ بُيُوتُهُمْ خَاوِيَةً) أى خالية ونصبه على الحال والعامل فيها معنى الإشارة (بِمَا ظَلَمُوا) بظلمهم أى كفرهم (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) لعمرة (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) قدرنا فيمتظنون (وَأَنْجَيْنَا الَّذِينَ آمَنُوا) بصالح وهم أربعة آلاف (وَكَانُوا يَتَّقُونَ) الشرك (وَلُوطًا) منصوبا باذكر مقدرا قبله ويبدل منه (إِذْ قَالَ لِقَوْمِهِ أَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى اللواط (وَأَنْتُمْ تُبْصِرُونَ) أى يبصر بعضكم بعضا إنما كفى المصيبة (أَنْتُمْ كُمْ) بتحقيق المميزين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِنْ دُونِ النِّسَاءِ بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّجْهَلُونَ) عاقبة فلستم (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا أَخْرِجُوا آلَ لُوطٍ) أهله (مِنْ قَرْيَتِكُمْ إِنَّهُمْ أَنْكِرُوا بِظُهُورِ) من أديار الرجال (فَأَنْجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلَّا امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا هَا) جلناها بتقديرنا (مِنْ الْفَافِرِينَ) الباقين في العذاب (وَأَمْطَرْنَا عَلَيْهِمْ مَطَرًا) هو الحجازة السجيل أهلكتهم (فَسَاءَ بَشَرًا لِّلْمُفْذَرِينَ) بالعذاب مطرم (قُلْ يَا عَمَلِكُمُ الْحَمْدُ لِلَّهِ) على هلاك كفار الأمم الخالية (وَسَلَامٌ عَلَى عِبَادِهِ الَّذِينَ أَصْطَفَيْنَا) هم (اللَّهُ) بتحقيق المميزين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين السهلة والأخرى وتركه ،

(خير)

بأهله من أرضهم ، طوى الله له الأرض حتى نجا ووصل إلى إبراهيم

(قوله الباقين في العذاب) أى الذى حل بهم وهو أن جبريل اقتلع مداتهم ثم قلبها فهلك جميع من فيها قبل كان فيها أربعة آلاف ألف (قوله وأمطرنا عليهم) أى طى من كان في ذلك الوقت خارجا عن الدائن لسفر أو غيره (قوله هو حجازة السجيل) أى الطين المحروق (قوله مطرم) هو المخصوص بالدم (قوله قل الحمد لله) لما تم سبحانه وتعالى القصص أمر رسوله بحمده والسلام على المصطفين شكرا له على نصرته أهل الحق والإيمان وقطع دابر أهل الكفر والظلمة وما يذكروا من أدلة التوحيد التى أقامها ردا على المشركين ، والسر في ذلك إحصاء العاقل وإصفاؤه ليدخل في زمرة من سلم الله عليهم (قوله وسلام) أى أمان (قوله الذين اصطفى) قيل هم الأنبياء والرسل ، وقيل أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل مؤمنو هذه الأمة ، وقيل كل مؤمن من مبداء الدنيا إلى منتهاها ، ومعنى اصطفى اختارهم أزالا لخدمته وطاعته في الدنيا ولجنه ونعيمه في الآخرة ، فالأصل اصطفاه الله لا عبد فلو اصطفاه له ما وفق العبد لخدمته ربه ، ومن هذا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة (قوله بتحقيق المميزين) ظاهر التفسير أن القراءات أربع وهو سبق قلم ، والصواب أن هنا قراءتين فقط تسهيل الثانية منصورة وإبدالها ألفا معدودة مدا لازما وتقدم أن هذين الوجهين يجران في خمسة مواضع في القرآن غير هذا اثنان في الأنعام

آله كربين في اللوطين ، وثلاثة في يونس آله أدن لكم ، آلان في وضعين (قوله خير) خير لفظ الجلالة وهو ما اسم تفضيل باعتبار زعم الكفار أو صفة لا تفضيل فيها والسلام على حذف مضاف والتقدير أوحيد الله خير لمن عبده أم الأصنام خير لمن عبدها فهو تهكم بالمشركين لأنهم اختاروا عبادة الأصنام على عبادة الله والاختيار للشيء لا يكون إلا الخير ومنفعة ولا خير في عبادتها وكان صلى الله عليه وسلم إذا قرأها يقول بل الله خير وأبقى وأجل وأكرم (قوله أم ما يشركون) أم هذه متصلة عاطفة على لفظ الجلالة لوجود للمعادل وهو تقدم همزة الاستفهام بخلاف أم الآية فهي منقطعة تفسر ببل وهمزة الاستفهام الإنكارى (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى أهل مكة) تفسير للواو في يشركون (قوله أى الآلهة) تفسير لما والمعنى أم الآلهة التى يشركونها به خير لعابديها (قوله أمن خالق السموات والأرض) القراءة السبعة بإدغام إحدى اليمين في الأخرى وأم منقطعة ومن خلق مبتدأ خبره محذوف تقديره خير أم ما يشركون وقرئ مشدودا بتخفيف الميم فتكون من موصولة دخلت عليها همزة الاستفهام (قوله فيه الالتفات) أى وحكته اختصاصه سبحانه وتعالى بهذا الفعل إشارة (١٨٩) إلى أن الله تعالى هو المبتدئ

للاشجار والزرع لاغيره وخلقها مختلفه الأنوان والطعوم مع كونها تسقى بماء واحد (قوله وهو البستان المحوط) أى المحبوس عليه حائط لعزته (قوله ذات بهجة) صفة لحدائق وأقرب لكونه جمع كثرة لما لا يعقل (قوله ما كان لكم) أى لا ينبغى لأنكم عاجزون عن إخراج النبات وإن كنتم قادرين على السقى والغرس ظاهرا (قوله أن تنبتوا شجرها) أى فضلا عن ثمارها وأشكالها (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فالقراءات أربع

(خَيْرٌ) لمن يعبد (أَمْ مَا تَشْرِكُونَ) بالتاء والياء ، أى أهل مكة به ، أى الآلهة خير لعابديها (أَمْنَ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا) فيه التفات من الغيبة إلى التعميم (بِهِ حَدَاتِقٌ) جمع حديقة وهو البستان المحوط (ذَاتَ بَهْجَةٍ) حسن (مَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُنْبِتُوا شَجَرَهَا) لمدم قدرتم عليه (أَلِلَّهِ) بتحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في مواضع السبعة (مَعَ اللَّهِ) أعانه على ذلك ، أى ليس معه إله (بَلْ هُمْ قَوْمٌ يَعْدِلُونَ) يشركون بالله غيره (أَمْنَ جَعَلَ الْأَرْضَ قَرَارًا) لاتميد بأهلها (وَجَعَلَ خِلَالَهَا) فيما بينها (أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيًا) جبالا أثبت بها الأرض (وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا) بين العذب والملح لا يختلط أحدهما بالآخر (أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) توحيده (أَمْنَ يُجِيبُ الْمُضْطَرَّ) المكروب الذى مسه الضر (إِذَا دَعَاهُ وَيَكْشِفُ السُّوءَ) عنه وعن غيره (وَجَعَلَ لَكُمْ خُلَفَاءَ الْأَرْضِ) الإضافة بمعنى فى ، أى يخلق كل قرن القرن الذى قبله (أَلِلَّهِ مَعَ اللَّهِ قَلِيلًا مَا تَذَكَّرُونَ) تنعظون بالفوقانية والتحتانية وفيه إدغام التاء في الذال ، وما زائدة لتقليل القليل (أَمْنَ يَهْدِيكُمْ) يرشدكم إلى مقاصدكم (فِي ظُلُمَاتٍ أْبْرٍ وَالْبَحْرِ) وبالنجوم ليلا ، وبعلامات الأرض نهاراً (وَمَنْ يُرْسِلُ الرِّيَّاحَ بُشْرًا بَيْنَ يَدَيْ رَحْمَتِهِ) ،

سبعيات (قوله فى مواضع السبعة) أى وضع اجتماع الهمزتين المفتوحة ثم المكسورة وهى لفظ إله خمس مرات وأتذ وأنا (قوله أى ليس معه إله) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وكذا يقال فيها بعده (قوله بل هم قوم يعدلون) إضراب انتقالي من تنبيهِهم إلى بيان سوء حالهم (قوله أم من جعل الأرض قراراً) أى مستقراً للإنسان والدواب لاتتحرك بما على ظهرها (قوله فيما بينها) أشار بذلك إلى أن قوله خلأها ظرف لجعل وتكون بمعنى خلق ويصح أن تكون بمعنى صير وخلأها مفعول ثان (قوله حاجزاً) أى معنوياً غير مشاهد (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى وكفرهم تقليد والأقل يعلم الأدلة وكفرهم عناد (قوله المضطر) هو اسم مفعول وهذه الطاء أصلها تاء الافتعال قابت طاء لوقوعها إثر حرف الاطباق وهو الضاد (قوله إذا دعاه) أشار بذلك إلى أن إجابة المضطر متوقعة على دعائه ، فلا ينبغى لمن كان مضطراً ترك الدعاء بل يدعو والله يجيبه على حسب ما أراد سبحانه وتعالى لأن الله أرأف على العبد من نفسه ، فالعاقل إذا دعا الله يسلم في الإجابة لمراد الله (قوله الإضافة بمعنى فى) أى فالعنى يجعلكم خفاء فى الأرض (قوله وفيه إدغام التاء في الذال) أى بما قلبها دالا فذالا وهذا على كل من القراءتين (قوله وما زائدة لتقليل القليل) أى فالمراد تأكيد القلة (قوله وعلامات الأرض) أى كالجبال

(قوله أى قدام للطر) أى أمامه (قوله وإن لم يعترفوا بالاعادة) أشار بذلك إلى سؤال ولقد حصله كيف يقال لهم : أمن يبدأ الخلق ثم يعيده ، مع أنهم منكرون للاعادة ؟ وأشار إلى جوابه بقوله لقيام البراهين عليها . وإيضاحه أن يقال إنهم معترفون بالابتداء ودلالة الابتداء على الاعادة ظاهرة قوية وحينئذ فصاروا كأنهم لم يبق لهم عنفر في إنكار الاعادة بل ذلك محض وجود (قوله قل هاتوا برهانكم) أمره صلى الله عليه وسلم ببكيتهم إثر قيام الأدلة على أنه لا يستحق العبادة غيره (قوله أن مى إلها) الأوضح أن يقول إن مع الله إلها لأن النجاة مأمور بهذا القول وهو لا يقول لهم إن كنتم صادقين أن مى إلها (قوله وسألوه) أى الشركون (قوله من فى السموات والأرض) من فاعل يعلم والجار والمجرور صلتها والغيب مفعول به وإلا أداة استثناء ولفظ الجلالة مبتدأ خبره محذوف قدره للفسر بقوله يعلمه والتقدير لا يعلم الذى ثبت فى السموات كالملائكة والأرض كالانس الغيب لكن الله هو الذى يعلمه (١٩٠) (قوله من الملائكة والناس) بيان لمن فى السموات والأرض على سبيل

الف والنشر المرتب
(قوله لكن الله الخ)
أشار بذلك إلى أن
الاستثناء منقطع ولا يصح
جعله متصلا لايهامه أن
الله من جملة من فى
السموات والأرض وهو
حال (قوله وقت يبعثون)
تفسير لآيان ، والمناسب
تفسيرها بقرى لأن آيان
ظرف متضمن معنى
همزة الاستفهام ومتى
كذلك بخلاف لفظ
وقت (قوله بمعنى هل)
ألم الذى للاستفهام
الانكارى (قوله أى بلغ
ولحق) راجع للقراءة
الأولى وقوله أوتتابع
راجع للثانية ، والمعنى
هل بلغ علمهم بالآخرة

أى قدام للطر (أإله مع الله تعالى الله عما يشركون) به غيره (أمن يبدأ الخلق)
فى الأرحام من نطفة (ثم يعيده) بعد الموت وإن لم يعترفوا بالاعادة لقيام البراهين عليها
(وَمَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَاءِ) بالمطر (وَالْأَرْضِ) بالنبات (أإله مع الله) أى لا يفعل
شيئا مما ذكر إلا الله ولا إله معه (قل) يا محمد (هاتوا برهانكم) حجكم (إن كنتم
صادقين) أن مى إلها فل شيئا مما ذكر . وسألوه عن وقت قيام الساعة فنزل (قل لا يعلم
مَنْ فى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) من الملائكة والناس (الغيب) أى ما غاب عنهم (إلا) لكن
(الله) يعلمه (وَمَا يَشْعُرُونَ) أى كفار مكة كغيرهم (أَيَّانَ) وقت (يُبْعَثُونَ . بلى) بمعنى
هل (أدرك) بوزن أكرم فى قراءة وفى أخرى إدراك بتشديد الدال وأصله تدراك أبدلت التاء
دالا وأدغمت فى الدال واجتلبت همزة الوصل أى بلغ ولحق أوتتابع وتلاحق (علمهم فى الآخرة)
أى بها حتى سألوه عن وقت مجيئها ليس الأمر كذلك (بلى هم فى شك منها بلى هم منها
عمون) من عمى القلب وهو أبلغ مما قبله والأصل عيون استقلت الضمة عن الياء فنقلت
إلى الميم بعد حذف كسرتها (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أيضا فى إنكار البعث (أَنَّا كُنَّا تَرَابًا
وَأَبَاؤُنَا أَنَّا أَخْرَجُونَا) من القبور (لَقَدْ وَعِدْنَا هَذَا نَحْنُ وَآبَاؤُنَا مِنْ قَبْلُ إِنْ مَا
(هَذَا إِلَّا أَسَاطِيرُ الْأَوَّلِينَ) جمع أسطورة بالضم أى ماسطر من الكذب (قل سيروا
فى الأرض فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) بانكسارهم وهى هلاكهم بالمذاب ،

(ولا

لو تتابع علمهم الآخرة حتى سألوها عن وقت مجيء الساعة ليس عندهم علم بذلك

بل ولا إثبات حتى يسألوا عن وقت الساعة فسؤلهم محض تعنت وعناد (قوله فى شك منها) أى الآخرة (قوله بلى هم منها
عمون) أى عندهم جزم بعلمها لعدم إدراكهم دلالتها (قوله بعد حذف كسرتها) أى وسقطت الياء لوقوعها ساكنة إثر
ضممة (قوله أيضا) أى كما قالوا ما تقدم (قوله أننا كنا ترابا) كان فعل ماض ناقص وناصبها وترابا خبرها وآباؤنا معطوف
على اسم كان وسوغة الفصل بخبرها (قوله لقد وعدنا هذا) وعد فعل ماض ونا نائب الفاعل مفعول أول وهذا مفعول ثان
ونحن تأ كيد لنا وآباؤنا معطف على المفعول الأول وسوغة الفصل بالمفعول الثانى والضمير للفصل ، والمعنى لقد وعدنا محمد
بأبعث كما وعد من قبله آباءنا به فلو كان حقا لحصل (قوله قل سيروا فى الأرض) أمر تهديد لهم إشارة إلى أنهم إن لم يرجعوا
نزل بهم ما نزل عن قبلهم (قوله فانظروا كيف كان عاقبة المجرمين) أى لتعبدوا بهم فتزجروا عن قبائحكم (قوله بانكسارهم)
أى الهزمين (قوله بالمذاب) أى الدنيوى لأنه هو المشاهد آثاره .

(قوله ولا تحزن عليهم) أي لا تنتم على عدم إيمانهم فيما مضى ولا تخف من مكرهم في المستقبل ، فالحزن غم لما مضى والخوف
 هم لما يستقبل (قوله ولا تكن) بنبوت النون هنا وهو الأصل وقد حذفت من هذا المضارع في القرآن في عشرين موضعا
 سمة مبدوءة بالتاء وثمانية بالياء واثنان بالنون وواحد بالهمزة وهو حذف غير لازم . قال ابن مالك :

ومن مضارع لكان منجزم تحذف نون وهو حذف ما التزم (قوله في ضيق) بفتح الصاد وكسرها قراءة ثمان سبعين
 أي حرج (قوله إن كنتم صادقين) خطاب للنبي ومن معه من المؤمنين (قوله قل عسى الخ) الترجي في القرآن بمنزلة التحقيق
 (قوله القتل بيد) أي وغيره وهذا هو العذاب العجل (قوله وباقي العذاب الخ) (١٩١) أي وهو العذاب المؤجل (قوله

منه) أي النضل (قوله
 ليعلم ما تكن صدورهم)
 أي فالتأخير ليس لحفاء
 حالمهم عليه (قوله الهاء
 للبالغة) أي كراوية
 وعلامة ومماها هاء
 باعتبار الوقف ولو قال
 التاء لكان أسهل ،
 وقيل إنها كالتاء الداخلة
 على المصادر نحو العاقبة
 والعاقبة ونظيرها التديعة
 والتطيع في أنها أسماء
 غير صفات (قوله ومكنون
 علمه) الواو بمعنى أو لأنه
 تفسير ثان فسميته كتابا
 على سبيل الاستعارة
 التصريحية حيث شبه
 بالكتاب كالسجل الذي
 يضبط الحوادث ويحصى
 ولا يشذ عنه شيء منها
 (قوله أكثر الذي هم فيه
 يختلفون) أي فقد نص
 بالتصريح على الأكثر
 فلا يتأني قوله : ما فرطنا

(وَلَا تَحْزَنْ عَلَيْهِمْ وَلَا تَكُنْ فِي ضَيْقٍ مِّمَّا يَمْكُرُونَ) تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم أي
 لانهم بمكرهم عليك فأنا ناصرك عليهم (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ
 صَادِقِينَ) فيه (قُلْ عَسَى أَنْ يَكُونَ رَدِفٌ) قرب (إِلكُمْ بَعْضُ الَّذِي تَسْتَعْجِلُونَ) فحصل
 لهم القتل بيد وباقي العذاب بأنهم بعد الموت (وَإِنَّ رَبَّكَ لَذُو فَضْلٍ عَلَى النَّاسِ) ومنه تأخير
 العذاب عن الكفار (وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَشْكُرُونَ) فالكفار لا يشكرون تأخير العذاب
 لإنكارهم وقوعه (وَإِنَّ رَبَّكَ لَيَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تخفيه (وَمَا يُعْلِنُونَ) بألسنتهم
 (وَمَا مِنْ غَائِبَةٍ فِي السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) الهاء للبالغة : أي شيء في غاية الخفاء على الناس (إِلَّا
 فِي كِتَابٍ مُبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ ومكتون علمه تعالى ومنه تعذيب الكفار (إِنَّ هَذَا
 الْقُرْآنَ يَبْعُثُ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ) الموجودين في زمان نبينا (أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ)
 أي ببيان ما ذكر على وجه الرفع للاختلاف بينهم لو أخذوا به وأسلموا (وَإِنَّهُ لَهْدَى) من
 الضلالة (وَرَحْمَةً لِّلْمُؤْمِنِينَ) من العذاب (إِنَّ رَبَّكَ يَقْضِي بَيْنَهُمْ) كثيرهم يوم القيامة
 (بِحُكْمِهِ) أي عدله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) الغالب (الْعَلِيمُ) بما يحكم به فلا يمكن أحدا مخالفته
 كما خالف الكفار في الدنيا أنبياءه (مَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) ثق به (إِنَّكَ عَلَى الْحَقِّ الْمُبِينِ)
 أي الدين البين فالعاقبة لك بالنصر على الكفار ، ثم ضرب أمثالا لهم بالموتى وبالعمى وبالعشى
 فقال (إِنَّكَ لَا تَسْمِعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمِعُ الْقَبْرَ) بتحقيق المميزين وتسهيل
 الثانية بينها وبين الياء (وَلَوْ أَمْدَرِينَ) وما أنت بهادى الأمي عن ضلالتهم (إِنْ) ما
 (تَسْمِعُ) سماع إضام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون
 بتوحيد الله ،

في الكتاب من شيء من جملة اختلافهم في شأن السبح وتفرقهم فيه فرقا كثيرة فوقع بينهم التباعد حتى لمن بعضهم بعضا
 (قوله أي عدله) دفع بذلك ما يقال إن القضاء مرادف للحكم فينحل المعنى يقتضى قضاء أو يحكم بحكمه . فأجاب بأن المراد
 بالحكم العدل (قوله فلا يمكن أحدا مخالفته الخ) تفريع على العزيز فكان المناسب تقديمه بلفظه (قوله فتوكل على الله الخ)
 تفريع على كونه عزيزا عليا أي فإذا ثبت له هذه الأوصاف فالواجب على كل شخص تفويض الأمور إليه تعالى والثقة به
 (قوله إنك على الحق المبين) حلة للتوكل وكذا قوله إنك لا تسمع الموتى (قوله بينها وبين الياء) أي فتقرأ متوسطة بين الهمزة
 والياء والقراءتان سبعيتان (قوله مدبرين) أي معرضين (قوله بهادى العمى) ضمنه معنى الصرف فعدها بمن (قوله إلا من
 يؤمن ما ياتنا) أي من سبق في علم الله أنه يكون مؤمنا ومن هنا قولهم : لولا السابقة ما كانت اللاحقة .

(قوله وإذ وقع القول) أى قرب وقوعه وإتمامه بالمضى لحصوله فى علم الله لأن الماضى والحال والاستقبال فى علم الله واحد لاحظته بها، والمراد بالقول، وإعيد القرآن بالنضام والحزى والعذاب الدائم وغير ذلك للكفار (قوله حق العذاب) تفسير لوقع، والمعنى قرب نزوله بهم (قوله أخرجنا لهم دابة من الأرض) أى وهى الجساسة، ورد فى الحديث «أن طولها ستون ذراعاً بذراع آدم عليه السلام لا يدركها طالب ولا يغتربها هارب». وروى «أن لها أربع قوائم ولها زغب وريش وجناحان» وعن ابن جريج فى وصفها: رأس نور وعين خنزير وأذن فيسل وقرن إيل وعنق نعامة وصدر أسد ولون نمر وخصرة هرة وذنب كبش وخف بين مابين القدمين اثنا عشر ذراعاً بذراع آدم عليه السلام، وعن أبى هريرة رضى الله عنه «فبها كل لون مابين قرنها فرسخ للراكب» وعن على رضى الله عنه «أنها تخرج بعد ثلاثة أيام والناس ينظرون فلا يخرج كل يوم إلا ثلثها» وعن النجبة صلى الله عليه وسلم «أنه سئل من أين تخرج الدابة؟ فقال من أعظم المساجد حرمة على الله تعالى» يعنى المسجد الحرام، وروى «أنها تخرج ثلاث خرجات تخرج بأقصى اليمن ثم تكمن ثم تخرج بالبادية ثم تكمن دهرًا طويلاً، فينبأ الناس فى أعظم المساجد حرمة على الله تعالى وأحقرها فما يسهولهم إلا خروجها من بين الركن حذاء دار بنى غزوم عن يمين الطارح من المسجد» وقيل تخرج من الصفا لما روى «ينبأ هبسى عليه السلام يطوف بالبيت ومعه المسلمون إذ تضطرب الأرض فتحتم أى تتحرك تحرك القنديل وتنشق الصفا مما يلي للمسعى فتخرج الدابة من الصفا ومعها هبسا موسى وخاتم سليمان عليهما الصلاة والسلام تضطرب للمؤمن (١٩٢) فى مسجده بالصفا فتنتك نكتة بيضاء فتفشو حتى يضىء بها وجهه

وتكتب بين عينيه
مؤمن وتكتب الكافر
بالخاتم في أنفه فتنشو
النكتة حتى يسود بها
وجهه وتكتب بين
عينيه كافر ثم تقول لهم
أنت يافلان من أهل
الجنة وأنت يافلان من
أهل النار » وروى « أن
أول الآيات خروج طابع
الشمس من مغربها

(وَإِذَا وَقَعَ الْقَوْلُ عَلَيْهِمْ) حتى المذاب أن ينزل بهم في جملة الكفار (أُخْرِجْنَا لَهُمْ دَابَّةً مِنَ الْأَرْضِ تُكَلِّمُهُمْ) أى تكلم الموجودين حين خروجها بالربية تقول لهم من جملة كلامها عنا (إِنَّ النَّاسَ) أى كفار مكة وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر اللباء بعد تكلمهم (كَانُوا بِآيَاتِنَا لَا يُوقِنُونَ) أى لا يؤمنون بالقرآن المشتمل على البعث والحساب والقباب ، وبخروجها ينقطع الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر ولا يؤمن كافر كما أوحى الله إلى نوح : أنه لن يؤمن من قومك إلا من قد آمن (وَ) اذكر (يَوْمَ نَخْشِرُ مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ فَوْجًا) جماعة (يَمِّنُ بِكُذِّبِ آيَاتِنَا) وهم رؤساؤهم المتبعون (نَهُمْ يُوزَعُونَ) أى يحسمون يرد آخرهم إلى أولهم ثم يساقون (حَتَّى إِذَا جَاءَهُ) مكان الحساب (قَالَ) تعالى لهم :

وخرج الدابة على الناس ضحى وأيتهما كانت قبل صاحبتهما فالأخرى على أثرها ۛ

وخروج الدابة على الناس ضحى وأيتها كانت قبل صاحبها فلاخرى على أنرها ۞
 واختلف أيضا في تعيين هذه الدابة فقيل هي فصيل ناقة صالح وهو أوضح الأقوال فإنه لما عقرت أمه حرب فافتتح له حبر فدخل
 في جوفه ثم انطبق عليه الجبر فوفيه حتى يخرج باذن الله عز وجل وقيل غير ذلك (قوله تقول لهم) تفسير لتكلمهم (قوله عنا)
 متعلق بمحذوف أى حال كونها حاكية وناقلة لما تقوله عنا بأن تقول قال الله إن الناس الخ (قوله أى كفار مكة) المناسب محل
 الناس على الموجودين وقس خروجها من الكفار (قوله وعلى قراءة فتح همزة أن تقدر الباء) أى للتعبية أو للسببية ، وأما على قراءة الكسر
 فهو مستأنف من كلامه تعالى تقوله الدابة على سبيل الحكاية والنقل والقراءتان سبعيتان (قوله ينقطع الأمر بالمعروف الخ)
 أى لعدم إفادة ذلك لأنه في ذلك الوقت يظهر المؤمن والكافر عيانا بوسم الدابة فمن وصمته بالكفر لا يمكن تغييره ، فحينئذ
 لا ينفع أمر بمعروف ولا نهى عن منكر ، ووجد في بعض النسخ ولا يبقى منيب ولا تائب ولا يؤمن كافر : أى لا يوجد في هذا
 الوقت من ينوب إلى الله أى يرجع إليه ولا تقبل توبة تائب من العصاة ولا إيمان كافر (قوله ويوم نحشر) أى الحشر الخاص
 بهم للعذاب بعد انقضاء الحشر العام لجميع الخلق (قوله من كل أمة) من تبعية وقوله ممن يكذب بآية لافوج (قوله
 فوجا) الفوج في الأصل الجماعة المارة للسرعة ثم أطلق على الجماعة مطلقا (قوله وهم رؤساؤهم) أى كآبى جهل وأبى بن خلف
 وفرهون وقارون والفردوخ وغيرهم من رؤساء الضلال فكل رؤساء زمن نحشرهم على حدة (قوله يرده آخراهم إلى أولهم)
 المناسب أن يقول يرده أولهم على آخرهم أى يحبس أولهم ويوقد حتى يأتي آخرهم ويحتمون ثم يسألون .

وقيل إنها ثلاث : نفخة الزلزلة ، وذلك حين تسير الجبال وترتج الأرض بأهلها ونفخة الموت ونفخة الإحياء ، والقول الأول هو المشهور ، والصحيح في الصور أنه قرن من نور خلقه الله وأعطاه إسماعيل فهو واضع على فيه شاخص يبصره إلى العرش ينتظر متى يؤمر بالنفخة وعظم كل دائرة فيه كعرض السماء والأرض ويسمى بالبوبق فإذ أذن الرب (قوله من إسماعيل) أي وهو أحد الرؤساء الأربعة

جبريل وميكائيل وإسرافيل وعزرائيل (قوله من في السموات ومن في الأرض) أى من كل من كان حياً في ذلك الوقت (قوله أى خافوا الخوف المفضى إلى الموت) أى استمر بهم الخوف إلى أن ماتوا به (قوله والتعبير بالماضى الخ) جواب عما يقال إن الفزع مستقبل فلم عبر بالماضى . فاجب بأنه لتحقيقه نزل منزلة الواقع ، لأن الماضى والحال والاستقبال بالنسبة لله تعالى واحد لتعاقب العلم به (قوله أى جبريل الخ) أى فهو لاء الأربعة لا يموتون عند النفخة الأولى بخلاف باقى الملائكة وإنا يموتون بين النفختين ويحيون قبل الثانية (قوله وعن ابن عباس م الشهداء) وقيل هم حملة العرش وقيل أهل الجنة من الحور العين والودان وخزنة الجنة والنار ، وقيل موسى ، وقيل جميع الأنبياء (قوله إذ هم أحياء) أى حياة برزخية لا تزول ولا تحول ولكن ليست بحياة الدنيا (قوله أى كلهم) أى المخلوقات من صق ومن لم يصق (قوله بصفة الفعل) أى للماضى فيقرأ بفتح الهمزة مقصورة وتاء مفتوحة وواو ساكنة (قوله واسم الفاعل) أى فيقرأ بعد الهمزة وضم التاء وسكون الواو وأصله آتون له حذفت اللام للتخفيف والنون للاضافة والقراءتان سبعيتان (قوله صاغرين) أى أذلاء لهيبة الله تعالى فيشمل الطائع والمعصى وليس المراد ذل المعصى ، والمعنى أن إسرافيل حين ينفخ في الصور النفخة الثانية التى بها يكون إحياء الخلق يأتى كل إنسان ذليلاً لهيبة الله تعالى (قوله وترى الجبال) عطف على قوله ينفخ .

[٢٥ - صاوى - ثالث]

(قوله وقت النفخة) أى الثانية لأن تبدل الأرض وتسير الجبال وتسوية الأرض إنما يكون بعد النفخة الثانية كما يشهد به قوله تعالى - ويسألونك عن الجبال فقل ينفقها ربى نسفا - الآية وقوله تعالى - يوم تبدل الأرض غير الأرض - الآية (قوله لعظمها) أى وذلك لأن الأجرام النكبارة إذا تحركت مرة واحدة لا تكاد تبصر حركتها (قوله المطر) الصواب إبقاء اللفظ على ظاهره لأن تفسير السحاب بالمطر لم يقله أحد ولعل الباء سقطت من قلم المصنف ، والأصل مرّ السحاب بالمطر (قوله حتى تقع) أى الجبال على الأرض (قوله مبسوسة) أى مفتتة كالرمل السائل (قوله كالعهن) أى الصوف المنفوش (قوله مؤكد لمضمون الجملة قبله) أى لأن ما تقدم من نفخ الصور وتسير الجبال وغير ذلك إنما هو من صنع الله لا غير (قوله الذى أتقن كل شيء) أى وضعه في عمله على أكمل حالاته (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى لا إله إلا الله) إنما حمله على هذا التفسير ذكر المقابل لأن الكعب في النار ليس بمطلق سيئة بل إنما يكون بالكفر وهو يقابل الإيمان وحيفئذ قال في الحسنة لا عهد أى الحسنة (١٩٤) المهدودة وهى كلمة التوحيد وقيل الحسنة كل عمل خير من صلاة وزكاة

وصدقة وغير ذلك من وجوه البرّ (قوله فله خير منها) أى وهو الخلود في الجنة (قوله أى بسببها) أشار بذلك إلى أن من السببية ونصح أن تكون لتعليل أى من أجل عجزه بها (قوله وليس للفضل) أى ليس خير أفضل تفضل لأنه ليس عبادة أفضل من لا إله إلا الله ويؤيد ما قاله المفسر ماروى عن ابن عباس أنه قال له من تلك الحسنة خير يوم القيامة وهو الثواب والأمن من العذاب أما من يكون له شيء خير من الإيمان فلا لأنه لا شيء خير

وقت النفخة (تحسبها) تظنها (جامدة) واقفة مكانها لعظمها (وهى تمرّ مرّ السحاب) المطر إذا ضربته الرياح أى تسير سيره حتى تقع على الأرض فتستوى بها مبسوسة ثم تصير كالعهن ثم تصير هباء منثورا (صنع الله) مصدر مؤكد لمضمون الجملة قبله أضيف إلى فاعله بعد حذف عامله أى صنع الله ذلك صنعا (الذى أتقن) أحكم (كل شيء) صنعه (إنه خير مما يظنون) بالياء والتاء أى أعداؤه من العصية وأولياؤه من الطاعة (من جاء بالحسنة) أى لا إله إلا الله يوم القيامة (فله خير) ثواب (منها) أى بسببها وليس للفضل إذ لا فضل خير منها وفي آية أخرى عشر أمثالها (وهم) أى الجاهلون بها (من فزع يومئذ) بالإضافة وكسر الميم وفتحها وفزع منونا وفتح الميم (آمنون) ومن جاء بالسيئة (أى الشرك) فكبت وجوههم في النار بأن وليتها وذكرت الوجوه لأنها موضع الشرف من الحواس فغيرها من باب أولى ويقال لهم تبكيتا (هل) أى ما (تجزون إلّا) جزاء (ما كنتم تعملون) من الشرك والمعاصى قل لهم (إنما أمرت أن أعبد ربّ هذه البلدة) أى مكة (الذى حرّمها) أى جعلها حرما آمنا لا يسفك فيها دم إنسان ، ولا يظلم فيها أحد ، ولا يصطاد صيدها ، ولا يختل خلها ، وذلك من النعم على قريش أهلها في رفع الله عن بلدهم العذاب والفتن الشائمة في جميع بلاد العرب (وله) تعالى (كل شيء) فهو ربه وخالقه ومالكه ،

من لا إله إلا الله (قوله بالإضافة) أى إضافة فزع لليوم (قوله وكسر الميم) وأمرت

أى للأعراب وقوله وفتحها أى فتحة بناء وهى قراءة ثانية في الإضافة وقوله وفزع منونا معطوف على قوله بالإضافة فتكون اقراءات ثلاثا سبعيات فكان الأوضح أن يعبر بأو بدل الواو في الأخير (قوله آمنون) أى لا يصيبهم منه شيء والراد بالفزع هنا الخوف من العذاب والفزع المتقدم الهيبة والانزعاج من الشدة الحاصلة في ذلك اليوم فلا تنافي بين إثباته فيما تقدم ونفيه هنا (قوله فكبت وجوههم) أى ألقوا عليها في النار (قوله ويقال لهم) أى وقت كبرهم على وجوههم في النار ، والقاتل لهم خزنتها (قوله أى ما تجزون إلّا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله قل لهم إنما أمرت إلّا) أمر صلى الله عليه وسلم بأن يقول لهم ما ذكر بعد بيان ما يحصل في العباد إشارة إلى أن عبادة الله هى المقصودة بالذات له آمنوا أو كفروا فيستبج عن ذلك اهتمامهم بأمر أنفسهم ورجوعهم عما يوجب نقصانهم (قوله الذى حرّمها) صفة للرب ، ولا يعارضه قوله صلى الله عليه وسلم « إن إبراهيم حرم مكة وإنى حرمت المدينة » لأن إسناد التحريم لله باعتبار حكمه وقضائه وإسناد التحريم لإبراهيم باعتبار إخباره بذلك وإظهاره (قوله ولا يختل خلها) أى لا يقطع حبشها الرطب

(قوله وأمرت أن أكون من المسلمين) أي أثبت على ما كنت عليه (قوله وأن أتلو القرآن) أي أوأطب عليه لكشف لي حقائقه وورقاته لأن علوم القرآن كثيرة فبتكرار التلاوة أزداد علوماً ومعارف ، وفي هذه الآية إشاراً بأن تلاوة القرآن أعظم العبادات قدراً عند الله (قوله فمن اهتدى له) أي للإيمان (قوله فقل إنما أنا من المنذرين) هو جواب الشرط والرباط محذوف قدره المفسر بقوله له (قوله وهذا قبل الأمر بالقتال) أي فهو منسوخ (قوله وقل الحمد لله) أي على ما أعطاني من النعم العظيمة لله أجلها النبوة التي بها إرشاد الخلق لصلاحهم (قوله سيديكم آياته) أي في الدنيا (قوله وضرب اللاتكة وجوههم وأدبارهم) أي وجوه الذين قتلوا أدبارهم (قوله بالياء والتاء) أي فهما قرءان سبعيناً فعلى الأولى : ووعيد محض وعلى الثانية فيه وعد للطائعين ووعيد للعاصين . [سورة القصص] سميت بذلك لاشتغالها على الحكايات والأخبار الروية عن الله لأن القصص مصدر بمعنى الأخبار وتسمى أيضاً سورة موسى (قوله نزلت بالجحفة) أي حين خرج رسول الله (١٩٥) صلى الله عليه وسلم من الغار ليلاً مهاجراً في غير الطريق مخافة الطلب فلما رجع إلى الطريق ونزل بالجحفة عرف الطريق إلى مكة فاشتاق إليها فنزلت تلك الآية تسلياً وتبشيراً له بأنه يرجع إلى مكان عوده وهو مكة أحسن مرجع ومن هنا صح استعمال هذه الآية للعارفين عند توديع المسافرين وقيل المعاد الموت وقيل الآخرة وكل صحيح وهذه الآية ليست مكية ولا مدنية لأنها لم تنزل قبل الهجرة ولم تنزل بعد استقرارها بل نزلت بالطريق (قوله إلى قوله لا نبتغي الجاهلين) أي وعواربع آيات (قوله أي هذه الآيات) أي آيات هذه

(وَأَمَرْتُ أَنْ أَكُونَ مِنَ الْمُسْلِمِينَ) اللَّهُ بِتَوْحِيدِهِ (وَأَنْ أَتْلُوا الْقُرْآنَ) عَلَيْكُمْ تِلَاوَةُ الدُّعْوَةِ إِلَى الْإِيمَانِ (فَمَنْ اهْتَدَى) لَهُ (فَأِنَّمَا يَهْتَدِي لِنَفْسِهِ) أَيْ لِأَجْلِهَا فَإِنْ ثَوَابَ اهْتِدَائِهِ لَهُ (فَمَنْ ضَلَّ) عَنْ الْإِيمَانِ وَأَخْطَأَ طَرِيقَ الْهُدَى (فَقُلْ) لَهُ (إِنَّمَا أَنَا مِنَ الْمُنْذِرِينَ) الْخَوَفِينَ فَلَيْسَ عَلَيَّ إِلَّا التَّبْلِيغُ، وَهَذَا قَبْلَ الْأَمْرِ بِالْقِتَالِ (وَقُلِ الْحَمْدُ لِلَّهِ سَيُرِيكُمْ آيَاتِهِ فَتَمَرُّ قُوْنَهَا) فَأَرَاهُمْ اللَّهُ يَوْمَ بَدْرٍ الْقَتْلَ وَالسَّبِيَّ وَضَرْبَ اللَّاتِكَةِ وَجُوهَهُمْ وَأَدْبَارَهُمْ وَعَجَّلَهُمُ اللَّهُ إِلَى النَّارِ (وَمَا رَبُّكَ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ) بِالْيَأْسِ وَالتَّوَلَّى، وَإِنَّمَا يَعْمَلُهُمْ لَوْقَهُمْ .

(سورة القصص)

مكية إلا - إن الذي فرض - الآية ، نزلت بالجحفة وإلا «الذين آتيناهم الكتاب - إلى قوله - لا نبتغي الجاهلين» وهي سبع أو ثمان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ طس) الله أعلم بمراده بذلك (تلك) أي هذه الآيات (آيات الكتاب) الإضافة بمعنى من (المبين) المظهر الحق من الباطل (تتلوا) نقص (عليك من نبأ) خبر (موسى وفرعون بالحق) الصدق (لقوم يؤمنون) لأجلهم لأنهم المنتفعون به (إن فرعون علا) تعظم (في الأرض) أرض مصر (وجعل أهلها شيعاً) فرقاً في خدمته (يستضعف طائفة منهم) هم بنو إسرائيل (يذبح أبناءهم) المولودين (ويستخفي نساءهم) يستبقين أحياء لقول بعض الكهنة له إن مولوداً يولد في بني إسرائيل يكون سبب زوال ملكك .

السورة والاشارة لمحقق حاضر في علم الله تعالى (قوله تتلوا عليك) مفعوله محذوف أي شيئاً وقوله من نبأ صفة لذلك المحذوف ويصح أن تكون من اسم بمعنى بعض هي المفعول أو زائدة على مذهب الأخفش ونبأ هو المفعول (قوله بالحق) حال إيمان فاعل تتلوا أو من مفعوله والمعنى حال كوننا ملتبيين بالصدق أو كون الخبر ملتبياً بالصدق (قوله لأجلهم) أشار بذلك إلى أن اللام للتعليل أي أن المقصود بالذكر المؤمنين لأنهم هم المنتفعون بذلك قال تعالى - ونزل من القرآن ما هو شفاء ورحمة للمؤمنين - (قوله إن فرعون) كلام مستأنف بيان للنبا (قوله تعظم) أي تكبر واقتخر (قوله وجعل أهلها شيعاً) أي أصنافاً فجعل الصنائع البشرية والامارة للقبط وجعل الصنائع الخسيسة لبني إسرائيل من بناء وحرق وحفر وغير ذلك ومن لم يستعمله ضرب عليه الجزية (قوله يذبح أبناءهم) بدل اشتغال من قوله يستضعف الخ وذلك أن بني إسرائيل لما كثروا بمصر استطلوا على الناس وعملوا المعاصي فسلط الله عليهم القبط فاستضعفهم وذهبوا أبناءهم بأمر فرعون . قيل إنه ذبح سبعين ألفاً إلى أن أتاهم الله على يد موسى عليه السلام

(قوله إنه كان من المفسدين) أى الراسخين فى الفساد (قوله بالقتل وغيره) أى كدعوى الألوهية (قوله وتريد أن نمنى) أى تفضل عليهم بأنجاهم من بأسه (قوله يقتدى بهم) أى بعد أن كانوا أذلاء مسخرين (قوله ونمكن لهم فى الأرض) أى نملكهم مصر والشام يتصرفون فيها كيف يشاءون (قوله وتزى فرعون) أى نبصره وفرعون وما عطف عليه مفعول أول وما كانوا يحذرون مفعول ثان (قوله وفى قراءة) أى وعليها فلها مفعول واحد فقط وهو قوله : ما كانوا يحذرون ، وطى هذه توجب إمالة الراى إمالة محضة (قوله ورفع الأسماء الثلاثة) أى على الفاهلية (قوله منهم) أى للمستضعفين (قوله يخافون من المولود الخ) أى وقد حصل ماخوفه حين أنهم معجزات موسى عليه السلام وحين أدركهم الفرق (قوله وحى إلهام أو منام) هذان قولان للفسرين وقيل كان ملك تمثل لها وامترض بأنها ليست بنبيه . وأجيب بأن المنوع نزول لللائكة على غير الأنبياء بالسرائع وأما بقى ها فإثر كنزول الملك على البار بأمه التى تقدمت قصته فى البقرة (قوله إلى أم موسى) أى واسمها يروحانذ بضم الياء وكسر النون وبالدال المعجمة ، وقيل لوخا بنت هاند بن لاوى بن يعقوب ، وقد اشتملت هذه الآية على أمرين وهما أرضعيه وألقيه ونهين وهما لا تخافى ولا تحزنى وخبرين وبشارتين وهما إنا رادوه إليك وجاعلوه من المرسلين فهما خبران تضمننا بشارتين (قوله أن أرضعيه) يصح أن تكون أن مفسرة أو مصدرية (قوله فاذا خفت عليه) أى ن الدبح (قوله ولا تخافى غرقه) دفع بذلك التدقّص بين إثبات الخوف ونفيه (١٩٦) فالتبث هو خوف الدبح والتبث هو خوف الفرق (قوله إنا رادوه إليك) أى

لأننى عليه وهو علة للنهى عن الخوف والحزن (قوله فوضعت فى تابوت) أى وكان طوله خمسة أشبار وعرضه كذلك وجعلت المفتاح فى التابوت (قوله مطلى بالقار) أى الزفت (قوله ممد) أى مفروش له فيه ففرشت فيه قطنا محلجا (قوله وأغلقت) أى وقبرت رأسه . وحاصله أن أم موسى لما تقاربت

(إِنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُفْسِدِينَ) بالقتل وغيره (وَتُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ عَلَى الَّذِينَ اسْتُضِفُوا فِي الْأَرْضِ وَنَجْعَلَهُمْ أَئِمَّةً) بتحقيق الممرتين وإبدال الثانية ياء : يقتدى بهم فى الخير (وَنَجْعَلَهُمُ الْوَارِثِينَ) ملك فرعون (وَنُمَكِّنْ لَهُمْ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر والشام (وَتُرَىٰ فِرْعَوْنُ وَهَامَانَ وَجُنُودُهُمَا) وفى قراءة ويرى بفتح التحتانية والراء ورفع الأسماء الثلاثة (مِنْهُمْ) ما كانوا يحذرون (يَخَافُونَ) يخافون من المولود الذى يذهب ملكهم على يديه (وَأَوْحَيْنَا) وحى إلهام أو منام (إِلَىٰ أُمِّ مُوسَىٰ) وهو المولود المذكور ولم يشمر بولادته غير أخته (أَنْ أَرْضِعِيهِ فَإِذَا خِفْتُ عَلَيْهِ فَأَلْقِيهِ فِي الْيَمِّ) البحر أى النيل (وَلَا تَخَافِي) غرقه (وَلَا تَحْزَنِي) لراقه (إِنَّا رَادُّوهُ إِلَيْكِ وَجَاعِلُوهُ مِنَ الْمُرْسَلِينَ) فأرضعته ثلاثة أشهر لا يبكى وخافت عليه فوضعت فى تابوت مطلى بالقار من داخل ممد له فيه وأغلقت وألقته فى بحر النيل ليلا ،

(فالقطة)

ولادتها وكانت قابلة من القوايل التى وكاهن فرعون بجبالى بنى إسرائيل مصابية

لأم موسى ومصاحبة لها فلما ضربها الطلق أرسلت إليها ، فقالت قد نزل فى منزل فليسعفى حبك إياى اليوم فلما لجتها ، فلما أن وقع موسى بالأرض هالما نور بين عيسى موسى فارتنى كل مفصل فيها ودخل حب موسى قلبها ، ثم قالت القابلة لها يا هذه ما جئت إليك حين دعوتنى إلا ومرادى قتل مولودك ولكن وجدت لابنك هذا حيا ما وجدت حب شي مثل حبه فاحفظى ابنك فلما خرجت القابلة من عندها أبصرها بعض الصيون فجاءوا على بابها ليدخلوا على أم موسى ، فقالت أخته يا أماء هذا الحرس بالباب فلفت موسى بخرقه وألقته فى التنور وهو مسجور وطاش عقلها فلم تعقل ما صنع . قال فدخلوا فإذا التنور مسجور ورأوا أم موسى ولم يتغير لها لون ولم يظهر لها لبن ، فقالوا ما أدخل عليك القابلة ؟ فقالت هى مصابية لى فدخلت على زائرة فخرجوا من عندها فرجع لها عقالها فقالت لأخت موسى فأين الصبي ؟ فقالت لا أدري فسمعت بكاء الصبي من التنور فانطأقت إليه وقد جعل الله عليه النار بردا وسلاما فأحتملته . ثم إن أم موسى لما رأت إلحاح فرعون فى طلب الولدان خافت على ابنها وقذف الله فى نفسها أن تتخذ تابوتا ثم تقذف التابوت فى النيل ، فانطلقت إلى رجل نجار من قوم فرعون فاشتريت منه تابوتا صغيرا ، فقال النجار مانصنين بهذا التابوت ؟ فقالت لى ابن أخيتى فى التابوت وكرهت الكذب ولم تقل أخشى عليه كيد فرعون ، فلما اشترت التابوت وحملته وانطلقت به انطلق النجار إلى السباحين ليخبرهم بأمر أم موسى ، فلما هم بالكلام أمسك الله لسانه فلم يطق الكلام وجعل يشير بيده فلم يدرك الأماء ما يقول فأعيام أمره قال كبيرهم اضربوه فضربوه وأخرجوه ، فلما انتهى النجار إلى موضعه

ردّ الله عليه لسانه فتكلم فانطلق أيضا يريد الأمان فأتاهم ليخبرهم فأخذ لسانه وبصره فلم يطق الكلام ولم يبصر شيئا فصر بصره وأخرجوه ، فبقى حيران فجعل الله عليه إن ردّ لسانه وبصره أن لا يدل عليه وأن يكون معه ويحفظه حيث ما كانوا وعرف الله منه الصدق فردّ عليه لسانه وبصره غرّ الله ساجدا وقال ياربّ دني على هذا العبد الصالح فدلّه الله عليه فأمن به وصدقه . وقيل لما حملت أم موسى به كتمت أمرها عن جميع الناس فلم يطلع على حملها أحد من خلق الله وذلك شئ من الله تعالى لما أراد أن يمنّ به على بني إسرائيل ، فلما كانت السنة التي ولد فيها بنت فرعون القوا بل إليهن ففتشن النساء فتفتشن لم يفتشن قبل ذلك مثله وحملت أم موسى فلم يتغير لونها ولم تكبر بطنها وكانت القوا بل لا تعرضن لها ، فلما كانت الليلة التي ولد فيها ولدته ولا قريب لها ولا قاطلة ولم يطلع عليها أحد إلا أخته مريم ، وأوحى الله إليها أن أرضعيه فإذا خفت عليه فألقيه في اليم وهو البحر ليلا ، وكان لفرعون يومئذ بنت لم يكن له ولد غيرها وكانت من أكرم الناس عليه وكان لها كل يوم ثلاث حاجات ترفعها إليه وكان بهارص شديد وكان فرعون قد جمع له الأطباء والسحرة فنظروا في أمرها فقالوا : أيها الملك لا تبرأ إلا من قبل البحر فيوجد فيه شبه الإنسان فيؤخذ من ريقه فيطبخ به برصا فتبرأ من ذلك وذلك في يوم كذا في ساعة كذا في شهر كذا حين تشرق الشمس ، فلما كان ذلك اليوم غدا فرعون إلى مجلس له كان على شفير النيل وكان معه امرأته آسية بنت مزاحم وأقبلت بنت فرعون في جواربها حتى جلست على شاطئ النيل مع جواربها تلاعبهن وتنضح الماء على وجوههن إذ أقبل النيل بالتأبوت نصر به الأمواج ، فقال فرعون إن هذا لشيء في البحر قد تعلق بشجرة اتتوني به فابتدروا بالسفن من كل ناحية حتى وضعوه بين يديه فعالجوا فتح الباب فلم يقدروا عليه وعالجوا كسره فلم يقدروا عليه ، فدفنت آسية فرأت في جوف التأبوت (١٩٧) نور المبرء غيرها فعالجته فتفتحت

الباب فاذا هي بصي صغير في التأبوت وإذا النور بين عينيه وقد جعل الله رزقه في إبهامه يمس منها لبنا فألقى الله محبته في قلب آسية وأحبه فرعون وعطف عليه وأقبلت بنت فرعون فلما أخرجوا الصبي

(قَالَتْ قَطْلُ) بالتأبوت صبيحة الليل (آل) أعوان (فِرْعَوْنَ) فوضعه بين يديه وفتح وأخرج موسى منه وهو يمس من إبهامه لبناً (لِيَكُونَ لَهُمْ) في عاقبة الأمر (عَدُوًّا) يقتل رجالهم (وَحَزَنًا) يستعبد نساءهم ، وفي قراءة بضم الحاء وسكون الزاي لغتان في الصدر ، وهو هنا بمعنى اسم الفاعل من حزنه كأحزنه (إِنَّ فِرْعَوْنَ وَهَامَانَ) وزيره (وَجُنُودَهُمَا كَانُوا خَاطِئِينَ) من الخطيئة : أي عاصين فعوقبوا على يديه (وَقَالَتِ امْرَأَةُ فِرْعَوْنَ) وقد هم مع أعوانه بقتله :

من التأبوت عمدت إلى ما يسيل من ريقه بلطخت به برصا فبرئت في الحال بإذن الله تعالى فقبلته وضمته إلى صدرها ، فقال الفؤاد من قوم فرعون أيها الملك إنطلق أن ذلك للولود الذي تحذر منه من بني إسرائيل هو هذا رمى به في البحر خوفا منك فهم فرعون بقتله ، فقالت آسية - قرّة عين لي ولك لا تقتلوه عسى أن ينفعنا - أي فنصيب منه خيرا أو تتخذها ولدا وكانت آسية لا تلهيها فاستوهبت موسى من فرعون فوهبه لها ، وقال فرعون أما أنا فلاحاجة لي فيه . قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « لو قال فرعون يومئذ قرّة عين لي كما هو لك لهداه الله كما هداها » فتيل لآسية محبة فقالت سميت موسى لأنا وجدناه في الماء والشجر لأن مو هو الماء وشاهو الشجر فأصل موسى بالمهملة موثى بالمعجمة (قوله قَالَتْ قَطْلُ آلِ فرعون) عطف على ما قدره للفسر بقوله فأرضعته الخ (قوله صبيحة الليل) أي وكان يوم الاثنين (قوله وفتح) أي فتحت آسية بعد أن عالجوه بالفتح والكسر فلم يقدرُوا (قوله في عاقبة الأمر) أشار بذلك إلى أن اللام للعاقبة والضرورة لالاعلة لأن علة التقاطعهم أن يكون حبيبا وابنا ، ففى الآية استعارة تبعية في متعلق معنى الحرف يقدر تشبيه ترتب نحو العداوة والحزن على نحو الالتقاط بترتب العلة الغائية في المحبة والتبني بجامع مطاق الترتب الأعم من الطرفين فالترتب الثانى متعلق معنى اللام فقدر استعارة الترتب السكلى التشبيه بالترتب السكلى التشبيه لفسرى التشبيه لمعنى اللام الذى هو الترتب الجزئى فاستعير لفظ اللام واستعمل في الترتب الجزئى والعداوة والحزن قرينة لعاده اللامى (قوله وفي قراءة الخ) أي وهى سبعة أيضا (قوله من حزنه) هو من باب ضرب ونصر (قوله فعوقبوا على يديه) أي مع أنه تربى على أيديهم فهو أبلغ في إذلالهم (قوله وقالت امرأة فرعون) أي وهى آسية بنت مزاحم وكانت من حيار النساء ، قيل كانت من ذرية الريان بن الوليد الذى كان في زمن يوسف الصديق عليه السلام ، وقيل من بنات الأنبياء من بني إسرائيل من سبط موسى عليه السلام ، وقيل كانت عمته فقالت لفرعون وهى قاعدة إلى جنبه هذا الولد أكبر من ابن

سنة وأنت تذبح ولهمان هذه السنة فدعه يكون عندي، وقيل إنها قالت له إنه أتى من أرض أخرى وليس هو من بني إسرائيل (قوله هو قرت عين) أشار للمفسر إلى أنه خبر لمحدوف (قوله عسى أن ينقنا الخ) أي لما رأته فيه من العلامات الدالة على النجاة والبركة (قوله فأطاعوها) أي على عادة أمراء مصر من كونهم يطيعون النساء فيما يقبلن (قوله وهم لا يشعرون) حال من آل فرعون (قوله وأصبح فؤاد أم موسى) أصبح أن يبقى أصبح على ظاهره إن ثبت أنها ألقته ليلاً أو يجعل بمعنى صار إن كانت ألقته نهاراً (قوله فارغاً مما سواه) أي من التفكير في غيره لما ورد: أنه أتاها الشيطان وقال كرهت أن يقتل فرعون ابنك فيكون لك أجره وثوابه وتوليت أنت قتله فأغرقته في البحر فخرت لذلك وانحصرت فكرتها فيه ونسيت - أو حى به إليها (قوله لتبدى به) ضمنه معنى تصرح فدهاء بالبلاء ويصح أن يبقى على ظاهره وتكون الباء زائدة: أي تظهره (قوله لولا أن ربطنا على قلبها) جواباً لمحدوف: أي لأبدت به كما أشاره المفسر (قوله بوعدها) أي للدلول عليه بقوله - إن أرادته إليك - الخ (قوله لأخته) أي شقيقته (١٩٨) (قوله مريم) هو أحد أقوال، وقيل اسمها كاتمة، وقيل كاثوم (قوله عن

جنب) حال إيمان الفاعل
أو من الضمير المجرور بالبلاء
أي أبصرته مستخفية
كأنه عن جنب أو أبصرته
أي اختفاء (قوله اختلاسا)
أي اختفاء (قوله وأنها
ترقبه) أي تنظره (قوله
وحرمتنا عليه) أي على
موسى (قوله من قبل)
هو ظرف مبنى على الضم
لحذف المضاف إليه ونية
معناه (قوله أي منعناه)
أشار بذلك إلى أن المراد
من التحريم لازمه وهو
المنع لأن الصبي ليس من
أهل التكليف (قوله من
الراضع المحضرة) أي التي
أحضرها فرعون (قوله
وهم له ناصحون) أي

هو (قُرْتُ عَيْنٍ لِي وَلَكَ لَا تَقْتُلُوهُ عَسَى أَنْ يَنْفَعَنَا أَوْ نَتَّخِذَهُ وَلَدًا) فَأَطَاعُوهَا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بِعَاقِبَةِ أَمْرِهِمْ مَعَهُ (وَأَصْبَحَ فُؤَادُ أُمِّ مُوسَى) لَمَّا عَلِمَتْ بِالتَّقَاتِ (فَارِغًا) مِمَّا سِوَاهُ (إِنْ) مَخْضَعَةٌ مِنَ الثَّقِيلَةِ وَاسْمُهَا مُحَدُوفٌ. أَيْ إِنَّمَا (كَادَتْ لِتَبْدِي بِهِ) أَيْ بِأَنَّهُ ابْنُهَا (لَوْلَا أَنْ رَبَطْنَا عَلَى قَلْبِهَا) بِالصَّبْرِ أَيْ سَكْنَاهُ (لِئَلَّا يَكُونَ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) الْمُسَدِّقِينَ بِوَعْدِ اللَّهِ وَجَوَابُ لَوْلَا دَلَّ عَلَيْهِ مَقْبَلُهَا (وَقَالَتْ لِأَخْتِهِ) مَرْيَمَ (قَصِيَّةً) أَيْ اتَّبَعِي أَثَرَهُ حَتَّى تَعْلَمِي خَبْرَهُ (فَبَصَّرْتِ بِهِ) أَبْصَرْتَهُ (عَنْ جُنْبٍ) مِنْ مَكَانٍ بَعِيدٍ اخْتِلَاسًا (وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) أَنَّهَا أُخْتُهُ وَأَنَّهَا تَرْقُبُهُ (وَحَرَمْنَا عَلَيْهِ الْمَرَاضِعَ مِنْ قَبْلُ) أَيْ قَبْلَ رَدِّهِ إِلَى أُمِّهِ أَيْ مَنَعْنَاهُ مِنْ قَبُولِ ثَدْيِ مَرْضَعَةٍ غَيْرِ أُمِّهِ فَلَمْ يَقْبَلْ ثَدْيَ وَاحِدَةٍ مِنَ الرَّاضِعِ الْمُحْضَرَةِ لَهُ (قَالَتْ) أُخْتُهُ (هَلْ أَذْهَبْتُكُمْ عَلَى أَهْلِ بَيْتِي) لَمَّا رَأَتْ حَنُومَ عَلَيْهِ (يَكْفُلُونَهُ لَكُمْ) بِالْإِرْضَاعِ وَغَيْرِهِ (وَهُمْ لَهُ نَاصِحُونَ) وَفَسَّرَتْ ضَمِيرَ لَهَا بِالْمَلِكِ جَوَابًا لَهَا فَأُجِيبَتْ لَهَا بِأَمْرِ قَبْلِ ثَدْيِهَا وَأُجَابَتْ عَنْ قَبُولِهِ عَنْ قَبْلِ ثَدْيِهَا (فَرَدَدْنَاهُ إِلَى أُمِّهِ كَيْ تَقَرَّ عَيْنُهَا) بِبَلْقَائِهِ (وَلَا تَحْزَنَ) حِينَئِذٍ وَلَتَعْلَمَنَّ أَنَّ وَعْدَ اللَّهِ (بَرْدُهُ) إِلَيْهَا (حَقٌّ وَلَكِنْ أَكْثَرُهُمْ) أَيْ النَّاسُ (لَا يَعْلَمُونَ) بِهَذَا الْوَعْدِ وَلَا بِأَنَّ هَذِهِ أُخْتُهُ وَهَذَا أُمُّهُ فَكَثُرَتْ عَنْهَا إِلَى أَنْ قَطَعَتْهُ وَأَجْرَى عَلَيْهَا أَجْرَهَا لِكُلِّ يَوْمٍ دِينَارًا

وَأَخَذَتَهَا

مخلصون في العمل من شوائب الفساد (قوله حنوم عليه)

أي عطفهم وميلهم إليه (قوله وغيره) أي كالترية وإصلاح الحال (قوله فقبل ثديها) أي بعد أن مكث عندهم ثمانية أيام لا يقبل ثدي مرضعة أصلاً، قيل إن هاهنا لما سمع قولها وهم له ناصحون قال إنها تعرفه وأهل غفوها واحبسوها حتى تخبر بحاله، فقالت إنما أردت وهم له: أي لئلا ناصحون فأمرها فرعون بأن تأتي بمن يكفله فأنت بأم موسى وهو على يد فرعون يبكي طالبا للرضاع فمولا شفقة عليه فلما وجد ريجها استأنس والتقم ثديها، فقال لها من أنت منه فقد أتى كل ثدي إلا ثديك؟ فقالت إني امرأة طيبة الرج طيبة اللبن لا أكاذ أوتى بصبي لإقباتي فدفعه إليها وقال لها أقمي عندي لإرضاعه فقالت لا أقدر على فراق يتي فأن رضيت أرضته في بيتي وإلا فلا حاجة لي فيه وأظهرت الزهد فيه فنيا للثمة عنها فرفضوا بذلك فرجعت به إلى بيتها من يومها ولم يبق أحد من آل فرعون إلا أهدى إليها وأحفها بالذهب والجواهر (قوله كي تقر عينها) أي تبرد وتسكن من ألم الفراق (قوله ولا تحزن) عطف على تقر مندوب بأن مضرة بعدك (قوله فكثرت عندها إلى أن قطعت) أي وهو حستان .

(قوله وأخذتها لأنها مال حربى) جواب عما يقال كيف جاز لها أن تأخذ أجرة منه على إرضاع ولدها (قوله أ ثلاث) أو لتتويع الخلاف (قوله أى بلغ أربعين سنة) المناسب أن يقول أى كل عقله وانتهى شبابه لأن موسى أقام في مصر ثلاثين سنة ثم ذهب إلى مدين وأقام فيها عشر سنين ووقفة قتل القبطى كانت قبل ذهابه لمدين فهى السبب فيه (قوله كما جزيناه) أى مثل ذلك الذى فعلناه بموسى وأمه نجزى المحسنين على إحسانهم (قوله منف) بضم فسكون ممنوع من الصرف لاهلية والتأنيث أو العجبة ، وهى من أعمال مصر ، وقيل هى قرية يقال لها أم خنان على فرسخين من مصر ، وقيل هى مدينة عين الشمس ، وقيل هى مصر (قوله وقت القيلولة) وقيل بين المغرب والعشاء . وسبب دخوله المدينة في ذلك الوقت أن موسى كان يسمى ابن فرعون وكان يركب مراكبه ويلبس لباسه فركب فرعون يوما وكان موسى غائبا فلما قدم قيل له إن فرعون قد ركب فركب موسى في أثره فأدركه القليل في أرض منف فدخلها وليس في طرقها أحد (١٩٩) (قوله وهذا من عدوه) أى

وكان طبائخا لفرعون وأما فليثون أراد أن يسخر الإسرائيل لحمل الحطب (قوله فاستغاثه) أى طلب غوثه ونصره (قوله أن أحمله) أى الحطب (قوله فوضعه) موسى) أى دفعه بجمع كفه ، وأما الاسكز فهو الضرب بأطراف الأصابع (قوله بجمع كفه) أى بكمفه مجموعة فهو من إضافة الصفة للموصوف (قوله ففضى عليه) أى أوقع عليه القضاء وهو الموت (قوله ولم يكن قتله) جواب عما يقال كيف تجرأ على قتل القبطى وحاصل إيضاح الجواب أن قتله كان خطأ ، وقد يقال قتله من باب دفع المائل

وأخذتها لأنها مال حربى فأتت به فرعون فترجى عنده كما قال تعالى حكاية منه في سورة الشعراء - ألم نربك فينا ولينا ولبت فينا من همك سنين - (وَلَمَّا بَلَغَ أَشُدَّهُ) وهو ثلاثون سنة أو ثلاث (وَأَسْتَوَى) أى بلغ أربعين سنة (آتَيْنَاهُ حُكْمًا) حكمة (وَعِلْمًا) فقها في الدين قبل أن يبعث نبيا (وَكَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم (وَدَخَلَ) موسى (الْمَدِينَةَ) مدينة فرعون ، وهى منف بعد أن غاب عنه مدة (عَلَى حِينٍ غَمَلَةٍ مِنْ أَهْلِهَا) وقت القيلولة (فَوَجَدَ فِيهَا رَجُلَيْنِ يَقْتَتِلَانِ هَذَا مِنْ شِيعَةِ) أى إسرائيلي (وَهَذَا مِنْ عَدُوِّهِ) أى قبطى يسخر الإسرائيل ليحمل حطباً إلى مطبخ فرعون (فَاسْتَفَاهُ الَّذِي مِنْ شِيعَتِهِ عَلَى الَّذِي مِنْ عَدُوِّهِ) فقال له موسى خل سبيله فقيل إنه قال لموسى لقد هممت أن أحمله عليك (فَوَكَزَهُ مُوسَى) أى ضربه بجمع كفه وكان شديد القوة والبطش (فَفَقَضَى عَلَيْهِ) أى قتله ولم يكن قصد قتله ودفعه في الرمل (قَالَ هَذَا) أى قتله (مِنْ عَمَلِ الشَّيْطَانِ) المبيح غضبي (إِنَّهُ عَدُوٌّ) لابن آدم (مُضِلٌّ) له (مُبِينٌ) بين الإضلال (قَالَ) ناديا (رَبِّ إِنِّي ظَلَمْتُ نَفْسِي) بقتله (فَاغْفِرْ لِي فَغَفَرَ لَهُ إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ) أى العصف بهما أولاً وأبداً (قَالَ رَبِّ إِنَّمَا أَنُكِّمْتُ) بحق إنعامك (عَلَيَّ) بالمغفرة أعصنى (فَلَنْ أَكُونَ ظَاهِرًا) عونا (لِلْمُجْرِمِينَ) الكافرين بعد هذه إن عصمتى (فَأُصْبِحَ فِي الْمَدِينَةِ خَائِفًا يَتَرَقَّبُ) ينتظر ما يناله من جهة القتل (فَإِذَا الَّذِي اسْتَنْصَرَهُ بِالْأَمْسِ يَسْتَصْرِخُهُ) يستغيث به على قبطى آخر (قَالَ لَهُ مُوسَى إِنَّكَ لَمَوِيٌّ مُبِينٌ) بين الغواية ،

وهو واجب ، والاستغفار من باب حسنات الأبرار سيئات المنقرين (قوله قال هذا من عمل الشيطان) نسبته للشيطان من حيث إنه لم يؤمر بقتل القبطى وظهر له أن قتله خلاف الأولى لما يترتب عليه من الفتن والشيطان تفرجه الفتن (قوله إني ظلمت نفسي) الحق أن هذا تواضع منه وحسنات الأبرار سيئات المنقرين (قوله بحق إنعامك عليّ) أشار بهذا إلى أن مأمودية والكلام على حذف مضاف وأشار بقوله أعصنى إلى أن الباء متعلقة بمقدر هو هذا وقوله فلن أكون جواب شرط بقوله أن عصمتنى وأراد بمظاهرة المجرمين هبة فرعون والتظلمة في جماعته وتكبير سواده (قوله فإذا الذى) إذا فجائية والذى مبتدأ نفث هذوف أى فإذا الإسرائيلى الذى واستنصره صلتة ويستصرخه خبر المبتدأ (قوله على قبطى آخر) أى يريد أن يستخدمه والاستصراخ الاستغاثة وصحيت بذلك لأن المستغيث يصوت ويصرخ في طلب النوث (قوله قال له موسى) قال ابن عباس إن القبط قالوا لفرعون إن بنى إسرائيل قتلوا منا رجلا فغذلنا بحمقنا فقال اطلبوا قاتله ومن شهد عليه فبئناهم يطوفون لاجندين بينة

إلاهم موسى من القدي فرأى ذلك الاسرائيلي يقاتل فرعونيا آخر فاستنانه على الفرعوني وكان موسى قد ندم على ما كان منه بالأمس من قتل القبطي فقال للاسرائيلي إنك لنوى مبین (قوله لما فعلته أمس واليوم) أى حيث قاتلت بالأمس رجلا فتقتله بسببك وتقاتل اليوم آخر وتستغنى عليه (قوله فلما أن أراد أن يبطلش الخ) وذلك أن موسى أخذته الغيرة والرقة على الاسرائيلي فد يده ليبطلش بالقبطي فظن الاسرائيلي أنه يريد أن يبطلش به هو لما رأى من غضبه وجمع من قوله إنك لنوى مبین فقال يا موسى أتريد الخ (قوله جبارا في الأرض) الجبار هو الذى يقتل ويضرب ويتعظم ولا ينظر في العواقب (قوله من المصلحين) أى بين الناس (قوله هو مؤمن آل فرعون) هو ابن عم فرعون واسمه خزقيل وقيل ثعمون وقيل سحمان وهو الذى ذكر في قوله تعالى - وقال رجل مؤمن من آل فرعون - (قوله يسي) صفة لرجل أوحال منه لوجود الخصص قبله (قوله يتشاورون فيك) أى يأمر بعضهم بعضا (٢٠٠) بقتلك (قوله أو غوث الله إياه) أو مائة خلوة تجوز الجمع (قوله قال رب نجني

لما فعلته أمس واليوم (فلما أن) زائدة (أراد أن يبطلش بالذى هو عدو لهما) لموسى والمستغنى به (قال) المستغنى ظانا أنه يبطلش به لما قال له (يا موسى أتريد أن تقتلني كما قتلت نفسا بالأمس إن) ما (تريد إلا أن تكون جبارا في الأرض وما تريد أن تكون من المصلحين) فسمع القبطي ذلك فلم أن القاتل موسى فانطلق إلى فرعون فأخبره بذلك فأمر فرعون الذبايح بقتل موسى فأخذوا في الطريق إليه (وجاء رجل) هو مؤمن آل فرعون (من أقصى المدينة) آخرها (يسعى) يسرع في مشيه من طريق أقرب من طريقهم (قال يا موسى إن الملأ) من قوم فرعون (يا تمرؤن بك) يتشاورون فيك (ليقتلوك فأخرج) من المدينة (إني لك من الناصحين) في الأمر بالخروج (فخرج منها خائفا يترقب) لحوق طالب أو غوث الله إياه (قال رب نجني من القوم الظالمين) قوم فرعون (ولما توجه) قصد بوجهه (لتلقاء مدين) جهتها وهي قرية شعيب مسيرة ثمانية أيام من مصر سميت بمدين بن إبراهيم ولم يكن يعرف طريقها (قال عسى ربني أن يهديني سواء السبيل) أى قصد الطريق أى الطريق الوسط إليها ، فأرسل الله له ملكا بيده عنزة فانطلق به إليها (ولما ورد ماء مدين) بئر فيها أى وصل إليها (وجد عليه أمة) جماعة (من الناس يسقون) مواشيهم (وجد من دونهم) أى سوامهم (أمرأتين تذودان) تمنعان أغانهما عن الماء (قال) موسى لهما (ما خطبكما) أى ما شأنكما لا تسقيان (قالتا لا نسقي حتى يصدروا الرعاة) ،

الخ) أى خلصني منهم واحفظني من حقوقهم (قوله ولما توجه تلقاء مدين) أى بالهام من الله لعله بأن أرض مدين لا تسلط لفرعون عليها وأن يئنه وبين أهل مدين قرابة لكونهم من ذرية إبراهيم وهو كذلك (قوله ابن إبراهيم) أى الخليل عليه السلام وله ولد آخر اسمه مدين فأولاده أربعة إسماعيل وإسحق ومدين ومداين ، وإعنا لم يصرح في القرآن بمدين ومداين لأنهما لم يكونا نبيين (قوله ولم يكن يعرف طريقها) وخارج بلا زاد ولا رفيق ولم يكن له طعام إلا ورق الشجر ونبات الأرض حتى يفت خضرته

جمع

في باطنه من خروج وما وصل إلى مدين حتى وقع

خف قلميه وهو أول ابتلاء من الله لموسى (قوله سواء السبيل) من إضافة الصفة للوصف أى السبيل السوى (قوله أى الطريق الوسط) أى وكان لها ثلاث طرق فأخذ موسى يمشى في الوسطى وجاء الطلاب في أثره فساروا في الأبريين ولم يعرفوا عمله (قوله ملكا) أى وكان راكبا على فرس قبل هو جبريل (قوله بيده عنزة) هي فوق العصا ودون الرمح في طرفها حربة كحربة الرمح (قوله بئر فيها) أشار بذلك إلى أنه أطلق الحال وأراد المل فأتى الماء وأريد البئر (قوله أى وصل إليها) أشار بذلك إلى أن المراد بالورد هنا الوصول لأن الورد يطلق على الدخول في الشيء وعلى الاطلاع على الشيء والوصول إليه ومنه قوله تعالى - وإن منكم إلا واردة - على مشهور التفسير - (قوله جماعة) أى كثيرة (قوله يسقون) الجملة حال من فاعل وجد لأنها بمعنى لقي فتصب مفعولا واحدا (قوله مواشيهم) هو معمول يسقون وقد حذف في هذه الآية معمول يسقون وتذودان ولا نسقي لأن المقصود الفعل لا المفعول

(قوله جمع رابع) أى على غير قياس وثبائه بضم الراء كقاض وقضاة (قوله لوى فراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله وأبونا شيخ كبير) أى فهذا وجه مباشرتنا لسنى بأنفسنا قال الأجهورى فى شرح خطبة الشيخ خليل : [تمة] عاش شعيب نبي الله ثلاثة آلاف سنة ذكره الشيخ زروق ، وفى رواية وكان فى غنمه اثنا عشر ألف كلب ، وفى رواية أنه عاش ثلاثة آلاف سنة ومئاة سنة اه ملخصا من حاشية شيخنا الشيخ سليمان الجمل على فضائل رمضان للأجهورى (قوله لا يقدر أن يسقى) أى فيرسلنا لظطرابا (قوله فسقى لهما) أى سقى أغنامهما لأجلهما (قوله إلا عشرة أنفس) وقيل سبعة ، وقيل ثلاثون ، وقيل أربعون ، وقيل مائة (قوله لسرة) بضم اليم ، وهى شجرة عظيمة من (٢٠١) شجر الطلح وهى التى أمر صلى الله عليه وسلم ليلة

الامراء بالنزول والصلاة عندها (قوله لى لما أنزلت لى) إن حرف توكيد والياء اسمها ولما أنزلت متعلق بفقير وهو خبر إن وأنزلت بمعنى نزل والمعنى لى فقير ومحتاج لما نزل إلى من أى نبي كان قليلا أو كثيرا (قوله ادعيه لى) أى اطلبه ليحضر عندي (قوله فجاءته الخ) عطف على ما قدره المفسر بقوله فرجعنا الخ (قوله تمشى) حال من فاعل جاء وقوله على استحياء حال من الضمير فى تمشى والاستحياء هو الحياء بالمد ، وهو حالة تعترى الشخص تحمله على تجنب الرذائل (قوله كم درعها) أى قميصها (قوله منكرا فى نفسه أخذ الأجرة) أى فلم يكن قصده بالاجابة أخذ

جمع رابع ، أى يرجون عن سقيم خوف الزحام فسقى وفى قراءة يصدر من الرباعى أى يصرفون مواشيهم عن الماء (وَأَبُونَا شَيْخٌ كَبِيرٌ) لا يقدر أن يسقى (فَسَقَى لَهَا) من بئر أخرى بقرها رفع حجرأ عنها لا يرفعه إلا عشرة أنفس (ثُمَّ تَوَلَّى) انصرف (إِلَى الظَّلِّ) لسرة من شدة حر الشمس وهو جائع (قَالَ رَبِّ إِنِّي لَمَّا أَنزَلْتَ إِلَيَّ مِنْ خَيْرٍ) طعام (فَقَبِيرٌ) محتاج ، فرجنا إلى أبيهما فى زمن أقل مما كانتا رجكان فيه فسألها عن ذلك فأخبرته بن سقى لهما فقال لإحداهما ادعيه لى ، قال تعالى (فَجَاءَتْهُ إِحْدَاهُمَا تَمْشِي عَلَى اسْتِحْيَاءٍ) أى واضحة كم درعها على وجهها حياء منه (قَالَتْ إِنَّ أُنَى يَدْعُوكَ لِيَجْزِيَكَ أَجْرَ مَا سَقَيْتَ لَنَا) فأجابها منكرا فى نفسه أخذ الأجرة كأنها قصدت المكافأة إن كان ممن يريدتها فبشت بين يديه فجعلت الريح تضرب ثوبها فكشف ساقها فقال لها امشى خلفى ودلبنى على الطريق فقلت إلى أن جاء أباهما وهو شبيب عليه السلام وعنده عشاء فقال له اجلس فتمشى قال أخاف أن يكون عوضا مما سقيت لهما وإنا أهل بيت لا نطلب على عمل خير عوضا ، قال : لا ، عادنى وعادة أبائى قرى الضيف ونظم الطعام فأكل وأخبره بحاله ، قال تعالى (فَلَمَّا جَاءَهُ وَقَصَّ عَلَيْهِ الْقَصَصَ) مصدر بمعنى القصص من قتله القبطى وقصدم قتله وخوفه من فرعون (قَالَ لَا تَخَفْ نَجَوْتَ مِنَ الْقَوْمِ الظَّالِمِينَ) إذ لا سلطان لفرعون على مدين (قَالَتْ إِحْدَاهُمَا) وهى الرسالة الكبرى أو الصغرى (يَا أَبَتِ اسْتَأْجِرْهُ) اتخذها أجيرا يرعى غنمنا أى بدلنا (إِنَّ خَيْرَ مَنْ اسْتَأْجَرْتَ الْقَوَى الْأَمِينُ) أى استأجره لقوته وأمانته ، فسألها عنهما فأخبرته بما تقدم : من رفعه حجر البئر ، ومن قوله لها امشى خلفى وزيادة أنها لمسا جأته وعلم بها صوب رأسه فلم يرفعه فوغب فى إنكاحه (قَالَ إِنِّي أُرِيدُ أَنْ نَمُنَّ بِكَ) وهى الكبرى أو الصغرى ،

الأجرة بل للتبرك بأبيها (قوله وهو شبيب) هذا هو الصحيح ، وقيل هو يثرون ابن أنى شبيب وكان شبيب قد مات ، وقيل هو رجل. ممن آمن بشبيب وشبيب هو ابن متبعون بن عنتاش بن مدين بن إبراهيم عليه السلام (قوله وهى الرسالة) أى وهى التى تزوجها موسى عليه السلام (قوله إن خير من استأجرت) تعطيل للأمر بالاستئجار (قوله فسألها عنهما) أى بأن قال لها وما أعطتك قوته وأمانته (قوله وزيادة) أى على ما ذكرته من القوة والأمانة ، وقد يقال إن هذا من جملة الأمانة فلا زيادة (قوله صوب رأسه) أى خفضه (قوله فوغب فى إنكاحه) أى رغب شبيب فى إنكاحه ابنته (قوله هاتين) استفيد منه أنه

(قوله على أن تأجرتني) حال من الناعل أو المفعول وتأجرتني محذوف . والمعنى تأجرتني نفسك ، وقوله ثماني حجج ظرف له (قوله فمن عندك التمام) قدره إشارة إلى أن قوله فمن عندك خبر لمحذوف والتقدير فالتمام من عندك تفضلا لا إلزاما (قوله للتبرك) أي بالاستثناء للتبرك والتفويض إلى توفيقه تعالى لا للتعليل لأن صلاحه محقق (قوله ذلك) اسم الإشارة مبتدأ ويني وبينك خبره ، والمعنى ذلك الذي وقع منك وعاهدتني عليه ثابت يثبتنا جميعا لا يخرج عنه واحد منا ويصح أن يكون ذلك مفعولا لمحذوف أي قبلت ذلك ، وقوله ييني وبينك الخ حال من اسم الإشارة . والمعنى قبلت ذلك العقد حال كونه كائنا ييني وبينك لم يكن حلينا شهيد إلا الله (قوله أيما الأجلين) أي شرطية وجوابها فلاعدوان على ومازائدة كما قال المفسر (قوله (قوله الثمان أو العشر) بالنصب تفسير لأي (قوله قتم العقد) أي عقد النكاح والاجارة . إن قلت إن الذي وقع من شعيب وعد والنكاح لا يكون إلا بصيغة إبرام وأيضا لم يبين المنكوحة وأيضا الصداق ليست ثمرته عائدة عليها . أجب بجوابين : الأول أن هذا كان في شرعه جازا . الثاني أن يمكن تنزيله على شرعنا بأنه قصد بالوعد إنشاء الصيغة ، وقد وقع من موسى القبول بقوله ذلك ، وبأنه يمكن (٢٠٣) أنه يبين للمنكوحة بإشارة مثلا وبأن النعم يمكن أن يكون بعضها مملوكا لها

هجرة الرمي عائدة عليها (قوله فوقع ل يدها عصا كرم) قيل إنه أودعها ملكه في صورة رجل عند شعيب فأمر ابنته أن تأميه بعصا قائمتها بها فردها سبع مرات فلم يقع في يدها غيرها فادفعها إليه ثم ندم لأنها وديعة عنده فتبعه فاختصم فيها ورضيا أن يحكم بينهما أول طالع فأتاهما الملك فقال ألقياها فمن رفعها فهي له ففعلها الشيخ فلم يطقها فرفعها موسى عليه السلام فكانت له (قوله من آسن الجنة)

(عَلَى أَنْ تَأْجُرَنِي) تَكُونُ أَجِيرًا فِي رَمَى غَنَمِي (ثَمَانِي حِجَجٍ) أَي سَنِينَ (فَإِنْ أَتَمَمْتَ عَشْرًا) أَي رَمَى عَشْرَ سَنِينَ (فَمِنْ عِنْدِكَ) التَّمَامُ (وَمَا أُرِيدُ أَنْ أَشُقَّ عَلَيْكَ) بِاشْتِرَاطِ الْعَشْرِ (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ) لِلتَّبَرُّكِ (مِنَ الصَّالِحِينَ) الْوَافِينَ بِالْعَهْدِ (قَالَ) مُوسَى (ذَلِكَ) الَّذِي قُلْتَهُ (يَنِينِي وَبَيْنَكَ أَيْمًا الْأَجَلَيْنِ) الثَّمَانِ أَوِ الْعَشْرِ وَمَا زَائِدَةٌ أَي رَعِيهِ (قَضَيْتُ) بِهِ أَي فَرَعْتُ مِنْهُ (فَلَا عُذْوَانَ عَلَيَّ) بِطَلْبِ الزِّيَادَةِ عَلَيْهِ (وَأَلَّهُهُ عَلَى مَا تَقُولُ) أَنَا وَأَنْتَ (وَكَيْلٌ) حَفِيزٌ أَوْ شَهِيدٌ قَتَمَ الْعَقْدَ بِذَلِكَ ، وَأَمْرَ شُعَيْبَ ابْنَتَهُ أَنْ تَعطَى مُوسَى عَصَا يَدْفَعُ بِهَا السَّبَاعَ عَنْ غَنَمِهِ ، وَكَانَتْ عَصَى الْأَنْبِيَاءِ عِنْدَهُ فَوَقَعَ فِي يَدِهَا عَصَا آدَمَ مِنْ آسَنِ الْجَنَّةِ فَأَخَذَهَا مُوسَى بِعِلْمِ شُعَيْبٍ (فَلَمَّا قَفَى مُوسَى الْأَجَلَ) أَي رَعِيهِ وَهُوَ ثَمَانٍ أَوْ عَشْرَ سَنِينَ وَهُوَ اللَّظَنُونَ بِهِ (وَسَارَ بِأَهْلِهِ) زَوْجَتَهُ بِإِذْنِ أَبِيهَا نَحْوِ مِصْرَ (آنَسَ) أَبْصَرَ مِنْ بَعِيدٍ (مِنْ جَانِبِ الطُّورِ) اسْمُ جَبَلٍ (نَارًا قَالَ لِأَهْلِهِ امْكُثُوا) هُنَا (إِنِّي آنَسْتُ نَارًا لَعَلِّي آتِيكُمْ مِنْهَا بِخَبَرٍ) عَنِ الطَّرِيقِ ، وَكَانَ قَدْ أَخْطَأَهَا (أَوْ جَذْوَةً) بِتَثْلِيثِ الْجِمِّ : قِطْعَةً وَشَعْلَةً (مِنَ النَّارِ لَعَلَّكُمْ تَصْطَلُونَ) تَسْتَدْفِنُونَ وَالطَّاءُ بَدَلٌ مِنْ تَاءِ الْاِفْتِمَالِ مِنْ صُلِيَ بِالنَّارِ بِكُسْرِ اللَّامِ وَفَتْحِهَا ،

(فدا)

أى وتوارثها الأنبياء بعد آدم فصارت منه إلى نوح ثم إلى إبراهيم

حق وصلت لشعيب وكان لا يأخذها غير نبي إلا أكلته (قوله وهو للظنون به) أى وإن لم يصرح القرآن به لكمال مروءته فالمعول عليه أنه وفى العشر (قوله بأهله) أى زوجته وولده وخادمه (قوله نحو مصر) أى لصلة رحمه وزيارته أمه وأخيه . ورد أنه لما عزم على السير قال لزوجته اطلبي من أبيك أن يعطينا بعض النعم فطلبت من أبيها ذلك فقال لكما كل ما ولدت هذا العام على غير شبهها من كل أبلق و بقاء فأوحى الله إلى موسى أن اضرب بعصاك الماء واسق منه النعم ففعل ذلك فما أخطأت واحدة إلا وضعت حملها ما بين أبلق و بقاء فعلم شعيب أن ذلك رزق ساقه الله إلى موسى وابنته فوفى له بشرطه وأعطاه الأغنام (قوله من جانب الطور) أى الأيمن بدليل ما يأتى (قوله عن الطريق) أى نستدل عليها (قوله بتثليث الجيم) أى وكلها سببية فالكسر قراءة الجمهور والضم قراءة حمزة والفتح قراءة عاصم (قوله قطعة وشعلة) أى عود غليظ كان في رأسه نار أولاء وقيل هو مائى رأسه نار فقوله من النار وصف شخص على الأول وكاشفت على الثانى (قوله والطاء بدل من تاء الافتعال) أى فاصلة نستعملون وقت التاء بعد أحد حروف الاطباق فقلت طاء (قوله بكسر اللام) أى من باب رضى وقوله وفتحها أى من باب رعى

(قوله نودى من شاطىء الواد الخ) قيل إن موسى لما رأى النار مشتتة في الشجرة الخضراء علم أن ذلك لا يقدر عليه إلا الله فلما نودى علم أن الله هو المتكلم بذلك النداء (قوله الأيمن) صفة للشاطىء أولوادي ، من اليمن وهو الحركة أو اليمين مقابل اليسار ، والمعنى الشاطىء الذى إلى يمين موسى (قوله في البقعة) متعلق بنودى (قوله المباركة لموسى) أى لأنه في ذلك المثل حصلت له البركة الثامنة تلك الدلالة أسعد لباله كناية الامراء لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله من الشجرة) حال من الضمير في نودى والتقدير نودى موسى والحال أنه كائن في جهة الشجرة ، وليس المراد أنه سمع الكلام من جهة الشجرة فقط بل المحققون على أنه سمع الكلام بجميع أجزائه بلا حروف ولا صوت من جميع جهاته كما يكون لنا في الآخرة عند رؤية ذاته جل شأنه بلا كيف ولا انحصار (قوله بدل) أى بدل اشتغال (قوله أو عوسج) أى يشدك (قوله مفسرة) أى لأنه تقدمها جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله لا تخف) أى لعدم إفادتها المعنى المقصود (قوله إني أنا الله رب العالمين) هكذا قال هنا ، وفي سورة طه : إني أنا ربك ، وقال في النمل : نودى أن يورك من في النار ومن حولها (٢٠٣) ولا تنافي بل الكل قاله الله له (قوله

وأن ألق) عطف على قوله أن ياموسى (قوله من سرعة حركتها) أى فهو وجه شبهها بالجان وقوله في الآية الأخرى : فإذا هي ثمان ميين ، أى في عظم الجثة فتحصل أنها باعتبار الجثة كالثعبان العظيم وباعتبار الخفة وسرعة الحركة كالحية الصغيرة (قوله ولي مدبراً) أى باعتبار الطبع البشرى حين رآها بهذه الصفة . ورد أنها لم تدع شجرة ولا صخرة إلا ابتلعها حتى إن موسى عليه السلام سمع صرير أسنانها وقعقة الشجر والصخر في جوفها

(فَلَمَّا أَتَاهَا نُودِيَ مِنْ شَاطِئِىءِ) جانب (الْوَادِ الْأَيْمَنِ) لموسى (فِي الْبُقْعَةِ الْمُبَارَكَةِ) لموسى نسماعه كلام الله فيها (مِنْ الشَّجَرَةِ) بدل من شاطىء بإعادة الجار لنباتها فيه ، وهى شجرة عنب أو عقيق أو هوسج (أَنْ) مفسرة لا تخف (يَا مُوسَى إِنِّي أَنَا اللَّهُ رَبُّ الْعَالَمِينَ . وَأَنْ أَلْقِ عَصَاكَ) فآلتها (فَلَمَّا رَأَاهَا تَهْتَزُّ) تتحرك (كَأَنَّهَا جَانٌّ) وهى الحية الصغيرة من سرعة حركتها (وَلَى مُدْبِرًا) هارباً منها (وَلَمْ يَعْصِ) أى يرجع فنودى (يَا مُوسَى أَقْبِلْ وَلَا تَخَفْ إِنَّكَ مِنَ الْآمِنِينَ . أَسْلُكْ) أدخل (يَدَكَ) اليمنى بمعنى الكف (فِي جَيْبِكَ) هو طوق القميص وأخرجها (تَخْرُجُ) خلاف ما كانت عليه من الأدمة (يَبْضَاءُ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ) أى برص ، فأدخلها وأخرجها تضيء كشعاع الشمس تنشى البصر (وَأَضْمَمُ إِلَيْكَ جَنَاحَكَ مِنَ الرَّهْبِ) بفتح الحرفين وسكون الثانى مع فتح الأول وضمه : أى الخوف الحاصل من إضاءة اليد بأن تدخلها في جيبك فتعود إلى حالتها الأولى ، وعبر عنها بالجنح لأنها للانسان كالجنح للطائر (فَذَانِكَ) بالتشديد والتخفيف أى العصا واليد وهما مؤنثان وإنما ذكر المشار به إليهما مبتدأ لتذكير خبره (بُرْهَانَانِ) مرسلان (مِنْ رَبِّكَ إِلَى فِرْعَوْنَ وَمَلَئِهِ إِنَّهُمْ كَانُوا قَوْمًا فَاسِقِينَ . قَالَ رَبِّ إِنِّي قَتَلْتُ مِنْهُمْ نَفْسًا) هو القبطى السابق (فَأَخَافُ أَنْ يَقْتُلُونِ) به (وَأَخَى هَارُونَ هُوَ أَفْضَحُ مِنِّي لِسَانًا) أين (فَارْسِلْهُ مَعِيَ رِدْأً) معنا وفى قراءة بفتح الدال بلا همزة

فحينئذ ولي مدبراً (قوله من الأدمة) أى الحرة (قوله تنشى البصر) أى تغطيه (قوله وأضمم إليك جناحك) جعل الجناح هنا مضموماً وفى آية طه مضموماً إليه حيث قال : وأضمم يدك إلى جناحك ، لأن المراد بالجناح المضموم اليد اليمنى وبالجناح لمضموم إليه اليد اليسرى وكل من اليدين جناح (قوله من الرهب) متعلق بأضمم (قوله بفتح الحرفين الخ) أى فالقراءة ثلاث سبعيات (قوله بأن تدخلها) أى تدخل اليد اليمنى التى حصل فيها البياض في جيبك فتعود لحالتها الأولى فيزول عنك الخوف والذرع الذى حصل لك (قوله كالجناح للطائر) أى لأن الطائر إذا خاف نشر جناحيه وإذا أمن وإطمأن ضمهما إليه (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان فالمشدة تنفية بلام البعد والتخفيف تنفية ذاك فالتشديد عوض عن اللام في المفرد (قوله وإنما ذكر المشار به الخ) جواب عما يقال إن العصا واليد مؤنثتان فكان اللاحق الإشارة إليهما بتان . فأجاب بأنه روى الخبر (قوله مرسلان) أشار بذلك إلى أن قوله : من ربك متعلق بحذف صفة لبرهاتان (قوله وملأه) أى جماعته (قوله لساناً) أى كلاماً (قوله رداً) حال من ضمير أرسله (قوله بفتح الدال) أى مع التنوين وهى سبعة أيضاً .

(قوله يصدّقني) أى يتّوَقَّع في الصدق عند الخصم بتوضيح الحجج والبراهين (قوله جواب الدعاء) أى الذى هو قوله فأرسله .مى لأن طلب الأدنى من الأعلى دعاء (قوله أن يكذبون) أى بسبب العقدة التى كانت في فيه بسبب الجحمة التى وضعها وهو مضرب في فيه (قوله تقويك) أى فشد العضد كناية عن التقوية من إطلاق السبب وإرادة للسبب لأن شد العضد يستلزم شد اليد وشد اليد مستلزم للقوة (قوله بسوء) متعلق بصلون وقوله بآياتنا متعلق بمحذوف قدره بقوله اذهبها بدليل الآية الأخرى : اذهبها إلى فرعون ، وجمعهما في ضمير واحد مع أن هرون لم يكن حاضرا مجلس المناجاة بل كان في ذلك الوقت بمصر لأن الله أرسل جبريل إلى هرون بالرسالة وهو بمصر في ذلك الوقت ، فموسى سمع الخطاب من الله بلا واسطة وهرون سمعه بواسطة جبريل (قوله فلما جاءهم موسى بآياتنا) المراد بها العصا واليد وجمعهما لأن كل واحدة اشتملت على آيات متعددة وتقدم ذلك في سورة طه (قوله قالوا) أى فرعون وقومه (قوله عتاق) أى مخترع من قبل نفسه (قوله وما سمعنا بهذا الخ) هذا محض عناد وكذب إذ هم يعرفون أن قبله الرسل كإبراهيم وإسحق ويعقوب وغيرهم (قوله بواو وبدونها) أى فهما قراءتان سبعيتان فعلى الواو يكون تاما لما قبله وعلى حذفها يكون الكلام مستأنفا في جواب سؤال (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أنه لامفاضلة في أوصاف الله تعالى لأن (٢٠٤) التفاضل من مقتضيات الحدوث وهو مستحيل عليه فلا تفاضل بين صفاته

مع بعضها ولا مع صفات خلقه (قوله غطف على من قبلها) أى فهى في محل جر والعلم مسائط عليها (قوله بالفوقانية والتحتانية) أى فهما قراءتان سبعيتان فه خبر تكون مقدم وعاقبة اسمها مؤخر على كلا الوجهين ، وذكر الفعل على قراءة التحتانية للتأنيث ولأنه مجازى التأنيث (قوله أى العاقبة المحمودة الخ) أشار

(يُصَدِّقُنِي) بالجزم جواب الدعاء وفي قراءة بالرفع وجعلته صفة ردءاً (إِنِّي أَخَافُ أَنْ يُكَذِّبُونِ قَالَ سَنَشُدُّ عَضُدَكَ) تقويك (بِأَخِيكَ وَنَجْعُلُ لَكَ سُلْطَانًا) غلبة (فَلَا يَصِلُونَ إِلَيْكَ) بسوء ، اذهب (بِآيَاتِنَا أَنْتَ وَمَنِ اتَّبَعَكَ) الْغَالِبُونَ لهم (فَلَمَّا جَاءَهُمْ مُوسَى بِآيَاتِنَا يَتَذَكَّرُونَ) (وَمَا تَسْمَعُ مِنْهَا) (هَذَا) (كَانُوا فِي) أيام (آبَائِنَا الْأَوَّلِينَ . وَقَالَ) بواو وبدونها (مُوسَى رَبِّي أَعْلَمُ) أى عالم (بِمَنْ جَاءَ بِالْهُدَى مِنْ عِنْدِهِ) الضمير للرب (وَمَنْ) غطف على من قبلها (تَكُونُ) بالفوقانية والتحتانية (لَهُ عَاقِبَةُ الدَّارِ) أى العاقبة المحمودة في الدار الآخرة ، أى وهو أنا في الشقين فأنما محق فيهما جئت به (إِنَّهُ لَا يَفْلَحُ الظَّالِمُونَ) الكافرون (وَقَالَ فِرْعَوْنُ يَا أَيُّهَا الْمَلَأُ مَا عَلِمْتُ لَكُمْ مِنْ إِلَهٍ غَيْرِي فَأَوْقِدْ لِي يَا هَامَانَ عَلَى الطَّيْنِ) فاطببخ لى الآجر (فَاجْعَلْ لِي صَرْحًا) قصرًا عالياً ،

(العل)

بذلك إلى أن المراد بالدار الدار الآخرة وأن الإضافة على معنى في و أصبح أن المراد

بالدار دار الدنيا والمراد بالعاقبة المحمودة الجنة إذ العاقبة قسمان مذمومة ومحمودة فالجنة عاقبة محمودة والنار عاقبة مذمومة (قوله وهو أنا في الشقين) تفسير للوصول كأنه قال إن لم تشهدوا لى بالصدق وبأن العاقبة المحمودة لى فأنه علم بأنى جئت بالهدى وبأن الله قبة المحمودة لى (قوله إنه لا يفلح الظالمون) تعليل لقوله ربى أعلم الخ (قوله وقال فرعون الخ) أى بعد أن شاهد إسمان السحرة ومارقع منهم (قوله ما علمت لكم من إله غيرى) أى ليس لى علم بوجود إله غيرى وليس مراده بالهية نفسه كونه خالقاً للسموات والأرض وما فيها إذ لا يشك عاقل فى أن الله هو الخالق لكل شىء وكان اعتقاده أن العالم العلوى أثر فى العالم السفلى فلا حاجة للصانع (قوله على الطين) أى بعد اتخاذه لبناً ، قيل إنه أول من اتخذ الآجر وبني به وهو الذى علم صنعه لهامان ولما أمر وزيره هاتان ببناء الصرح جمع هامان العمال والفعلة حتى اجتمع عنده خمسون ألف بناء سوى الأتباع والأجراء فطبخ الآجر والجبس ونشر الخشب وسبك السامير فبنوه ورفعوه حتى ارتفع ارتفاعاً لم يبلغه بناء أحد من الخلق ، فلما فرغوا ارتقى فرعون فوقه وأمر بنشابة فصر بها نحو السماء فردت إليه هى ملطخة دماً فقال قد قتلت إله موسى ، وكان فرعون يصعد هذا الصرح راكباً على البراذين فبعث الله جبريل عليه السلام عند غروب الشمس فصر به بجناحه فقطعه ثلاث قطع وقمت على عسكر فرعون فظلمت منهم ألف ألف وقطعة وقعت فى البحر وقطعة وقعت فى المغرب ولم يبق أحد همل فى الصرح عملاً إلا هلك .

(قوله ليل أطلع) كأنه من قبلة نوم أن في موسى في السجاء يمكن الرقى إليه (قوله وأنه رسوله) أى أن موسى رسول الإله (قوله واستكبر) أى تكبر (قوله في الأرض) أى أرض مصر (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله فآخذناه) أى عقب تكبره وعناده (قوله فانظر كيف كان عقبة الظالمين) الخطاب لرسول الله صلى الله عليه وسلم ليخبر به الشركين فيرجعوا عن كفرهم وعنادهم (قوله وإبدال الثانية ياء) أى فهما قراءتان سبعيتان لكن قراءة الإبدال من طريق الطيبة لامن طريق الشاطبية (قوله بدعائهم إلى الشرك) أى المؤدى للنار (قوله ويوم القيامة هم من المقبوحين) أى الطرودين أو الموسومين بعلامة منكورة كزرقاة العيون وسواد الوجه (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) إخبار من الله لتريش بامتثانه على بنى إسرائيل حين أهلك الأمم الماضية لما عاندوا وكذبوا رسلهم وساءوا في زمن فترة بازال التوراة ليتعبدوا بها والمقصود من ذلك تعداد النعم على هذه الأمة الحميدة ، والمعنى كما أنزل على موسى (٢٠٥) التوراة وقومه في فترة وجهل أنزل على محمد القرآن

وقومه في فترة وجهل ليتسودا به (قوله وعاد ونمود) عطف على قوم نوح ولم ينوته لأنه علم على القبيلة وهو بهذا الاعتبار ممنوع من الصرف للعلمية والتأنيث (قوله وغيرهم) أى كفرعون (قوله لسا من الكتاب) أى لما على حذف مضاف أى ذابعاثر أو مبالغة على حد مقيل في زيد عدل وكذا يقال في قوله هدى ورحمة (قوله أى أنوارا للقلوب) أى تبصر به القلوب كما أن إنسان العين تبصر به العين (قوله لعلهم يتذكرون) أى فالعاقل إذا علم أن

(لَعَلِّي أَطْلِعُ إِلَى إِلَهِ مُوسَى) أنظر إليه وأقف عليه (وَإِنِّي لَأَعْتَبُ مِنْ الْكَافِرِينَ) في ادعائه إلها آخر وأنه رسوله (وَاسْتَكْبَرَ هُوَ وَجُنُودُهُ فِي الْأَرْضِ) أرض مصر (بِتَغْيِيرِ الْحَقِّ وَظَنُّوا أَنَّهُمْ إِلَهًا لَا يَرْجِعُونَ) بالبناء للفاعل والمفعول (فَأَخَذْنَاهُ وَجُنُودَهُ فَنَبَذْنَاهُمْ) طرحناهم (فِي الْيَمِّ) البحر المالح ففرقوا (فَأَنْظَرُ كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الظَّالِمِينَ) حين صاروا إلى الهلاك (وَجَعَلْنَاهُمْ فِي الدُّنْيَا أُمَّةً) بتحقيق الممرتين وإبدال الثانية ياء رؤساء في الشرك (يَدْعُونَ إِلَى النَّارِ) بدعائهم إلى الشرك (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ لَا يُنصَرُونَ) بدفع العذاب عنهم (وَأَنْبَغْنَاهُمْ فِي هَذِهِ الدُّنْيَا لَعْنَةً) خزيا (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ هُمْ مِنَ الْمَقْبُوحِينَ) المبعدين (وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (مِنْ بَعْدِ مَا أَهْلَكْنَا الْقُرُونَ الْأُولَى) قوم نوح وعاد ونمود وغيرهم (بَصَائِرَ لِلنَّاسِ) حال من الكتاب جمع بصيرة وهى نور القلب أى أنوارا للقلوب (وَهَدًى) من الضلالة لمن عمل به (وَرَحْمَةً) لمن آمن به (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتفطنون بما فيه من المواعظ (وَمَا كُنْتَ) يا محمد (بِجَانِبِ) الجبل أو الوادى أو المكان (الْغَرْبِيِّ) من موسى حين المناجاة (إِذْ قَضَيْنَا) أوحينا (إِلَى مُوسَى الْأَمْرَ) بالرسالة إلى فرعون وقومه (وَمَا كُنْتَ مِنَ الشَّاهِدِينَ) لذلك فتعلمه فتخبر به (وَلَكِنَّا أَنْشَأْنَا قُرُونًا) أمما بعد موسى (فَتَطَاوَلُ عَلَيْهِمُ الْعُمُرُ) أى طالت أعمارهم ففسدوا اليهود واندurst العلوم وانقطع الوحي فجئنا بك رسولا وأوحينا إليك خبر موسى وغيره (وَمَا كُنْتَ تَأْوِيَا) :

كتاب الله من أوصافه أنه منور للقلب وهاد من الضلالة ورحمة لمن صدق به بادر إلى امتثال أوامره واجتناب نواهيه ولا يرضى لنفسه بالتواني والكسل والعناد (قوله وما كنت بجانب الغربي) أى في ذلك إقامة الحجة على من كذبه صلى الله عليه وسلم معنى كيف تكذبونه بعد إتيانه بتفاصيل ما حصل للأمم السابقة وأنبيائهم والحال أنكم تعلمون أنه لم يكن حاضرا ذلك ولا مشاهدا له (قوله وما كنت من الشاهدين) إن قلت إن هذا معلوم نفى من قوله وما كنت بجانب الغربي فائثرة ذكره عقبه . أوجب بأنه لا يلزم من كونه هناك على فرض حصول مشاهدته لذلك ، ولذلك قال ابن عباس لم تحضر ذلك الموضع ولو حضرته ما شاهدت ما وقع فيه (قوله بعد موسى) أى لأن أنبياء بنى إسرائيل الذين يتعبدون بالتوراة كداود وسليمان وزكريا ويحيى وذى الكفل كانوا بعد موسى (قوله واندurst العلوم) أى فكيف يأتبك الخبر من غير وحي (قوله وأوحينا إليك خبر موسى وغيره) أى ليكون معجزة لك وتذكرا لقومك (قوله وما كنت تأوي) إن قلت إن قصة مدين متقدمة على قصة الإرسال ، فكان مقتضى الترتيب ذكرها قبلها . أوجب بأن المقصود تعداد العجائب من غير نظر للترتيب إشارة إلى أن أى واحدة تكفى

في إثبات صدقه فيما يخبر به من ربه (قوله مقياً) أى إقامة طوية تشعير بمعرفة قصتهم (قوله في أهل مدين) متعلق بقولنا (قوله ولكننا كنا مرسلين) أى وأنزلنا عليك كتاباً فيه هذه الأخبار تتلوا عليهم ولولا ذلك ما علمتها ولم نخبرهم بها (قوله وما كنت بجانب الطور إذ نادينا) أى كما لم تحضر يا محمد جانب المكان القريب إذ أرسل الله موسى إلى فرعون ، فكذلك لم تحضر جانب الطور إذ نادينا موسى لما أتى الميقات مع السبعين لأخذ التوراة ، وبين الرسائل وإتياء التوراة نحو ثلاثين سنة وهذا بالنظر للعالم الجسماني لإقامة الحجة على الخصم ، وأما بالنظر للعالم الروحاني فهو حاضر رسالة كل رسول وما وقع له من لدن آدم إلى أن ظهر بحجسه الشريف ولكن لا يخاطب به أهل العناد (قوله ما أتاهم من نذير من قبلك) أى لوجودهم في فترة بينك وبين عيسى وهي ستائة سنة (قوله ولولا أن تصيهم الخ) لولا حرف امتناع لوجود وأن وما بعدها في تأويل مصدر مبتدأ وخبره محذوف وجوبا (٢٠٦) تقديره موجود كما قال المفسر (قوله فيقولوا) غطف على تصيهم والقاء للسببية

(قوله وجواب لولا) أى الأولى وأما الثانية فهي تخصيضية (قوله أو لولا قولهم الخ) أى فالمعنى الأول فيه انتفاء الجواب وهو عدم الرسائل بثبوت ضده وهو الرسائل لوجود السبب والمسبب معا ، والمعنى الثاني لوجود المسبب الناشئ عن السبب فتدبر (قوله لما أرسلناك إليهم رسولا) أى فالحامل على إرسالك تعلمهم بهذا القول فالمعنى امتنع عدم إرسالنا لك لوجود المصائب المسبب عنها قولهم ربنا لولا أرسلناك إلخ . إن قات إن الآية تقتضى وجود إصابتهم بالمصائب وقولهم المذكور والواقع أنهم حين نزول

مقياً (في أهل مدين تتلوا عليهم آياتنا) خبر ثان ضمرف قصتهم فتخبر بها (ولكننا كنا مرسلين) لك وإليك بأخبار المتقدمين (وما كنت بجانب الطور) الجبل (إذ) حين (نادينا) موسى أن خذ الكتاب بقوة (ولكن) أرسلناك (رحمة من ربك لتتذذر قومًا ما أتاهم من نذير من قبلك) وهم أهل مكة (لعلهم يتذكرون) يتمنون (ولولا أن تصيهم مصيبة) عقوبة (بما قدمت أيديهم) من الكفر وغيره (فيقولوا ربنا لولا هلا (أرسلت إلينا رسولا فنقبيع آياتك) المرسل بها (ونكون من المؤمنين) وجواب لولا محذوف وما بعدها مبتدأ ، والمعنى لولا الإصابتة المسبب عنها قولهم ، أو لولا قولهم المسبب عنها أى لاجلناهم بالعقوبة ولما أرسلناك إليهم رسولا (فلما جاءهم الحق) محمد (من عندنا قالوا لولا) هلا (أو في مثل ما أوتي موسى) من الآيات كاليد البيضاء والعصا وغيرها أو الكتاب جملة واحدة ، قال تعالى (أولم يكفروا بما أوتي موسى من قبل) حيث (قالوا) فيه وفي محمد (ساحران) وفي قراءة سحران أى القرآن والتوراة (تظاهرا) تعاونوا (وقالوا إنا بكل من النبيين والكتابين) (كافرون . قل) لهم (فأتوا بكتاب من عند الله هو أهدى منهما) من الكتابين (أتيمه إن كنتم صادقين) في قولكم (فإن لم يستجيبوا لك) دعاءك بالإتيان بكتاب (فأعلم أنما يقبضون أهواءهم) في كفرهم (ومن أضل ممن اتبع هواه بغير هدى من الله) ،

نلك الآيات لم يصابوا ولم يقولوا . أوجب بأن الآية على سبيل الفرض والتقدير ، أى فالمعنى لولا إصابتة المصائب لهم واحتجاجهم على سبيل الفرض والتقدير لما أرسلناك إليهم فهو بمعنى قوله تعالى - ولو أنا أهلكتناهم بعدذاب من قبله لقاتلوا ربنا لولا أرسلناك إلينا رسولا - الآية (قوله قالوا) أى نعمنا (قوله أو الكتاب جملة) أشار بذلك إلى قول آخر في تفسير المثل (قوله من قبل) أى قبل ظهورك (قوله ساحران) خبر لمحذوف أى هما (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضا (قوله تعاونوا) أى بتصديق كل منهما الآخر وذلك أن كفار مكة بعثوا رهطا منهم إلى رؤساء اليهود بالمدينة في عيد لهم فسألوه عن شأنه عليه السلام فقالوا: إنا نجده في التوراة بنعته وصفته فلما رجع الرهط وأخبروهم بما قالت اليهود قالوا ما ذكر (قوله والكتابين) لئلا يمتنعوا (قوله قل فأتوا بكتاب الخ) أى إذا لم تؤمنوا بهذين الكتابين فأتوا بكتاب من عند الله واضح في هداية الخلق فإن أتيتهم به اتبعته ، وهذا نزل للخصم زيادة في إقامة الحجة عليهم (قوله أتيمه) مجزوم في جواب بشرط مقدر تقديره إن أتيتهم به أتيمه (قوله فإن لم يستجيبوا لك) أى لم يفعلوا ما أمرتهم به (قوله أنما يقبضون أهواءهم) أى ليس لهم

مستند لأتباع هورام الفاسد (قوله أي لأضل منه) أشار بذلك إلى أن الاستغناء إنكارى بمعنى النفي (قوله ولقد وصلنا) العامة على تشديد الصاد وهو مأخوذ إما من وصل الشيء بالشيء بمعنى جعله تابعا له لأن القرآن تابع بضه بعضا قال تعالى - ولا يأتونك بمنزل إلا جناتك بالحق وأحسن تفسيراً ، أو من وصل الحبل جعله أوصلا أى أنواعا لأن القرآن أنواع كالوعد والوعيد والقصص والعبر والمواعظ (قوله الذين آتيناهم الكتاب) الاسم الموصول مبتدأ وآتيناهم صلته وم مبتدأ ثان وبه متعلق يؤمنون ويؤمنون خبر الثانى وهو وخبره خبر الأول (قوله أيضا) أى كما آمنوا بكتابتهم (قوله نزلت في جماعة أسلموا من اليهود الخ) قال ابن عباس نزلت في ثمانين من أهل الكتاب أربعون من نجران واثنتان وثلاثون من الحبشة وثمانية من أهل الشام ، وقيل إنها نزلت في أربعين رجلا قدموا مع جعفر بن أبى طالب من الحبشة آمنوا بالنبي صلى الله عليه وسلم ، فلما رأوا ما بالمسلمين من الحاجة والخصاصة قالوا يا رسول الله : إن لنا أموالا فإن أذنت لنا أنصرفنا فجئنا بأموالنا فواسينا بها للمسلمين فأذن لهم ، فأنصرفوا فاتوا بأموالهم فواسوا بها للمسلمين ، والمقصود من قصد هؤلاء الثناء عليهم والفخر بهم على المشركين (قوله إنا كنا من قبله مسلمين) أى فإسلامنا ليس بمتجدد بل هو موافق لما عهدنا لأن في كتبهم صفة النبي ونعته فتمسكوا بكتابتهم ولم يغيروا ولم يبدلوا إلى أن بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فنظروا في صفاته وأحواله ، فلما وجدوها مطابقة لما عندهم أظهروا ما كان عندهم من الإسلام (قوله بصبرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية وقوله على العمل بهما (٣٠٧) أى أو على أذى المشركين ومن

عاداهم من أهل دينهم (قوله ويدبرون بالحسنة السبئية) أى يدفعون الكلام القبيح كالسب والشتم الحاصل لهم من أعدائهم بالحسنة : أى الكلمة الطيبة الجميلة ، أو المعنى إذا وقعت منهم معصية أتبعوها بطاعة كالنوبة (قوله وذا جمعوا اللغو الخ) وذلك أن المشركين كانوا يسبون مؤمنى أهل الكتاب

أى لأضل منه (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي الْقَوْمَ الظَّالِمِينَ) الكافرين (وَلَقَدْ وَصَّلْنَا) بَيْنَا (لَهُمُ الْقَوْلَ) القرآن (لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون فيؤمنون (الَّذِينَ آتَيْنَاهُمُ الْكِتَابَ مِنْ قَبْلِهِ) أى القرآن (هُمْ يَهْدِيهِمْ) أيضا نزلت في جماعة أسلموا من اليهود كمبدأ الله بن سلام وغيره ومن النصراني قدموا من الحبشة ومن الشام (وَإِذَا يَتْلَى عَلَيْهِمُ) القرآن (قَالُوا آمَنَّا بِهِ إِنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّنَا إِنَّا كُنَّا مِنْ قَبْلِهِ مُسْلِمِينَ) موحدين (أُولَئِكَ يُرْتَبُونَ أَجْرَهُمْ مَرَّتَيْنِ) بإيمانهم بالكتابين (بِمَا صَبَرُوا) بصبرهم على العمل بهما (وَيَذَرُونَ) يدفعون (بِالْحَسَنَةِ السَّبِيَّةِ) منهم (وَرَمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنفِقُونَ) يتصدقون (وَإِذَا سَمِعُوا اللَّغْوَ) الشتم والأذى من الكفار (أَعْرَضُوا عَنْهُ وَقَالُوا لَنَا أَعْمَالُنَا وَلَكُمْ أَعْمَالُكُمْ سَلَامٌ عَلَيْكُمْ) سلام متاركة أى سلمت منا من الشتم وغيره (لَا تَنْتَفِي أَلْجَاهِلِينَ) لانصحهم. ونزل في حرصه صلى الله عليه وسلم على إيمان عمه أبى طالب (إِنَّكَ لَا تَهْدِي مَنْ أَحْبَبْتَ) هدايته (وَلَكِنَّ اللَّهَ يَهْدِي مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ أَعْلَمُ) أى عالم (بِالْمُهْتَدِينَ).

ويقولون تبا لكم أعرضتم عن دينكم وتركتموه فيعرضون عنهم ويقولون لنا أعمالنا ولكم أعمالكم (قوله سلام متاركة) أى إعراض وفراق لسلام تحية (قوله لانصحهم) الأوضح أن يقول لا نطلب محبتهم (قوله ونزل في حرصه الخ) وذلك أنه لما احتضرته الوفاة جاءه رسول الله صلى الله عليه وسلم وقال يا عم قل لا إله إلا الله كلمة أحاج لك بها عند الله ، فقال يا ابن أخي قد علمت إنك لصادق ولكنى أكره أن يقال جزع عند الموت ، ولولا أن يكون عليك وعلى بنى أهلك غصاصة بعدى لقاتها ولأقورت بها حينك عند الفراق لما أرى من شدة وجدك ونصيحتك ، ثم أنشد :

ولقد علمت بأن دين محمد من خير أديان البرية دينا

لولا الملامة أو حذار مسبة لوجدننى محبا بذلك مينا

ولكنى سوف أموت على ملة الأشياخ عبد المطالب وهاشم وبني عبد مناف ، ثم مات فأتى على ابنه النبي صلى الله عليه وسلم وقال له همك الضال قد مات ، فقال له اذهب فواره وما تقدم من أنه لم يؤمن حتى مات هو الصحيح ، وقيل إنه أخيه وأسلم ثم مات ونقل هذا القول عن بعض الصوفية (قوله إنك لا تهدي من أحببت) أى لا تقدر على هدايته . إن قلت إن بين هذه الآية وآية وإنك لتهدي إلى صراط مستقيم تنافيا أجيب بأن النبي هنا خلق الاهتمام والالتفات هناك الدلالة على الدين التوفيق (قوله ولكن الله يهدي من يشاء) أى فسلم أمرك لله فإنه أعلم بأهل السعادة وأهل الشقاوة ولا يبالي بأحد .

(قوله أي قومه) أي وهم بعض أهل مكة كالحرث بن عثمان بن نوفل بن عبد مناف فإنه أتى النبي صلى الله عليه وسلم ، فقال له إنما نعلم أنك على الحق ولكننا نخاف إن اتبعناك وخالفنا العرب أن يتخطفونا من أرضنا (قوله الهدى) أي وهو دين الإسلام (قوله أولم تمكن لهم حرما آمنا) أي نجعل مكانهم حرما ذا أمن وعدى بنفسه لأنه بمعنى جعل يدل عليه الآية الأخرى وهي أولم يروا أننا جعلنا حرما آمنا (قوله يأمنون فيه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازا عقليا (قوله نجبي) أي تحمّل ونساق (قوله بالفوقانية والتحتانية) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ثمرات كل شيء) مجاز عن البكرة كقوله وأوتيت من كل شيء قال بعض العارفين من يتعلق ببيت الله الحرام ويسمى إليه فهو من خيار الخلق لقوله في الآية يجبي إليه ثمرات كل شيء (قوله من كل أوب) أي ناحية وطريق وجهة (قوله رزقا) إما بمعنى مهزوقا فيكون منصوبا على الحال من ثمرات أو باق على مصدريته فيكون مفعولا مطلقا مؤكدا للمعنى يجبي أي نرزقهم رزقا (قوله أن مانقوله حق) قدره إشارة إلى أن مفعول يملون محذوف (قوله وكم أهلكتنا من قرية) رد بذلك على الكفار وبين لهم أن العبارة بالعكس وأن خوف التخطف يكون بالكفر لا بالإيمان وأنهم ماداموا مصرين على كفرهم يحل بهم وبال بطرم كما حصل لمن قبلهم (قوله بطرت معبشتها) أي كفرت نعمة ربها في زمن معبشتها أي حياتها (قوله فلك مساكنهم) أي خربة بسبب ظلمهم والإشارة إلى قوم لوط وصالح وشعيب وهود فإن السفار تمر على تلك المساكن وتنزل (٢٠٨) بها في بعض الأوقات (قوله للمارة يوما أو بضعة) أي لأن المارة في الطريق إذا

نزل للاستراحة إنما يستمر في الغالب يوما أو بضعة (قوله وما كان ربك مهلك القرى الخ) بيان للحكمة الألفية التي سبقت بها مشيئة تعالى والمعنى ما ثبت في حكمه أن يهلك قرية قبل الإنذار (قوله أي أعظمها) أي وهي المدن بالنسبة لما حوالها جفرت عادة الله أن يبعث الرسول من أهل الدائن لأنهم

وَقَالُوا أَيُّ قَوْمِهِ (إِنْ تَتَّبِعِ الْهْدَى مَعَكَ نَتَخَفَتُ مِنْ أَرْضِنَا) أَي ننتزع منها بسرعة، قال تعالى (أَوَلَمْ تُمْكِنْ لَهُمْ حَرَمًا آمِنًا) يأمنون فيه من الإغارة والقتل الواقين من بعض العرب على بعض (نَجْبِي) بالفوقانية والتحتانية (إِلَيْهِ ثَمَرَاتُ كُلِّ شَيْءٍ) من كل أوب (رِزْقًا) لهم (مِنْ لَدُنَّا) أي عندنا (وَلَكِنْ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن ما نقوله حق (وَكَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَرْيَةٍ بَطَرَتْ مَعِيشَتَهَا) أي عيشها وأريد بالقرية أهلها (فَتِلْكَ مَسَاكِنُهُمْ لَمْ يَكُنْ مِنْ بَعْدِهِمْ إِلَّا قَلِيلًا) للمارة يوما أو بضعة (وَكُنَّا نَحْنُ الْوَارِثِينَ) منهم (وَمَا كَانَ رَبُّكَ مُهْلِكَ الْقُرَى) بظلم منها (حَتَّى يَبْعَثَ فِي أُمَمٍ) أي أعظمها (رُسُلًا يَقُولُوا عَلَيْهِمْ آيَاتِنَا وَمَا كُنَّا مُهْلِكِي الْقُرَى إِلَّا وَأَهْلُهَا ظَالِمُونَ) بكذب الرسل (وَمَا أَوْتَيْنَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ فَتَتَّاعُ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا وَزِينَتُهَا) أي تتمنون وتزينون به أيام حياتكم ثم يفنى (وَمَا عِنْدَ اللَّهِ) أي نوابه (خَيْرٌ وَأَبْقَى أَفَلَا تَعْلَمُونَ)

بالتاء

أعقل وأفطن ويقبهم غيرهم؛ ولما كان النبي صلى الله عليه وسلم مبونا لجميع الخلق كانت بعده أفضل البلاد على الإطلاق وقبيلته أشرف القبائل على الإطلاق (قوله يتلوا عليهم آياتنا) أي لقطع الحجج والمعاذير (قوله إلا وأهلها ظالمون) استثناء من عموم الأحوال كأنه قال ما كنا نهلكهم في حال من الأحوال إلا في حال كونهم ظالمين (قوله وما أوتيتهم من شيء) ما اسم موصول مبتدأ وأوتيتهم صلته ومن شيء بيان لما وقوله فتتاع الحياة الدنيا خبره وقرن بالفاء لما في المبتدأ من معنى العموم وصح أن تكون ماضية وقوله فتتاع الحياة الدنيا خبر مبتدأ محذوف والجملة جواب الشرط (قوله ثم يغفر) أي يذهب بغنائكم فجيمع ملق الدنيا عرض زائل يذهب بذهاب أهله ولا يبقى إلا جزاؤه فخلال الدنيا حساب وحرمانها عقاب (قوله وهو نوابه) أي ثواب الأعمال التي قصد بها وجهه سبحانه وتعالى (قوله خبر وأبقي) أي دائم بدوام الله (قوله أفلاته قائلون) الممزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة على ذلك المحذوف والتقدير أترككم التدبر في أحوالكم فلا تعلمون لمن أثر الفاني على الباقي فلا عقل عنده لما في الحديث «الدينا دار من لادار له ومال من لاملال له ولها يجمع من لا عقل له» وقه در الامام الشامي حيث قال:

إن لله عبادا فطنوا فطلقوا الدنيا وخافوا القننا نظروا فيها فلم يابها علما أنها ليست لحي وطننا جعلوها لجة واتخذوها صالح الأعمال فيها صفنا وليس المراد من ترك الدنيا رأسا والخروج عنها بالمرة بل المراد لا يجعلها أكبر همه ولا مبلغ علمه وإنما يطلب الدنيا ليستعين بها على خدمة ربه لتكون مزرعة لآخرته لما في الحديث «نعم المال الصالح في يد الرجل الصالح» فالخير شغل القلب والنية السوء.

(قوله بالياء والياء) أى فهما قرأتان سبع تان (قوله أن الباقي خير من الغنى) قدره إشارة إلى أن مفعول يستلون محذوفه واستفيد منه أن أعقل الناس المشتغلون بطاعة الله الذين اختاروا الباقي على الغنى ، ومن هنا قال الامام الشافعى رضى الله عنه: من أوصى بثلاث ماله لأعقل الناس صرف إلى المشتغلين بطاعة الله تعالى (قوله أفمن وعدناه الخ) من مبتدأ وجمله وعدناه صلتها وقوله كمن وعدناه الخ خبر المبتدأ ، والمعنى أيستوى من وعدناه وعدنا حسنا فهو لاقية بمن اتهمك في طلب الغنى حتى صار يوم القيامة من المحضرين للعذاب فهو نظير قوله تعالى - أم حسب الدين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات سواء محياهم ومماتهم ساء ما يحكمون - (قوله مصيبه) أى مدركه لاحالة لأن وعدته لا يتخلف (قوله متاع الحياة الدنيا) أى المشوب بالكدار (قوله الأول) أى وهو من وعدناه والثانى وهو من متعناه (قوله أى الانسانى بينهما) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله ويوم يناديهم) أى للشركين الذين عبدوا غير الله على لسان ملائكة العذاب أو النداء من الله لهم ، والنفي فى آية ولا يكلمهم الله يوم القيامة كلام الرضا والرحمة فلا ينافى أنه يكلمهم كلام غضب وسخط (قوله فيقول أين شركائى) تفسير للنداء (قوله ترعومهم شركائى) أشار بذلك (٢٠٩) إلى أن مفعولى ترعومون محذوفان (قوله قال الذين

حق عليهم القول) كلام مستأنف واقع فى جواب سؤال مقدر تقديره ماذا قالوا ، وجواب هذا السؤال أنه حصل التنازع والتخاصم بين الرؤساء والأتباع ، فقال الأتباع إنهم أضلونا وقال الرؤساء ربنا هؤلاء الخ فهو بمعنى قوله تعالى - وبرزوا لله جميعا - الخ ، وبمعنى وإذا يتحاجون فى النار الخ (قوله حق عليهم القول) أى ثبت وتحقق وهو قوله لأملأن جهنم من الجنة

بالياء والياء أن الباقي خير من الغنى (أَفَمَنْ وَعَدْنَاهُ وَعْدًا حَسَنًا فَهُوَ لَاقِيهِ) مصيبه وهو الجنة (كَمَنْ مَتَّعْنَاهُ مَتَاعَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) فيزول عن قريب (ثُمَّ هُوَ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مِنَ الْمُخْضَرِينَ) النار ، الأول المؤمن ، والثانى الكافر ، أى لانسوى بينهما (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ) الله (فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) هم شركائى (قَالَ الَّذِينَ حَقَّ عَلَيْهِمُ الْقَوْلُ) بدخول النار ، وهم رؤساء الضلالة (رَبَّنَا هَؤُلَاءِ الَّذِينَ أَغْوَيْنَا) هم مبتدأ وصفة (أَغْوَيْنَاهُمْ) خبره ففؤوا (كَمَا غَوَيْنَا) لم نكرهم على النفى (تَبَرَأْنَا إِلَيْكَ) منهم (مَا كَانُوا بِإِيَّانَا يَعْبُدُونَ) مانافية وقدم المفعول للقاصلة (وَقِيلَ ادْعُوا شُرَكَاءَكُمْ) أى الأصنام الذين كنتم ترعومون أنهم شركاء الله (فَدَعَوْهُمْ فَلَمْ يَسْتَجِيبُوا لَهُمْ) دعاءهم (وَرَأَوْا) م (الْعَذَابَ) أبصروه (لَوْ أَنَّهُمْ كَانُوا يَشْعُرُونَ) فى الدنيا لما رأوه فى الآخرة (وَ) اذكر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ مَاذَا أَجَبْتُمُ الْمُرْسَلِينَ) إليكم (فَعَيَّيْتُ عَلَيْهِمُ الْآيَاتِ) الأخبار المنجية فى الجواب (يَوْمَئِذٍ) أى لم يجدوا خبرا لهم فيه نجاة (فَهُمْ لَا يَتَسَاءَلُونَ) عنه فيسكتون (فَأَمَّا مَنْ تَابَ) من الشرك (وَأَمَّنْ) صدق بتوحيد الله (وَعَمِلَ صَالِحًا) أذى الفرائض

والناس أجمعين (قوله وهم رؤساء الضلال) أى الذين أطاعوهم فى كل ما امرؤهم به ونهواهم عنه (قوله ربنا هؤلاء الذين أغويانا الخ) اسم الإشارة مبتدأ والوصول نعته وأغويانا صلتها والمائد محذوف قدره المفسر ، وأغويانا خبر وضح الاخبار به لتقييده بقوله كما غويانا ففيه زيادة فائدة على الصلة والمعنى تسبينا لهم فى النفى فقبلوا منا ولم يقبوعوا الرسل وما أنزل عليهم من الكتب التى فيها المواعظ والأوامر والنواهي فلم يخبرهم عن أنفسنا بل اخترناهم ما اخترناه لأنفسنا فاتبعونا بهواهم (قوله تبرأنا إليك منهم) هذا تقرير لما قبله (قوله وقدم المفعول) أى وهو قوله إيانا (قوله وقيل ادعوا شركاءكم) أى استغيثوا بالهتكم التى عبدتموها لتصركم وتدفع عنكم ما نزل بكم وهذا القول للهكم والتبكيك لهم (قوله ورأوا العذاب) أى نازلا بهم (قوله مارأوه) هو جواب لو (قوله ويوم يناديهم) معطوف على ما قبله فتحصل أنهم يستلون عن إشارا كهم وجوابهم للرسل (قوله فعيت عليهم الأنباء) أى خفيت عليهم فلم يهتدوا لجواب فيه راحة لهم ، أو الكلام على القلب والأصل فعموا عن الأنباء : أى ضلوا وتخبروا فى ذلك فلم يهتدوا إلى جواب به نجاتهم (قوله فهم لا يتساءلون عنه) أى عن الخبر المنجى لحصول الدهشة لهم ولقنوطهم من رحمة الله حينئذ (قوله فأما من تاب الخ) أى رجع عن كفره فى حال الحياة .

(قوله فعسى أن يكون من المفاجين) الترجي في القرآن بمنزلة التحقق لأنه وعد كريم ومن شأنه لا يخلف وعده (قوله وربك يخلق ما يشاء ويختار) سبب نزولها أن الوليد بن المغيرة استعظم النبوة ونزول القرآن على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقال - لولا نزل هذا القرآن على رجل من القريتين عظيم - فنزلت هذه الآية ردا عليه . واختلف المفسرون في تفسير هذه الآية على أقوال كثيرة فقليل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء منهم لطاعته وقيل يخلق ما يشاء من خلقه ويختار ما يشاء لنبوته وقيل يخلق ما يشاء محمدا ويختار الأنصار لدينه ، وقيل يخلق ما يشاء محمدا ويختار ما يشاء أصحابه وأمنته لما روى «إن الله اختار أصحابي على العالمين سوى النبيين والمرسلين واختار من أصحابي أربعة يعني أبا بكر ومروان وعثمان وعليا فجعلهم أصحابي وفي أصحابي كلهم خير واختار أمتي على سائر الأمم واختار لي من أمتي أربعة قرون» اه فقد اختار محمدا على سائر الخلوقات واختار أمته على سائر الأمم فكما هو أفضل الخلق على الإطلاق أمته أفضل الأمم على الإطلاق (قوله ما كان لهم الحيرة) بالتحريك والاسكان معناها واحد وهو الاختيار ومنافية وكان فعل ناقص والجار والمجرور خبرها مقدم والحيرة اسمها مؤخر والجملة مستأنفة فالوقف على يختار ، والمعنى ليس للخلق لجمع الاختيار في شيء لا ظاهرا ولا باطنا بل الحيرة لله تعالى في أفعاله لما في الحديث القدسي «يا بهدي أنت تريد وأنا أريد ولا يكون إلا ما أريد فان سلمت لي ما أريد أعطيتك ما تريد وإن لم تسلم لي ما أريد أنعمت عليك فيما تريد ولا يكون إلا ما أريد» وإنها خص المفسر المشركين بذلك مراعاة لسبب النزول ويصح أن تكون ماصدرة وما بعدها مؤول بمصدر ، والمعنى ويختار (٢١٠) اختيارهم فيه ويصح أن تكون موصولة للعائد محذوف والتقدير . يختار

(فَعَسَى أَنْ يَكُونَ مِنَ الْمُفْجِئِينَ) التاجين بوعده الله (وَرَبُّكَ يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ وَيَخْتَارُ) ما يشاء (مَا كَانَ لَهُمْ) للمشركين (الْخَيْرَةُ) الاختيار في شيء (سُبْحَانَ اللَّهِ وَتَعَالَى عَمَّ يُشْرِكُونَ) عن إشراكهم (وَرَبُّكَ يَعْلَمُ مَا تُكِنُّ صُدُورُهُمْ) تسر قلوبهم من الكفر وغيره (وَمَا يُبْلِغُونَ) بالسنتهم من ذلك (وَهُوَ أَفْهَمُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ لَهُ الْخَمْدُ فِي الْأُولَى) الدنيا (وَالْآخِرَةِ) الجنة (وَلَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ في كل شيء (وَالِإِلَهِ تُرْجَعُونَ) بالشور (قُلْ) لأهل مكة (أَرَأَيْتُمْ) أى أخبروني (إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ الْقِيلَ سَرْمَدًا) دائما (إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ) بزعمكم (يَأْتِيَكُمُ بَٰضِيَاءُ) نهار تطلبون فيه الميعة (أَفَلَا تَسْمَعُونَ) ذلك سماع تفهم وترجعون عن الإشراك ،

الذى لهم فيه الاختيار
وحيثما فلا يصح الوقف
على يختار والأول أظهر
فالواجب على الانسان أن
يعتقد أنه لا تأثير لشيء
من الكائنات في شيء
أبدا وإنما الذى يظهر
على أيدي الخلق أسباب
علبية يمكن تخلفها (قوله
سبحان الله) أى تزيها له
عما لا يليق به (قوله من

(قل)

الكفر وغيره) أى كالايمان فيجازى الكافر بالخلود في النار والمؤمن بالخلود في الجنة

(قوله له الحمد في الأولى والآخرة) أى هو مستحق للثناء بالجميل في الدنيا والجنة لأنه لا معطى للنعم فيهما إلا هو سبحانه وتعالى فالمؤمنون يحمدونه في الجنة بقوله الحمد لله الذى صدقنا وعده الحمد لله الذى أذهب عنا الحزن كما حمدوه في الدنيا لكن الحمد في الدنيا مكافون به وأما في الآخرة فهو تفضل لا تقطاع التكليف بالموت قال العلماء لا ينبغي لأحد أن يقدم على أمر من أمور الدنيا والآخرة حتى يسأل الله تعالى الحيرة في ذلك وذلك بأن يصلى ركعتين صلاة الاستخارة يقرأ في الركعة الأولى بعد أم القرآن وربك يخلق ما يشاء ويختار الآية وفي الثانية وما كان مؤمنا ولا مؤمنة إذا قضى الله ورسوله أمرا أن تكون لهم الحيرة من أمرهم الآية ثم يدعو بالدعاء الوارد في صحيح البخارى ، عن جابر بن عبد الله قال كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعلمنا الاستخارة في الأمور كلها كما يعلمنا السورة من القرآن يقول إذا هم أحدكم بالأمر فليركع ركعتين من غير الفريضة ثم ليقل اللهم أنى أستخيرك بعلمك وأستقدرك بقدرتك وأسألك من فضلك العظيم فانك تقدر ولا أقدر وتعلم ولا أعلم وأنت علام الغيوب اللهم أن سكنت تعلم أن هذا الأمر خير لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمري أو قال فى عاجل أمري وآجله فأقدره لى ويسره لى وإن كنت تعلم أن هذا الأمر شر لى في دينى ومعاشى وعاقبة أمري أو قال فى عاجل أمري وآجله فأصرفه عنى واصرفنى عنه واقدر لى الخير حيث كان ، ثم رضى به قال ويسمى حاجته ، وروى عن أنس أن النبي صلى الله عليه وسلم قال له «يا أنس إذا هممت بأمر فاستخر ربك فيه سبع مرات ثم انظر إلى ما يسبق إلى قلبك واعمله فان الخير فيه» انتهى فان لم يكن يحفظ الشخص هاتين الآيتين فليقرأ

قل يا أيها الكافرون والإخلاص قلن لم يكن يحفظ هذا الدعاء فليقرأ اللهم حرلي واخرلي كإروى عن عائشة عن أبي بكر رضي الله عنهما . واعلم أن هذه الكيفية هي الواردة في الحديث الصحيح ، وأما الاستغارة بالنام أو اللصحف أو السبعة فليس واردا عن النبي صلى الله عليه وسلم ولما كرهه العلماء وقالوا إنه نوع من الطيرة (قوله قل أرأيتم إن جعل الله الخ) أرأيتم وجعل تنازعا في الليل أحمل الثاني وأضر في الأول وحذف وهو مفعول الأول ومفعوله الثاني جملة الاستفهام بعده وإن حرف شرط وجعل فعل الشرط والله فاعله والليل مفعول أول وسرمدا مفعول ثان وجواب الشرط محذوف تقديره ماذا تفعلون وتقدم الكلام على نظيره في الأنعام (قوله سرمدا) من السرد وهو المتابعة والاطراد (قوله دائما) أي بأن يسكن الشمس تحت الأرض (قوله إلى يوم القيامة) متعلق بجعل (قوله من إلا غير الله بزعمكم) دفع بذلك ما يقال إن المقام لعل لأنها الطلب التصديق لامن التي لطلب المعين لأنه يوم وجود آفة غيره حالي ، فأجاب بأنه مجازة للشركين في زعمهم وجود آفة معه (قوله سمع منهم) أي تدبر واعتبر لأن مجرد الإصدار لا يفيد (قوله إن جعل الله عليكم النهار سرمدا) أي بأن يسكن الشمس في وسط السماء (قوله ومن رحمته) ي فضله وإحسانه (قوله جعل لكم الليل والنهار لتسكنوا فيه الخ) أي لأن المرء في الدنيا لابد وأن يحصل له التعب ليحصل ما يحتاج إليه في معاشه فجعل الله له عمل تكسب وهو النهار وعمل راحة وسكون ليستريح (٢١١) من ذلك التعب وهو الليل (قوله ولتبتغوا من فضله)

استفيد من الآية مدح السعي في طلب الرزق لما ورد « الكاسب حبيب الله » (قوله ذكرنا نبيا ليني عليه وزعنا الخ) أي وإشارة إلى أن الشرك أمره عظيم لاشئ أجاب منه لضرب الله كما أن التوحيد عظيم لاشئ أجاب منه لرضا الله (قوله يشهد عليهم بما قالوا) أي وأمة محمد يشهدون للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بالكذب (قوله

(قُلْ) لَمْ (أَرَأَيْتُمْ) إِنْ جَعَلَ اللَّهُ عَلَيْكُمُ النَّهَارَ سَرْمَدًا إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ مَنْ إِلَهٌ غَيْرُ اللَّهِ (بَزَعَكُمْ) بَيَّنَّ لَكُمْ يَلْمِزُ تَشْكُرُونَ (تَسْتَرْجِعُونَ) فِيهِ (مِنَ التَّعَبِ) (أَفَلَا تَبْصُرُونَ) مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ مِنَ الْخَطَا فِي الْأَشْرَاقِ فَتَرْجِعُونَ عَنْهُ (وَمِنْ رَحْمَتِهِ) تَعَالَى (جَعَلَ لَكُمْ اللَّيْلَ وَالنَّهَارَ لِتَسْكُنُوا فِيهِ) فِي اللَّيْلِ (وَلِتَبْتَغُوا مِنْ فَضْلِهِ) فِي النَّهَارِ بِالْكَسْبِ (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) النِّعْمَةُ فِيهِمَا (وَ) اذْكَر (يَوْمَ يُنَادِيهِمْ فَيَقُولُ أَيْنَ شُرَكَائِيَ الَّذِينَ كُنْتُمْ تَزْعُمُونَ) ذَكَرْنَا نَبِيًّا لِيُنَبِّئَ عَلَيْهِ (وَتَزَعْنَا) أَخْرَجْنَا (مِنْ كُلِّ أُمَّةٍ شَهِيدًا) وَهُوَ نَبِيُّهُمْ يَشْهَدُ عَلَيْهِمْ بِمَا قَالُوا (فَقُلْنَا) لَمْ (هَانُوا بِرُءُوسِهِمْ) عَلَى مَا قُلْتُمْ مِنَ الْأَشْرَاقِ (فَعَلِمُوا أَنَّ الْحَقَّ) فِي الْإِلَهِيَّةِ (لِلَّهِ) لَا يَشَارِكُهُ فِيهِ أَحَدٌ (وَضَلَّ) غَاب (عَنْهُمْ) مَا كَانُوا يَقْتَرُونَ (فِي الدُّنْيَا) مِنْ أَنْ مَعَهُ شَرِيكٌ ، تَعَالَى مِنْ ذَلِكَ (إِنْ قَارُونَ كَانَ مِنْ قَوْمِ مُوسَى) ابْنُ عَمِّهِ وَابْنُ خَالَتِهِ وَآمَنَ بِهِ (فَبَغَى عَلَيْهِمْ) بِالْكِبَرِ وَالْمَالِ وَكَثْرَةِ الْمَالِ (وَآتَيْنَاهُ مِنَ الْكُنُوزِ مَا إِنَّ مَفَاتِحَهُ لَتَفَتْهُ) تَقُولُ (بِالْهَيْبَةِ) الْجَمَاعَةِ (أُولَى) أَصْحَابِ (الْقُوَّةِ) أَيْ تَقْلَهُمْ فَالْبَاءُ لِلتَّعْدِيَةِ ، وَعَدْتَهُمْ قِيلَ سَبْعُونَ ، وَقِيلَ أَرْبَعُونَ

أن الحق لله أي التوحيد لله خاصة لا لغيره (قوله من أن معه شريكا) بيان لما (قوله إن قارون كان من قوم موسى) هو اسم أجنبي ممنوع من الصرف العلمية والعجبة (قوله ابن عمه) أي واسم ذلك الم يصهر بيا نحتية مفتوحة وصاد مهملة ما كنة وهاء مضمومة ابن قاهت بقاف وهاء مفتوحة وناه مثلية ، ويصهر أبو قارون وعمران أبو موسى أخوان ولما قاهت ابن لاوي بن يعقوب بن إسحق بن إبراهيم عليهم السلام ، وقيل إن قارون عم موسى (قوله وآمن به) أي وكان من الداعين الذين اختارهم موسى للنجاة فسمع كلام الله ثم حسد موسى على رسالته وهرون على إمامته (قوله بالكبر) أي احتقار ما سواه ومن جملة تكبره أن زاد في ثيابه شيئا ، ومن جملة بغيه بالكبر حسده لموسى عليه السلام على النبوة وكان يسعى للنور لحسن صورته (قوله من الكنوز) بحيث كنوزا لما قيل إنه وجد كنزا من كنوز يوسف عليه السلام وقيل لامتناعه من أداء الزكاة (قوله ما إن مفاتحه الخ) ما اسم موصول صفة لموصوف محذوف وإن حرف توكيد ونصب ومفاتحه اسمها وجملة لتنوء خبرها والجملة صلة الموصول والتقدير وآتيناه من الكنوز التي مفاتحه تنقل العصابة أولى القوة ، وكانت مفاتحه أولا من جديد فلما كثرت جعلها من خشب فتقلت فجعلها من جلود البقر ، وقيل من جلود الابل كل مفتاح على قدر الأصبع وكانت تحمل معه على أربعين وقيل على ستين بنلا (قوله لتنوء بالعصبة) الباء للتعدية ، والمعنى لتثقل المفاتيح بالعصبة

(قوله فرح بطر) أى لأنه هو للغموم ، وأما الفرح بالهدنيا من حيث إنها تعينه على أمور الآخرة كقضاء الدين والصدقة وإطعام الجائع وغير ذلك فلا بأس به (قوله بأن تنفقه في طاعة الله) أى كسالة الرحم والصدقة وغير ذلك (قوله ولا تنس نصيبك من الهدنيا) أى بأن تصرف همرك في مرضاة ربك ولا تدع نفسك من غير خير قصير يوم القيامة مفلسا لما في الحديث « اغتنم خسا قبل خمس: شبابك قبل هرمك وصحتك قبل سقمك وفراغك قبل شغلك وحنانك قبل قسرك وحياتك قبل موتك » وقيل للرد بالنصيب الكفن ومؤن التجهيز . قال الشاعر :

نصيبك مما تجمع بالهرسك رداً آن تدرج فيهما وحنوم
(قوله وأحسن للناس بالصدقة) للناس على الصوم ويكون قصير القول - ولا تنس نصيبك من الهدنيا - وقوله - كما أحسن الله إليك - الكاف للتشبيه وبما صدر به ، والمعنى وأحسن إحساناً كإحسان الله إليك أو لتعميل (قوله قال إنما أوتيته على علم عندي) جواب لما قالوه من أجل المحس كأنه ينكر محض الفضل ، والمعنى إنما أوتيته حال كوني متصفاً بالعلم الذي عندي فأعطاني الله تلك الأموال لسكوني مستحقاً (٢١٢) لما فضلني وعلى (قوله وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة) وقيل العلم الذي

وقيل عشرة ، وقيل غير ذلك ، اذكر (إِذْ قَالَ لَهُ قَوْمُهُ) للؤمنون من بنى إسرائيل (لَا تَفْرَحْ) بكثرة المال فرح بطر (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْفَرِحِينَ) بذلك (وَأَبْتَغِ) اطلب (فِيهَا آتِيكَ) الله . من المال (الْأَثَرِ الْآخِرَةِ) بأن تنفقه في طاعة الله (وَلَا تَنْسَ) تترك (نَصِيبَكَ مِنَ الدُّنْيَا) أى أن تصل فيها للآخرة (وَأَحْسِنِ) للناس بالصدقة (كَمَا أَحْسَنَ اللَّهُ إِلَيْكَ وَلَا تَبْغِ) تطلب (الْفَسَادَ فِي الْأَرْضِ) بعمل الماضى (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ الْمُفْسِدِينَ) بمعنى أنه يعاقبهم (قَالَ إِنَّمَا أُوتِيتُهُ) أى المال (عَلَى عِلْمٍ عِنْدِي) أى في مقابلته وكان أعلم بنى إسرائيل بالتوراة بعد موسى وهرون قال تعالى (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ قَدْ أَهْلَكَ مِنْ قَبْلِهِ مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (مَنْ هُوَ أَشَدُّ مِنْهُ قُوَّةً وَأَكْثَرُ جَمًّا) للعال ، أى هو عالم بذلك ويهلكهم الله (وَلَا يَسْتَلْ عَنْ ذُنُوبِهِمُ الْمُجْرِمُونَ) لعله تعالى بها فيدخلون النار بلا حساب (فَخَرَجَ) قارون (عَلَى قَوْمِهِ فِي زِينَتِهِ) بأتباعه الكثيرين ركبانا متحليين بملابس الذهب والحريز على خيول وبغال متحلية (قَالَ الَّذِينَ يُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا: يَا) للتنبية (لَيْتَ لَنَا مِثْلَ مَا أُوتِيَ قَارُونُ) في الدنيا (إِنَّهُ لَفُضِّلَ) نصيب (عَظِيمٌ) وافٍ فيها (وَقَالَ) لهم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) بما وعد الله في الآخرة (وَيَتْلُكُمُ) كلمة زجر (قَوَابُ اللَّهِ) في الآخرة بالجنة (خَيْرٌ لِمَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا) ،

فضل به هو علم الكيمياء فان موسى علمه ثلثة ويوشع ثلثة وكاب ثلثة غندهما قارون حتى أضاف ما عندهما إلى ما عنده فكان يأخذ من الرصاص فيجعله فضة ومن النحاس فيجعله ذهباً فكثر بذلك ماله وتكبر وعلى هذا فقوله على علم عندي المراد به علم الكيمياء ويكون المعنى اكتسبته بعلمى الذى عندي لامن فضل الله كما تقولون (قوله أولم يعلم) الهمزة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أيدى ولم يعلم أن الله الخ والاستفهام

للتوبيخ ، والمعنى أنه إذا أراد إهلاكه لم ينفعه ذلك (قوله ولا يستل عن ذنوبهم المجرمون) مما أى لا يسألهم الله عن ذنوبهم إذا أراد عقابهم . إن قلت كيف الجمع بين هذا وبين قوله تعالى - فوريك لنسألتهم أجمعين مما كانوا يعملون - أجيب بأن السؤال قسمان سؤال استمات وسؤال توبيخ وتفريع فالتنقي سؤال الاستمات الذى يعقبه العفو والغفران كسؤال السلم العاصى والثبت سؤال التوبيخ الذى لا يعقبه إلا النار (قوله خرج على قومه) عطف على قوله إنما أوتيته على علم وبما صدر به اعتراض ، وكان خروجه يوم السبت ، وقوله بأتباعه قيل كانوا أربعة آلاف ، وقيل تسعين ألفاً عليهم المعصرات ، وهو أول يوم رى فيه المعصرات وكان عن يمينه ثلاثمائة غلام وعن يساره ثلاثمائة جارية بيض عليهم الخيل والديباج وكانت خيولهم وبغالهم متحلية بالديباج الأحمر وكانت بقلته شهباء بياضها أكثر من سوادها سرجها من ذهب وكان على سرجها الأرجوان بضم الهمزة والجيم وهو قطيفة حمراء (قوله قال الذين يريدون الحياة الدنيا) أى كانوا مؤمنين غير أنهم محبونون (قوله كلمة زجر) أى هى منصوبة بمقتضى: أى الزمكم الله ويلكم والأصل فى الويل الدعاء بالهلاك ثم استعمل فى الزجر والردع .

(قوله مما أوتي قارون في الدنيا) أي لأن الثواب منافعه عظيمة (قوله ولا يلقاها) أي يوفق للعمل بها (قوله على الطاعة وعن المصية) أي وعلى الرضا بأحكامه تعالى (قوله خففناه وبذره الأرض) قال أهل العلم بالأخبار والسيرة: كان قارون أعلم بني إسرائيل بعد موسى وهرون وأقربهم للتوراة وأجلهم وأغناهم وكان حسن الصوت فبني وطني واعتزل أتباعه وجعل موسى يدبره للقرابة التي بينهما وهو يؤذيه في كل وقت ولا يزيد إلا اعتقوا وتجبرا ومعاداة لموسى حتى بنى دارا وجعل بابها من الذهب وضرب على جدرانها صفائح الذهب ، وكان الملا من بني إسرائيل يفتنون إليه ويروحون ويطعمهم الطعام ويحدثونه ويضاحكونه . قال ابن عباس : فلما نزلت الزكاة على موسى أتاه قارون فضالحه على دينار واحد عن كل ألف دينار وعلى درهم عن كل ألف درهم وعلى شاة عن كل ألف شاة وكذلك سائر الأشياء ثم رجع إلى بيته فخبى فوجده شيئا كثيرا فلم تسمع نفسه بذلك ، فجمع بني إسرائيل وقال لهم إن موسى قد أمركم بكل شيء فاطعموه وهو يريد أن يأخذ أموالكم ، قالت بنو إسرائيل أنت كبيرنا فمنا بما شئت ، قال أمركم أن تأتونا بخلائة الزانية فنجعل لها جملا على أن تقذف موسى بنفسها فادافعت ذلك خرج عليه بنو إسرائيل ورفضوه فدعوه فجعل لها قارون ألف دينار وألف درهم ، وقيل جعل لها طشتا من ذهب ، وقيل قال لها قارون أموالك وأخطك بنسائي على أن تقذف موسى بنفسك غدا إذا حضر بنو إسرائيل ، فلما كان من الغد جمع قارون بني إسرائيل ثم أتى إلى موسى فقال له إن بني إسرائيل ينتظرون خروجك لتأمرهم وتنهام ، فخرج إليهم موسى وهم في براح من الأرض فقام فيهم فقال يا بني إسرائيل من سرق قطعتنا يده ومن افترى جلدناه ثمانين ومن زنى وليست له امرأة جلدناه مائة ومن زنى وله امرأة رجمناه حتى يموت . قال قارون إن كنت أنت ؟ قال ولمن كنت أنا . قال قارون فإن بني إسرائيل يزعمون أنك فجرت بخلائة الزانية . قال موسى ادعوها فلما جاءت قال لها موسى يا فلاتة أما فعلت بك ما يقول هؤلاء (٢١٣) وعظم عليها وسألها بالذي فاتك

البحر لبني إسرائيل وأتزل التوراة إلا صدقت ؟ فتداركها الله بالتوفيق ، فقلت في نفسها ، أحدث توبة أفضل من أن أؤذي رسول الله فقالت لا والله ولكن جعل لي قارون

مما أوتي قارون في الدنيا (وَلَا يَلْقَاهَا) أي الجنة الثابت بها (إِلَّا الصَّابِرُونَ) على الطاعة وعن المصية (فَخَفَّفْنَا بِهِ) بقارون (وَبَذَرْنَاهُ الْأَرْضَ) قَسَا كَانَ لَهُ مِنْ فَتْنَةٍ يَنْصُرُونَهُ مِنْ دُونِ اللَّهِ (أَي غَيْرِهِ) بَأَن يَمْنَعُوا عَنْهُ الْهَلَاكَ (وَمَا كَانَ مِنَ الْمُتَنَصِّرِينَ) مِنْهُ (وَأَصْبَحَ الَّذِينَ تَمَنَّوْا مَكَانَهُ بِالْأَمْسِ) أَي مِنْ قَرِيبٍ (يَقُولُونَ وَيَسْأَلُونَ اللَّهَ بِسُوءِ الرَّزْقِ) لِمَ يَسْأَلُهُ مِنْ عِبَادِهِ وَيَقْدِرُ يَضِيقُ عَلَى مَنْ يَشَاءُ وَوَيْ اسْمُ فَعْلٍ بِمَعْنَى أَحْبَبَ أَي أَنَا وَالْكَافُ بِمَعْنَى اللّام

جعلا على أن تقذفك بنفسي ، فغرت موسى ساجدا يبكي وقال اللهم إن كنت رسولاك فاغضب لي فأوحى الله إليه إني أمرت الأرض أن تطيعك فمراها بما شئت ، فقال موسى يا بني إسرائيل إن الله بعثني إلى قارون كما بعثني إلى فرعون فمن كان معه فليدب مكنه ومن كان معي فليعتزل فاعتزلوا فلم يبق مع قارون إلا رجلان ، ثم قال موسى يا أرض خذهم فأخذتهم الأرض بأقدامهم ، ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم الأرض إلى الركب ، ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم الأرض إلى أوساطهم ، ثم قال يا أرض خذهم فأخذتهم إلى الأعناق وأصحابه في كل ذلك يتضرعون إلى موسى ويناشده قارون الله والرحم حتى قيل إنه ناشده سبعين مرة وموسى في ذلك لا يلتفت إليه لشدة غضبه . ثم قال يا أرض خذهم فانطبقت عليهم ، قل قلدة : خسفت به فهو يتجلبج في الأرض كل يوم قامة رجل لا يبلغ قعرها إلى يوم القيامة ، وفي الخبر : إذا وصل قارون إلى قرار الأرض السابعة ففخ إسرائيل في الصور ، وأصبح بنو إسرائيل يتحدثون فيما بينهم أن موسى إن عادنا على قارون ليستبد بداره وكنوزه وأمواله فدعا الله موسى حتى خسف بدله وكنوزه وأمواله الأرض . قال بعضهم : مقتضى هذا الحديث أن الأرض لا تأكل جسمه فيمكن أن يلغز ويقال لنا كثر لا يبلى جسده بعد الموت وهو قارون (قوله من فتنة) من زائدة وفتنة اسم كان إن كانت ناقصة والجاز والجرور خبرها أو فاعل بها إن كانت تامة (قوله من المتنصرين) أي المنتهين بأنفسهم (قوله أي من قريب) أشار بذلك إلى أن الراد بالأمس الوقت للماضي القريب لا اليوم الذي قبل يومك (قوله ويكأن الله الخ) ويكأن فيها خمسة مذاهب : الأول أن ويى كلمة برأسها اسم فعل بمعنى أعجب والكاف للتعليل وأن وما دخلت عليه مجرور بها : أي أعجب لأن الله يسط الرزق الخ فالوقف على ويى وهو قراءة الكسائر . الثاني أن كان للتشبيه غير أنه ذهب معناه منها وصارت لليقين وحينئذ فالوقف على ويى ككلى قبله . الثالث أن ويى كلمة برأسها والكاف حرف خطاب وأن معلولة لمخدوف : أي أعلم أن الله يسط الرزق الخ وحينئذ فالوقف على ويى وهو قراءة أبي عمرو . الرابع

أَن أصلها و يلك حذفت اللام وحيثذ فالوقت على الكاف أيضا . الخامس أَن ويكان سلكها كلمة بسيطة ومعناها ألم حر أَن الله يسط الرزق الخ وحيثذ فالوقت على النون (قوله لولا أَن من الله علينا) أى بالإيمان والرحمة . (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويكانه) تأكيد لما قبله ويجرى فيها مايجرى فى التى قبلها (قوله تلك الدار الآخرة نجعلها للذين لا يريدون علوا فى الأرض ولا فسادا) مناسبة هذه الآية لما قبلها ظاهرة فان فرعون وقارون تكبرا وتجبرا واختارا العلوا فآل أمرها للخسران ، الو بال والدمار وموسى وهرون اختارا التواضع فآل أمرها للبر الدائم الذى لايزول ولا يحول (قوله أى الجنة) أى وما فيها من النعيم الدائم وروية وجه الله الكريم ومماخ كلامه القديم (قوله لا يريدون علوا) التعبير بالارادة أبلغ فى النفي لأنه نفى للفعل وزيادة (قوله نجعلها) أى نصيرها (قوله بالبنى) أى الظلم والكبر كما وقع لفرعون وقارون وجنودها (قوله بعمل المعاصى) أى كالقتل والزنا والسرقه وغير ذلك من الأمور التى تضالفت أوامره تعالى (قوله للتمتين) أظهر فى مقام الاضمار إظهارا لشأنهم ومدحهم بنسبتهم للتقوى وتسجيلا على ضدم (قوله من جاء بالحسنة) تقدم أنه إن أريد بالحسنة لإله إلا الله فالمراد بالخير الجنة ومن للتعليل وليس فى الصيغة تفصيل ، وإن أريد بها مطلق طاعة فالمراد بالخير منها عشر أمثالها كما جاء مفسرا به فى الآية الأخرى : من جاء بالحسنة فله عشر أمثالها ، فقول المفسر ثواب بسببها الخ إشارة للمنى الثانى (قوله وهو عشر أمثالها) هذا أقل المضاعفة (٢١٤) وتضاعف لسبعين ولسبعمائة والله يضاعف لمن يشاء ، وهذا فى الحسنة

التي فعلها بنفسه أوصلت من أجله كالقراءة والدكر إذا فعل وأهدى ثوابه لميت مثلا ، وأما الحسنة التي تؤخذ فى نظير الظلامة فلا تضاعف بل تؤخذ الحسنة للظالم ، وأما المضاعفة فتكتب للظالم لأنها محض فضل من الله تعالى ليس للعبد فيه فضل والمضاعفة مخصوصة بهذه الأمة ، وأما غيرهم

(لَوْلَا أَن مِّنَ اللَّهِ عَلَيْنَا لَخَسَفَ بَنَاءُ) بالبناء للفاعل والمفعول (وَيَسْكَانُ) لا يُفْلِحُ الْكَافِرُونَ) لنعمة الله كقارون (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ) أى الجنة (نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ) بالبنى (وَلَا فَسَادًا) بعمل المعاصى (وَالْعَاقِبَةُ) المحموده (لِلْمُتَّقِينَ) عقاب الله بعمل الطاعات (مَنْ جَاءَ بِالْحَسَنَةِ فَلَهُ خَيْرٌ مِنْهَا) ثواب بسببها وهو عشر أمثالها (وَمَنْ جَاءَ بِالسَّيِّئَةِ فَلَا يُجْزَى الَّذِينَ عَمِلُوا السَّيِّئَاتِ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) أى مثله (إِنَّ الَّذِي فَرَضَ عَلَيْكَ الْقُرْآنَ) أنزله (لَرَأَدُكَ إِلَىٰ مَعَادٍ) إلى مكة وكان قد اشتاقها (قُلْ رَبِّ أَعْلَمُ مَنْ جَاءَ بِالْهُدَىٰ وَمَنْ هُوَ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) نزل جوابا لقول كفار مكة له إنك فى ضلال أى هو الجائى بالهدى وهم فى الضلال وأعلم بمعنى عالم (وَمَا كُنْتَ تَرْجُوا أَن يُلْقَىٰ إِلَيْكَ الْكِتَابُ) القرآن (إِلَّا) ،

لتحسن

ولا مضاعفة له (قوله فلا يجزى الذين عملوا السيئات الخ) أظهر فى مقام الاضمار تسجيلا

وتقبيحا على فاعل السيئات ليترجر عن فعلها (قوله أى مثله) أشار بذلك أن الكلام على حذف مضاف (قوله أنزله) أى أوفرضه بمعنى أوجب عليك تبليغه للعباد والتمسك به (قوله إلى مكة وكان قد اشتاقها) تقدم أن سبب نزول هذه الآية أنه صلى الله عليه وسلم لما أذن له فى الهجرة إلى المدينة وخرج من النام مع أبى بكر ليلا سار فى غير الطريق فلما نزل بالجحفة بين مكة والمدينة وعرف طريق مكة اشتق إليها وذكر مولده ومولد أبيه فنزل عليه جبريل وقال له أنشتاق إلى بلدك ومولدك فقال عليه السلام نعم قال جبريل إن الله تعالى يقول إن الذى فرض عليك القرآن رادك إلى معاد يعنى إلى مكة ظاهرا عليهم سميت الله معادا لأن شأن الانسان أن ينصرف من بلده ويعود إليها وتقدم أن هذه الآية يفهم قراءتها للمسافر تفاؤلا بعوده لوطنه ، ولا يقال ر الآية قيات للنبي صلى الله عليه وسلم فكيف يقال لغيره لأنه يقال إن القرآن نزل للتعبد والافتداء به فكأنه قال كما صدقت بعد ذلك فأصدق وعدى (قوله جوابا لقول كفار مكة الخ) أى كما قالت بنو إسرائيل لموسى مثل ذلك فرد الله عليهم فتواله : أنال موسى ربه أعلم من جاء بالهدى ومن تكون له عاقبة الدار (قوله وأعلم بمعنى عالم) إنما احتيج إلى تحويله تعديته للمفعول نفسه وإلا لكان مقتضى الظاهر تعديته بمن (قوله وما كنت ترحوا) أى لى لى . ارسله إليك (قوله أن يلقى إليك الكتاب) أى أنزله عليك ليس عن معاد ولا تطلب منك ، ومن هنا قال العلماء إن النبوة ليست مكتسبة لأحد قال فى الجوهره : ولم تكن نبوة مكتسبة ولو رقى فى الخير أعلى عقبه

الخ

(قوله لكن ألقى إليك الخ) أشار بذلك إلى أن الاستثناء شطط (قوله فلا تكونن ظهيرا للكافرين) الخطاب له والمراد بغيره لاستحالة ذلك عليه (قوله حذف نون الرفع للجازم) أي وهو لا الناهية (قوله لالتقاءها مع النون الساكنة) أي وجود دليل يدل عليها وهو الضمة وما شئ عليه المفسر في تصريف الفعل إنما يأتي على ندور وهو تأكيد الفعل الخالي عن الطلب فالأولى أن يقول وأصله يصدونك دخل الجازم لحذف النون ثم أكد فالتقى ساكنان حذف الواو لالتقاءهما ووجود الضمة دليلا عليها (قوله بعد إذ أنزلت إليك) أي بعد وقت إنزالها عليك (قوله أي لا ترجع إليهم) أي لا تركزن إلى أقوالهم (قوله ولا تكونن من المشركين) الخطاب له والمراد غيره (قوله ولم يؤثر الجازم في الفعل) أي لفظا وإن كان مؤثرا محلا (قوله لبنائه) أي بسبب مباشرة نون التوكيد له بخلاف قوله ولا يصدونك فتأثر بالجازم وإن كان مؤكدا بالنون لعدم مباشرتها للفعل فإنه فصل بينهما بواو الجماعة قال ابن مالك : وأعر بوا مضارعا إن عريا * من نون توكيد مباشر (قوله تعبد) أشار بذلك إلى أن المراد بالدعاء العبادة وحيث أنه فليس في الآية دليل على ما زعمه الخوارج من أن الطلب من الغير حيا أو ميتا شرك فإنه جهل مركب لأن سؤال الغير من حيث إجراء الله النفع أو الضرر على يده قد يكون (٢١٥) واجبا لأنه من التمسك بالأسباب ولا ينكر الأسباب إلا

جحد أو جهول (قوله كل شيء هالك إلا وجهه) أي كل ما سوى الله تعالى قابل للهلاك وجاز عليه لأن وجوده ليس ذاتيا له قال بعض العارفين : الله قل ونز الوجود وما حوى

إن كنت مرئادا بلوغ كمال

فالسكل دون الله إن حققته عدم على التفصيل والاجال من لا وجود لذاته من ذاته

فوجوده لولاه عين محال

والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى التكبر المتعالي ورأوا سواد على الحقيقة هالكا في الحال والماضى والاستقبال وقيل الولد بالهلاك لانعدام بالفعل ، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله :

ثمانية حكم البقاء يسما من الخلق والباقيون في حيز القدم هي العرش والكرسى وفار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم وهو معنى قول صاحب الجوهرة : وكل شيء هالك قد خصصوا عمومها فاطلب لما قد خصصوا

ولا مفهوم لماعده السيوطي بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمهم والحدود والولدان (قوله إلا إياه) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى فإن ثوابه باق (قوله وإليه ترجعون) أي في جميع أحوالكم . [سورة العنكبوت مكية] مبتدأ وخبر وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم أن أسماء السور توقيفية وقوله مكية أي كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فاتهام مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأنه من التشابه الذي يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستعانة. يصح أن يكون للتعقير

لكن ألقى إليك (رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ فَلَا تَكُونَنَّ ظَلِيماً) ميمنا (لِلْكَافِرِينَ) على دينهم الذي دعوك إليه (وَلَا يَصُدُّنَكَ) أصله يصدونك حذف نون الرفع للجازم والواو الفاعل لالتقاءها مع النون الساكنة ر عَنْ آيَاتِ اللَّهِ بَدَأَ إِذْ أَنْزَلَ إِلَيْكَ (أى لا ترجع إليهم في ذلك) (وَأَدْخُ) الناس (إِلَى رَبِّكَ) بتوحيده وعبادته (وَلَا تَكُونَنَّ مِنَ الْمُشْرِكِينَ) بإعتابهم ولم يؤثر الجازم في الفعل لبنائه (وَلَا تَدْعُ) تعبد (مَعَ اللَّهِ إِلَهاً آخَرَ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ كُلُّ شَيْءٍ هَالِكٌ إِلَّا وَجْهَهُ) (إِلَّا إِيَّاهُ) (لَهُ الْحُكْمُ) القضاء النافذ (وَالِيَهُ تَرْجَعُونَ) بالقشور من قبورهم .

(سورة العنكبوت)

مكية، وهي تسع وستون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ) الله أعلم بمراده به (أَحْسِبَ النَّاسَ أَنْ يُلَاقُوا أَنْ يَقُولُوا) أي يقولهم (آمَنَّا وَهُمْ لَا يُفْتَنُونَ) يخفون ،

والعارفون فنوا به لم يشهدوا شيئا سوى التكبر المتعالي ورأوا سواد على الحقيقة هالكا في الحال والماضى والاستقبال وقيل الولد بالهلاك لانعدام بالفعل ، ويستثنى منه ثمانية أشياء نظمها السيوطي في قوله : ثمانية حكم البقاء يسما من الخلق والباقيون في حيز القدم هي العرش والكرسى وفار وجنة وعجب وأرواح كذا اللوح والقلم وهو معنى قول صاحب الجوهرة : وكل شيء هالك قد خصصوا عمومها فاطلب لما قد خصصوا ولا مفهوم لماعده السيوطي بل منها أجساد الأنبياء والشهداء ومن في حكمهم والحدود والولدان (قوله إلا إياه) أشار بذلك إلى أن المراد بالوجه الذات ويصح أن المراد به ما عمل لأجله سبحانه وتعالى فإن ثوابه باق (قوله وإليه ترجعون) أي في جميع أحوالكم . [سورة العنكبوت مكية] مبتدأ وخبر وفي بعض النسخ سورة العنكبوت وهي تسع وستون آية مكية ففيه الفصل بين المبتدأ والخبر بالجملة الحالية، وسميت بذلك لذكر العنكبوت فيها من باب تسمية الكل باسم الجزء وتقدم أن أسماء السور توقيفية وقوله مكية أي كلها وقيل مدنية كلها وقيل مكية إلا عشر آيات من أولها إلى قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ فاتهام مدنية (قوله الله أعلم بمراده) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأنه من التشابه الذي يفوض علمه لله تعالى (قوله أحسب الناس) الاستعانة. يصح أن يكون للتعقير

وحينئذ فيكون للفقير يجب على الناس أن يترفعوا بأنهم لا يتركون سدي ، بل يمتحنون و يتلون لأن الدنيا دار بلاء وامتحان أو التوبيخ ، وعليه فالغنى لا يليق منهم هذا الحسبان أى القطن والتخمين بل الواجب عليهم عليهم بأنهم لا يتركون وحسب فعل ماض والناس فاعله وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر سدت مسد مفعولى حسب وأن يقولوا علة للحسبان ، وقوله وم لا يقتنون الجملة حالية مقيدة لقوله أحسب الناس ويكون للفقير يجب على الناس أن يتركون من غير افتتان بمجرد نطقهم بالشهادتين أو من أجل نطقهم بالشهادتين بل لابد من امتحانهم بعد النطق بالشهادتين ليميز الراشخ من غيره (قوله بما يتبين به حقيقة إيمانهم) أى من الشاق كالهجرة والجهاد وأبواع المصائب فى الأنفس والأموال (قوله نزل فى جماعة) أى كعمار بن يامر وعياش ابن أبى ربيعة والوليد بن الوليد و سلمة بن هشام وكانوا يذبون بمكة والمقصود من الآية نولية هؤلاء وتعليم من يأتى بعدهم (قوله ولقد فتنا الذين من قبلهم الخ) إما حال من الناس وحينئذ فالغنى أحسبوا ذلك والحال أنهم علموا أن ذلك ليس سنة الله ولن تجد لسنة الله تبديلا أو من فاعل يفتنون ، والغنى أحسبوا أن لا يكونوا كغيرهم ولا يسلك بهم مسالك الأمم السابقة روى البخارى عن خباب بن الأرت قال : شكونا إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو متوسد بردة له فى ظل الكعبة فقلنا ألا تستنصر ألا تدعونا فقال : قد كان من قبلكم يؤخذ الرجل فيحفر له فى الأرض فيجعل فيها فيؤتى بالمشار فيوضع على رأسه فيجعل نصفين ويمشط بأمشاط الحديد مادون لحه وعظمه فما يصرفه ذلك عن دينه والله ليتمن هذا الأمر حتى يسير الراكب من صنعاء إلى حضرموت لا يخاف إلا الله والذئب على غنمه ولكنكم كنتم تستعجلون» (قوله الذين صدقوا الخ) عبر فى جانب الصدق بالفعل الماضى (٢١٦) وفى جانب الكذب باسم الفاعل إشارة إلى أن الكاذبين وصفهم مستمر

بما يتبين به حقيقة إيمانهم، نزل فى جماعة آمنوا فأذا هم المشركون (وَلَقَدْ فَتَنَّا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ فَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ صَدَقُوا) فى إيمانهم علم مشاهدة (وَلَيَعْلَمَنَّ الْكَاذِبِينَ) فيه (أَمْ حَسِبَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ السَّيِّئَاتِ) انشرك والمعاصى (أَنْ يَسْبِقُونَا) يفوتونا فلا ننقم منهم (سَاءَ) بس (مَا) الذى (يَحْكُمُونَ) حكمهم هذا (مَنْ كَانَ يَرْجُوا) يخاف (لِقَاءَ اللَّهِ) فإن أجل الله (بِهِ) (لَا تَرَى) فليستعده (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأتوال العباد (الْعَلِيمُ) بأفعالهم (وَمَنْ جَاهَدَ) جهاد حرب أو نفس (فَأِنَّمَا يَجَاهِدُ لِنَفْسِهِ) فإن منفعة جهاده له لا لله ،

لم يظهر منهم إلا ما كان مخبأ، وأما الصادقون فقد زال وصف الكذب عنهم وتجدد لهم الصدق فناسبه التعبير بالفعل (قوله علم مشاهدة) جواب عما يقال إن علم الله لا يتجدد فيه والجواب أن المراد ليظهر متعلق علم الله للناس

(إن)

بيان الصادق من الكاذب (قوله أم حسب الذين الخ) انتقال من توبيخ إلى توبيخ

فالأول توبيخ للناس على ظنهم بلوغ الدرجات بمجرد الإيمان من غير مشقة ولا تعب . والثانى أشد منه وهو توبيخهم على ظنهم أنهم يفوتون عذاب الله ويفرون منه مع دواءهم على الكفر (قوله الذى يحكمونه الخ) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول فاعل ساء ويحكمون صلتة والمائد محذوف والمخصوص بالذم محذوف قدره بقوله حكمهم هذا ويصح أن تكون ما عيذا والفاعل ضمير مفسر بما ، قال ابن مالك : وما عيذ وقيل فاعل فى نحو نم ما يقول الفاضل

(قوله من كان يرجوا لقاء الله) أى يعتقد ويجزم بأنه يلاقى الله فيرجو رحمته ويخاف عقابه وهذا التفسير أتم بما قاله الفسر لأن المؤمن الصادق بلقاء الله لا بد له من الرجاء والخوف معا يؤيد ما قلناه جواب الشرط الذى قدره بقوله فليستعده أى يتهاوى ويستحضر الرحمة والنجاة من العذاب (قوله فإن أجل الله لآت) ليس هذا هو جواب الشرط والإلزام أن من لا يرجو لقاء الله لا يكون أجل الله آتيا له بل الجواب ما قدره الفسر (قوله بأفعالهم) أى وعقائدهم (قوله جهاد حرب) أى وهو الجهاد الأصغر وقوله أو نفس أى وهو الجهاد الأكبر وذلك لأن الشيطان يحرى من ابن آدم مجرى الدم والنفس أخيه ولا تغيب عن الإنسان أبدا وهى خفية تظهر الهبة لصاحبها بخلاف العدو من الكفار وأيضا إذا قتله الكافر مات شهيدا ، وأما إذا قتله نفسه فاما عاص أو كافر فلا شك أن جهاد النفس أكبر من جهاد الكفار ولذا ورد فى الحديث أنه قال بعد رجوعه من الجهاد «رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر قيل يا رسول الله وأى جهاد أكبر من هذا قال جهاد النفس والشيطان» (قوله فأنما يجاهد لنفسه) أى فلا تمنوا بطاعتكم وخدمتكم على ربكم فأنفضل له فى توفيقكم لعبادته فالخصر إضافى فلا ينافى أنه يتنفع غيره بجهاده كما يتنفع الآباء صلاح الأولاد والمقصود نفي النفع عن الله

لأشجائه عليه (قوله بن الله تعالى عن العالمين) أي فلا يصل له منهم شئ ولا ضرت لما في الحديث القدسي يا عبادي لو أن أولكم وآخركم وإنسكم وجنكم كانوا على أتقى قلب رجل واحد منكم ما نقص ذلك في ملكي شيئا (قوله والذين آمنوا الخ) مبتدأ خبره الجملة القسمية وهذا وعد حسن للتصديق بالإيمان (قوله لنكفرن عنهم سيئاتهم) أي لا نؤاخذهم بها وهذا ظاهر في غير العصومين ، وأما الصومون فلا سيئات لهم فبمعنى تكفيرها ؟ أجيبت بأن الكلام على الفرض والتقدير يعني أنه لو وجدت منهم سيئات تنكفر أو المراد بالسيئات خلاف الأولى على حسب مقامهم ومن هنا قيل : حسنات الأبرار سيئات القريين (قوله بمعنى حسن) أي قاسم التفضيل ليس على بابه لأنه يوم أنهم يجازون على الأحسن لحي الحسن ، وقد يقال المراد بالأحسن الثواب الواقع في مقابلة الأعمال الصالحة فالمعنى عليه حينئذ تضاعف لهم الثواب في نظير أعمالهم الصالحة فتأمل (قوله ووصينا الإنسان بوالديه حسنا) يجب نزولها هي وآية لقمان والأخفاف أن سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه أحد العشرة المبشرين بالجنة والسابقين إلى الإسلام لما أسدأت أمه حمنة بنت أبي سفيان أن لاتأكل ولا تشرب ولا تستظل بسقف حتى تموت أو يكفر سعد بمحمد فأبى سعد أن يطيعها صبرت ثلاثة أيام لاتأكل ولا تشرب ولا تستظل حتى غشي عليها فأتاها وقال لها والله لو كان لك مائة نفس غرقت نفسك ما كفرت بمحمد صلى الله عليه وسلم فان شئت فكلّي وإن شئت فلا تأكلّي ، فلما رأت ذلك أكلت ففزلت الآية بالوصية عليها وإعلاء الله الأولاد ببر والديه دون العكس لأن الأولاد جبالوا (٢١٧) على القسوة وعدم طاعة الوالدين

فكافهم الله بما يخالف طبعهم ، والآباء محبوبون على الرحمة والشفقة بالأولاد فوكلهم الله لما جبالوا عليه (قوله أي إيصاء ذاحسن) أشار بذلك إلى أن حسنا صفة لمصدر محذوف على حذف مضاف ويصح أن يبقى على مصدريته مبانة على حد زيد عدل (قوله بأن يبرها)

(إِنَّ اللَّهَ لَنَنفِخَ عَنِ الْعَالَمِينَ) الْإِنْسَ وَالْجِنَّ وَالْمَلَائِكَةَ وَعَنِ عِبَادَتِهِمْ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُكَفِّرَنَّ عَنْهُمْ سَيِّئَاتِهِمْ) بِعَمَلِ الصَّالِحَاتِ (وَلَنَجْزِيَنَّهُمْ أَحْسَنَ) بِمَعْنَى حَسَن (وَنُصَبِّهَ بِنَزْعِ الْخَافِضِ الْبَاءَ) (الَّذِي كَانُوا يَمْتَلُونَ) وَهُوَ الصَّالِحَاتِ (وَوَصَّيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ حُسْنًا) أَيْ إِيصَاءَ ذَا حَسَنَ بِأَنْ يَبْرَهَا (وَإِنْ جَاهِدَاكَ لِتُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ) بِإِشْرَاكَ (عِلْمٌ) مُوَافَقَةً لِلْوَاقِعِ فَلَا مَفْهُومَ لَهُ (فَلَا تُطْعِمُهُمَا) فِي الْإِشْرَاكِ (إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأَنْبِئُكُمْ بِمَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ) فَأَجَازِيكُمْ بِهِ (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُدْخِلَنَّهُمْ فِي الصَّالِحِينَ) الْأَنْبِيَاءَ وَالْأَوْلِيَاءَ ، بِأَنْ نَحْشُرَهُمْ مَعَهُمْ (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَقُولُ آمَنَّا بِاللَّهِ فَإِذَا أُوذِيَ فِي اللَّهِ جَمَلَ فِتْنَةَ النَّاسِ) أَيْ أَذَاهُمْ لَهُ (كَعَذَابِ اللَّهِ) فِي الْخَوْفِ مِنْهُ ،

أى يحسن إليهما وأوجه البر كثيرة جدا : منها لين الجانب والخدمة وبذل المال لهما وطاعتهما في غير معاصي الله وغير ذلك (قوله وإن جاهدك لتشرك بي) أتى هنا باللام وفي لقمان بعلى حيث قال - وإن جاهدك على أن تشرك بي - لأن ما هنا موافق لما قبله في قوله : ومن جاهد فاعبأ بجاهد لنفسه ومافى لقمان ضمن جاهدك معنى حملك (قوله ما ليس لك به علم) ما مفعول تشرك أى إلها لا علم لك به (قوله موافقة للواقع) علة المحذوف تقديره ذكر هذا التقييد موافقة للواقع أى إن الواقع أن الإله واحد فليس إله لك به علم وإله لا علم لك به ، وأما الأصنام فاشركا كهمع الله في العبادة هزؤ وسخافة عقل إذ لو تأمل الكافر أدنى تأمل ما علم إلها غير الله ولا ظنه ولا توهمه (قوله إلى مرجعكم) فيه وعد حسن لمن برّ بوالديه وأتبع الهدى ووعيد لمن عصى والديه وأتبع سبيل الردى (قوله بما كنتم تعملون) أى بالصالح والسيء فيترتب على كل جزاءه (قوله والذين آمنوا الخ) الذين اسم موصول مبتدأ وآمنوا صلته وقوله لندخلنهم الخ خبره (قوله بأن نحشرهم معهم) أى يوم القيامة بل ويحشرون بهم في البرزخ فإذا مات المؤمن الصالح اجتمعت روحه بمن أحب من الأنبياء والأولياء حتى تقوم القيامة حينئذ يكون مرافقا لهم في الدرجات العالية قال تعالى : إن تجتنبوا كبار ما تنهون عنه نكفر عنكم سيئاتكم وندخلكم مدخلا كريما (قوله ومن الناس من يقول آمنا بالله الخ) لما بين حال المؤمنين والكافرين فيما تقدم بين هذا حال المنافقين وهم من أظهروا الإسلام وأخفوا الكفر ومن الناس خبر مقدم ومن يقول مبتدأ مؤخر وقوله آمنا بالله الخ مقول القول (قوله فإذا أودى في الله) أى آذاه الكفار على إظهار الإيمان (قوله جعل فتنة الناس كذاب الله) أى لم يصبر على لأذى بل ترك له بن الحق والتشبيه من حيث إن عذاب الله مانع للمؤمنين من الكفر فكذلك المنافقون جعلوا أذاهم [٢١٨ - صاوى - ثالث] مانعا لهم من الإيمان وكان يمكنهم الصبر على الأذى إلى حد الإكراه وتكون قلوبهم مباحنة بالإيمان

(قوله فيطيعهم) أى ظاهرا وباطنا ، وأما المكره فقد أطاع ظاهرا لا باطنا والواخضة مرجعها القلب (قوله والواو الخ) عطف على نون الرفع مسلط عليه قوله حذف منه (قوله لالتقاء الساكنين) أى ولوجود الضمة دليلا عليها (قوله إنا كنا معكم في الإيمان) أى وإن الذى وقع منا إنما هو على سبيل الإكراه (قوله أى بعالم) أشار بذلك إلى أن التفضيل فى صفات الله وأسمائه ليس مرادا (قوله وليعلمن الله الذين آمنوا الخ) أى ليظهر متعلق عمله للناس فيقتضح النفاق ويظهر شرف المؤمنين الخالص (قوله إن كانت) أى على فرض حصولها وإلا فهم ليسوا مسلمين أن فى اتباعهم خطايا (قوله والأمر بمعنى الخبر) أى فالذى ليكون منكم الاتباع ومنا الحل (قوله وأثقالا مع أثقالهم) أى لأن العدل على الشرك كفاعله من غير أن ينقص من وزير الاتباع شئ (قوله عما كانوا يفترون) أى يخلقون من الأباطيل التى من جعلها قولهم اتبعوا سبيلنا الخ (قوله ولقد أرسلنا نوحا الخ) لما قدم سبحانه وتعالى (٣١٨) تكاليف هذه الأمة وبين أن من أطاع لله الجنة ومن عصى الله النار

بين هنا أن هذه التكاليف ليست عزيمة بهذه الأمة بل من قبلهم كانوا كذلك وتقدم أن نوحا اسمه عبد الغفار ، وقيل يشكروا كان يسمى السكن لأن الناس بعد آدم سكنوا إليه فهو أبوم ، ولقب بنوح لكثرة نوحه على قومه وقيل على خطيئته لما روى أنه مر بكاب فقال فى نفسه ما أقبحه فأوحى الله إليه أعبتى أم هبت الكاب اخلق أنت أحسن منه ، ونوح هو ابن نوح بن موشلخ ابن إدريس بن برد بن أهليل بن قناب بن نوح ابن شيث بن آدم عليه

فيطيعهم فينفاق (وَلَيْتَن) لأم قسم (جاء نصر) للمؤمنين (مِنْ رَبِّكَ) فنموا (لَيَقُولَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى النونات والواو ضمير الجمع لالتقاء الساكنين (إِنَّا كُنَّا مَعَكُمْ) فى الإيمان فأشركونا فى النعمة قال تعالى (أَوْ لَيْسَ اللَّهُ بِأَعْلَمَ) أى بعالم (بِمَا فى صُدُورِ الْعَالَمِينَ) قلوبهم من الإيمان والنفاق ؟ بلى (وَلَيَعْلَمَنَّ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا) بقلوبهم (وَلَيَعْلَمَنَّ الْمُنَافِقِينَ) فيجازى الفريقين واللام فى الفعلين لام قسم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا اتَّبِعُوا سَبِيلَنَا) ديننا (وَلَنَحْمِلَ خَطَايَاكُمْ) فى اتباعنا إن كانت والأمر بمعنى الخبر قال تعالى (وَمَا هُمْ بِحَامِلِينَ مِنْ خَطَايَاهُمْ مِنْ شَيْءٍ إِنَّهُمْ لَكَاذِبُونَ) فى ذلك (وَلَيَحْمِلُنَّ أَثْقَالَهُمْ) أوزارهم (وَأَثْقَالَ مَعَ أَثْقَالِهِمْ) بقولهم للمؤمنين اتبعوا سبيلنا وإضلالهم مقلديهم (وَلَيُسْئَلُنَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عَمَّا كَانُوا يَفْتَرُونَ) يكذبون على الله سؤال توبيخ واللام فى الفعلين لام قسم وحذف فاعلها الواو ونون الرفع (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا نُوحًا إِلَى قَوْمِهِ) وعمره أربعون سنة أو أكثر (فَلْيَتَّخِذْ فِيهِمْ أَلْفَ سَنَةٍ إِلَّا خَمْسِينَ عَامًا) يدعوهم إلى توحيد الله فكذبوه (فَاخَذَهُمُ الطُّوفَانُ) أى الساء الكثير طاف بهم وعلام فرقوا (وَهُمْ ظَالِمُونَ) مشركون (فَأَنْجَيْنَاهُ) أى نوحا (وَأَصْحَابَ السَّفِينَةِ) أى الذين كانوا معه فيها (وَجَعَلْنَاهَا آيَةً) عبرة (لِلْعَالَمِينَ) لمن بعدهم من الناس إن عصوا رسلهم ، وعاش نوح بعد الطوفان سبعين سنة أو أكثر حتى كثر الناس . (و) اذكر (إِبْرَاهِيمَ) إذ قَالَ لِقَوْمِهِ .

السلام (قوله وعمره أربعون سنة أو أكثر) تقدم أنه اختلف فى الأكثر فقل بعث على رأس خمسين وقيل مائتين وخمسين ، وقيل مائة سنة ، وقيل غير ذلك (قوله فلبث فيهم ألف سنة الخ) الحكمة فى ذكر لبث هذه المدة نسلته صلى الله عليه وسلم على عدم دخول الكفار فى الاسلام فكان الله يقول لنبيه لا تحزن فإن نوحا لبث هذا العدد الكثير ولم يؤمن من قومه إلا القليل فصر وماضجر فأتى أولى بالصبر أقل مدة ممكنة وكثرة من آمن من قومك ، والحكمة فى العبارة بين العام والسنة التفنن وخص لفظ العام بالمحسنين إشارة إلى أن نوحا لما هرقوا استراح وبقى فى زمن حسن والعرب تعبر عن الحزن بالعام وعن الجذب بالسنة (قوله طاف بهم وعلام) أى أحاط بهم وارتفع فوق أعلى جبل أر بعين ذراعا (قوله الذين كانوا معه فيها) قيل كانوا أر بعين رجلا وأر بعين امرأة ، وقيل تسعة أولاده الثلاثة وستة من غيرهم . وقيل غير ذلك (قوله سبعين أو أكثر) قيل على بعد الطوفان مائتين وخمسين سنة (قوله وإبراهيم) قرأ العامة بالنصب عطف على نوحا أو معمول لحذوف كافتح عليه المفسر حيث قرر إذ كر وقرى شدوذا بالرفع على أنه مبتدأ والخبر محذوف تقديره ومن المرسلين إبراهيم .

(قوله اعبدوا الله) أى امتثلوا ما يأمركم به على لسان نبيكم (قوله واتقوه) أى اجنبوا توهبه (قوله ذلكم) أى ما ذكر من العبادات والتقوى (قوله خير لكم مما آتاكم عليه الخ) أى فى زعمكم أن فيه خيراً والأحسن أن يقال ذلكم خير لكم من جميع المحظوظات المعجلة (قوله الخير) أى وهو عبادة الله وقوله من غيره أى وهو عبادة غيره (قوله أو ثانياً) جمع وثن وهو ما يصنع من حجر وغيره ليتخذ معبوداً (قوله وتخلقون إفكا) أى تخلقونه وتخترعونه (قوله لا يملكون لكم رزقاً) أى لا يستطيعون ذلك لحزم وعدم قدرتهم عليه (قوله فاطبوه منه) أى ولا تطلبوه من غيره لأنه تكفل لكل دابة برزقها قال تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها - (قوله واعبدوه راشكروا له) أى لأن بالشكر تزداد النعم قال تعالى - لنن شكرتم لأزيدنكم - (قوله إليه ترجعون) أى تردون فينبى الطائع ويذهب (٣١٩) العاصى (قوله وإن تكذبوا)

شرط حذف جوابه تقديره فلا يضرتنى تكذيبكم وإنما تضرون أنفسكم وقوله فقد كذب أم من قبلكم دليل الجواب ومن هنا إلى قوله فما كان جواب قومه جل معترضة بين كلام إبراهيم وجواب قومه له إشارة إلى أن المقصود بالخطاب أمة محمد صلى الله عليه وسلم (قوله من قبلى) من اسم موصول مفعول كذب ، والمعنى فلم يضرب الرسل تكذيب قومهم لهم (قوله فى هاتين القصتين) أى قصة نوح وإبراهيم (قوله وقد قال تعالى) أى ردّاً على منكبرى البعث (قوله بالباء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله كيف يبدى الله

أَعْبُدُوا اللَّهَ وَأَتَّقُوهُ) خافوا عقابه (ذَلِكُمْ خَيْرٌ لَّكُمْ) مما آتاكم عليه من عبادة الأصنام (إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ) الخير من غيره (إِنَّمَا تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (أَوْثَانًا وَتَخْلُقُونَ إِفْكًا) تقولون كذباً إن الأوثان شركاء لله (إِنْ الَّذِينَ تَعْبُدُونَ مِنْ دُونِ اللَّهِ لَا يَمْلِكُونَ لَكُمْ رِزْقًا) لا يقدرُونَ أن يرزقوكم (فَابْتَغُوا عِنْدَ اللَّهِ الرِّزْقَ) اطلبوه منه (وَاعْبُدُوهُ وَاشْكُرُوا لَهُ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِنْ تَكْذِبُوا) أى تكذبونى يا أهل مكة (فَقَدْ كَذَّبْتُمْ أَمْ مِنْ قَبْلِكُمْ) من قبلى (وَمَا عَلَى الرَّسُولِ إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) الإبلّغ الدين فى هاتين القصتين تسليّة للنبي صلى الله عليه وسلم ، وقال تعالى فى قومه (أَوْ لَمْ يَرَوْا) بالياء والتاء ينظروا (كَيْفَ يُبْدِئُ اللَّهُ الْخَلْقَ) هو بضم أوله وقرئ بفتحها من بدأ وأبدأ بمعنى ، أى يخلقهم ابتداء (ثُمَّ) هو (يُعِيدُهُ) أى الخلق كما بدأهم (إِنْ ذَلِكَ) المذكور من الخلق الأول والثانى (عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) فكيف ينكرون الثانى (قُلْ سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ بَدَأَ الْخَلْقَ) لمن كان قبلكم وأماهم (ثُمَّ اللَّهُ يُنْشِئُ النَّشْأَةَ الْآخِرَةَ) مذكراً وقصراً مع سكون الشين (إِنْ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ) ومنه البدء والإعادة (يُعَذِّبُ مَنْ يَشَاءُ) تعذيبه (وَيَرْحَمُ مَنْ يَشَاءُ) رحمته (وَإِلَيْهِ تُقْلَبُونَ) تردون (وَمَا أَنْتُمْ بِمُعْجِزِينَ) ربكم عن إدراككم (فِي الْأَرْضِ وَلَا فِي السَّمَاءِ) لو كنتم فيها ، أى لا تقوتونه (وَمَا لَكُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيٍّ) يمنعكم منه (وَلَا نَصِيرٍ) ينصركم من عذابه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ وَلِقَائِهِ) أى القرآن والبعث (أُولَئِكَ يَتِخَسَّوْنَ مِنْ رَحْمَتِي) أى جنتى (وَأُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم ، قال تعالى فى قصة إبراهيم :

الخلق) لما تقدّم ذكر التوحيد والرسالة ذكر الحشر ، وهذه الأصول الثلاثة يجب الإيمان بها ولا ينفك بعضها عن بعض (قوله وقرئ بفتحها) أى شذوذاً (قوله من بدأ وأبدأ) لفظة ونشر مشوّش (قوله ثم هو يعيده) قدر الضمير إشارة إلى أن الجملة ليست معطوفة على ما قبلها بل هى مستأنفة (قوله قل سيراوا فى الأرض) أمر من الله لحمد صلى الله عليه وسلم بأن يقول لمنكرى البعث ما ذكر ليشاهدوا كيف أنشأ الله جميع الكائنات ومن قدر على إنشائها بدءاً يقدر على إعادتها (قوله مع سكون الشين) راجع للقصر والقراءتان سبعيتان (قوله يعذب من يشاء) أى فى الدنيا والآخرة وقوله ويرحم من يشاء أى فيهما فلا يسأل عما يفعل (قوله لو كنتم فيها) أشار بذلك إلى أن المراد بالأرض والسما حقيقةهما ويصح أن يراد بهما جهة السفلى والعلو (قوله أى القرآن والبعث) لفظة ونشر مرتب فالأول راجع للآيات والثانى راجع للقاء (قوله أولئك يتخسسون) من رحمى (أى يوم القيامة وعبر بالماضى لتحقق وقوعه

(قوله لما كان جواب قومه إلا أن قالوا اقتلوه الخ) أى لم يكن جواب قوم إبراهيم له حين أمرهم بعبادة الله وترك ما هم عليه من عبادة الأوثان جزاء لما صدر منه من النصيحة إلا ذلك ، فإن النفس الخبيثة أبت أن لا تخرج من الدنيا حتى تسيء إلى من أحسن إليها ، وهذا الكلام واقع من كبارهم لصغارهم لأن الشأن أن الأمر بالقتل أو التحريق يكون من السكابر والذى يتولى ذلك الضار وإنما أجابوا بذلك عنادا بعد ظهور الحجة منه (قوله أو حرقوه) أتى هنا بالترديد واقتصر فى الأنبياء على أحد الأمرين وهو الذى فعلوه إشارة إلى أن ما هنا حكاية عن أصل تشاورهم وما فى الأنبياء عن عزهم وتصميمهم على ما فعلوه (قوله فأنجاه الله من النار) فى الكلام حذف والتقدير فقد ذفوه فى النار فأنجاه الله الخ وإلى هذا أشار المفسر بقوله الذى قد ذفوه فيها (قوله هـ) أى الآيات (قوله وإخادها) أى سكنون لخبيا مع ققاء جبرها وأما الامداد فهو طفاء النار بالمرّة (قوله فى زمن يسير) أى مقدار طرفة عين (قوله لأنهم المنتفعون) علة لمحدوف والتقدير خصوا بالذكر لأنهم الخ (قوله وقال إبراهيم) عطف على قوله فأنجاه الله من النار (قوله إنما اتخذتم من دون الله أوثانا) إن حرف توكيد ونصب وما مصدرية واتخذتم صلتها مسبوكة بمصدر اسم إن (٢٢٠) وأوثانا مفعول أول والفعول الثانى محذوف قدره المفسر بقوله تعبدونها

ومودة خبر إن ومن دون الله حال من أوثانا وهذا على قراءة الرفع وقوله على قراءة النصب مفعول له وما كافة أى سواء قرئ بتنون مودة ونصب بينكم أو بعدم التنوين وخفص بينكم واتخذ إما متعد لواحد أو لاتنين والثانى هو قوله من دون الله ويصح أن تكون ما اسما موصولا واتخذتم صلتها والعائد محذوف والتقدير إن الذى اتخذتموه من دون الله أوثانا تعبدونها لأجل المودة بينكم ونقل عن عاصم أنه رفع مودة

(قَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا اقْتُلُوهُ أَوْ حَرِّقُوهُ فَأَنْجَاهُ اللَّهُ مِنَ النَّارِ) التى قد ذفوه فيها بأن جعلها عليه برداً وسلاماً (إِنَّ فِي ذَلِكَ) أى إنجائه منها (لآيَاتٍ) هى عدم تأثيرها فيه مع عظمتها وإخادها وإنشاء روض مكانها فى زمن يسير (لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) يصدقون بتوحيد الله وقدرته لأنهم المنتفعون بها (وَقَالَ) إبراهيم (إِنَّمَا اتَّخَذْتُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْثَانًا) تعبدونها وما مصدرية (مَوَدَّةً بَيْنَكُمْ) خبر إن وعلى قراءة النصب مفعول له وما كافة ، المعنى توادتم على عبادتها (فى الْحَيَاةِ الدُّنْيَا ثُمَّ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُ بَعْضُكُم بِبَعْضٍ) يتبرأ القادة من الأتباع (وَيَلْعَنُ بَعْضُكُم بَعْضًا) يلعن الأتباع القادة (وَمَأْوِيكُمْ) مصيركم جميعاً (النَّارُ وَمَا لَكُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) ما نعين منها (قَالَمَنْ لَهُ) صدق يا إبراهيم (لوط) وهو ابن أخيه هاران (وَقَالَ) إبراهيم (إِنِّى مُهَاجِرٌ) من قومي (إِلَى رَبِّى) أى إلى حيث أمرنى ربى وهجر قومه وهاجر من سواد العراق إلى الشام (إِنَّهُ هُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى صنعه (وَوَهَبْنَا لَهُ) بعد إسماعيل (إِسْحَاقَ وَيَعْقُوبَ) بعد إسحق (وَجَعَلْنَا فِي ذُرِّيَّتِهِ النُّبُوَّةَ) فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته (وَالْكِتَابَ) بمعنى الكتب أى التوراة والإنجيل والزبور والفرقان (وَأَنْبِيَاءَهُ أَجْرَهُ) فى الدنيا وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان (وَإِنَّهُ) فى الآخرة (لَمِنَ الصَّالِحِينَ) الذين لهم الدرجات العلا .

غير منونة ونصب بينكم وخُرِجَتْ على إضافة مودة لظرف وبى لاضافته لغير متمكن كقراءة لقد تقطع بينكم بالفتح إذ جعل بينكم فاعلا فتحصل أن القراءات أربع الرفع مع جر بين وفتحها والنصب مع جر بين وفتحها وكلها سبى (قوله المعنى) أى الحاصل من تلك القراءات (قوله يتبرأ القادة) أى ينكروهم ويقولون لهم لانفرسكم (قوله صدق يا إبراهيم) أى بنبوته وإن كان مؤمنا قبل ذلك ، ويجب الوقف على لوط لأن قوله وقال إني مهاجر من كلام إبراهيم فالوصل لتوهم أنه من كلام لوط (قوله أى إلى حيث أمرنى ربى) دفع بذلك ما يتوهم من ظاهر اللفظة إثبات الجهة له سبحانه وتعالى (قوله وهاجر من سواد العراق) أى فنزل ببحران هو وزوجته سارة ولوط ابن أخيه ، ثم انقل منها فنزل بفسطاطين ونزل لوط بسدوم وكان عمر إبراهيم إذ ذاك خمسا وسبعين سنة (قوله ووهبنا له) أى بعد هجرته (قوله بعد إسماعيل) أى بأربع عشرة سنة (قوله فى ذريته) أى إبراهيم (قوله فكل الأنبياء بعد إبراهيم من ذريته) أى لانحصار الأنبياء فى إسماعيل وإسحق ومدين جد شعيب (قوله وهو الثناء الحسن فى كل أهل الأديان) أى لجمع أها الأديان محبونه وبه كروته بخبر ويتمون إليه (قوله لمن الصالحين) أى الكاملين فى الصلاح .

(و)

(قوله ولوطا) معموله محذوف قدره المفسر بقوله اذكر (قوله لقومه) أى أهل سدوم ونواحيها (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وعندهم فالقراءات أربع سبعيات (قوله الانس والجن) أى من عهد آدم الى قوم لوط (قوله بفعلكم الفاحشة بمن يريكم) قيل لانهم كانوا يجلسون في مجالسهم وعند كل رجل منهم قصعة فيها حصى ، فاذا مر بهم عابر سبيل محذوفه فأيهم أصابه كان أولى به فيأخذ مامعه وينكحه وينرمه ثلاثة دراهم ولم قاض بذلك (قوله فل الفاحشة) أى والضراط وكشف العورات وغير ذلك من القبائح (قوله إلا أن قالوا اتقنا الخ) أى على سبيل الاستهزاء (قوله باتيان الرجال) أى وفعل بقية الفواحش (قوله فاستجاب الله دعاءه) أى فأمر الملائكة باهلاكهم وأرسلهم مبشرين ومنذرين ، فبشروا إبراهيم بالنورية الطيبة وأنشروا قوم لوط بالعداب (قوله بأسحق ويعقوب) أى وبهؤلاء (٢٢١) قوم لوط (قوله قال إن فيها لوطا) هذا بعد المجادلة التي تقدمت في قوله :

يجادلنا في قوم لوط حيث قال لهم أنهلكون قرية فيها ثلاثمائة مؤمن قالوا لا إلى أن قال أنفأيتم إن كان فيها مؤمن واحد قالوا لا قال إن فيها لوطا قالوا نحن أعلم بمن فيها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله الباقي في العذاب) أى الذين لم يخلصوا منه لأن الدال على الشر كفاعله وهي قد دلت القوم على أضياف لوط نصارت واحدة منهم بسبب ذلك (قوله ولما أن جاءن) أن زائدة للتوكيد (قوله حزن بسببهم) أشار بذلك إلى أن الباء في بهم سببية (قوله ذرعا) تمييز محول

(و) اذكر (لوطا إذ قال لقوميه أننكم) بتحقيق الممرتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين في الموضعين (لَتَأْتُونَ الْفَاحِشَةَ) أى أذبار الرجال (مَا سَبَقَكُمْ بِهَا مِنْ أَحَدٍ مِنَ الْعَالَمِينَ) الإنس والجن (أَننكم لتأتون الرجال وتقطعون السبيل) طريق المارة بفعلكم الفاحشة بمن يريكم فترك الناس الممر بكم (وَتَأْتُونَ فِي نَادِيكُمْ) أى متحدثكم (الْمُنْكَرِ) فل الفاحشة بضمك ببعض (فَمَا كَانَ جَوَابَ قَوْمِهِ إِلَّا أَنْ قَالُوا ائْتِنَا بِعَذَابِ اللَّهِ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ) في استقباح ذلك وأن العذاب نازل بفاعليه (قَالَ رَبِّ أَنْصُرْنِي) بتحقيق قولي في إنزال العذاب (عَلَى الْقَوْمِ الْفَاسِقِينَ) العاصين باتيان الرجال فاستجاب الله دعاءه (وَلَمَّا جَاءَتْ رُسُلُنَا إِبْرَاهِيمَ بِالْبُشْرَى) بأسحق ويعقوب بعده (قَالُوا إِنَّا مُمْلِكُوا أَهْلَ هَذِهِ الْقَرْيَةِ) أى قرية لوط (إِنْ أَهْلُهَا كَانُوا ظَالِمِينَ) كافرين (قَالَ) إبراهيم (إِنَّ فِيهَا لُوطًا قَالُوا) أى الرسل (نَحْنُ أَعْلَمُ بِمَنْ فِيهَا لَنَنْجِيَنَّهُ) بالتخفيف والتشديد (وَأَهْلَهُ إِلَّا أُمَّرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) الباقيين في العذاب (وَلَمَّا أَنْ جَاءَتْ رُسُلُنَا لُوطًا سِئًا بِهِمْ) حزن بسببهم (وَضَاقَ بِهِمْ ذَرْعًا) صدرًا لأنهم حسان الوجوه في صورة أضياف تخاف عليهم قومه فأعلموه أنهم رسل ربه (وَقَالُوا لَا تَخَفْ وَلَا تَحْزَنْ إِنَّا مُنْجُواكَ) بالتشديد والتخفيف (وَأَهْلَكَ إِلَّا أُمَّرَأَتَكَ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ) ونصب أهلك عطف على محل الكاف (إِنَّا مُنْزِلُونَ) بالتخفيف والتشديد (عَلَى أَهْلِ هَذِهِ الْقَرْيَةِ رَجُزًا) عذابا (مِنَ السَّمَاءِ عِمَا) بالقمل الذي (كَانُوا يَفْسُقُونَ) به أى بسبب فسقهم (وَلَقَدْ زَكَّيْنَاهَا آيَةً بَيِّنَةً) ظاهرة هي آثار خرابها (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) يتدبرون (وَأَرْسَلْنَا إِلَى مَدْيَنَ أَخَاهُمْ شُعَيْبًا فَقَالَ يَا قَوْمِ اعْبُدُوا اللَّهَ وَأَرْجُوا الْيَوْمَ الْآخِرَ) أخشوه هو يوم القيامة

عن الفاعل أى ضاق ذرعه وقوله صدرا تفسيرا لحاصل المعنى وإلا فالذرع معناه الطاقة والقوة (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله على محل الكاف) أى وهو نصب على أنها مفعول منجوا (قوله عذابا) قيل هو حجارة وقيل نار وقيل خسف ، وعليه فالمراد بكونه من السماء أن الحكم به من السماء (قوله هي آثار خرابها) وقيل هي الحجارة التي أهلكتوها أبقاها الله عز وجل حتى أمركتها أوائل هذه الأمة ، وقيل هي ظهور الماء الأسود على وجه الأرض (قوله لقوم يعلمون) متماق بتركنا أو بينه وخصم لأنهم المنتفعون بالانعاظ بها (قوله وإلى مدين) متعلق بمحذوف معطوف على أرسلنا في قصة نوح (قوله أخاهم شعيبا) أى لأنه من ذرية مدين بن إبراهيم الذي هو أبو القبيلة فكما هو منسوب لمدين هم كذلك (قوله اعبدوا الله) أى وخلصوه (قوله وارجوا اليوم الآخر) يصح أن يبقى الرجاء على معناه ويكون المعنى ارجوا رحمة الله في اليوم الآخر ويصح أن يكون بمعنى خافوا والمعنى خافوا عقاب الله في اليوم الآخر واليه يشير المفسر بقوله أخشوه .

(قوله من عني بكسر اللثثة) أي من ياب تعب ويصح أن يكون من باب قل (قوله فكذبوه) إن قلت مقتضى الظاهر أن يقال فلم يمتثلوا أوامره لأن التكذيب إنما يكون في الأخبار. أوجب بأن ما ذكره من الأمر والتهنى متضمن للخبر كأنه قيل الله واحد فاعبدوه والحشركائن فارجموه والفساد محرم فاجتنبوه فالتكذيب راجع إلى الأخبار (قوله فأخذتهم الرجفة) أي الزلزلة التي نشأت من صيحة جبريل عليهم وتقدم في هود فأخذتهم الصيحة ولا منافاة بين اللومضين فإن سبب الرجفة الصيحة والرجفة سبب في هلاكهم فتارة يضاف الأخذ للسبب وتارة لسبب السبب (قوله بالصرف وتركه) راجع لعمود فقط وقوله بمعنى الحى والقبيلة لف ونشر مرتب فكونه بمعنى الحى يكون اسم جنس لم توجد فيه العلية التي هي إحدى على منع الصرف وكونه بمعنى القبيلة يكون علم شخص على أبى القبيلة فقد وجدت فيه علتان (قوله إهلاكهم) أشار بذلك إلى أن فاعل تبين ضمير عائد على الإهلاك (قوله بالحجر) راجع لعمود وهو واد بين الشام والمدينة وقوله واليمن راجع لعاد (قوله وكانوا مستبصرين) أي بواسطة الرسل فلم يكن لهم (٢٢٢) عذر في ذلك لأن الرسل بينوا طريق الحق بالحجج الواضحة (قوله ذوى

بصائر) أي عقلاء (وَلَا تَعْتَوُوا فِي الْأَرْضِ مُفْسِدِينَ) حال مؤكدة لعاملها من عني بكسر اللثثة: أفسد (فَكَذَّبُوهُ فَأَخَذَتْهُمُ الرَّجْفَةُ) الزلزلة الشديدة (فَأَصْبَحُوا فِي دَارِهِمْ جَاثِمِينَ) باركين على الركب ميتين (وَ) أهلكنا (عَادًا وَثَمُودًا) بالصرف وتركه بمعنى الحى والقبيلة (وَقَدْ تَبَيَّنَ لَكُمْ) إهلاكهم (مِنْ مَسَاكِينِهِمْ) بالحجر واليمن (وَزَيْنَ لَهُمُ الشَّيْطَانُ أَعْمَالَهُمْ) من الكفر والمعاصي (فَصَدَّهُمْ عَنِ السَّبِيلِ) سبيل الحق (وَكَانُوا مُسْتَبْصِرِينَ) ذوى بصائر (وَ) أهلكنا (قَارُونَ وَفِرْعَوْنَ وَهَامَانَ وَلَقَدْ جَاءَهُمْ) من قبل (مُوسَى بِالْبَيِّنَاتِ) الحجج الظاهرات (فَأَسْتَكْبَرُوا فِي الْأَرْضِ وَمَا كَانُوا سَابِقِينَ) فائتين عذابنا (فَكَلَّا) من المذكورين (أَخَذْنَا بِذُنُوبِهِمْ فَنَسْفُتْهُمْ مِمَّنْ أَرْسَلْنَا عَلَيْهِ حَاصِبًا) ريحاً عاصفة فيها حصباء كقوم لوط (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَخَذَتْهُ الصَّيْحَةُ) كعمود (وَمِنْهُمْ مَّنْ خَسَفْنَا بِهِ الْأَرْضَ) ققارون (وَمِنْهُمْ مَّنْ أَعْرَفْنَا) كقوم نوح وفرعون وقومه (وَمَا كَانَ اللَّهُ لِيُظِلَّهُمْ) فيمذهبهم بغير ذنب (وَلَكِنْ كَانُوا أَنْفُسَهُمْ يَظْلِمُونَ) بارتكاب الذنب (مِثْلُ الَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ أَوْلِيَاءَ) أى أصناماً يرجون نفعها (كَمَثَلِ الْتَّكْبُوتِ اتَّخَذَتْ بَيْتًا) لنفسها تأوى إليه (وَإِنْ أَوْهَنَ) أضعف (الْبَيْتُ لَبَيَّتُ التَّكْبُوتِ) لا يدفع عنها حراً ولا برداً كذلك الأصنام لا تنفع عابديها (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما عبدوها (إِنَّ اللَّهَ يَعْلَمُ

بصائر) أي عقلاء متمكنين من النظر والاستبصار لكنهم لم يفعلوا تمكبراً وعناداً (قوله وقارون) قدمه على فرعون لشرفه عليه لكونه ابن عم موسى (قوله وهامان) هو وزير فرعون (قوله فاستكبروا) أي تكبروا عن عبادة الله (قوله بذنبه) الباء سببية أى بسبب ذنبه (قوله وما كان الله ليظلمهم) أى يعاملهم معاملة ملك ظالم في رعيته وعلى فرض لو عذبهم بغير ذنب لا يكون ظالماً لأنه الخالق المتصرف في ملكه على ما يريد (قوله يرجون نفعها) هذا هو

(ما

وجه الشبه أى مثل الذين اتخذوا من دون الله أصناماً

يعبدونها في اعتمادهم عليها ورجائهم نفعها كمثل العنكبوت في اتخاذها بيتاً لا ينفى عنها في حر ولا برد ولا مطر ولا أذى وحمل للمفسر الأولياء على الأصنام مخرج للأولياء بمعنى التولين في خدمة ربهم فإن اتخذهم بمعنى التبرك بهم والاتجاء لهم والتعلق بأذيالهم مأمور به وهم أسباب عادية تقزل الرحمت والبركات عندهم لابهيم خلافاً لمن جهل وعاند وزعم أن التبرك بهم شرك (قوله كمثل العنكبوت) هو حيوان معروف له ثمانية أرجل وستة أعين يقال إنه أفنع الحيوانات جعل الله رزقه أحرص الحيوان وهو الذباب والبق ونونه أصلية والواو والتاء زائدتان بدليل قولهم في الجمع عناكب وفي التنزيل عنيكب (قوله وإن أوهن البيوت) الجملة حالية (قوله كذلك الأصنام لا تنفع عابديها) أى فمن التجأ لغير الله فلا ينفعه شيء ومن التجأ لله وقاه بغير سبب وبسبب ضعيف ومن هنا وقاية رسول الله صلى الله عليه وسلم من الكفار حين نزل النار بالعنكبوت وبيض الحمام مع كونهما أضعف الأشياء (قوله ما عبدوها) قدره إشارة إلى أن جواب لو محذوف .

(قوله بمعنى الذي) أشار بذلك إلى أن ما اسم موصول ومجمله يدعون صلتها وللوصول وصلته معمول ليعلم (قوله أي يفهمها) أي يفهم صحتها وفائدتها (قوله إلا العالمون) خصهم لأنهم للنتفعون بذلك وأما الكافرون فيزدادون طغيانا وعتوا (قوله محقا) أشار بذلك إلى أن الباء في بالحق للالاسة. والجار والمجرور حال (قوله خصوصا بالله كرم) جواب عما يقال إن في خلق السموات والأرض آية لكل عاقل (قوله اقل ما أوحى إليك) أي ما أوحاه الله إليك بنزول جبريل به ، والمعنى تقرب إلى الله بتلاوته وتردده أنت وأنتك لأن فيه محاسن الآداب ومكارم الأخلاق (قوله من الكتاب) بيان لما (قوله وأقم الصلاة) أي دم طه إقامتها بأركانها وشروطها وآدابها فانها حماد الدين من أقامها فقد أقام الدين ومن هدمها فقد هدم الدين والحطاب للنبي وللرأد هو وأمنه بدليل مدحهم في آية إن الدين يتلون كتاب الله وأقاموا الصلاة وأخفقوا عما رزقناهم سرا وعلانية يرجون تجارة لن تبور الآية (قوله إن الصلاة تنهى عن الفحشاء والمنكر) أي الواظبة عليها تكون سببا في تطهيره من الفحشاء والمنكر إذا استوفيت شروطها وآدابها لأن الواجب حين الإقبال على الصلاة التطهر من الحدث الحسى والعنوى وتجديد التوبة فإذا وقف بين يدي الله وخشع وتذكر أنه واقف بين يدي مولاه وأنه مطلع عليه يراه حينئذ يظهر على جوارحه هيئتها وقوله مادام المرء فيها هذا أحد قولين والتول الصحيح أنها تنهى عنها في سائر الأوقات لما روى أن فتي من الأنصار كان يصلى مع رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم لا يبدع شيئا من الفواحش إلا ارتكبه فوصف للنبي (٢٢٣) صلى الله عليه وسلم حاله فقال

إن صلاته ستهناه فلم يلبث أن تاب وحسن حاله ، وروى عن بعض السلف أنه كان إذا قام إلى الصلاة ارتعد واصفر لونه فكلم في ذلك فقال إني واقف بين يدي الله تعالى وحق لى هذا مع مالوك الدنيا فكيف مع ملك الملوك . وأما من كانت صلاته بخلاف ذلك بأن كانت لاخشوع فيها ولا تذكر

ما بمعنى الذي (يَدْعُونَ) يعبدون بالياء والتاء (مِنْ دُونِهِ) غيره (مِنْ شَيْءٍ) وَهُوَ التَّوْبَةُ فِي مَلِكِهِ (الْحَكِيمِ) فِي صِنْعِهِ (وَتِلْكَ الْأَمْثَالُ) فِي الْقُرْآنِ (نَضْرِبُهَا) نَحْمِلُهَا (لِلنَّاسِ وَمَا يَعْقِلُهَا) أَيْ يَفْهَمُهَا (إِلَّا الْآمِنُونَ) الْمُتَدَبِّرُونَ (خَاقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) أَيْ مُحَقًّا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَةً) دَلَالَةً عَلَى قُدْرَتِهِ تَعَالَى (لِلْمُؤْمِنِينَ) خُصَّوًّا بِالَّذِينَ لَانْهَمُ الْمُتَنَفِّعُونَ بِهَا فِي الْإِيمَانِ بِخِلَافِ الْكَافِرِينَ (أَنْتُمْ مَا أَوْحَى إِلَيْكَ مِنَ الْكِتَابِ) الْقُرْآنِ (وَأَقِمِ الصَّلَاةَ إِنَّ الصَّلَاةَ تَنْهَى عَنِ الْفَحْشَاءِ وَالْمُنْكَرِ) شَرْعًا: أَيْ مِنْ شَأْنِهَا ذَلِكَ مَا دَامَ الْمَرْءُ فِيهَا (وَلَذِكْرُ اللَّهِ أَكْبَرُ) مِنْ غَيْرِهِ مِنَ الطَّاعَاتِ (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا تَصْنَعُونَ) فَيَجَازِيكُمْ بِهِ (وَلَا تُجَادِلُوا أَهْلَ الْكِتَابِ إِلَّا بِالْبَاطِنِ) أَيْ الْمَجَادَلَةُ الَّتِي (هِيَ أَحْسَنُ) كَالْعَدَاءِ إِلَى اللَّهِ بِآيَاتِهِ وَالتَّنْبِيهِ عَلَى خُجْبِهِ (إِلَّا الَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْهُمْ) بِأَنْ حَارَبُوا وَأَبَوْا أَنْ يَقْرَأُوا بِالْجُزْئَةِ فَيُجَادِلُوهُمْ بِالسِّيفِ حَتَّى يَسْلُمُوا

فانها لا تكون سببا في نهيه عن الفحشاء والمنكر بل يستمر على ما هو عليه من البعد لما ورد من لم تنه صلاته عن الفحشاء والمنكر لم تزد من الله إلا بعدا (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالباطن) أي بسائر أنواعه أصعب أي أفضل الطاعات على الإطلاق لما روى عن أبي الدرداء رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم «ألا أنبئكم بخير أعمالكم وأزكاها عند مليكم وأرفعها في درجاتكم وخير لكم من إعطاء الذهب والورق وخير لكم من أن تأتوا عدوكم فتضربوا أعناقهم ويضربوا أعناقكم قالوا بلى يا رسول الله قال ذكر الله» وروى «أن رسول الله صلى الله عليه وسلم شل أي العباد أفضل درجة عند الله يوم القيامة قال لذا كرون الله كثيرا قالوا يا رسول الله ومن التازى في سبيل الله فقال لو ضرب بسيفه الكفار والشركين حتى ينكسر ويختضب دما لكان الله كرون الله كثيرا أفضل منه درجة» فالذكر أفضل الأعمال وهو المقصود من تلاوة القرآن ومن الصلاة ولذا ورد من الجنيد أنه كان يأتيه العصاة يريدون التوبة على يديه فيلقنهم الذكر ويأمرهم بالكثرة منه فتثور قلوبهم (قوله واقه يعلم ما تصنعون) أي من خير وشرف فيجازيكم عليه (قوله ولا تجادلوا أهل الكتاب إلا بالباطن هي أحسن) أي لاتدعومهم إلى دين الله إلا بالكلام الدين والعرف والاحسان لعلهم يهتدون ، وقوله إلا الذين ظلموا أي فادعومهم إلى دين الله بالاغلاظ والشدة ولانلوم حتى يسلموا أو يعطوا الجزية عن يد وهم صاغرون فهذه الآية بمعنى قوله تعالى قاتلوا الذين لا يؤمنون بالله ولا باليوم الآخر الآية وعلى هذا التقرير فالآية محكمة وهو التحقيق (قوله بأن حاربوا الخ) أشار بذلك إلى أن الرأد المظلم الامتناع عما يلزمهم شرعا فلا يقال إن الكل ظالمون لأنهم كفار .

(قوله أو يعطوا الجزية) أي يلزموا بها (قوله وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) أي لما روي أنه كان أهل الكتاب يقرءون التوراة بالعبرانية ويفسرونها بالعربية لأهل الإسلام ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم : لا تصدقوا أهل الكتاب ولا تكذبوهم وقولوا آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم الآية ، وفي رواية « وقولوا آمنا بالله وبكتبه وبرسله فان قالوا باطلا لم تصدقوهم وإن قالوا حقا لم تكذبوهم » وعمل ذلك ما لم يتعرضوا لأمر توجب نقض عهدهم كأن يظهروا أن شرعهم خير منسوخ وأن نبينا خير صادق مما جاء به وغير ذلك فحينئذ نقاطهم ، ونعله أيضا ما لم يصبونا بخبر موافق لما في كتابنا وإلا فيجب تصديقهم من حيث إن الله أخبرنا به (قوله فالذين آتيناهم الكتاب) أي نعمتاهم به بأن أعطيناهم نوره وظهرت نعمته عليهم هم الذين يؤمنون به وإلا لجميع علمائهم أوتوا الكتاب ولم يسلم منهم إلا القليل ويصح أن يكون الزاد غريب من أهل الكتاب الخ (قوله وما يجحد بآياتنا) أي ينكرها بعد معرفتها (قوله أي اليهود) لا مفهوم له بل التصاري والشركون (٣٢٤)

كذلك فالتناسب أن يقول إلا الكافرون كاليهود (قوله وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) شروع في إثبات الدليل على أن القرآن من عند الله وأنه معجز للبشر كأن الله يقول لأهل الكتاب أتم لا عذر لكم في إنكار القرآن ولا في تكذيب النبي صلى الله عليه وسلم لأن من جملة صفاته في كتبهم أنه أي لا يقرأ ولا يكتب وهذه الصفة فلوفرض أنه كان يكتب أو يقرأ لحصل لهم الشك في نبوته وفي القرآن لوجوده على خلاف الصفة التي في كتبهم (قوله من كتاب) منقول تتلوا ومن زائدة (قوله أي

أو يعطوا الجزية) (وقولوا) لمن قبل الاقرار بالجزية إذا أخبروك بشيء مما في كتبهم (آمنا بالذي أنزل إلينا وأنزل إليكم) ولا تصدقوهم ولا تكذبوهم في ذلك (والهنا والمكم) واحد ونحن له مسلمون مطيعون (وكذلك أنزلنا إليك الكتاب) القرآن كما أنزلنا إليهم التوراة وغيرها (فالذين آتيناهم الكتاب) التوراة كعبد الله بن سلام وغيره (يؤمنون به) بالقرآن (ومن هؤلاء) أي أهل مكة (من يؤمن به وما يجحد بآياتنا) جحد ظهورها (إلا الكافرون) أي اليهود وظهر لهم أن القرآن حق والجائي به محق وجحدوا ذلك (وما كنت تتلوا من قبله من كتاب) أي القرآن (من كتاب ولا تحطه بين يديك إذا) أي لو كنت قارئاً كتاباً (لأرتاب) (المبطلون) اليهود فيك وقالوا الذي في التوراة أنه أي لا يقرأ ولا يكتب (بل هو) أي القرآن الذي جئت به (آيات بينات في صدور الذين أوتوا العلم) أي المؤمنون يحفظونه (وما يجحد بآياتنا إلا الظالمون) أي اليهود وجحدوها بعد ظهورها لهم (وقالوا) أي كفار مكة (ولاً) هلا (أنزل عليه) أي محمد (آية من ربك) وفي قراءة آيات كفاة صالح وعصا موسى ومائدة عيسى (قل) لهم (إنما الآيات عند الله) ينزلها كيف يشاء (وإنما أنا نذير مبين) مظهر إنذار بالنار أهل المعصية (أو لم يكفهم) فيما طلبوا (أنا أنزلنا عليك الكتاب) القرآن (يتلى عليهم) فهو آية مستمرة لا انقضاء لها بخلاف ما ذكر من الآيات (إن في ذلك) الكتاب (لرحمة وذكري) عظة (لقوم يؤمنون) قل كفى بالله بيني وبينكم شهيداً

بحق

لو كنت قارئاً كتاباً) لفـ وشعر مرتب (قوله اليهود) لا مفهوم له

(قوله بل هو آيات بينات) إضراب مما تقدم من الارتياب (قوله أي المؤمنون يحفظونه) أي لفظاً ومعنى لما ورد « وجعات من أمتك أقواما قلواهم أناجيلهم » أي كالأنجيل ، والمعنى أن القرآن محفوظ في صدورهم وثابت فيها كما كان كتاب النصارى ثابتاً في أنجيلهم (قوله وما يجحد بآياتنا) أي القرآن (قوله اليهود) تقدم ما فيه (قوله وفي قراءة آيات) أي وهما سبعيتان (قوله ينزلها كيف يشاء) أي على ما يريد ولا دخل لأحد في ذلك لأن المعجزة أمر خارق للعادة يأتي بفضل الله (قوله أولم يكفهم) الهمة داخلية على محذوف والواو عاطفة عليه ، التقدير أجهلوا ولم يكفهم الخ والاستفهام للتوبيخ (قوله أنا أنزلنا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر فاعل يكف ، والتقدير أولم يكفهم إنزالنا (قوله مستمرة لا انقضاء لها) أخذ ذلك من قوله يتلى عليهم (قوله بخلاف ما ذكر من الآيات) أي فاقضت يموت الرسل (قوله لقوم يؤمنون) خصوصاً بالله كرايتهم هم المنتصرون بذلك

(قوله ومنه حال وحالكم) أى من جهة ما فى السموات والأرض (قوله والذين آمنوا بالباطل) أى خصموا له وهبوه (قوله حيث اشتروا الكفر بالإيمان) أى أخذوا الكفر وتركوا الإيمان (قوله ولولا أجل مسمى له) أى للعذاب (قوله وليأتينهم بغتة) أى كرقعة بدر فاتها أنتم على حين غفلة (قوله وهم لا يشعرون) أى لا يظنون أن العذاب يأتهم أصلا (قوله ويستعجلونك بالعذاب) تعجب من قلة فطنتهم ومن تعنتهم ، والمعنى كيف يستعجلون العذاب والحال أن جهنم محيطة بهم يوم القيامة لامفر لهم منها (قوله يوم ينشام العذاب) ظرف لقوله محيطة والمعنى على الاستقبال : أى ستحيط بهم فى ذلك اليوم (قوله من فوقهم ومن تحت أرجلهم) تفسير للاحاطة وهو معنى قوله تعالى - لهم من جهنم مهاد ومن فوقهم غواش - (قوله أى نأمر بالقول) إنما أوله جمعا بين ما هنا وبين قوله فى الأخرى لا يكلمهم الله يوم القيامة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يا عبادى الذين آمنوا) خطاب لفقراء الصحابة الذين كانوا يخافون من إظهار الإسلام فى مكة كما قال المفسر والإضافة لتشريف المضاف (قوله فايأى فاعبدون) (٢٢٥) إياى منصوب بفعل محذوف دل عليه المذكور (قوله كانوا

فى ضيق الخ) أى فوسع الله لهم الأمر والعبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب فمن تعسرت عليه العبادة فى بلد فعليه أن يهاجر منها لئلا تتيسر له فيها لقوله تعالى - وما خلقت الجن والانس إلا ليعبدون - فالمهم العبادة فى أى مكان تيسر ولا يعول على مكان فى الدنيا لنهادار عمر لامقر والسار فى طريق لا يعول على مسكن ولا قرار فى طريقه (قوله كل نفس ذائقة الموت) أى لا يقيموا بدار الشرك خوفا من الموت فان كل نفس ذائقة الموت فالحكمة فى تخويفهم

بصدق (يَعْلَمُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ومنه حال وحالكم (وَالَّذِينَ آمَنُوا بِالْبَاطِلِ) وهو ما يعبد من دون الله (وَكُفَرُوا بِاللَّهِ) (أُولَئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) فى صفقتهم حيث اشتروا الكفر بالإيمان (وَيَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ وَلَوْلَا أَجَلٌ مُّسَمًّى لَهُ (لَجَاءَهُمُ الْعَذَابُ) عاجلا (وَلَيَأْتِيَنَّهُمْ بَغْتَةً وَهُمْ لَا يَشْعُرُونَ) بوقت إتيانه (يَسْتَعْجِلُونَكَ بِالْعَذَابِ) فى الدنيا (وَلَنْ جَهَنَّمَ لَمُحِيطَةٌ بِالْكَافِرِينَ) يَوْمَ نَفْسُهُمُ الْعَذَابُ مِنْ فَوْقِهِمْ وَمِنْ تَحْتِ أَرْجُلِهِمْ وَقَوْلُ) فيه بالنون ، أى نأمر بالقول ، وبأيا ، أى يقول الموكل بالعذاب (ذُقُوا مَا كُنْتُمْ تَزْمُكُونَ) أى جزاءه فلا تقوتونا (يَا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا إِنَّ أَرْضِى وَاسِعَةٌ فَإِىَّاءِ فَاَعْبُدُونِ) فى أى أرض تيسرت فيها العبادة بأن تهاجروا إليها من أرض لم تتيسر فيها . نزل فى ضغاء مسلى مكة كانوا فى ضيق من إظهار الإسلام بها (كُلُّ نَفْسٍ ذَائِقَةُ الْمَوْتِ ثُمَّ إِلَيْنَا تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء بعد البعث (وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَنُبَوِّئَنَّهُمْ) تنزلهم وفى قراءة بالثلثة بعد النون من الثواء : الإقامة وتصدته إلى غرقا بحذف فى (مِنَ الْجَنَّةِ غُرَفًا تَجْرَى مِنْ تَحْتِهَا الْأَنْهَارُ خَالِدِينَ) مقدرين الخلود (فِيهَا نِعَمٌ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) هذا الأجر ، هم (الَّذِينَ صَبَرُوا) أى على أذى المشركين والهجرة لإظهار الدين (وَعَلَى رَبِّهِمْ يَتَوَكَّلُونَ) فيرزهم من حيث لا يحسبون (وَكَايْنٍ) كم (مِنَ دَابَّةٍ لَا تَحْمِلُ رِزْقَهَا) لضعفها ،

من الموت لون معارقة الاوطان تهون عليهم فان من أيقن بالموت هان عليه كل شئ فى الدنيا (قوله والذين آمنوا وعملوا الصالحات) لما ذكر أحوال الكفار وما آل إليه أمرهم أتبعه ذكر أحوال المؤمنين وما آل إليه أمرهم (قوله وفى قراءة بالثلثة) أى الساكنة بعد النون وبعدها واو مكسورة ثم ياء مفتوحة وغرقا على هذه القراءة إما منصوب بزرع الحافض كما قال المفسر أو مفعول به بتضمين مئوى معنى نزل فيتعدى لاثنتين (قوله تجرى من تحتها) أى الغرف (قوله مقدرين الخلود فيها) أشار بذلك إلى أن قوله : خالدين فيها حال مقدرة ، أى أنهم حين الدخول يقترون الخلود لأنه أتم فى النعيم لسماهم النداء من قبل الله : يا أهل الجنة خلود بلا موت (قوله هذا الأجر) أشار بذلك إلى أن المخصوص بالمدح محذوف (قوله الذين صبروا) نعمت للعاملين أو خبر المحذوف كما قال المفسر (قوله لإظهار الدين) متعلق بالهجرة (قوله وكأين من دابة لا تحمل رزقها) سبب نزولها أنه صلى الله عليه وسلم لما أمر المؤمنين بالهجرة قالوا : كيف نخرج إلى المدينة وليس لنا بهادر ولا مال فمن يطعمنا بها ويسقينا ، وقوله لا تحمل رزقها : أى لا تدخره لئلا يهايم والطير . قال سفيان بن عيينة : ليس شئ من الخلق [٢٩ - صاوى - ثالث]

يُخْبَأُ إِلَّا الْإِنْسَانُ وَالْفَأْرَةُ وَالْحَمَّةُ (قوله الله يرزقها وإياكم) أى فلا فرق بين الحريص والفقير والضعيف والقوى فى أمر الرزق بل ذلك بتقديره سبحانه وتعالى . قال تعالى - وما من دابة فى الأرض إلا على الله رزقها ويعلم مستقرها ومستودعها كل فى كتاب مبين - فينبى للإنسان أن يفرض أمر الرزق له تعالى ولا ينافى هذا أخذه فى الأسباب لأن الله تعالى أوجد الأشياء عند أسبابها لا بها فالأسباب لا تنكر ومن أنكرها فقد ضل وخسر (قوله ولئن سألتهم أى كفار مكة (قوله من خلق السموات والأرض الخ) أتى لى جانب السموات والأرض بالخلق وفى جانب الشمس والقمر بالتسخير إشارة إلى أن الحكمة فى خلقهما التسخير الذى ينشأ عنه الليل والنهار اللذان هما قولم العالم بخلاف السموات والأرض فالنفع فى مجرد خلقهما (قوله فأتى يؤفكون) الاستفهام للتوبيخ (قوله الله يبسط الرزق لمن يشاء من عباده) يقدره (قوله أى فلا تركزن لغيره فليس مالكا لضر ولا نفع (قوله فأحيا به) أى بالنبات الناشئ عن الماء (قوله من بعد موتها) أى جذعها وقطع أهلها (قوله فكيف يشركون به) أى بعد إقرارهم (قوله بل أكثرهم لا يعقلون) أى والأقل (٢٣٦) يعقل ومن عقل منهم اهتدى وآمن (قوله وما هذه الحياة الدنيا) أشار

(اللَّهُ يَرْزُقُهَا وَإِيَّاكُمْ) أيها المهاجرون وإن لم يكن معكم زاد ولا حقة (وَهُوَ السَّمِيعُ) لأقوالكم (الْعَلِيمُ) بضائر كم (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ) أى الكفار (مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَتَسَخَّرَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ لِيَقُولَنَّ اللَّهُ فَأَنَّى يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن توحيدهم بعد إقرارهم بذلك (اللَّهُ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسع (لَنْ يَشَاءَ مِنْ عِبَادِهِ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيق (لَهُ) بعد البسط أى لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ اللَّهَ يَكُلُّ شَيْءٌ عَالِمٌ) ومنه محل البسط والتضييق (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ نَزَّلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَحْيَا بِهِ الْأَرْضَ مِنْ بَعْدِ مَوْتِهَا لِيَقُولَنَّ اللَّهُ) فكيف يشركون به (قُلْ) لهم (الْحَمْدُ لِلَّهِ) على ثبوت الحجة عليهم (بَلْ أَكْثَرُهُمْ لَا يَعْقِلُونَ) تناقضهم فى ذلك (وَمَا هَذِهِ الْحَيَوةُ الدُّنْيَا إِلَّا كَمَثَلِ اللَّيْلِ) وأما القرب فمن أمور الآخرة لظهور غمرتها فيها (وَأَنَّ الدَّارَ الْآخِرَةَ كَمَثَلِ الْحَيَوَانِ) بمعنى الحياة (لَوْ كَانُوا يَعْلَمُونَ) ذلك ما آثروا الدنيا عليها (فَإِذَا رَكِبُوا فِي الْفُلِكِ دَعَوْا اللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الدماء أى لا يدعون معه غيره لأنهم فى شدة لا يكشفها إلا هو (فَلَمَّا نَجَّيْنَاهُمْ إِلَى الْبَرِّ إِذَا هُمْ يُشْرِكُونَ) به (لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ) من النعمة (وَلِيَقْتَمِنُوا) باجتماعهم على عبادة الأصنام وفى قراءة بسكون اللام أمر تهديد (فَسَوْفَ يَعْلَمُونَ) عاقبة ذلك (أَوَلَمْ يَرَوْا) يعلموا (أَنَا جَعَلْنَاهُمْ يَوْمًا) بدم مكة (حَرَمًا آمِنًا وَيُخَفِّطُ النَّاسُ مِنْ حَوْلِهِمْ) قتلاً وسبياً دونهم ،

بذلك إلى أن الدنيا حقيرة لا تزن جناح بعوضة فينبى للعالم التجافى عنها ويأخذ منها بقدر ما يوصله للآخرة . قال بعض العارفين :

تأمل فى الوجود بعين فكر
تر الدنيا الدنية كالخيال
ومن فيها جميعا سوف
يفنى
ويسبق وجهه ربك
فوالجلال

(قوله إلهو ولعب) اللهو
الاشتغال بما فيه تنفع عاجل
واللعب الاشتغال بما لا تنفع
فيه أصلا (قوله وأما
القرب) أى كالتوحيد
والذكر والعبادة (قوله

(أفبالباطل)

بمعنى الحياة) أى الهائلة الخالدة التى لا زوال فيها (قوله ما آثروا الدنيا

عليها) جواب لو : أى ما قدموا لذة الدنيا على الآخرة (قوله فإذا ركبوا فى الفلك الخ) أى وذلك أن الكفار كانوا إذا ركبوا البحر حملوا معهم الأصنام فإذا اشتدت الريح ألقوها فى البحر وقالوا يارب يارب ودعوا الله مخلصين حالة الكرب (قوله إذا هم يشركون) جواب لما ، والمعنى عادوا إلى شركهم لأجل كفرهم بما أعطاهم الله وتقدم بأعراض الدنيا فلم يقابلوا النعم بالشكر بخلاف المؤمنين (قوله ليكفروا) اللام لام العاقبة والصبورة ، وقوله وليتمنعوا عطف عليه (قوله وفى قراءة بسكون اللام) أى فهما قراءتان - بعيتان (قوله أمر تهديد) أى فى الفعلين بدليل الوعيد الرب عليها بقوله : فسوف يعلمون ! فالجاء لى أنه إذا سكنت اللام فى الثانى تعين كونها للأمر فى الفعلين وإن لم تسكن كانت فى الفعلين للعاقبة والصبورة (قوله أولم يروا) الممزوجة داخلية على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير أعصوا ولم يروا الخ (قوله ويخطف الناس) الجملة حالية على تقدير التمثيل : أى وهم يتخطف الخ .

(قوله أي لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله والذين جاهدوا فينا لنهدينهم سبلنا) قال المفسرون إن هذه الآية نزلت قبل الأمر بالجهاد لكونها مكية ، وحيث أن المراد بالجهاد فيها جهاد النفس . قال الحسن : الجهاد محافضة الهوى . وقال الفضيل بن عياض : والذين جاهدوا في طلب العلم لنهدينهم سبل العمل به . وقال سهل بن عبد الله : والذين جاهدوا في طاعتنا لنهدينهم سبل ثوابنا ، وقيل والذين جاهدوا فيما علموا لنهدينهم إلى ما لم يعلموا لما في الحديث « من عمل بما علم الله علم ما لم يعلم » (قوله لنهدينهم سبلنا) أى طرق الوصول إلى مرضاتنا فالطريق هو العمل بالأحكام الشرعية ومعرفة الحقيقة وهي العلوم والمعارف المشار إليها بقوله تعالى - وأن لو استقاموا على الطريقة لأسقيناهم ماء غدقا - (قوله لمح الحسين) فيه إقامة الظاهر مقام الضمر لإظهار شرفهم بوصف الإحسان ، والمعنى وإن الله لهم بالمون والنصر والمجبة فهي مية خاصة ، وإليها الإشارة بقوله صلى الله عليه وسلم في الحديث القدسي « فإذا أحييته كنت سمعه الذى يسمع به » الحديث

[سورة الروم] مبتدأ وستون خبر أول ومكية خبر ثان ، وظاهر المفسر أن كلها مكى وقيل إلا قوله تعالى - فسبحان الله حين تمسون - الآية (قوله الله أعلم بمراده بذلك) تقدم أن هذا أصح التفسير (قوله غلبت الروم) الروم اسم قبيلة سميت باسم حذها وهو روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم ومضى عيصو لأنه كان مع يعقوب في بطن فصد خروجهما تراحما وأراد كل أن يخرج قبل الآخر ، فقال عيصو ليعقوب إن لم أخرج قبلك وإلا خرجت من جنبها (٢٢٧) فتأخر يعقوب شفقة منه ،

فلهذا كان أبا الأقبية

وعيصو أبا الجبارين

وسبب نزول هذه الآية

أنه كان بين فارس والروم

قتال وكان للشركون

يودون أن تغلب فارس

الروم لأن فارس كانوا

مجوسا أميين وللسلمون

يودون غلبة الروم

على فارس لكونهم

أهل كتاب فبث كسرى

جيشا إلى الروم واستعمل

(أَقْبِيَا بَاطِلَ الْعَصَمِ) يُؤْمِنُونَ وَيَنْعَمُ اللَّهُ يَكْفُرُونَ) بِأَشْرَاكِهِمْ (وَمَنْ) أَى لَأَحَدٍ (أَخْلَمَ) مِمَّنْ أَفْتَرَى عَلَى اللَّهِ كَذِبًا) بَأَن أَشْرَكَ بِهِ (أَوْ كَذَّبَ بِالْحَقِّ) النَّبَى أَوِ الْكِتَابَ (لَمَّا جَاءَهُ أَلَيْسَ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى لِّلْكَافِرِينَ) أَى فِيهَا ذَلِكَ وَهُوَ مِنْهُمْ (وَالَّذِينَ جَاهَدُوا فِينَا) فِى حَقِّنَا (لَنَهْدِيَنَّهُمْ سُبُلَنَا) أَى طَرِيقَ السُّبُوحِ إِلَيْنَا (وَلِإِنَّ اللَّهَ لَكَمَّ الْمُحْسِنِينَ) الْمُؤْمِنِينَ بِالنَّصْرِ وَالْمَوْنِ .

(سورة الروم)

مكية ، وهي ستون أو تسع وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . أَلَمْ) اللَّهُ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِذَلِكَ (خَلَبَتِ الرُّومُ) ،

عليهم رجلا يقال له شهر يزان و بئث قيصر جيشا وأمر عليهم رجلا يدعى بجنس ، فالتقيا بأذرعات وبصرى وهي أدنى الشام إلى أرض العرب والحجم فغلبت فارس الروم ، فبلغ ذلك المسلمين بمكة فشق عليهم وفرح به كفار مكة وقالوا للمسلمين إنكم أهل كتاب والنصارى أهل كتاب ونحن أميون وفارس أميون وقد ظهر إخواننا من أهل فارس على إخوانكم من الروم ، وإنكم إن قاتلتمونا لنظهرن عليكم فأنزل الله هذه الآيات ، فخرج أبو بكر الصديق إلى كفار مكة فقال : فرحتم بظهور إخوانكم فلا تفرحوا فوالله لتظهرن الروم على فارس أخبرنا بذلك نبينا صلى الله عليه وسلم ، فقام إليه أنس بن خاف الجحفي وقال كذبت ، فقال له الصديق أنت أ كذب يا عدو الله ، فقال اجل أجلا أناحبك : أى أقامرك وأراهنك عليه فراهنه على عسر قلائص منه وعشر قلائص من الآخر ، فقال أنس إن ظهرت الروم على فارس غرمت ذلك وإن ظهرت فارس على الروم غرمت لي ففعلوا وجعلوا الأجل ثلاث سنين ، فجاء أبو بكر إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبره بذلك وكان ذلك قبل تحريم القمار ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : ما هكذا ذكرت إنما البضع ما بين الثلاث إلى التسع فزياده في الخطر ومادده في الأجل ، فخرج أبو بكر فلقى أنس ، فقال لك ذلك فندمت ؟ فقال لا . قال فقال أرايدك في الخطر وأماددك في الأجل فأجعلها مائة قلوص ومائة قلوص إلى تسع سنين ، وقيل إلى سبع سنين ، فقال قد فعلت ، فلما خشي أنس أن يخرج أبو بكر من مكة أتاه ولزمه وقال إني أخاف أن تخرج من مكة فأقم لي كفيلة ، فكفله ابنه عبد الله بن أبي بكر ، فلما أراد أنس أن يخرج إلى أحد أتاه عبد الله بن أبي بكر فلزمه وقال لا والله لا أدعك حتى تعطيني كفيلة

فأعطاه مكنتيلا ثم خرج إلى أحد ثم رجع أبي بن خلف إلى مكة ومات بها من جراحته التي جرجه النبي صلى الله عليه وسلم إياها حين بارزه وظهرت الروم على فارس يوم الحديبية وذلك على رأس سبع سنين من مناجحتهم ، وقيل كان يوم بدر ور بطت الروم خيولهم بالمدائن وبنوا بالعراق مدينة وصموها رومية فأخذ أبو بكر مال الخطر من ورثته وجاء به إلى النبي صلى الله عليه وسلم وذلك قبل أن يحرم القمار فقال له النبي صلى الله عليه وسلم تصدق به (قوله هم أهل كتاب) أي نصارى فنصرتهم علامة على نصرة النبي وأصحابه وقوله وليسوا أهل كتاب أي بل هم مجوس فنصرتهم علامة على نصرة كفار مكة فشكل حزب بما لديهم فرحون (قوله بل يعبدون الأوثان) أي التي من جعلتها النار (قوله وقالوا للمسلمين الخ) هذا هو حكمة ذكر تلك الواقعة (قوله أقرب أرض الروم) أي فأدنى أفضل تفضل وأل عوض عن المضاف إليه (قوله بالجزيرة) المراد بها ما بين دجلة والفرات وليس المراد بها جزيرة العرب (قوله وهم) مبتدأ وجلة سيغلبون خبره (قوله في بضع سنين) متعلق بيطلبون وهو على (٢٢٨) حذف مضاف أي في انتهاء بضع سنين ، وأبهم البضع لإدخال الرعب

والخوف عليهم في كل وقت (قوله فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول) أي يوم بدر إن كانت الواقعة الأولى قبل الهجرة بخمس سنين أو يوم الحديبية إن كانت الأولى قبل الهجرة بسنة والمراد بالجيشين جيش كسرى وجيش قيصر ملك الروم فأقبل في خمسمائة ألف رومي إلى الفرس وغلبوهم ومات كسرى ملك الفرس (قوله الله الأمر) أي لانبهره (قوله من قبل ومن بعد) القراءة المشهورة بيناء قبل وبعد على الضم

وم أهل كتاب غلبتها فارس وليسوا أهل كتاب بل يعبدون الأوثان ففرح كفار مكة بذلك وقالوا للمسلمين نحن نطلبكم كما غلبت فارس الروم (في أدنى الأرض) أي أقرب أرض الروم إلى فارس بالجزيرة التي فيها الجيشان والبادي بالنزو القرس (وهم) أي الروم (من بعد غلبهم) أضيف المصدر إلى المفعول أي غلبة فارس إياهم (سَيَقَاتِلُونَ) فارس (في بضع سنين) هو ما بين الثلاث إلى التسع أو العشر فالتقى الجيشان في السنة السابعة من الالتقاء الأول وغلبت الروم فارس (لَهُ الْأَمْرُ مِنْ قَبْلُ وَمِنْ بَعْدُ) أي من قبل غلب الروم ومن بعده . للمعنى أن غلبة فارس أولا وغلبة الروم ثانيا بأمر الله أي إرادته (وَيَوْمَئِذٍ) أي يوم تغلب الروم (يَفْرَحُ الْمُؤْمِنُونَ بِنَصْرِ اللَّهِ) إياهم على فارس وقد فرحوا بذلك وعلموا به يوم وقوعه يوم بدر بنزل جبريل بذلك فيه مع فرحهم بنصرهم على المشركين فيه (يَنْصُرُ مَنْ يَشَاءُ وَهُوَ الْعَزِيزُ الرَّحِيمُ) بالمؤمنين (وَعَدَ اللَّهُ) مصدر بدل من اللفظ بفعله والأصل وعدم الله النصر (لَا يَخَافُ اللَّهُ وَعْدَهُ) به (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) وعده تعالى بنصرهم (يَعْلَمُونَ ظَاهِرًا مِنَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا) أي ما يشاهدونها من التجارة والزراعة والبناء والفراس وغير ذلك (وَهُمْ فِي الْآخِرَةِ هُمْ غَافِلُونَ) إعادة تأكيد ،

(أولم

لحذف المضاف إليه ونية معناه (قوله أي من قبل غلب الروم) أي من قبل كونهم غاليين

وقوله ومن بعده أي من بعد كونهم مغلوبين (قوله المعنى أن غلبة فارس الخ) جواب عما يقال ما فائدة قوله غلبهم بعد قوله غلبت الروم . وحاصل الجواب أن فائدته إظهار أن ذلك بأمر الله لأن شأن من غلب بعد كونه مغلوبا أن يكون ضعيفا فلو كانت الغلبة بحولهم وقوتهم لما غلبوا أولا (قوله أي يوم تغلب الروم) أشكر بذلك إلى أن تنوين يومئذ عوض عن جملة (قوله يفرح المؤمنون بنصر الله) أي فاستبشروا المؤمنون بنصر الروم على فارس وعلموا أن الغلبة لهم على كفار مكة (قوله يوم بدر) هذا أحد قولين وهو مبنى على أن الواقعة الأولى كانت قبل الهجرة بخمس سنين ، وقيل يوم الحديبية بناء على أن الأولى قبل الهجرة بسنة (قوله مصدر) أي مؤكدا لضمون الجملة التي تقدمت وعامله محذوف أي وعدهم الله وعدا (قوله به) أي النصر (قوله لا يعلمون) أي لجهلهم وعدم تشكرهم واعتبارهم (قوله يعلمون) أي الأكثر (قوله ظاهرا من الحياة الدنيا) أي وأما باطنا منها وهو كونها مجازا إلى الآخرة يتزود فيها بالأعمال الصالحة فليس لهم به علم (قوله إعادة) أي لفظهم .

(قوله أولم يتفكروا) الهمة داخله على محذوف والواو عاطفة عليه والتقدير اعمروا ولم يتفكروا (قوله إلا بالحق) أي بالحكمة
 لا عبثا (قوله تقي عند انتهائه) أي تنعدم السموات والأرض وما بينهما عند انقضاء ذلك الأجل (قوله بقاء ربهم) متعلق
 بكافرون واللام غير مانعة من ذلك لوقوعها في غير محلها وهو خبر إن (قوله أولم يسبوا في الأرض) الهمة داخله على محذوف
 والواو عاطفة عليه والتقدير أقعدوا ولم يسبوا والاستفهام للتوبيخ والجملة معطوفة على جملة أولم يتفكروا عطف سبب على
 مسبب لأن السبب سبب للتفكير (قوله وأثأروا الأرض) بالتصريح لعامة القراء وقرئ شذوذا وآثأروا بألف بعد الهمة (قوله)
 أكثر مما عمروها) نعت لمصدر محذوف أي عمارة أكثر من عمارتهم (قوله وجاءتهم رسلهم بالبينات) أي فلم يذعنوا لها
 بل كذبوا بها (قوله فما كان الله ليظلمهم) أي يعاملهم معاملة ملك (٢٢٩) ظالم جبار بل معاملة ملك عدل

رحيم ، وعلى فرض
 أخذهم من غير جرم
 لا يكون ظالما إذ لا مشارك
 له في خلقه ولكن من
 فضله تعالى ألزم نفسه
 ما لا يلزمه (قوله ثم كان
 عاقبة الذين أساءوا
 السوأي) بيان لعاقبة
 أمرهم إثر بيان حالهم في
 الدنيا (قوله خبر كان
 على رفع عاقبة) أي
 وعاقبة اسمها وهي مضافة
 للموصول وأسأوا صلتها
 والسوأي صفة لموصوف
 محذوف أي المجازاة
 السوأي وهي جهنم خبر
 كان وقوله واسم كان
 على نصب عاقبة أي
 فالسوأي اسم كان مؤخر
 وعاقبة خبر كان مقدم
 وعلى كل فاقوله أن
 كذبوا خبر لمحذوف

(أَوَلَمْ يَتَفَكَّرُوا فِي أَنْفُسِهِمْ) ليرجعوا عن غفلتهم (مَا خَلَقَ اللَّهُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ
 وَمَا بَيْنَهُمَا إِلَّا بِالْحَقِّ وَأَجَلٍ مُّسَمًّى) لذلك تقي عند انتهائه وبعده البعث (وَلِنْ كَثِيرًا مِّنَ
 النَّاسِ) أي كفار مكة (يَلْقَا رَبَّهُمْ كَافِرُونَ) أي لا يؤمنون بالبعث بعد الموت (أَوَلَمْ
 يَسِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَيَنْظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِن قَبْلِهِمْ) من الأمم وهي إهلاكهم
 بتكذيبهم رسلهم (كَانُوا أَشَدَّ مِنْهُمْ قُوَّةً) كماد ونمود (وَأَثَّارُوا الْأَرْضِ) حرونها وقلبوها
 للزراع والفرس (وَعَمَرُوهَا أَكْثَرَ مِمَّا عَمَرُوهَا) أي كفار مكة (وَجَاءَتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ)
 بالحجج الظاهرات (فَمَا كَانَ اللَّهُ لِيَظْلِمَهُمْ) بإهلاكهم بغير جرم (وَلَكِنْ كَانُوا أَنفُسَهُمْ
 يَظْلِمُونَ) بتكذيبهم رسلهم (ثُمَّ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ أسَاءُوا السُّوَايَ) تأنيث الأسوأ الأقبح
 خبر كان على رفع عاقبة واسم كان على نصب عاقبة والمراد بها جهنم وإساءتهم (أَنْ) أي بأن
 (كَذَّبُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (وَكَانُوا بِهَا يَسْتَهْزِءُونَ) الله يبدؤا الخلق أي ينشئ خلق
 الناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ) أي خلقهم بعد موتهم (ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) بالتاء والياء (وَيَوْمَ تَقُومُ
 السَّاعَةُ يُبْلِسُ الْمُجْرِمُونَ) يسكت المشركون لاقطاع حجتهم (وَلَمْ يَكُنْ) أي لا يكون
 (لَهُمْ مِنْ شَرِّكَائِهِمْ) ممن أشركوهم بالله وهم الأصنام ليشفعوا لهم (شَفَعُوا وَكَانُوا) أي
 يكونون (بَشَرًا كَانِهِمْ كَافِرِينَ) أي متبرئين منهم (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُؤْمِنُونَ) تأكيد
 (يَتَفَرَّقُونَ) أي المؤمنون والكافرون (فَأَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَهُمْ فِي
 رَوْحَةٍ) جنة ،

تقديره وإساءتهم إن كذبوا فهي جملة مستأنفة بيان لصلة الموصول فيصح الوقف على السوأي ، وهذا ما اختاره المفسر من
 أوجه شتى وهو أنورها وذكر الفعل لأن الاسم كان على كل مجازى التأنيث (قوله والمراد بها) أي السوأي (قوله أي بأن
 كذبوا) أشار بذلك إلى أن الكلام على تقدير الباء وهي السببية (قوله الله يبدؤا الخلق) عبر بالمضارع إشارة إلى أن البدء
 متجدد شيئا فشيئا مادامت الدنيا (قوله أي ينشئ خلق الناس) أي يظهرهم من العدم (قوله بالتاء والياء) أي فهما قراءتان
 سبعيتان (قوله ويوم تقوم الساعة) أي وهو يوم الإعادة (قوله يسكت المشركون) أي عن جواب يدفع عنهم العذاب
 (قوله أي لا يكون) أشار بذلك إلى أن الماضي يعني المضارع لأن النقي لم ماضى المعنى (قوله بشر كانهم) متعلق بكافرين
 (قوله تأكيد) أي لنظي (قوله أي المؤمنون والكافرون) أخذ هذا التعميم من قوله أولا - الله يبدؤا الخلق ثم يعيده -
 (قوله فهم في روضة) الروضة كل أرض ذات نبات وماء وورق ونضارة .

(قوله يجبرون) أى يكرمون وينعمون بما تشتهيهم الأفس وتلك الأعين . روى « أن في الجنة أشجارا عليها أجراس من فضة فإذا أراد أهل الجنة السماع بعث الله ريحا من تحت العرش فتقع في تلك الأشجار فتحرك تلك الأجراس بأصوات لو سمعها أهل الدنيا لما اتوا طريقا » (قوله وأما الذين كفروا) مقابل قوله : فأما الذين آمنوا (قوله وغيره) أى كالجنة والنار (قوله محضرون) أى حاضررون (قوله فسبحان الله الخ) وجه مناسبة هذه الآية لما قبلها أنه لما ذكر أولا أنه يبدؤا الخلق ويعيده وأن الخلق يكونون فريقين فريق في الجنة وفريق في السعير ذكر هنا أنه منزه عن النقائص إشارة إلى أن تسبيحه وتحميده وسبيلتان للنجاة من العذاب وحلول دار الثواب (قوله بمعنى صلوا) إما تفسير التسبيح بالصلاة لأن التنزيه يكون باللسان والجنان والأركان ولا شيء أجمع لذلك كله من الصلاة (قوله أى تدخلون في المساء) أشار بذلك إلى أن تمسون وتصبحون فعلان تامنان (قوله وفيه صلاتان الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية جمعت الصلوات الخمس ، وخصها بالذكر دون سائر العبادات لأنها عماد الدين من أقامها فقد أقام الدين (قوله اعتراض) أى بين المطوف والمطوف عليه ، والحكمة في ذلك الإشارة إلى أن التوفيق للعبادة نعمة يفيض أن يحمد عليها (٢٣٠) (قوله وكذلك تخرجون) أى فالتقدير على إخراج الحى من البيت

وعكسه وإحياء الأرض
فأدر هل إحياء الخلق
بعد موتهم ففي ذلك رد
على منكرى البعث
(قوله للفاعل والمفعول)
أى فهم اقراء فان سبعين
(قوله ومن آياته أن
خلقكم من تراب) شروع
في ذكر جملة من الآيات
الدالة على وحدانيته
سبحانه وتعالى وذكر
لفظ : ومن آياته ست
مرات تنهى عند قوله :
إذا أنتم تخرجون وإبداءه
بذكر خلق الإنسان ثم
بخلق العالم علويا وسفليا

(يُجْبَرُونَ) يسرون (وَأَمَّا الَّذِينَ كَفَرُوا وَكَذَّبُوا بِآيَاتِنَا) القرآن (وَلِقَايَ الْآخِرَةِ) البعث وغيره (فَأُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ . فَسُبْحَانَ اللَّهِ) أى سبحوا الله بمعنى صلوا (وَحِينَ تُمْسُونَ) أى تدخلون في المساء وفيه صلاتان المغرب والمشاء (وَحِينَ تُمْسُونَ) تدخلون في الصباح وفيه صلاة الصبح (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) اعتراض ومعناه يحمده أهلها (وَعَشِيًّا) عطف على حين وفيه صلاة العصر (وَحِينَ تُظْهِرُونَ) تدخلون في الظهيرة وفيه صلاة الظهر (يُخْرِجُ الْحَيَّ مِنَ الْمَيِّتِ) كالإنسان من النطفة والطارئ من البيضة (وَيُخْرِجُ الْمَيِّتَ) النطفة والبيضة (مِنَ الْحَيِّ وَيُخِي الْأَرْضَ) بالنبات (بِمَدِّ مَوْتِهَا) أى يبسها (وَكَذَلِكَ) الإخراج (تُخْرِجُونَ) من القبور بالبناء للفاعل والمفعول (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى الدالة على قدرته (أَنْ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) أى أصلكم آدم (ثُمَّ إِذَا أَنْتُمْ بَشَرٌ) من دم ولحم (تَنْتَشِرُونَ) في الأرض (وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ خَلَقَ لَكُمْ مِنْ أَنْفُسِكُمْ أَزْوَاجًا) خلقت حواء من ضلع آدم وسائر النساء من نطف الرجال والنساء (لِتَسْكُنُوا إِلَيْهَا) وتألفوها (وَجَعَلَ بَيْنَكُمْ) جميعاً (مَوَدَّةً وَرَحْمَةً إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَتَفَكَّرُونَ) في صنع الله تعالى.

إشارة إلى أن الإنسان هو المنتفع بها ، والحكمة في ذكر تلك الآيات ليتهدى بها من أراد الله هدايته (ومن)
وتقوم الحجة على من لم يهتد (قوله أى أصلكم آدم) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف ويصح أن يبقى الكلام على ظاهره لأن النطفة ناشئة من الغذاء وهوناشي من التراب (قوله ثم إذا أنتم بشر) عبر بتم إشارة إلى تراخي أطواره لكونه أولا نطفة ثم هلقة ثم مضغة إلى آخر أطواره وأتى بعدها بإذا الفجائية إشارة إلى أنه لم يفضل بين تلك الأطوار وبين البشرية فاصل وإن كان الكثير الاتيان بها بعد الفاء (قوله أزواجا) أى زوجات (قوله من ضلع آدم) أى الأيسر القصير وهوناش فلما استيقظ ورأها مال إليها فقالت له اللانكسة مه يا آدم حتى تؤدى بهرها فقال وما بهرها فقليل له أن تصلى على محمد صلى الله عليه وسلم (قوله وسائر النساء) أى باقيهن (قوله مودة ورحمة) قيل المراد بالمودة الجماع والرحمة الولد ، وقيل المودة المحبة والرحمة الشفقة فاذن تخلف هذا الأمر بأن لم توجد بينهما محبة ولا مودة فالمناسب المفاارقة (قوله إن في ذلك) أى فيما ذكر من خلقهم من تراب وخلق أزواجهم من أنفسهم وإلقاء اللودة والرحمة بينهم (قوله لقوم يتفكرون) أى يأملون في تلك الأشياء ليحصل لهم الاعتبار وزيادة الإيمان سيما إذا تأمل في خلق الله إياه من نطفة ثم جعله بشرا - سوا ثم جعل له زوجة من جنسه ولم تكن جنية ولا بهيمة وأسكن بينهما المحبة والشفقة ، فإذا أولاد جماعها زينها له وجعل بينهما اللذة فإذا زالت النطفة منه جعلها راحة له وخلق منها بشرا سوا وغير ذلك من أنواع التفكرات

فَمَا تَأْمَلُ الْإِنْسَانَ فِي ذَلِكَ كَانَ سَبِيحًا فِي زِيَادَةِ مَعْرِفَةِ وَأَدَبِهِ مَعَ رَبِّهِ وَلَقَدْ قَالَ بَعْضُ الْعَرَفِينَ لَمَّةِ الْجَمَاعِ رَجُلًا كَانَتْ مِنْ أَبْوَابِ
الرَّصُولِ إِلَى اللَّهِ تَعَالَى وَمِنْهُ مَارُودٌ «حَبِيبٌ إِلَى مَنْ دُنِيَائِهِ ثَلَاثُ نِسَاءٍ وَالطَّيِّبُ وَجَعَلَتْ قُرَّةَ عَيْنِي فِي الصَّلَاةِ» (قوله ومن آياته
خلق السموات والأرض) أى إنشاؤها من العدم إلى الوجود (قوله أى لفاتكم) أى بأن خلق فيكم علما ضروريا تفهمون به
لفاتكم ولغات بعضكم على اختلافها (قوله وألوانكم) أى فجاءكم ألوانا مختلفة منكم الأبيض والأسود والمتوسط وغير بين
أشكالكم حتى إن التوأمين مع توافق موادهما وأسبابهما يختلفان في شيء من ذلك وإن كانا في غاية التشابه وإنما قرن هذا
بخلق السموات والأرض وإن كان من جملة خلق الإنسان إشارة إلى أنه آية مستقلة دالة على وحدانية الصانع (قوله بفتح
اللام وكسرهما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ذوى العقول وأولى العلم) أى وهم أهل المعرفة الذين لا تعجبهم المصنوعات
من صانعها بل يشهدون الصانع في المصنوعات . قال العارف :

وفي كل شيء آية تدل على أنه الواحد (قوله منامكم بالليل (٢٣١) والنهار) قيل في الآية تقديم

وتأخير والتقدير ومن
آياته منامكم بالليل
وابتداءكم من فضله بالنهار
حذف حرف الجر لانه
بالليل والأحسن أن يبقى
على حاله والنوم بالنهار من
جملة النعم لاسيما في أوقات
القبولة في البلاد الحارة
(قوله بإرادته) أى فلا
قدرة لأحد على احتلابه
(قوله راحة لكم) أى
من آثار التعب الحاصل
لكم (قوله لقوم
يسمعون) غاريين رهوس
لاى تفننا فان أهل العقل
هم أهل الفكر والسمع
(قوله ومن آياته يريكم
البرق الجار والمجروح
مقدم ويرىكم مؤول

(وَمِنْ آيَاتِهِ خَلْقُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَاخْتِلَافُ أَلْسِنَتِكُمْ) أى لفاتكم من عربية
وعجمية وغيرها (وَأَلْوَانِكُمْ) من بياض وسواد وغيرها وأتم أولاد رجل واحد وامرأة واحدة
(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرته تعالى (لِلْعَالَمِينَ) بفتح اللام وكسرهما: أى ذوى
العقول وأولى العلم (وَمِنْ آيَاتِهِ مَنَامُكُمْ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ) بإرادته راحة لكم (وَأَبْتِغَاؤُكُمْ)
بالتَّهَارِ (مِنْ فَضْلِهِ) أى تصرفكم في طلب المعيشة بإرادته (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ
تَسْمَعُونَ) سماع تدبر واعتبار (وَمِنْ آيَاتِهِ يُرِيكُمْ) أى إراءتكم (الْبَرْقَ خَوَافًا) للمسافر
من الصواعق (وَطَمَعًا) للقيم في المطر (وَيُنَزِّلُ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَيُخْرِجُ بِهِ الْأَرْضَ بَدَدًا
مُوتًا) أى يبسطها بأن تنبت (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون
(وَمِنْ آيَاتِهِ أَنْ تَقُومَ السَّمَاءُ وَالْأَرْضُ بِأَمْرِهِ) بإرادته من غير عمد (ثُمَّ إِذَا دَعَاكُمْ
دَعْوَةً مِنَ الْأَرْضِ) بأن ينفع إسرافيل في الصور للبعث من القبور (إِذَا أَنْتُمْ تَخْرُجُونَ)
منها أحياء فخرجكم منها بدعوة من آياته تعالى (وَلَهُ مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) ملكا
وخلقًا وعبيدًا (كُلٌّ لَهُ قَانِتُونَ) مطيعون (وَهُوَ الَّذِي يَبْدَأُ الْخَلْقَ) للناس (ثُمَّ يُعِيدُهُ)
بعد هلاكهم (وَهُوَ أَهْوَنُ عَلَيْهِ) من البدء بالنظر إلى ماعند المخاطبين من أن إعادة الشيء أسهل
من ابتدائه وإلا فهما عند الله تعالى سواء في السهولة (وَلَهُ الْمَثَلُ الْأَعْلَى فِي السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ

بمصدر مبتدأ مؤخر وحذفت ان من الفعل لدلالة ما قبله وما بعده عليه وهكذا يقال فيما تقدم وما ياتي (قوله أن تقوم السماء والأرض)
أى ثبت وتستقر (قوله من غير عمد) بفتحين اسم جمع لعمود وقيل جمعه أوصيتين جمع عمود كرسول ورسول (قوله من الأرض)
متعلق بدعائكم (قوله في الصور) أى نفخة البعث فتخرج منه الأرواح إلى أجسادها لأن فيه طاقات بعدد الأرواح فتجتمع فيه
ثم تخرج بالنفخة دفعة واحدة فلا تخطئ روح جسدها (قوله إذا أتم تخرجون) عبر في ابتداء خلق الإنسان ثم حيث قال ثم إذا
أتم بشر تنفثون وتركها هنا لانه من ابتداء الخلق تحصل للهالة والترخي لكونه على أطوار مختلفة بخلاف الاعادة فلا تخرج
فيها بل تحصل دفعة واحدة (قوله مطيعون) أى لأفعاله طاعة انقياد لاطاعة عبادة وقيل للمعنى قائمون للحساب وقيل مقرون بالعبودية
إما باللسان أو الحال (قوله وهو أهون عليه) الضمير عائدا على الاعادة للفهومة من قوله يعيده وذ كر الضمير مراعاة للخبر (قوله
بالنظر إلى ماعند المخاطبين) أى فهو مبنى على ما يقتضيه عقولهم لأن من أعاد منهم شيئا كان أهون عليه وأسهل من إنشائه
وهو جواب عما يقال إن أفعال الله كلها متساوية بالنسبة إلى قدرته تعالى وأجيب أيضا بأن اسم التفضيل ليس على بابة فأهون بمعنى هين .

(قوله أى الصفة العليا) أشار بذلك إلى أن للثقل بمعنى الصفة والأعلى بمعنى العليا أى الرقعة المتزعة عن كل نقص (قوله وهى لله لا إله إلا الله) أى فالمراد بها الوصف بالوحدانية ولولزمها من كل كمال والتزويه عن كل نقص (قوله ضرب لكم مثلا) أى صفة وشكلا تقيسون عليه (قوله كائنا من أنفسكم) أشار بذلك إلى أن من ابتدائية متعلقة بمحذوف صفة مثلا (قوله هل لكم مما ملكت أيمانكم من شركاء الخ) هل حرف استفهام ولكم خبر مقدم وشركاء مبتدأ مؤخر ومن زائدة وبما ملكت أيمانكم حال من شركاء لكونه نعت نكرة قدم عليها ومن تبعية فتحصل أن من الأولى ابتدائية والثانية تبعية والثالثة زائدة (قوله فيما رزقناكم) أى ملكناكم وأشار بذلك إلى أن الرزق حقيقة لله تعالى، وإيضاح هذا الثقل أن يقال إذا لم يصح أن نكون بمالككم شركاء فيما بأيديكم من رزق الله فلا يصح بالأولى جعل بعض ممالك الله شركاء فيما هو له حقيقة (قوله فأنتم فيه سواء) أى مستوون معهم في التصرف على حكم عادة الشركاء (قوله تخافونهم تخيفتكم أنفسكم) من جملة النقي فهو مرتب عليه فالمراد نقي الثلاثة الشركة والاستواء مع العبيد وخوفهم تخوف أنفسكم، والمعنى أنتم تنفون عنهم تلك الأوصاف الثلاثة من أجل كونهم بمالككم فكيف تثبتون تلك الأوصاف لبعض ممالك الله (قوله بمعنى النقي) أى فهو استفهام إنكارى (قوله لقوم يعقلون) أى فهذا الثقل (٣٣٣) إنما ينفع العاقل الذى يتدبر الأمور (قوله بل اتبع الدين ظلموا الخ) اضطراب

أى الصفة العليا وهى أنه لا إله إلا الله (وَهُوَ الْعَزِيزُ) فى ملكه (الْحَكِيمُ) فى خلقه (ضَرَبَ) جعل (لَكُمْ) أيها المشركون (مَثَلًا) كائناً (مِنْ أَنْفُسِكُمْ) وهو (هَلْ لَكُمْ مِمَّا مَلَكَتْ أَيْمَانُكُمْ) أى من ممالككم (مِنْ شُرَكَاءِ) لكم (فِيمَا رَزَقْنَاكُمْ) من الأموال وغيرها (فَأَنْتُمْ) وهم (فِيهِ سَوَاءٌ تَخَافُونَهُمْ كَخِيفَتِكُمْ أَنْفُسَكُمْ) أى أمثالكم من الأحرار والاستفهام بمعنى النقي، المعنى ليس بممالككم شركاء لكم إلى آخره عندكم فكيف تجعلون بعض ممالك الله شركاء له (كَذَلِكَ نَقُصُّ الْآيَاتِ) نبينها مثل ذلك التفصيل (لِقَوْمٍ يَعْقِلُونَ) يتدبرون (بَلِ اتَّبَعَ الَّذِينَ ظَلَمُوا) بالاشراك (أَهْوَاءَهُمْ بِغَيْرِ عِلْمٍ فَنَنْهَدِي مَنْ أَضَلَّ اللَّهُ) أى لاهادى له (وَمَا لَهُمْ مِنْ نَاصِرِينَ) مانعين من عذاب الله (فَأَنْتُمْ) يا محمد (وَجْهَكَ لِلدِّينِ حَنِيفًا) ماثلاً إليه أى أخلص دينك لله أنت ومن تبعك (فَطَرَتِ اللَّهُ) خلقته (الَّتِي فَطَرَ النَّاسَ عَلَيْهَا) وهى دينه أى الزموها (لَا تَبْدِيلَ لَخَلْقِ اللَّهِ) لديه أى لا تبدلوه بأن تشركوا (ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ) المستقيم توحيد الله (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أى كفار مكة ،

هما ذكر أولاً إشارة إلى أنهم لاجبة لهم في الاشراك ولا دليل لهم سوى اتباع هواهم (قوله لاهادى له) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النقي (قوله فأنتم وجهك) شروع في تسليته صلى الله عليه وسلم والمراد بإقامة الوجه بذل الهمة ظاهراً وباطناً في الدين (قوله أنت ومن تبعك) أشار بذلك إلى أن الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم والمراد هو وأمة (قوله

فطرت الله) منصوب بفعل محذوف قدره المعسر بقوله الزموها وهى رسم بالطاء المحرورة وليس (لايهملون) في القرآن غيرها وقوله وهى دينه أى دين الاسلام ، وطى هذا فالخلق جميعا مجبولون على توحيد يوم ألت بركم ولذا قال صلى الله عليه وسلم «كل مولود يولد على الفطرة فأبواه يهودانه وينصرانه» وهذا غير ماسبق فى علم الله وأما هو فعمل أن قوما يكفرون وقوما يؤمنون فمن سبق فى علم الله إيمانه فقد استمر على فطرته الأصلية ومن سبق فى علم الله كفره فقد رجع عن فطرته وإن كان سبق منه التوحيد وحينئذ يكون معنى الآية ألت ومن تبعك الفطرة التى فطرك ربك عليها وهى التوحيد وهذا أحد أقوال ثلاثة فى معنى الفطرة وقيل المراد بها الحلقة الأصلية التى ابتدأهم الله عليها من سعادة وشقاوة وإلى ما يصبرون إليه عند البلوغ فمن ابتدأ الله خلقه للضلالة صبره إلى الضلالة وإن عمل بإهمال الهدى ومن ابتدأ الله خلقه للهدى صبره إلى الهدى وإن عمل بإهمال أهل الضلالة، وقيل إنها الحلقة والطبيعة التى فى نفس الطفل يكون بها مهياً لمعرفة ربه ليس بين قلوبهم ومعرفة ربهم حجاب كما خلق أسمعهم وأبصارهم قابلة للسموعات والمبصرات فدامت باقية على تلك الهيئة أدركت الحق ودين الاسلام ولا يحجبها عنه الإواسوس للشياطين بعد البلوغ ولذا كان كل من مات من آدم قبل بلوغه فى الجنة وإن كان من أولاد المشركين وهذا القول قريب من معنى القول الأول (قوله أى لا تبدلوه) أشار بذلك إلى أن قوله لا تبدل خلق الله خبر والمراد منه الأمر (قوله توحيد الله) تفسير لقوله ذلك .

(قوله لا يعلمون توحيد الله) أى بل جهلوا ذلك فعبدوا غير الله (قوله حال من فاعل أقم) أى وما بينهما اعتراض (قوله وما أريد به) أى بالخطاب فانه أريد به حمد ومن تبعه (قوله أى أقيموا) أشار بذلك إلى أن قوله واتقوه عطف على محذوف مأخوذ من الحال قبله (قوله كل حزب بما لديهم فرحون) أى فاهل السعادة فرحون بمعادتهم وأهل الشقاوة فرحون بما زينه لهم الشيطان نظرهم أنهم على حق (قوله وفي قراءة فارقوا) أى وهى سبعة أيضا (قوله وإذا مس الناس) إذا شرطية وجوابها قوله : دهوا ربهم. وقوله أى كفار مكة خص ذلك بهم لأنه سبب الغزول والإفالة بمرموم اللفظ (قوله إذا فریق) إذا لجائية قائمة مقام الفاء فهى رابطة للشرط (قوله أريد به التهديد) أى فاللام لام الأمر للتوبيخ والتقريع على حد : اعملوا ماثلنكم (قوله عاقبة تمتعكم) قدره إشارة إلى أن مفعول تعلمون محذوف (قوله فيه التفات عن الغيبة) (٢٣٣) أى إلى الخطاب لأجل المبالغة

في زجرهم (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى فهى منقطعة نفسرتارة بالهمزة وحدها وتارة بالهمزة وب (قوله فهو يتكلم) داخل في حيز النفي (قوله أى يأمرهم بالاشراك) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية والأحسن أن يجعلها موصولة أى بالأمر الذى كانوا يشركون بسببه (قوله فرح بطر) أى عجب أو كبر فيصرفونها فيها فبضبة تعالى ولو فرحوا بها فرح سرور لصفوها فيأرضيه (قوله يقتطون) بفتح النون وحسرها سبعيتان (قوله ومن شأن المؤمن) أى من خصلته وهيتته (قوله ويرجو ربه عند الشدة) أى لأنه يشهد أنه لا كاشف

(لَا يَعْلَمُونَ) توحيد الله (مُتَّبِعِينَ) راجعين (إِلَيْهِ) تعالى فيما أمر به ونهى عنه حال من فاعل أقم وما أريد به أى أقيموا (وَاتَّقَوْهُ) خافوه (وَأَقِيمُوا الصَّلَاةَ وَلَا تَكُونُوا مِنَ الْمُشْرِكِينَ) من الذين بدل بعادة الجار (فَرَّقُوا دِينَهُمْ) باختلافهم فيما يعبدونه (وَكَانُوا شِيْعًا) فرقا في ذلك (كُلُّ حِزْبٍ) منهم (بِمَا لَدَيْهِمْ) حنهم (فَرِحُونَ) مسرورون وفي قراءة فارقوا أى تركوا دينهم الذى أمروا به (وَإِذَا مَسَّ النَّاسَ) أى كفار مكة (ضُرٌّ) عدة (دَهَوًا) رُبَّهُمْ مُتَّبِعِينَ راجعين (إِلَيْهِ) دون غيره (ثُمَّ إِذَا أَذَاقَهُمْ مِنْهُ رَحْمَةً) بالطر (إِذَا فَرِيقٌ مِنْهُمْ بِرَبِّهِمْ يُشْرِكُونَ) لِيَكْفُرُوا بِمَا آتَيْنَاهُمْ (أريد به التهديد) (فَتَمَتَّعُوا فَسَوْفَ يَذَلُّونَ) عاقبة تمتعكم ، فيه التفات عن الغيبة (أَمْ) بمعنى همزة الإنكار (أَنْزَلْنَا عَلَيْهِمْ سُلْطَانًا) حجة وكتبا (فَهُوَ يَتَكَلَّمُ) تكلم دلالة (بِمَا كَانُوا بِهِ يُشْرِكُونَ) أى يأمرهم بالاشراك ؟ لا (وَإِذَا أَذَقْنَا النَّاسَ) كفار مكة وغيرهم (رَحْمَةً) نعمة (فَرَحُوا) بها (فَرِحَ بَطَر) (وَإِنْ تُصِيبْهُمْ سَيْئَةٌ) شدة (بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيهِمْ إِذَا هُمْ يَقْتَطُونَ) يأسون من الرحمة ، ومن شأن المؤمن أن يشكر عند النعمة ويرجو ربه عند الشدة (أَوْ لَمْ يَرَوْا) يملوا (أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسمه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) بضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِّقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) بها (فَأَتَى ذَا الْقُرْبَى) القرابة (حَقَّهُ) من البر والصلة (وَالْيَتَامَى وَالسَّبِيلَ) للمسافر من الصدقة ، وأمة النبي تبع له في ذلك (ذَلِكَ خَيْرٌ لِّلَّذِينَ يُرِيدُونَ وَجْهَ اللَّهِ) أى نوابه بما يعملون (وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) القاتلون (وَمَا آتَيْنَهُمْ مِنْ رِيبَا) بأن يسطى شيئا هبة أو هدية ليطلب أكثر منه ،

لها غيره ولا ربح سواه (قوله امتحانا) أى اختبارا لينظر أشكر أم يطنى (قوله ابتلاء) أى فينظر هل يصبر ويرضى أم يشكر ويشكو (قوله فأتى ذا القربى حقه) هذه الآية في صدقة التطوع لافى الزكاة الواجبة لأن السورة مكية والزكاة فرضت في السنة الثانية من الهجرة بالمدينة (قوله القرابة) أخذ أبوحنيفة من الآية أن النفقة على الأرحام هموما واجبة على القادر وعند مالك والشافعي النفقة على الأصول والفروع واجبة وما هذا مندرج (قوله وأمة النبي الخ) أشار بذلك إلى أن الأمر وإن كان للنبي صلى الله عليه وسلم فالزاد هو أمته (قوله وأرثك هم للمفلحون) أى الظافرون بمقصودهم (قوله وما آتيتهم) بالماء والقصر قراءتان سبعيتان (قوله بأن تسطى شيئا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الآية نزلت في هبة الثواب وهى أن يريد الرجل بهديته أكثر منها وهى مكروهة في حقها ، وأما في حق صلى الله عليه وسلم فحرمة أقوله تعالى : ولا تمنن تستكثر ، والحكم فيها إذا وقعت أنه إذا شرط عليه الثواب لزمه الدفع وإن لم يشترط عليه فلا يلزمه إلا دفع قيمتها إن كان مثله [٣٠ - صاوى - ثالث]

فمن يطلب الثواب من الوهب له لامن نحو غنى لتغير (قوله فسمى) أى السلى وهو الهدية (قوله باسم الطوبى) أى الذى يأخذ من الهدى إليه فى مقابلة ما أعطاه (قوله فى أموال الناس) أى فى تحصيلها (قوله المعطين) أى الآخذين للهبة والهدية (قوله أى لا ثواب فيه للمعطين) أى الدافعين لما ذكر فالأول اسم مفعول والثانى اسم فاعل (قوله صدقة) أى صدقة تطوع وعبر عنها بالزكاة إشارة إلى أنها مطهرة للأموال والأبدان والأخلاق (قوله هم المضعفون) أى الذين تضاعف لهم الحسنات (قوله فيه التفتت عن الخطاب) أى نظمتها لحالهم أو قصدوا للعموم كأنه قيل من فعل ذلك فأولئك هم المضعفون (قوله الله الذى خلقكم) جملة من مبتدأ وخبر وهى تفيد الحصر لكونها معرفة الطرفين (قوله هل من شركائكم الخ) خبر مقدم ومن للتبعية ومن يفعل يفعل ومن زائدة والتقدير من الذى يفعل شيئاً من ذلكم من شركائكم واسم الإشارة يرد على ما ذكر من الأمور الأربعة وهى الخلق والرزق والإماتة والأحياء (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله سبحانه وتعالى) هذا نتيجة ما قبله أى فإذا ثبت أنه تعالى هو الفاعل لذلك كله ولا شريك له فى شئ منها فالواجب تسبيحه وتزنيه عن كل نقص (قوله أى القفار) بكسر القاف جمع (٢٣٤) قفر وهى الأرض التى لا ماء بها ولا نبات ، وأما القفار بفتح القاف فهو

الحجر الذى لا آدم معه (قوله بقطط للطر) أى منعه من النزول (قوله أى البلاد التى على الأنهار) وقيل إن قلة المطر كما تؤثر فى البر تؤثر فى البحر فتخلو أجواف الأصداف وتسمى دوابه فإذا أمطرت السماء تفتتح الأصداف فى البحر فتوقع فيها من السماء فهو لؤلؤ وتكثر دواب البحر (قوله بما كسبت) الباء سببية ومصدرية أى بسبب كسبهم (قوله من الماعى)

فسمى باسم المطلوب من الزيادة فى المعاملة (لِيُزَوِّا فِي أَمْوَالِ النَّاسِ) للمعطين أى يزيد (فَلَا يَزُورُوا) يزكو (عِنْدَ اللَّهِ) أى لا ثواب فيه للمعطين (وَمَا آتَيْتُمْ مِنْ زَكَاةٍ) صدقة (تُرِيدُونَ) بها (وَجَهَّ اللَّهُ فَأُولَئِكَ هُمُ الْمُضْعِفُونَ) ثوابهم بما أرادوه ، فيه التفتت عن الخطاب (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ ثُمَّ رَزَقَكُمْ ثُمَّ يُعْيِيكُمْ ثُمَّ يُخَيِّبُكُمْ هَلْ مِنْ شُرَكَائِكُمْ) من أشركتم بالله (مَنْ يَفْعَلْ مِنْ ذَلِكَ مِنْ شَيْءٍ) لا (سُبْحَانَهُ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) به (ظَهَرَ الْفَسَادُ فِي الْبَرِّ) أى القفار بقطط المطر وقلة النبات (وَالْبَحْرِ) أى البلاد التى على الأنهار بقلة ماؤها (بِمَا كَسَبَتْ أَيْدِي النَّاسِ) من الماعى (لِيَذِيقَهُمْ) بالياء والنون (بَعْضَ الَّذِي عَمِلُوا) أى عقوبته (لَعَلَّهُمْ يَرْجِعُونَ) يتوبون (قُلْ) لكفار مكة (سِيرُوا فِي الْأَرْضِ فَانظُرُوا كَيْفَ كَانَ عَاقِبَةُ الَّذِينَ مِنْ قَبْلُ كَانَ أَكْثَرُهُمْ مُشْرِكِينَ) فأهلكوا بإشراكهم ومساكنهم ومنازلهم خاوية (فَأَقِمْ وَجْهَكَ لِلدِّينِ الْقَدِيمِ) دين الإسلام (مِنْ قَبْلِ أَنْ يَأْتِيَ يَوْمٌ لَا مَرَدٍّ لَهُ مِنَ اللَّهِ) هو يوم القيامة (يَوْمَ يُنْذِرُ الصَّدَاقُوتَ) فيه إدغام التاء فى الأصل فى الصاد

يتفرقون

أى ومبدؤها قتل قايل هايل لأن الأرض كانت قبل ذلك نصرة مشمرة

لأبائى ابن آدم شجرة إلا وجد عليها الثمر وكان البحر عذبا وكان الأسد لا يصول على الفهم ونحوها فلما قتله اقتشعت الأرض ونبت الشوك فى الأشجار وصار ماء البحر مالحا وتسلمت الحيوانات بعضها على بعض (قوله ليذيقهم بعض الذى عملوا) اللام للعاقبة والاصبرورة متعلق بقوله ظهر الفساد الخ وهذا فيمن أظهر الفساد وتكبر وتجب وكثر والإفلاصائب للصالحين رفع درجات ولعصاة المؤمنين تكبير سيئات (قوله أى عقوبته) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبل) أى وهى الدمار والهلاك إن لم يتوبوا وكذلك يحمل بكفار مكة إن لم يتوبوا ، قال تعالى : كذلك نجزي الظالمين (قوله فأقم وجهك للدين القيم) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم ، والراد هو أمته ، والمعنى ابذل هميتك فى دين الاسلام واشتغل به ولا تعجز عنهم (قوله من قبل أن يأتى يوم لا مرد له) أى وأما بعد مجيئه فلا ينفع العامل عمله بل كل إنسان يلقى جزاء ما عمله قبل ذلك ، قال تعالى : وجوه يومئذ مسفرة ضاحكة مستبشرة وجوه يومئذ عليها غبرة ترهقها قفرة (قوله من الله) متعلق بآتى (قوله يومئذ يصدعون) النون عوض عن جملة أى يوم إذ يأتى هذا اليوم (قوله فيه إدغام التاء الأصل فى الصاد) أى فأصله يتصدعون أبدلت التاء صاداً وأدغمت فى الصاد .

(قوله ينفرقون بعد الحساب) أى عند صماع قوله تعالى - وامتازوا اليوم أيها المجرمون - (قوله وبال كفره) أخبار بفعله إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله يوطئون منازلهم) أى فالأعمال الصالحة في الدنيا بها تنهياً للنازل في الجنة (قوله متعلق يصدعون) أى والتقدير ينفرقون ليجزى الدين آمنوا من فضله والذين كفروا بعدله (قوله الرياح) أى الشمال والسماء والجنوب فانها رياح الرحمة ، وأما الدبور فهي ريح العذاب يدل على ذلك قوله عليه الصلاة والسلام « اللهم اجعلها رياحا ولا تجعلها ريحا » (قوله وليذيقكم) عطف على مبشرات كأنه قال لتبشركم وليذيقكم (قوله من رحمته) من تبعيضية : أى بعض رحمته (قوله يا أهل مكة) خصهم لأنهم سبب نزول الآية وإلا فالعبارة بعموم اللفظ (قوله ولقد أرسلنا من قبلك رسلاً) هذه الآية معترضة بين الآيات المفصلة والمفصلة لأن قوله - الله الذى يرسل الرياح - تفصيل لقوله (٢٣٥) ومن آياته أن يرسل الرياح

وحكمة ذلك نسلته صلى الله عليه وسلم وتأنيسه حيث وعده بنصر المؤمنين عموماً (قوله فاتقنوا من الدين أجزموا) عطف على محذوف قدره بقوله فكذبوهم (قوله وكان حقاً علينا نصر المؤمنين) كان فعل ماض ناقص ونصر اسمها مؤخر وحقاً خبرها مقدم وعلينا متعلق بحق أو بمحذوف صفة وهذا وعد حسن من الله للمؤمنين بنصرهم على أعدائهم في الدنيا والآخرة وهو لا يتخلف (قوله الله الذى يرسل الرياح) مبتدأ وخبر وهو تفصيل لما أجمل أولاً كما تقدم التنبيه عليه (قوله تزعجه) أى تهيجها وتحركه (قوله فيسطه في السماء) أى ينشره في جهتها متصلاً

ينفرقون بعد الحساب إلى الجنة والنار (مَنْ كَفَرَ فَمَكِمْ كَفْرُهُ) وبال كفره وهو النار (وَمَنْ عَمِلَ صَالِحًا فَلَا نَفْسٍ يَمُدُّونَ) يوطئون منازلهم في الجنة (لِيَجْزِيَ) متعلق يصدعون (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْ فَضْلِهِ) يثيبهم (إِنَّهُ لَا يُحِبُّ الْكَافِرِينَ) أى يعاقبهم (وَمِنْ آيَاتِهِ) تعالى (أَنْ يُرْسِلَ الرِّيحَ مُبَشِّرَاتٍ) بمعنى لتبشركم بالمطر (وَلِيَذِيقَكُمْ) بها (مِنْ رَحْمَتِهِ) للمطر والخصب (وَلِتَجْزِيَ الْفُلُكُ) السفن بها (بِأَمْرِهِ) بإرادته (وَلِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) الرزق بالتجارة في البحر (وَلَعَلَّكُمْ تَشْكُرُونَ) هذه النعم يا أهل مكة فتوحدونه (وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا مِنْ قَبْلِكَ رُسُلًا إِلَى قَوْمِهِمْ فَجَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) بالهجج الواضحات على صدقهم في رسالتهم إليهم فكذبوهم (فَأَنفَعَمْنَا مِنَ الَّذِينَ أَجْرَمُوا) أهلكنا الذين كذبوهم (وَكَانَ حَقًّا عَلَيْنَا نَصْرُ الْمُؤْمِنِينَ) على الكافرين بإهلاكهم وإنجاء المؤمنين (اللَّهُ الَّذِي يُرْسِلُ الرِّيحَ فَتُثِيرُ سَحَابًا) تزعجه (فَيَسْطِطُ فِي السَّمَاءِ كَيْفَ يَشَاءُ) من قلة وكثرة (وَيَجْعَلُ السَّحَابَ كِسْفًا) بفتح السين وسكونها : قطعا متفرقة (فَتَرَى الْوَدْقَ) للمطر (يَخْرُجُ مِنْ خِلَالِهِ) أى وسطه (فَإِذَا أَصَابَ بِهِ) بالودق (مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ) يفرحون بالمطر (وَإِنْ) وقد (كَانُوا مِنْ قَبْلِ أَنْ يُنْزَلَ عَلَيْهِمْ مِنْ قَبْلِهِ) تأكيد (لِلْمُبْلِسِينَ) آيسين من إنزاله (فَانْظُرْ إِلَى أَثَرِ) وفي قراءة آثار (رَحْمَتِ اللَّهِ) أى نعمته بالمطر (كَيْفَ يُخَوِّي الْأَرْضَ بِعَدْمِ مَوْتِهَا) أى يبدى بأن تنبت (إِنَّ ذَلِكَ) المحيى الأرض (لَخِي الْمَوْتَى) وهو على كل شئ قدير (وَلَمَّا) لام قسم (أَرْسَلْنَا رِيحًا) مضرّة على نبات (فَرَأَوْهُ مُصْفَرًّا) لظُلُومًا (صاروا جواب القسم) (مِنْ بَعْدِهِ) أى بعد اصفراره (يَكْفُرُونَ) يمجحدون النعمة بالمطر

بعضه بعض (قوله بفتح السين وسكونها) أى فمما قرأه ثان سبعيتان فالفتوح جمع كسفة والسكن مخفف الفتوح فقوله قطعا تفسير للوجهين (قوله إذا هم يستبشرون) إذا غابية ، والمعنى فاجأهم الفرج (قوله وإن كانوا) فسر إن بقدر تبعاً لغيره فالواو للحال وقد للتحقيق وبعضهم جعلها مخففة من الثقلية واسمها ضمير الشأن والجملة خبرها بدليل اللام في الملبسين فانها اللام الفارقة وكل صحيح (قوله تأكيد) أى إشارة إلى أنه أمام الفرج بعد تمادى بأسهم (قوله فانظر إلى أثر رحمة الله) أى ما ينشأ عن المطر من خضرة الأشجار وآثارها وبهجتها ونضارتها (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضاً (قوله مضرّة) أى وهي ريح الدبور (قوله فرأوه مصفراً) أى بعد خضرته (قوله جواب القسم) أى وقد سدت مسدّ جواب الشرط للقاعدة العلومة من أنه عند اجتماع الشرط والقسم يمحذف جواب الشرط (قوله يمجحدون النعمة) أى فشأنهم فرحون عند الخصب فإذا جاءتهم مصيبة في زرعهم جعلوا سابق نعمة الله عليهم

(قوله فانك لاتسمع الموتى) تحليل لحدوف ، والمعنى لانحزن على عدم إيمانهم فهم موتى صم همى وأنت لاتسمع من كل
كذلك (قوله بتحقيق المميزين الخ) أى وهما قراءتان سبعيتان (قوله لإلّا من يؤمن بآياتنا) أى يصدق بها (قوله من ضعف)
أى أصل ضعيف (قوله ماء مهيّن) أى حقير ضعيف قليل (قوله وشيبة) أى وهو يبيض الشعر الأسود ويحصل أوله غالبا في
السنة الثالثة والأربعين وهو أول سن الكهولة والأخذ في النقص بعد الحسنيين ثلاث وستين فيزيد وهو أول سن الشيخوخة
فيزيد الضعف في الجسم والعقل إلى آخر العمر وهذا في غير أهل التقوى والصالح ، وأمام فيزيد عقلهم لآخر عمرهم (قوله بضم
أوله وقتحه) أى فهما قراءتان (٢٣٦) سبعيتان (قوله تقوم الساعة) أى تحصل وتوجد ، والراء بها القيامة سميت

(فَإِنَّكَ لَا تَسْمَعُ الْمَوْتَى وَلَا تَسْمَعُ الْمُتَمِّمُ الدُّعَاءُ إِذَا) بتحقيق المميزين وتسهيل الثانية
بينها وبين الباء (وَلَوْ أَمْدَرِينَ . وَمَا أَنْتَ بِإِدْرِ الْعَنِي مِنْ ضَلَالَتِهِمْ إِنْ) ما (تُسَبِّحُ)
سماع إهام وقبول (إِلَّا مَنْ يُؤْمِنُ بِآيَاتِنَا) القرآن (فَهُمْ مُسْلِمُونَ) مخلصون بتوحيد الله
(اللَّهُ الَّذِي خَلَقَكُمْ مِنْ ضَعْفٍ) ماء مهيّن (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ ضَعْفٍ) آخر وهو ضعف
الطفولية (قُوَّةً) أى قوة الشباب (ثُمَّ جَعَلَ مِنْ بَعْدِ قُوَّةٍ ضَعْفًا وَشَيْبَةً) ضعف الكبر
وشيب الهرم ، والضعف في الثلاثة بضم أوله وفتحها (يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) من الضعف والقوة والشباب
والشيبة (وَهُوَ الْعَلِيمُ) بتدبير خلقه (الْقَدِيرُ) على ما يشاء (وَيَوْمَ تَقُومُ السَّاعَةُ يُقْسِمُ)
يحلف (الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (مَا لَيْسُوا) مكثوا في القبور (غَيْرَ سَاعَةٍ) قال تعالى (كَذَلِكَ
كَانُوا يُؤْفَكُونَ) يصرفون عن الحق : البعث ، كما صرفوا عن الحق الصدق في مدة البعث
(وَقَالَ الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ وَالْإِيمَانَ) من الملائكة وغيرهم (أَقَدْ لَبِئْتُمْ فِي كِتَابِ اللَّهِ) فيما كتبه
في سابق علمه (إِلَى يَوْمِ الْبَعْثِ فَهَذَا يَوْمُ الْبَعْثِ) الذى أنكرتموه (وَلَكِنَّكُمْ كُذِّبْتُمْ
لَا تَعْلَمُونَ) وقوعه (فَيَوْمَئِذٍ لَا يَنْفَعُ) بالياء والتاء (الَّذِينَ ظَلَمُوا مَعْدِرَتَهُمْ) في إنكارهم له
(وَلَا هُمْ يُسْتَعْتَبُونَ) لا يطلب منهم العتبى أى الرجوع إلى ما رضى الله (وَأَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا
(لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ) تنبيه لهم (وَلَكِنْ) لام قسم (جِئْتُمْ) يا محمد (بآية)
مثل العصا واليد لموسى (لَيَمُوتَنَّ) حذف منه نون الرفع لتوالى التواتر والواو ضمير الجمع لاتقاء
الساكنين (الَّذِينَ كَفَرُوا) منهم (إِنْ) ما (أَنْتُمْ) أى محمد وأصحابه (إِلَّا مُبْطَلُونَ)
أصحاب أباطيل (كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللَّهُ عَلَى قُلُوبِ الَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) التوحيد كما طبع على
قلوب هؤلاء (فَاصْبِرْ إِنَّ وَعْدَ اللَّهِ) بنصرك عليهم (حَقٌّ) وَلَا يَسْتَحْفِظُكَ الَّذِينَ لَا يُوقِنُونَ)
بالبعث . أى لا يحملك على الخفة والبطش ،

بذلك لحصولها في آخر
ساعة من ساعات الدنيا
(قوله الكافرون) أى
للتكرون للبعث (قوله
مكثوا في القبور) إنما
استقلوا تلك المدة لأن
عذاب القبر خفيف بالنسبة
لما شاهدوه من عذاب
النار ، وقيل المراد مكثوا
في الدنيا فاستقلوا أجل
الدنيا لما عاينوا الآخرة
(قوله يصرفون عن
الحق) أى الاقرار
والاعتراف به في الدنيا
(قوله وقال الذين أوتوا
العلم) أى ردا عليهم
وتكذيبا لهم (قوله
وغيرهم) أى كالأنبياء
والمؤمنين (قوله أنكرتموه)
أى في الدنيا (قوله
فيؤمئذ) للتنبؤ عوض
عن جهل مخدوفة : أى
يوم إذ قامت الساعة
وحلف المشركون كاذبين
ورد عليهم الملائكة وغيرهم

ترك

و بينوا كذبهم لاتنفع الخ (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله

معذرتهم) أى اعتذارهم (قوله العتبى) كالرجى وزنا ومعنى ، والمعنى لا يجابون لما طلبوه من الرجوع إلى الدنيا (قوله من كل
مثال) من للتبويض : أى بعض كل صفة لأجل إرشادهم (قوله ولئن جئتم بآية) أى عما اقترحوا (قوله حذف منه نون الرفع
الخ) هذا سبق قلم من المفسر ، فالصواب أن يقول هو فعل مبنى على الفتح لاتصاله بنون التوكيد الثقيلة والذين فاعله لأن اللام
مفتوحة باتفاق القراء (قوله منهم) حال من الكافرين (قوله فاصبر) أى إذا علمت حالهم وأنهم لا يؤمنون لوجود الطبع على
قلوبهم فاصبر الخ (قوله إن وعد الله حق) تحليل للأمر بالصبر (قوله والبطش) عطف مرادف على الخفة .

(قوله أي لا تركه) أي لا ترك الصبر بسبب تكذيبهم وإفهامهم [سورة لقمان مكية] مبتدا وخبر سميت بذلك
 قد كر قصة لقمان فيها (قوله إلا ولو أن ما في الأرض إلخ) هذا أحد أقول ثلاثة، وقيل مكية كلها، وقيل إلا ثلاث آيات من
 قوله - ولو أن ما في الأرض إلى خير - وهذا القول الثالث للبيضاوي (قوله أي هذه الآيات) أي آيات السورة وأشهر إليها
 بإشارة البعيد لعل ترتبها ورفعة قدرها عند الله وإن كانت قريبة من الأذهان (قوله ذى الحكمة) أي المشتغل على الحكمة
 وهى العلم النافع ويصح أن يراد بالحكيم الحكم: أي التقن الذى لإبانيه الباطل من بين يديه ولا من خلفه، ويصح أن يراد
 الحكيم قائله حذف الضاف وأقيم للضاف إليه مقامه وهو الضمير المجرور فبإقلابه مرفوعا استكن في الصفة الشبهة (قوله بالرفع)
 أى لحزة على أنه خبر لحذف قدره بقوله هو (قوله وفي قراءة العامة) أى (٢٣٧) وم السبعة ماعدا حمزة (قوله

حالا من الآيات) أى حال
 كون كل منهما حالا (قوله
 من معنى الإشارة) أى
 كأنه قال أشير إلى تلك
 الآيات حال كونها هدى
 ورحمة (قوله الذين يقيمون
 الصلاة) أى يؤدونها
 بأركانها وأدائها (قوله
 ويؤتون الزكاة) أى
 يعطونها لمستحقها (قوله
 وهم بالآخرة هم يوقنون)
 أى يؤمنون ببقاء الله
 والبعث (قوله الفائزون)
 أى بما أعد لهم من النعيم
 المقيم (قوله ومن الناس
 من يشتري الخ) شروع في
 ذكر مقابل الفريق الأول
 على حكم عادة تعالى في
 كتابه والجاء والجور وخبر
 مقدم والاسم الموصول
 مبتدأ مؤخر. واعلم أن من
 لفظها مفرد ومعناها جمع
 فروعى لفظها في جميع الضمائر

بترك الصبر: أى لا تركه،

(سورة لقمان)

مكية إلا «ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام» الآيتان هديتان

وهي أربع وثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ - أَلَمْ يَكُنْ اللَّهُ أَعْلَمَ بِمَرَادِهِ بِهِ (تِلْكَ) أَى هَذِهِ الْآيَاتِ (آيَاتِ
 الْكِتَابِ) الْقُرْآنِ (الْحَكِيمِ) ذَى الْحِكْمَةِ وَالْإِضَافَةُ بِمَعْنَى مَنْ، هُوَ (هُدًى وَرَحْمَةً) بِالرَّفْعِ
 (لِلْمُحْسِنِينَ) وَفِي قِرَاءَةِ الْعَامَّةِ بِالنَّصْبِ حَالًا مِنْ الْآيَاتِ الْعَامِلِ فِيهَا مَا فِي تِلْكَ مِنْ مَعْنَى
 الْإِشَارَةِ (الَّذِينَ يُقِيمُونَ الصَّلَاةَ) بَيَانُ الْمُحْسِنِينَ (وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ وَهُمْ بِالْآخِرَةِ هُمْ
 يُوقِنُونَ) هُم الثَّانِي تَأْكِيدُ (أُولَئِكَ عَلَى هُدًى مِنْ رَبِّهِمْ وَأُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ) الْفَائِزُونَ
 (وَمِنَ النَّاسِ مَنْ يَشْتَرِي لَهْوَ الْحَدِيثِ) أَى مَا يَلْهَى مِنْهُ عَمَّا بَعْنَى (لِيَصِلَ) بَفَتْحِ الْيَاءِ
 وَضَمِّهَا (عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) طَرِيقِ الْإِسْلَامِ (بِغَيْرِ عِلْمٍ وَبِتَخَذَهَا) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى يَضَلُّ
 وَبِالرَّفْعِ عَطْفًا عَلَى يَشْتَرِي (هَزُؤًا) مَهْزُوءًا بِهَا (أُولَئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مُهِينٌ) ذُو إِهَانَةٍ (وَإِذَا
 تَنَزَّلْنَا عَلَيْهِ آيَاتُنَا) أَى الْقُرْآنَ (وَلَّى مُسْتَكْبِرًا) مُتَكَبِّرًا (كَأَنَّ لَهُمْ يَسْمَعُوا كَأَنَّ فِي
 أُذُنَيْهِ وَقْرًا) صَمًّا، وَجَعَلْنَا التَّشْبِيهَ حَالًا مِنْ ضَمِيرِ وَلَّى أَوِ الثَّانِيَةِ بَيَانُ لِلْأَوَّلَى (فَبَشِّرْهُ)
 أَعْلَنَهُ (بِعَذَابِ أَلِيمٍ) مَوْلًى، وَذَكَرَ الْبَشَارَةَ تَهْكُمُ بِهِ، وَهُوَ النَّصْرُ بْنُ الْحَارِثِ كَانَ يَأْتِي الْحَيْرَةَ
 يَتَجَرَّبُ يَشْتَرِي كَتَبَ أَخْبَارَ الْأَعْجَامِ وَيَحْدُثُ بِهَا أَهْلَ مَكَّةَ وَيَقُولُ إِنَّ مُحَمَّدًا يَحْدُثُكُمْ أَحَادِيثَ عُلَا
 وَغُودَ، وَأَنَا أَحْدُثُكُمْ أَحَادِيثَ فَارِسَ وَالرُّومَ فَيَسْتَمْلِحُونَ حَدِيثَهُ وَيَتَرَكُونَ اسْتِمَاعَ الْقُرْآنِ،

لآنية وروعى منها في قوله وتلك لهم عذاب مهين (قوله لهو الحديث) إيمان إضافة الصفة للوصف: أى الحديث الهوى: أى المشتغل
 عما يعنى أو الإضافة على معنى من وإليه يشير المفسر بقوله: أى ما يلهى منه (قوله بفتح الياء) أى ليستمر على الضلال، وقوله وضما:
 أى ليوقع غيره في الضلال فهو ضال مضل والقراءتان سبعيتان (قوله طريق الإسلام) أى الأمور الموصلة للإسلام فاللهو كل ما يشتغل
 عن عبادة الله وذكره من الأضاحيك والحرافات والغاني والزامير وغيرها من الأمور الباطلة (قوله بغير علم) حال من فاعل
 يشتري: أى حاله كونه جاهل للطلب وإن كان عالم اللسان (قوله ويتخذها) أى الآيات (قوله بالنصب إلخ) أى والقراءتان
 سبعيتان (قوله مهزوءا بها) أى لما كان لها بالحرافات (قوله أعلمه) أشار بذلك إلى أن المراد بالبشارة مطلق الاعلام بالخبر وإن
 لم يكن فيه بشارة ودفع بذلك ما يقال إن الاخبار بالعذاب الأليم ليس بشارة بل هو نذارة، وقوله وذكر البشارة إلخ جواب آخر
 فكان المناسب أن يذكره بأو (قوله النصير بن الحرث) أى الصلة كان صديقا لقريش (قوله فيستملحون حديثه) أى يعدونه

ملحبا فيصنفون له (قوله لمن الذين آمنوا وعملوا الصالحات) بيان لحال المؤمنين بالقرآن بعد بيان حال الكافرين به (قوله جنات النعيم) المراد بها جميع الجنان لاخصرص للسماء بهذا الاسم (قوله أى مقدرا خلودهم) أى فهم عند دخولهم يقترون الخلود لسماهم النداء من قبل الله: يا أهل الجنة خلود بلاموت (قوله وعد الله حقاً) مصدران مؤكدان لمضمون الجملة الأولى والعامل مختلف والتقدير وعد ذلك وعداً وحقه حقاً (قوله الذى لا يلبثه شيء) أى لا يقهره أحد، (قوله خلق السموات الخ) هذا دليل على أنه عزيز حكيم لا يمنعه أحد عن إنجاز وعده ووعيده (قوله أى العمد) أشار بذلك إلى أن جملة تزونها صفة لعمد (قوله جمع عماد) أى كأهب جمع إهاب (قوله الاسطوانة) بضم الميمزة وهى السارية (قوله وهو صادق الخ) أى لأن السالبة تصدق بنفى الموضوع وهو المراد هنا، ويصح أن يراد الشق الثانى وهو أن يكون لها عمد لا ترى وهى قدرة الله تعالى (قوله رواسى) أى ثوابت (قوله جبالاً مرتفعة) قال ابن عباس: هى سبعة عشر جبلاً منها قـ وأبوقبيس والجودى ولبنان وطورسينين (قوله أن تميد بكم) قتر الفسرام التعليل والنافية إشارة إلى أن حكمة تثبيت الأرض بالجبال عدم تحركها بأهلها (قوله وبث فيها) أى نشر، وقوله: من كل دابة (٢٣٨) من زائدة (قوله فيه التفات) أى من العيبة إلى التكلم زيادة فى التبكيت

(إِنَّ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ جَنَّاتُ النَّعِيمِ . خَالِدِينَ فِيهَا) حال مقدرة: أى مقدرا خلودهم فيها إذا دخلوها (وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) أى وعدهم الله ذلك وحقه حقاً (وَهُوَ التَّزْوِيرُ) الذى لا يلبثه شيء فيمنعه من إنجاز وعده ووعيده (الحَكِيمُ) الذى لا يضيع شيئاً إلا فى محله (خَلَقَ السَّمَوَاتِ بِتَبَرٍ عَمَدٍ تَرْوَاهَا) أى العمد جمع عماد وهو الأسطوانة وهو صادق بأن لا عمد أصلاً (وَأَلْقَى فِي الْأَرْضِ رَوَاسِيَ) جبالاً مرتفعة لـ (لَأَنْ) لا (تَمِيدَ) تتحرك (بِكُمْ وَبَثَّ فِيهَا مِنْ كُلِّ دَابَّةٍ ، وَأَنْزَلْنَا) فيه التفات عن النبية (مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَنْبَتْنَا فِيهَا مِنْ كُلِّ زَوْجٍ كَرِيمٍ) صنف حسن (هَذَا خَلْقُ اللَّهِ) أى مخلوقه (فَأَرْوَيْنَا) أخبروني يا أهل مكة (مَاذَا خَلَقَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) غيره أى آلهتكم حتى أشركتموها به تعالى وما استفهام إنكار مبتدأ وذا بمعنى الذى يصلته خبره وأروني معلق عن العمل وما بعده سد مسد المفعولين (بَلْ) للانتقال (الظَّالِمُونَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين بإشراكهم وأتم منهم (وَلَعَدْ آتَيْنَا لَقُمانَ الْحِكْمَةَ) ،

و إلزام الحجة (قوله هذا خلق الله) أى ما ذكر من السموات والأرض وما فيها (قوله استفهام إنكار) وتو يسخ وتقرع (قوله معلق عن العمل) أى فى اللفظ وأما فى المثل فهو عامل النصب (قوله سد مسد المفعولين) ظاهره أن أروني تنصب ثلاثة مفاعيل الباء وجملة الاستفهام التى سنت مسد الثانى والثالث وهذا غير ما ذكره من أن أرى إن كان بمعنى أخبر فانها تتعدى لمفعولين الأول

منها

مفرد صريح والثانى جملة الاستفهام ، فالمناسب للفسر أن يقول سد

مسد الثانى (قوله للانتقال) أى من تبكيتهم إلى الاخبار بتقبيح الظالمين عموماً (قوله ولقد آتينا لقمان الحكمة) اختلف فى لقمان فقيل اسم أعجمى ممنوع من الصرف للعلمية والعجمية ، وقيل عربى ومنع من الصرف للعلمية وزيادة الألف والنون ، واختلف فيه أيضاً فقيل هو لقمان بن فاغور بن ناخور بن تارخ وهو آزر ، فعلى هذا هو ابن ابن أخى إبراهيم الخليل عليه الصلاة والسلام ، وقيل كان ابن أخت أيوب ، وقيل كان ابن خالته ، يقال إنه عاش ألف سنة حتى أدرك داود واتفق العلماء على أنه كان حكيماً ولم يكن نبياً إلا عكرمة والشعبى فقالا بنبوته ، وقيل خبر بين النبوة والحكمة فاختر الحكمة ، وروى أنه كان نائماً فى وسط النهار فوذى بالقمان هل لك أن نجعلك خليفة فى الأرض فتحكم بين الناس بالحق فأجاب الصوت فقال إن خبرنى ربى قبلت العافية ولم أقبل البلاء وإن عزم على فسمعاً وطاعة فأتى أعلم أن الله تعالى إن فعل بى ذلك أعانى وعصمتى فقالت الملائكة بصوت لإبراهيم: لم يأتته إن قال إن الحاكم بأشد للنازل وأكدرها فيفسد للظلم من كل مكان إن عدل نجار إن أخطأ الطريق أخطأ طريق الجنة ومن يكن فى الدنيا ذليلاً خيراً من أن يكون شريفاً ومن يختر الدنيا على الآخرة تفتنه الدنيا ولم يصب الآخرة فصعبت الملائكة من حسن منطقته فنام نومة فأعطى الحكمة فاتقته وهو يتكلم بها ثم نودى به داود بعده فقبلها وكان لقمان يوازر داود لحكته ، وقيل

كان خياطاً وقيل كان راعي غنم فروى أنه لقيه رجل وهو يتكلم بالحكمة ، فقال ألسنت فلانا الزاوي ؟ قال بلى ، قال فبم بلغت ما بلغت ؟ قال بصدق الحديث وأداء الأمانة وترك ما لا ينبغي (قوله منها العلم والديانة) أي بالحكمة هي العلم والعمل ولا يسمى الرجل حكيماً حتى يجمعهما ، وقيل الحكمة المعرفة والأمانة ، وقيل هي نور في القلب يدرك به الأشياء كما تدرك بالبصر (قوله وحكمه كثيرة) قال وهب تكلم لقمان بأثنى عشر ألف باب من الحكمة أدخلها الناس في كلامهم (قوله وقال في ذلك) أي في شأن الاعتذار عن ترك الفتيا (قوله وقتلناه أن اشكر الخ) أشار بذلك إلى أن زائدة وجملة اشكر مقول القول والأنسب أن أن تفسيرية لتقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله على ما أعطاك من الحكمة) أي فهي نعمة يجب الشكر عليها بصرفها في مصارفها (قوله ومن يشكر الخ) تمليل للأمر بالشكر (قوله محمود في صنعه) أي فهو حقيق بأن يحمد من دون الخلوقات (قوله وإذا قال لقمان لابنه) أي واسمه ثاران وقيل مشكم وقيل أمم . قيل كان ابنه واسم أمه كافرين لها زال يظهرهما حتى أسلما . قيل وضع لقمان جراباً من خردل إلى جنبه وجعل يعط ابنه موعظة موعظة ويخرج خردلة خردلة فنفذ الخردل ، فقال يا بني وعظمتك موعظة لو وعظتها جبلاً لتفطر ، فتفطر ابنه ومات (قوله وهو يعظه) الجملة حالية (قوله يا بني) بكسر الهمزة وتحتها قراءة ثمان سبعين (قوله إشتاق) أي حبة (قوله فرجع إليه) أي إلى دين أبيه وهو الاسلام ، وقال له أيضاً : يا بني اتخذ تقوى الله تعالى تجارة يأتك الربح من غير بضاعة ، يا بني احضر الجنائز ولا تحضر العرس فان الجنائز تذكر الآخرة والعرس يشميك الدنيا يا بني لا تكن أعجز من هذا الديك الذي يصوت بالأسحار وأنت (٢٣٩) نائم على فراشك ، يا بني لا تؤخر

التوبة فان الموت يأتي بئنة يا بني لا ترغب في ود الجاهل فيرى أنك رضى عمله ، يا بني اتق الله ولا تر الناس أنك تخشى ليكرموك بذلك وقلبك فاجر يا بني ما دمت على السميت قط فان الكلام إذا كان من فضة كان السكوت من ذهب يا بني اعتزل الشر كما

منها العلم والديانة والإصابة في القول، وحكمه كثيرة مأثورة، كان يفتي قبل بعثة داود وأدرك بعثته وأخذ عنه العلم وترك الفتيا وقال في ذلك ألا أكتفي إذا كفيت، وقيل له أي الناس شر ؟ قال الذي لا يبالي إن رآه الناس مسيئاً (أن) أي وقتلناه أن (أشكر الله) على ما أعطاك من الحكمة (ومن يشكر فإني أشكر لنفسي) لأن ثواب شكره له (ومن كفر) النعمة (فإن الله غني) من خلقه (حميد) محمود في صنعه (و) اذكر (إذا قال لقمان لابنه وهو يعظه يا بني) (لا تشرك بالله إن الشرك بالله) (لظلم عظيم) فرجع إليه وأسلم ،

يعتزلك من الشر للشر خلق ، يا بني عليك بهجاء العلماء واستمع كلام الحكماء فان الله تعالى يحبي القلب الميت بنور الحكمة كما يحبي الأرض الميتة بوابل المطر فان من كذب ذهب ماء وجهه ومن ساء خلقه كثرت غممه ، ونقل الصخور من موضعها أيسر من إفهام من لا يفهم ، يا بني لا ترسل رسولا جاهلاً ، فان لم يجد حكماً فكن رسول نفسك ، يا بني لا تنكح أمة غيرك فتورث بنيك حزناً طويلاً ، يا بني يأتي على الناس زمان لا تقر فيه عين حليم ، يا بني اختر المجالس على عينك فإذا رأيت المجالس يذكر فيه الله عز وجل فاجلس معهم فانك إن تك عالماً تنفعك علمك وإن تك غيباً يملوك وإن يطلع الله عز وجل عليهم برحمة تصيبك معهم ، يا بني لا تجلس في المجلس الذي لا يذكر فيه الله عز وجل فانك إن تكن عالماً لا تنفعك علمك وإن تك غيباً يزيدوك غيباً وإن يطلع الله عليهم بعد ذلك بسخط يصيبك معهم ، يا بني لا يأكل طعامك إلا الأتقياء وشاور في أمرك العلماء ، يا بني إن الدنيا بحر عميق وقد غرق فيه ناس كثير ، فاجعل سفينتك فيها تقوى الله وحشوها بالإيمان بها وشرعها بالتوكل على الله لعلك أن تنجو ، يا بني إني حملت الجنادل والحديد فلم أحمل شيئاً أثقل من جمل السوء وذقت المرارة كلها فلم أذق أشد من الفقر ، يا بني إن الحكمة أجاست للأساكين مجالس الملوك ، يا بني لا تعلم ما لا تعلم حتى تعمل بما تعلم ، يا بني إذا أردت أن تؤاخي رجلاً فأخضبه قبل ذلك فان أنصفك عند غضبه وإلا فأحضره ، يا بني إنك منذ نزلت إلى الدنيا استدرتها واستقبلت الآخرة ، فدار أنت إليها تسير أقرب من دار أنت عنها ترحل ، يا بني عود لسانك أن يقول اللهم اغفر لي فان قد ساعات لأزد ، يا بني ليالك والدين فانه ذل النهار وهم الليل ، يا بني ارج الله رجاء لا يحركك على مصيبتك وخف الله خوفاً لا يؤيسك من رحمته إلى غير ذلك من اللواظ للأثورة منه عليه السلام .

(قوله ووصينا الانسان اخ) هاتان الآيتان نزلا في شأن سعد بن أبي وقاص كما تقدم فهما معترضان بين كلامي لقمان والعبارة بمعموم اللفظ لا بخصوص السبب قال في الانسان الجنس (قوله أن يبرها) أي يحسن إليهما (قوله فوهنت) قدر الذلل إشارة إلى أن وهنا مفعول مطلق والأحسن جعله حالا من أمه أي ذلت وهن (قوله على وهن) صفة لوهنا أي ضعفا كانتا على ضعف ، والمراد التوكل لا خصوص وهين بدليل قول القبر أي ضعفت للحمل الخ (قوله أي فطامه) أي ترك رضاعه (قوله في عامين) أي في انقضاءهما (قوله أن أشكر لي) أن يحتمل أنها مفسرة بجملة وصينا أو مصيرية (قوله أي الرجع) أي فأجازي المحسن على إحسانه واللعن على إساءته (قوله موافقة لواقع) أي فلا مفهوما له وهو جواب عما يقال إن الشريك مسحيل على الله تعالى فربما يتوهم وجود شريك له به علم (قوله وصاحبها في الدنيا) أي أمورها التي لا تتعلق بالدين (قوله أي بالمعروف) أشار بذلك إلى أنه منصوب بزعم الخافض (قوله وأتبع سبيل من أناب إلى) قيل إن الخطاب للكافرين عموما ويراد بمن أناب النبي وأصحابه ومن طي قدمهم ، وقيل الخطاب لسعد بن أبي وقاص ، والراد بمن أناب أبو بكر الصديق رضي الله عنه ، وذلك أنه حين أسلم أتاه عثمان وطلحة والزبير وسعد بن أبي وقاص وعبد الرحمن بن عوف فقالوا له قد صدقت هذا الرجل وآمنت به قال نعم هو صادق فكأنوا ثم جاء بهم إلى النبي صلى الله عليه وسلم حتى أسلموا فولاء سابقون للإسلام بارشاد أبي بكر رضي الله

(٢٤)

(وَوَصَيْنَا الْإِنْسَانَ بِوَالِدَيْهِ) أمرنا أن يبرهما (حَلَّتْهُ أُمُّهُ) فوهنت (وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ) أي ضعفت للحمل وضعت للطلق وضعت للولادة (وَفِصَالُهُ) أي فطامه (فِي عَامَيْنِ) وقلنا له (أَنْ أَشْكُرَ لِي وَلَوْلَا ذَلِكَ إِلَى الْمَصِيرِ) أي الرجع (وَإِنْ جَاهَدَاكَ عَلَى أَنْ تُشْرِكَ بِي مَا لَيْسَ لَكَ بِهِ عِلْمٌ) موافقة لواقع (فَلَا تَطْغَاهُمَا وَصَاحِبُهُمَا فِي الدُّنْيَا مَعْرُوفًا) أي بالمعروف البر والصلة (وَأَتَّبِعْ سَبِيلَ) طريق (مَنْ أَنْابَ) رجع (إِلَيَّ) بالطاعة (ثُمَّ إِلَى مَرْجِعِكُمْ فَأُنَبِّتُكُمْ يَوْمًا تَكْتُمُونَ) فأجازيكم عليه ، وجملة الوصية وما بعدها اعتراض (بِأَبْقِيَا) أي الغصلة السيئة (إِنَّ نَكْثَ مِثْقَالِ حَبَّةٍ مِنْ خَرْدَلٍ فَتَكُنْ فِي صَخْرَةٍ أَوْ فِي السَّمَوَاتِ أَوْ فِي الْأَرْضِ) أي في أخفى مكان من ذلك (يَأْتِ بِهَا اللَّهُ) فيحاسب عليها (إِنَّ اللَّهَ لَطِيفٌ) باستخراجها (خَبِيرٌ) بمكانها (يَا بُنَى أَقِمِ الصَّلَاةَ وَأْمُرْ بِالْمَعْرُوفِ وَانْهَ عَنِ الْمُنْكَرِ وَأَصْبِرْ عَلَى مَا أَصَابَكَ) ،

عنه (قوله فأجازيكم عليه) أي على العمل الحسن والسيئ (قوله وجملة الوصية) أي وهي قوله ووصينا الانسان الخ وقوله وما بعدها أي وهو قوله وإن جاهدك الخ وقوله اعتراض أي بين كلامي لقمان (قوله يا بني إنها إن تك مثقال حبة الخ) رجوع لذكر وصايا لقمان لولده ، وسبب تلك المقالة أنه قال له ولده : ياأبت إن حملت الخطيئة حيث لا يراني أحد كيف

بسبب

يعلمها الله ؟ فقال له تلك المقالة ، وهذا السؤال ليس عن اعتقاد لمضمونه

إذ هو مسلم لا يعتقد أن الله تخفى عليه خافية وإنما مقصوده الانتقال من العلم بالدليل إلى المعرفة والشاهدة ولما لمات من استيلاء الهيبة على قلبه (قوله من خردل) هو حب الكبر وهو أصغر حب ، والمراد أصغر شيء بدليل ضرب الثل بالهرة في الآية (قوله في صخرة) قيل المراد بها التي تحت الأرضين السبع وهي التي يكتب فيها أعمال الفجار وخضرة السماء منها لما قيل خلق الله الأرض على حوت والحوت في الماء على ظهر صفاة والصفاة على ظهر ملك ، وقيل على ظهر نور وهو على الصخرة وهي التي ذكرها لقمان فليست في السماء ولا في الأرض (قوله أي في أخفى مكان من ذلك) أي من الصخرة والسموات والأرض فأخفى الصخرة باطنها وأخفى السموات أعلاها وأخفى الأرض أسفلها (قوله يأت بها الله) جواب الشرط (قوله إن الله لطيف) أي عالم بخصيات الأمور (قوله خير) أي عالم ببواطن الأشياء كظواهرها ، قيل إن هذه الكلمة آخر كلمة تكلم بها لقمان فأنشقت صرارة ابنه من هيبتها وعظمتها ، فمات مسلما شهيدا رضي الله عنه (قوله يا بني أقم الصلاة) أي جبروتها وأركانها وآدابها لكونها حماد للدين ومناجاة الله تعالى (قوله وأمر بالمعروف) أي بكل ما عرف شرعا لأن المال على الخير كفاؤه (قوله وانه عن المنكر) أي باليد أو اللسان أو القلب على حسب الطاقة فان لم يجد فالجبر أولى بالمعروف .

(قوله بسبب الأمر والنهي) للناسب حمله على العموم ، فالصبر على الصواب سواء كانت من الخلق أو الخالق أمره عظيم لأن الكل في الحقيقة من الله ، وللراد بالصبر التسليم لأحكام الله والرجوع إليه قال تعالى - وبشر الصابرين الذين إذا أصابتهم مصيبة قالوا إنا لله وإنا إليه راجعون - (قوله التي يعزم عليها لوجوبها) أى تحتّمها على المكلفين فلا ترخيص في تركها (قوله ولا تصغر حذك للناس) الصغر فتحتين في الأصل : داء يصيب البعير يلوى عنقه ، ثم استعمل في ميل العنق وانقلاب الوجه إلى أحد الشدقين لأجل الفخر على الناس ، والراد لا تتكبر فتحتقر الناس ولا تعرض عنهم بوجهك إذا كلوك (قوله وفي قراءة تصاعر) أى وهما سبعيتان ومعناها واحد (قوله أى خيلاء) أى عجباً وتكبراً قال تعالى - إنك لن تحرق الأرض ولن تبلغ الجبال طولاً - (قوله غفور على الناس) أى لظنه أن نعمة الله أسبغت عليه لاستحقاقه إياها فتكبر بها على الناس (قوله وافصد في مشيك) لما أمره أولاً بحسن الباطن أمره ثانياً بحسن الظاهر ليجمع له في وصته بين كمال الظاهر والباطن (قوله بين الديب) أى وهو ضعف الشيء جداً ، قال الشاعر :

وهمنى شيخاً ولست بشيخ إنما الشيخ من يدب ديباً

(قوله والاسراع) أى وهى قوة للشيء وهى مذمومة لما ورد «سرعة للشيء تذهب بهاء المؤمن» . إن قلت ورد في الحديث «كنا نجهد أنفسنا خاف رسول الله صلى الله عليه وسلم» فيقتضى أنه كان يسرع في مشيه . أجيب بأنه صلى الله عليه

وسلم في نفسه مشيه متوسط وبالنسبة للصعابة هو أعلى مشياً منهم لما في الحديث التقدم «وهو غير مكثرت كأن الأرض تطوى له» (قوله من صوتك) يحتمل أن من تبعية أو الجار والمجرور متعلق بمحذوف صفة لمحذوف أى شيئاً من صوتك (قوله لصوت الحمير) أى هذا الجنس لما فيه من العلو المفرط من غير حاجة فإن كل حيوان يصبح من نقل أو تعب أو

بسبب الأمر والنهي (إِنَّ ذَلِكَ) للذكور (مِنْ عَزَمِ الْأُمُورِ) أى معزوماتها التي يعزم عليها لوجوبها (وَلَا تُصَغِّرْ) وفي قراءة تصاعر (حَذَكُ لِلنَّاسِ) لاتمل وجهك عنهم تكبراً (وَلَا تَمْسُ فِي الْأَرْضِ مَرَحًا) أى خيلاء (إِنَّ اللَّهَ لَا يُحِبُّ كُلَّ مُخْتَالٍ) متبختر في مشيه (فَخُورٍ) على الناس (وَأَقْصِدْ فِي مَشْيِكَ) توسط فيه بين الديب والاسراع وعليك السكينة والوقار (وَأَغْضُضْ) اخفض (مِنْ صَوْتِكَ إِنَّ أَنْكَرَ الْأَصْوَاتِ) أقبحها (لَعَوْتُ الْحَمِيرِ) أوله زفير وآخره شهيق (أَلَمْ تَرَوْا) تعلموا يا غاطبين (أَنَّ اللَّهَ سَخَّرَ لَكُمْ مَا فِي السَّمَوَاتِ) من الشمس والقمر والنجوم لتتفعموا بها (وَمَا فِي الْأَرْضِ) من الثمار والأنهار والدواب (وَأَسْتَبِغْ) أوسع وأتم (عَلَيْكُمْ نِعْمَةً ظَاهِرَةً) هى حسن الصورة وتسوية الأعضاء وغير ذلك (وَبَاطِنَةً) هى المعرفة وغيرها (وَمِنَ النَّاسِ) أى أهل مكة (مَنْ يُجَادِلُ فِي اللَّهِ بِغَيْرِ عِلْمٍ وَلَا هُدًى) من رسول (وَلَا كِتَابٍ مُنِيرٍ) أنزله الله بل بالتقليد (وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ اتَّبِعُوا مَا أَنْزَلَ اللَّهُ قَالُوا بَلْ نَتَّبِعُ مَا وَجَدْنَا عَلَيْهِ آبَاءَنَا) قال تعالى

غير ذلك والجمار يصح لهير سبب ، وصياح كل شئ سبيح لله تعالى إلا الجمار . إن قلت إن دقة النحاس بالحديد أشد صوتاً من الحمير . أجيب بأن الصوت الشديد لحاجة يتحملة العقلاء بخلاف الصوت الخالى عن الثمرة والفائدة وهو صوت الجمار (قوله أوله زفير) أى صوت قوى ، وقوله وآخره شهيق : أى صوت ضعيف وهما صفة صوت أهل النار (قوله ألم تروا أن الله سخر لكم الخ) رجوع لما سبق من خطاب المشركين والرد عليهم (قوله يا غاطبين) القياس بالواو لأنه منادى مفرد وهو مبنى على ما يرفع به إلا أن يقال إنه نكرة غير مقصودة فهو منصوب (قوله نعمه) إما بالجمع فظاهرة وباطنة حالان أو الأفراد بناء التانيث نكرة فهما نعمتان لها وهما قراءتان سبعيتان (قوله حسن الصورة الخ) وقيل الظاهرة نعمة الدنيا والباطنة نعمة الآخرة . وقيل الظاهرة ما ترى بالأبصار كالجمال والجاه والجمال في الناس ، والباطنة ما يتجده الإنسان في نفسه من حسن اليقين والعلم بالله تعالى وكل مهيج (قوله وتسوية الأعضاء) أى تناسبها (قوله ومن الناس) نزلت في النضر بن الحرث وأبى بن خاف ومن هذا حذوهم كانوا يجادلون النبي صلى الله عليه وسلم في الله وصفاته من غير علم (قوله بغير علم) أى بل بالجهل وعدم المعرفة (قوله ولا هدى) أى من رسول جاءهم به (قوله ولا كتاب منير) أى نور واضح الدلالة (قوله ولا قيل لهم)

الجمع باعتبار المعنى .

[٣١ - صاوى - ثالث]

(قوله أيتبعونه) أشار بذلك إلى أن هذا الشرط للحال والتقدير أيتبعونه والخلل أن الشيطان يدعوهم إلى العذاب وحيث فلا جواب لو (قوله يدعوهم إلى عذاب السعير) أى يدعوهم آباءهم لأن مدار إنكار الأتباع كون الرؤساء تابعين للشيطان (قوله لا) أى لا يلبق منهم ذلك (قوله أى يقبل على طاعته) أشار بذلك إلى أن الراد بالوجه الذات ، والغنى من يبذل ذاته في طاعة ربه والحال أنه موحد فقد استمسك الخ وهذا هو حقيقة الشكر فالإقبال على الله ظاهرا وباطنا موجب للأمن من عذاب الله ، ومن زوال تلك النعمة وهذه الآية معنى قوله تعالى - الذين آمنوا ولم يلبسوا إيمانهم بظلم أولئك لهم الأمن وهم مهتدون - (قوله موحد) إنما فسر به ذلك ليشمل الاسلام في حق العامة وهو التوحيد وإلا فالاحسان الكامل أن تعبد الله كأنك تراه (قوله بالطرف الأوثق) أى الوصول إلى الله بلا انقطاع فقد مثل المؤمن المتمسك بطاعة الله بمن أراد أن يرقى إلى شاطئ جبل متمسك بأوثق جبل فهو تشبيه تمثيل بذكر طرق التشبيه (قوله مرجعها) أى فيجازى عليها (قوله ومن كفر الخ) هذا مقابل الفريق الأول (قوله فلا يحزنك كفره) بفتح الياء وضم الزاى وضم الياء وكسر الزاى قراءتان سبعيتان أى نفس ولا تنفم على ذلك (قوله فننبئهم بما عملوا) أى نخبرهم بأعمالهم التي عملوها في الدنيا (قوله ثم مضطرب) أى

بم إشارة إلى أن العذاب الغليظ إنما يكون لهم في الآخرة لا في الدنيا كما أن المؤمن إذا تم في الدنيا بأنواع النعم فليس ذلك جزاء لأعماله الصالحة (قوله لا يعبدون عنها) محيصا أى ملجأ (قوله ليقولن الله) الجملة جواب القسم وحذف جواب الشرط للقاعدة ولفظ الجلالة مرفوع إما على أنه فاعل بفعل محذوف تقديره خلقهن الله بدليل آية خلقهن العزيز العليم أو خبر لمحذوف تقديره

(أ) أيتبعونه (ولو كان الشيطان يدعوهم إلى عذاب السعير) أى موجباته ؟ لا (ومن يسلم وجهه إلى الله) أى يقبل على طاعته (وهو محسن) موحد (فقد استمسك بالبروة الأوثق) بالطرف الأوثق الذى لا يخاف انقطاعه (وإلى الله عاقبة الأمور) مرجعها (ومن كفر فلا يحزنك) يا محمد (كفره) لانتم بكفره (إلينا مرجعهم فننبئهم بما عملوا) إن الله عليهم بذات الصدور أى بما فيها كغيره فبجازه عليه (نمتهم) في الدنيا (قليلًا) أيام حياتهم (ثم تضطربهم) في الآخرة (إلى عذاب قليل) وهو عذاب النار لا يعبدون عنه محيصا (ولئن) لام قسم (سألتهن من خلق السموات والأرض ليقولن الله) حذف منه نون الرفع لتوالى الأمثال وواو الضمير لالتقاء الساكنين (قل الحمد لله) على ظهور الحجة عليهم بالتوحيد (بل أكثرهم لا يعلمون) وجوبه عليهم (لله ما في السموات والأرض) ملكا وخلقًا وعبيدًا فلا يستحق العبادة فيها غيره (إن الله هو الغنى) عن خلقه (الحميد) المحمود في صنعه (ولو أن ما في الأرض من شجرة أقلام والبحر عطف على اسم أن) يمده من بعده سبعة أبحر (مداد ،

(ما

الخالق لمن (قوله واو الضمير) أى لالتقاءها ساكنة

جميع نون التوكيد وبقيت الضمة دليلًا عليها (قوله بل أكثرهم لا يعلمون وجوبه عليهم) أى بل يعتقدون أن الاشراك يقرب إلى الله مع كونهم ينسبون الخلق لله وحده (قوله ما في السموات والأرض) هذا نتيجة ما قبله : أى حيث ثبت أنه الخالق لما تحقق أنه المالك لها (قوله المحمود في صنعه) أى المتصف بالكالات أزلا وأبدًا لا يستحق الحمد غيره (قوله ولو أن ما في الأرض) أن حرف توكيد ونصب وما اسم موصول في محل نصب اسمها وجملة الجار والمجرور مع متعلقه صلة الموصول ومن شجرة بيان لما وتوحيد شجرة إشارة إلى استغراق الأفراد كأنه قال لو أن كل شجرة تجعل أقلاما الخ وقوله أقلام خبر أن (قوله والبحر) أى المحيط لأن الحقيقة إذا أطلقت تصرف لفرد الكامل (قوله عطف على اسم أن) أشار بذلك إلى توجيه قراءة النص وترك توجيه قراءة الرفع وتوجيهها أن يقال إما عطف على جملة أن واسمها وخبرها لأن موضعها رفع على الفاعلية لفعل محذوف والتقدير لو ثبت أن ما في الأرض الخ أو مبتدأ خبره يمدد والجملة حالية (قوله مداد) خبر لمحذوف تقديره والجميع مداد وهو جملة مستأنفة واقعة في جواب سؤال مقدر تقديره ما تجعل تلك الأبحر فأجاب بقوله مداد يدل على ذلك قوله في الآية الأخرى : قل لو كان البحر مدادا لكلمات ربي الخ .

(قوله كلمات الله) أي مدلولات كلامه الفعسي القديم بذاته تعالى بدليل قوله العبر بها فإن مدلول الكلام القديم هو ما أحاط به العلم القديم ، وأما الكلام للنزل للقراءة والتعبد به كالكتب السماوية فهو دال على بعض مدلول الكلام القديم فلذلك كان له مبدأ وغاية (قوله ما خلقكم ولا بعثكم إلا كنفس واحدة) سبب نزولها أن أنى بن خلف وجماعة قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم إن الله خلقنا أطوارا نفقة ثم علقه ثم مضى ثم عظاما ثم تقول إنا نبث خلقا جديدا جميعا في ساعة واحدة فنزلت . وللعنى أن الله لا يصيب عليه شيء بل خلق العالم وبثه برمته كخلق نفس واحدة وبعثها (قوله خلقا وبعثا) لف ونشر مرتب (قوله يا غاطبا) نصبه لكونه قصد أنه نكرة غير مقصودة (قوله بما نقص) أى بالجزء الذى نقص من الآخر وهو أربع ساعات دائرة بين الليل والنهار زائدة على الاثنى عشر فتارة يزيد بها الليل وتارة يزيد بها النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) عطف على يولج وعبر في الأول بالمضارع لأن الأيلاج متجدد بخلاف التسخير (قوله إلى أجل مسمى) (٢٤٣)

عبر هنا بالى وفي فاطر والزمر باللام تفننا لأن اللام وإلى للاتهاء (قوله ذلك المذكور) أى من الآيات السكرية وهو مبتدأ خبره قوله بأن الله هو الحق (قوله الثابت) أى الذى لا يقبل الزوال أزلا ولا أبدا (قوله بالياء والتاء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ألم تر أن الفلك الخ) هذا دليل آخر على إثبات الألوهية لله وحده (قوله بنعمت الله) أى إحسانه (قوله أى هلا الكفار) أى أحاط بهم ، فعلا فعل ماض لا حرف جر (قوله أى لا يدعون معه غيره) أى كالأصنام لأنهم في ذلك الوقت في غاية الشدة والهول فلا يجدون

(ما نَدَّتْ كَلِمَاتُ اللَّهِ) المبرها عن معلوماته بكتبها بتلك الأفلام بذلك اللداد ولا بأكثر من ذلك لأن معلوماته تعالى غير متناهية (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) لا يعجزه شيء (حَكِيمٌ) لا يخرج شيء عن علمه وحكمته (مَا خَلَقَكُمْ وَلَا يَبْسُكُكُمْ إِلَّا كَنَفْسٍ وَاحِدَةٍ) خلقا وبعثا لأنه بكلمة كن فيكون (إِنَّ اللَّهَ سَمِيعٌ) يسمع كل مسموع (بَصِيرٌ) يبصر كل مبصر لا يشغله شيء عن شيء (أَلَمْ تَرَ) تعلم يا غاطبا (أَنَّ اللَّهَ يُولِجُ) يدخل (الْفَيْلَ فِي النَّهَارِ وَيُولِجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي الْفَيْلِ) فيزيد كل منهما بما نقص من الآخر (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا) منهما (يَجْرِي) في فلكه (إِلَى أَجَلٍ مُّسَمًّى) هو يوم القيامة (وَأَنَّ اللَّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ) ذَلِكَ) للذكور (بِأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْحَقُّ) الثابت (وَأَنَّ مَا يَدْعُونَ) بالياء والتاء : يبدون (مِنْ دُونِهِ الْبَاطِلُ) الزائل (وَأَنَّ اللَّهَ هُوَ الْعَلِيُّ) على خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (أَلَمْ تَرَ أَنَّ الْفُلُكَ) السفن (تَجْرِي فِي الْبَحْرِ يَبْعَثُ اللَّهُ لِيُرِيَكُمْ) يا غاطبين بذلك (مِنْ آيَاتِهِ) (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) عبرا (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن معاصي الله (شَكُورٍ) لنعمته (وَإِذَا غَشِيَهُمْ) أى هلا الكفار (مَوْجٌ كَالظُّلَلِ) كالجبال التى تظل من تحتها (دَعَوْا اللَّهَ خُفَاةِينَ لَهُ الدِّينَ) أى الدعاء بأن ينجيهم أى لا يدعون معه غيره (فَلَمَّا نَجَّيَهُمْ إِلَى الْبَرِّ فَنَّهُمْ مُّقْتَصِدٌ) متوسط بين الكفر والإيمان ، ومنهم باق على كفره (وَمَا يَجْعَدُ يَا يَاتِنَا) ومنها الإنجاء من الموج (إِلَّا كُلُّ خَتَّارٍ) غدار (كَفُورٍ) لنعم الله تعالى (بِأَيُّهَا النَّاسُ) أى أهل مكة (اتَّقُوا رَبَّكُمْ وَأَخْشَوْا يَوْمًا لَا يَجْزِي) يفي (وَالِدَ عَنْ وَلَدِهِ) فيه شيئا ،

ملجأ لكشف ما نزل بهم غيره تعالى (قوله متوسط بين الكفر والإيمان) المناسب تفسير المقتصد بالعدل الموفى بما عاهد الله عليه من التوحيد ليكون موافقا لسبب النزول فانها نزلت في عكرمة بن أبي جهل وذلك أنه هرب عام الفتح إلى البحر فجاءتهم ريح عاصف فقال عكرمة لئن أبحرنا الله من هذا لأرجعن إلى محمد صلى الله عليه وسلم ولا أضعن يدي في يده فسكن الريح فرجع عكرمة إلى مكة ناسم وحسن إسلامه (قوله ومنهم باق على كفره) أى وهو المشار إليه بقوله وما يجحد بآياتنا الخ (قوله غدار) أى لأنه تقص البهت ورجع إلى ما كان عليه (قوله اتقوا ربكم) أى امتثلوا أوامره واجتنبوا نواهيه (قوله لا يجزى والد عن ولده الخ) كل من الجلتين نعت لبوما ، والمعنى أن يوم القيامة يقول كل إنسان نفسى نفسى لأملك غيرها ولا يهتم بقرىب ولا بعيد وهذه الآية مخصوصة بالكفار ، وأما المسلمون فينتفعون من بعضهم فالأولاد تنفع الآباء والآباء تنفع الأولاد قال تعالى - والذين آمنوا واندعتهم دريائهم يا أيها الذين آمنوا ألقوا السلاح والسلام لأمته «أنا لا أغنى عنك من الله شيئا» فهو

تحذير لها من الكفر الذي به تنقطع الأنساب (قوله ولا مولود) مبتداً و هو مبتداً ثانٍ وجزء خبر الثاني وهو خبر خبر الأول أو معطوف على والد (قوله في حلمه وإمهاله) أشار بذلك إلى أن الباء سميية والكلام على حذف مضاف والأصل ولا يفرنكم بسبب حلم الله وإمهاله الفرور (قوله إن الله عنده علم الساعة الخ) نزل لما قال الحرث بن عمرو للنبي صلى الله عليه وسلم متى الساعة وأنا قد ألقيت الحب في الأرض فمتى السماء تمطر وامرأتى حامل فهل حملها ذكر أم أنثى وأى شيء عمله غدا ولقد علمت بأى أرض ولدت فبأى أرض أموت (قوله متى تقوم) أى وقت قيامها (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فيما قرأه تان سبعيتان (قوله بوقت يعلمه) أى وفى أى مكان ينزله (قوله وما تمرى نفس ماذا تكسب غداً) أى من حيث ذاتها وأما بإعلام الله للعبد فلا مانع منه كالأنبياء وبعض الأولياء قال تعالى - ولا يحيطون بشيء من علمه إلا بما شاء - وقال تعالى - عالم الغيب فلا يظهر على غيبه أحداً إلا من ارتضى من رسول - قال العلماء وكذا ولّى فلا مانع من كون الله يطلع بعض عباده الصالحين على بعض هذه الغيبات فتكون معجزة للنبي وكرامة للولى ولذلك قال العلماء : الحق أنه لم يخرج نبينا من الدنيا حتى أطلعه على تلك الخس ولكنه أمر (٣٤٤) بكنمها والحكمة في كونه تعالى أضاف العلم إلى نفسه في الثلاثة الأول ونفى

العلم عن العباد في الأخيرتين منها مع أن الخمسة سواء في اختصاص الله تعالى بعلمها ونفى علم العباد بها أن الثلاثة الأول أمرها عظيم لا يتوهم في الخلق صلها بخلاف الأخيرتين فهم من صفات العباد فربما يتوهمون علمها فإذا اتفق عنهم علمها كان انتفاء علمهم بغيرها أولى (قوله بأى أرض تموت) لم يقل بأى وقت تموت فيه لأن انتقال الانسان من مكان إلى آخر في وسعه واختياره فتوهمه علم

(وَلَا مَوْلُودٌ هُوَ جَازٍ عَنِ وَالِدِهِ) فِيهِ (شَيْئًا إِنْ وَعَدَ اللَّهُ حَقًّا) بِالْبَيْتِ (فَلَا تَفَرُّنَاكُمْ الْحَيَاةُ الدُّنْيَا) مِنَ الْإِسْلَامِ (وَلَا يَفَرُّنَاكُمْ بِاللَّهِ) فِي حُلْمِهِ وَإِمَهَالِهِ (الْفَرُورُ) الشَّيْطَانُ (إِنَّ اللَّهَ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ) مَتَى تَقُومُ (وَيُنْزِلُ) بِالْتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ (الْقَيْثُ) بَوَاقِيتُهُ (وَيَعْلَمُ مَا فِي الْأَرْحَامِ) أَذْكَرٌ أَمْ أُنْثَى وَلَا يَلْمُ وَاحِدًا مِنَ الثَّلَاثَةِ غَيْرَ اللَّهِ تَعَالَى (وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ مَّاذَا تَكْسِبُ غَدًا) مِنْ خَيْرٍ أَوْ شَرٍّ وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى (وَمَا تَذَرِي نَفْسٌ بِأَيِّ أَرْضٍ تَمُوتُ) وَيَعْلَمُهُ اللَّهُ تَعَالَى (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ) بِكُلِّ شَيْءٍ (خَيْرٌ) بَيَاطُنُهُ كُظَاهَرُهُ رَوَى الْبُخَارِيُّ عَنْ ابْنِ مَرْحُودٍ حَدِيثٌ «مَفَاتِحُ الْغَيْبِ خَمْسَةٌ إِنْ اللَّهُ عِنْدَهُ عِلْمُ السَّاعَةِ - إِلَى آخِرِ السُّورَةِ» .

(سورة السجدة)

مكية، وهي ثلاثون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ أَعْلَمُ بِمَرَادِهِ بِهِ (تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) الْقُرْآنَ مَبْتَدَأً (لَا رَيْبَ) مِنْكَ (فِيهِ) خَيْرٌ أَوَّلُ ،

مكان موته أقرب بخلاف الزمان ففيه تنبيه على انتفاء

علم الأقرب ليفهم منه علم الأبعد بالأولى (قوله إن الله عليم خير) أشار بذلك إلى أن علمه تعالى ليس مختصاً بهذه الأشياء المتقدمة بل هو عليم ببواطن الأشياء كظواهرها .

[سورة السجدة] أى التى ذكرت فيها السجدة (قوله مكية) ظاهراً أن جميعها مكية وقال غيره - إلا ثلاث آيات وقيل إلا خمس آيات أولها قوله : تتجافى جنوبهم آخرها قوله الذى كنتم به تكذبون ، وورد في فضلها أحاديث : منها ما في الصحيح عن ابن عباس « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يقرأ في صلاة الفجر يوم الجمعة الم - تنزيل الكتاب السجدة وهل أتى على الإنسان حين من الدهر » وقد أخذ بهذا الحديث الإمام الشافعي رضي الله عنه ولم يأخذه مالك لعدم استمرار العمل عليه ومنها « أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الم - تنزيل السجدة وتبارك الذى بيده الملك » وتسمى أيضاً للنجية لأنها أحد المنجيات السبع وهى هذه السورة ويس - والدخان والواقعة وهل أتى الملك والزوج ، ولما ورد عن خالد بن معدان أنه قال : اقروا المنجيات وهى الم - تنزيل فإنه بلغنى أن رجلاً كان يقرأ شيئاً غيرها وكان كثير الخطايا فنشرت جناحها عليه وقالت رب اغفر له فإنه كان يكثر قراءتى فشفيها الرب فيه وقال اكتبوا له بكل خطيئة حسنة وارفعوا له درجة ، (قوله تنزيل الكتاب) أى نزوله وعجيته

(من)

(قوله من رب العالمين) أي لفظا ومعنى (قوله خبر ثان) هذا أحسن الأعراب في هذا الوضع ويصح أن يكون حالا من ضمير الخبر (قوله أم يقولون افتراء) أم منقطعة تفسر ببل والهمزة عند البصريين والفسر قدرها ببل فقط وهو غير مناسب بدليل قوله : لا ، فانه إشارة إلى أن الاستفهام إنكارى مع أنه لم يذكر الهمزة ولعلها سقطت من قلم ناسخ البيضة (قوله بل هو الحق) إضراب انتقالي من نفي الافتراء عنه إلى إثبات حقيقته ويصح أن يكون إبطاليا لقولهم كأنه قيل ليس هو كما قالوا بل هو الحق وقولهم كل ما في القرآن من الإضراب انتقالي يحمل على غير هذا ، والمعنى أن القرآن محصور في الحق لا يخرج عنه لغيره واستفيد المحصر من الجملة المعرفة الطرفين (قوله لتندرون) هو فعل ينصب مفعولين الأول قوما ، والثاني محذوف قدره المفسر بقوله به وقدره غيره العقاب (قوله ما أتاكم من نذير من قبلك) جل للفسر الجملة منفية صفة لقوما ، واختلف في القوم فقيل المراد بهم العرب لأنهم أمة لم يأتهم نذير قبل محمد وتكون هذه الآية بمعنى قوله تعالى : لتندرون قوما ما أنذرتهم ، وقيل المراد بهم أهل الفترة الذين كانوا بين عيسى ومحمد عليهما السلام فيشمل بنى آدم برمتهم (قوله لعلهم يهتدون) الترجى بالنسبة له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى لتندرون قوما راجيا لا هتدائهم لا آيسامنه (قوله الله الذى خلق السموات والأرض) مبتدأ وخبر وهو شروع في ذكر أدلة توحيده سبحانه وتعالى (قوله أولها الأحد وآخرها الجمعة) أى على سبيل التوزيع غلق الأرض أولا في الأحد والاثنتين وخلق ما فيها في الثلاثاء والأربعاء وخلق السموات في الخميس والجمعة ، وفي ذلك إشكال وهو أن الأيام لم تكن معروفة إذ ذاك فضلا عن تسميتها لعدم وجود الشمس والأفلاك التى بها تعرف الأيام . وأجيب بأن المراد في مقدار ستة أيام كائنه في علمه تعالى بحيث تكون عند ظهورها لنا أولها الأحد وآخرها الجمعة ومقتضى هذا أنها كأيام الدنيا وبه قال الحسن ، وقال ابن عباس والضحاك اليوم منها مقداره ألف سنة (قوله سرير الملك) أى ومنه : قال نكروا (٢٤٥) لهاعرشها ، والمراد به هنا الجسم

النورانى المحيط بالعالم كله (قوله استواء يليق به) هذه إشارة لطريق السلف الذين يؤمنون بالمشابهة ويفوضون علمه لله تعالى وهو أسلم ولذا سلكه المفسر ، وطريقة الخلف يؤولون الاستواء بالاستقياء

(مِنْ رَبِّ الْعَالَمِينَ) خبر ثان (أَمْ) بل (يَقُولُونَ أَفْتَرَاءُ) محمد ؟ لا (بَلْ هُوَ الْحَقُّ مِنْ رَبِّكَ لَتُنذِرَ) به (قَوْمًا ، مَا) نافية (أَتَأْتُهُمْ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَهْتَدُونَ) بإنذارك (اللَّهُ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا فِي سِتَّةِ أَيَّامٍ) أولها الأحد وآخرها الجمعة (ثُمَّ أَسْتَوَى عَلَى الْعَرْشِ) وهو في اللغة سرير الملك استواء يليق به (مَا لَكُمْ) يا كفار مكة (مِنْ دُونِهِ) أى غيره (مِنْ وَلِيِّ) اسم ما بزيادة من ، أى ناصر (وَلَا شَفِيعَ) يدفع عذابه عنكم (أَفَلَا تَتَذَكَّرُونَ) هذا فتؤمنون (يُدَبِّرُ الْأُمُورَ مِنَ السَّمَاءِ إِلَى الْأَرْضِ)

والقهر إذ هو أحد معنى الاستواء . ومنه قول الشاعر :

قد استوى بشر على العراق من غير سيف ودم مہراق

وتقدم الكلام في هذا غير مرة (قوله ما لكم من دونه من ولى) هذا نتيجة ما قبله أى حيث ثبت أنه الخالق للسموات والأرض وما بينهما وهو المالك للعرش وما سوى فلا ولى ولا شفيع غيره (قوله يا كفار مكة) خصهم لأنهم سب نزول الآية وإلا فالعبارة بموم اللفظ (قوله اسم ما) أشار بذلك إلى أن ما حجازية وولى اسمها مؤخر ومن دونه خبرها مقدم وفيه أن شرط إعمالها الترتيب وهو مفقود هنا إلا أن يقال إنه مشى على قول ضعيف للنحويين من عدم اشتراطه في عملها والأحسن جعلها تيمية ومن دونه خبر مقدم وولى مبتدأ مؤخر لأن القرآن لا يبنى جملة على ضعيف (قوله أفلا تتذكرون) الهمزة داخلة على محذوف والقاء عاطفة عليه والتقدير أضفتم فلا تتذكرون (قوله يدبر الأمور) أى الشأن والحال ، والمعنى يتصرف في الخلق على طبق علمه ، وإرادته وهو القضاء والقدر المشار إليهما بقول الأجهورى :

إرادة الله مع التعاقب في أزل قضاؤه حقيق والقدر الإيجاد للأشياء وجه معين أرادته علا وبضهم قد قال معنى الأول العلم مع تعلق في الأزل والقدر الإيجاد للأمور على وفاق علمه المذكور

وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : كل يوم هو في شأن فاتصرف الذى يظهر في الخلق من حيث وجوده على طبق العلم والإرادة قدر ومن حيث تعلق علم الله وإرادته به قضاء فكل شئ بقضاء وقدر (قوله من السماء إلى الأرض) قال ابن عباس معناه ينزل القضاء والقدر ، وقيل ينزل الوحي مع جبريل وروى أنه يدبر أمر الدنيا أربعة جبريل وميكائيل وملاك الموت وإسرافيل صلوات الله عليهم أجمعين ، فأما جبريل فموكل بالآرياح والجنود ، وأما ميكائيل فموكل بالقطر والماء ، وأما ملك الموت فموكل بقبض الأرواح

وأما إسماعيل فهو يزل بالأمر عليهم ، وقد قيل إن العرش موضع التدبير كما أن مادون العرش موضع التفصيل قال تعالى : ثم استوى على العرش يدبر الأمر فصل الآيات ، ومادون السموات موضع التصريف (قوله مدة الدنيا) أى وهى كأورد سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم فى الألف السادس ومدة أمته تزيد على الألف سنة ولا تبليغ الزيادة عليها خمسمائة سنة كما ذكره السيوطى فى [الكشف عن مجاوزة هذه الأمة الألف] وهذا أحد أقوال تقدمت (قوله يرجع الأمر والتدبير إليه) أى ينتقل التصريف الظاهرى من أيدى العبيد يوم القيامة ويكون لله وحده ظاهرا وباطنا قال تعالى - لمن الملك اليوم لله الواحد القهار - (قوله لشدة أهواله الخ) هذا إشارة لوجه الجمع بين الآيتين : أى فالمراد من ذكر الألف وذكر الخمسين التنبيه على طوله والتخويف منه لا العدد المذكور بخصوصه ، وجمع أيضا بأن موقف القيامة خمسون موقفا كل موقف ألف ، فهذه الآية بينت أحد المواقف وآية سأل بينت المواقف كلها ، وهذا هو الأقرب ، وجمع أيضا بأن العذاب مختلف فيعذب الكافر بحسب من العذاب ألف سنة ثم ينقل إلى (٢٤٦) جنس آخر مدته خمسون ألف سنة (قوله من صلاة مكتوبة) صادق بصلاة

مدة الدنيا (ثُمَّ يَرْجُ) يرجع الأمر والتدبير (إِلَيْهِ فِي يَوْمٍ كَانَ مِقْدَارُهُ أَلْفَ سَنَةٍ مِمَّا تَعُدُّونَ) فى الدنيا ، وفى سورة سأل خمسين ألف سنة وهو يوم القيامة لشدة أهواله بالنسبة إلى الكافر ، وأما المؤمن فيكون أخف عليه من صلاة مكتوبة يصلها فى الدنيا كما جاء فى الحديث (ذَلِكَ) الخالق المدبر (عَالِمُ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) أى ما غاب عن الخلق وما حضر (الْعَزِيزُ) المنيع فى ملكه (الرَّحِيمُ) بأهل طاعته (الَّذِي أَحْسَنَ كُلَّ شَيْءٍ خَلَقَهُ) بفتح اللام فعلا ماضيا صفة وبسكونها بدل اشتغال (وَبَدَأَ خَلْقَ الْإِنْسَانِ) آدم (مِنْ طِينٍ) ثم جَعَلَ نَسْلَهُ ذُرِّيَّةً (مِنْ سُلَالَةٍ) علقه (مِنْ مَاءٍ مَهِينٍ) ضعيف هو النطفة (ثُمَّ سَوَّاهُ) أى خلق آدم (وَنَفَخَ فِيهِ مِنْ رُوحِهِ) أى جعله حيا حساسا بعد أن كان جهادا (وَجَعَلَ لَكُمُ) أى لذريته (السَّمْعَ) بمعنى الإسماع (وَالْأَبْصَارَ وَالْأَفْئِدَةَ) القلوب (قَلِيلًا مَّا تَشْكُرُونَ) مازائدة مؤكدة للقلة (وَقَالُوا) أى منكمرو البعث (أَنَّا ضَالَّةٌ فِي الْأَرْضِ) غيبنا فيها بأن صرنا ترابا مختلطا بترابها (أَنَّا لَنَبْدُ لَكَ لَبْدًا) استنهام إنكارى بتحقيق الممترتين وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين فى الموضعين قال تعالى (بَلْ هُمْ بِلِقَائِ رَبِّهِمْ) بالبعث (كَافِرُونَ) قل لهم (يَتَوَفَّاكُم مَلَكُ الْمَوْتِ الَّذِي ذُكِّرَكُمْ بِكُمْ) أى قبض أرواحكم (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ تُرْجَعُونَ) أحياء ،

الصحيح فهو فى حق المؤمن قصير جدا (قوله ذلك) مبتدأ وعالم خبر أول والعزير خبر ثان والرحيم خبر ثالث والذى أحسن خبر رابع وهذه قراءة العامة وقرئ شذوذا برفع عالم وخفض العزيز الرحيم على أنهما بدلان من الهاء فى إليه وقرئ أيضا بجزء عالم وما بعده وخرجت على جعل اسم الإشارة فاعلا ليعرج وعالم وما بعده بدل من الضمير فى إليه (قوله الذى أحسن) أى أحكم وأتقن (قوله صفة) أى لكل أولئى (قوله وبسكونها) أى وهما

فيجاز بكم

قراءتان سبعيتان (قوله بدل اشتغال) أى من كل شئ (قوله ذريته) سميت نسلا لأنها

تفصل أى تفصل (قوله أى خلق آدم) أشار بذلك إلى أن الضمير فى سواء عائد على آدم ويصح أن يكون عائدا على النسل ويكون المعنى سوى أعضائه فى الرحم وصورها بعد أن كان يشبه الجراد حيث كان نطفة ثم علقه ثم مضغه (قوله من روحه) الإضافة للتشريف (قوله أى الذرية) فيه التفات من الغيبة إلى الخطاب والنسبة أن الخطاب إنما يكون مع الحى فلما نفخ فيه الروح حسن خطابه (قوله وقالوا أنذا ضالنا) حكاية لبعض قبائحهم وأباطيلهم وقرأ العامة ضالنا بضاد مغجمة ولام مفتوحة بمعنى ذهبنا وقرئ شذوذا بكسر اللام وضم الضاد وكسر اللام مشددة (قوله وإدخال ألف بينهما) أى وتركه فتكون القراءات أربعة سبعيات (قوله فى الموضعين) أى وهما أنذا ضالنا أننا (قوله بل هم بلى أى هم بلى أى هم بلى أى هم بلى) انتقال من جحدم البعث إلى جحدم لقاء الله بالمرّة (قوله قل لهم) أى للكفار وخصهم بالذکر لوجود التشنيع بعد ذلك (قوله يتوفاكم ملك الموت) أسند التوفى فى هذه الآية لملك الموت وفى آية الأنعام للرسول وفى الزمر لله تعالى ولا منافاة بينها لما هنا محمول على مباشرة أخذها حتى تصل للحلوقم

وما في الأنعام محمول على معالجة أعوان عزرائيل لمن امر قبض روحه فلن البشر لأخراجها من الظفر إلى الخلقوم أعوانه وما في الزمر محمول على الحقيقة فان التوفى حقيقة هو الله تعالى روى «إن الدنيا جعلت لك الموت مثل راحة اليد فأخذ منها من شاء أخذها من غير مشقة» فهو يقبض أرواح الخلق من مشارق الأرض ومغاربها ، وله أعوان من ملائكة الرحمة وملائكة العذاب وروى «أن خطوته ما بين الشرق والغرب» وروى «أنه جعلت له الأرض مثل الطشت يتناول منه حيث يشاء» وقيل إنه على معراج بين السماء والأرض ، وقيل إن له حربة تبلغ ما بين الشرق والغرب وهو يتصفح وجوه الناس فما من أهل بيت إلا وملاك الموت يتصفحهم في كل يوم مرتين فإذا رأى إنسانا قد انقضى أجله ضرب رأسه بتلك الحربة ، وقال له الآن ينزل بك عسكر الموت (قوله فيجازيكم بأعمالكم) أى عليها من خير وشر (قوله ولو ترى) الخطاب لكل أحد عن صلح له (قوله) ناكسوا رؤسهم (قوله وممنا منك تصديق الرسل) أى فيها أخبرونا به من الوعد والوعيد (قوله إنا موقنون الآن) أى آمننا في الحال ، ويحتمل أن اللحن لم يقع منا للشرك كقولهم : والله ربنا ما كنا مشركين (قوله لرايت أمرافطيا) أى شفيها هيبا (قوله هذاها) أى إيمانها . والحن لو أردنا خلق كل نفس على الإيمان والطاعة لخلقنا ذلك (قوله ولكن حق القول منى) أى ثبت وتقرر وعيدى (قوله من الجنة) قدمهم (٢٤٧) لأن دخول الجن النار أكثر من

الانس (قوله أى بترككم الإيمان) أشار بذلك إلى أن المراد بالنسيان الترك (قوله وذوقوا عذاب الخلد) تكرره لبيان مفعول ذوقوا الأول (قوله بما كنتم تعملون) أى بسبب عملكم (قوله إنا نؤمن بآياتنا الخ) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم على بقاء من كفر على كفره كان الله يقول لنبيه لا تخزن فان أهل الإيمان مجبولون على الانعاط بالقرآن وأهل

فيجازيكم بأعمالكم (وَلَوْ تَرَى إِذِ الْمُجْرِمُونَ) الكافرون (نَاكِسُوا رُءُوسِهِمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ) مطأطئوها حياء يقولون (رَبِّئَا أَبْصَرْنَا) ما أنكرنا من البعث (وَمِمَّنَّا) منك تصديق الرسل فيما كذبناهم فيه (فَأَرْجِفْنَا) إلى الدنيا (نَمْلًا صَالِحًا) فيها (إِنَّا مُوقِنُونَ) الآن فما يفهم ذلك ولا يرجعون ، وجواب لو رايت أمرأ فظيما ، قال تعالى (وَلَوْ شِئْنَا لَآتَيْنَا كُلَّ نَفْسٍ هُدًى) فتهدى بالإيمان والطاعة باختيار منها (وَلَكِنْ حَقَّ الْقَوْلُ مِنِّي) وهو (لَأَمْلَأَنَّ جَهَنَّمَ مِنَ الْجِنَّةِ) الجن (وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ) وتقول لهم الخزنة إذا دخلوها (فَذُوقُوا) العذاب (بِمَا نَسِيتُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا) أى بترككم الإيمان به (إِنَّا نَسِينَاكُمْ) تركناكم في العذاب (وَذُوقُوا عَذَابَ الْخُلْدِ) اللطم (بِمَا كُفَّمْتُمْ) من الكفر والتكذيب (إِنَّمَا يُوْمِنُ بِآيَاتِنَا) للقرآن (الَّذِينَ إِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا (بِهَا خَرُّوا سُجَّدًا وَسَبَّحُوا) ملتبسين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) أى طلوا سبحانه الله وبحمده (وَهُمْ لَا يَسْتَكْبِرُونَ) عن الإيمان والطاعة (تَتَجَافَى جُنُوبُهُمْ) ترتفع (عَنِ الْمَضَاجِعِ) مواضع الاضطجاع بفرشها ،

السفر مجبولون على عدم الانعاط به فالخلق فريقان في علم الله (قوله القرآن) استشكل ظاهر تلك الآية بأنه يقتضى مدح كل من مع القرآن واتعظ به ويسجد لله وإن لم يكن له موضع سجود . وأجيب بأن السنة بينت مواضع السجود في القرآن فمدح المتعظين بالقرآن في كل آية للساجدين في مواضع السجود (قوله خروا سجدا) أى على وجوههم تعظيما لآياته وامتنالا لأمره وخص السجود بالله كراهة غاية الدل والحضوع وهو لا يكون إلا لله وفعله لغيره كفر ولأنه روح الصلاة وأعظم أركانها ولأنه يقرب العبد من الله تعالى لما في الحديث «أقرب ما يكون العبد من ربه وهو ساجد» (قوله ملتبسين بحمد ربهم) أى جمعوا في سجودهم بين التنزيه والحمد فالتنزيه حاصل بوضع الأعضاء على الأرض وبقولهم سبحانه الله ، والحمد لله حاصل بقولهم وبحمده فالسجود يطلب فيه التسبيح والتحميد ويطلب فيه أيضا الدعاء ، ومما ورد فيما يقال في سجدات القرآن : اللهم اكتب لى بها أجرا وضع عني بها وزرا واجعلها لى عندك ذخرا وتقبلها منى كما تقبلتها من عبدك داود عليه السلام (قوله وهم لا يستكبرون) أى لا يتكبرون ولا يأنفون (قوله تتجافى جنوبهم) أسند التجافى للجنوب لأن الواعظ الذى يسجد سببا في القيام للصلاة ونحوها من جهة الجنوب وهو القلب فالإنسان إذا كان مشغولا بربه سخط عليه واعظ في قلبه يقلقه فيكون قليل النوم والمجوع . قال تعالى - كانوا قليلا من الليل ما يهجعون - فإذا اضطجع قصد بذلك التقوى على التيسام والخدمة

وبالجملة فتكون جميع أعماله دائرة بين الواجب والندوب (قوله لصلاتهم بالليل) أى لما فيها من نور القلب ورضا الرب لما فى الحديث « مازال جبريل يوصى بقيام الليل حتى علمت أن خيار أمتي لا ينامون » (قوله فلا تعلم نفس) أى لملك مقرب ولأنه مرسل فضلا عن غيرهم ، والمعنى لا تعلم ذلك تفصيلا وإلا فتحن نعلمه إجمالا كالأشجار والأنهار والغرف والجور والولدان وغير ذلك لأن عطاء الجنة لا تحيط به العقول فى الحديث « لموضع سوط فى الجنة خير من الدنيا وما فيها » (قوله من قرءة أعين) أى سرورها وفرحها فلا يلتفتون لغيره (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعة أيضا (قوله مضارع) أى والفاعل مستقر تقديره أنا فى الحديث « أعددت لعبادى الصالحين ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر » (قوله جزاء) مفعول مطلق أو مفعول لأجله (قوله أفئن كان مؤمنا الخ) سبب نزولها أنه كان بين على بن أبى طالب وعقبة بن أبى معيط تنازع فقال الوليد بن عقبة لعلى اسكت فانك مى وأنا والله أبسط منك لسانا وأشجع منك جناحا وأملا منك حشوا فى الكتبية فقال على اسكت فانك فاسق ، وهذه الآية بمعنى قوله تعالى : أفجعل المسلمين كالمجرمين ، أم حسب الدين اجتروا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات (قوله كمن كان) (قوله لا يستنون) (قوله فاسقا) أى كافرا (قوله لا يستنون) أى فى المال ، وقد راى

اللعنى فجمع لأن الراد للفريق فى كل ، وروى أنه صلى الله عليه وسلم كان يعتمد الوقف على قوله فاسقا ويتسدى بقوله لا يستنون (قوله أما الذين آمنوا وعملوا الصالحات) تفصيل لما أجمل أولا (قوله نزلا) أى مهيأة ومعدة لا كرامهم كانهيا التحف للضيف النازل بالكرام (قوله بما كانوا يعملون) أى بسبب كونهم يعملون الصالحات (قوله وأما

لصلاتهم بالليل تهجداً (يَعُونَ رَبَّهُمْ خَوْفاً) من عقابه (وطمعاً) فى رحمته (وَمِمَّا رَزَقْنَاهُمْ يُنْفِقُونَ) يتصدقون (فَلَا تَعْلَمُ نَفْسٌ مَّا أُخْفِيَ) خبي (لَهُمْ مِنْ قُرَّةِ أَعْيُنٍ) ما تقر به أعينهم وفى قراءة يسكون الياء مضارع (جَزَاءُ) بما كانوا يعملون . أَفئن كَانَ مُؤْمِنًا كَمَن كَانَ فَاسِقًا لَا يَسْتَوُونَ (أى المؤمنون والفاسقون) (أَمَّا الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ فَلَهُمْ جَنَّاتُ الْمَأْوَى نُزُلًا) هو ما بعد الضيف (بِمَا كَانُوا يَعْمَلُونَ . وَأَمَّا الَّذِينَ فَسَقُوا) بالكفر والتكذيب (فَأُؤْتُواهُمُ النَّارُ كُلَّمَا أَرَادُوا أَنْ يَخْرُجُوا مِنْهَا أُعِيدُوا فِيهَا وَقِيلَ لَهُمْ ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّذِى كُنْتُمْ بِهِ تُكَذِّبُونَ . وَلَنَذِيقَنَّاهُمْ مِنَ الْعَذَابِ الْأَذَى) عذاب الدنيا بالقتل والأسر والجذب سنين والأمراض (ذُونَ) قبل (الْعَذَابِ الْأَكْبَرِ) عذاب الآخرة (لَعَلَّهُمْ) أى من بقى منهم (رَجَعُونَ) إلى الإيمان (وَمَنْ أَظْلَمُ مِمَّنْ ذُكِّرَ بِآيَاتِ رَبِّهِ) القرآن (ثُمَّ أَعْرَضَ عَنْهَا) أى لا أحد أظلم منه (إِنَّا مِنَ الْمُجْرِمِينَ) أى للمشركين (مُنْتَقِمُونَ . وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى الْكِتَابَ) التوراة (فَلَا تَسْكُنْ فِي مِثْرَيةٍ) شك (مِنْ لِقَائِهِ) وقد التقيا ليلة الإسراء (وَجَعَلْنَاهُ) أى موسى أو الكتاب (هُدًى) هادياً (لِبَنِي إِسْرَائِيلَ

وجعلنا

وهملوا السيئات إشارة إلى ان مجرد الكفر كاف فى الخاود فى النار فلا تنفكات إلى الاعمال معه

وأما العمل الصالح فله مع الإيمان تأثيرا فخره به (قوله فأوام النار) أى مسكنهم ومنزلهم (قوله كلما أرادوا الخ) بيان لكون النار مأوام . روى « أن النار قصر بهم فيرفعون إلى طبقاتها حتى إذا قربوا من بابها وأرادوا أن يخرجوا منها يضر بهم لها فيهبون إلى قمرها وهكذا يفعل بهم أبدا » (قوله وقيل لهم) عطف على أعيدوا والقاتل لهم الحزنة (قوله الذى كنتم به تكذبون) صفة لعذاب وعبر هنا بالتذكير نظرا للضاف وهو العذاب وفى سبأ بالتأنيث نظرا للضاف إليه وهو النار (قوله والجذب سنين) أى بمكة سبع سنين حتى أكلوا فيها الحيف والعظام والكلاب (قوله أى من بقى منهم) أى بعد القحط وبعد يوم بدر والترجى فى القرآن بمنزلة التحقيق وقد تحقق ذلك عند الفتح (قوله ومن أظلم الخ) هذا بيان إجمالى لحال المكذب إثر بيانه تفصيلا (قوله ثم أعرض عنها) أى ترك الإيمان بها (قوله أى لأحد الخ) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله ولقد آتينا موسى الكتاب) الحكمة فى ذكر موسى قربه من النبى ووجود من كان على دينه لتقوم الحجة عليهم (قوله وقد التقيا ليلة الإسراء) أى فى الأرض عند الكتيب الأحمر وهو قائم صلى فى قبره وفى السماء السادسة كأورد بذلك الحديث ، وفى كلامه إشارة إلى أن الضمير فى لقائه محدد على موسى والمصدر مضاف لمفعوله أى من لقائك موسى ليلة الإسراء وهو أقوى الاحتمالات فى هذا للوضع .

(قوله وجعلنا منهم أئمة) أى وهم الأنبياء الذين كانوا فى بنى إسرائيل أو أتباع الأنبياء (قوله وإبدال الثانية ياء) تقدم أنها سبعية لكن من طريق الطيبة لأن طريق الشاطبية (قوله لما صبروا) أى تحملوا الشاق فالصبر عواقبه خير كما قيل :
الصبر كالصبر مرة فى مذاقته لكن عواقبه أحلى من العسل والمعنى جعلنا منهم أئمة حين صبروا (قوله وكانوا) عطف على صبروا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا وخرجت على جعل اللام لتعطيل وما مصدرية أى جعلناهم أئمة لأجل صبرهم (قوله بينهم) أى المؤمنين والمشركين أو بين الأنبياء وأئمتهم (قوله أولم يهد لهم) الحمزة داخله على حذف الواو عاطفة عليه والتقدير أغفلوا ولم يبين لهم الخ (قوله من القرون) من بيانية لكم ومن قبلهم حال من القرون (قوله إن فى ذلك) أى المذكور من كثرة إهلاك الأمم الحالية (قوله اليابسة التى لانبث فيها) أى التى (٢٤٩) قطع وأزيل بالمره فالجزر معناه

القطع ، سميت الأرض اليابسة بذلك لقطع النبات منها ، وقيل المراد بالجزر وضع باليمن (قوله تأكل منه أنعامهم وأنفسهم) قدم الأنعام لأن أكلها مقدم لكونها تأكله قبل أن يجر (قوله ويقولون متى هذا الفتح) سبب نزولها أن المسلمين كانوا يقولون إن الله سيفتح لنا على المشركين ويفصل بيننا وبينهم وكان أهل مكة إذا سمعوا يقولون بطريق الاستعجال تكذبا واستهزاء متى هذا الفتح (قوله قل يوم) الفتح المراد به يوم القيامة لأنه يوم الفصل بين المؤمنين والكافرين (قوله لا ينفع الذين كفروا

وَجَعَلْنَا مِنْهُمْ أُمَمًا) بتحقيق المبرتين وإبدال الثانية ياء : قادة (يَهْدُونَ) الناس (بِأَمْرِنَا) كَمَا صَبَرُوا) على دينهم وعلى البلاء من عدوهم (وَكَانُوا بِآيَاتِنَا) الذالة على قدرتنا ووحدانيتنا (يُوقِنُونَ) وفى قراءة بكسر اللام وتخفيف الميم (إِنَّ رَبَّكَ هُوَ يَفْصِلُ بَيْنَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ فِيمَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ) أى يبين لكفار مكة إهلاكنا كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم بكفرهم (يَمْشُونَ) حال من ضمير لهم (فِي مَسَاكِينِهِمْ) فى أسفارهم إلى الشام وغيرها فيعتبروا (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ) دلالات على قدرتنا (أَفَلَا يَسْمَعُونَ) سماع تدبر واتعاظ (أَوَلَمْ يَرَوْا أَنَّا نَسُوقُ الْمَاءَ إِلَى الْأَرْضِ الْجُرُزِ) اليابسة التى لانبث فيها (فَنَخْرِجُ بِهِ زَرْعًا تَأْكُلُ مِنْهُ أَنْفُسُهُمْ وَأَنْفُسُهُمْ أَفَلَا يُبْصِرُونَ) هذا فيطمون أنا قادر على إعادتهم (وَيَقُولُونَ) المؤمنون (مَتَى هَذَا الْفَتْحُ) بيننا وبينكم (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) قُلْ يَوْمَ الْفَتْحِ) بإزالة العذاب بهم (لَا يَنْفَعُ الَّذِينَ كَفَرُوا إِيْمَانُهُمْ وَلَا هُمْ يُنْظَرُونَ) يهلون لتوبة أو معذرة (فَأَعْرِضْ عَنْهُمْ وَانْتَظِرِ) إزال العذاب بهم (إِنَّهُمْ مُنْتَضِرُونَ) بك حادث موت أو قتل فيستريحون منك وهذا قبل الأمر بقتلهم ،

(سورة الأحزاب)

مدنية ، ثلاث وسبعون آية

إيمانهم) أى لأن الإيمان المقبول هو الذى يكون فى الدنيا ولا يقبل بعد خروجهم منها (قوله ولا هم ينظرون) أى يؤخرون وقوله أو معذرة أى اعتذارا (قوله فأعرض عنهم) أى أتركهم ولا تعرض لهم (قوله وهذا قبل الأمر بقتلهم) أى فهو منسوخ بآية الجهاد ، ويحتمل أن الآية محكمة ، ومعنى فأعرض عنهم أى أقبل عذر من أسلم منهم وأترك ما هو عليه ، وقد وقع منه ذلك فقد عفا عن وحشى حين أسلم بعد قتله حمزة صلى الله عليه وسلم وعن جميع من دخل عليهم مكة عام الفتح .

[سورة الأحزاب] أى التى ذكر فيها قصة الأحزاب ، وهذه السورة اشتملت على مدح النبي والصادقين من أصحابه والشنيع على المنافقين وذمهم ، وكانت هذه السورة قد رُسورة البقرة وكانت فيها آية الرجم الشيخ والشيخة إذا زنيا فارجموهما البتة نكالا من الله والله عزيز حكيم فأتى الله منها ما هو بأيدينا ورفع الزائدة خلافا للروايف حيث كانوا زعموا أن تلك الزيادة كانت فى صحيفة فى بيت عائشة فأكلها الجاهن (قوله مدنية) أى باجماع . [٣٢ - صاوى - ثالث]

(قوله يا أيها النبي) لم يخاطبه الله كما خاطب غيره من الأنبياء حيث قال ياموسى يا عيسى ياداد لكونه صلى الله عليه وسلم أفضل الخلق على الإطلاق غطابه بما يشعر بالتعظيم والاحلال حيث قال يا أيها النبي يا أيها الرسول وإن ذكر اسمي صريحا أوردته بما يشعر بالتعظيم حيث قال : محمد رسول الله ، وما محمد إلا رسول إلى غير ذلك (قوله أى دم على تقواه) دفع بذلك ما يقال إن الآية تحصيل الحاصل ، وسبب نزول هذه الآية أن أبا سفيان بن حرب وعكرمة بن أبي جهل وأبا الأعور عمرو بن سفيان السلمى قدموا المدينة فنزلوا على عبد الله بن أبي راس المنافقين بعد قتال أحد وقد أعظم النبي صلى الله عليه وسلم الأمان على أن يكلموه فقام معهم عبد الله بن سعد بن أبي سرح وطعمة بن أيرق فقالوا للنبي صلى الله عليه وسلم وعنده سمر بن الخطاب رضى الله عنه أرفض ذكر آلمتنا اللات والعزى ومناة وقل إن لها شفاعة لمن عبدها وتدعك وربك فسق ذلك على النبي صلى الله عليه وسلم فقال عمر يارسول الله إنذن لنا فى قتلهم فقال إني أعطيتهم الأمان فقال عمر اخرجوا فى لعنة الله وغضبه فأمر النبي عمر أن يخرجهم من المدينة (قوله إن الله كان عليا حكيمًا) تعليل للأمر والنهاى (قوله إن الله كان بما يعملون خبيرا) الواو ضمير الكفرة والمنافقين على قراءة الاحتائية وضمير النبي وأمنه على قراءة الفوقانية وهما قراءتان سبعيتان (قوله وتوكل على الله) أى اعتمد عليه (٢٥٠) وتوكل أمورك إليه (قوله وكفى بالله وكيلًا) الباء زائدة فى فاعل

سكنى روكيلا حال (قوله) تبع له فى ذلك) أى فيما ذكر من قوله : اتق الله إلى هنا (قوله من قلبين فى جوفه) أى لأن القلب عليه مدار قوى الجسد فيمتنع تعدده لأنه يؤدى للتناقض وهو أن يكون كل منهما أصلا لكل قوى الجسد وغير أصل له (قوله ردا على من قال إلخ) أى وهو أبو معمر جميل بن معمر الفهرى كان رجلا ليبيًا حافظا

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ اتَّقِ اللَّهَ) (دم على تقواه) (وَلَا تُطِعِ الْكَافِرِينَ وَالْمُنَافِقِينَ) فيما يخالف شريعتك (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلِيمًا) بما يكون قبل كونه (حَكِيمًا) فيما يخلفه (وَاتَّبِعْ مَا يُوحَىٰ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أى القرآن (إِنَّ اللَّهَ كَانَ بِمَا يَمْكُرُونَ خَبِيرًا) وفى قراءة بالفوقانية (وَتَوَكَّلْ عَلَى اللَّهِ) فى أمرك (وَكَفَىٰ بِاللَّهِ وَكِيلًا) حافظًا لك ، وأمنه تبع له فى ذلك كله (مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبَيْنِ فِي جَوْفِهِ) رداً على من قال من الكفار إن له قلبين يعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد (وَمَا جَعَلَ أَرْزَاقَكُمْ إِلَّا إِلَيْنَا) بهمة وياه وبلاياه (تَطْهَرُونَ) بلا ألف قبل الهاء وبها ، والثاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء (مِنْهُمْ) بقول الواحد مثلاً لزوجته : أنت على كظهر أمى (أُمَهَاتِكُمْ) أى كالأمهات فى تحريمها بذلك لمد ذلك فى الجاهلية طلاقاً ، وإنما تجب به الكفارة بشرطه كما ذكر فى سورة المجادلة (وَمَا جَعَلَ أَذْعِيَاءَكُمْ) ،

لما يسمع فقات قریش محافظ أبو معمر هذه الأشياء إلا من أجل أن له قلبين ، وكان هو يقول : جمع لى قلبان أعقل بكل منهما أفضل من عقل محمد ، فلما هزم الله المشركين يوم بدر انهمز أبو معمر فلقبه أبو سميان وإحدى نعليه بيده والأخرى برجله فقال له يا أبا معمر ما حال الناس ؟ قال انهزموا فقال ما بال إحدى نعليك فى يدك والأخرى فى رجلك ؟ فقال أبو معمر ما شعرت إلا أنهما فى رجلى ، فعلموا يومئذ أنه لو كان له قلبان لما نسى نعله فى يده (قوله بهمة وياه وبلاياه) أى فهما قراءتان سبعيتان وهو جمع التى ، قال ابن مالك * اللات واللاء التى قد جمعها * (قوله بلا ألف قبل الهاء) أى فأصله تطهرون بتاء من سكنت الثانية وقلبت ظاء وأدغمت فى الظاء (قوله وبها والثاء الثانية فى الأصل مدغمة فى الظاء) أى فهاتان قراءتان سبعيتان رتقى قراءتان سبعيتان أيضا وهما فتح الثاء والهاء مع تخفيف الظاء وأصلها بتاء من حذف إحداها وضم الثاء وكسر الهاء مع تخفيف الظاء أيضا مضارع ظاهر ، وهذه القراءات واردة فى قد سمع أيضا غير فتح الثاء والهاء مع تخفيف الظاء لأن للمضارع هناك مبدوء بالياء فلا تنأى فيه وفى الباضى ثلاث لغات تظهر كشكلم وتظاهر كقتال وظاهر كقتال (قوله بقول الواحد مثلاً لزوجته إلخ) أى وضابطه أن يشبه زوجته كلا أو بضاً بظهر مؤبدة التحريم (قوله أمهاتكم) مفعول ثان لجعل (قوله شرهه) أى وهو العزم على العود فإن لم يزم على العود فلا تجب عليه الكفارة ما لم يمسه ولا تحتتمت عليه ولو طلقها بذلك (قوله راجل أدهياءكم) نزلت فى حق زيد بن حارثة ، وهو كما روى كان من سبايا الشام فاشتره حكيم بن حزام بن خويلد

فوهبه لعمته حديجة بنت خويلد فوهبته خديجة للنبي صلى الله عليه وسلم فأعتقه وتبناه فأقام عنده مدة ثم جاء عنده أبوه رحمه في فداءه فقال لهما النبي صلى الله عليه وسلم: خيرا فاختار الرق مع رسول الله صلى الله عليه وسلم على حريته وقومه ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم عند ذلك : يا معشر قريش اشهدوا أنه ابن يرثي وأرثه ، وكان يطوف على حلق قريش يشهدهم على ذلك فرضى ذلك عمه وأبوه وانصرفا فزوجه رسول الله صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش فكنيت معه مدة ثم أخبر الله نبيه أنه زوجه زينب فلما طلقها زيد تزوجها رسول الله فكلّم المنافقون وقالوا تزوج محمد حليّة ابنه وهو يعثر بها فزلت هذه الآية ردّا عليهم ، وستأتي هذه القصة في أثناء السورة (قوله جمع دعى) أى بمعنى مدعوا وأصله دعيو اجتمعوا الواو والياء وسبقت احداها بالسكون قلبت الواو ياء وأدغمت في الياء (قوله أى اليهود) تفسير للكاف في أفواهكم (قوله ادعواهم لآبائهم) روى أن عمر بن الخطاب قال : ما كنا ندعو زيد بن حارثة إلا زيد ابن محمد حتى نزلت - ادعواهم لآبائهم - (قوله هو أقسط) أى دعاؤهم لآبائهم أبلغ في العدل والصدق (قوله فإخوانكم في الدين) أى فادعواهم بمادة الأخوة بأن تقولوا له يا أخى مثلا (قوله بنوعكم) تفسير للوالى فإنه يطلق على معان من جملتها ابن الم ، والمعنى إذا لم تعرفوا نسب شخص وأردتم خطابه فقولوا له يا ابن عمى مثلا (قوله وليس عليكم جناح) أى إثم (قوله ولكن ما تعمدت) أى ولكن الجناح (٢٥١) فيما نعدته قلوبكم (قوله النبي

أولى بالمؤمنين من أنفسهم) أى أنه صلى الله عليه وسلم أحق بكل مؤمن من نفسه كان في زمنه أولا فطاعة النبي مقدمة على طاعة النفس في كل شئ من أمور الدين والدنيا لأنها طاعة الله . قال تعالى - من بطع الرسول فقد أطاع الله - وإذا كان أولى بهم من أنفسهم فهو أولى بمالهم وأولادهم وأزواجهم من أنفسهم بالأولى لحقه صلى الله عليه

جمع دعى وهو من يدعى لغير أبيه ابنا له (أَبْنَاءُكُمْ) حقيقة (ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ) أى اليهود والمنافقين قالوا لما تزوج النبي صلى الله عليه وسلم زينب بنت جحش التي كانت امرأة زيد بن حارثة الذي تبناه النبي صلى الله عليه وسلم قالوا تزوج محمد امرأة ابنه فأكذبهم الله تعالى في ذلك (وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ) في ذلك (وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ) سبيل الحق ، لكن (ادْعُوهُمْ لِآبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ) أعدل (عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا آبَاءَهُمْ فإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيكُمْ) بنوعكم (وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ) في ذلك (وَلَكِنْ) في (مَا تَعَمَّدَتْ قُلُوبُكُمْ) فيه وهو بعد النهي (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما كان من قولكم قبل النهي (رَحِيمًا) بكم في ذلك (النَّبِيُّ أَوْلَىٰ بِالْمُؤْمِنِينَ مِنْ أَنفُسِهِمْ) فيما دعاهم إليه ودعاهم أنفسهم إلى خلافه (وَأَزْوَاجُهُ أُمَّهَاتُهُمْ) في حرمة نكاحهم عليهم (وَأُولُوا الْأَرْحَامِ) ذوو القرابات (بَعْضُهُمْ أَوْلَىٰ بِبَعْضٍ) في الإرث (فِي كِتَابِ اللَّهِ مِنَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُهَاجِرِينَ) أى من الارث بالايمان والمهجرة الذي كان أول الاسلام ففسخ (إِلَّا) لكن (أَنْ تَقْعَدُوا إِلَىٰ أُولِيَائِكُمْ مَعْرُوفًا)

وسلم على أمته أعظم من حق السيد على عبده ، وهذه الآية أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم هو الواسطة العظمى في كل نعمة وصلت للخلق (قوله فيما دعاهم إليه) أى من أمور الدين أو الدنيا أو الآخرة فإذا طلب النبي شيئا من أمر الدنيا أو الدين وطلبت النفس خلافه فالحق في الطاعة للنبي وحينئذ فلا يتأتى من النبي النصب ولا السرقة ولكن من كمال أخلاقه أنه كان يتدأين من اليهود ويشترى الشيء بالثمن ، وإجماعه الله أولى بالمؤمنين لأنه صلى الله عليه وسلم لا يفعل شيئا عن هوى نفسه بل عن وحى جميع أفعاله وأقواله عن ربه (فواؤه وأزواجه أمهاتهم) أى من عقد عليهن سواء دخل بهن أولا مات عنهن أو طلقتهن وسرايه الاتى تمتع بهن كذلك (قوله في حرمة نكاحهم عليهم) أى والتعظيم والاحترام والبر لا في غير ذلك من النظر والحلاوة فانهن في ذلك كالأجانب (قوله وأولو الأرحام) مبتدأ و بعضهم بدل أو مبتدأ ثان وأولى خبر (قوله في الارث) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف . والتقدير الأقارب أولى بآرث بعضهم من أن يرثهم المؤمنون والمهاجرون الأجانب (قوله أى من الارث بالايمان والمهجرة) أشار بذلك إلى أن قوله من المؤمنين متعلق بأولى ، يعنى أن الأقارب أولى بآرث بعضهم من الارث بسبب الايمان والمهجرة الذي كان في صدر الاسلام ، وذلك أن النبي صلى الله عليه وسلم كان يؤاخى بين الرجلين فإذا مات أحدهما ورثه الآخر دون عصبته حتى نزلت وأولو الأرحام بعضهم أولى ببعض (قوله إلا أن تفعلوا) استثناء منقطع ولما فسر له بل لكن (قوله إلى أوليائكم) أى من

إلهائه من الأجانب (قوله بوضعية) أى فلما نسخ الارث بالايمان والمجرة توصل إلى نفع الأجانب بالوضعية وهى خارجة من تلك الحال (قوله مسطوراً) أى مكتوباً (قوله وإذ أخذنا) ظرف لمحدوف قدره بقوله اذ كر (قوله وهى أصغر النمل) أى فى كل أرباب من منها أصغر من جناح بموضة (قوله بأن يعبدا الله) أى يوحده وهو تفسير للميثاق (قوله ويدعوا إلى عبادته) أى يبلغوا وأشرأله الخلق فعهد الأنبياء ليس كعهد مطلق الخلق (قوله من عطف الخاص على العام) أى والنسكة كونهم أولى العزم ومشاهير الرسل وقدمه صلى الله عليه وسلم لمزيد شرفه وتعظيمه (قوله بما حملوه) أى وهى عبادة الله والدعاء إليها (قوله وهواليمين) أى الحلف بالله على أن يعبدا الله ويدعوا إلى عبادته فالميثاق الثانى غير الأول لأن الأول لإصاء على التوحيد والدعوة إليه من غير يمين والثانى مطلق باليمين والشئ مع غيره غير فى نفسه (قوله ليسأل الصادقين) متعلق بأخذنا وفى الكلام التفات من التكلم للغبية كما أشار له للفسر بقوله ثم أخذ للميثاق والراد بالصادقين الرسل (قوله تبيكتنا للكافرين) أى تقبيحنا عليهم: أى فالمسكة فى سؤال الرسل عن صدقهم وهوتبليغهم ما أمروا به مع علمه تعالى أنهم صادقون التقييح على الكفار يوم القيامة (قوله هو عطف على أخذنا) ويصح أن يكون فى الكلام احتباك وهو الحذف من الثانى نظير ما أثبت فى الأول ، والتقدير ليسأل الصادقين عن صدقهم فأعد لهم نعيماً مقبلاً ويسأل الكافرين عما أجازوا به رسلهم وأعد لهم عذاباً أليماً (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) هذا شروع فى ذكر قصة غزوة الأحزاب (٢٥٣) وكانت فى شوال سنة أربع وقيل خمس . وسببها أنه لما وقع إجلاء بنى النضير

من اما كنهم سار منهم جمع من أكابرهم منهم حي بن أخطب وكنانة ابن الربيع وأبو همار الوائلى فى نفر من بنى النضير إلى أن قدموا مكة على قريش فغرتهم على حرب رسول الله صلى الله عليه وسلم وقالوا إنا سنكون معكم عليه حتى نستأصله فقال أبو سفيان مرحباً وأهلاً وأحب الناس

بوضعية فجاء (كأن ذلك) أى نسخ الارث بالايمان والمجرة بارث ذوى الأرحام (فى الكتاب مسطوراً) وأريد بالكتاب فى الموضعين اللوح المحفوظ (و) اذ كر (إذ أخذنا من النبيين ميثاقهم) حين أخرجوا من صلب آدم كالذر جمع ذرة وهى أصغر النمل (ومعك ومن نوح وإبراهيم وموسى وعيسى ابن مريم) بأن يعبدا الله ويدعوا إلى عبادته ، وذكر خمسة من عطف الخاص على العام (وأخذنا منهم ميثاقاً عظيماً) شديداً بالوفاء بما حملوه وهو اليمين بالله تعالى ثم أخذ للميثاق (ليسئل) الله (الصادقين عن صدقهم) فى تبليغ الرسالة تبيكتنا للكافرين بهم (وأعد) تعالى (للكافرين) بهم (عذاباً أليماً) مؤلماً هو عطف على أخذنا (يا أيها الذين آمنوا اذكروا نعمة الله عليكم) ،

ضربها

إلينا من أعاننا على عداوة محمد ، ثم قالت قريش لأولئك اليهود يامعشر اليهود إنكم

أهل الكتاب الأول فأخبرونا أنحن على الحق أم محمد ؟ فقالوا بل أتم على الحق فأزل الله - أتم إلى الدين أوتوا نصيباً من الكتاب - إلى قوله - وكفى بجهنم سعيراً - فلما قالوا ذلك لقريش سرهم ونشطوا لحرب محمد . ثم خرج أولئك اليهود حتى جاءوا غطفان وقيس غيلان فاجتمعوا على ذلك وخرجت قريش وقائدهم أبوسفيان وخرجت غطفان وقائدهم عيينة بن حارث ولما نهيا الكل للخروج أتى ركب من خزاعة فى أربع ليال حتى أخبروا محمداً بما اجتمعوا عليه فشرع فى حفر الخندق بإشارة سلمان الفارسي ، فقال له يارسول الله إنا كنا بفارس إذا حاصرونا خندقنا علينا فعمل فيه النبي والسلمون حتى أحكموه وكان النبي يقطع لكل عشرة أربعين ذراعاً ومكثوا فى حفرة ستة أيام ، وقيل خمسة عشر ، وقيل أربعة وعشرين ، وقيل شهراً . قال عمرو بن عوف كنت أنا وسلمان وحذيفة والنعمان بن مقرن والزنى وستة من الأنصار فى أربعين ذراعاً حفرتنا وإذا ببطن الخندق صخرة كسرت حديدنا وشقت علينا ، فقلنا ياسلمان ارق إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم وأخبره بخبر هذه الصخرة فأتى سلمان إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال يارسول الله خرجت لنا صخرة بيضاء مروية من بطن الخندق فكسرت حديدنا وشقت علينا فمرنا فيها بأمرك فإنا لا نجب أن نجاوز خطتك فهبط رسول الله صلى الله عليه وسلم مع سلمان إلى الخندق وأخذ اللؤلؤ من سلمان وضربها به ضربة صدعها وبرق منها برق أضاء ما بين لابتها : يعنى المدينة حتى كأن مصباحاً فى جوف بيت مظلم فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم ضربها الثانية فبرق منها برق مثل الأول فكبر رسول الله صلى الله عليه وسلم وكبر المسلمون معه ثم

ضربها الثالثة فكسرها فبرق منها برق مثل الأول وأخذ بيد سلمان ورقي فقال باني أنتواي يا رسول الله لقد رأيت شيئا ما رأيت مثله قط ، فالتفت رسول الله صلى الله عليه وسلم إلى القوم وقال رأيتم ما يقول سلمان ؟ قالوا نعم . قال ضربت ضرب ربي الأولى فبرق البرق الذي رأيتم فأضاء لي منها قصور الحيرة ومدائن كسرى كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثانية فبرق لي الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور قيصر من أرض الروم كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها ، ثم ضربت الثالثة فبرق الذي رأيتم أضاءت لي منها قصور صنعاء كأنها أنياب الكلاب وأخبرني جبريل أن أمي ظاهرة عليها فأجسروا فاستبشروا للسمنون وقالوا الحمد لله موعد صدق وعدنا النصر بعد الحصر ، فقال المنافقون ألا تعجبون بمنكم ويعدكم الباطل ويخبر أنه ينظر من يهرب قصور الحيرة ومدائن كسرى وأنها تفتح لكم وأنتم إنما تحفرون الخندق من الفرق لاستطيعون أن تبرزوا فنزل قوله تعالى - وإذ يقول المنافقون والذين في قلوبهم مرض ما وعدنا الله ورسوله إلا غرورا - وقوله تعالى - قل اللهم مالك الملك - الآية ، فلما فرغوا من حفره أقبلت قريش والقبائل وجملتهم اثنا عشر ألفا فنزلوا حول المدينة والخندق بينهم وبين المسلمين ، فلما رأته قريش قالوا هذه مكيدة لم تكن العرب تعرفها ، وخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم والسمنون معه حتى جعلوا ظهورهم إلى سلع في ثلاثة آلاف من المسلمين فضرب هنالك عسكره والخندق بينهم وبين القوم وخرج عدو الله حي بن أخطب رئيس بني النضير حتى أتى كعب بن أسد القرظي سيد بني قريظة ، فلما جمع كعب حيا أغلق دونه حصنه فاستأذن عليه فأبى أن يفتح له وقال له ويحك يا حي إنك امرؤ ميثوم إنى عاهدت محمدا فلست بناقض فأبى لم أر منه إلا وفاءا وصدا فلما زال حي به ويقول له جئتكم بمنزلة الله حتى فتح له ونقض عهد رسول الله ، فلما انتهى الخبر إلى رسول الله بعث لهم سعد ابن معاذ سيد الأوس وسعد بن عباد سيد الخزرج وعبد الله بن رواحة فوجدوهم تنقضوا عهد رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فشاموهم وقالوا لهم لا عهد بيننا وبينكم ورجعوا وأخبروا رسول الله صلى الله عليه وسلم ، فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم الله أكبر أبشروا يا معشر المسلمين فشرعوا يترامون مع المسلمين بالنبل ومكثوا في ذلك الحصار خمسة عشر يوما ، وقيل أربعة وعشرين يوما فاشتد على المسلمين الخوف . ثم إن نعيم بن مسعود الأشجعي (٢٥٣) من غطفان جاء إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فقال

... .. له إني أسلمت وإن قومي

لم يسمعوا بإسلامي فرتني بما شئت ، فقال له رسول الله صلى الله عليه وسلم خذل عنا إن استطعت فإن الحرب خدعة ، فخرج نعيم حتى أتى بني قريظة وكان نديعاهم في الجاهلية فقال لهم قد عرفتم ودّي إياكم وخاصة ما بيني وبينكم . قالوا صدقت لست عندنا بمتهم ، فقال لهم إن قريشا وغطفان جاءوا الحرب محمد وقد ظاهروهم عليه وإن قريشا وغطفان ليسوا كهيتكم البلد بلكم به أموالكم وأولادكم ونسأؤكم لا تقدرن على أن تتحولوا منه إلى غيره وإن قريشا وغطفان أموالهم وأبنائهم ونسأؤهم بغيره وإن رأوا نهزة وغنيمة أصابوا وإن كان غير ذلك لحقوا ببلادهم وخاؤا بينكم وبين هذا الرجل ولا طاقة لكم عليه إن خلا بكم فلا تقاتلوهم مع القوم حتى تأخذوا رهنا من أشرفهم يكونون بأيديكم ثقة لكم على أن يقاتلوا معكم محمدا حتى لا يتأخروا ، قالوا لقد أشرت برأى ونصح . ثم خرج حتى أتى قريشا فقال لأبي سفيان بن حرب ومن معه قد عرفتم ودّي إياكم وفراق محمدا فقد بانني أمر رأيت حقا على أن أبلغكم نصحا لكم فاكتموا على قالوا انقل ، قل تلمسون أن معشر يهود قد ندموا على ما صنعوا فيايذهم وبين محمد وقد أرسلوا إليه أن قد ندمنا على ما فعلنا فهل برضيك منا أن نأخذ من قريش وغطفان رجلا من أشرفهم فنهطيتكم فاضرب أعناقهم ثم نكون معك على من بقي منهم ؟ فأرسل إليهم أن نعم فإن بعثت إليكم يهود يلمسون رهنا من رجالكم فلا تدفخوا إليهم منكم رجلا واحدا ، ثم خرج حتى أتى غطفان فقال يا معشر غطفان أتم أهل وعشيرتي وأحب الناس إلي ولا أراكم تهتموني قالوا صدقت ، قال فاكتموا على . قالوا انقل فقال لهم مثل ما قال لقريش وحذرهم مثل ما حذرهم ، لما كانت ليلة السبت من شوال من خمس ، وكان ماصنع الله لرسوله صلى الله عليه وسلم أرسل أبو سفيان وروس غطفان إلى بني قريظة فقالوا لهم لا السابدار مقام قد هلك الحمة والخافر فاغدوا للقتال حتى تنأجز محمدا ونفرغ مما بيننا وبينه فأرسلوا إليهم إن اليوم السبت وهو يوم لا نعمل فيه شيئا وقد كان أحدث فيه بعضنا حدثا فأصابهم ما لم يخف عليكم وألسنا من الذين نقاتل معكم (١) حتى نعطونا رهنا من رجالكم يكون بأيدينا ثقة لنا حتى تنأجز معكم محمدا فأنأخشي إن ضرمتمكم الحرب واشتد عليكم القتال أن تسبوا إلى بلادكم وتتركونا والرجل في بلادنا ولا طاقة لنا بذلك من محمد لما رجعت إليهم الرسل بالذي قالت بنو قريظة قالت قريش وغطفان تعلمون والله أن الذي حدثكم به نعيم بن مسعود

(١) قوله : ولنا من الذين نقاتل معكم ، هكذا في النسخ ، والذي في الزرقاني على الواهب : ولنا من ذلك بمقاتلين معكم .

لحق فأرسلوا إلى بنى قريظة إنا والله لاندفع إليكم رجلا واحدا من رجالنا فإن كنتم تريدون القتال فاخرجوا فاقبلوا ، فقاتل بنو قريظة حين انتهت إليهم الرسل بهذا : إن الذي ذكر لكم نعيم بن مسعود لحق ما يريد القوم إلا أن يقاتلوا فإن وجدوا فرصة انتهزوها ، وإن كان غير ذلك انتهزوا إلى بلادهم وخالوا بينكم وبين الرجل في بلادكم فأرسلوا إلى قريش وغطفان إنا والله لانتقل معكم حتى نعطونا رهنا ، فأبوا عليهم وخذل الله عز وجل بينهم وبعث الله عليهم ريحا عاصفا وهي ريح الصبا في ليلة شديدة البرد والظلمة ، فقلعت بيوتهم وقطعت أطناهم وكفأت قدورهم وصارت ناقة الرجل على الأرض ، وأرسل الله الملائكة فنزلتهم ولم تقابل بل نفثت في قلوبهم الرعب ، ثم إن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال : من يقوم فيذهب إلى هؤلاء القوم فيأتينا بخبرهم أدخله الله الجنة فما قام منا رجل ، ثم صلى رسول الله صلى الله عليه وسلم هويا من الليل ثم اتفت إلينا فقال مثله فسكت القوم ومقام منا أحد ، ثم صلى هويا من الليل ثم اتفت إلينا فقال مثله فسكت القوم ومقام أحد منا من شدة الخوف والجوع والبرد ، ثم قال يا حذيفة فقلت لبيك يا رسول الله وقت حتى أتيت ، فأخذ يدي ومسح رأسي ووجهي ثم قال : انت هؤلاء القوم حتى تأتيني بخبرهم ولا تحدثن شيئا حتى ترجع إلي ، ثم قال : اللهم احفظه من بين يديه ومن خافه وعن يمينه وعن شماله ومن فوقه ومن تحته ، فأخذت سهمي ثم انطأته أمشي نحوهم كأنما أمشي في حمام فذهبت فدخلت في القوم وقد أرسل الله عليهم ريحا وجنود الله تفعل بهم ما تفعل لا تقرر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء وأبوسفیان قاعد بطل ، فأخذت سهمي فوضعت في كبد قومي فأردت أن أرميه ولو رميته لأصبته فذكرت قول رسول الله صلى الله عليه وسلم (٢٥٤) عليه وسلم لا تحدثن حدثا حتى ترجع فرددت سهمي في كنانتي ، فلما رأى

إِذْ جَاءَ تَكُمْ جُنُودٌ) مِنَ الْكُفَّارِ مَتَحْزِبُونَ أَيَّامَ حِفْرِ الْخَنْدَقِ (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ رِيحًا وَجُنُودًا لَمْ تَرَوْهَا) مِنَ الْمَلَائِكَةِ (وَكَانَ اللَّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ) بِالنَّاءِ مِنْ حِفْرِ الْخَنْدَقِ ، وَبِالْيَاءِ مِنْ تَحْزِيبِ الْمُشْرِكِينَ (بَصِيرًا) . إِذْ جَاءَ وَكُفُّوا مِنْ فَوْقِكُمْ وَمِنْ أَسْفَلَ مِنْكُمْ) مِنَ أَعْلَى الْوَادِي وَأَسْفَلِهِ مِنَ الشَّرْقِ وَالْمَغْرِبِ (وَإِذْ زَاغَتِ الْأَبْصَارُ) مَالَتْ عَنْ كُلِّ شَيْءٍ إِلَى عَدُوِّهَا مِنْ كُلِّ جَانِبٍ (وَبَلَغَتِ الْقُلُوبُ الْحَنَاجِرَ) جَمْعُ حَنْجَرَةٍ وَهِيَ مَتْنَهِي الْحَقُومِ مِنْ شِدَّةِ الْخَوْفِ (وَتَطَّيَّنُوا بِاللَّهِ الظُّنُونًا) الْمُخْتَلِفَةُ بِالنَّصْرِ وَالْيَأْسِ (هُنَالِكَ ابْتُلِيَ الْمُؤْمِنُونَ) اخْتَبَرُوا لِيَتَبَيَّنَ الْخَلَصُ مِنْ غَيْرِهِ (وَزَلْزَلُوا) حَرَكُوا (زَلْزَلًا شَدِيدًا) مِنْ شِدَّةِ الْفَزَعِ ،

أبوسفیان ما تفعل الريح وجنود الله بهم لا تقرر لهم قدرا ولا نارا ولا بناء فقال : يا معشر قريش ياخذ كل منكم بيد جليسه فلينظر من هو فأخذت بيد جليسي فقلت من أنت ؟ فقال سبحان الله أمانتني أنا فلان بن فلان رجل من هوازن

فقال أبو سفیان يا معشر قريش إنكم والله ما أصبحتم بدار مقام فقد هلك الكراع والخف واخلفنا بنو قريظة (و) و باغنا عنهم الذي نكره ولقينا من هذه الريح مآرون فارتحلوا فاني مرتحل ، ثم قام إلى جملة وهو معقول فجلس عليه ثم ضربه فوثب على ثلاث فما أطلق قتاله إلا وهو قتي ، رحمت غطفان بما فعلت قريش فاستمروا راجعين إلى بلادهم . قال فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم كأنني أمشي في حمام فأتيت به وهو قائم بجلي ، فلما سلم أخبرته فضحك حتى بدت أنيابه في سواد الليل ، فلما أخبرته وفورغت قررت وذهب عني الدفء ، فأتاني النبي صلى الله عليه وسلم قائما في عنقه وألقى علي طرف ثوبه وألقى صدرى ببطن قدميه ، فلم أزل نائما حتى أصبحت فلما أصبحت قال قم يا نومان (قوله إذ جاء تكم) بدل من نعمة والعامل اذكروا (قوله متحزون) أي مجتمعون ، وتقدم أنهم كانوا اثني عشر ألفا وكان المسلمون إذ ذاك ثلاثة آلاف والنافقون من جهاتهم (قوله ريحا) أي وهي أصبا التي تهب من الشرق ولم تجاوزهم (قوله ملائكة) أي وكانوا ألفا ولم يقاتلوا وإنما ألقوا الرعب في قلوبهم (قوله وبالْيَاءِ) أي فهم قراءتان سبعيتان (قوله إذ جاءوكم) بدل من إذ جاء تكم (قوله من أعلى الوادي) أي وهم أسد وغطفان (قوله وأسأله) أي وهم قريش وكنانة (قوله من الشرق والغرب) لف ونشر مرتب (قوله من كل جانب) أي المحيط من كل جانب (قوله وهي منتهى الحاقوم) أي من أسفله (قوله الظنون) بألف بعد النون وصلا ووقفا وبدونها في الخالين وبأثبتاتها وقفا وحذفها وصلا ثلاث قراءات سبعيات وتجري في قوله أيضا السبيل والرسولا في آخر السورة (قوله بالنصر) أي من المؤمنين وقوله واليأس أي من المنافقين وبعض الضعفاء (قوله هنالك) ظرف مكان أي في ذلك المكان وهو الخندق (قوله زلزالا) بكسر الزاي في قراءة العامة وقرئ شذوذا بفتح الزاي وهما لغتان في مصدر الفعل للضعف إذا جاء على فعال كصلصال

وقلتال (قوله وإذ يقول المنافقون الخ) القائل معتب بن بشير ، وقال أيضا بعدنا محمد بفتح قارس والروم وأحدنا لا يقدر أن
يتبرز فرقا وخوفا ما هذا إلا وعد غرور (قوله وإذ قالت طائفة منهم) القائل هو أوس بن قيطي بكسر الظاء المججمة من
رؤساء المنافقين (قوله هي أرض المدينة) أي فسميت باسم رجل من العمالة كان نزها قديما ، وقد نهى النبي صلى الله عليه
وسلم عن تسميتها بذلك وسماها طيبة وطابة وقبة الاسلام ودار الهجرة (قوله ووزن الفعل) أي فهي على وزن يضرب (قوله
بضم الميم وفتحها) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ولا مكانة) أي تمكنا فهو بمعنى الإقامة (قوله جبل خارج المدينة) أي
بينها وبين الخندق فجعل المسلمون ظهورهم إليه ووجوههم للعدو (قوله ويستأذن) عطف على قالت طائفة وعبر بالمضارع
استحضارا للصورة (قوله يخشى عليها) أي من السراق لكونها قصيرة البناء (قوله قال تعالى) أي تكذبا لهم (قوله
ولودخلت عليهم) أي دخلها الأحزاب (قوله الشرك) أي ومقاتلة المسلمين (٢٥٥) (قوله بالمد والقصر) أي فهما

قراءتان سبعيتان (قوله
أي أعطوها وفعلوها)
لف ونشر هرب (قوله
وما تلبثوا بها إلا
يسيرا) أي ما أقاموا
بالمدينة بعد نقض العهد
وإظهار الكفر وقتال
المسلمين إلا زمنا قليلا
ويهلكون فالحزة لله
ورسوله والمسلمين ، فالغنى
لودخل الكفار المدينة
وارتد هؤلاء للمنافقون
وقاتلوكم مع الكفار لأخذ
الله بأيديكم مريعا بقطع
دابرهم فلا تخشوا منهم
داخل المدينة أو خارجها
(قوله من قبل) أي قبل
غزوة الخندق (قوله
لا يوتون الأدبار) أي بل
يقبضون على القتال حتى

(وَ) اذكو (إِذْ يَقُولُ الْمُنَافِقُونَ وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) ضف اعتقاد (مَا وَعَدَنَا
اللَّهُ وَرَسُولُهُ) بالنصر (إِلَّا غُرُورًا) باطلا (وَإِذْ قَالَتْ طَائِفَةٌ مِنْهُمْ) أي المنافقين (يَا أَهْلَ
يَثْرِبَ) هي أرض المدينة ولم تصرف للعلمية ووزن الفعل (لَا مُقَامَ لَكُمْ) بضم الميم وفتحها
أي لا إقامة ولا مكانة (فَارْجِعُوا) إلى منازلكم من المدينة، وكانوا خرجوا مع النبي صلى الله عليه
عليه وسلم إلى سلع: جبل خارج المدينة للقتال (وَيَسْتَنْذِنُ فَرِيقٌ مِنْهُمْ النَّبِيَّ) في الرجوع
(يَقُولُونَ إِنَّ بُيُوتَنَا عَوْرَةٌ) غير حصينة يخشى عليها ، قال تعالى (وَمَا هِيَ بِعَوْرَةٍ إِنَّ) ما
(يُرِيدُونَ إِلَّا فِرَارًا) من القتال (وَلَوْ دُخِلَتْ) أي المدينة (عَلَيْهِمْ مِنْ أَقْطَارِهَا) نواحيها
(ثُمَّ سُبُلُهَا) أي سألهم الداخلون (الْفِتْنَةَ) الشرك (لَا تَوْفَا) بالمد والقصر أي أعطوها
وفعلوها (وَمَا تَلَبَّثُوا فِيهَا إِلَّا يَسِيرًا) وَلَقَدْ كَانُوا عَاهَدُوا اللَّهَ مِنْ قَبْلُ لَا يُولُونَ الدُّبَارَ
وَكَانَ عَهْدُ اللَّهِ مَسْئُولًا (عن الوفاء به) (قُلْ لَنْ يَنْفَعَكُمْ الْفِرَارُ إِنْ فَرَرْتُمْ مِنَ الْمَوْتِ
أَوِ الْقَتْلِ وَإِذَا) إن فررتم (لَا تَنْتَعِمُونَ) في الدنيا بعد فراركم (إِلَّا قَلِيلًا) بقية آجالكم (قُلْ
مَنْ ذَا الَّذِي يَعْصِمُكُمْ) يحميكم (مِنْ اللَّهِ إِنْ أَرَادَ بِكُمْ سُوءًا) هلاكا وهزيمة (أَوْ) يصيبكم
بسوء (إِنْ أَرَادَ) الله (بِكُمْ رَحْمَةً) خيرا (وَلَا يَجِدُونَ لَهُمْ مِنْ دُونِ اللَّهِ) أي غيره (وَلِيًّا)
ينفعهم (وَلَا نَصِيرًا) يدفع الضر عنهم (قَدْ يَعْلَمُ اللَّهُ الْمُعَوِّقِينَ) المشبطين (مِنْكُمْ) وَالْقَاتِلِينَ لِإِخْوَانِهِمْ
هَلُمُّ) تعالوا (إِلَيْنَا وَلَا يَأْتُونَ آبَاءَكُمْ) القتال (إِلَّا قَلِيلًا) رياء وسمعة (أَشِحَّةً عَلَيْكُمْ) بالمعاونة

يموتوا شهداء (قوله مسئولوا عن الوفاء به) أي مسئولوا صاحبه هل وفى به أم لا (قوله إن فررتم من الموت أو القتل) أي لأنه
مصيبكم لاهالة (قوله وإذا لا تمتعون إلا قليلا) أي وإن نفكم الفرار وتمتعتم بالتأخير لم يكن ذلك التمتع إلا زمنا قليلا (قوله
أو أراد بكم رحمة) قدر له المفسر عملا يناسبه وهو قوله أو يصيبكم بسوء لأنه لا يصلح لتسلط العامل السابق وهو يصممكم على
حد * علفتها تبنا وماء باردا * (قوله المشبطين) أي الكسالىين غيرهم عن القتال في سبيل الله وهم المنافقون (قوله والقاتلين)
عطف على المعوقين وقوله لاخوانهم : أي في الكفر والعداوة لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، والراد بالقاتلين اليهود من
بنى قريظة (قوله هلم إلينا) اسم فعل ويلزم صيغة واحدة الواحد والثني والجمع والمذكر والمؤنث وهذه لغة أهل الحجاز وعندنا
هو فعل أمر تلحقه العلامات الدالة على التثنية والجمع والتأنيث ومقتضى عبارة المفسر أنه لازم حيث فسره بتعالوا ويصح جعله
متعديا بمعنى فربوا ومنعوله محذوف والتقدير أنفسكم إلينا (قوله رياء وسمعة) أي لأن شأن من يكسل غيره عن الحرب لا يضل
إلا قليلا لغرض خيبت (قوله أشحة عليكم) أي مانعين للخير عنكم .

(قوله جمع صحيح) هذا هو السموع فيه ولباسه أفضل وتكليل وأخلاء والشح البخل (قوله أنهم ينظرون إليك الخ) هذا وصف لهم بالجبن لأن شأن الجبان الخائف ينظر يمينا وشمالا شاخصا ببصره (قوله كنظر له كدوران) أشار بذلك إلى أن قوله كالذي ينقى عليه نعت المصدر محذوف من ينظرون أو من تدور (قوله كالذي ينقى عليه من الموت) أي لأنه يشخص ببصره ويذهب عقله (قوله ساقوكم) الساق بسط العضو ومدة للقهر كان يدا أولسأا ، في الآية استعاره الكتابة حيث شبه اللسان بالسيف وطوى ذكر الشبه به ورمز له بشئ من لوازمه وهو السلق بمعنى الضرب فأنبأه تخييل والحداد ترشيح (قوله أشعة على الحجر) أي ما نعين له فلا نفع في أنفسهم ولا في ملهم (قوله لم يؤمنوا حقيقة) أي بقلوبهم وإن أسلفوا ظاهرا (قوله فأحبط الله أعمالهم) أي أظهر بطلانها (قوله يحسبون) أي للناقضون لشدة جنونهم (قوله الأحزاب) أي قريشا وغطفان واليهود (قوله لو أنهم بادون في الأهراب) أي ساكنون في البادية خارج المدينة ليكونوا في بمد عن الأحزاب (قوله يستلون عن أنبيائكم) صرح أن يكون حالا من الواو في بادون أو جملة مستأنفة ، والمعنى يستلون كل قادم من جانب المدينة عما جرى بينكم وبين الكفار قائلين فيها (٢٥٦) بينهم إن غلب المسلمون قاصمناهم في الثغمة وإن غلب الكفار فنحن معهم

جمع صحيح وهو حال من ضمير يأتون (فإذا جاء الخوف رأيتهم ينظرون إليك تدور أعينهم كالذي) كنظر أو كدوران الذي (يُنْقَى عَلَيْهِ مِنَ الْمَوْتِ) أي سكراته (فإذا ذهب الخوف) وحيزت الفنائم (سَلَوُكُمْ) آذوكم أو ضربوكم (بِالسِّنَةِ حِدَادٍ أَشْحَةً عَلَى الْخَيْرِ) أي الثغمة يطلبونها (أُولَئِكَ لَمْ يُوْثِقُوا) حقيقة (فَأَحْبَطَ اللَّهُ أَعْمَالَهُمْ وَكَانَ ذَلِكَ) الإحباط (عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا) بإرادته (يَحْسَبُونَ الْأَحْزَابَ) من الكفار (لَمْ يَذْهَبُوا) إلى مكة لخوفهم منهم (وإن يأت الأحزاب) كرة أخرى (يؤذوا) يتمنوا (لو أنهم بادون في الأهراب) أي كائنون في البادية (يَسْتَلُونُ عَنْ أَنْبِيَائِكُمْ) أخباركم مع الكفار (وَلَوْ كَانُوا فِيكُمْ) هذه الكرة (مَا قَاتَلُوا إِلَّا قَلِيلًا) رياء وخوفا من التمييز (لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ إِسْوَةٌ) بكسر الهمزة وضمها (حَسَنَةٌ) اقتداء به في القتال والثبات في موطنه (لَئِنْ) بدل من لكم (كَانَ يَرْجُوا اللَّهَ) يخافه (وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهُ كَثِيرًا) بخلاف من ليس كذلك (وَلَمَّا رَأَى الْمُؤْمِنُونَ الْأَحْزَابَ) من الكفار (قَالُوا هَذَا مَا وَعَدَنَا اللَّهُ وَرَسُولُهُ) من الابتلاء والنصر (وَصَدَقَ اللَّهُ وَرَسُولُهُ) في الوعد

(قوله لقد كان لكم في رسول الله أسوة حسنة) هذه الآية وما بعدها إلى قوله - وأزول الدين ظاهرهم من أهل الكتاب - من تمام قصة الأحزاب وفيها عتاب للمخلفين عن القتال مع رسول الله صلى الله عليه وسلم من المؤمنين والناقضين (قوله بكسر الهمزة وضمها) أي فهم اقراءتان سبعيتان (قوله اقتداء) أشار بذلك إلى أن الأسوة اسم بمعنى المصدر وهو الاقتداء يقال اتقنى فلان

بفلان أي اقتدى به (قوله في القتال) لافهوم له بل الاقتداء برسول الله صلى الله عليه وسلم (وما واجب في الأقوال والأفعال والأحوال ، لأنه لا ينطق ولا يفعل عن هوى بل جميع أفعاله وأقواله وأحواله عن ربه ، ولذا قال العارف :

وخك بالهدى في كل أمر فلست تشاء إلا ما يشاء
وإنما خص القتال بالذكر لأنه معرض السبب (قوله لمن كان يرجو الله واليوم الآخر) أي فالتصاف بهذه الأوصاف ثبتت له الأسوة الحسنة في رسول الله وأما من لم يكن متصفا بتلك الأوصاف فليس كذلك (قوله وذكر الله كثيرا) أي بلسانه أو جنته أو ما هو أهم (قوله ولما رأى المؤمنون الأحزاب) أي أبصروهم محققين حول المدينة (قوله قالوا هذا ما وعدنا الله) أي بقوله : أم حسبكم أن تدخلوا الجنة ولما ياتكم مثل الذين خلوا من قبلكم مستهم البأساء والضراء وزلزلوا حتى يقول الرسول والذين آمنوا معه من نصر الله إلا أن نصر الله قريب - وقوله ورسوله أي بقوله إن الأحزاب سارون إليكم بعد تسع ليال أو عشر والعاقبة لكم طيبم (قوله وصدق الله ورسوله) أي ظهر صدق خبر الله ورسوله في الوعد بالنصر فاستبشروا بالنصر قبل حصوله ، وأظهر في عمل الانتصار زيادة في تعظيم اسم الله ولأنه لو أضر لمع بين اسم الله واسم رسوله في ضمير واحد مع أن النبي صلى الله عليه وسلم طلب على من قال من طبع الله ورسوله فقد رشده ومن يصعب ما فقد غوى فقال له بئس خطيب القوم أنت قل ومن يصعب الله ورسوله

(قوله فريقا تقتلون) بيان لما فعل بهم (قوله وم القتالة) أى وكانوا ستمائة ، وقيل سبعمائة (قوله أى الفلارى) أى ، كانوا سبعمائة وقيل وخمسين (قوله بعد) أى الآن وحبر بالماضى لتحقق الحصول (قوله وهى خير) أى وغيرها من كل أرض ظهر عليها المسلمون بعد ذلك إلى يوم القيامة (قوله أخذت بعد قريظة) أى يستبين أو ثلاث على الخلاف المتقدم فى قريظة هل هى فى الرابعة أو الخامسة وخير كانت فى السابعة فى أول الحرم وهى مدينة كبيرة ذات حصون ثمانية وذات مزارع ونخل كثير فيها وبين المدينة الشريفة أربع مراحل فأقبل عليها صبيحة النهار وفى تلك الليلة لم يصح لهم ديك ولم يتحركوا وكان فيها عشرة آلاف مقاتل فنزل رسول الله صلى الله عليه وسلم عليها وحاصرها وبنى هناك مسجدا صلى به طول مقامه عندها وقطع من نخلها أربع مائة نخلة وسهى أهلها وأصاب من سببها صفية بنت حيى بن أخطب رئيس بنى النضير وكانت وقعت فى سهم دحية الكلبي فتنازع بعض الصحابة فى شأن ذلك فأخذها رسول الله وأرضاه وكانت من سبط هرون أخى موسى فأسلمت ثم أعتقها وتزوجها وجعل عتقها صداقها (قوله يأبى النبي قل لأزواجك) اختلف للمفسرون فى هذا التخيير هل كان تفويضا فى الطلاق إليهن فيقع بنفس الاختيار أم لا فذهب الحسن وقادة وأكثر أهل العلم إلى أنه لم يكن تفويضا فى الطلاق وإبنا خبرهن على أنهن إن اخترن الدنيا فارقهن لقوله تعالى : فتعالين أمتعن وأسرحكن ، وذهب قوم إلى أنه كان تفويضا وأنهن لو اخترن الدنيا لكان طلاقا فلا يحتاج لإنشاء صيغة من رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله وهن تسع) أى وهن اللائى مات هنهن وقد جمعهن بعض العلماء بقوله : توفي رسول الله عن تسع نسوة (٢٥٨) إليهن تعزى الكرمات وتنسب ، فعائشة ميمونة وصفية *

وحفصة تتلوهن هند وزينب جويرية مع رمة ثم سودة ثلاث وست نظمن مهذب فائشة هى بنت أبى بكر وحفصة بنت عمر بن الخطاب ، وميمونة بنت الحرث الهلالية وصفية بنت حيى بن أخطب من

(فَرِيقًا تَقْتُلُونَ) منهم وم القتالة (وَأَسِيرُونَ فَرِيقًا) منهم أى الفلارى (وَأَوْزَعَكُمْ أَرْزَهُمْ وَدِيَارَهُمْ وَأَمْوَالَهُمْ وَأَرْضَهُمْ لَمْ تَطْغَوْهَا) بعد وهى خير أخذت بعد قريظة (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرًا . يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ قُلْ لِأَزْوَاجِكَ) وهن تسع وطلبن منه من زينة الدنيا ما ليس عنده (إِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ الْحَيَاةَ الدُّنْيَا وَزِينَتَهَا فَتَعَالَيْنَ أُمَتِّعْكُنَّ) أى متمعة الطلاق (وَأَمْرُخُكُنَّ مَرَّاحًا جَمِيلًا) أطلقكن من غير ضرار (وَإِنْ كُنْتُمْ تُرِيدُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ وَالْآخِرَةَ) أى الجنة (فَإِنَّ اللَّهَ أَعَدَّ لِلْفَاحِشَاتِ مِنْكُمْ) بإرادة الآخرة (أَجْرًا عَظِيمًا) أى الجنة :

فاخترن

بنى النضير وهندى أم سلمة بنت أبى أمية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحرث

الحزاعية المطلقية ورملة هى أم حبيبة بنت أبى سفيان بن حرب وسودة هى بنت زمعة (قوله إن كنتن تردن الحياة الدنيا) أى التتم فيها (قوله وزينتها) أى زخارفها ، روى أن أبى بكر جاء ليستأذن على رسول الله صلى الله عليه وسلم فوجد الناس جالوسا ببابه لم يؤذن لأحد منهم قال فأذن لأبى بكر فدخل ثم جاء عمر فاستأذن فأذن له فدخل فوجد النبي صلى الله عليه وسلم جالسا واجما ساكتا وحوله نساءه قال عمر فقلت والله لأقولن شيئا أضحك به النبي صلى الله عليه وسلم فقلت يارسول الله لورأت بنت خارجة سألتنى النفقة فمعت إليها فوجأت عنقها فضحك النبي صلى الله عليه وسلم وقال هن حولى كما ترى سألتنى النفقة فقام أبو بكر إلى عائشة يجأ عنقها وقام عمر إلى حفصة يجأ عنقها كلاهما يقول تسألن رسول الله ما ليس عنده فقلن والله لانسأل رسول الله صلى الله عليه وسلم شيئا أبدا ما ليس عنده ثم اعترهن شهرا ثم نزلت هذه الآية : يا أيها النبي قل لأزواجك حتى باغ للحسنات منكن أجرا عظيما قال فبدأ بعائشة فقال يا عائشة : إني أريد أن أعرض عليك أمرا أحب أن لا تنجلي فيه حتى تستبيري أبويك ؟ قالت وما هو يارسول الله فتلا عليها الآية قالت أفيك يارسول الله أستشير أبوي ؟ بل أختار الله ورسوله والدار الآخرة وكلهن قلن كما قالت عائشة فشكرهن ذلك فأنزل الله : لا يحل لك النساء من بعد ، ثم رفع ذلك الحرج بقوله تعالى ما كان على النبي من حرج فيما فرض الله له وبقوله زجى من تشاء منهمن وتقوى إليك من تشاء (قوله فتعالين) فعل أمر مبني على السكون ونون النسوة فاعل (قوله أمتعنكن) جواب الشرط وما بينهما اعتراض ويصح أن يكون مجزوما فى جواب الأمر والجواب هو قوله فتعالين (قوله أطلقكن من غير ضرار) أى من غير تعب ولا مشقة .

(قوله فاخترن الآخرة على الدنيا) أى ودمن على ذلك فكنن زاهدات في الدنيا حتى ورد أن عائشة دخل عليها ثمانون ألف درهم من بيت المال فأمرت جاريها بتفرقتها ففرقتها في مجلس واحد ، فلما فرغت طلبت عائشة منها شيئا تظفر به وكانت صائمة فلم تجد معها شيئا (قوله يأنس النساء النبي من يأت منكن بفاحشة الخ) هذه الآيات خطاب من الله لأزواج النبي إظهارا لفضلهن وعظم قدرهن عند الله تعالى لأن العتاب والتشديد في الخطاب مشعر برغبة رتبتهن لشدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم لأنهن ضجيعاته في الجنة فيقدر القرب من رسول الله يكون القرب من الله خلافا لمن شذوزعم أن حب النبي والقرب منه والتعلق به شرك (قوله بفاحشة) قيل المراد بها الزنا ، والمعنى لو وقع من واحدة منكن هذا الفعل لحقت حدين لعظم قدرها كالحرة بالنسبة للأمة ، وعلى هذا القول فلا خصوصية لنساء النبي بل جميع نساء الأنبياء مصونات من الزنا ، ولذا قال ابن عباس ما بنت امرأة نبي قط ، وإنما خانت امرأة نوح ولو ط في الإيمان والطاعة ، وقيل المراد به الفسوز وسوء الخلق ، وقيل الفاحشة إذا وردت معرفة فهي الزنا واللواط وإن وردت منكورة فهي سائر المعاصي وإن وردت ممنوعة كما هنا فهي عقوف الزوج وسوء عشرته ، وقيل المراد بها جميع المعاصي وهو الأظهر وهذا على سبيل الغرض والتقدير على حد : لئن أشركت يحبطن عملك وإلا فنساء النبي مطهرات مصونات من الفواحش (قوله بفتح الياء وكسرها) أى فيها قرأتان سبعيتان (قوله أى بينت الخ) لف ونشر مرتب (قوله وفي قراءة يضعف) أى والثلاث سبعيات (٢٥٩) (قوله العذاب) أى عذاب الدنيا وعذاب الآخرة (قوله

أى مثليه) أى فضف الشيء مثله وضغاف مثله وأضعافه أمثاله (قوله وكان ذلك على الله يسيرا) أى سهلا فلا يبالي الله بأحد وإن عظمت رتبته فليس أمر الله كأمر الخلق يترك تعذيب الأعزة حيث أذنبوا لكثرة أوليائهم وأعوانهم بل للمكرم عند الله هو التقي (قوله

فاخترن الآخرة على الدنيا (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ مَنْ يَأْتِ مِنْكُنَّ بِفَاحِشَةٍ مُبَيَّنَةٍ) بفتح الياء وكسرها : أى بينت أو هى بينة (يُضَاعَفُ) وفي قراءة يضعف بالتشديد ، وفي أخرى نضعف بالنون معه ونصب العذاب (لَمَّا الْعَذَابُ ضَعُفَيْنِ) ضعفي عذاب غيرهن أى مثليه (وَكَانَ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرًا . وَمَنْ يَفْعَلْ ذَلِكَ يَمُوتْ) يطعم (مِنْكُنَّ) لله وَرَسُولُهُ وَتَعْمَلْ صَالِحًا نُوبَهَا أَجْرَهَا مَرَّتَيْنِ) أى مثل ثواب غيرهن من النساء ، وفي قراءة بالتحية في تعمل وتوتها (وَأَعْتَدْنَا لَمَّا رَزَقًا كَرِيمًا) في الجنة زيادة (يَا نِسَاءَ النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ) كجماعة (مِنَ النِّسَاءِ إِنْ أَتَيْتُنَّ) الله فإنكن أعظم (فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ) للرجال (فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ) تفاق (وَقُلْنَ قَوْلًا مَعْرُوفًا) من غير خضوع (وَقِرْنَ) بكسر القاف وفتحها (فِي بُيُوتِكُنَّ) من القرار ، وأصله اقررن بكسر الراء وفتحها من قررت بفتح الراء وكسرها ،

وتعمل صالحا) أى تدم عليه وفيه مراعاة معنى من على قراءة التاء ومراعاة لفظها على قراءة الياء (قوله مرتين) أى مرة على الطاعة والتخوى ومرة أخرى على خدمة رسول الله الخدمة الباطنية التي لا تيسر من غيرهن (قوله يأنس النساء النبي لستن كأحد من النساء) تقدم أن حكمة التشديد عليهن شدة قربهن من رسول الله صلى الله عليه وسلم وهو دليل على رفعة قدرهن وعظم رتبتهن فلا يليق منهن التوغل في الشهوات وتطلب زينة الدنيا لأن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «لست من الدنيا وليست الدنيا مني» والقربون منه كذلك ، والمعنى ليست الواحدة منكن كالواحدة من أحد النساء فالفاضل في الأفراد (قوله إن اتقين) شرط حذف جوابه لدلالة ما قبله عليه كإشيرة المفسر بقوله فإنكن أعظم ، والمعنى إن اتقين الله فلا يقاس بالواحدة منكن واحدة من سائر النساء (قوله فلا تخضعن) كلام مستأنف مفرع على التقوى (قوله بالقول) أى بأن تتكلمن بكلام رقيق يميل لقلب الرجال إليكن إذ لا يليق منكن ذلك لكونكن أعظم النساء (قوله فيطمع الذي في قلبه مرض) في ذلك احتباس مما يقال إنهن أمهات المؤمنين والانسان لا يطمع في أمه ، فأجاب بأن الذي يقع منه الطمع إنما هو المناق في شأن شهوته حاصله معه وهو منزوع الخشية والخوف من الله ولكن نهن هموما سدا للذريعة (قوله قولاً معروفاً) أى حسناً فيه تعظيم الكبير ورحمة الصغير لاربية فيه (قوله بكسر القاف وفتحها) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله من القرار) أى الثبات ببيان المعنى القراءتين (قوله وأصله اقررن بكسر الراء) أى من باب ضرب وقوله وفتحها أى من باب علم فحاضى الأول مفتوح والأمر مكسور والثاني بالعكس .

(قوله نقلت حركة الراء) أى الأولى وحركتها إما كسرة على الأول أو فتحة على الثانى (قوله مع حمزة الوصل) أى للاستغناء عنها بتحرك اللام ، والمعنى اثبتن في بيوتكن ولا تخرجن إلا لضرورة (قوله تبرج الجاهلية الأولى) اختلفت في زمنها فقبل هو ما قبل بعثة إبراهيم وقبل ما بين آدم ونوح وقبل ما بين نوح وإدريس وقبل ما بين نوح وإبراهيم وقبل ما بين موسى وعيسى وقبل ما بين عيسى ومحمد صلى الله عليه وسلم وقبل هو ما قبل الاسلام مطلقا وعليه اقتصر الفسر وجعلها أولى بالنسبة إلى ما كن عليه وليس المعنى أن ثم جاهلية أخرى (قوله من إظهار محاسنهن للرجال) أى فكانت للراء تلبس القميص من الحر غير مخطط الجانبين وكانت النساء يظهرن ما يصبغ إظهاره حتى كانت للراء تجلس مع زوجها وخلها فينفرد عنها بما فوق الأزارل وينفرد زوجها بما دون الأزارل إلى أسفل وربما سأل أحدهما صاحبه البدل (قوله والاطهار بعد الاسلام الخ) جواب عما يقال إن إظهار الزينة واقع من فسقة النساء بعد الاسلام فلا حاجة لذكر الجاهلية الأولى فأجلب بأنه تقدم النهى عنه في قوله ولا يبدین زینتهن الخ (قوله وأقن الصلاة) أى بشروطها وآدابها (قوله وآتين الزكاة) أى لمستحقها (قوله وأطعن الله ورسوله) أى في جميع الأوامر والنواهي فلا (٣٦٠) تليق منكن المخالفة فيما أمركه ورسوله به (قوله الرجس) أى الذنب المدنس

لعرسكن (قوله أهل البيت) منصوب على أنه منادى وحرف النداء محذوف قدره للفسر (قوله أى نساء النبي) قصره عليهن لمرعاة السياق وإلا فقد قيل الآية عامة في أهل بيت سكنه وهن أزواجه وأهل بيت نسبه وهن ذريته (قوله ويطهركن تطهيرا) أكدته إشارة إلى الزيادة في التطهير بسبب التكليف بالعبادة والتقوى سبب للطهارة وهى الخلوص من دنس المعاصي فمن ادعى الطهارة

قلت حركة الراء إلى القاف وحذفت مع حمزة الوصل (وَلَا تَبْرَجْنَ) بتوك إحدى التائين من أصله (تَبْرَجَ الْجَاهِلِيَّةُ الْأُولَى) أى ما قبل الإسلام من إظهار النساء محاسنهن للرجال والاطهار بعد الاسلام مذكور في آية « وَلَا يَبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا مَا ظَهَرَ مِنْهَا » (وَأَقْنِ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنْكُمُ الرِّجْسَ) الإثم (يَا أَهْلَ الْبَيْتِ) أى نساء النبي صلى الله عليه وسلم (وَيُطَهِّرَكُم) منه (تَطْهِيرًا) وأذكرن ما يتلى في بيوتكن من آيات الله القرآن (وَالْحِكْمَةَ) السنة (إِنَّ اللَّهَ كَانَ لَطِيفًا) بأوليائه (خَيْرًا) بجميع خلقه (إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ) الطيبات (وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ) في الإيمان (وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ) على الطاعات (وَالْخَاشِعِينَ) للتواضعين (وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُنَّ وَالْحَافِظَاتِ) عن الحرام (وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُنَّ مَغْفِرَةً) للمعاصي (وَأَجْرًا عَظِيمًا) على الطاعات ،

(وما)

مع ارتكابه المعاصي فهو ضال كذاب (قوله واذا كن مايتلى في بيوتكن)

أى لتذكرن به أنفسكن أو غيركن وفيه تذكير لمن بهذه النعمة العظيمة حيث جعلهن من أهل بيت النبوة وشاهدن نزول الوحي وكل ذلك سوجب للزوم التقوى (قوله من آيات الله) بيان لما (قوله لطيفا) أى عالما بخفيات الأمور (قوله خيرا) أى مطلعاً على كل شئ (قوله إن المسلمين والمسلمات الخ) سبب زولها أن أزواج النبي صلى الله عليه وسلم جلسن يتذاكرن فيما بينهن ويقلن إن الله ذكر الرجال في القرآن ولم يذكر النساء بخبرها فيناخير نذكر به إنا نخاف أن لا تقبل منا طاعة فسألت أم سلمة رسول الله صلى الله عليه وسلم وكانت كثيرة السؤال له فقالت يا رسول الله ما بال ربنا يذكر الرجال في كتابه ولا يذكر النساء فنخشى أن لا يكون فيهن خير فنزلت جبر الحاطرهن (قوله والمؤمنين والمؤمنات) إنما عطف وصفهما بالإيمان على وصفهما بالاسلام وإن كانا متجهدين شرعا نظرا إلى أنهما مختلفان مفهوما إذ الاسلام التلغظ بالشهادتين بشرط تصديق القلب بما جاء به النبي صلى الله عليه وسلم والإيمان الاذعان القلبي بشرط النطق باللسان ويكنى في العطف أدنى تغاير (قوله والحافظات) حذف المفعول له دلالة ما قبله عليه والتقدير والحافظات فزوجهن (قوله والذاكرين الله كثيرا) أى بأى ذكر كان من تسبيح أو تهليل أو تحميد أو صلاة على النبي صلى الله عليه وسلم والكترة مختلفة باختلاف الأشخاص فالكترة في حق العامة قلها

ثالثة ، وفي حق الرديين انما عشر ألفا ، وفي حق المارقين علم خطور التبر على قلوبهم ومنه قول العارف ابن الفارض :

ولو خطرت لي في سواك إرادة على خاطري يوما حكمت بردني

(قوله وما كان لمؤمن ولا مؤمنة) أي لا ينبغي ولا يصلح ولا يليق وهذا اللفظ يستعمل تارة في الخطر والنزع كما هنا وتارة في الامتناع عقلا كما في قوله تعالى - ما كان لكم أن تنبتوا شجرها وتارة في الامتناع شرعا - كقوله تعالى - وما كان لبشر أن يكلمه الله إلا وحيا - (قوله إذا قضى الله ورسوله أمرا) ذكر اسم الله للتعظيم وإشارة إلى أن قضاء رسول الله هو قضاء الله لكونه لا ينطق عن الهوى وإذا صح أن تكون طرفا معمولالما تعلق به خبر كان والتقدير وما كان مستقرا لمؤمن ولا مؤمنة وقت قضاء الله ورسوله أمرا كون الحيرة لهم ويصح أن تكون شرطية وجوابها محذوف دل عليه ما قبله (قوله أن تكون) اسم كان مؤخر والجار والمجرور خبر مقدم (قوله بالثناء والياء) أي فهما قراءتان سبعيتان فآلاء ظاهرة والياء نظرا إلى أن الحيرة مجازي التأنيت أو للفصل بين العامل والمعمول (قوله الحيرة) بفتح الياء وقرئ شذوذا بإسكانها ومعناها واحد وهو الاختيار (قوله أي الاختيار) أشار بذلك إلى أن الحيرة مصدر (قوله من أمرهم) حال من الحيرة (قوله وأخته زينب) أي بنت جحش وأما أميمة بنت عبد المطلب عممة رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله خطبها النبي وعن) (٣٦١) زيد أي بعد أن كان زوجه

أولاً أم أيمن بركة الحبشية بنت ثعلبة بن حصن كانت لعبد الله أبي النبي صلى الله عليه وسلم فأعتقها وقيل أعتقها النبي صلى الله عليه وسلم وعاشت بعده صلى الله عليه وسلم خمسة أشهر وقيل سنة وولدت لزيد أسامة وكانت ولادته بعد البعثة بثلاث سنين وقيل بخمس (قوله ففكرها ذلك) أي كون الخطبة لزيد وقالت رسول الله صلى الله عليه وسلم أنا بنت عمك فلا

(وَمَا كَانَ لِمُؤْمِنٍ وَلَا مُؤْمِنَةٍ إِذَا قَضَى اللَّهُ وَرَسُولُهُ أَمْرًا أَنْ تَكُونَ) بالثناء والياء (لَمْ) الْحِيرَةُ) أي الاختيار (مِنْ أَمْرِهِمْ) خلاف أمر الله ورسوله ؛ نزلت في عبد الله بن جحش وأخته زينب خطبها النبي صلى الله عليه وسلم وعن زيد بن حارثة ففكرها ذلك حين علما لظنهما قبل أن النبي صلى الله تعالى عليه وسلم خطبها لنفسه ثم رضيا للآية (وَمِنْ يَمَضٍ اللَّهُ وَرَسُولُهُ قَدْ ضَلَّ ضَلَالًا مُبِينًا) يتنا فزوجها النبي صلى الله عليه وسلم لزيد ثم وقع بصره عليها بعد حين فوقع في نفسه حبها ، وفي قس زيد كراهتها ثم قال للنبي صلى الله تعالى عليه وآله وسلم أريد فراقها فقال أمسك عليك زوجك كما قال تعالى (وَإِذْ) منصوب بإذ كر (تَقُولُ لِلَّذِي أَنْعَمَ اللَّهُ عَلَيْهِ) بالإسلام (وَأَنْعَمْتَ عَلَيْهِ) بالاعتاق وهو زيد بن حارثة كان من سبي الجاهلية اشتراه رسول الله صلى الله عليه وسلم قبل البعثة وأعتقه وتبناه (أَمْسِكَ عَلَيْكَ زَوْجَكَ وَاتَّقِ اللَّهَ) في أمر طلاقها (وَتُخْفِي فِي نَفْسِكَ مَا اللَّهُ مُبْدِيهِ) مظهره ،

أرضاه لنفسه وكانت بيضاء جميلة وزيد أسود (قوله ثم رضيا للآية) أي حين نزلت الآية توييحا لهما (قوله ومن يمس الله ورسوله الخ) هذا من تمام ما نزل في شأنهما فكان للناسب للفسر تأخير ذكر سبب النزول عن هذه الآية (قوله فقد ضل) أي أخطأ طريق الصواب (قوله فزوجها النبي زيد) أي وأعطاهما رسول الله عشرة دنانير وستين درهما وخمرا ودرعا وملحفة وخمسين مدا من طعام وثلاثين صاعا من تمر (قوله ثم وقع بصره عليها) هذا بناء على أن معنى قوله تعالى - وتخفي في نفسك ما الله مبديه هو حبها الذي درج عليه المفسرون بما لغيره وهذا التفسير غير لائق بمنصب النبوة لاسيما بجنبه الشريف وأيضا يبعد أن النبي يخفي عليه حالها مع كونها بنت عمته وفي حجره (قوله فقال أمسك عليك زوجك) أي لا تفارقها (قوله منصوب بإذ كر) أي فهو معمول محذوف (قوله اشتراه رسول الله) فيه نسمح بل الذي في السير أن خديجة اشتريته بأربعمائة درهم ثم وهبته لرسول الله صلى الله عليه وسلم وهذا الشراء صوري وإنه لو كان حرا لأنه لم يكن الرق بالسبي مشروعا سكونهم أهل فترة وهم ناجون ليس فيهم حربى والعلماء عرفوا الرق بأنه عجز حكى سببه الكفر ، روى أن عمه لقيه يوما بمكة فعرفه وضمه إلى صدره وقال له لن أنت قال لمحمد بن عبد الله فاتوه وقالوا هذا ابننا فردد علينا فقال اعرضوا عليه فان اختاركم غفوه فبث إلى زيد وخيره فقال يا رسول الله ما أختار عليك أحدا فغذبه عمه وأقال يازيد اخترت العبودية على أهلك وعمك قال نعم هي أحب إلي من أن أكون عندكم قتبناه رسول الله صلى الله عليه وسلم

(قوله من محبتها) بيان لما أبداه وهذا القول مردود لما تقدم أنه ينزه عنه رسول الله والصواب أن يقول: إن الذي أخفاه في نفسه هو ما أخبره الله به من أنها ستصير إحدى زوجاته بعد طلاق زيد لما روى عن علي بن الحسين رضي الله عنهما: أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان قد أوحى الله إليه أن زيدا يطلق زينب وأنه يتزوجها بتزوج الله إياها فلما شكازيد للنبي خاف زينب وأنها لا تطيعه وأعلمه بأنه يريد طلاقها قال له رسول الله صلى الله عليه وسلم على جهة الأدب والوصية اتق الله في قولك وأمسك عليك زوجك وهذا هو الذي أخفى في نفسه وخشى رسول الله أن يلحقه قول الناس في أن يتزوج زينب بعد زيد وهو متبنيه فتابه الله على السكتم لأجل هذا العذر والمحكمة في تزوج رسول الله زينب بإبطال حكم التبن والتفرقة بين ولد الصلب وولد التبن من حيث إن ولد الصلب يحرم التزوج بزوجه وولد التبن لا يحرم (قوله وتزوجها) هكذا في بعض النسخ بصيغة الأمر ولي نسخة ويزوجها فعل مضارع (قوله فلما قضى زيد منها وطرا) أي بأن لم يبق له فيها أرب وطلاقها وانقضت عدتها وقد كرر اسمها صريحا دون غيره من الصحابة جبر وتأنيس له وعوض من الفخر بأبوة محمد صلى الله عليه وسلم فكان اسمه قرآنا يتلى في الدنيا والآخرة على السنة البشعر والملائكة وزاد في الآية أن قال وإذ تقول للذي (٣٦٢) أنعم الله عليه أي بالإيمان فدل على أنه من أهل الجنة فعلم ذلك قبل موته

فهذه فضيلة أخرى (قوله) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن أي ولا عقد ولا صداق وهذا من خصوصياته التي لم يشاركه فيها أحد بالاجماع وكان تزوجه بها سنة خمس من الهجرة وقيل سنة ثلاث وهي أول من مات بعده من زوجاته ماتت بعده بعشر سنين ولها من العمر ثلاث وخمسون سنة وكانت تفتخر على أزواج النبي وتقول زوجكن أهاليكن وزوجني الله من فوق سبع

من محبتها وأن لو فارقتها زيد تزوجها (وَتَخَشَى النَّاسَ) أن يقولوا تزوج زوجة ابنه (وَاللَّهُ أَحَقُّ أَنْ تَخْشَاهُ) في كل شيء وتزوجها ولا عليك من قول الناس، ثم طلقها زيد وانقضت عدتها قال تعالى (فَلَمَّا قَضَى زَيْدٌ مِنْهَا وَطَرًا) حاجة (زَوْجَنَا كَمَا) فدخل عليها النبي صلى الله عليه وسلم بغير إذن وأشبع المسلمين خيرا ولما (لِكَيْلَا يَكُونَ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ حَرَجٌ فِي أَزْوَاجِ أَدْعِيَائِهِمْ إِذَا قَضَوْا مِنْهُنَّ وَطَرًا وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) مقضيه (مَفْعُولًا. مَا كَانَ عَلَى النَّبِيِّ مِنْ حَرَجٍ فِيمَا فَرَضَ) أحل (اللَّهُ لَهُ سُنَّةَ اللَّهِ) أي كسنة الله فنصب بنزع الخافض (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأنبياء أن لا حرج عليهم في ذلك توسعة لهم في النكاح (وَكَانَ أَمْرُ اللَّهِ) فعله (قَدَرًا مَقْدُورًا) مقضيا (الَّذِينَ) نعت للذين قبله (يُبَلِّغُونَ رِسَالَاتِ اللَّهِ وَيَخْشَوْنَهُ وَلَا يَخْشَوْنَ أَحَدًا إِلَّا اللَّهَ) فلا يخشون مقالة الناس فيما أحل الله لهم (وَكَفَى بِاللَّهِ حَسِيبًا) حافظا لأعمال خلقه ومحاسبهم (مَا كَانَ مُحَمَّدٌ أَبَا أَحَدٍ مِنْ رِجَالِكُمْ) فليس أبا زيداى والله فلا يحرم عليه التزوج بزوجه زينب (وَلَكِنْ) كان (رَسُولَ اللَّهِ وَخَاتَمَ النَّبِيِّينَ) ،

سموات وكانت تقول للنبي جدى وجدك واحد وليس من نسائك من هي كذلك غيرى وقد أنسكتك الله فلا

والسفير في ذلك جبريل (قوله وأشبع المسلمين خيرا ولما) أي فذبح شاة وأطم الناس خيرا ولما حق تركوه ولم يولم النبي على أحد من نسائه كما أولم على زينب (قوله لكيلا يكون على المؤمنين حرج الخ) أي فهو دليل على أن هذا الأمر ليس مخصوصا به صلى الله عليه وسلم (قوله وكان أمر الله مفعولا) أي موجودا لا محالة (قوله من حرج) أي إثم (قوله فنصب بنزع الخافض) ويصح نصبه على الصدرية وفي هذه الآية رد على اليهود حيث عابوا على النبي صلى الله عليه وسلم كثرة النساء (قوله توسعة لهم في النكاح) أي فقد كان لداود مائة امرأة ولسليمان ولده سبع مائة امرأة وثلاثمائة امرأة (قوله قدرا مقدورا) هو من التأكيد كظلل ظليل وليل أليل (قوله ما كان محمد أباً أحد من رجالكم) أي أبوة حقيقة فلا ينافي أنه أبوم من حيث إنه شقيق عليهم وناصح لهم يجب عليهم تعظيمه وتوقيره (قوله ولكن رسول الله) العامة على تخفيف لكن ونصب رسول على أنه خير لكان المندوفة وقرى شديدا بتشديد لكن ورسول اسمها وخبرها محذوف تقديره أب من غير ورائه إذ لم يش له ولد ذكر وقرى أيضا بتخفيفها ورفع رسول على الابتداء والخبر مقدر أي هو أو بالعكس ووجه الاستدراك رفع مايتوهم من نفي الأبوة عنه أن حقه ليس أكيدا فأفاد أن حقه أكد من حق الأب الحقيقي بوصف الرسالة .

(قوله فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا) التنى في الحقيقة متوجه للموصف لئى يكون اسمه رجلا وكونه نبيا بعده وإلا فقد كان له من الكور أولاد ثلاثة إبراهيم والقاسم والطيب ولكمهم ماتوا قبل البلوغ فلم يبلنوا مبلغ الرجال فكونه خاتم النبيين يلزم منه عدم وجود ولد بالغ له ، وأورد عليه بمنع اللازمة إذ كثير من الأنبياء وجد لهم أولاد بالقون وليسوا بأنبياء . وأجيب بأن اللازمة ليست عقلية بل هى مقتضى الحكمة الإلهية وهى أن الله أكرم بعض الرسل بجعل أولادهم أنبياء كالخليل ونبينا أكرمهم وأفضلهم فلو عاش أولاده اقتضى تشريف الله له جعلهم أنبياء بلحه الزايا المتفرقة فى غيره فتدبر (قوله وإذا نزل السيد عيسى الخ) جواب عما يقال كيف قال تعالى - وخاتم النبيين - وعيسى ينزل بعده وهونى ؟ ولا يرد على هذا وضع الجزية وعدم قبول غير الاسلام ونحو ذلك مما جاء فى الأحاديث مما يخالف شرعنا لأن ذلك شرع نبينا عند نزول عيسى عليه الصلاة والسلام (قوله يا أيها الذين آمنوا اذكروا الله ذكر كرا كثيرا) فى هذا إشارة إلى تشريف المؤمنين عموما حيث ناداهم وأمرهم بذكره وتسبيحه وصلى عليهم هو وملائكته وأفاض عليهم الأنوار وحياهم ، والقصود من ذكر العباد ربهم كون الله يذكرهم قال تعالى - فاذكرونى أذكركم - وليس المقصود منه انتفاعه تعالى بذلك تنزه الله عن أن يصل له من عباده نفع أو ضرر قال تعالى - إن تكفروا فإن الله غنى عنكم - ، فذكرونا لأنفسنا لأنه لا غنى لنا عن ربنا طرفه عين ، وإذا كان كذلك فلا تليق الغفلة عنه أبدا بل المطلوب ذكره دائما وأبدا . واعلم أن الله تعالى لم يفرض فريضة على عباده إلا جعل لها حدا معلوما وعذر أهلها فى حال العذر غير الله كرم جعل له حدا ولم يعذر أحدا فى تركه إلا من (٣٦٣) كان مغلوبا على عقله ولذا أمرهم

به فى جميع الأحوال قال تعالى : فاذكروا الله قياما وقعودا وعلى جنوبكم ففيه إشارة إلى أن الذكر أمره عظيم وفصله جسيم (قوله وسبحوه بكرة وأصيلا) خص التسبيح بالله ذكر وإن كان داخلا فيه لكونه أعلى مراتبه ، وحكمة تخصيص التسبيح

فلا يكون له ابن رجل بعده يكون نبيا وفى قراءة بفتح التاء كآلة الختم : أى به ختموا (وَكَانَ اللَّهُ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) منه بأن لا نبي بعده وإذا نزل السيد عيسى يحكم بشريعته (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا أَذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا . وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا) أول النهار وآخره (هُوَ الَّذِي يُصَلِّيْ عَلَيْكُمْ) أى برحمكم (وَمَلَائِكَتُهُ) أى يستغفرون لكم (لِيُخْرِجَكُمْ) ليديم إخراجهم إياكم (مِنَ الظُّلُمَاتِ) أى الكفر (إِلَى النُّورِ) أى الإيمان (وَكَانَ بِالْمُؤْمِنِينَ رَحِيمًا . نَحْيَتُهُمْ) منه تعالى (يَوْمَ يَلْقَوْنَهُ سَلَامٌ) بلسان الملائكة (وَأَعَدَّ لَهُمْ أَجْرًا كَرِيمًا) هو الجنة (يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا) على من أرسلت إليهم (وَمُبَشِّرًا) مَنْ صَدَقَكَ بِالْجَنَّةِ (وَنَذِيرًا) مَنْذِرًا مِنْ كَذْبِكَ بِالنَّارِ (وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ) إِلَى طَاعَتِهِ (يَا أَيُّهَا

يهذين الوفتين لكونهما أشرف الأوقات بسبب نزول الملائكة فيهما (قوله هو الذى يصلى عليكم) استئناف فى معنى التعليل للأمر بالتذكر والتسبيح (قوله وملائكته) عطف على الضمير المستتر فى يصلى والفواصل موجود (قوله أى يستغفرون لكم) أى يطلبون لكم من الله المغفرة ، قال تعالى : ويستغفرون للذين آمنوا ربنا وسعت كل شئ رحمة وعلما فاغفر للذين تابوا واتبعوا سبيلك الآيات (قوله ليديم إخراجهم إياكم) جواب عما يقال إن إخراجهم إيانا من الظلمات حاصل بمجرد الإيمان . وإيضاح الجواب أن المراد دوام هذا الإخراج لأن الغفلة عن الخالق إذا دامت ربما أخرجت العبد من النور والعباد بالله تعالى (قوله من الظلمات إلى النور) جمع الأول لتعدد أنواع الكفر وأورد الثانى لأن الإيمان شئ واحد لا تعدد فيه فمن ادعى الإيمان وأثبت التعدد والمخالفة فهو ضال مضل خارج عن السنة والجماعة (قوله وكان بالمؤمنين رحيما) أى يقبل القليل من أعمالهم ويعفو عن الكثير من ذنوبهم حيث أخلصوا فى إيمانهم (قوله يحييهم منه تعالى) أى التحية الصادرة منه تعالى زيادة فى الاعتناء بهم وتعظيما لقد رهم (قوله يوم يلقونه) يختلف فى وقت اللقاة فليل عند الموت ، وقيل عند الخروج من القبور ، وقيل عند دخول الجنة (قوله بلسان الملائكة) أى لما ورد « إذا جاء ملك الموت يقبض روح المؤمن يقول ربك يقرئك السلام » وفى الحقيقة هم يسمعون السلام من الله ومن الملائكة ومن الخلق غيرهم قال تعالى - سلام قولا من رب رحيم - وقال تعالى - والملائكة يدخلون عليهم من كل باب سلام عليكم بمصبرتم - وقال تعالى : لا يسمعون فيها لغوا ولا تأثيلا لإقبالا سلاما سلاما (قوله هو الجنة) أى وما فيها من النعيم اللقيم (قوله على من أرسلت إليهم) أى لتتقرب أحوالهم وتكون مشاهدا لما صدر منهم من الأعمال

الحسنة والقبحة فالأهمال تُعرض عليه حينا وميثا ، ويصح أن يكون المراد شاعدا يوم القيامة للمؤمنين وعلى الكافرين فهو مقبول الدتوى لا يحتاج في دعواه إلى شهادة أحد فيشهد للأنبياء بالتبليغ وعلى الأمم بإبالتصديق أوالتكذيب (قوله بأمره) دفع بذلك مايقال إن الإذن حاصل بقوله أرسلناك . فلجلب بأن الزاد بالاذن الأمر ، والحكمة في الإذن تسهيل الأمر وتيسيره لأن الدخول في الشيء من غير إذن متعذر فإذا حصل الإذن سهل وتيسر ، ومن هنا أخذ الأشياخ استعمال الاجازة للريدين فمن أجزه أشياخه بشي من العلم والارشاد فقد سهلت له الطريق وتيسرت ومن لم تحصل له الاجازة وتصدر بنفسه فقد عطل نفسه وغيره وانسدت عليه الطرق (قوله وسراجا منيرا) يحتمل أن المراد بالسراج الشمس وهو ظاهر ويحتمل أن المراد به الصباح وحينئذ فيقال إنما شبه بالسراج ولم يشبه بالشمس مع أن نورها أتم لأنه لأن السراج يسول اقتباس الأنوار منه وهو صلى الله عليه وسلم تقتبس منه الأنوار الحسية والمعنوية (قوله وبشر المؤمنين) أى حيث كنت متصفا بالصفات الحسنة فبشر المؤمنين (قوله ولا تطع الكافرين) أى لاتدار الكفار ولا تلن لهم جانبك في أمر الدين بل اثبت على ماأوحى إليك وبلغه ولا تكتم منه شيئا (قوله ودع أذيهم) إما من إضافة المصدر لقاضيه أى أذيتهم إياك فلا تقاتلهم جزاء على ماصدر منهم أولفعله أى اترك أذيتك لهم في نظير كفرهم واصفح عنهم واصبر ولا تعاجلهم بالعقوبة ، وهذا منسوخ بآية القتال (قوله وتوكل على الله) أى تق به في أمورك واعتمد (٢٦٤) عليه يكفك أمور الدين والدنيا (قوله وكفى بالله وكيلا) الباء زائدة

في الفاعل أى أن الله تعالى كاف من توكل عليه أمور الدنيا والآخرة وفي الآية إشارة إلى أن التوكل أمره عظيم فإذا عجز الانسان عن أمر فلينه بالتوكل على الله والتفويض إليه فإن الله يكفيه ما أهمه من أمور الدنيا والآخرة (قوله إذا نصبحكم للؤمنات) المراد بالنكاح المسقد

بأمره (وسراجا منيرا) أى مثله في الاهتداء به (وبشر المؤمنين بأن لهم من الله فضلا كبيرا) هو الجنة (ولا تطع الكافرين والمنافقين) فيما يخالف شريعتك (ودع) اترك (أذيتهم) لا تجازم عليه إلى أن تؤمر فيهم بأمر (وتوكل على الله) فهو كافيك (وكفى بالله وكيلا) مفوضا إليه (يا أيها الذين آمنوا إذا نكحتم المؤمنات ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) وفي قراءة تماسوهن أى تجامعوهن (فإن كنتم عليهن من عدة تعتدونها) تحصونها بالأقراء وغيرها (فتمسوهن) أعطوهن ما يستمتن به ، أى إن لم يسم لهن أصدقة وإلا فلهن نصف المسمى فقط قاله ابن عباس وعليه الشافعي (وسرهن من سراجا جميلا) خلوا سبيلهن من غير إضرار (يا أيها النبي إنا أحلنا لك أزواجك اللاتي آتيت أجورهن) هورهن (وما ملكت يمينك ،

ما

بدليل قوله : ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن ، وذكر المؤمنات خرج مخرج الغالب

إذ الكتابيات كذلك وإما خص المؤمنات بالله كإشارة إلى أن الأولى للمؤمن أن ينكح المؤمنات ، وأما نكاح الكتابيات فمكروه أوخلاف الأولى (قوله ثم طلقتموهن من قبل أن تمسوهن) أى ولوطال زمن العقد (قوله وفي قراءة) أى وهما سبعيتان (قوله أى تجامعوهن) تفسير لكل من القراءتين (قوله تعتدونها) إما من العدد أو من الاعتداد أى تحسبونها أو تستوفون عددها من قولهم عدت البراءة فاعتدها أى استوفى عددها (قوله وعليه الشافعي) أى وما لك فالملقة قبل الدخول إذن ممي لها صدق فلامتعة لها ولاعتة عذبا وإن لم يسم لها صدق بأن نكحت تفويضا فلاعتة عليها ولها المتعة إما وجوبا كما هو عند الشافعي أو نهييا كما هو عند مالك (قوله خلوا سبيلهن) أى اتركوهن (قوله من غير إضرار) أى بأن تمسكوهن تحتنا حتى يفتردين منكم أو تؤذوهن وتتكلموا في أعراضهن (قوله يا أيها النبي إنا أحلنا لك الخ) اختلف المفسرون في المراد بهذه الآية فقيل ناعني أن الله أحل له أن يتزوج بكل امرأة دفع مهرها الخ فعلى هذا تكون الآية ناسخة للتحريم الكائن بعد التخيير للدلول عليه بقوله - لايجل لك النساء من بعد - ، فهذه الآية وإن كانت متقدمة في التلاوة فهي متأخرة في النزول عن الآية للنسخة بها كآية الوفاة في البقرة ، وقيل للمراد أحلنا لك أزواجك الكائنات عندك لأنهن اخترنك على الدنيا ، ويؤيده قول ابن عباس : كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يتزوج من أى النساء شاء وكان يشق على نسائه فلما نزلت هذه الآية وحرم عليه بها النساء إلا من سمى سر نساؤه بذلك ، والقول الأول أصح (قوله اللاتي آتيت أجورهن) بيان لما كان جله من مكارم الأخلاق

وَاللَّاهُ أَحْلَهُ أَنْ يَتَزَوَّجَ بِلا مَهْر (قوله مما أفاء الله عليك) بيان لما ملكت يمينك وهذا القيد خرج مخرج الغالب بل الله
 بأصراء كذلك (قوله كصفيه) هي بنت حبي بن أخطب من نسل هرون أخى موسى وتقدم أنها كانت من سبي خير أذن النبية
 صلى الله عليه وسلم له حبة الكلبى في أخذ جارية فأخذها فقيل للنبي صلى الله عليه وسلم أعطيتها سيدة بنى قريظة والنضير وهي
 لا تصلح إلا لك غشى عليهم الفتنة فأعطاه غيرها ثم أعتقها وتزوجها وبنى بها وهو راجع إلى المدينة ، وفي رواية « أنه صلى الله
 عليه وسلم قال لما هل لك في ؟ قالت نعم يا رسول الله إني كنت آتني ذلك في الشرك وكان بعينها خضرة فسألها عنها فقالت إنها كانت
 نائمة ورأس زوجها ملصقهم في حجرها فترأت قراوقع في حجرها فلما استيقظ أخبرته فطمعها وقال تمنين ملك يثرب » ماتت في رمضان
 سنة خمسين ودفنت في البقيع (قوله وجويرية) أي وهي بنت الحارث الخزاعية وكانت وقعت في صهم ثابت بن قيس بن شماس
 الأنصاري فكانها فجاءت تسأل النبي صلى الله عليه وسلم وعرفته بنفسها فقال هل لك إلى ما هو خير من ذلك أؤدّي عنك كتابتك
 وأتزوجك فقالت نعم فسمع الناس بذلك فأعتقوا ما بأيديهم من قومها وقالوا أصهار رسول الله صلى الله عليه وسلم قالت عائشة فما
 رأينا امرأة كانت أعظم في قوصها بركة منها أعتق بسببها مائة أهل بيت من بنى الصطاق وقسم لها النبي صلى الله عليه وسلم وكانت
 بنت هشر بن سنة وتوفيت سنة خمسين (قوله وبنات عمك وبنات عماتك) أي نساء قریش المنسوبات لأبيك وقوله وبنات
 خالك وبنات خالك أي نساء بنى زهرة المنسوبات لأمك ، (٣٦٥) وحكمة إفرادهم والحال دون العممة والحالة

أن العم والحال يعان إذا
 أضيفا لكونهما مفردين
 خالين من تاء الوحدة
 والعممة والحالة لا يعان
 لوجود التاء (قوله بخلاف
 من لم يهاجرن) أي فلا
 يحللن له وهذا الحكم
 مكان قبل الفتح حين
 كانت الهجرة شرطاً في
 الاسلام فلما نسخ حكم
 الهجرة نسخ هذا الحكم
 (قوله وامرأة مؤمنة)

بِمَا أَفَاءَ اللَّهُ عَلَيْكَ) مِنَ الْكُفَّارِ بِالسَّبْيِ كَصِفَةِ وَجُورِيَّةٍ (وَبَنَاتِ عَمِّكَ وَبَنَاتِ عَمَّاتِكَ
 وَبَنَاتِ خَالَكَ وَبَنَاتِ خَالَاتِكَ اللَّاتِي هَاجَرْنَ مَعَكَ) بِخِلَافِ مَنْ لَمْ يَهَاجِرْنَ (وَأَمْرَأَةً
 مُؤْمِنَةً إِنْ وَهَبْتَ نَفْسَهَا لِلنَّبِيِّ إِنْ أَرَادَ النَّبِيُّ أَنْ يَنْتَكِحَهَا) يَطْلُبُ نِكَاحَهَا بِغَيْرِ صَدَاقٍ
 (خَالِصَةً لَكَ مِنْ دُونِ الْمُؤْمِنِينَ) النِّكَاحُ بِلَفْظِ الْمُبَةِ مِنْ غَيْرِ صَدَاقٍ (قَدْ عَلِمْنَا مَا مِنْكُمْ مِنْكُمْ
 عَلَيْهِمْ) أَيِ الْمُؤْمِنِينَ (فِي أَزْوَاجِهِمْ) مِنَ الْأَحْكَامِ بِالْأَلَا يَزِيدُوا عَلَى أَرْبَعِ نِسَاءٍ وَلَا يَتَزَوَّجُوا
 إِلَّا بِوَلِيٍّ وَشُهُودٍ وَمَهْرٍ (وَ) فِي (مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُمْ) مِنَ الْإِمَاءِ بِشَرَاءٍ وَغَيْرِهِ بِأَنْ تَكُونَ
 الْأُمَةُ مِمَّنْ تَحِلُّ لِمَالِكِهَا كَالْكِتَابِيَّةِ بِخِلَافِ الْجُوسِيَّةِ وَالْوَثْنِيَّةِ وَأَنْ تَسْتَبِرَ قَبْلَ الْوَطْءِ (لِكَيْلَا)
 مَتَّعَ بِمَا قَبْلَ ذَلِكَ (يَكُونُ عَلَيْكَ حَرَجٌ) ضَيْقٌ فِي النِّكَاحِ (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا)
 لِمَا يَصْرُحُ التَّحَرُّزُ عَنْهُ (رَحِمًا) بِالتَّوَسُّعَةِ فِي ذَلِكَ ،

مطلوف على مفعول أحلنا أي وأما غير المؤمنة فلا تحل له وظاهر الآية أن النكاح يقع في حقه صلى الله عليه وسلم بالمبة وحينئذ
 فيكون من مخصصاته ، والنساء اللاتي وهبن أنفسهن أربع ميمونة بنت الحارث وزينب بنت خزيمة أم المساكين الأنصارية وأم
 شريك بنت جابر وخولة بنت حكيم . واعلم أنه يحرم على النبي تزوج الحرة الكتابية لما في الحديث « سألت ربي أن لا أزوج
 إلا من كان مني في الجنة فأعطاني » ولقوله تعالى : وأزواجه أمهاتهم ، ولا يليق أن تكون الشرقة أم المؤمنين ويحرم عليه أيضا
 نكاح الأمة ولو مسلمة لأن نكاحها مشروط بأمرين خوف العنت وعدم وجود مهر الحرة وكلا الأمرين مفقود . نه صلى الله عليه وسلم
 وأما تسريته بالأمة الكتابية ففيه خلاف (قوله إن وهبت نفسها للنبي) أظهر في محل الاضمار تشريفا لهذا الوصف واظهارا لعظمته قدره
 عنده (قوله إن أراد النبي أن ينتكحها) هذا الشرط قيد في الشرط الأول فإن وهبتا نفسها لا توجب حلها إلا إذا أراد نكاحها بأن يحصل
 منه القبول بعد المبة أو يسألها في ذلك قبل المبة فتدبر (قوله خالصة) مصدر معمول المحذوف أي خاضت لك خاصة وجمي المصدر
 على هذا الوزن كثير كالعاقبة والعافية والكاذبة (قوله من غير صداق) أي ومن غير ولي وشهود (قوله وغيره) أي كهبة (قوله بخلاف
 الجوسية الخ) أي فلا تحل لمالكها إلا إذا استسلمها وذلك كجوارى السودان والحبشة والمغرب لانهن يجبرن على الاسلام ولذا
 لا يجوز للكفار شراؤهن كما هو مقرر في الفقه (قوله وأن تستبرا قبل الوطء) أي كتابية كانت أو جوسية (قوله متعلق
 بما قبل ذلك) أي وهو قوله : إنا أحلنا لك ، والمعنى أحلنا لك أزواجك وما ملكت يمينك والموهوبة لك فلا يكون
 [٣٤ - صاوي - ثالث] عليك ضيق (قوله لما يصر التحرز عنه) أي لتوهم إذا ضاق الأمر اتسع .

(قوله ترجى من نشاء منهن الخ) اتفق المفسرون على أن القصد من هذه الآية التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في معاشرته لنفسه واختلافوا في تأويلها ، وأصح ما قيل فيها التوسعة على رسول الله صلى الله عليه وسلم في ترك القسم فكان لا يجب عليه القسم بين زوجاته لما روى عن عائشة رضي الله عنها قالت : كنت أغار على النبي صلى الله عليه وسلم على اللأني وهين أنفسهن لرسول الله صلى الله عليه وسلم وأقول أو تهب المرأة نفسها لرجل فلما أنزل الله عز وجل ترجى : من نشاء منهن وتوؤى إليك من نشاء ومن ابتغيت ممن عزلت قالت والله ما أرى ربك إلا يسارع في هواك ، وقيل إن ذلك في الواهبات أنفسهن وحينئذ فيكون المعنى تأخذ من شئت منهن وتترك من شئت ، فالعنى لك طلاق من شئت منهن وإمساك من شئت وعلى كل حال فالآية معناها التوسعة عليه في أمر النساء (قوله والياء بدله) أى بدل الحمزة وحينئذ فهو مرفوع بضمه مقدره على الياء منع من ظهورها الثقل (قوله عن نوبتها) أى من القسم (قوله ومن ابتغيت الخ) أى التي طالبت ردها إلى فراشك بعد أن عزلتها وأسقطتها من القسم فلا جناح عليك (قوله بعد أن كان القسم واجبا عليه) هذا أحد قولين ، وقيل كان محيرا من أول الأمر ولم يكن واجبا عليه ابتداء (قوله ذلك أدنى أن تقر أعينهن) هذا إشارة إلى حكمة تخييره في القسم وعدم وجوبه عليه ، والمعنى لم يجب عليه القسم بين نسائه مع أنه عدل لأن التخيير أقرب إلى سكون أعينهن وعدم خزنهن وأقرب إلى رضاهن بما حصل (٢٦٦) لمن لأنهن إذا علمن أن الله لم يوجب على النبي شيئا من القسم وحصل منه

القسم سررن بذلك وقنعن به (قوله تأكيد للفاعل) أى فهو بالرفع وهذه قراءة العامة وقرئ مشدودا بالنصب تأكيد للفعول (قوله والله يعلم ما في قلوبكم) خطاب للنبي على جهة التعظيم ويحتمل أن يراد العموم (قوله والميل إلى بعضهن) أى بالطبع فكان يميل إلى بعضهن أكثر وكان يقول «اللهم إن هذا حظي فيها أملك

(رُجِي) بالهمز والياء بدله: تؤخر (مَنْ تَشَاءُ مِنْهُنَّ) أى أزواجك عن نوبتها (وَتَوَوِي) تضم (إِلَيْكَ مَنْ تَشَاءُ) منهن فتأتيها (وَمَنْ أُبْتَغَيْتَ) طلبت (مِمَّنْ عَزَلْتَ) من القسمة (فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ) في طلبها وضماها إليك ، خير في ذلك بعد أن كان القسم واجبا عليه (ذَلِكَ) التخيير (أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَ وَرَضِينَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ) ما ذكر الخبير فيه (كُلُّهُنَّ) تأكيد للفاعل في يرضين (وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ) من أمر النساء والميل إلى بعضهن ، وإنما خيرناك فيهن تيسيرا عليك في كل ما أردت (وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا) بخلقه (حَلِيمًا) عن عقابهم (لَا تَحِلُّ) بالتاء والياء (لَكَ النِّسَاءُ مِنْ بَعْدِ) بعد التسع اللاتي اخترتك (وَلَا أَنْ تَبَدَّلَ) بترك إحدى التامين في الأصل (بِهِنَّ مِنْ أَزْوَاجٍ) بأن تطلقهن أو بعضهن وتنكح بدل من طلقت (وَلَوْ أَعْجَبَكَ حُسْنُهُنَّ إِلَّا مَا مَلَكَتْ يَمِينُكَ) من الاماء فتحل لك ، وقد ملك صلى الله عليه وسلم بعدهن مارية ،

وولدت

فلا تؤاخذني فيما لا أملك» ، واتفق العلماء على أنه صلى الله عليه وسلم كان يعدل بينهن في القسمة

حق مات غير سودة رضي الله عنها فأنها وهبت ليلتها لعائشة رضي الله عنها (قوله حلما عن عقابهم) أى يعلم العيب ويستتره فينبغي للانسان أن لا يفرط في حقوقه لأن انتقام الجليم وغضبه أمر عظيم لما في الحديث « اتقوا غيظ الجليم » ففي الآية ترغيب وترهيب (قوله بالتاء والياء) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله بعد التسع) أى بعد اجتماعهن في عصمتك فهن بمنزلة الأربع لآحاد الأمة ، فقد قصر الله نبيه عليهن جزاء لمن على اختيارهن الله ورسوله وهن التسع اللاتي توفى عنهن ، وهن عائشة بنت أبي بكر الصديق وحفصة بنت عمر بن الخطاب وأم حبيبة بنت أبي سفيان وسودة بنت زمعة وأم سلمة بنت أبي أمية وصفية بنت حيي وميمونة بنت الحارث الهلالية وزينب بنت جحش وجويرية بنت الحارث انصطقلية ، وقيل المراد بعد التخيير (قوله ولا أن تبدل بهن من أزواج) البدل في الجاهلية أن يقول الرجل للرجل: تنزل لي عن امرأتك وأنزل لك عن امرأتى وأزيدك ، والمراد هنا نهيه عن المغارقة والاببدال بأي وجهه (قوله من أزواج) من زائدة في المفعول (قوله ولو أعجبك حسنهن) حال من فاعل تبدل (قوله إلا ما ملكت يمينك) استثناء متصل من النساء لأنه يتناول الأزواج والاماء ، وقيل منقطع لاجراجه من الأزواج (قوله وقد ملك بعدهن مارية) أى القبطية أهداها المقوقس ملك القبط ، وهم أهل مصر والاسكندرية ، وذلك أنه صلى الله عليه وسلم بعث له حاطب بن أبي بلتعة مכתاب يدعو فيه إلى الاسلام ، صورته : بسم الله

الرحمن الرحيم من محمد بن عبد الله إلى المقوقس عظيم القبط ، سلام على من اتبع الهدى ، أما بعد : فإني أدعوك بدعا ، الإسلام أسلم تسلم وأسأل يوثقك الله أجرك مرتين ، فإن توليت فإني أعطي عليك إثم القبط - وبأهل الكتاب تعالوا إلى كلمة سواء بيننا وبينكم - الآية - فلما جاء حاطب بالكتاب إلى المقوقس وجده في الاسكندرية ، فدفعه إليه فقرأه ثم جعله في حق من عاج وختم عليه ودفعه إلى جارية ، ثم كتب جوابه في كتاب صورته : بسم الله الرحمن الرحيم لمحمد بن عبد الله من المقوقس عظيم القبط سلام عليك . أما بعد : فقد قرأت كتابك وفهمت ما ذكرت فيه وماندعو إليه وعلمت أن بما قد بقي وما كنت أظن إلا أنه يخرج بالشام ، وقد أكرمت رسولك : أي فإنه قد دفع له مائة دينار وخمسة أبواب ، وبشت لك بجاريتين لهما مكان في القبط عظيم أي وما مارية وسيرين ثوبيا من قباطي مصر وطيبا وعودا ونداء ومسكاً مع ألف مثقال من الذهب ومع قدح من قوارير وبغلة للركوب وأهدى إليه جارية أخرى زيادة على الجاريتين وخصيا يقال له مأبور والبغلة هي لدل وكانته بهاء وفرسا وهو الازار ، فإنه سأل حاطبا ما الذي يجب صاحبك من الخيل ؟ فقال له الأشقر ، وقد تركت عنده فرسا يقال لها المرتجى فانتخب له فرسا من خيل مصر للوصوفة فأسرج وألجم وهو فرسه الليمون ، وأهدى إليه عسلا من عسل بنها قرية من قرى مصر ، فأعجب به صلى الله عليه وسلم وقال : إن كان هذا عسلكم فهذا أحلى ثم دعا فيه بالبركة (قوله وولدت له إبراهيم) أي في ذى الحجة سنة ثمان وعاش سبعين يوما ، وقيل سنة عشرة أشهر ، وقوله ومات في حياته : أي ولم يصل عليه بنفسه بل أمرهم فصالوا عليه (قوله يا أيها الذين آمنوا لا تدخلوا بيوت النبي الخ) هذه الآية نزلت في شأن وليمة زينب بنت جحش حين نبي بها رسول الله صلى الله عليه وسلم ، عن أنس بن مالك قال « كنت (٢٦٧) أعلم الناس بشأن الحجاب حين

أنزل وكان أول ما أنزل في بناء رسول الله صلى الله عليه وسلم بزينب بنت جحش حين أصبح النبي صلى الله عليه وسلم بها عروسا فدعا القوم ، فأصابوا من الطعام ثم خرجوا ببق رهط عند النبي صلى الله عليه وسلم

وولدت له إبراهيم ومات في حياته (وَكَانَ اللَّهُ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ رَقِيبًا) حفيظا (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَدْخُلُوا بُيُوتَ النَّبِيِّ إِلَّا أَنْ يُؤْذَنَ لَكُمْ) في الدخول بالدعاء (إِلَى طَعَامٍ) فتدخلوا (غَيْرَ نَاطِرِينَ) منتظرين (إِنَاهُ) نضجه مصدر أتى يأتي (وَلَكِنْ إِذَا دُعِيتُمْ فَادْخُلُوا فَإِذَا طَعِمْتُمْ فَانْتَشِرُوا، وَلَا تَمْكُوا) (مُسْتَأْنَسِينَ لِحَدِيثٍ) من بعضكم لبعض (إِنَّ ذَٰلِكُمْ) المكث (كَانَ يُؤْذِي النَّبِيَّ فَيَسْتَحْيِي مِنْكُمْ) أن يخرجكم (وَاللَّهُ لَا يَسْتَحْيِي مِنَ الْحَقِّ) أن يخرجكم : أي لا يترك بيانه وقرى يستحي ،

وطالوا المكث فقام رسول الله صلى الله عليه وسلم فخرج وخرجت معه لكي يخرجوا ففتى النبي صلى الله عليه وسلم ومشيت حتى جاء عتبة حجرة عائشة ، ثم ظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه حتى إذا دخل على زينب فإذا هم جلوس لم يقوموا فرجع النبي صلى الله عليه وسلم ورجعت حتى إذا بلغ حجرة عائشة وظن أنهم قد خرجوا فرجع ورجعت معه فإذا هم قد خرجوا ، فغضب النبي صلى الله عليه وسلم بينه وبينه السر وأنزل الحجاب (قوله إلا أن يؤذن لكم) أي إلا بسبب الإذن لكم (قوله إلى طعام) متعلق بيؤذن لتضمينه معنى يدعى كقوله المفسر (قوله فتدخلوا غير ناظرين إناه) هذا التقدير غير مناسب لأنه يقتضي أن الدخول مع الإذن لا يجوز معه انتظار نضج الطعام مع أنه يجوز فالمناسب حذف هذا التقدير إذ هذه الآية نزلت في قوم كانوا يدخلون من غير إذن وينظرون نضج الطعام فنهام الله عن كل من الأمرين . والحاصل أن أسباب النزول في هذه الآيات تعددت: منها أن قوما كانوا يدخلون بيوت النبي بغير دعوة وينظرون نضج الطعام ، ومنها أن قوما كانوا يدخلون بأذن ويتخلفون بعد ما طعموا مستأنسين لحديث ، ومنها مواكلا الأجاب مع رسول الله صلى الله عليه وسلم بحضور زوجاته فنزلت آية الحجاب ونهى عن ذلك كله ، وآيات الحجاب هذه لحضور أمهات المؤمنين ، وأما لعموم الأمة فقد تقدم في سورة النور تأمل (قوله مصدر أتى يأتي) أي من باب رمى وقياس ، صدره أتى لكنه لم يسمع وإنما المسموع إني بالكسر والقصر (قوله فإذا طعمتم) أي أكلتم الطعام (قوله فانتشروا) أي اذهبوا حيث شئتم في الحال ولا تمكثوا بعد الأكل والشرب (قوله ولا تمكثوا مستأنسين) أشار بذلك إلى أن مستأنسين حال من محذوف وذاك المحذوف معطوف على انتشروا (قوله كان يؤذي النبي) أي لتضييقه عليه (قوله فيستحي منكم) أي من إخراجكم (قوله والله لا يستحي من الحق) المراد بالحق إخراجكم من منزله وأطلق الاستحياء في حق الله وأريد لازمه وهو ترك البيان .

(قوله بيا واحدة) أى قراءة شاذة فى الثانى (قوله فسئلوهن من وراء حجاب) روى أن عمر قال يا رسول الله يدخل عليك البر والفاجر فلو أمرت أمهات المؤمنين بالحجاب فزلت . وروى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم كان يأكل معه بعض أصحابه فأصاب به رجل منهم بدعا فتسوهى تأكل معهم فكره النبي ذلك فزلت هذه الآية (قوله ذلكم) أى ما ذكر من عدم الدخول غير إذن وعدم الاستئناس بالحديث وسؤال المتاع من وراء الحجاب (قوله من الخواطر الريبة) أى أنى وأبعد لدفع الريبة والهمة وهو يدل على أنه لا يفتنى لأحد أن يفتنى بنفسه فى الخلوة مع من لا عمل له فإن مجانبته ذلك أحسن لحاله وأحسن لنفسه (قوله وما كان لكم) أى ماصح وما استقام لكم وقوله أن تؤذوا هو اسم كان ولكم خبرها وأن تنكحوا عطف على اسم كان نزلت هذه الآية فى رجل من الصحابة يقال له طلحة بن عبيد الله قال فى سره : إذا قبض رسول الله صلى الله عليه وسلم نكحت عائشة ثم ندم هذا الرجل ومضى إلى مكة على رجله وحمل على عشرة أفراس فى سبيل الله وأعتق رقه فكفر الله عنه (قوله من بعده) أى بعد وفاته أو فراقه ولو قبل الدخول بها لأن كل من عقد عليها رسول الله صلى الله عليه وسلم يتأبد تحررها على أمته وأما إماؤه فلا يحرم على غيره إلا بمسه لمن (قوله إن ذلكم) أى ما ذكر من إبدائه ونكاح أزواجه من بعده (قوله إن تبدوا شيئا) أى تظهروه على أنفسكم وقوله أو تخفوه : أى فى صدوركم وقوله فيجازيكم عليه جواب الشرط وقوله فإن الله كان بكل شئ عليما تعليل للجواب (٣٦٨) وهو بمعنى قوله تعالى - إن تبدوا ما فى أنفسكم أو تخفوه يحاسبكم به الله -

بيا واحدة (وَإِذَا سَأَلْتُمُوهُنَّ) أى أزواج النبي صلى الله عليه وسلم (مَتَاعًا فَسْأَلُوهُنَّ مِنْ وَرَاءِ حِجَابٍ) ستر (ذَلِكُمْ أَطْهَرُ لِقُلُوبِكُمْ وَقُلُوبِهِنَّ) من الخواطر الريبة (وَمَا كَانَ لَكُمْ أَنْ تُؤْذُوا رَسُولَ اللَّهِ) بشئ (وَلَا أَنْ تَنكَحُوا أَزْوَاجَهُ مِنْ بَدْنِهِ أَبَدًا) إِنَّ ذَلِكُمْ كَانَ عِنْدَ اللَّهِ ذَنْبًا (عَظِيمًا) . إِنْ تَبْدُوا شَيْئًا أَوْ تُخْفُوهُ مِنْ نِكَاحِ مَنْ بَدْنِهِ (فَإِنَّ اللَّهَ كَانَ بِكُلِّ شَيْءٍ عَلِيمًا) فيجازيكم عليه (لَا جُنَاحَ عَلَيْهِنَّ فِي آبَائِهِنَّ وَلَا أَبْنَائِهِنَّ وَلَا إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ إِخْوَانِهِنَّ وَلَا أَبْنَاءَ أَخَوَاتِهِنَّ وَلَا نِسَائِهِنَّ) أى اللؤمات (وَلَا مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ) من الإماء والعبيد أن يروهن ويكلموهن من غير حجاب (وَأَتَقِينَ اللَّهَ) فيما أمرت به (إِنَّ اللَّهَ كَانَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ شَهِيدًا) لا يفتنى عليه شئ (إِنَّ اللَّهَ وَمَلَائِكَتَهُ يُصَلُّونَ عَلَى النَّبِيِّ) محمد صلى الله عليه وسلم (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا صَلُّوا عَلَيْهِ ،

(قوله لا جناح عليهن فى آبائهن الخ) هذا فى اللعى مستثنى من قوله - وإذا سألتوهن متاعا - الآية . روى أنه لما نزلت آية الحجاب قال آباؤهن وأبنائهن وأخواتهن وأبناء أخواتهن رسول الله : أو نكلمهن أيضا من وراء حجاب فزلت هذه الآية وقوله فى آبائهن : أى أصلهن وإن علون وقوله ولا أبناؤهن المراد فروعهن

وسلموا

وإن سفلوا (قوله ولا نساءهن) الاضافة من حيث المشاركة فى الوصف وهو الاسلام فقول للنفسر

أى اللؤمات تفسير للضاف ومفهومة أن النساء الكافرات لا يجوز لمن النظر لأزواج النبي صلى الله عليه وسلم وهو كذلك ولا مفهوم لأزواج النبي بل جميع النساء للسلمات كذلك فلا يحل للسلمة أن تبدى شيئا منها للكافة ثلاثتها أزواجها الكافرة (قوله واتقين الله) عطف على محذوف والتقدير امتثلن ما أمرت به واتقين الله وحكمة تخصيص الحجاب هنا بأمهات المؤمنين وإن تقبل فى سورة النور عموما دفع تورم أن أزواج النبي كالأمهات من كل وجه فأقاد هنا أنهن كالأمهات فى التعظيم والتوقير لا فى الخلوة والنظر فأتين كالأجانب بل هن أشد فذكرهن حجابا خصوصا فلا يقال إنه مكرر مع ما تقدم فى النور (قوله لا يفتنى عليه شئ) أى من الطاعات والمعاصي الظاهرة والخفية (قوله إن الله وملائكته يصلون على النبي الخ) هذه الآية فيها أعظم دليل على أنه صلى الله عليه وسلم مهبط الرحمت وأفضل الخلق على الإطلاق إذ الصلاة من الله على نبيه رحمة للقرونة بالتعظيم ، ومن الله على غيره النبي مطلق الرحمة بقوله تعالى - هو الذى يصلى عليكم وملائكته ليخرجكم من الظلمات إلى النور - فانظر الفرق بين الصلاتين والفضل بين اللقامين (قوله وملائكته) بالنصب معطوف على اسم إن ، وقوله يصلون خبر عن الملائكة وخبر لفظ الجلالة محذوف تقديره ين الله يصلى وملائكته يصلون وهذا هو الأتم لتغاير الصلاتين ، وللرأى بالملائكة جميعهم والصلاة من الملائكة الدعاء تنبيها بما يليق به وهو الرحمة للقرونة بالتعظيم وحيث فقد رحمة النبي كل شئ بما لرحمة الله نصار بذلك مهبط الرحمت ومنع التجليات (قوله يا أيها الذين آمنوا صلوا عليه) أى ادعوا له بما يليق به وحكمة صلاة الملائكة والمؤمنين على النبي تشریفهم بذلك

حيث اتدوا بالله في مطلق الصلاة وإظهار تعظيمه صلى الله عليه وسلم ومكانة نبض حقوقه على الخلق لأنه الواسطة العظمى في كل فهمة وصلت لهم وحق طم من وصل له نعمة من شخص أن يكافئه فصلاة جميع الخلق عليه مكافأة لبعض ما يجب عليهم من حقوقه . إن قلت إن صلاتهم طلب من الله أن يصلي عليه وهو مصل عليه مطلقا طلبوا أولا . أجيب بأن الخلق لما كانوا عاجزين عن مكافأته صلى الله عليه وسلم طلبوا من القادر المالك أن يكافئه ، ولأنك أن الصلاة الواسطة للنبي صلى الله عليه وسلم من الله لا تقف عند حد فكما طلبت من الله زادت على نبيه فهي دائمة بدوام الله (قوله وسلموا نسلها) إن قلت خص السلام بالمؤمنين دون الله واللائكة . أجيب بأن هذه الآية لما ذكر عقب ذكر ما يؤذى النبي والأذية إغماي من البشر فناسب التخصيص بهم لأن في السلام سلامة من الآفات ، وأكد السلام دون الصلاة لأنها لما أسندت لله ولا تسكته كانت غنية عن التأكيد . واعلم أن العلماء اتفقوا على وجوب الصلاة والسلام على النبي صلى الله عليه وسلم ، ثم اختلفوا في تعيين الواجب فعند مالك تجب الصلاة والسلام في العمر مرة ، وعند الشافعي تجب في التشهد الأخير من كل فرض وعند غيرهما تجب في كل مجلس مرة ، وقيل تجب عند ذكره ، وقيل يجب الاكثار منها من غير تقييد بعدد ، وبالجملة فالصلاة على النبي أمرها عظيم وفضلها جسيم وهي من أفضل الطاعات وأجل القربات حتى قال بعض العارفين : إنها توصل إلى الله تعالى من غير شيخ لأن الشيخ والسند فيها صاحبها لأنها تعرض عليه ويصلي على الصلي بخلاف غيرها من الأذكار فلا بد فيها من الشيخ العارف والإخلاص (٣٦٩) الشيطان ولم ينتفع صاحبها بها

(قوله أي قولوا اللهم صل على محمد وسلم) أي اجمعوا بين الصلاة والسلام وصيغ الصلاة على النبي صلى الله عليه وسلم كثيرة لا تحصى وأفضلها ما ذكر فيه لفظ الآل والصحب فمن تمسك بأي صيغة منها حصل له الجبر العظيم (قوله إن الذين يؤذون الله ورسوله) أي ائذوا في حق الله معناه تعدى حدوده وفي حق الرسول ظاهر (قوله وم

وَسَلِّمُوا تَسْلِيمًا) أي قولوا : اللهم صل على محمد وسلم (إِنَّ الَّذِينَ يُؤْذُونَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ) وم الكفار يصفون الله بما هو منزّه عنه من الولد والشريك وبكذبون رسوله (لَعَنَهُمُ اللَّهُ فِي الدُّنْيَا وَالْآخِرَةِ) أبعدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ عَذَابًا مُهِينًا) ذا إهانة وهو النار . (وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بَغْيًا ظَاهِرًا كَتَبْنَا لَهُمْ فِي الدُّنْيَا لُحُومًا يَلَاقُونَ) (يَأْتِيهَا النَّبِيُّ قُلٌّ لِّأَزْوَاجِكَ وَبَنَاتِكَ وَنِسَاء الْمُؤْمِنِينَ يُدْنِينَ عَلَيْهِنَّ مِنْ جَلَابِيبٍ) جمع جلباب ، وهي اللادة التي تشتمل بها المرأة أي يرخين بعضها على الوجوه إذا خرجن لحاجتهن إلا عينا واحدة (ذَلِكَ أَدْنَى) أقرب إلى (أَنْ يُعْرِضْنَ) بأنهن حرائر (فَلَا يُؤْذِينَ) بالتعرض لمن ، بخلاف الإماء فلا يغطين وجوههن فكان للناقضون يتعرضون لمن (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) لما سلف منهم من ترك السر (رَحِيمًا) بهن إذ سترهن (لَنْ) لام قسم (لَمْ يَنْتَهِ لِّلنَّاقِظُونَ) عن نقاقهم ،

الكفار أي اليهود والنصارى والمشركون (قوله لعنهم الله في الدنيا) أي حجبهم عن الطاعة والتوحيد ، وقوله والآخرة : أي بتخليدهم في العذاب الدائم (قوله أبعدهم) أي عن رحمته (قوله ذا إهانة) أي هوان واستخفاف (قوله والذين يؤذون المؤمنين الخ) قيل نزلت في علي بن أبي طالب كانوا يؤذونه ويسمعونه ، وقيل نزلت في شأن عائشة رضي الله عنها ، وقيل نزلت في شأن الناقضين الذين كانوا يعيشون في طرق المدينة يطلبون النساء إذا برزن بالليل اقتضاء حوائجهم فان سكنت المرأة اتبعوها وإن زجرتهم اتبعوا عنها ، وفي هذه الآية زجر لمن يسعى الظن بالمؤمنين والمؤمنات ويتكلم فيهم من غير علم وهي بمعنى قوله تعالى - يا أيها الذين آمنوا اجتنبوا كثيرا من الظن إن بعض الظن إثم - (قوله يا أيها النبي قل لأزواجك الخ) سبب نزولها أن الناقضين كانوا يتعرضون للنساء بالأذية يريدون منهم الزنا ولم يكونوا يطلبون إلا الإماء واسكن كانوا لا يعرفون الحرمة من الأمة لأن زنى السك واحد تخرج الحرمة والأمة في درج وخمار فشكون ذلك لأزواجهن فذكروا ذلك لرسول الله صلى الله عليه وسلم فنزلت (قوله يدنين أي يرخين ويغطين) (قوله التي تشتمل بها) أي تغطي وتستتر بها المرأة من فوق الدرع والحمار (قوله فلا يغطين وجوههن) أي فكن لا يغطين وجوههن ، وهذا فيما مضى وأما الآن فالواجب على الحرمة والأمة الستر بشيء غير مزينة خوف الفتنة (قوله لما ساف منهم من ترك السر) ورد أن عمر بن الخطاب مرّ بجارية متقمة فعلاها بالدرة وقال لها أنتسبهين بالحرائر بالكاع ألقى القناع (قوله لن لم ينته للاقضون) أي كعبد الله بن أبي وأصحابه .

(قوله والذين في قلوبهم مرض) أى لجور ، وهم الزناة وهم من جملة المنافقين (قوله وللرجفون في المدينة) أى بالكلب ، وذلك أن ناسا منهم كانوا إذا خرجت سراياه صلى الله عليه وسلم يرقعون في الناس أنهم قد قتلوا وهزموا ويقولون قد أتاكم العدو (قوله لنسأطنك عليهم) أى فتخرجهم من مجلسك وتقتلهم ، وقد فعل بهم صلى الله عليه وسلم ذلك فانه لما نزلت سورة براءة جمعهم وصعد على المنبر فقال النبي صلى الله عليه وسلم «يا فلان قم فاخرج فانك منافق ويا فلان قم» فقام إخوانهم من المسلمين وتولوا إخراجهم من المسجد (قوله ملعونين) حال من محذوف قدره المفسر بقوله ثم يخرجون (قوله أى الحكم فيهم هذا) أى الأخذ والقتل (قوله على جهة الأمر به) أى أن الآية خبر بمعنى الأمر (قوله أى سن الله ذلك) أشار بذلك إلى أن سنة مصدر مؤكد وفيه تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم : أى فلا تحزن على وجود المنافقين في قومك فانه سنة قديمة كما كان في قوم موسى منهم موسى السامري وأتباعه وقارون وأتباعه (قوله ولن تجد لسنة الله تبديلا) أى تغييرا ونسخا لكونها بنيت على أساس متين فليست مثل الأحكام التي تبدل وتنسخ (قوله يستلك الناس) أى على سبيل الاستهزاء والسخرية لأنهم ينكرونها . واعلم أن (٢٧٠) السائل للنبي عن الساعة أهل مكة واليهود فسؤال أهل مكة استهزاء وسؤال

اليهود امتحان لأن الله أخفى علمها في التوراة فان أجابهم بالمتعين ثبت عندهم كذبه وإن أجابهم بقوله علمها عند ربى مثلا ثبتت نبوته وصدقته فقول المفسر أى أهل مكة : أى واليهود (قوله عن الساعة) أى عن أصل نبوتها وعن وقت قيامها (قوله قل إنما علمها عند الله) أى لم يطلع عليها أحدا وهذا إنما هو وقت السؤال والإفلام يخرج نبينا صلى الله عليه وسلم من الدنيا حتى أطلعها الله

(وَالَّذِينَ فِي قُلُوبِهِمْ مَرَضٌ) بالزنا (وَالرَّجِفُونَ فِي الْمَدِينَةِ) المؤمنين بقولهم : قد أتاكم العدو وصراياكم قتلوا أو هزموا (لَنُفْرِيَنَّكَ بِهِمْ) لنسأطنك عليهم (ثُمَّ لَا يُجَاوِرُونَكَ) يسأكنونك (فِيهَا إِلَّا قَلِيلًا) ثم يخرجون (مَلْعُونِينَ) مبغدين عن الرحمة (أَيُّنَّا تُفَفُّوْا) وجدوا (أُخِذُوا وَقُتِّلُوا تَفْتِيلًا) أى الحكم فيهم هذا على جهة الأمر به (سُنَّةَ اللَّهِ) أى سن الله ذلك (فِي الَّذِينَ خَلَوْا مِنْ قَبْلُ) من الأمم الماضية في مناقبتهم المرجفين المؤمنين (وَلَن تَجِدَ لِسُنَّةِ اللَّهِ تَبْدِيلًا) منه (يَسْأَلُكَ النَّاسُ) أى أهل مكة (عَنِ السَّاعَةِ) متى تكون (قُلْ إِنَّمَا عِلْمُهَا عِنْدَ اللَّهِ وَمَا يُدْرِيكَ) يملك بها : أى أنت لاتعلمها (لَعَلَّ السَّاعَةَ تَكُونُ) توجد (قَرِيبًا . إِنَّ اللَّهَ لَعَنَ الْكَافِرِينَ) أبدهم (وَأَعَدَّ لَهُمْ سَعِيرًا) ناراً شديدة يدخلونها (خَالِدِينَ) مقدراً خلودهم (فِيهَا أَبَدًا لَا يَجِدُونَ وِلْيَةً) يحفظهم عنها (وَلَا نَصِيرًا) يدفها عنهم (يَوْمَ تُقَلَّبُ وُجُوهُهُمْ فِي النَّارِ يَقُولُونَ : يَا لَلْتَنِيبَةِ) ليتنا أطعنا الله وأطعنا الرسل (يَا لَلْآسَفِ) وقالوا (أى الاتباع منهم) ربنا إنا أطعنا سادتنا (وفي قراءة ساداتنا جمع الجمع) (وَكُذِّبْنَا فَأَضَلُّونَا السَّبِيلًا) طريق الهدى (رَبَّنَا آتِهِمْ ضِعْفَيْنِ مِنَ الْعَذَابِ) أى مثل عذابنا (وَالْعَنَهُمْ) عذبهم ،

(لنا)

على جميع الغيبات ومن جملتها الساعة لكن أمر بكتن ذلك (قوله

وما يدريك) ما استفهامية مبتدأ وجملة يدريك خبره والاستفهام إنكارى (قوله لعل الساعة تكون قريباً) لعل حرف ترجى ونصب والساعة اسمها وجملة تكون خبرها وقريباً حال وتكون تامة ولنا فسرهما بتوجد ، والمعنى قل أترجى وجود الساعة عن قريب فكل منهما جملة مستقلة لما ورد «إن الدنيا سبعة آلاف سنة بعث رسول الله صلى الله عليه وسلم في الألف السابع فلم يبق من الدنيا إلا القليل» (قوله أبدهم) أى عن رحمة (قوله مقدراً خلودهم) أشار بذلك إلى أن قوله خالدين حال مقدرة (قوله فيها) أى في السعير وأنه مراعاة لمعناه (قوله أبداً) تأكيد لما استفيد من قوله : خالدين (قوله يوم تقاب) بما ظرف لخالدتين أو ليقولون مقدم عليه ، والمعنى تصرف من جهة إلى جهة كاللحم يشوى بالنار (قوم يقولون ياليتنا) كلام مستأنف واقع في جواب سؤال مقدرك أنه قيل ماذا صنعوا عند ذلك فقيس يقولون متحسرين على ما فاتهم ياليتنا الخ (قوله وأطعنا الرسل) بأف بعد اللام ودونها هنا ، وفي قوله السبيلا قراءة ثان سبعيتان وتقصد التنبيه على ذلك (قوله ساداتنا) جمع إما لسيد أو لسائد على غير قياس (قوله وفي قراءة) أى وهي سبعة أيضاً (قوله جمع الجمع) أى جمع تصحيح بالألف والتاء لسادة الذى مفردة إما سيد أو سائد (قوله أى مثل عذابنا) أى لأنهم ضلوا وأضلوا .

(قوله وفي قراءة بالوحدة) أي وهما سبعينان (قوله ما يمنعه أن يقتل معنا الخ) أي لما روى «أن بني إسرائيل كانوا يقتلون عراة ينظر بعضهم إلى سوءه وكان موسى يقتل وحده» فقالوا والله ما يمنعه موسى أن يقتل معنا إلا أنه آدر فذهب يوما يقتل فوضع ثوبه على حجر ففر الحجر بثوبه فجعل موسى عليه السلام يعدو أثره يقول : ثوبي حجر ثوبي حجر حتى نظرت بنو إسرائيل سوءة موسى ، فقالوا والله ما يمنعه من بأس ، فقام الحجر حتى نظروا إليه فأخذ ثوبه فاستتر به وطفق بالحجر ضربا قال أبوهريرة : والله إن به ندبا : أي أراسته أو سبعة من ضرب موسى (قوله فبرأه الله) أي أظهر برأته لهم (قوله وهي نفخة في الخسفة) أي بسبب انصباب مائة أريج غليظ فيها (قوله وكان عند الله وجهها) المراد عندية مكانة وقدر لا مكان (قوله فغضب النبي من ذلك) أي وقال كما في رواية «إن لم أعدل من يعدل خسرت وندمت إن لم أعدل» (قوله قولاسديدا) المراد قولاً فيه رضا الله بأن يكون مما يعني الإنسان فدخل في ذلك جميع الطاعات القولية وهذا التفسير أتم من غيره (قوله يتقبلها) أي يتبكم عليها (قوله ويفرلکم ذنوبکم) أي يمحوها من الصحف أو يسترها عن الملائكة (قوله إنا عرضنا الأمانة على السموات والأرض والجبال) اختلف في المراد بالأمانة ، فأحسن ما قيل فيها أنها التكليف (٢٧١) الشرعية ، وقيل إنها قواعد

لدين الخمس ، وقيل هي الودائع ، وقيل الفرج ، وقيل غير ذلك روى «أن الله تعالى قال للسموات والأرض والجبال أتحملن هذه الأمانة بما فيها قلن وما فيها؟ قال إن أحستين جوزيتن وإن عصيتن عوقبتن . قلن لا يارب نحن مسخرات لأمرك لا نريد ثواباً ولا عقاباً» وقلن ذلك خوفاً وخشية وتعظيماً لدين الله لثلاث يقمن بها لا معصية ولا مخالفة لأمره وكان العرض عليهن تخيراً لا إلزاماً ولولاهن

(لَمَّا كَثِيرًا) عدده وفي قراءة بالوحدة: أي عظيماً (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا لَا تَسْكُونُوا) مع نبيكم (كَالَّذِينَ آذَوْا مُوسَى) بقولهم مثلاً : ما يمنعه أن يقتل معنا إلا أنه آدر (قَبْرَاهُ اللَّهُ مِمَّا قَالُوا) بأن وضع ثوبه على حجر ليقتل ففر الحجر بثوبه حتى وقف بين ملائكة بني إسرائيل فأذركه موسى فأخذ ثوبه فاستتر به فأراه لا أدركه به ، وهي نفخة في الخسفة (وَكَانَ عِنْدَ اللَّهِ وَجِيبًا) ذا جاه . ومما أودى به نبينا صلى الله عليه وسلم أنه قسم قسمًا فقال رجل هذه قسمة ما أريد بها وجه الله تعالى فغضب النبي صلى الله عليه وسلم من ذلك وقال «يرحم الله موسى لقد أودى بأكثر من هذا فصبر» رواد البخاري (يَأْتِيهَا الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا اللَّهَ وَقُولُوا قَوْلًا سَدِيدًا) صواباً (يُصْلِحْ لَكُمْ أَعْمَالَكُمْ) يتقبلها (وَيَغْفِرْ لَكُمْ ذُنُوبَكُمْ) وَمَنْ يُطِيعِ اللَّهَ وَرَسُولَهُ فَقَدْ فَازَ فَوْزًا عَظِيمًا (إِنَّا عَرَضْنَا الْأَمَانَةَ) الصلوات وغيرها مما في فعلها من الثواب وتركها من العقاب (عَلَى السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَالْجِبَالِ) بأن خلق فيها فهما ونطقاً (فَابْتِئْنَ أَنْ يُحْمِلْنَهَا وَأَشْفَقْنَ) خفن (مِنْهَا وَحَمَلَهَا الْإِنْسَانُ) آدم بعد عرضها عليه (إِنَّهُ كَانَ ظَلُومًا) لنفسه بما حمله (جَهُولًا) به ،

لم يمنعن من حملها (قوله من الثواب) بيان لما : أي عرضها مع الثواب والعقاب على السموات الخ (قوله بأن خاق فيها فهما) أي حق عقلت الخطاب ، وقوله ونطقاً : أي حتى ردت الجواب (قوله فابتين أن يحملنها) أي استصغارا وخوفاً من عدم الوفاء بها فليس إياؤهن كإباء إبليس من السجود لآدم لأن السجود كان فرضاً والأمانة كانت عرضاً وإياؤهن استكباراً وإياؤهن استصغاراً (قوله وأشفقن منها) أي خفن من عدم القيام بها وعدم أدائها (قوله وحملها الإنسان) عطف على محذوف تقديره فعرضناها على الإنسان لحملها (قوله بعد عرضها عليه) روى أن الله عز وجل قال لآدم «إني عرضت الأمانة على السموات والأرض والجبال فلم آتقنها فهل أنت آخذ بما فيها؟ قال يارب وما فيها؟ قال إن أحسنت جوزيت وإن أسأت عوقبت» فحملها آدم فقال بين أذني وعاني . قال الله تعالى أما إذ تحملت فسا عينك وأجعل لبصرك حجاباً فإذا خشيت أن تنظر إلى ما لا يحل فأرخ عليه حجاباً وأجعل لسانك لحين وغلافاً فإذا خشيت فأغلق عليه وأجعل لقرجك لباساً فلا تكشفه على ما حرمت عليك» قال مجاهد : لما كان بين أن تحملها وبين أن أخرج من الجنة إلامقدار ما بين الظهر إلى العصر (قوله إنه كان ظلوماً لنفسه) أي حيث حملها لا لتطبيقه ، وقوله جهولاً به : أي بما حمله ، وقيل جهولاً بقدر ربه لأنه لا يعلم قدره غيره ، وهذا يناسب تفسير الإنسان بآدم وعود الضمير عليه وإن أريد بالضمير ما يشمله وأولاده فيكون في الكلام استخدام فيقال في الأنبياء والصالحين منهم كذلك وفي خبرهم العظم والجهل

من حيث حياته في الأمانة وجاوزه حد الصريح (قوله ليذهب الله المنافقين) اللام للعاقبة والصبرورة على حد - وما خلقت الجن والإنس إلا ليعبدون - (قوله وسكان الله غفورا للمؤمنين) أي حيث عفا عما سلف منهم (قوله رحباً بهم) أي حيث أتابهم وأكرمهم بأنواع الكرامات ، وحكمة إخبار الأمة بما حصل من تحمل آدم الأمانة ليكونوا على أهبة ويعرفوا أنهم متحملون أمراً عظيماً لم تقدر على حمله الأرض والسماوات والجبال ، وقيل في حق الصوم إنه كان ظلوماً جهولاً .

[سورة سبأ] بالصرف وتركه كما سيأتي ، سميت بذلك لذكر قصة سبأ فيها من باب تسمية الشيء باسم بضمه (قوله حمد تعالى) من باب فهم (قوله الراد به) بالجر نعت لاسم الإشارة (قوله الثناء بضمونه) أي إنشاء الثناء بضمونه وهو الوصف بالجليل وليس المراد إنشاء الضمون لأن اتصافه بالجليل أزلي ثابت له سبحانه وتعالى وإنما تعبدنا الله تعالى بتجديد حمد موافق للحمد الأزلي ، وهذا يؤيد قول بعض العلماء إن آل في الحمد همدية لأن الله سبحانه لما علم هجر خلقه عن كنه حمده حمد نفسه بنفسه أولاً وأمرهم أن يحمده . يحمده . يحمده موافق لحده فتحصل أن الوصف بالجليل ثابت لله أولاً (٢٧٢)

(لِيُعَذِّبَ اللَّهُ) اللام متعلقة بمرضا المترتب عليه حمل آدم (الْمُنَافِقِينَ وَالْمُنَافِقَاتِ وَالْمُشْرِكِينَ وَالْمُشْرِكَاتِ) المضمين الأمانة (وَيَتُوبَ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ) المؤدين الأمانة (وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا) للمؤمنين (رَحِيمًا) بهم .

(سورة سبأ)

مكية إلا : ويرى الذين أوتوا العلم الآية ، وهي أربع أو خمس وخمسون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك المراد به الثناء بضمونه من ثبوت الحمد ، وهو الوصف بالجليل لله تعالى (الَّذِي لَهُ مَا فِي السَّمَوَاتِ وَمَا فِي الْأَرْضِ) ملكاً وخلقاً (وَلَهُ الْحَمْدُ فِي الْآخِرَةِ) كالدينيا يحمده أوليائه إذا دخلوا الجنة (وَهُوَ الْحَكِيمُ) في فعله (الْخَبِيرُ) بمخلقه (يَعْلَمُ مَا يَلْجِجُ) يدخل (فِي الْأَرْضِ) كاه وغيره (وَمَا يَخْرُجُ مِنْهَا) كنبات وغيره (وَمَا يَنْزِلُ مِنَ السَّمَاءِ) من رزق وغيره (وَمَا يَرْجُجُ) يصعد (فيها) من حمل وغيره (وَهُوَ الرَّحِيمُ) بأوليائه (الْفُؤْرُ) لهم (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا :

وإنشاء الثناء به حادث
قول الله تعالى الحمد لله
اللفظ والتلفظ حادثان
والان على معنى قديم
وهو اتصاف الله بالجليل .
إن قلت الحمد مدح
ومدح النفس مذموم
يبغ الخلق لما وجه
ذلك ؟ . أجب بأن
أوصاف الرب لا تقاس
على أوصاف العبيد
الآثرى الاتصاف بالعظمة
والكبرياء فأنها نقص
في الخلق كمال في الخالق
وبهذا انهدم قول المعتزلة
إن كل ما حسنه العقل
يوصف به الرب وكل
ما قبحه العقل يزه عنه

لا

وبنوا على ذلك أموراً فاسدة منها وجوب الصلاح والأصلح وغير ذلك (قوله ملكاً وخلقاً)

أي أن كل ما في السموات وما في الأرض مخلوق له سبحانه وتعالى (قوله وله الحمد في الآخرة) أي في نظير النعم التي تعطى لأهل الإيمان فالحمد في الآخرة مخصوص بمن آمن ، وأما الكفار فليسوا من أهله (قوله كالدينيا) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء (قوله يحمده أوليائه) المراد بهم المؤمنون (قوله إذا دخلوا الجنة) أي فيقولون : الحمد لله الذي أذهب عنا الحزن ، الحمد لله الذي صدقنا وعده (قوله وهو الحكيم الخبير) أي فلا اعتراض عليه في فعل من الأفعال (قوله يعلم ما يلج في الأرض) تفصيل لبعض معلوماته التي تعلق بها مصالح الدين والدنيا (قوله كاه وغيره) أي كالكنوز والأموال (قوله كنبات وغيره) أي كالكنوز والأموال إذا أخرجت من القبور (قوله من رزق وغيره) أي كالبركات والملائكة والصواعق (قوله وما يخرج فيها) ضمن المروج معنى الاستقرار فعدها بي دون إلى (قوله من حمل وغيره) أي كالملائكة فهو سبحانه وتعالى محيط بجميع ذلك (قوله الغفور لهم) أي إذا عصوه أو فرطوا في بعض حقوقه ، وفي ذلك إشارة إلى أن رحمة الله وغفرانه مختصان بمن يدخل الجنة وهذا في الآخرة ، وأما في الدنيا فرحمته وسعت كل شيء

(قوله لا تأتينا الساعة) أراد التكفار بتسمير التكلم جميع الخلق لخصوص أنفسهم وأرادوا أيضا بنفي إثباتها نفي وجودها لاحد حصة مع كونها موجودة في نفس الأمر (قوله قل بلى) رد لكللامهم لأن كلامهم نفي ، فأجيب بالنفي ونفي النفي إثبات (قوله ورأي) أتى بالقسم تأكيذا للرد وقوله - عالم الغيب - تقوية للتأكيد ، والحكمة في وصفه تعالى بهذا الوصف الاهتمام بشأن المقسم عليه (قوله بالجر الخ) أي فالتقراآت الثلاث سبعيات وجهان في صيغة اسم الفاعل ووجه واحد في صيغة المبالغة (قوله لا يعزب) بضم الزاي في قراءة الجمهور وكسرها في قراءة الكسائي (قوله ولا أصغر من ذلك الخ) قرأ العامة بضم الراء في أصغر وأكبر على أنه مبتدأ وخبره قوله إلا في كتاب مبين ، وقرئ بفتح الراء على أن لا تافيه للجنس وأصغر اسمها وقوله : إلا في كتاب مبين خبرها ، والمعنى على كل من القراءتين واحد وهو أن كل ما كان وما يكون وما هو كائن من سائر الخلق ثابت في اللوح المحفوظ ومبين فيه زيادة على تعلق علم الله به وإثباتها في اللوح لا احتياج نزه الله عنه . إن قلت أي حاجة إلى ذكر الأ أكبر بعد الأصغر إذ هو مفهوم بالأولى . أجيب بأنه لدفع توهم أن إثبات الأصغر خوف توهم النسيان ، وأما الأكبر فلا يفسى فلا حاجة إلى إثباته فأفاد أن كلا مرسوم في اللوح المحفوظ لا احتياج (قوله ليجزى الذين آمنوا الخ) علة لقوله لتأتينكم كأنه قال لتأتينكم لأجل (٣٧٣) جزاء المؤمنين والكافرين واللام للعاقبة والصيرورة (قوله

لَا تَأْتِينَا السَّاعَةُ) القيامة (قُلْ) لهم (يَلَىٰ وَرَآئِي لَتَأْتِيَنَّكُمْ عَالِمِ الْغَيْبِ) بالجر صفة والرفع خبر مبتدأ ، وعلام بالجر (لَا يَعْزُبُ) يغيب (عَنْهُ مِثْقَالُ) وزن (ذَرَّةٍ) أصغر نملة (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَلَا أَصْغَرَ مِنْ ذَلِكَ وَلَا أَكْبَرَ إِلَّا فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ) بين هو اللوح المحفوظ (لِيَجْزِيَ) فيها (الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ أُولَٰئِكَ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَرِزْقٌ كَرِيمٌ) حسن في الجنة (وَالَّذِينَ سَعَوْا فِي) إبطال (آيَاتِنَا) القرآن (مُعْجِزِينَ) وفي قراءة هنا وفيما يأتي معاجزين أي مقدرين عجزنا أو مسابقين لنا فيفوتونا لظنهم أن لا يبعث ولا عقاب (أُولَٰئِكَ لَهُمْ عَذَابٌ مِنْ رِجْزٍ) سَيِّءُ العذاب (أَلِيمٌ) مؤلم بالجر والرفع صفة لرجز أو عذاب (وَيَرَى) يعلم (الَّذِينَ أُوتُوا الْعِلْمَ) مؤمنو أهل الكتاب كمبد الله بن سلام وأصحابه (الَّذِي أُنْزِلَ إِلَيْكَ مِنْ رَبِّكَ) أي القرآن (هُوَ) فصل (الْحَقُّ وَيَهْدِي إِلَى صِرَاطٍ) طريق (الْعَزِيزِ الْحَمِيدِ) أي الله ذي العزة المحمود (وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا) أي قال بعضهم على جهة التعجب لبعض (هَلْ نَدُلُّكُمْ عَلَىٰ رَجُلٍ) هو محمد (يُنَبِّئُكُمْ) ينبخركم أنكم

مقدرين عجزنا الخ) ألف وشر مررب ، والمعنى مؤمنين أنهم يعجزون رسولنا بسبب سعيهم في إبطال القرآن (قوله أو مسابقين لنا) أي مغالبين لنا بسبب طعنهم في القرآن طائفتين أن مغالبتهم تمنع عنهم العذاب وذلك أن القرآن يثبت البعث والعذاب لمن حكمهم ميطعون فيه ويريدون إبطاله لظنهم أن ذلك الإبطال ينفعهم فيفرون من البعث والعذاب لاعتقادهم بطلانه (قوله لظنهم أن لا يبعث الخ) علة لقوله سعوا (قوله بالجر والرفع) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله ويرى) إما بالرفع بضمة مقدرة على الاستئناف أو بالنصب على أنه معطوف على يجزى فقول المفسر يعلم يصح قراءته بالوجهين والذين فاعل والذي أنزل منقول أول وهو ضمير فصل والحق مفعول ثان ، وقوله ويهدي إما عطف على الحق من باب عطف الفعل على الاسم الخالص كأنه قيل ويرى الذين أوتوا العلم الذي أنزل إليك من ربك الحق وهاديا ، أو مستأنفا أحوال بتقدير وهو يهدي (قوله مؤمنو أهل الكتاب) هذا أحد أقوال ، وقيل للراد بهم أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل جميع المسلمين (قوله العزيز) أي عديم النظير والشبيه والمثل أو من عز بمعنى قهر وغلب (قوله الحميد) فضيل بمعنى مفعول أي محمود في ذاته وصفاته وأفعاله (قوله هو محمد) نكروه تجاهلا وسخرية كأنهم لم يعرفوا منه إلا أنه رجل مع أنه عندهم أشهر من الشمس في رابعة النهار .

(قوله إذا مزقتم) يتعين أن عامل الطرف محذوف تقديره تبعثون ومحقرون إذا مزقتم الخ يدل عليه قوله : إنكم لن تخلقوا جديدا ولا يصح أن يكون عامله ينبشكم لأن الاخبار لم يقع في ذلك الوقت ولا قوله مزقتم لأنه مضاف إليه والمضاف إليه لا يعمل في المضاف ولا خلق جديد لأن ما بعد أن لا يعمل فيما قبلها وصاروة المفسر غير وافية بالمراد فلو قال ينبشكم أنكم تبعثون إذا مزقتم لوفي بالمقصود (قوله بمعنى تمزيق) أشار بذلك إلى أن ممزق اسم مصدر لأن كل ما زاد على الثلاث يجيء اسم مصدره وزماته ومكانه على زنة اسم المفعول (قوله إنكم لن تخلقوا جديدا) أي تفتشون خلقا جديدا بعد تمزيق أجسامكم (قوله أفترى على الله كذبا) يحتمل أن يكون من تمام قول الكافرين هل ندلكم الخ ويحتمل أن يكون من كلام السامع جوابا للقائل (قوله واستغنى بها) أي بهمة الاستغناء لأنها كافية في التوصل للنطق بالسالكين (قوله في ذلك) أي الاختيار بالبعث (قوله جنون) أي خبل في عقله (قوله قال تعالى) أشار بذلك إلى أن هذا إنشاء كلام من الله ردًا عليهم وماتقدم وإن كان كلامه إلا أنه حكاية عنهم (قوله العذاب) أي في الآخرة وذكره إشارة إلى أنه متحقق الوقوع فنزل للتوقع منزلة الواقع وقدمه على الضلال وإن كان الضلال حاصلًا لهم بالفعل لأن التسليية بحصول العذاب لهم آثم من الاخبار بكونهم في الضلال (قوله أفلم يروا) الهمزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة (٢٧٤) عليه والتقدير أعموا فلم يروا الخ (قوله ما بين أيديهم) المراد به ما ينظره

من غير التفات وقوله وما خلفهم المراد به ما ينظر له بالتفات ، فالمراد جميع الجهات (قوله من السماء والأرض) بيان لما ، والمعنى أفلم يتفكروا في أحوال السماء والأرض فيستدلوا على باهر قدرته تعالى وقد علمنا الله كيفية النظر بقوله : أفلم ينظروا إلى السماء فوقهم كيف بفيهاها وزينهاها وما لها من فروج الآية (قوله إن نشأ) هذا

(إِذَا مَزَقْتُمْ) قَطَعْتُمْ (كُلَّ مُزْقٍ) بِمَعْنَى تَمَزَّقٍ (إِنَّكُمْ لَنِي خَلَقْتُمْ جَدِيدًا . أَفَتَرَى) بفتح الهمزة للاستغناء واستغنى بها عن همزة الوصل (قُلِ اللَّهُ كَذِبًا) فِي ذَلِكَ (أَمْ بِوَجْهَةِ) جَنُونَ تَحْيِلُ بِهِ ذَلِكَ . قَالَ تَعَالَى (بَلِ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ) الْمُشْتَمَلَةُ عَلَى الْبَعْثِ وَالْعَذَابِ (فِي الْعَذَابِ) فِيهَا (وَالضَّلَالِ الْبَعِيدِ) عَنِ الْحَقِّ فِي الدُّنْيَا (أَفَلَمْ يَرَوْا) يَنْظُرُوا (إِلَى مَا بَيْنَ أَيْدِيهِمْ وَمَا خَلْفَهُمْ) مَا فَوْقَهُمْ وَمَا تَحْتَهُمْ (مِنَ السَّمَاءِ وَالْأَرْضِ) إِنْ نَشَأْ نُخَسِّفْ بِهِمُ الْأَرْضَ أَوْ نَنْسُقُ عَلَيْهِمْ كِسْفًا) بِسُكُونِ السَّيْنِ وَفَتْحِهَا قِطْعَةً (مِنَ السَّمَاءِ) وَفِي قِرَاءَةِ فِي الْأَفْصَالِ الثَّلَاثَةِ بِالْيَاءِ (إِنْ فِي ذَلِكَ) الْمُرْتَبِ (لَايَةً لِّكُلِّ عَبْدٍ مُنِيبٍ) رَاجِعٍ إِلَى رَبِّهِ تَدُلُّ عَلَى قُدْرَةِ اللَّهِ عَلَى الْبَعْثِ وَمَا يَشَاءُ (وَلَقَدْ آتَيْنَا دَاوُدَ مِنَّا فَضْلًا) نُبُوَّةً وَكِتَابًا وَقُلْنَا : (يَا جِبَالُ أَوِّبِي) رَجْعِي (مَعَهُ) بِالتَّسْبِيحِ (وَالطُّبَرِ) بِالنَّصْبِ عَطْفًا عَلَى مَحَلِّ الْجِبَالِ : أَيْ وَدَعَوْنَاهَا تَسْبِيحَ مَعَهُ (وَأَلْنَا لَهُ الْحَدِيدَ) ،

وكان

تحذير للكفار كأنه قيل لم يبق من أسباب وقوع العذاب بكم إلا تعاقب مشيئتنا به

(قوله نخسف بهم الأرض) أي كاخسفناها بقارون (قوله أو نسقط عليهم كسفا) أي كما أسقطناها على أصحاب الأيكة (قوله بسكون السين وفتحها) أي فهم اقراءتان سبعيتان وكل منهما جمع كسفة فقول المفسر قطعة المناسب قطعاً (قوله في الأفصال الثلاثة) أي نشأ ونخسف ونسقط (قوله إن في ذلك الرئي) أي من السماء والأرض (قوله ولقد آتينا) اللام موثقة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا (قوله وكتاباً) أي وهو الزبور (قوله وقلنا) قدره إشارة إلى أن قوله يا جبال مقول لقول محذوف معطوف على قوله آتينا فهو زيادة على الفضل (قوله أوبي) بفتح الهمزة وتشديد الواو أمر من التأويب وهو الترجيع وهو قراءة العامة وقرئ شذوذاً أوبي بضم الهمزة وسكون الواو أمر من آب بمعنى رجع أي ارجعي وعودي معه في التسبيح كما سبى فكان داود إذا سبى أجابته الجبال وعطفت عليه الطير من فوقه ، وقيل كان إذا أهدركه فتورأعجه الله تسبيح الجبال فينشط له (قوله عطفاً على محل الجبال) أي لأن محل نصب لكونه منادى مفرداً أو مفعولاً معه وقرئ بالرفع عطف على لفظ الجبال تشبيهاً للحركة البنائية بالحركة الإعرابية قال ابن مالك : وإن يكن مصحوب ال مانسقا ففيه وجهان ورفع يفتق . (قوله وألنا له الحديد) سبب ذلك أن الله تعالى أرسل له ملكاً في صورة رجل فسأله داود عن حال نفسه فقال له ما تقول في داود ؟ فقال نعم هو لولا خصلة فيه ، فقال داود ما هي ؟ قال إنه يأكل ويظم حياله من بيت المال ، فسأل داود عليه السلام ربه أن يسبب له سبباً يستغنى به عن بيت المال

فلان الله له الحديد وعلمه صنعة الدروع فهو أول من اتخذها وكانت قبل ذلك صفائح ، قيل كان يعمل كل يوم درعا ويبيعها بأربعة آلاف درهم وينفق ويتصدق منها فلما قال صلى الله عليه وسلم « كان داود لا يأكل إلا من عمل يده » (قوله فكان في يده كالعجين) أى من غير نار ولا آلة (قوله دروعا كوامل) أشار بذلك إلى أن سابغات صفة لموصوف محذوف (قوله وقدر في السرد) اختلف في معنى الآية ، فقيل اجعله على سبيل الحاجة ولا تنهك فيه بل اشتغل بعبادة ربك ، وقيل قدر المسامير في حلق الدروع لاغلاظا ولادقاقا ، ورد ذلك بأنه لم يكن في حلقها مسامير لعدم الحاجة إليها بسبب إلانة الحديد وحينئذ فلا ظهر ما قاله المفسر من أن السرد الدروع والتقدير اجل كل حلقة مساوية لأختها ضيقة لا ينفذ منها السهم في الفاظ لا تقبل الكسر ولا تثقل حاملها والكل نسبة واحدة (قوله بحيث تناسب حلقة) بفتحين أو بكسر ففتح جمع حلقة بفتح فسكون أو بفتحين (قوله أى آل داود) تفسير الواو في اعمالوا (قوله صالحا) أى عملا صالحا ولا تسكوا على عز أبيكم وجاهه (قوله فأجازيكم عليه) أى إن خيرا غير وإن شرا فشر (قوله لسليمان الريح) الجار والمجرور متعلق بمحذوف قدره للمفسر بقوله سخرنا بدليل التصريح به في قوله تعالى - وسخرنا له الريح تجري بأمره - (قوله بتقدير تسخير) أى فالجار والمجرور خبر مقدم والريح مبتدأ مؤخر على حذف مضاف والأصل وتسخير الريح كأن لسليمان لحذف المضاف وأقيم المضاف إليه مقامه (قوله غدوها شهر) مبتدأ وخبر ، والمعنى سيرها من (٢٧٥) الغداة إلى الزوال مسيرة شهر

السار المجتد ومن الزوال للغروب مسيرة شهر ، عن الحسن كان سليمان يغدو من دمشق فيقيل في إصطخر وينتقم مسيرة شهر ثم يروح من إصطخر فيبيت ببابل وبينهما مسيرة شهر للراكب السريع وتقدم أن الريح كانت تحمل البساط بجيوشه لأى جهة توجه إليها فالعاصف تعلق البساط والرخاء تسيره (قوله

فكان في يده كالعجين ، وقلنا (أن أعمل) منه (سابغات) دروعا كوامل يجرها لابسها على الأرض (وقدر في السرد) أى نسج الدروع ، قيل لصانها سراد : أى اجعله بحيث تناسب حلقة (وأعملوا) أى آل داود معه (صالحا أى بما تشاءون بصير) فأجازيكم به (و) سخرنا (لسليمان الريح) وقراءة الرفع بتقدير تسخير (غدوها) سيرها من الغداة بمعنى الصباح إلى الزوال (شهر ورؤاها) سيرها من الزوال إلى الغروب (شهر) أى مسيرته (وأسنا) أذنا (له عين القطر) أى النحاس فأجريت ثلاثة أيام بلياليهن كجرى الماء ، وعمل الناس إلى اليوم مما أعطى سليمان (ومن الجن من يعمل بين يديه بإذن) بأمر (ربه ومن يزغ) يضل (منهم عن أمرنا) له بطاعته (نذقه من عذاب السير) النار في الآخرة ، وقيل في الدنيا بأن يضربه ملك بسوط منهاضربة تحرقه (يشعلون له ما يشاء من محاريب) أبنية مرتفعة يصعد إليها بدرج (وتمايل) جمع تمايل ، وهو كل شئ مثله بشئ : أى صور من نحاس وزجاج ورخام

وأسلنا له عين القطر) أى جعلنا النحاس في معدنه جاريا كالعين النابعة من الأرض وكانت تلك العين بالجن (قوله فأجريت ثلاثة أيام) قيل مرة واحدة ، وقيل كان يسيل في كل شهر ثلاثة أيام (قوله وعمل الناس الخ) مبتدأ خبره قوله مما أعطى سليمان : أى صنع الناس النحاس وإذابته بالنار من آثار كرامة سليمان لأنه قبل ذلك لم يكن يلين بنار ولا غيرها (قوله من يعمل بين يديه) يصح أن يكون مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله ويصح أن يكون مفعولا لمحذوف تقديره وسخرنا من الجن من يعمل ومن على كل حال واقعة على فريق (قوله بطاعته) أى بطاعة سليمان (قوله بأن يضربه ملك الخ) أى فقد وكل الله ملكا بالجن السخرين لسليمان وجعل في يده سوطا من نار ، فمن زاعج منهم عن طاعة سليمان ضربه بذلك السوط ضربة أحرقت (قوله أبنية مرتفعة) أى مساجد وغيرها ، وسميت بذلك لأن صاحبها يحارب فيها غيره لحايتها ، وقيل المراد بالمحاريب خصوص المساجد والأقرب ما قاله المفسر وليس المراد بها الطاقات التي تقف فيها الأئمة في المساجد إذ هي حادثة في المساجد بعد زمن النبي صلى الله عليه وسلم ، وسميت بالمحاريب تشبيها لها بالأبنية المرتفعة لأنها رفيعة القدر ولذا خصوها بالأئمة (قوله وتمايل) قال بعضهم إنها سور الأنبياء عليهم الصلاة والسلام والعلماء كانت تصور في المساجد ليراهم الناس فيزدادوا عبادة واجتهادا يدل على ذلك قوله صلى الله عليه وسلم « إن أولئك كان إذا مات فيهم الرجل الصالح بنوا على قبره مسجدا وصوروا فيه تلك الصور » أى ليذكروا عبادتهم فيجتهدوا في العبادة

(قوله ولم يكن اتخاذ الصور حراما الخ) جواب عما يقال إن اتخاذ الصور حرام فتكيف يليق اتخاذها من سليمان . وأهل أن اتخاذ الصور أولا كان لمقصد حسن فلما ساء للمقصد بسبب اتخاذها آلهة تعبد من دون الله حرم الله اتخاذها على العباد (قوله وهي حوض كبير) يسمى جابية لأن الماء يجي فيه أي يجمع . (قوله آل داود) للراد سليمان وأهل بيته (قوله شكرا) مفعول لأجبه أي اعملوا لأجل الشكر لله على ما أعطاكم من تلك النعم العظيمة التي لا تاضي وهذا أعظم المقاصد وهو العمل لأجل شكر الله على نعمه فالواجب على العباد خدمة الله وطاعته لداته وسابق نعمه عليهم حيث أوجدكم من العدم وجعل لهم السمع والبصر والأفئدة والعافية وغير ذلك من أنواع النعم التي لا تحصى (قوله وقليل من عبادي الشكور) أي لكون هذا المقصد عزرا لم يوفق له إلا القليل من الناس ، وغالب الناس عبادتهم وطاعتهم إما لأجل طلب الدنيا أو خوفا من النار وطمعاً في الجنة . [فائدة] من جملة عمل الجن لسليمان يات المقدس . وذلك أن داود ابتداء بنائه في موضع فسطاط موسى التي كان ينزل فيها فرفعه قدر قامة فأوحى الله إليه لم يكن تمامه على يدك بل على يد ابن لك اسمه سليمان ، فلما قضى على داود واستخلف سليمان وأحب إتمامه جمع الجن والشياطين وقسم عليهم الأعمال فأرسل بعضهم في تحصيل الرخام وبعضهم في تحصيل البلور من معادنه وأمر ببناء المدينة بالرخام والصنائع فلما فرغ منها ابتداء في بناء للمسجد فوجه الشياطين فرقا منهم من يستخرج الجواهر والياقوت والدر الصافي من أما كنها ومنهم من يأتيه بالمسك والطيب والعنبر من أما كنه فأتى من ذلك بشيء كثير ثم أحضر الصناع لنحت تلك الأحجار وإصلاح تلك الجواهر وقب تلك الياقوت والآلتي فبناء بالرخام الأبيض والأصفر والأخضر وجعل عمده من البلور الصافي وسقفه بأنواع الجواهر وبسط أرضه بالعنبر فلم يكن على وجه الأرض يومئذ بيت أبهى (٢٧٦) ولا أتور منه فكان يضيء في الظلمة كالقمر ليلة البدر فلم يزل على هذا

البناء حتى غزاها بمختصر
غرب المدينة وهدمه
وأخذ من فيه من الذهب
والفضة وسائر أنواع
الجواهر وحمله إلى ملكه
بالعراق حين بطرت
بنو إسرائيل النعم وقتلوا
زكريا ويحيى ، وكان
ابتداء بناء بيت المقدس

ولم يكن اتخاذ الصور حراما في شريعته (وَجِيفَانِ) جمع جفنة (كأَلْجَوَابِ) أي جمع جابية ، وهي حوض كبير يجتمع على الجفنة ألف رجل يأكلون منها (وَقُدُورٍ رَاسِيَاتٍ) ثابتات لها قوائم لا تتحرك عن أما كنها تتخذ من الجبال باليمن يصعد إليها بالسلام ، وقلنا (أَعْمَلُوا) يا (آل دَاوُدَ) بطاعة الله (شُكْرًا) له على ما آتاكم (وَقَلِيلٌ مِنْ عِبَادِيَ الشَّكُورُ) العامل بطاعتي شكرا لنعمتي (قَلْبًا قَاضِيًا عَلَيْنَا) على سليمان (الْمَوْتَ) أي مات ، ومكث قائما على عصاه حولا ميتا والجن تعمل تلك الأعمال الشاقة على عادتها لا تشعر بموته ،

حتى

في السنة الرابعة من ملك سليمان وكان عمره سبعا وستين سنة وملك وهو ابن سبع

عشرة وكان ملكه خمسين سنة وقرب بعد فراغه منه اثني عشر ألف نور ومائة وعشرين ألف شاة واتخذ اليوم الذي فرغ فيه من بنائه عيداً وقام على الصخرة رافعا يديه إلى الله تعالى بالدعاء ، وقال اللهم أنت وهبت لي هذا السلطان وقويتني على بناء هذا المسجد اللهم فأوزعني شكرك على ما أنعمت علي وتوفني على ملتك ولا ترغ قلبي بعد إذ هديتني ، اللهم إني أسألك لمن دخل هذا المسجد خمس خصال لا يدخله مذهب دخل للتوبة إلا غفرت له وتبت عليه ولا خائف إلا أمنت ولا سقيم إلا شفيت ولا فقير إلا أغنيت والحامسة ألا تصرف نظرك عمن دخله حتى يخرج منه إلا من أراد إلحادا أو ظمنا يارب العالمين . وروى أن سليمان لما بنى بيت المقدس سأل الله تعالى خلا ثلاثا حكما يصادف حكمه فأوتيه وسأل الله تعالى ملكا لا يفتني لأحد من بعده فأوتيه وسأل الله حين فرغ من بنائه أن لا يأتيه أحد لا ينزهه إلا الصلاة فيه إلا يخرج من خطيئته كيوم ولدته أمه . إذا علمت ذلك فبيت المقدس تم بناؤه وهو حي وهو الصحيح (قوله فلما قضينا عليه الموت الخ) روى أن سليمان كان يتجرد للعبادة في بيت المقدس السنة والستين والشهر والشهرين فيدخل فيه ومعه طعامه وشرابه فلما أعلمه الله بوقت موته قال اللهم أخف على الجن موتي حتى تعلم الانس أن الجن لا يعلمون الغيب ، وكانت الجن تخبر الانس أنهم يعلمون من الغيب أشياء وأنهم يعلمون ما في غد ثم لبس كفته وتحنط ودخل الحراب وقام يصلي واتسكا على عصاه على كرسية فمات فكان الجن ينظرون إليه ويحسبون أنه حي ولا ينكرونها احتباسه عن الخروج إلى الناس لتكرره منه قبل ذلك فالحكمة في إخفاء موته ظهور أن الجن لا يعلمون الغيب لآتيم بناء بيت المقدس كما قيل فإن الصحيح أنه تم قبل موته بالزمن الطويل .

(قوله حتى أكلت الأرض عصاه) فلما أكلتها أحبا الجن وشكروا لها فهم يأتونها بالماء والطين في خروق الخشب وقالوا لها لو كنتم تأكلين الطعام والشراب لأينناك بهما (قوله مصدر أرضت الخشب) أى أكلت ، فعنى دابة الأرض دابة الأكل وهذا أحد وجهين . والوجه الآخر أن للراد بالأرض العرفة ونسبت لها لخروجها منها (قوله بالهمز) أى الساكن أو المفتوح فتكون القراءات ثلاثا سبعيات (قوله الشاق لهم) اللام بمعنى طى ، وفى نسخة له أى لسلیمان (قوله لظنهم حياته) علة لقوله ما لبثوا (قوله وعلم كونه الخ) إما بالبناء للفعول أو مصدر مبتدأ خبره قوله بحساب الخ فتحصل أن الجن أرادوا أن يعرفوا وقت موته فوضعوا الأرض على العصا فأكلت فى يوم وليلة مقدارا غسبوا على ذلك فوجدوه قد مات من منذ سنة (قوله لقد كان لسبأ) اللام موثقة لقسم محذوف أى والله لقد كان الخ ولسبأ خبر كان مقدم وآية اسمها مؤخر وفى مساكنهم حال (قوله بالصرف وعدمه) أى وفى هدم الصرف قراءتان فتح الهمزة وسكونها فالقراءات ثلاث (قوله سميت باسم جد لهم) أى وهو سبأ بن يشجب بن مضمومة ابن يعرب بن قحطان ، روى أن رجلا قال يارسول الله «وماسبأ أرض أو امرأة قال ليس بأرض ولا امرأة ولكنه رجل ولد عشرًا من العرب فتيا من منهم ستة أى سكنوا الجن وتشام منهم (٢٧٧) أربعة أى سكنوا الشام فأما

الذين تشاءموا فأنهم وجذام وغسان وعاملة وأما الذين تيامنوا فالأزد والأشعريون وحير وكندة ومذحج وأمار فقال رجل يارسول الله وما أمار قال الذين منهم ختم وبخيلة .» والمقصود من تلك القصة اتعاظ هذه الأمة الحمدي ليعتبروا ويشكروا نعمة الله عليهم وإلا يحل بهم ما حل بمن قباهم (قوله فى مساكنهم) بالجمع كساجد والإفراد إما بكسر الكاف أو فتحها ففيه ثلاث قراءات سبعيات

حتى أكلت الأرض عصاه فخر ميتاً (مَادَ لَهُمْ عَلَى مَوْتِهِ إِلَّا دَابَّةُ الْأَرْضِ) مصدر أرضت الخشب بالبناء للفعول أكلتها الأرض (تَأْكُلُ مِنْ سَائِهِ) بالهمز وتركه بألف : عصاه ، لأنها ينسأ ويترد ويزجر بها (فَلَمَّا خَرَّ) ميتاً (تَبَيَّنَتْ الْجِنُّ) انكشف لهم (أَنْ) مخفية : أى أنهم (لَوْ كَانُوا يَمْلِكُونَ الْغَيْبَ) ومنه ما غاب عنهم من موت سليمان (مَالِئُوا فِي الْعَذَابِ الْمُهِينِ) العمل الشاق لهم لظنهم حياته خلاف ظنهم علم الغيب ، وعلم كونه سنة بحساب ما أكلته الأرض من العصا بعد موته يوما وليلة مثلا (لَقَدْ كَانَ لِسَبَإٍ) بالصرف وعدمه قبيلة سميت باسم جد لهم من العرب (فِي مَسَاكِينِهِمْ) بالين (آيَةٌ) دالة على قدرة الله تعالى (جَنَّتَانِ) بدل (عَنْ يَمِينٍ وَشِمَالٍ) عن يمين واديهن وشماله ، وقيل لهم (كُلُوا مِنْ رِزْقِ رَبِّكُمْ وَاشْكُرُوا لَهُ) على ما رزقكم من النعمة فى أرض سبأ (بَلَدٌ طَيِّبٌ) ليس فيها سبخ ولا بعوضة ولا ذبابة ولا برغوث ولا عقرب ولا حية ، ويمر الغريب فيها وفى ثيابه قل فيموت لطيب هوأها (وَ) الله (رَبِّ غَفُورٌ . فَأَعْرَضُوا) عن شكره وكفروا (فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمْ سَيْلَ الْعَرِمِ) جمع عرمة ،

(قوله بالين) أى وكان بينها وبين صنعاء ثلاثة أيام (قوله دالة على قدرة الله) أى فاذا تأمل العاقل فيها استدلل على باهر قدرته وأنه الخالق لجميع المخلوقات (قوله بدل) أى من آية التى هى اسم كان وصح إبدال المثني من المفرد لأنه فى قوة المتعدد وذلك أن الجنين لما كاتما متماثلتين وكانت كل واحدة دالة على قدرة الله من غير انضمام غيرها لها صح جعلهما آية واحدة نظير قوله تعالى - وجعلنا ابن مريم وأمه آية - (قوله عن يمين واديهن وشماله) هذا أحد قولين وقيل عن يمين الذاهب وشماله (قوله وقيل لهم) أى على لسان أنبيائهم لأنه بعث لهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم إلى الله وذكروهم بنعمه وهذا الأمر للاذن والاباحة (قوله واشكروا له) أى اصرفوا نعمه فى مصارفها (قوله أرض سبأ الخ) أشار بذلك إلى أن قوله بلدة طيبة خبر لمحذوف فهو كلام مستأنف (قوله ليس بها سبخ) جمع سبخة وهى الأرض ذات الملح (قوله ولا بعوضة) البعوض البق وقوله ولا برغوث بضم الباء (قوله فيموت) أى القمل ومثله باقى الموصوف (قوله ورب غفور) أى يستر ذنوبكم (قوله فأعرضوا عن شكره) أى عن أمره واتباع رسله ، لما روى أنه أرسل لهم ثلاثة عشر نبيا فدعواهم إلى الله وذكروهم بنعمه وأنذروهم عقابه فكذبوهم وقالوا ما نعرف الله علينا نعمة فقولوا له فليجس عنك هذه النعم إن استطاع وكان لهم رئيس يلقب بالحار كان له ولد فأت فرفع رأسه إلى السماء فبزع وكفر فلا يمر بأرضه أحد إلا دعاه للكفر فان أجابه وإلا قتله .

(قوله وهو ما يسك الماء من بناء وغيره) أى فكان واديههم أرضا متسعة بين جبال شائعة فبنت بلفيس سدا حول ذلك الوادى بالصخر والقار وجعلت له أبوابا ثلاثة بعضها فوق بعض ، وصار ماء السيول يتساقط من الجبال خاف السد من كل جهة فكانوا يسقون من الأعلى ثم من الأوسط ثم من الأدنى على حسب علو الماء وهبوطه ، فالعزم هو هذا السد ، وقيل العزم اسم للفأر الذى نقب السد لما ورد أنهم كانوا يزعمون أنهم يجدون فى كهاتهم أنه يخرب سدهم فأرة ، فلم يتركوا فرجة بين صخرتين إلا ربطوا إلى جانبها هرة ، فلما جاء ما أراد الله بهم أقبلت فأرة حمراء إلى بعض تلك الهرر فتاورتها حتى استأخرت عن البحر ، ثم وثبت فدخلت فى الفرجة التى عندها ونقبت السد حتى أوهنته للسيل وهم لا يدرون ، فلما جاء السيل دخل تلك الفرجة حتى بلغ السد وفاض الماء على أموالهم فأغرقها ودفن بيوتهم (قوله جنتين) تسميتهما بذلك تهكم بهم لمشاكله الأولى (قوله مفرد على الأصل) أى لأن أصلها ذوية تحركت الياء وافتتح ما قبلها قلبت ألفا فصار ذوات ثم حذفت الواو تخفيفا فى ثنيتها وجهان اعتبار الأصل واعتبار العارض (٢٧٨) فالأول ذواتان والثانى ذاتان (قوله مرة بشع) قيل هو شجر الأراك ،

وقيل كل شجر له شوك (قوله بإضافة أكل) أى بضم الكاف لا غير وقوله وتركها أى بضم الكاف وسكونها فالقراءات ثلاث سبعيات (قوله ويعطف عليه) أى على أكل (قوله من صدر قليل) الصحيح أن السدر وهو النبق نوعان : نوع يؤكل ثمرة ويتفع بورقه ، ونوع له ثمرة غرض لا يؤكل أصلا ولا يتفع بورقه وهو المسمى بالضال ، وهو المراد هنا (قوله ذلك) مفعول ثان لجزيئا مقدم عليه (قوله بكفرهم) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية (قوله بالياء

وهو ما يسك الماء من بناء وغيره إلى وقت حاجته، أى سيل واديههم للمسوك بما ذكر فأغرق جنتيههم وأموالهم) (وَبَدَّلْنَاهُمْ بِجَنَّتَيْهِمْ جَنَّتَيْنِ ذَوَاتِى) ثنية ذوات مفرد على الأصل (أَكُلِ حَظِّ) مَرَّةً بِإِضَافَةِ أَكُلَ بِمَعْنَى مَا كُولَ ، وَتَرَكَهَا وَيُعْطَفُ عَلَيْهِ (وَأَنْثَلِ وَشَيْءٌ مِنْ سِدْرٍ قَلِيلٍ . ذَلِكَ) التبدیل (جَزَيْنَاهُمْ بِمَا كَفَرُوا) بكفرهم (وَهَلْ يُجَازِى إِلَّا الْكَفُورُ) بالياء والنون مع كسر الزاى ونصب الكفور، أى ما يناقش إلا هو (وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ) بين سبأ وهم باليمن (وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا) بالماء والشجر ، وهى قرى الشام التى يسرون إليها للتجارة (قُرَى ظَاهِرَةً) متواصلة من اليمن إلى الشام (وَقَدَرْنَا فِيهَا السَّيْرَ) بحيث يقولون فى واحدة ويبيتون فى أخرى إلى انتهاء سفرهم ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء : أى وقتنا (سِيرُوا فِيهَا لِيَأْكِىَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ) لا تخافون فى ليل ولا فى نهار (فَقَالُوا رَبَّنَا بَعْدَ وَفَى قِرَاءَةِ بَعْدَ (بَيْنَ أَسْفَارِنَا) إلى الشام اجعلها مفاوز ليتطاولوا على القراء بركوب الرواحل وحمل الزاد والماء فبطروا النعمة (وَوَلَّوْا أَنْفُسَهُمْ) بالكفر (فَجَعَلْنَاهُمْ أَحَادِيثَ) لمن بدم فى ذلك (وَمَزَقْنَاهُمْ كُلُّ مُمْزَقٍ) فرقناهم فى البلاد كل التفريق (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَايَاتٍ) عِبَرًا (لِكُلِّ صَبَّارٍ) عن المعاصى (شَكُورٍ) على النعم (وَلَقَدْ صَدَقَ) ،

والنون) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ما يناقش إلا هو) أشار بذلك إلى أن الحصر منصب بالتخفيف

على المناقشة والتدقيق فى الحساب والمواخذة بكل الذنوب والإفطار المجازاة تكون للؤمن والكافر لكن المؤمن يعامل بالفضل والكافر يعامل بالعدل (قوله وجعلنا بينهم) عطف على ما تقدم عطف قصة على قصة (قوله قرى ظاهرة) قيل كانت قراهم أربعة آلاف وسبعمائة قرية متصلة من سبأ إلى الشام (قوله وقدرنا فيها السير) أى جعلنا السير بين قراهم وبين القرى المباركة سيرا مقدرا من منزل إلى منزل ومن قرية إلى قرية (قوله ولا يحتاجون فيه إلى حمل زاد وماء) أى فكانوا يسرون غير جاعين ولا ظامئين ولا خائفين مسيرة أربعة أشهر فى أماكن لا يجرى فيها ماء ولو لقي الرجل قاتل أبيه لايحركه (قوله فقالوا ربنا باعد بين أسفارنا) أى لما بطروا وطغوا وكروهوا الراحة تمنوا طول السفر والتعب فى العيش نظير قول بنى إسرائيل - ادع لنا ربك يخرج لنا مما تنبت الأرض - الآية ، وكنتم أهل مكة العذاب بقولهم - اللهم إن كان هذا هو الحق من عندك فأمطر علينا حجارة من السماء - الآية (قوله مفاوز) جمع مفازة وهو الموضع المهلك مأخوذ من فوز بالتشديد إذ مات وقيل من فاز إذا نجا وسلم سعى بذلك تفاؤلا بالسلامة (قوله أحاديث) أى يتحدث بأخبارهم (قوله فرقناهم فى البلاد) أى لصيق عيشهم وخراب أماكنهم وهى

سنة باقية في كل من بطر النعمة وظلم ، فقد أفادنا الله في تلك الآيات أنه أصابهم نعمتين : ابتلاهم بنقمين (قوله بالتخفيف والتشديد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله ظنه) أى وسبب ظنه إما رؤيته انهما كهم في الشهوات أو قول الملائكة آتبعل فيها من يفسد فيها أو وسوسته لآدم في الجنة فأخرج منها فظن ضعف أولاده بالنسبة له وإن كان لم تؤثر وسوسته لآدم (قوله فصدق بالتخفيف في ظنه) أشار بذلك إلى أن قوله ظنه على قراءة التخفيف منصوب على نزع الخافض ، والمعنى صار فيما ظنه أولا من إغوائهم على يتين ، وقوله أو صدق بالتشديد الخ أى فظنه مفعول لصدق ، والمعنى حقق ظنه ووجده صادقا (قوله بمعنى لكن) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك تفسيره الضمير بالكفار ويصح أن يكون متصلا لأن بعض المؤمنين يذنب ويتبع إبليس في بعض المعاصي ويكون قوله لإفريقا من المؤمنين المراد بهم من لم يبعه أصلا والأقرب الأول لأن المعصومين استثناهم من حين طرده بقوله لأغوينهم أجمعين إلا عبادك منهم المحاصنين (قوله تسليط منا) أى فالشيطان سبب في الإغواء لخالق الإغواء ، فمن أراد الله حفظه منع الشيطان عنه ، ومن أراد الله إغواءه سلب الله عليه الشيطان والكل فعل الله تعالى (قوله علم ظهور) أى فالمعنى ليظهر متعلق علمنا فاللام للعاقبة للتعليل ، ومعنى الآية ما كان له عليهم لإيجاد إضلال بل خالق الهدى والضلال هو نحن وإنما سبقت حكمتنا بتسليطه ليميز بين عبادنا من خلقنا فيه الكفر ومن خلقنا فيه الإيمان فاتباعه وعدمه علامة على ما تعلق به علمه تعالى فتدبر (قوله رقيب) أى فهو تعالى (٢٧٩) قادر على منع إبليس منهم عالم

بما سيق (قوله قل ادعوا) بكسر اللام على أصل التلخيص وبالضم إتباعا لقراءتان سبعيتان (قوله أى زعمتموه آلهة) أى فالمفعولان محذوفان الأول لطوله بصلته والثاني لقيام صفته أعنى قوله من دون الله مقامه (قوله لينفعوكم) متعلق بادعوا أى ادعوهم ليكشفوا عنكم الضر الذي نزل بكم في سنى الجوع ويجلبوا لكم سعة

بالتخفيف والتشديد (عَلَيْهِمْ) أى الكفار منهم سبأ (إِبْلِيسُ ظَنَّهُ) أنهم بإغوائه يتبعونه (فَاتَّبَعُوهُ) فصدق بالتخفيف في ظنه ، أو صدق بالتشديد ظنه ، أى وجده صادقا (إِلَّا) بمعنى لكن (فَرِيقًا مِنَ الْمُؤْمِنِينَ) لبيان أى وهم المؤمنون لم يتبعوه (وَمَا كَانَ لَهُ عَلَيْهِمْ مِنْ سُلْطَانٍ) تسليط منا (إِلَّا لِنَعْلَمَ) علم ظهور (مَنْ يُؤْمِنُ بِالْآخِرَةِ يَمُنْ هُوَ مِنْهَا فِي شَكٍّ) فنجازى كلا منهما (وَرَبُّكَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ حَفِيزٌ) رقيب (قُلْ) يا محمد لكفار مكة (أَدْعُوا الَّذِينَ زَعَمْتُمْ) أى زعمتموه آلهة (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره لينفعوكم بزعمكم ، قال تعالى فيهم (لَا يَمْلِكُونَ مِثْقَالَ ذَرَّةٍ) وزن (ذَرَّةٍ) من خير أو شر (فِي السَّمَوَاتِ وَلَا فِي الْأَرْضِ وَمَا لَهُمْ فِيهِمْ مِنْ شَرِكٍ) شركة (وَمَا لَهُ) تعالى (مِنْهُمْ) من الآلهة (مِنْ ظَهْرٍ) معين (وَلَا تَنْفَعُ الشَّفَاعَةُ عِنْدَهُ) تعالى ردا لقولهم إن آلهتهم تشفع عنده (إِلَّا لِمَنْ أِذْنٌ) بفتح الهمزة وضمها (لَهُ) فيها (حَتَّى إِذَا فُزِعَ)

العيش (قوله مثقال ذرة) أى لا يملكون أصرا من الأمور في العالم وذكر السموات والأرض للتعميم عرفا (قوله معين) أى على خلق شيء بل الله تعالى المنفرد بالإيجاد والاعدام (قوله ولا تنفع الشفاعة عنده) أى أن الشفاعة لا تكون من هؤلاء العبودين من دون الله من الملائكة والأنبياء والأصنام إلا أن يأذن الله للملائكة والأنبياء في الشفاعة لغبر الكفار ، وأما الكفار فلا شفاعة فيهم لقوله تعالى - احشروا الذين ظلموا وأزواجهم وما كانوا يعبدون من دون الله فاهدوهم إلى صراط الجحيم - (قوله ردا لقولهم الخ) أى حيث قالوا - مانعبدكم إلا ليقر بونا إلى الله زلفى - وإيضاحه أن الشفاعة لا تكون ولا تحصل إلا بالأذن والرضا وهم قد ارتكبوا ما يقتضى النضب وهو الكفر فكيف يطلبون الشفاعة بالكفر المقتضى الغضب وعدم الأذن في الشفاعة إن هذا لزعم باطل (قوله إلا لمن أذن له) يصح وقوع من على الشافعين ، والمعنى إلا لشافع أذن له في الشفاعة ، ويصح وقوعها على المشفوع لهم ، والمعنى لا تنفع الشفاعة إلا لشفوع إذن أن يشفع له فاللام على كل حال متعلقة بأذن والضمير عائذ على الموصول وفيه الوجهان (قوله بفتح الهمزة) أى والضمير عائذ على الله تعالى لذكره أولا وقوله وضمها أى بالبناء للمفعول والأذن هو الله تعالى والقراءتان سبعيتان (قوله حتى إذا فزع) غاية في عذيف تقديره يتربصون ويتوقفون مدة من الزمان فزعين حتى إذا فزع إلى آخره ، والتضعيف للسلب كالهزمة كما أشار له بقوله كشف عنها الفزع ، والمعنى حتى إذا أزيل الفزع عن قلوب الشافعين والمشفوع لهم بكلمة يتكلم بها رب العزة في الأذن بالشفاعة سأل بعضهم بعضا .

(قوله بالبناء للفاعل) أى والفاعل ضمير يعود على الله وقوله والمفعول : نهي والجار والمجرور نائب الفاعل والقراءتان سبعيثان (قوله استبشاراً) أى لزوال الكرب والحزن عن القلوب . واختلف هل هذا الأمر فى الآخرة أو الدنيا ، فقيل فى الآخرة ويؤيده ما فى سورة النبأ - يوم يقوم الروح والملائكة صفا لا يتكلمون إلا من أذن له الرحمن وقال صواباً - وعلى هذا فيكون فى الكلام حذف والتقدير لا تنفع الشفاعة عنده يوم القيامة إلا لمن أذن له ففرع ماورد على القلوب من المهابة حتى إذا ذهب الفرع عن قلوبهم سأل بعضهم بعضاً ، وقيل فى الدنيا ويؤيده ما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم : إن الله تعالى إذا أراد أن يوحى بأمر وتكلم بالوحى أخذت السموات والأرض منه رجفة أورد عدة شديدة خوفاً من الله تعالى فإذا سمع أهل السموات ذلك صعقوا وخروا لله سجداً فيكون أول من يرفع رأسه جبريل فيكلمه الله تعالى ويقول له من وحيه ماأراد ، ثم يعرج بريل بالملائكة كلما مر بسما سألهم ملائكتها ماذا قال ربنا يا جبريل ؟ فيقول جبريل قال الحق وهو العلى الكبير قال فيقول كلهم كما قال جبريل ، فينتهى جبريل بالوحى حيث أمر الله تعالى . وعن ابن عباس قال : كان لكل قبيلة من الجن مقعد من السماء يستمعون منه الوحى وكان إذا نزل الوحى مع له صوت كاصرار السلسلة على الصفوان فلا ينزل على أهل السماء إلا صمقوا فإذا فرغ عن قلوبهم قالوا ماذا قال ربكم ؟ قالوا الحق وهو العلى الكبير ، ثم يقول يكون فى هذا العام كذا ويكون كذا ، فتسمعه الجن فيخبرون الكهنة والكهنة تخبر للناس فيجدونه (٢٨٠) كذلك ، فلما بعث الله سيدنا محمداً صلى الله عليه وسلم دحروا ومنعوا بالشهب

فقال العرب حين لم يخبرهم الجن بذلك هلك من فى السماء ، فجعل صاحب الابل ينحر كل يوم بعيراً وصاحب البقر ينحر كل بقرة وصاحب الغنم يذبح كل يوم شاة حتى أسرعوا فى أموالهم ، فقالت ثقيف وكانت أعقل العرب : أيها الناس أستمعوا على أموالكم فإنه لم يمض من فى السماء أما ترون

بالبناء للفاعل والمفعول (عَنْ قُلُوبِهِمْ) كشف عنها الفرع بالإذن فيها (قَالُوا) قال بعضهم لبعض استبشاراً (مَاذَا قَالَ رَبُّكُمْ) فيها (قَالُوا) القول (الْحَقُّ) أى قد أذن فيها (وَهُوَ الْعَلِيُّ) فوق خلقه بالقهر (الْكَبِيرُ) العظيم (قُلْ مَنْ يَرْزُقُكُمْ مِنَ السَّمَوَاتِ الْمَطَرِ (وَالْأَرْضِ) النبات (قُلِ اللَّهُ) إن لم يقلوه لأجواب غيره (وَأَنَا أَوْ إِنَّمَا كُنْ) أى أحد الفريقين (لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ) بين ، فى الإبهام تلتف بهم داع إلى الإيمان إذا وقوله (قُلْ لَا تَسْأَلُونَ عَمَّا أُجْرَمْنَا) أذنبنا (وَلَا نَسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ) لأننا بريئون منكم (قُلْ يَجْمَعُ بَيْنَنَا رَبَّنَا) يوم القيامة (ثُمَّ يَفْتَحُ) يحكم (بَيْنَنَا بِالْحَقِّ) فيدخل الحقيقتين الجنة والمبطلين النار (وَهُوَ الْفَتَّاحُ) الحاكم (الْعَلِيمُ) بما يحكم به (قُلْ أَرُونِي) أعلموني (الَّذِينَ الْخَفَضُوا بِهِ شُرَكَاءَ) فى العبادة (كَلَّا) ردع لهم عن اعتقاد شركاء له ،

معالمكم من النجوم كاهى والشمس والقمر والليل والنهار ، فقال إبليس لقد حدث فى الأرض اليوم حدث فانوى (بل من كل تربة أرض فاتوه بها ، فلما شئت تربة مكة قال من ههنا جاء الحدث ، فأنصتوا فإذا رسول الله صلى الله عليه وسلم قد بعث ، فتحصل أن الفرع على القول بأنه فى الآخرة يكون من جميع الحاق وعلى القول بأنه فى الدنيا يكون من الملائكة خاصة والآية محتملة للأمرين والعموم أولى لأن الكفار زعموا أن آلهتهم تنفعهم فى الدنيا والآخرة فرد الله عليهم بهذه الآية الشاملة للأمرين فتدبر (قوله القول الحق) أشار بذلك إلى أن الحق صفة لمصدر محذوف مقول القول (قوله وهو العلى الكبير) هذا من تمام كلام الشفاء اعترافاً بعظمة الله وكبريائه (قوله قل من يرزقكم الخ) هذا السؤال تبيكت للبركين وإشارة إلى أن آلهتهم لا تمك لهم ضراً ولا نفعاً وهذه الآية بمعنى قوله تعالى - قل من يرزقكم من السماء والأرض ، إلى قوله - فيقولون الله - (قوله لعلى هدى أوفى ضلال مبين) غاير بين الحرفين إشارة إلى أن المؤمنين مستعملون على الهدى كراكب الجواد يسير به حيث شاء والكفار هم يرسون فى الضلال كالمنغمس فى الظلمات الذى لا يبصر شيئاً (قوله فى الإبهام) خبر مقدم وتلطف مبتدأ مؤخر وداع صفة لتلطف (قوله قل لا تسألون عما أجرمنا الخ) فيه تلطف بهم وتواضع حيث أسند الاجرام لأنفسهم والعمل للخطيئين (قوله يوم القيامة) أى فى الوقت (قوله أعلموني) أشار بذلك إلى أن أرى علمية فتتهدى إلى ثلاثة مفاعيل أولها ياء للتكلم ولأنها الموصول وثالثها شركاء ويصح أن تكون بصرية فتتهدى إلى مفعولين الأول ياء للتكلم والثانى الموصول وشركاء خال من غائد الموصول ، والقصد من ذلك تبيكتهم وإظهار خطيئهم بعد إقامة الحجة عليهم

(قوله بل هو) الضمير إما عائذ على الله أو ضمير الشأن وما بعده مبتدأ وخبر والجملة خبره (قوله إلا كافة) الحصر إضافي مجزؤه
للرد على المشركين الذين يعتقدون أن رسالته غير عامة لجميع بني آدم (قوله حال من الناس) تبع فيه ابن عطية واعترضه
الزمخشري بأن تقدم الحال على صاحبها المجرور خطأ بمنزلة تقدم المجرور على الجار ورد بأن الصحيح جواز تقديم الحال على صاحبها
المجرور وما يتعلق به وإذا جاز تقديمها على صاحبها وعاملها فتقدمها على صاحبها وحده أجاز لتقدم عاملها وهو أرسلنا وهذا
أحد أوجه في الآية ويصح جعل كافة حالاً من الكاف في أرسلناك والتاء للبالغة كهي في علامة ورواية ، والغنى إلا جامعاً للناس
في التبليغ لا يخرج عن تباينك أحد فكافة اسم فاعل من كف بمعنى جمع أو مصدر كالعاقبة والعافية إما مبالغة أو على حذف
مضاف أي ذا كاة للناس أو صفة لمصدر محذوف تقديره إلا إرساله كافة أي محيطة بهم وشاملة لهم فلا يخرج منها أحد والأوجه
الثلاثة على أنه حال ضمن الكاف وهي متقاربة فتحصل أن هذه الآية دلت على أنه مرسل لجميع الناس بشيراً ونذيراً وأما إرساله
لغيرهم فما أخذ من آيات أخر منها - وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين - لكن إرساله للناس والجن إرسال تكليف ولللائكة قيل
إرسال تكليف وقيل تشريف وللحيوانات غير العاقلة والجمادات إرسال تشريف (قوله لا يعلمون ذلك) أي ما ذكر من عموم
رسالته وكونه بشيراً ونذيراً (قوله ويقولون) أي على سبيل (٢٨١) الاستهزاء والسخرية (قوله إن كنتم)

الخطاب للنبي والمؤمنين
(قوله لا تستأخرون عنه)
أي إن أردتم التأخير
وقوله ولا تستقدمون أي
إن أردتم التقدم
والاستعجال كما هو مطلوبكم
إن قلت إن الجواب ليس
مطابقاً للسؤال لأن السؤال
عن طاب تعيين الوقت
والجواب يقتضي أنهم
منكرون للوقت من
أصله وأجيب بأن الجواب
مطابق بالنظر لحالهم
لا أسألهم لأن سؤالهم
وإن كان على صورة

(بَلْ هُوَ اللَّهُ الْمَزِيدُ) الغالب على أمره (الْحَكِيمُ) في تديره خلقه فلا يكون له شريك
في ملكه (وَمَا أَرْسَلْنَاكَ إِلَّا كَافَّةً) حال من الناس قدم للاهتمام (لِلنَّاسِ بَشِيرًا) مبشراً للمؤمنين
بالجنة (وَنَذِيرًا) منذراً للكافرين بالعذاب (وَلَكِنَّ أَكْثَرَ النَّاسِ) أي كفار مكة
(لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَيَقُولُونَ مَتَى هَذَا الْوَعْدُ) بالعذاب (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) فيه (قُلْ
لَكُمْ مِيعَادُ يَوْمٍ لَا تَسْتَأْخِرُونَ عَنْهُ سَاعَةً وَلَا تَسْتَعِدُّونَ) عليه وهو يوم القيامة (وَقَالَ
الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (لَنْ نُؤْمِنَ بِهَذَا الْقُرْآنِ وَلَا بِالَّذِي بَيْنَ يَدَيْهِ) أي تقدمه
كالنوراة والإنجيل الدالين على البعث لإنكارهم له ، قال تعالى فيهم (وَلَوْ تَرَى) يا محمد
(إِذِ الظَّالِمُونَ) الكافرون (مَوْقُوفُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ يَرْجِعُ بَعْضُهُمْ إِلَى بَعْضٍ الْقَوْلَ يَقُولُ
الَّذِينَ اسْتَضَعُّوا) الاتباع (لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا) الرؤساء (لَوْ لَا أَنْتُمْ) صدقتمونا عن
الإيمان (لَكُنَّا مُؤْمِنِينَ) بالنبي (قَالَ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَضَعُّوا) نحن
صَدَدْنَاكُمْ عَنْ الْهُدَى بَعْدَ إِذْ جَاءَكُمْ) لا (بَلْ كُنْتُمْ مُجْرِمِينَ) في أنفسكم

الاستفهام عن الوقت إلا أن مرادهم الإنكار والتعنت . والجواب المطابق أن يكون بالتهديد على تعنتهم (قوله وقال
الذين كفروا لنؤمن الخ) سبب ذلك أن أهل الكتاب قالوا لهم : إن صفة محمد في كتبنا ، فلما سألوهم ووافق
ما قال أهل الكتاب قال المشركون : لن نؤمن بهذا القرآن ولا بالذي بين يديه (قوله الدالين على البعث) أي وعلى
صفة محمد صلى الله عليه وسلم قائمهم يكفرون بها أيضاً (قوله قال تعالى فيهم) أي في بيان أحوالهم في الآخرة (قوله
ولو ترى) مفعول ترى وجواب لو محذوفان والتقدير ، ولو ترى حال الظالمين وقت رقوفهم عند ربهم حال تكونهم يرجع
بعضهم إلى بعض القول رأيت أمراً فظيماً (قوله إذ الظالمون) إذ ظفرت ترى بمعنى وقت (قوله موقوفون) أي محبوسون
في الموقف للحساب (قوله عند ربهم) العندية للكانة والعظمة لاللسكان (قوله يرجع بعضهم) حال من ضمير موقوفون
والقول منصوب يرجع (قوله يقول الذين استضعفوا) تفسير لقوله يرجع ، فالجملة لأجل لها من الإعراب (قوله لولا
أنتم) ما بعد لولا مبتدأ خبره محذوف قدره للفسر ، بقوله صدقتمونا الخ ، وقوله لكنا مؤمنين جواب لولا (قوله قال
الذين استكبروا) أي جواباً للضعفين (قوله نحن صدقناكم) أي منناكم (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكاري

(قوله وقال الذين استغفروا) ترك العطف فيه سبق لأنه مر أولاً كلامهم فأتى بالجواب مستأنفاً من غير عطف ثم أتى بكلام آخر المستغفرين معطوفاً على كلامهم الأول (قوله بل مكر الليل والنهار) رد وإبطال لكلام المستكبرين ومكر فاعل بفعل محذوف أى صدنا مكركم بنا فى الليل والنهار فحذف المضاف إليه وأقيم الظرف مقامه على الاتساع والاستناد مجازى (قوله إذ تأمرونا) ظرف للمكر أى مكركم وقت أمركم لنا الخ (قوله وأمسروا الندامة) جملة حالية أو مستأنفة (قوله أى أخفاها كل عن رفيقه) أى فكل أخفى الندم على فعله فى الدنيا من الكفر والمعاصى مخافة أن يعبره الآخر (قوله وجعلنا الأغلال فى أعناق الذين كفروا) أى زيادة على تعذيبهم بالنار (قوله وما أرسلنا الخ) هذا تفسيل له صلى الله عليه وسلم (قوله إلا قال مترفوها) حال من قرية وإن كانت نكرة لوقوعها فى سياق النفي فتم فقد وجد السوغ (قوله بما أرسلتم به) متعلق بكافرون قدم للاهتمام ورعاية القرائن (قوله وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً) أى فلهم يكن راضياً بما نحن عليه لما أعطانا الأموال والأولاد فى الدنيا وإلخا كان كذلك فلا يعذبنا فى الآخرة (٢٨٢) (قوله وما نحن بمعدين) أى لأنه لما أكرمنا فى الدنيا فلا يهيننا

فى الآخرة على فرض وجودها (قوله قل إن ربي يسط الرزق الخ) أى يسط الرزق وضيقه فى الدنيا ليس دليلاً على رضا الله فقد يسط الرزق للكافر ويضيقه على المؤمن الخالص وقد يكون بالعكس وإعماهو تابع للقسمه الأزلية . قال تعالى : نحن قسمنا بينهم معيشتهم فى الحياة الدنيا ورفصنا بعضهم فوق بعض درجات (قوله لا يعلمون ذلك) أى فيضنون أن بسط الرزق ونضيقه تابع لرضا الله وغضبه (قوله وما أموالكم الخ) كلام مستأنف

(وَقَالَ الَّذِينَ اسْتَغْفَرُوا لِلَّذِينَ اسْتَكْبَرُوا ، بَلْ مَكْرُ الْفِيلِ وَالنَّهَارِ) أى مكر فيهما منكم بنا (إِذْ تَأْمُرُونَنَا أَنْ نَكْفُرَ بِإِلهِ وَنَجْمَلْ لَهُ أَنْدَادًا) شركاء (وَأْمُرُوا) أى الفريقان (الندامة) على ترك الإيمان به (لَمَّا رَأَوْا الْعَذَابَ) أى أخفاها كل عن رفيقه مخافة التمييز (وَجَعَلْنَا الْأَغْلَالَ فِي أَعْنَاقِ الَّذِينَ كَفَرُوا) فى التلر (هل) ما (يُخَزَّوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كَانُوا يَعْمَلُونَ) فى الدنيا (وَمَا أَرْسَلْنَا فِي قَرْيَةٍ مِنْ نَذِيرٍ إِلَّا قَالَ مُتْرَفُوهَا) رؤساؤها (المتنصمون) (إِنَّا بِمَا أُرْسِلْتُمْ بِهِ كَافِرُونَ) وقالوا نحن أكثر أموالاً وأولاداً (من آمن) (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذِّبِينَ) . قُلْ إِنْ رَبِّى يَنْسُطُ الرِّزْقَ يوسمه (لَمَنْ يَشَاءُ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء . (وَلَكِنْ أَكْثَرُ النَّاسِ) أى كفار مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ذلك (وَمَا أَمْوَالُكُمْ وَلَا أَوْلَادُكُمْ بِآتِي تَرْبُوكُمْ هَذَا زُلْفَى) قربى أى قريباً (إِلَّا) لكن (مَنْ آمَنَ وَعَمِلَ صَالِحًا فَأُولَئِكَ لَهُمْ جَزَاءُ الضَّعْفِ بِمَا عَمِلُوا) أى جزاء العمل الحسنة مثلاً بعشر فأكثر (وَهُمْ فِي النُّرُقَاتِ) من الجنة (آمِنُونَ) من الموت وغيره ، وفى قراءة النفرة بمعنى الجمع (وَالَّذِينَ يَسْمَعُونَ فِي آيَاتِنَا) القرآن بالإبطال (مُجْزَيْنَ) لنا مقدرين مجزئاً وأنهم يفوتونا (أُولَئِكَ فِي الْعَذَابِ مُحْضَرُونَ) . قُلْ إِنْ رَبِّى يَنْسُطُ الرِّزْقَ يوسمه (لَمَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ) امتحاناً (وَيَقْدِرُ) يضيقه (لَهُ) بد البسط أول من يشاء ،

ابتلاء

سبق لتقرير ما سبق وتحقيقه (قوله بالى تتربكم) صفة للأموال والأولاد لأن جمع

التكسبر للعاقل وغير العاقل يعامل معاملة المؤتة الواحدة ويصح أن تكون التى صفة لموصوف محذوف تقديره بالأحوال التى (قوله قربى) أشار بذلك إلى أن زلنى مصدر من معنى الفعل (قوله لكن من آمن) أشار بذلك أن الاستثناء منقطع وحمله على ذلك جعل الخطاب للكفار ويصح أن يكون متصلاً والخطاب الأول عام كأنه قيل وما الأموال والأولاد تقرب أحداً إلا المؤمن الصالح الذى أنفق أمواله فى سبيل الله وعلم أولاده الخير وراهم على الصلاح فأولئك الخ (قوله فأولئك) مبتدأ ولهم خبر مقدم وجزاء مبتدأ مؤخر والجملة خبر أولئك وهو استئناف لبيان جزاء أهمالم (قوله جزاء الضعف) من إضافة الموصوف لصفته أى الجزاء المضاعف (قوله مثلاً) أى أو الحسنة بسبعين أو بسبعمئة أو أكثر (قوله وغيره) أى من سائر المكارة فلا يعنى تحبابهم ولا نبلى فيبابهم (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضاً (قوله مقدرين مجزئاً) أى مقدرين أننا عاجزون فلا تقدر عليهم (قوله نه إن ربي يسط الرزق لمن يشاء الخ) اختلف فى هذه الآية قيل مكيدة مع التى قبلها لتأكييد ، وقيل مقابلة

لها فالأولى محمولة على أشخاص متعددين وهذه محمولة على شخص واحد باعتبار وتبين وقت البسط غير وقت القبض وهو الاستعمال الأول في التفسير أو الأولى محمولة على الكفار ، وهذه في حق المؤمنين وكل صحيح (قوله ابتلاء) علة لقوله ويقدر له أى يختبر هل يصبر أولا (قوله وما أنفقتم من شئ) أى على أنفسكم وعبالكم أو تصدقتم به (قوله فهو يخلفه) أى بالمال أو بالقناعة التى هي كثر لا ينفد أو بالثواب في الآخرة وفي الحديث «ما من يوم يصبح العباد فيه إلا ملأ مكان يزلان فيقول أحدهما اللهم أعط منفقا خلفا ويقول الآخر اللهم أعط ممسكا تلقا» ويؤيد هذا الحديث قوله تعالى : فأما من أعطى واتقى وآتى بهذه الآية عقب التى قبلها إشارة إلى أن الاتفاق لا يضيق الرزق بل ربما كان سببا في توسعته فالحيلة في توسعة الرزق الاتفاق في وجوه الخير والثقة بالله والتوكل عليه (قوله وهو خير الرازقين) أى أحسنهم وأجلهم لكونه خالق السبب والمسبب (قوله يقال كل إنسان الخ) أى لغة ودفع بذلك ما قيل إن الرازق في الحقيقة واحد وهو الله . فأجاب بأن الجمع باعتبار الصورة فالله خالق الرزق والعبيد متسببون فيه . إن قلت أى مشاركة بين المفضل والمفضل عليه . أجيب بأن الرازق يطلق على الموصل للرزق والخالق له والرب يوصف بالأمرين والعبد يوصف بالايصال فقط غيرية الله من حيث إنه خالق وموصل فعلم أن العبد يقال له رازق بهذا ، لا يقال له رزاق لأنه من الأسماء المختصة به تعالى (قوله يرزق) ٢٨٣ عائلته أى عياله وعبال الرجل

من يولهم واحده عيل كجسد (قوله وإبدال الأولى ياء) هذا سبق قلم من المفسر إذ لم يقرأ بهذه أحد من القراء وأما تحقيقهما وإسقاط الأولى فقرأتان سبعيتان وبقي ثلاث قراءات سبعيات تحقيق الأولى وتسهيل الثانية وعكسه وإبدال الثانية ياء ما كنة ممدودة مع تحقيق الأولى فتكون الجملة خمسا (قوله كانوا يعبدون) خطاب للملائكة وتقرىع للكفار وذلك

ابتلاء (وَمَا أَنْفَقْتُمْ مِنْ شَيْءٍ) في الخير (فَهُوَ يَحْكُمُهُ وَهُوَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ) يقال كل إنسان يرزق عائلته : أى من رزق الله (و) اذكر (يَوْمَ نَحْشُرُهُمْ جَمِيعًا) أى للمشركين (ثُمَّ نَقُولُ لِلْمَلَائِكَةِ أَهْلُوا لَهُ إِيَّاكُمْ) بتحقيق الممرتين وإبدال الأولى ياء وإسقاطها (كَانُوا يَعْبُدُونَ) . قَالُوا سُبْحَانَكَ) تنزيها لك عن الشريك (أَنْتَ وَلِيِّنَا مِنْ دُونِهِمْ) أى لاموالاة بيننا وبينهم من جهتنا (بَلْ) للانتقال (كَانُوا يَعْبُدُونَ الْجِنَّ) الشياطين أى يطيعونهم في عبادتهم إيانا (أَكْثَرُهُمْ بِهِمْ مُؤْمِنُونَ) مصدقون فيما يقولون لهم ، قال تعالى (قَالِ يَوْمَ لَا يَمْلِكُ لَكُمْ بِمَعْصُكُمُ لِمَعْصِي) أى بعض المعبودين لبعض العابدين (نَفْعًا) شفاعا (وَلَا ضَرًّا) تعذيبا (وَنَقُولُ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا) كفروا (ذُوقُوا عَذَابَ النَّارِ الَّتِي كُنْتُمْ بِهَا تَسْكَدُونَ) . وَإِذَا تُتْلَى عَلَيْهِمْ آيَاتُنَا (يَتَنَبَّاتُ) واضحات بلسان نبينا محمد صلى الله عليه وسلم (قَالُوا مَا هَذَا إِلَّا رَجُلٌ يُرِيدُ أَنْ يَصُدَّكُمْ عَنْ مَا كَانُوا يَعْبُدُ آبَاءَكُمْ) من الأصنام (وَقَالُوا مَا هَذَا) أى القرآن (إِلَّا إِنْكَ) كذب (مُفْتَرًى) على الله ،

كقوله تعالى لعيسى انت قلت للناس اتخذوني وأمي إلهين من دون الله مع كون الله تعالى عالما له بأن الملائكة وعيسى بريئون من ذلك (قوله أنت ولينا من دونهم) أى أنت الذى نواليك وتقرب إليك بالعبادة فلم يكن لنا دخل في عبادتهم لنا (قوله أى يطيعونهم) أى فالمراد بعبادة الجن طاعتهم فيما يوسوسون لهم وقيل كانوا يمتثلون لهم ويخيلون إليهم أنهم الملائكة كما وقع لجمعة من خزاعة كانوا يعبدون الجن ويزعمون أن الجن تترأى لهم وأنهم ملائكة وأنهم بنات الله (قوله أكرمهم بهم مؤمنون) إن قلت حيث أثبت أولا أنهم كانوا يعبدون الجن لزم منه أن جميعهم مؤمنون بهم فكيف قال أكرمهم . أجيب بأن قول الملائكة أكرمهم من باب الاحتياط تحرزا عن ادعاء الاحاطة بهم كأنهم قالوا إن الذين رأيناهم واطلعنا على أحوالهم كانوا يعبدون الجن ولعل في الوجود من لم يطلع عليه من الكفار . وأجيب أيضا بأن العبادة عمل ظاهر والإيمان عمل باطن والظاهر عنوان الباطن غالبا فقالوا بل كانوا يعبدون الجن لا اطلاعهم على أعمالهم وقالوا أكرمهم بهم مؤمنون لعدم إطلاعهم على . في القلوب (قوله أى بعض المعبودين) أى وهم الملائكة وقوله لبعض العابدين أى وهم الكفار (قوله وتقول) عطف على لا يملك (قوله وإذا تلى عليهم آياتنا) أى دلائل توحيدنا (قوله إلا إنك) أى كذب غير مطابق للواقع ومع كونه كذلك هو مفتري أى مختلف من حيث نسبته إلى الله فقوله مفتري تأسيى لا تأكيد

(قوله وقال الذين كفروا) التصريح بالفاعل إنكار عظيم ونعجب بليغ (قوله قال تعالى) أى ردّا عليهم (قوله وما آتيناكم من كتب يدرسونها) أى فالعنّى لا عذر لهم في عدم تصديقك بخلاف أهل الكتاب فإن لهم كتابا ودينا ويحجون بأن نبينهم حذرهم من ترك دينه وإن كان عذرا باطلا وحجة واهية (قوله وما أرسلنا إليهم قبلك من نذير) أى نبى يخوفهم ويحذرهم من عقاب الله (قوله معشار ما آتيناكم) قيل المعشار لغة في العشر ، وقيل المعشار هو عشر العشير والعشير هو عشر العشر فيكون جزءا من ألف وهو الأظهر لأن المراد به البائلة في التقليل (قوله من القوة الخ) أى ومع ذلك فلم ينفعهم شئ من ذلك في دفع الهلاك عنهم (قوله فكذبوا رسلى) عطف على قوله - وكذب الذين من قبلهم - عطف مسبب على سبب (قوله فكيف كان نكير) عطف على محذوف تقديره حين كذبوا رسلى جاءهم إنكارى بالتدمير فكيف كان نكيرى لهم (قوله واقع موقعه) أى فهو في غاية العدل وعدم الجور والظلم (قوله قل إنما أعظكم) أى آمركم وأوصيكم ، وقوله بواحدة صفة لموصوف محذوف تقديره بمصلحة واحدة (قوله أن تقوموا) أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر خبر المحذوف قدره الفسر بقوله هي ، وليس المراد بالقيام حقيقة وهو الاتصاف على القدمين ، بل المراد صرف المهمة والاشتغال والتفكير في أمر محمد وما جاء به لأن أول واجب على المكلف النظر المؤدى لمعرفة (٢٨٤) (قوله مثنى وفرداى) حالان من فاعل تقوموا وإنما أمرهم بذلك لأن الجماعة

ربما يكون في اجتماعها تشويش الخاطر ومنع التفكير بسبب الأغراض والتعصب ، وأما الاثنان فيتفكران ويعرض كل واحد منهما على صاحبه ما استفاده بفكرته ، وأما الواحد فيفكر في نفسه ويقول هل رأينا من هذا الرجل جنونا أو جربنا عليه كذبا قط وقد علمتم أن محمدا ما به جنون بل علمتموه أرجح قرين عقلنا وأوزنهم حلما

(وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلْحَقِّ) القرآن (لَمَّا جَاءَهُمْ) (مَا) (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُبِينٌ) (بَيْنَ) قال تعالى (وَمَا آتَيْنَاهُمْ مِنْ كُتُبٍ يَدْرُسُونَهَا وَمَا أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمْ قَبْلَكَ مِنْ نَذِيرٍ) (فَمِنْ) (أَيْنَ كَذِبُكَ) (وَكَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) (وَمَا بَلَغُوا) (أَى هَؤُلَاءِ) (مِشَارَ مَا آتَيْنَاهُمْ) (مِنْ) القوة وطول العمر وكثرة المال (فَكَذَّبُوا رُسُلِي) (إِلَيْهِمْ) (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) (إِنَّكَ) (أَنْ تَقُومُوا لِلَّهِ) (أَى لأجله) (مَثْنَى) (اثنین اثنين) (وَفَرَادَى) (وَاحِدًا وَاحِدًا) (ثُمَّ) (تَتَفَكَّرُوا) (فَتَعْلَمُوا) (مَا بِصَاحِبِكُمْ) (مُحَمَّدٌ) (مِنْ جِنَّةٍ) (جَنُونَ) (إِنْ) (مَا) (هُوَ إِلَّا نَذِيرٌ لَكُمْ) (بَيْنَ يَدَيْ) (أَى قبل) (عَذَابٍ شَدِيدٍ) (فِي الْآخِرَةِ) (إِنْ عَصَيْتُمُوهُ) (قُلْ) (لَهُمْ) (مَا سَأَلْتُكُمْ) (عَلَى الْإِنذَارِ) (وَالتَّبْلِيغِ) (مِنْ أَجْرِ هَؤُلَاءِ) (أَى لا أسألكم عليه أجرا) (إِنْ أَجْرِي) (مَا تَوَابَى) (إِلَّا) (عَلَى اللَّهِ) (وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ) (شَهِيدٌ) (مَطْلَعٌ) (يَعْلَمُ) (صَدَقَ) (قُلْ) (إِنْ رَبِّي) (يَقْضِ) (بِالْحَقِّ) (يَلْقِيهِ) (إِلَى أَنْبِيَائِهِ)

وأحدهم ذهنا وأرضاهم رأيا وأصدقهم قولاً وأزكاهم نفسا وإذا علمتم ذلك كما علم أن تطلبوا منه آية على صدقه وإذا جاء بهاتين أنه صادق فيما جاء به وإذا كان كذلك فالواجب اتباعه وتصديقه (قوله فتعلموا) أشار بذلك إلى أن نتيجة الفكر العلم ومعدول التفكير محذوف ، والتقدير فتفكروا في أحوال محمد فينتج لكم العلم بأن ما صاحبكم جنون ولا نقص (قوله ما صاحبكم) أضافه لهم إشارة إلى أنه كان مشهورا بينهم وحاله معروف عندهم فكانوا يدعونه بالصادق الأمين فإذا تفكروا وقالوا حاله بعد النبوة على حاله قبلها فيفيدهم العلم بكمال أوصافه (قوله إن هو) أى الحديث عنه وهو محمد صلى الله عليه وسلم (قوله بين يدي عذاب شديد) أى هو مقدمة عذاب لكم في الدنيا والآخرة إن لم تؤمنوا وتصدقوه فيما جاء به فيخبركم به قبل وقوعه (قوله قل ما سألتكم من أجر) يحتمل أن ما شرطية مفعول لسألتكم ومن أجر بيان لما ، وقوله فهو لكم جواب الشرط ويحتمل أنها موصولة مبتدأ ، وقوله فهو لكم خبرها وقرن الخبر بالفاء لما في الوصول من العموم وعلى كل فيحتمل أن المعنى ما أسألكم أجرا ألبتة فيكون كقولك لمن لم يعطك شيئا أصلا إن أعطيتني شيئا غفده ، ويؤيده قوله إن أجرى إلا على الله ، وقول المفسر : أى لا أسألكم عليه أجرا ، ويحتمل أن المعنى لم أسألكم شيئا يعود نفعه على فهو كقوله تعالى - قل لا أسألكم عليه أجرا إلا للوذة في القربى - وقوله - قل ما أسألكم عليه من أجر إلا من شاء أن يتخذ إلى ربه سبيلا - (قوله قل إن ربى) أى مالكى وسيدى (قوله ينفذ بالحق) مفعول ينفذ محذوف تقديره ينفذ الباطل بالحق ويؤيده قوله تعالى - بل ينفذ

بالحق على الباطل : أى يدفع الباطل بالحق ويصرفه . ويصح أن تكون الباء للابسة والفعول محذوف أيضا ، والتقدير يقذف الرعى الى أعيانه ملتبسا بالحق أو ضمن يقذف معنى يقضى ويحكم والأقرب الأول لأن خير مافسره بالوارد (قوله علام الغيوب) خبر ثان لأن أو خبر مبتدأ محذوف (قوله ما غاب عن خلقه) أى قسميته غيبا بالنسبة للخلق وإلا فالكل شهادة عنده تعالى (قوله قل جاء الحق) أفاد بذلك أن الوعد منجز ومتحقق بالفعل فليس مجرد وعد (قوله وما يبدي الباطل وما يعيد) أى لم يبق له بداية ولا إعادة : أى نهاية فهو كتابة عن ذهابه بالمرة وهذا بمعنى قوله تعالى - وقُلْ جَاءَ الْحَقُّ وَزَهَقَ الْبَاطِلُ - إن قلت إن السورة مكية والكفر في ذلك الوقت كان له شوكة قوية والإسلام كان ضعيفا فكيف قال قل جاء الحق وزهق الباطل - فإنه لتحقق وقوعه نزله منزلة الواقع فغير عنه بالماضى كقوله : أتى أمر الله (قوله قل إن ضللت فأنا ضال على نفسى) سبب زولها أن الكفار قالوا للنبي صلى الله عليه وسلم تركت دين آبائك ضللت ، والمعنى قل لهم يا محمد إن حصل لي ضلال كما زعمتم فإن وبال ضلالي على نفسى لا يضرب غيرى وقراءة العامة بفتح اللام من باب ضرب وقرئ شذوذا بكسر اللام من باب علم (قوله وإن اهتديت الخ) أى لأن الاهتداء لا يكون إلا بهدأيته وتوفيقه (قوله فبإي حوى إلى ربى) أى بسبب إجماع ربى إلى أو بسبب الذى يوحى به إلى فامصدرية أو موصولة والمعنى فهدأى بفضل الله تعالى ، فحاصل المعنى الراد أنه إن كان فى (٢٨٥) ضلال فمن نفسى لنفسى وإن كان

هدى فمن فضل الله بالوحى إلى على حد قوله تعالى - ما أصابك من حسنة فمن الله وما أصابك من سيئة فمن نفسك - (قوله إنه سميع) أى يسمع كل ما خفى وما ظهر ، وقوله قريب : أى قرب مكانة لا مكان (قوله ولو ترى إذ فرعوا فلا فوت) يحتمل أن مفعول ترى محذوف تقديره ولو ترى حالهم وقت فرعهم ويحتمل أن إذ مفعول ترى : أى

(عَلَامُ الْغُيُوبِ) ما غاب عن خلقه فى السموات والأرض (قُلْ جَاءَ الْحَقُّ) الإسلام (وَمَا يُبْدِئُ الْبَاطِلُ) الكفر (وَمَا يُعِيدُ) أى لم يبق له أثر (قُلْ إِنْ ضَلَلْتُ) عن الحق (فَإِنَّمَا أَضِلُّ عَلَى نَفْسِي) أى إنم ضلالى عليها (وَإِنْ اهْتَدَيْتُ فِيمَا يُوحَى إِلَى رَبِّي) من القرآن والحكمة (إِنَّهُ سَمِيعٌ) للدعاء (قَرِيبٌ) ولأمر ترى (يا محمد) إذ فرعوا (عند البعث) رأيت أمرا عظيما (فَلَا فُوتَ) لهم منا أى لا يفوتونا (وَأَخِذُوا مِنْ مَّكَانٍ قَرِيبٍ) أى القبور (وَقَالُوا آمَنَّا بِهِ) بمحمد أو القرآن (وَأَتَى لَهُمُ التَّنَاقُشُ) بالواو وبالهمزة بدلها ، أى تناول الإيمان (مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) عن محل إذ هم فى الآخرة ومحل الدنيا (وَقَدْ كَفَرُوا بِهِ مِنْ قَبْلُ) فى الدنيا (وَيَقْذِفُونَ) يرمون (بِالْأَثْيَابِ مِنْ مَّكَانٍ بَعِيدٍ) أى بما غاب علمه عنهم غيبة بعيدة حيث قالوا فى النبى ساجر شاعر كاهن ، وفى القرآن سحر شركانة (وَحِيلَ بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ مَا يَشْتَهُونَ) من الإيمان أى قبوله ،

ولو ترى وقت فرعهم وإسناد الرؤية للوقت مجاز وحقه أن يسند لهم ، وقوله عند البعث أحد أقوال فى وقت الفرع ، وقيل فى الدنيا يوم بدر حين ضربت أعناقهم بسوف اللاتكة فلم يستطيعوا الفرار إلى التوبة ، وقيل نزلت فى ثمانين ألفا يأتون فى آخر الزمان يغزون الكعبة ليخرّبوها فلما يدخلون البيداء يخسف بهم فهو الأخذ من مكان قريب (قوله لو رأيت أمرا عظيما) أشار بذلك إلى أن جواب لو محذوف (قوله فلا فوت) أى لا خلاص ولا مهرب (قوله أى القبور) أى هى قريبة من مساكنهم فى الدنيا أو الله قبضت أرواحهم فى أما كنهم فلم يمكنهم الفرار ، وقيل أخذوا من مكان قريب وهى القبور لجهنم فيخرجون من قبورهم لها (قوله وقالوا آمنا به) أى قالوا ذلك وقت حصول الفرع وهو وقت نزول المذاب بهم (قوله وأتى لهم) أى كيف يمكنهم الخلاص والظفر بمطاميرهم وهم فى الآخرة مع أن ذلك لا يحصل ولا يكون إلا فى الدنيا وهى بعيدة من الآخرة فالماضى بعيد إذ لا يعود والمستقبل قريب لأنه آت وكل آت قريب (قوله التناوش) أى الرجوع إلى الدنيا للإيمان وقبول التوبة (قوله بالواو وبالهمزة) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله وقد كفروا الخ) الجملة حالية : أى يستبعد تناولهم الإيمان فى الآخرة والحال أنهم كفروا فى الدنيا (قوله ويقذفون بالثياب) أى يتكلمون فى الرسول بالمطاعن والنقص من جانب بعيد من أمره وهو الشبه الذى اقترحوها فى جانب الرسول ويتكلمون فى العذاب ويحلفون على نفيه من جانب بعيد عنهم من حيث إنهم لم يعلموا ذلك فالمكان البعيد هو ظنهم الفاسد فهو بعيد عن رتبة العلم (قوله غيبة بعيدة) أى عن الصدق (قوله وحيل بينهم) أى فى الآخرة (قوله أى قبوله) أى بحيث

بخاصهم في الآخرة (قوله بأشياهم) جمع شيع وشيع شعبة فالأشباع جمع البطح وهم قوم الرجل والمسلره وأنبلحه ، والمراد بهم هنا أشباههم في الكفر كما قال المفسر (قوله من قبل) صفة للأشباع (قوله أي قبلهم) أي الذين كانوا سابقين عليهم في الزمان لافي العذاب فإن زمن عذابهم في القيامة متحدد (قوله موقع في الريبة لهم) أي فهو من أربابه إذا أوقفه في الريبة وهي الشك فهو كقولهم عجب عجيب وشعر شاعر من باب التأكيد (قوله ولم يعتدوا بدلائله) حال من الواو في آمنوا : أي آمنوا به في الآخرة والحال أنهم لم يعتدوا في الدنيا بدلائله .

[سورة فاطر مكية] أي وتسمى سورة الملائكة أيضا (قوله حمد تعالى نفسه) أي تعظيما لنفسه وتعلبا لخلقه كيفية الثناء عليه قال في الحمد الصادر منه تعالى يحتمل أن تكون للاستغراق أو للجنس ولا يصح أن تكون عهدية لأنه لم يكن ثم شيء معهود غير الحاصل بهذه الجملة ، وأما في كلام العباد فالأولى أن تكون عهدية والمعهود هو الحمد الصادر منه تعالى لنفسه (قوله كما بين في أول سورة سبأ) أي حيث قال هناك حمد تعالى نفسه بذلك الراد به الثناء بضمونه من ثبوت الحمد وهو الوصف بالجميل . وأعلم أن السور المفتحة بالحمد أربع : الأنعام والكهف وسبأ وفاطر ، وحكمة افتتاحها بذلك أن فيها تفصيل النعم الدنيوية والدنيوية التي احتوت عليها الفاتحة (قوله على غير مثال سبق) أي وإن كان لهما مادة وهو النور الحمدي فالنق للثال السابق فقط (قوله جاعل الملائكة) نعت ثان (٢٨٦) لفظ الجلالة وجاعل وإن كان بمعنى الضمى إلا أنه للاستمرار فباعتبار دلالة

على الضمى تكون إضافته محضة فيصالح لوصف العرفة به وباعتبار دلالاته على الحال والاستقبال يصلح للعمل في رسلا (قوله إلى الأنبياء) أي بالوحي وحينئذ فيراد بعض الملائكة لأكلهم وعبارة البيضاء أوضح من هذه وأولى ونصها جاعل الملائكة رسلا وسائط بين الله تعالى وبين أنبيائه

(كَمَا فَعَلَ بِأَشْيَاءِهِمْ) أشباههم في الكفر (مِنْ قَبْلُ) أي قبلهم (إِنَّهُمْ كَانُوا فِي شَكٍّ مُرِيبٍ) موقع في الريبة لهم فيما آمنوا به الآن ولم يعتدوا بدلائله في الدنيا .

(سورة فاطر)

مكية ، وهي خمس أوست وأربعون آية

(الْحَمْدُ لِلَّهِ) حمد تعالى نفسه بذلك كما بين في أول سبأ (فَاطِرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) خالقهما على غير مثال سبق (جَاعِلِ الْمَلَائِكَةِ رُسُلًا) إلى الأنبياء (أُولَى أَجْنَحَةٍ مَنًى وَثَلَاثَ وَرُبَاعَ يَزِيدُ فِي الْخَلْقِ) في الملائكة ،

وغيرها

والصالحين من عباده يبلغون إليهم رسالاته بالوحي والإلهام والرؤيا الصالحة أو بينه وبين

خالقه يوصلون إليهم آثار صنعه (قوله أولى أجنحة) يصح أن يكون صفة لرسلا وهو وإن كان صحيحا من جهة اللفظ لتوافقهما تنكيراً إلا أنه يوم أن الأجنحة لخصوص الرسل مع أنها لكل الملائكة فالأحسن جعله صفة أوحالا من الملائكة نظرا لأل الجنسية (قوله مثنى) بدل من أجنحة مجرور بفتح مقدره نيابة عن الكسرة المقدره لأنه اسم لا ينصرف والمانع له من الصرف الوصفية والعدل لكونه معدولا عن اثنين اثنين (قوله وثلاث ورباع) إن قلت في أي محل يكون الجناح الثالث لدى الثلاثة ؟ قلت لعله يكون في وسط الظهر بين الجناحين يمدّها بالقوة (قوله يزيد في الخلق) جملة مستأنفة سيقت لبيان باهر قدرته تعالى (قوله في الملائكة) أي في صورهم ، فقد قال الزمخشري : رأيت في بعض الكتب أن صنفا من الملائكة لهم ستة أجنحة فجناحان يلقون بهما أجسادهم وجناحان للطيران يطبرون بهما في الأمر من أمور الله وجناحان على وجوههم حياء من الله تعالى ، وفي الحديث « رأيت جبريل عند سدره المنتهى وله ستائة جناح ينثائر من رأسه العرّ والياقوت » وروى « أنه سأل جبريل أن يترأى له في صورته ، فقال إنك لن تطيق ذلك ، فقال إني أحب أن تفعل ، فخرج رسول الله صلى الله عليه وسلم في ليلة مقمرة فأناه جبريل في صورته ففتى على رسول الله صلى الله عليه وسلم ، ثم أفاق وجبريل عليه السلام مسنده وإحدى يديه على صدره والأخرى بين كتفيه ، فقال سبحان الله ما كنت أرى شيئا من الخلق هكذا ، فقال جبريل فكيف لورأيت إسماعيل له اثنا عشر ألف جناح جناح منها بالمشرق وجناح بالمغرب وإن العرش على كاهله وإنه ليتضاءل الأحياء : أي يتصاغر الأزمان لعظمة الله حتى يعود مثل

الوضع ، وهو المصفور الصغير (قوله وغيرها) أى من جميع الخلق كطول القامة واعتدال الصورة وثمام الأعضاء وقوة البطش وحسن الصوت والشعر والخط وغير ذلك من الكمالات التى أعطاه الله لحلقه (قوله إن الله على كل شئ قدير) كالتحليل لما قبله (قوله ما يفتح الله) ما إلهامية ويفتح فعل الشرط ، وقوله - فلا تمسك لها - جواب الشرط أو موصولة مبتدأ ويفتح صلتها وقوله : فلا تمسك لها خبر المبتدأ وقرن بالفاء لما فى المبتدأ من العموم ، وقوله : من رحمة بيان لما (قوله كرزق) أى دنيوى أو أخرى ، وعبر فى جانب الرحمة بالفتح إشارة إلى أنها شئ عزيز نفيس شأنه أن يوضع فى خزان وآتى بها منكراً لئلا يسهل كل رحمة دنيوية أو أخرى (قوله فلا تمسك لها) أنت مراعاة لئلا ما هو الرحمة (قوله وما يمسك) يصح أن يبقى على عمومته فالتدكير فى قوله له ظاهر ويصح أن يكون قد حذف من الثانى دلالة الأول عليه والتذكير مراعاة للفظ ما ، وقد أشار المفسر لهذا الثانى بقوله من ذلك : بنى من الرحمة (قوله أى أهل مكة) تفسير للناس باعتبار سبب النزول والإقامة به يوم اللفظ (قوله اذكروا نعمت الله عليكم) أى اشكروهم على تلك النعم التى أسداها إليكم (قوله بإسكانكم الخ) أشار بذلك إلى أن النعمة بمعنى الانعام ويصح أن تكون بمعنى النعم به (قوله وخالق مبتدأ) أى مرفوع بضمه (٢٨٧) مقطرة على آخره منع من ظهورها اشتغال المحل

ظهورها اشتغال المحل بحركة حرف الجر الزائد (قوله بالجر والرفع) أى فهما قراءتان سببتان ، وقوله لفظاً أو حلاقة ونشر مرتب وفي بعض النسخ بتقديم الرفع فيكون لفظاً ونشراً مشوشاً وقرئ شذراً بالنصب على الاستثناء (قوله والاستفهام للترديد) أى والتوبيخ (قوله أى لخالق رازق غيره) هذا حل معنى لاجل إهراب وإلقال لخالق غيره رازق لكم (قوله لا إله

وغيرها ما يشاء إن الله على كل شئ قدير . ما يفتح الله للناس من رحمة كرزق ومطر (فلا تمسك لها وما يمسك) من ذلك (فلا ترسل له من بعده) أى بد إسماعيل (وهو العزيز) الغالب على أمره (الحكيم) فى ضله (يأتينا الناس) أى أهل مكة (اذكروا نعمت الله عليكم) بإسكانكم الحرم ومنع النار منكم (هل من خالق) من زائدة وخالق مبتدأ (فخير الله) بالرفع والجر نعمت خالق لفظاً وحلاً وخبر المبتدأ (رزقكم من السماء) المطر (و) من (الأرض) النبات ، والاستفهام للترديد : أى لخالق رازق غيره (لا إله إلا هو فأتى نؤمنكون) من أين تصرفون من توحيده مع إقراركم بأنه الخالق الرازق (وإن يكذبوك) يأمجد فى محبتك بالتوحيد والبعث والحساب والعقاب (قد كذبت رسل من قبلك) فى ذلك فاصبر كما صبروا (وإلى الله ترجع الأمور) فى الآخرة فيجازى الكاذبين وينصر المرسلين (يأتينا الناس إن وعد الله) بالبعث وغيره (حق فلا تفرنكم الحياة الدنيا) من الإيمان بذلك (ولا يفرنكم بالله) فى حله وإمهاله (الفرور) الشيطان (إن الشيطان لكم عدو فاتخذوه عدواً) بطاعة الله ولا تطيعوه ،

إلا هو) كلام مستأنف لتقرير النفي المتقدم (قوله فأتى نؤمنكون) من الافك بالفتح وهو الصرف وبابه ضرب ، ومنه قوله تعالى - قالوا أجنثنا تأفكنا عن آلهتنا سوا ما الافك بالكسر فهو الكذب (قوله من أين تصرفون عن توحيده) أى كيف تعبدون غيره مع أنه ليس فى ذلك النبر وصف يقتضى عبادته من دون الله (قوله وإن يكذبوك) أى يدوموا على تكذيبك وهذا سلبية له صلى الله عليه وسلم (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف ، والمعنى فتأس بمن قلبك ولا تحزن (قوله فيجازى للكاذبين) أى بإدخالهم النار ، وقوله : وينصر المرسلين : أى بقبول شفاعتهم وإدخالهم دار الكرامة (قوله وغيره) أى كالحساب والعقاب (قوله فلا تفرنكم الحياة الدنيا) المراد نهيم عن الاغترار بها ، والمعنى فلا تغفروا بالدنيا فيذهلكم التمتع بها عن طلب الآخرة والسلى لها (قوله فى حله) أى بسببه ، والمعنى لا تجعلوا حله وإمهاله سبباً فى اتباعكم الشيطان (قوله الفرور) هو بالفتح فى قراءة العامة كالصبور والشكور وقرئ شذوذاً بضمها إما جمع غار كقاعه وقعود أو مصدر كالجلوس (قوله إن الشيطان لكم عدو) أى عظيم فإن عداوته قديمة مؤسسة من عهد آدم (قوله فاتخذوه عدواً) أى فكونوا منه على حذر فى جميع أحوالكم ولا تأمنوا له فى السر والعلانية ولا تقبلوا منه صرفاً ولا عدلاً ، قال البوصيرى :

وظائف النفس والشيطان واعصهما وإن هما معاك النصح فاتهم

ولا نطع منهما خصما ولا حكما فأتت تعرف كيد الخصم والحكم (قوله إنا يدعوا حزبه الخ) بيان لوجه عدولته ومخدير من طاعته (قوله هذا) أى قوله الذين كفروا إلى آخره ، والمعنى من كفر من أول الزمان إلى آخره فله العذاب الشديد ومن آمن من أول الزمان إلى آخره فله المغفرة والأجر الكبير (قوله ونزل في أبى جهل وغيره) أى من مشركى مكة كالعاص بن وائل والأسود بن المطلب وعقبة بن أبى معيط وأضرابهم ، ويؤيد هذا القول آيات منها - ليس عليك هدام - ومنها - ولا يحزنك الذين يسارعون في الكفر - ومنها - فلعنك باخع نفسك على آثارك إن لم يؤمنوا بهذا الحديث أسفا - وغير ذلك ، ففى هذه الآيات تسلية له صلى الله عليه وسلم على كفر قومه ، وقيل هذه الآية نزلت في الخوارج الذين يحرفون تأويل الكتاب والسنة ويستحلون بذلك دماء المسلمين وأهوالهم كملهم مشاهد الآن فى نظائرهم وهم فرقة بأرض الحجاز - يحسبون أنهم على شئ إلا أنهم هم الكاذبون استحوذ عليهم الشيطان فأنسأهم ذكر الله أولئك حزب الشيطان ألا إن حزب الشيطان هم الخاسرون - نسأل الله الكريم أن يقطع دابرهم ، وقيل نزلت في اليهود والنصارى ، وقيل نزلت في الشيطان حيث زين له أنه العابد التقي وآدم العاصى مخالف ربه لا اعتقاده أنه على شئ (قوله أفمن زين له سوء عمله) أى زين له الشيطان ونفسه الأماره عمله السيء فهو من إضافة الصفة

(٢٨٨)

للموصوف (قوله بالتقوية) أى التحسين ظاهرا بأن غلب وهمه على عقله فرأى الحق باطلا والباطل حقا ، وأما من هداه الله فقد رأى الحق حقا فاتبعه ورأى الباطل باطلا فاجتنبه (قوله لا) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى (قوله دل عليه) أى على تقدير الخبر ، والمعنى حذف الخبر لدلالة قوله فان الله يضل من يشاء الخ عليه وفى هذه الآية رد على المعتزلة الذين يزعمون أن العبد يخلق أفعال نفسه فلو كان كذلك

(إِنَّمَا يَدْعُوا حِزْبَهُ) أتباعه فى الكفر (لِيَكُونُوا مِنْ أَصْحَابِ السَّعِيرِ) النار الشديدة (الَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ) وَالَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَهُمْ مَغْفِرَةٌ وَأَجْرٌ كَبِيرٌ) هذا بيان ما لموافق الشيطان وما لمخالفه . ونزل فى أبى جهل وغيره (أَفَمَنْ زُيِّنَ لَهُ سُوءُ عَمَلِهِ) بالتقوية (فَرَأَاهُ حَسَنًا) من مبتدأ خبره كن هداه الله لا ، دل عليه (فَإِنَّ اللَّهَ يُضِلُّ مَنْ يَشَاءُ وَيَهْدِي مَنْ يَشَاءُ فَلَا تَذْهَبُ نَفْسُكَ عَلَيْهِمْ) على المزيّن لهم (حَصَرَاتٍ) باغتمامك أن لا يؤمنوا (إِنَّ اللَّهَ عَلِيمٌ بِمَا يَصْنَعُونَ) فيجازيهم عليه (وَاللَّهُ الَّذِي أَرْسَلَ الرِّيَّاحَ) وفى قراءة الريح (فَتُثِيرُ سَحَابًا) المضارع لحكاية الحال للماضية أى تزججه (فَسَقْنَاهُ) فيه التفات عن الغيبة (إِلَى بَلَدٍ مَيِّتٍ) بالتشديد والتخفيف لانبات بها (فَأَخْبَيْنَا بِهِ الْأَرْضَ) من البلد (بَعْدَ مَوْتِهَا) يبسها أى أنبتنا به الزرع والكلأ (كَذَلِكَ النُّشُورُ) أى البعث والإحياء (مَنْ كَانَ يُرِيدُ الْعِزَّةَ فَلِلَّهِ الْعِزَّةُ جَمِيعًا) أى فى الدنيا والآخرة فلا تنال منه إلا بطاعته فليطعه (إِلَيْهِ يَصْعَدُ الْكَلِمُ الطَّيِّبُ) ،

يعلمه

ما أسند الإضلال والهدى لله تعالى (قوله فلا تذهب نفسك عليهم) عامة لقراء على فتح التاء

والهاء ورفع نفس على الفاعلية ويكون المعنى لا تنماط أسباب ذلك وقرى شدوذا بضم التاء وكسر الهاء ونفسك مفعول به ويكون المعنى لا تهلكها على عدم إيمانهم (قوله حسرات) مفعول لأجله جمع حسرة وهى شدة التلطف على الشئ الغائت (قوله فيجازيهم عليه) أى إن خيرا غفر وإن شرا فشر (قوله وفى قراءة الريح) أى وهى سبعة أيضا (قوله لحكاية الحال للماضية) أى استحضارا لتلك الصورة الصعبة التى تدل على كمال قدرته تعالى (قوله أى تزججه) أى تحركه وتثيره (قوله فيه التفات عن الغيبة) أى السكائنة فى قوله : والله الذى أرسل (قوله إلى بلد ميت) البلديذ كرو يؤث يطلق على القطعة من الأرض عامرة أو خالية (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قرأتان سبعيتان (قوله لانبات بها) أى فالمراد بالموت عدم النبات والمرعى وبالحياة وجودهما (قوله من البلد) من بيانية (قوله كذلك النشور) أى كمثل إحياء الأرض بالنبات إحياء الأموات ووجه الشبه أن الأرض الميتة لما قبلت الحياة اللائقة بها كذلك الأعضاء تقبل الحياة اللائقة بها فان البلد الميت تساق إليها المياه فتحيا بها والأجساد تساق إليها الأرواح فتحيا بها (قوله من كان يريد العزة لله العزة جميعا) من شرطية مبتدأ وجوابها محذوف قتره المفسر بقوله فليطعه ، وقوله فله العزة تحليل للجواب ، واختلف فى هذه الآية فقيل المراد من كان يريد أن يسأل عن العزة لمن هو فقل له لله العزة جميعا ، وقيل المراد من أراد العزة لنفسه فليطلبها من الله فان العزة له لا لغيره

وطلبها يكون بطاعته والالتجاء إليه والوقوف على بابه لما ورد في الحديث « من أراد عز الدارين فليطع العزيز ومن طلب العزة من غيره تعالى كسى من وصفه وهو القل » لأن وصف العبد القل ووصف الله العز فمن التجأ إلى الله كساء الله من وصفه ومن التجأ إلى العبد كساء الله من وصف ذلك العبد لما ورد « من استعز بقوم أورثه الله ذلهم » وقال الشاعر : وإذا تذللت الرقاب تواضعا منا إليك فزها في ذلها (قوله يعلمه) أشار بذلك إلى أن في الكلام مجازا ، فالصعود مجاز عن العلم كما يقال ارتفع الأمر إلى القاضي يعني علمه ، وعبر عنه بالصعود إشارة لقبوله لأن موضع الثواب فوق وموضع العذاب أسفل ، وقيل المعنى يصعد إلى صفائه ، وقيل يحمل الكتاب الذي كتب فيه طاعة العبد إلى السماء (قوله ونحوها) أى من الأذكار والتسبيح وقراءة القرآن (قوله والعمل الصالح) أى كالصلاة والصوم وغير ذلك من الطاعات (قوله والذين يذكرون) بيان لحال السك姆 الحثيث والعمل السبيء بعد بيان حال السك姆 الطيب والعمل الصالح (قوله للسكرات) قدره إشارة إلى أن السيئات صفة لموصوف محذوف مفعول مطلق ليذكرون لأن مكر لازم لا ينصب للمفعول ، والمكر الحيلة والخديعة (قوله في دار الندوة) أى وهي التي بناها قصي بن كلاب للتحديث والمشاورة (قوله كما ذكر في الأنفال) أى في قوله - وإذ يكر بك الذين كفروا - الآيات وقد فصلت هناك (قوله ومكر أولئك) آتى باسم الإشارة البعيد إشارة لبعدهم عن الرحمة واشتهارهم بالبنى والفساد (قوله هو يبور) هو مبتدأ ثان ويبور خبره والجملة خبر الأول ، يصح أن يكون ضمير فصل لا محل له من الإعراب وقولهم (٢٨٩) إن الفصل لا يقع قبل الخبر إذا كان

فعلا مردود بجواز ذلك (قوله بخلق أبيكم آدم منه) ويصح أن يراد خلقكم من تراب بواسطة أن النطفة من الغذاء وهو من التراب (قوله أزواجاً) أى أصنافاً (قوله من أثى) أى من رائدة في القاعل (قوله حال) أى من أثى (قوله وما يعمر من معمر) يفتح اليم في قراءة العامة

يعلمه وهو لا إله إلا الله ونحوها (وَالْعَمَلُ الصَّالِحُ يَرْفَعُهُ) يتقبله (وَالَّذِينَ يَمْكُرُونَ) للسكرات (السَّيِّئَاتِ) بالنبي في دار الندوة من تقييده أو قتله أو إخراجه كما ذكر في الأنفال (لَمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ وَمَكْرُ أُولَئِكَ هُوَ يَبُورُ) يهلك (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ مِنْ تُرَابٍ) بخلق أبيكم آدم منه (ثُمَّ مِنْ نُطْفَةٍ) أى مني بخلق ذريته منها (ثُمَّ جَعَلَكُمْ أَزْوَاجًا) ذكورا وإناثا (وَمَا تَحْمِلُ مِنْ أُنْثَى وَلَا تَضَعُ إِلَّا بِعِلْمِهِ) حال أى معلومة له (وَمَا يُعْمَرُ مِنْ مُّعَمَّرٍ) أى ما يزداد في عمر طويل العمر (وَلَا يُنْقَضُ مِنْ عُمْرِهِ) أى ذلك العمر أو معمر آخر (إِلَّا فِي كِتَابٍ) هو اللوح المحفوظ (إِنَّ ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ يَسِيرٌ) هين (وَمَا يَسْتَوِي الْبَحْرَانِ هَذَا عَذِيبٌ فَرَاتٍ) شديد العذوبة (سَائِغٌ شَرَابُهُ) شربه (وَهَذَا مِلْحٌ أُجَاجٌ) شديد الملوحة (وَمِنْ كُلٍّ) منهما (تَأْكُلُونَ لَحْمًا طَرِيًّا) هو السمك (وَتَسْتَخْرِجُونَ) من الملح ،

قال ابن عباس : ما يعمر من معمر لا نسب عمره كم هو سنة كم هو شهرا ، كم هو يوموكم هو ساعة ثم يكتب في كتاب آخر نقص من عمره يوم نقص شهر نقص سنة حتى يستوفى أجله فما مضى من أجله فهو النقصان وما يستقبله فهو الذي يسمره ، وهذا هو الأحسن ، وقيل إن الله كتب عمر الانسان مائة سنة إن أطاع وتسعين إن عصى فأيهما بلغ فهو كتاب ، وهذا مثل قوله عليه الصلاة والسلام « من أحب أن يسقط الله له في رزقه وينسأ له في أثره » أى يؤخر في عمره « فليصل رحمه » أى إنه يكتب في اللوح المحفوظ عمر فلان كذا سنة فإن وصل رحمه زيد في عمره كذا سنة فبين ذلك في موضع آخر من اللوح المحفوظ أنه سيصل رحمه فمن اطاع على الأول دون الثاني ظن أنه زيادة أو نقصان (قوله أو معمر آخر) أى على حد عندى درهم ونصفه أى فالمعنى ما يزداد في عمر شخص بأن يكون أجله طويلا ولا ينقص من عمر آخر بأن يكون عمره قصيرا إلا في كتاب (قوله إن ذلك) أى كتابة الأعمار والأجل (قوله على الله يسير) أى سهل غير متعذر (قوله وما يستوى البحرين) أى هذا مثل للمؤمن والكاثر وقوله شديد العذوبة أى يكسر وهج العنقش وقوله سائغ أى يسهل الحرارة (قوله شربه) أى فسر الشراب بالشرب لأن الشراب هو المشروب فيلزم إضافة الشيء لنفسه (قوله أجاج) أى يحرق الخلق باموته (قوله من كل تأكلون الخ) يحتمل أنه استطراد لبيان صفة البحرين وما فيها من النافع والمضار قد تم بما قبله وهو الأظهر ، وقيل هو من تمام التمثيل يعنى أنهما وإن اشتركا في بعض الأوصاف لا يستويان في جميعها كالبحرين فانهما وإن اشتركا في بعض النافع لا يستويان في جميعها (قوله هو السمك) المراد به حيوانات البحر كلها فيجوز أكلها . [٣٧ - صاوى - ثالث]

(قوله وقيل منهما) أى وجهه أن في البحر الملح عيوناً عذبة تخرج بالملح فيخرج اللؤلؤ منها عند الامتزاج (قوله والمرجان) هو عروق حمر تطلع من البحر كأصابع الكف ، وقيل هو صغار اللؤلؤ (قوله لتبتنوا) متعلق بمواخر (قوله بالتجارة) أى وغيرها كالنزو والحج (قوله على ذلك) أى على ما أسداه إليكم من تلك النعم (قوله يولج الليل في النهار) أى فيطول النهار حتى يصير من طلوع الشمس لنورها أربع عشرة ساعة كأيام الصيف وقوله : و يولج النهار في الليل أى فيطول الليل حتى يكون من الغروب لظلاله أربع عشرة ساعة كأيام الشتاء ، فالدائر بين الليل والنهار أربع ساعات تارة تكون في الليل وتارة تكون في النهار (قوله وسخر الشمس والقمر) معطوف على يولج وعبر بالمضارع في جانب الليل والنهار لأن إلاج أحدهما في الآخر يتجدد كل عام وأما الشمس والقمر فتسخرهما من يوم خلقهما الله فلا تجدد فيه وإنما التجدد في آثارهما فلذا عبر في جابهما بالماضى (قوله والذين تدعون من دونه الخ) هذا من جملة الأدلة على انفراده تعالى بالألوهية (قوله لافافة النواة) بكسر اللام. وهى القشرة الرقيقة للثغرة على النواة . واهل أن في النواة أربعة أشياء يضرب بها الثل في القلة : الفتيل وهو ما في شق النواة والقطمير وهو اللافافة والتقيير وهو ما في ظهرها (٢٩٠) والتفروق وهو ما بين القمع والنواة (قوله ما أجابوكم) أى محلب نفع . لا دفع

ضرت (قوله بإشراككم إياهم) أشار بذلك إلى أن المصدر مضاف للفاعل (قوله أى يتبرهون منكم) أى بقولهم ما كانوا إيانا يبدون (قوله ولا ينبئك مثل خبير) أى لا يخبرك أحد مثلى لأنى عالم بالأشياء وخبير لا يعلمها وهذا الخطاب يحتمل أن يكون عاماً غير مختص بأحد ويحتمل أن يكون خطاباً له صلى الله عليه وسلم (قوله يأيها الناس أتمموا الفقراء إلى الله) أى خاطب الناس بذلك وان

وقيل منهما (حَلِيَّةٌ تَلْبَسُونَهَا) هى اللؤلؤ والمرجان (وَتَرَى) تبصر (الْفُلُكُ) السفن (فِيهِ) في كل منهما (مَوَاحِرَ) تمخر الماء : أى تشقه بمجرىها فيه مقبلة ومدبرة بريح واحدة (لِتَبْتَغُوا) تطلبوا (مِنْ فَضْلِهِ) تعالى بالتجارة (وَلَمَّا كُنْتُمْ تَشْكُرُونَ) الله على ذلك (يُؤَيِّجُ) يدخل الله (اللَّيْلَ فِي النَّهَارِ) فيزيد (وَيُؤَيِّجُ النَّهَارَ) يدخله (فِي اللَّيْلِ) فيزيد (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا مِنْهُمَا يَجْرِى) فى فلكه (لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) يوم القيامة (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ وَالَّذِينَ تَدْعُونَ) تبتدون (مِنْ دُونِهِ) أى غيره وهم الأصنام (مَا يَمْلِكُونَ مِنْ قِطْمِيرٍ) لافافة النواة (إِنْ تَذَهَبُوا لَا تَنْصَبُوا دُعَاءَكُمْ وَلَوْ سَمِعُوا) فرضاً (مَا اسْتَجَابُوا لَكُمْ) ما أجابوكم (وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ يَكْفُرُونَ بِشِرْكِكُمْ) بإشراككم إياهم مع الله : أى يتبرهون منكم ومن عبادتكم إياهم (وَلَا يُنَبِّئُكَ) بأحوال الدارين (مِثْلُ خَبِيرٍ) عالم وهو الله تعالى (يَا أَيُّهَا النَّاسُ أَنْتُمُ الْفُقَرَاءُ إِلَى اللَّهِ) بكل حال (وَاللَّهُ هُوَ الْغَنِيُّ) عن خلقه (الْحَمِيدُ) الحمود فى صنعه بهم (إِنْ يَشَأْ يُذْهِبْكُمْ وَيَأْتِ بِخَلْقٍ جَدِيدٍ) بدلکم (وَمَا ذَلِكَ عَلَى اللَّهِ بِعَزِيزٍ) شديد (وَلَا تَزِرُ) نفس (وَاِزْرَهُ) آئمة أى لا تحمل (وَزَرَ) نفس (أُخْرَى

كان ماسوى الله فقيرا لأن الناس هم الذين يدعون النفى وينسبونه لأنفسهم ، والمعنى يأيها الناس اتمموا و ان الخلق افتقاروا واحتياجا إلى الله فى أنفسهم وعيالكم وأموالكم وفبايعرض لكم من سائر الأمور فلا غنى لكم . طردة عين ولا أقل من ذلك ومن هنا قول الصديق رضى الله عنه : من عرف نفسه عرف ربه أى من عرف نفسه بالفقر والذل والعجز والسكينة عرف ربه بالنفى والعز والقدرة والكمال (قوله بكل حال) أى فى حالة الفقر والنفى والضعف والقوة والذل والعز فالعبد مقتدر له فى أى حالة كان بها ذلك العبد (قوله الحميد) إنما ذكره بعد النفى لدفع توهم أن غناه تعالى تارة ينفع وتارة لا فأفاد أنه كما أنه غنى هو نعم جواد محمود على إنعامه لكونه يعطى النوال قبل السؤال للبر والفاجر (قوله إن يشأ يذهبكم) هذا بيان لغناه اللطيف يعنى أن إدهابكم ليس متوقفا على شئ إلا على مشيئته فابقاؤكم من محض فضله (قوله بخلق جديد) أى بعالم آخر غير ما تعرفونه (قوله شديد) أى متعذر أو متمسر (قوله وايزره) فاهز ترز وهو صفة لموصوف محذوف قتره للفسر بقوله نفس ، والمعنى لا تحمل نفس وايزره وزر نفس أخرى وأما غير الوايزة فتحمل وزر الوايزة بمعنى تشفع لها فى غفرانه لا بمعنى أنه يقتل من الوايزة لغيرها . إن قلت ما الجمع بين هذه الآية وبين قوله تعالى : وليحملن أثقالهم الآية . أجب بأن تلك الآية محمولة على من ضلّ وتسبب فى الضلال لغيره فعليه وزر ضلاله ووزر تسببه لأن نسيبه من فعله فلم يحمل إلا أثقال نفسه فرجع الأمر إلى أن الانسان لا يحمل وزر غيره أصلا بل كل نفس بما كسبت رهينة .

(قوله وإن تدع مثقلة إلى حملها) أى وإن تدع نفس مثقلة بالدنوب نفساً إلى حملها وهو بالكسر ما يحمل على ظهر أو رأس. وبالفتح ما كان في البطن أو على رأس شجرة (قوله لا يحمل منه شيء) العامة على قراءة يحمل مبنياً للمفعول وأشيء نائب الفاعل وقرئ: شذوذاً تحمل فتح التاء وكسر الليم مسنداً إلى ضمير النفس المحذوفة وشيئاً مفعول تحمل (قوله ولو كان ذا قرين) العامة على قراءة ذا بالنصب خبر كان وأصحها ضمير يعود على الدعو كما قدره المفسر وقرئ: شذوذاً بالرفع على أن كان تامة ، وللض وإن تدع نفس مذنبه نفساً أخرى إلى حمل شيء من ذنبها لا يحمل منه شيء ولو كانت تلك النفس الأخرى قريبة للداعية كما بها أو أيها لما ورد «يلقى الأب والأم الابن فيقولان له يابني احمل عنا بعض ذنوبنا فيقول لأستطيع حسبى ما على» (قوله في الشقين) أى الحل القهري والاختيارى (قوله حكم من الله تعالى) أى وهو لا يتخلو عن حكمة عظيمة (قوله إنما تنذر الذين يخشون ربهم) إنما أداة حصر ، والمعنى أن إنذارك مقصور على الذين يخشون ربهم وقوله بالغيب حال من فاعل يخشون أى يخشونه حال كونهم غائبين عنه ، فالغيب وصف العبيد لا وصف الرب فان وصف الرب القرب قال تعالى - ونحن أقرب إليه من حبل الوريد - ووصف العبيد الغيبة والحجاب فالعبيد محجوبون عن ربهم بصفات جلالة ، ويصح أن يكون حالاً من المفعول : أى يخشونه والحال أنه غائب عنهم أى محتجب بجلاله فلا يرونه وإلى هذا أشار (٢٩١) المفسر بقوله وما رآوه فعدم رؤية الله تعالى إنما هو من تحجبه بصفات الجلال ، فإذا تجلى بالجمال رآته الأبصار وذلك يحصل في الآخرة لأهل الإيمان وقد حصل في الدنيا لسيد الخلق على الإطلاق وقد تجلى بالجمال للقلوب في الدنيا فتراه وهي الجنة المعجلة لأهل الله المقربين (قوله لأنهم المنتفعون بالإنذار) جواب عما يقال وكيف قصر الإنذار على أهل الحشية مع أنه لجميع المكلفين . فأجاب بأن وجه قصره

وإن تدع نفس مثقلة بالوزر (إلى حملها) منه أحداً ليحمل بعضه (لا يحمل منه شيء) ولأنه كان للدعو (ذا قرين) قرابة كالأب والابن ، وعدم الحل في الشقين حكم من الله تعالى (إنما تنذر الذين يخشون ربهم بالغيب) أى يخافونه وما رآوه لأنهم المنتفعون بالإنذار (وأقاموا الصلاة) أداموها (ومن تزكى) تطهر من الشرك وغيره (فإنما يتزكى لنفسه) فصلاحه مختص به (وإلى الله المصير) المرجع فيجزى بالعمل في الآخرة (وما يستوى الأعمى والبصير) الكافر والمؤمن (ولا الظلمات ولا النور) الإيمان (ولا الظل ولا الحرور) الجنة والنار (وما يستوى الأحياء ولا الأموات) المؤمنون ولا الكفار وزيادة لا في الثلاثة تأكيد (إن الله يسمع من يشاء) هدايته فيجيبه بالإيمان (وما أنت بمسمع من في القبور) أى الكفار شبههم بالموتى فيجيبون (إن) ما (أنت إلا نذير) منذر لهم (إننا أرسلناك بالحق) بالهدى (بشيراً) من أجاب إليه (ونذيراً) من لم يجب إليه ،

عليهم اتفاعهم به فكانه قال إنما ينفع إنذارك أهل الحشية (قوله أداموها) أى واطبوا عليها بآركانها وشروطها وآدابها وفي نسخة أداموها (قوله وغيره) أى كالمصاحف (قوله فصلاحه مختص به) أى فهو قاصر عليه لا يتعداه فيجزى بالعمل في الآخرة أى الخير والشر (قوله وما يستوى الأعمى والبصير الخ) هذا مثل ضربه الله للمؤمن والكافر ، وأفاد أولاً الفرق بين ذاتيهما . وثانياً بين وصفيهما . وثالثاً بين داريهما في الآخرة ، وأما قوله وما يستوى الأحياء الخ فهو مثل آخر على أبغ وجه ، لأن الأعمى ربما يكون فيه بعض نفع بخلاف الميت (قوله ولا الظلمات ولا النور) جمع الظلمات باعتبار أنواع الكفر فان أنواعه كثيرة بخلاف الإيمان فهو نوع واحد (قوله ولا الحرور) هى الريح الحارة خلاف السموم فالحرور تكون بالنهار والسموم بالليل ، وقبل الحرور والسموم الليل والنهار (قوله وزيادة لا في الثلاثة) أى في الجمل الثلاث التى أولها ولا الظلمات ولا النور وثانيها ولا الظل ولا الحرور وثالثها وما يستوى الأحياء ولا الأموات وإنما زيدت لتأكيد في الجميع لأن نفي المساواة معلوم من ما النافية (قوله إن الله يسمع من يشاء) من هنا إلى قوله تكبر تسلياً له صلى الله عليه وسلم (قوله وشبههم بالموتى) أى في عدم التأثير بدعوته (قوله إن أنت إلا نذير) أى فليس عليك إلا التبليغ والهدى بيد الله يؤتیه من يشاء (قوله بالحق) حال من الكاف بدليل قول المفسر بالهدى كأنه قال أرسلناك حال كونك هادياً

(قوله وإن من أمة) أى تعلّمها وقوله نبى ينذرنا : أى يخوفنا من عقاب الله وتنقضى شريعته بموته لما بين الرسولين من أهل الفترة وهم ناجون من أهل الجنة وإن غيروا وبدلوا وعبدوا غير الله بنصّ قوله تعالى - وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا - وأما ما ورد من تعذيب بعض أهل الفترة كمرو بن لحى وامرئ القيس وحاتم الطائي ، فقيل إن ذلك لحكمة يعلمها الله لا لكفرهم والتعذيب أنه خبر آحاد وهو لا يعارض النص القطعى وتقدم الكلام في ذلك عند قوله تعالى - وما كنا معذنين حتى نبعث رسولا - (قوله وبالزبر) اسم لكل ما يكتب (قوله كصحف إبراهيم) أى وهى ثلاثون وكصحف موسى قبل التوراة وهى عشرة وكصحف شيث وهى ستون ، جملة الصحف مائة تضمّ لها الكتب الأربعة ، جملة الكتب السماوية مائة وأربعة (قوله فاصبر كما صبروا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف (قوله أى هو واقع موقعه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى (قوله ألم تر) خطاب لكل من تتأتى منه الرؤية وهو كلام مستأنف سبق لبيان باهر قدرته تعالى وكال حكته (قوله فيه التفات) أى (٣٩٣) وحكته أن اللمة في الإخراج أبلغ من إزال الماء ، ولما في الإخراج من

الصنع البديع الدال على كمال القدرة الإلهية (قوله ثمرات مختلفا ألوانها) أى فى أصل اللون كالأخضر والأصفر والأحمر وفى شدة اللون الواحد وضعفه (قوله ومن الجبال جدد) قرأ العامة بضم الجيم وفتح الدال جمع جدة وهى الطريق وقرئ شذودا بضم الجيم والدال جمع جديدة وفتحهما (قوله مختلف ألوانها) مختلف صفة لجدد وألوانها فاعل به أو مختلف خبر مقدم وألوانها مبتدأ مؤخر والجملة صفة لجدد (قوله وغرايب سود) الغريب تأكيد للأسود

(وَإِنْ) مَا (مِنْ أُمَّةٍ إِلَّا خَلَا) سَلَفَ (فِيهَا نَذِيرٌ) نَبِيٌّ يَنْذَرُهَا (وَإِنْ يُكَذِّبُوكَ) أَيْ أَهْلُ مَكَّةَ (فَقَدْ كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ جَاءَتْهُمْ رُسُلُهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ) الْمَجْزَاتِ (وَبِالزُّبُرِ) كَصَحْفِ إِبْرَاهِيمَ (وَبِالْكِتَابِ الْمُنِيرِ) هُوَ التَّوْرَةُ وَالْإِنْجِيلُ فَاصْبِرْ كَمَا صَبَرُوا (ثُمَّ أَخَذْتُ الَّذِينَ كَفَرُوا) بِتَكْذِيبِهِمْ (فَكَيْفَ كَانَ نَكِيرِ) إِنْكَارِ عَلَيْهِم بِالْعُقُوبَةِ وَالْإِهْلَاكِ أَيْ هُوَ وَاقِعٌ مَوْقِعُهُ (أَلَمْ تَرَ) تَعْلَمُ (أَنَّ اللَّهَ أَنْزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً فَأَخْرَجْنَا) فِيهِ التَّفَاتِ عَنْ النَّبِيَّةِ (يِهْ ثَمَرَاتٍ مُخْتَلِفًا أَلْوَانُهَا) كَأَخْضَرٍ وَأَحْمَرٍ وَأَصْفَرٍ وَغَيْرِهَا (وَمِنْ الْجِبَالِ جُدَدٌ) جَمْعُ جَدَّةٍ : طَرِيقٌ فِي الْجِبَالِ وَغَيْرِهِ (بَيْضٌ وَحُمْرٌ) وَصَفَرٌ (مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهَا) بِالشَّدَةِ وَالضَّعْفِ (وَعَرَايِبُ سُودٌ) عَطَفَ عَلَى جَدَدٍ : أَيْ صَغُورٌ شَدِيدَةُ السَّوَادِ ، يُقَالُ كَثِيرًا أَسْوَدَ غَرِيبٌ ، وَقَلِيلًا غَرِيبٌ أَسْوَدٌ (وَمِنْ النَّاسِ وَالْأَنْعَامِ مُخْتَلِفٌ أَلْوَانُهُ كَذَلِكَ) كَاخْتِلَافِ الثَّمَارِ وَالْجِبَالِ (إِنَّمَا يَخْشَى اللَّهَ مِنْ عِبَادِهِ الْعُلَمَاءُ) بِخِلَافِ الْجَهَالِ كَكُفَّارِ مَكَّةَ (إِنَّ اللَّهَ عَزِيزٌ) فِي مُلْكِهِ (عَفُورٌ) لِقُدُوبِ عِبَادِهِ الْمُؤْمِنِينَ (إِنَّ الَّذِينَ يَتْلُونَ) يَقْرَءُونَ (كِتَابَ اللَّهِ وَأَقَامُوا الصَّلَاةَ) أَدَامُوهَا (وَأَنفَقُوا مِمَّا رَزَقْنَاهُمْ سِرًّا وَعَلَانِيَةً) زَكَاةً أَوْ غَيْرِهَا (يَرْجُونَ تِجَارَةً لَّنْ تَبُورَ) تَهْلِكُ (لِيُؤْفِقَهُمْ أُجُورَهُمْ) ثَوَابِ أَعْمَالِهِمُ الْمَذْكُورَةِ (وَيَزِيدَهُمْ مِنْ فَضْلِهِ إِنَّهُ غَفُورٌ) لِقُدُوبِهِمْ (شَكُورٌ) لِعَطَائِهِمْ (وَالَّذِي أَوْحَيْنَا إِلَيْكَ ،

من

كالتقانى تأكيد للأحمر وإنما قدمه عليه للبالغة (قوله يقال كثيرا) أى بتقديم الموصوف

على الصفة وهذا هو الأصل ، وقوله وقليل أى بتقديم الصفة على الموصوف وهذا خلاف الأصل ويرتكب للبالغة (قوله ومن الناس) خبر مقدم وقوله مختلف ألوانه صفة لموصوف محذوف هو المبتدأ أى صنف مختلف ألوانه من الناس وقوله كذلك صفة لمصدر محذوف أى اختلافا كذلك (قوله إنما يخشى الله من عباده العلماء) أى أن خشية الله شرطها العلم والمعرفة به فمن اشتدت معرفته لربه كان أخشاه له ولذا ورد فى الحديث «أنا أخشاكم لله وأتقاكم له» وقرئ شذودا برفع الجلالة ونصب العلماء ، والمعنى إنما يعظم الله من العباد العلماء وإنما كان كذلك لكونهم أعرف الناس بربهم وأتقاهم له فالواجب على الناس تعظيمهم واحترامهم اقتداء بالله تعالى فإن الله أخبر أنه يعظمهم ويحبهم (قوله إن الله عزير غفور) تعليل لوجوب خشية الله أنه قيل يجب على كل إنسان أن يخشى الله تعالى لأنه عزير قاهر لما سواه غفور للذنبين (قوله إن الذين يتلون كتاب الله) أى يقرؤونه على طهارة أولا عن ظهري قلب أو فى الصحف وفضل الله واسع (قوله زكاة أو غيرها) لف ونشر مشوش وهو تحضيض على الاتفاق كيفما تيسر (قوله يرجون تجارة) خبر إن أى يرجون ثواب تجارة (قوله ليوفيه أجورهم) اللام للعاقبة والصبر ورة (قوله شكور) أى ينيهم

على طاعتهم (قوله من الكتاب) من لبيان الجنس أو للتبعض (قوله هو الحق) هو إما ضمير فصل أو مبتدأ والحق خبر والجملة خبر الذي ومصدقا حال مؤكدة (قوله عالم بالبوطن والظواهر) لف وتشتر مرتب (قوله ثم أورتنا) أتى بتم إشارة لبعد رتبهم عن رتبة غيرهم من آئمة (قوله أعطينا) أشار بذلك إلى أن الإراد بالتورث الاعطاء ، ووجه تسميته ميراثا أن الميراث يحصل للوارث بلا تعب ولا نصب وكذلك إعطاء الكتاب حاصل بلا تعب ولا نصب (قوله من عبادنا) بيان للمصطفى (قوله وم أمتك) أى أمة الاجابة سواء حفظوه كلا أو بعضا أولا وإلا فليس المراد باعطاء الكتاب حفظه بل الاهتداء بهديه والاقداء به (قوله فنتهم ظالم لنفسه الخ) أى من غلبت سيئاته على حسناته ، والمقصد من غلبت حسناته على سيئاته ، والسابق من لا تقع منه سيئة أصلا ، ولما ورد في الحديث في تفسير هذه الآية «سابقنا سابق ومقتصدنا تاج وظالمنا مغفور له» وقيل الظالم هو راجع السيدات وللمقصد هو الذى تساوت سيئاته وحسناته . والسابق هو الذى رجحت حسناته ، وقيل الظالم هو الذى ظاهره خير من باطنه والمقصد من تساوى ظاهره وباطنه والسابق من باطنه خير من ظاهره وقدم الظالم على من بعده ليقوى رجاءه في ربه ولئلا يحب الطامع بعمله فيهلك وهذا على حد ما قيل في قوله تعالى - إن الله يحب المتوازين (٢٩٣) - ويحب المتطهرين - (قوله باذن

الله) متعلق بقوله سابق وإما يخص مع أن الكل باذن الله تنبيها على عزة هذه المرتبة فأضيفت لله (قوله يدخلون الخ) أتى بضمير جماعة الدكور في تلك الآيات تغليبا للذكر على المؤنث وإلا لخصوصية للذكور (قوله بالبناء للفاعل والمفعول) أى فهم قراءتان سبعيتان (قوله مرصع بالذهب) تقدم أنه أحد قولين ، وقيل إنهم يحلون فيها أسورة من ذهب وأسورة من فضة وأسورة من لؤلؤ (قوله

مِنَ الْكِتَابِ) القرآن (هُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقًا لِمَا بَيْنَ يَدَيْهِ) تقدمه من الكتب (إِنَّ اللَّهَ يُمَيِّدُهُ تَخْيِيرًا بَصِيرًا) عالم بالبوطن والظواهر (ثُمَّ أَوْرَثْنَا) أعطينا (الْكِتَابَ) القرآن (الَّذِينَ اصْطَفَيْنَا مِنْ عِبَادِنَا) وم أمتك (فَفِيهِمْ ظَالِمٌ لِنَفْسِهِ) بالتقصير في العمل به (وَمِنْهُمْ مُقْتَصِدٌ) يعمل به أغلب الأوقات (وَمِنْهُمْ سَابِقٌ بِالْخَيْرَاتِ) يضم إلى العمل التعليم والإرشاد إلى العمل (يَاذَنُ اللَّهُ) بإرادته (ذَلِكَ) أى إيراتهم الكتاب (هُوَ الْفَضْلُ الْكَبِيرُ . جَنَّاتُ عَدْنٍ) إقامة (يَدْخُلُونَهَا) الثلاثة بالبناء للفاعل والمفعول خبر جنات المبتدأ (يُحْكَمُونَ) خبر ثان (فِيهَا مِنْ) بعض (أَسَاوِرَ مِنْ ذَهَبٍ وَلُؤْلُؤٍ) مرصع بالذهب (وَلِبَاسُ هُمْ فِيهَا خَرِيرٌ . وَقَالُوا الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي أَذْهَبَ عَنَّا الْحَزْنَ) جميعه (إِنَّ رَبَّنَا لَغَفُورٌ) للذنوب (شُكُورٌ) للطاعة (الَّذِي أَحَلَّنَا دَارَ الْمَقَامَةِ) أى الإقامة (مِنْ فَضْلِهِ لَا يَمَسُّنَا فِيهَا نَصَبٌ) تعب (وَلَا يَمَسُّنَا فِيهَا نُوبٌ) إعياء من التعب لعدم التكليف فيها ، وذكر الثانى التابع للأول للتصریح بنفيه (وَالَّذِينَ كَفَرُوا لَهُمْ نَارُ جَهَنَّمَ لَا يُقْضَىٰ عَلَيْهِمْ) بالموت (فَيَمُوتُوا) يستريحوا (وَلَا يُخَفَّفُ عَنْهُمْ مِنْ عَذَابِهَا) (طرفة عين) (كَذَلِكَ) كما جزيناهم (يُجْزَىٰ كُلُّ كَافِرٍ) كافر

وقالوا) عبر بالماضى لتحقيق وقوعه (قوله جميعه) أى تخوف الأمراض والفقر والموت وزوال النعم وغير ذلك من آفات الدنيا وهوومها (قوله الذى أحلنا) أى أدخلنا وأسكننا (قوله دار المقامة) مفعول ثان لأحلنا والمراد بها الجنة التى تقدم ذكرها (قوله لا يمسنا فيها نصب) حال من ضمير أحلنا البارز (قوله تعب) أى فلا نؤم في الجنة لعدم التعب بها (قوله إعياء من التعب) أى فإذا اشتهى الشخص من أهل الجنة أن يسير وينظر ويجمع بجميع ما أعطاه الله من الخور والغرف والقصور في أقل زمن نعل ولا يحصل له إعياء ولا مشقة ، وبالجملة فأحوال الجنة لاتقاس على أحوال الدنيا وهذه الآية فيها أعظم بشرى لهذه الأمة المحمدية (قوله وذكر الثانى) جواب عما يقال ما الفائدة في نفي اللغوب مع أن انتفاء يعلم من انتفاء النصب لأن انتفاء السبب يستلزم انتفاء المسبب (قوله والذين كفروا الخ) هذا مقابل قوله إن الذين يتلون كتاب الله على حكم عادته سبحانه وتعالى في كتابه إذا ذكر أوصاف المؤمنين أعقبه بذكر أوصاف الكفار (قوله لا يقضى عليهم) أى لا يحكم عليهم بالموت وقوله فيموتوا مسبب عن قوله لا يقضى وهو منقضى أيضا لأنه يلزم من انتفاء السبب انتفاء المسبب . إن قلت إن في هذه الآية دليلا على أن أهل النار لا يموتون وفي آية أخرى : لا يموت فيها ولا يحيى فيقتضى أن أهل النار لهم حالة بين الحالتين مع أنه لا واسطة . أجب بأن المعنى لا يموتون فيستريحون من العذاب ولا يحيون حياة طيبة (قوله ولا يخفف عنهم من عذابها) أى بحيث ينقطع عنهم زمانا وبهذا اندفع ما قيل إن بعض

أهل النار يخفف عنه كافي طالب وأبي لهب لما ورد أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تشفع في أبي طالب فنقل من ضحاح من نار يتعل بنعابن ينلى منهما دماغه ، ورد أن أبا لهب يسقى في نقرة ابهامه ماء كل ليلة اثنتين لعتقه جاريته نوبة حين بشرته بولادته صلى الله عليه وسلم فتحصل أن المراد بدم التخفيف عدم انقطاعه عنهم وإن كان يحصل لبعضهم بعض تخفيف فيه (قوله بالياء) أي الضمومة مع فتح الزاي ورفع كل وقوله والنون المفتوحة أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله يصطرخون فيها) أي يصيحون فيها (قوله وعويل) العويل رفع الصوت بالبكاء (قوله يقولون) قدره إشارة إلى أن قوله : ربنا أخرجنا الخ مقول لقول محذوف معطوف على قوله يصطرخون (قوله منها) قدره هنا لدلالة الآية الأخرى عليه (قوله صالحا) حفة لموصوف محذوف تقديره محملا صالحا (قوله فيقال لهم) أي على سبيل التوبيخ والتبكيك (قوله أولم نعلمكم) الهمزة داخلة على محذوف تقديره أنتم تدرون وتقولون ربنا أخرجنا الخ ولم تؤخركم ونهملكم ونعطكم عمرا يمكن فيه مريد التذكير من التفكير (قوله مايتذكروا) مانكرة ، وصوفة بمعنى وقت ولما قدره للفسر (قوله وجاءكم النذير) عطف على معنى الجملة الاستفهامية كأنه قال أقروا بأننا عمركم وجاءكم النذير (قوله الرسول) أي رسول كان ، لأن هذا الكلام مع عموم الكفار من أول الزمان لآخره (قوله فذوقوا) (٣٩٤) مرتب على محذوف قدره للفسر بقوله ، فما أجبت فاندفع مايقال إن

ظاهر الآية ربما يوم أن إذاقتم العذاب مرتبة على مجي الرسول مع أنه ليس كذلك (قوله من نصير) من زائدة ونصير مبتدأ خبره الجار والمجرور قبله (قوله غيب السموات والأرض) أي ماغاب عنا فيها (قوله إنه عليهم بذات الصدور) تعليل لما قبله كأنه قيل إذا علم ماخفي في الصدور كان أعلم بغيرها من باب أولى وقوله بالنظر إلى حال الناس

بالياء والنون المفتوحة مع كسر الزاي ونصب كل (وَهُمْ يَصْطَرِخُونَ فِيهَا) يستغيثون بشدة وعويل يقولون (رَبَّنَا أَخْرِجْنَا) منها (نَعْمَلْ صَالِحًا غَيْرَ الَّذِي كُنَّا نَعْمَلُ) فيقال لهم (أَوَلَمْ نُعَمِّرْكُمْ مَا) وقتاً (يَتَذَكَّرُ فِيهِ مَنْ تَذَكَّرَ) وجاءكم النذير (الرسول فما أجبت فذوقوا فما لظالمين) الكافرين (من نصير) يدفع العذاب عنهم (إن الله عالم الغيب السموات والأرض إنه عليهم بذات الصدور) بما في القلوب فله بغيره أولى بالنظر إلى حال الناس (هُوَ الَّذِي جَعَلَكُمْ خَلَائِفَ فِي الْأَرْضِ) جمع خليفة أي يخلف بعضهم بعضاً (مَنْ كَفَرَ) منكم (فَعَلَيْهِ كُفْرُهُ) أي وبال كفره (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ عِنْدَ رَبِّهِمْ إِلَّا مَقْتًا) غضباً (وَلَا يَزِيدُ الْكَافِرِينَ كُفْرُهُمْ إِلَّا خَسَارًا) للآخرة (قُلْ أَرَأَيْتُمْ شُرَكَاءَكُمُ الَّذِينَ تَدْعُونَ تَعْبُدُونَ) من دون الله (أى غيره وهم الأصنام الذين زعمتم أنهم شركاء الله تعالى (أروني) أخبروني (ماذا خلقتوا من الأرض أم لهم شركاء) شركة مع الله (في) خلق (السموات أم آتيناهم كتاباً فهم على بيلتة) حجة (منه) بأن لهم ممي شركة

لاشئ

جواب عما يقال علم الله لاهاوت فيه كل جميع الاشياء مستوية في علمه لافرق بين ماخفي

منها على الخلق ماظهر لهم فأجاب بما ذكر أي أن الأولوية من حيث عادة الناس الجارية أن من علم الخفي يعلم الظاهر بالأولى (قوله هو الذي جعلكم خلائف في الأرض) أي رعاة مسئولين عن رعاياكم من أنفسكم وأزواجكم وأولادكم وخدمكم فكل إنسان خليفة في الأرض وهو راع وكل راع مسئول عن رعيته (قوله جمع خليفة) كذا في بعض النسخ البتاء وفي بعض النسخ بلاتاء والأولى أولى لأن خليفة جمعه خلفاء وأما خليفة فجمعه خلائف (قوله أي وبال كفره) أي فلا يضر إلا نفسه (قوله ولايزيد الكافرين الخ) بيان لو نال كفرهم وعاقبته (قوله قل أرايتم الخ) رأى بصرية تتعدى لمفعول واحد إن كانت بلاهمز وبالمهمز كما هنا تتعدى لمفعولين الأول قوله شركاءكم والثاني قوله ماذا خلقتوا من الأرض على سبيل التنازع لأن كلا من أرايتم وأروني طالب ماذا خلقتوا من الأرض على أنه مفعول له (قوله شركاءكم) أضافهم لهم من حيث إنهم جعلوا شركاء أو من حيث إنهم شركوهم في أموالهم فأنهم كانوا يعينون شيئاً من أموالهم لأهلهم وينفقونه على خدمتها ويدبحون عندها (قوله ماذا خلقتوا من الأرض) أي أي شئ خلقوه من الأمور التي في الأرض كالحيوانات والنباتات والأشجار وغير ذلك (قوله أم لهم شركاء) أم في الموضعين منقطعة تفسر بيل والهمزة (قوله أم آتيناهم) أي الشركاء (قوله على بينة) بالافراد والجمع قراءتان سبعيتان

(قوله لاشيء من ذلك) جواب الاستفهام في الجمل الثلاث وهو انكارى (قوله بل إن يعد الظالمون) لما ذكر في الحجاج
أضرب عنه بذكر الأمر الحامل للرؤساء على الشرك وإضلال الأتباع وهو قولهم لم ينهم شفعا عند الله (قوله بعضهم)
بدل من الظالمون (قوله بقولهم) أى الرؤساء للاتباع (قوله أى يمنعها من الزوال) أشار بذلك إلى أن الامساك بمعنى
للتنع وقوله أن تزولا أن وما دخلت عليه في تأويل مصدر مفعول ثان على اسقاط من (قوله ولئن زالتا) اجتمع قسم وشرط
فقوله إن أمسكهما جواب الأول وحذف جواب الثانى على القاعدة للعرفه (قوله من أحد) من زائدة في الفاعل وقوله من
بعده من ابتدائية والتقدير ما أمسكهما أحد مبتدأ وناشئا من غيره (قوله إنه كان حليما غفورا) تحليل لقوله إن الله يسلك
السموات والأرض : أى فامساكهما حاصل بحلمه وغفرانه وإلا فكنا جديرين بأن تزولا كما قال تعالى - تكاد السموات
يتفطرن منه - الآية ، فلم الله تعالى من أكبر النعم على العباد إذ لولا ما بقى شئ من العالم ، فقول العامة حم الله يفتت الكبود
إساءة أدب (قوله أى كفار مكة) أى قبل أن يبعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم حين بلغهم أن أهل الكتاب كذبوا رسلهم
فلنوا من كذب فيه منهم وأقسموا بالله تعالى لن جاءهم نبي ينذرهم ليكون (٢٩٥) أهدى من إحدى الأمم

(قوله جهد إيمانهم)
المجى بالفتح بلوغ الغاية
في الاجتهاد وأما بالضم فهو
الطاقة وإنما كان الحلف
بالله غاية إيمانهم لأنهم
كانوا يحلفون بآبائهم
وأصنامهم فإذا أرادوا
التأكيد والتشديد حلفوا
بالله (قوله ليكون) هذه
حكاية لكلامهم بالمعنى
وإلا فلفظه لنكون الخ
(قوله من إحدى الأمم)
للمراد من إحدى الأمم
الدائر فالمعنى من كل الأمم
فقول المفسر : أى أى
واحدة منها الأوضح أن
يقول أى كل واحدة منها

لا شيء من ذلك (بل إن) ما (يعد الظالمون) الكافرون (بعضهم بعضا إلا غورا)
باطلا بقولهم الأصنام تشفع لهم (إن الله يمسيك السموات والأرض أن تزولا) أى
يمنعها من الزوال (ولئن) لام قسم (زالتا إن) ما (أمسكهما) أمسكها (من أحد من
بعده) أى سواء (إنه كان حليما غفورا) في تأخير عقاب الكفار (وأقسموا) أى كفار
مكة (بالله جهد إيمانهم) غاية اجتهادهم فيها (لئن جاءهم نذير) رسول (ليكونن
أهدى من إحدى الأمم) لليهود والنصارى وغيرهم ، أى أى واحدة منها لما رأوا من
تكذيب بعضهم بعضا إذ قالت اليهود ليست النصارى على شئ وقالت النصارى ليست اليهود
على شئ (فلما جاءهم نذير) محمد صلى الله عليه وسلم (ما زادهم) محيية (إلا تقورا)
تباعدا عن الهدى (استكبارا في الأرض) عن الإيمان مفعول له (ومسكر) العمل
السبي من الشرك وغيره (ولا يحيق) يحيط (المسكر السبي إلا بأهله) وهو الماكر
ووصف المكر بالسبي أصل وإضافته إليه قبل استعمال آخر قدر فيه مضاف حذرا من
الإضافة إلى الصفة (فهل ينظرون) ينتظرون (إلا سنت الأولين) سنة الله فيهم من
تعذيبهم بتكذيبهم رسلهم (فلن تجد لسنة الله تبديلا ولن تجد لسنة الله تحويلا) ،

(قوله ما زادهم إلا تقورا) جواب لما وفيه إشعار بأن فيهم أصل التقور لكونهم جاهلية لم يأتهم نذير من عهد إسماعيل (قوله
مفعول له) أى لأجل الاستكبار ويصح أن يكون بدلا من تقورا أوحالا من ضمير زادهم ، أى حال كونهم مستكبرين
(قوله ووصف المكر بالسبي) أى في قوله ولا يحيق المكر السبي وقوله أصل : أى جاء على الأصل من استعمال الصفة تابعة
للموصوف (قوله وإضافته إليه قبل) أى في قوله ومكر السبي (قوله استعمال آخر) أى جاء على خلاف الأصل حيث أضيف
فيه الموصوف للصفة (قوله قدر فيه مضاف) أى مضاف إليه وقوله حذرا من الإضافة إلى الصفة أى من إضافة الميكر الذى
هو الموصوف إلى السبي الذى هو الصفة فيجعل المكر مضافا لمخدوف والسبي صفة لذلك المخدوف وتلك الإضافة من إضافة
العام للخاص لأن المكر يشمل الاعتقاد والعمل فأضافته للعمل تخصيص له (قوله فهل ينظرون إلا سنت الأولين) أى
فلا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم (قوله سنة الله فيهم) أشار بذلك إلى أن قوله سنت الأولين مصدر مضاف لمفعوله ،
وسياقنا إضافته لفاعله في قوله لسنة الله (قوله فلن تجد) الفاء للتعليل كأنه قيل لا ينتظرون إلا تعذيبهم كمن قبلهم لأنك
أيها العاقل لن تجد الخ .

(قوله أى لا يبدل بالمداب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه) أشار بذلك إلى أن المراد بالتبديل تغيير العذاب بغيره والتحويل لغير مستحقه وجمع بينهما للتهديد والتقريع (قوله أو لم يسبروا) الهزيمة داخلية على محذوف والتقدير أتركوا السفر ولم يسبروا وهو استشهاد على أن سنة الله لا تبدل لها ولا تحوّل والاستفهام إنكارى بمعنى النفي ونفى النفي إثبات . والعنى بل ساروا في الأرض ونسروا على ديار قوم صالح وقوم لوط وقوم شعيب وغيرهم فنظروا آثار ديارهم (قوله كيف كان عاقبة الذين من قبلهم) أى على أى حالة كانت ليعلموا أنهم ما أخذوا إلا بتكذيب رسلهم فيخافوا أن يفعل بهم مثل ذلك (قوله وكانوا أشد منهم قوة) أى أطول أعماراً والجملة حالية أو معطوفة على قوله من قبلهم (قوله وما كان الله ليعجزه الخ) تقرير لما فهم من استئصال الأمم السابقة (قوله إنه كان علياً قديراً) تعليل لما قبله (قوله بما كسبوا) الباء سيئية وما مصدرية أو موصولة : أى بسبب كسبهم أو الذى كسبوه (قوله من المعاصي) بيان لما (قوله ما ترك على ظهرها من دابة) أى من جميع مآذب على وجهها من الحيوانات العاقلة وغيرها وذلك بأن يسك عنها ماء السماء مثلاً فينقطع عنهم النبات فيموتون جوعاً فالظالم لظلمه وغير الظالم بشؤم الظالم وعبر بالظهر تشبيهاً للأرض بالدابة من حيث التحكك عليها ويعبرارة بوجه الأرض من حيث إن ظاهرها كالوجه للحيوان وغيره كالبطن وهو الباطن منها فتحصل أنه يقال لما عليه الخلق من الأرض وجه الأرض وظهرها فهو من قبيل إطلاق الضدين على شئ واحد (قوله نسمة) من التنسم وهو (٢٩٦) التنفس أى ذى روح (قوله فيجازيهم بأعمالهم) أشار بذلك إلى أن جواب

الشرط محذوف وقوله فان الله الخ تعليل له .

[سورة يس - مكية]

أى كلها وقوله أو لإقوله

وإذا قيل الخ قول ثان

وقوله أو مدنية أى كلها

وهو قول ثالث ، وورد

في فضل سورة يس أحاديث

كثيرة منها قوله صلى الله

عليه وسلم «اقرأوا يس

على موتاكم» ومنها «ما من

ميت يقرأ عليه يس

إلا هون الله عليه» ومنها

أى لا يبدل بالمداب غيره ولا يحول إلى غير مستحقه (أو لم يسبروا في الأرض فينظروا كيف كان عاقبة الذين من قبلهم وكانوا أشد منهم قوة) فأهلكهم الله بتكذيبهم رسلهم (وما كان الله ليعجزه من شئ) يسبقه ويفوته (في السموات ولا في الأرض إنه كان علياً) أى بالأمور كلها (قديراً) عليها (ولو يؤاخذ الله الناس بما كسبوا) من المعاصي (ما ترك على ظهرها) أى الأرض (من دابة) نسمة تدب عليها (ولكن يؤخرهم إلى أجل مسمى) أى يوم القيامة (فإذا جاء أجلهم فإن الله كان بعبادهم بصيراً) فيجازيهم على أعمالهم بإثابة المؤمنين وعقاب الكافرين .

(سورة يس)

مكية ، أو لإقوله : وإذا قيل لهم أنفقوا الآية ، أو مدنية اثنتان ومائتان آية

«من قرأ يس في ليلة ابتغاء وجهه لله غفر الله له في تلك الليلة» ومنها «إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن يس» ومن (بسم قرأ يس كتب الله له بها قراءة القرآن عشر مرات» ومنها «إن في القرآن لسورة تشفع لقارئها وتغفر لمستمعها ألا وهي سورة يس تدعى في التوراة العمة قيل يارسل الله وما العمة ؟ قال نعم صاحبها بخير الدنيا وتدفع عنه أهوال الآخرة وتدعى أيضاً الدافعة والقاضية قيل يارسل الله وكيف ذلك قال تدفع عن صاحبها كل سوء وتقضى له كل حاجة» ومنها «من قرأ يس حين يصبح أعطى يسريومه حتى يمسي» ومن قرأها في صدر ليلته أعطى يس ليلته حتى يصبح» ومنها عن أبي جعفر «من وجد في قلبه قسوة فليكتب سورة يس في جام أى إناء بزعفران ثم يشربه» ومنها «من قرأ سورة يس ليلة الجمعة أصبح مغفوراً له» ومنها «من دخل المقبرة فقرأ سورة يس خفف العذاب عن أهلها ذلك اليوم وكان له بعدد من فيها حسنات» ومنها عن يحيى بن أبى كثير «بلغنى أن من قرأ سورة يس ليلاً لم يزل في فرح حتى أصبح ومن قرأها حين أصبح لم يزل في فرح حتى يمسي وقد حدثني بهذا من جربها» ومنها «إن لكل شئ قلباً وقلب القرآن يس» من قرأها يريد بها وجه الله غفر الله له وأعطى من الأجر كما قرأ القرآن عشر مرات وأما مسلم قرئ عنده إذ أنزل به ملك الموت سورة يس نزل بكل حرف منها عشرة أملاك يقومون بين يديه صفوفاً يصلون عليه ويستغفرون له ويشهدون غسله ويقبعون جنازته ويصليون عليه ويشهدون دفنه وأما مسلم قرأ سورة يس وهو في سكرات الموت لم يقبض ملك الموت روحه حتى يجيئه رضوان بشربة من الجنة فيشربها وهو على فراشه فيقبض روحه هور يان ويمت في قبره وهو يان ولا يحتاج إلى حوض من حياض الأنبياء حتى يدخل الجنة وهو يان»

ومنها « يس لما قرئت له » وحكمة اختيار الصالحين في استعمالها التكرار كما يع أو سبع أو أحد وأربعين أو غير ذلك شدة الحجاب والتعظيم على القلب بالتكرار تصفو مرآته وترق طبيعته وإن كان الفضل لله كور لا يتوقف على تكرار كما يشهد له هذه الأحاديث (قوله يس) القراء السبعة على تسكين النون بادغامها في الواو بعدها أو باظهارها وقرئ شذوذا بضم النون وفتحها وكسرهما فالأول خبر مبتدأ محذوف أي هذه ومنع من الصرف للمعية والتأنيث . والثاني إما على البناء على الفتح تخفيفا كآين وكيف أو مفعول به لفعل محذوف تقديره اتلى أو مجرور بحرف قسم محذوف وهو ممنوع من الصرف . والثالث مبنى على الكسر على أصل التخاص من التقاء الساكنين (قوله الله أعلم بمراده به) هذا أحد أقوال في تفسير الحروف المقطعة كهم وطس وتقدم أن هذا القول أسلم ، وقيل معناه يا إنسان وأصله يا أنيسين فاقصر على شطره لكثرة النداء به ، وقيل هو اسم لرسول الله صلى الله عليه وسلم ، وقيل اسم للقرآن (قوله والقرآن الحكيم) كلام مستأنف لا محل له من الاعراب وهو قسم وجوابه قوله إنك لمن المرسلين (قوله المحكم) أي المتقن الذي هو في أعلى طبقات البلاغة (قوله متعلق بما قبله) أي بالمرسلين ويصح أن يكون خبرا ثانيا لأن كأنه قيل إنك لمن المرسلين إنك على صراط مستقيم . (قوله أي طريق الأنبياء قبله) أي وقولهم إن شرع رسول الله صلى الله عليه وسلم ناسخ لجميع الشرائع فهو باعتبار الفروع ، وأما الأصول فالكمل مستوون فيها ولا يتعلق بها نسخ . قال تعالى : شرع لكم من الدين ما وصى به نوحا الآية ، وقال تعالى : فيهدم اقتده (قوله وغيره) أي إن واللام والجملة الاسمية (قوله خبر مبتدأ مقدر) هذا أحد وجهين في الآية والآخرة النص على أنه مفعول محذوف أي أمدح أو مفعول مطلق لنزل والقراءتان

سبعين (قوله لتنذر قوما) أي العرب وغيرهم (قوله في زمن الفترة) هو بالنسبة للعرب ما بين إسماعيل ومحمد عليهما الصلاة والسلام وبالنسبة لغيرهم ما بين عيسى ومحمد عليهما الصلاة والسلام (قوله فهم غافلون) مرتب على نفي الانذار وقوله أي

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ يَسَ) الله أعلم بمراده (وَالْقُرْآنَ الْحَكِيمَ) المحكم بمجيب النظر وبدیع المعاني (إِنَّكَ) يا محمد (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ . عَلَى) متعلق بما قبله (صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ) أي طريق الأنبياء قلب التوحيد والهدى ، والتأكيد بالقسم وغيره رد قول الكفار له : لست مرسلًا (تَنْزِيلَ الْفَرْزِ) في ملكه (الرَّحِيمِ) بخلقه خبر مبتدأ مقدر : أي القرآن (لَتَنْذِرَ) به (قَوْمًا) متعلق بتنزيل (مَا أَنْذَرَ آبَاؤُهُمْ) أي لم ينذروا في زمن الفترة (فَهُمْ) أي القوم (غَافِلُونَ) عن الإيمان والرشد (لَقَدْ حَقَّ الْقَوْلُ) وجب (عَلَى أَكْثَرِهِمْ) بالعذاب (فَهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) أي الأكثر (إِنَّا جَعَلْنَا فِي أَعْيُنِهِمْ أَغْلَلاً) ،

القوم تفسير للضمير ويصح أن يكون الضمير راجعا للفرقتين هم وآباؤهم (قوله لقد حق القول) أي وهو قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (قوله على أكثرهم) أي أكثر المكافين في كل زمن فالأقل متعتم لإيمانه والأكثر متعتم كفره وتقدم لنا في سورة الأنعام أن الأقل واحد من ألق (قوله فهم لا يؤمنون) تفريع على ما قبله وأشار بذلك إلى أن الإيمان والكفر بتقدير الله فمن طبعه على أحدهما فلا يستطيع التحول عنه ، وإنما الأمر بالإيمان باعتبار التكليف الظاهري والنوع الاختياري ومن هنا قول بعض العارفين :

الكل تقدير مولانا ونأسببه فاشكر لمن قد وجب حمده وتقديسه

وقل اقلبك إذا زلفت وساويه إبليس لما طغى من كان إبليس

(قوله إنا جعلنا في أعينهم أغلالا) قبل نزلت في أبي جهل بن هشام وصاحبيه الخزوميين ، وذلك أن أبا جهل حلف لئن رأى محمدا صلى الله عليه وسلم يرضخ رأسه بحجر فلأرآه ذهب فرفض حجرا ليرميه فلما أومأ إليه رجعت يده إلى عنقه والتصق الحجر بيديه فلما عاد إلى أصحابه أخبرهم بما رأى فقال الرجل الثاني وهو الوليد بن النيرة أنا أروض رأسه فأناه وهو صلى على حاله ليرميه بالحجر فأحمى الله بصره فجعل يسمع صوته ولا يراه فرجع إلى أصحابه فلم يروه حتى نادوه فقال الثالث والله لأشدخن رأسه ثم أخذ الحجر وانطلق فرجع التهقري ينكس على عقبيه حتى خر على قفاه مغشيا عليه فقبل له ما شأنك قال شأني عظيم رأيت الرجل فلما دنوت منه فإذا غل يخطر بذنبه ملأيت قط خلا أعظم منه حال بين وبينه فواللات والعزى لو دنوت منه لأسكني فانزل الله تعالى تلك الآية وفيها إشارة إلى ما يحصل لهم في جهنم من السلاسل [٢٨ - صاوي - ثالث]

والأغلال وعى أصارهم وفيها أيضا إشارة تمثيلية حيث شبه حالمهم في امتناعهم من الهدى والأيمن بحال من غلث يده في عنقه وعى بصره بجامع أن كلا ممنوع من الوصول إلى المقصود فتحصل أن الآية دالة على الأمور الثلاثة سبب النزول وما يحصل لهم في الآخرة وتمثيل لمنعهم من الهدى (قوله بأن تضم إليها الأيدي) جعل للمفسر هذا توطئة لاجتماع الضمير للأيدي في قوله فهي إلى الأذقان كأنه قال الأيدي وإن لم يتقدم لها ذكر صراحة فهي مذكورة ضمنا في قوله الأغلال لأن الغل يدل عليها (قوله مجموعة) قدره إشارة إلى أن قوله إلى الأذقان متعلق بمحذوف ولو قدره مرفوعة لكان أظهر وذلك أن اليد ترفع تحت الدقن ويلبس الغل في العنق فتضم اليد إليه تحت الدقن فينثذ لا يستطيعون خفض رأس ولا التفاتا (قوله وهذا تمثيل) أي استعارة تمثيلية للعنى المذكور وفيه إشارة إلى سبب النزول وإلى ما يحصل لهم في الآخرة كما علمت (قوله بفتح السين وضما) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فأغشيناهم) هو بالعين المعجمة في قراءة العامة أي غطينا أصارهم وقرىء شدوذا بالعين المهملة من العشا وهو عدم الإبصار ليلا . والمعنى أضعفنا أصارهم عن الهدى كعين الأعشى (قوله تمثيل) أي استعارة تمثيلية حيث شبه حالمهم في سد طرق الإيمان عليهم (٢٩٨) ومنعهم منه بحال من سلت عليه الطرق وأخذ بصره بجامع أن

بأن تضم إليها الأيدي لأن الغل يجمع اليد إلى العنق (فهي) أي الأيدي مجموعة (إلى الأذقان) جمع دقن وهي مجتمع العينين (فهم مُقَدَّرُونَ) راعون رموسهم لا يستطيعون خفضها وهذا تمثيل والمراد أنهم لا يدعون للإيمان ولا يخفضون رموسهم له (وَجَعَلْنَا مِنْ بَيْنِ أَيْدِيهِمْ سُدًّا وَمِنْ خَلْفِهِمْ سُدًّا) بفتح السين وضما في الموضعين (فَأَغْشَيْنَاهُمْ فَهُمْ لَا يُبْصِرُونَ) تمثيل أيضا لسد طرق الإيمان عليهم (وَسَوَّاهُمْ عَلَيْهِمْ) أَنْذَرْتَهُمْ (بتحقيق المميزين وإبدال الثانية ألفا وتسهيلها وإدخال ألف بين المسهلة والأخرى وتركه) (أَمْ لَمْ تُنذِرْهُمْ لَا يُؤْمِنُونَ) . إِنَّمَا تُنذِرُ (ينفع إنذارك) (مَنْ اتَّبَعَ الذِّكْرَ) القرآن (وَحَشَى الرَّحْمَنَ بِالنَّازِبِ) خافه ولم يره (فَنَشَرُهُ بِمَغْفَرَةٍ وَأَجْرٍ كَرِيمٍ) هو الجنة (إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي النَّوْثَى) للبعث (وَنَسْكَتُ) في اللوح المحفوظ (مَا قَدَّمُوا) في حياتهم من خير وشر ليجاوزوا عليه (وَأَنذَرْتَهُمْ) ما استن به بدمهم (وَكُلُّ شَيْءٍ) نصبه بفعل يفسره (أَخْصَيْنَاهُ) ضبطناه (فِي إِمَامٍ مُبِينٍ) كتاب بين هو اللوح المحفوظ (وَأَضْرَبَ) اجل (لَهُمْ مَثَلًا) مفعول أول ،

كلا لا يهتدى لمقصوده (قوله وسواء عليهم) (أَنْذَرْتَهُمْ الخ) هذا نتيجة ما قبله وقوله لا يؤمنون بيان للاستواء . والمعنى إنذارك وعدمه سواء في عدم إيمانهم وهو تسلية له صلى الله عليه وسلم وكشف لحقيقة أمرهم وعاقبتها (قوله بتحقيق المميزين) أي مع إدخال ألف بينهما وتركه فالقراءات خمس لأربع كأنهم هبارته فالتحقيق فيه قراءتان والتسهيل كذلك والإبدال فيه قراءة واحدة وهي سبعيتان

(قوله ينفع إنذارك) جواب مما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل هي لقوم مخصوصين وهم من اتبع الله كروحنى الرحمن بالغيث ويخالف قوله سابقا لتندرقوا ما الخ فأجاب المفسر عن ذلك بأن محط المحصر الاندفاع النافع فلا ينال وجود غيره لمن لم يتنفع به (قوله بالغيث) يصح أن يكون حالا من الفاعل أو المفعول وتقدم نظيره (قوله بحشره بمغفرة الخ) مفرع على ما قبله إشارة لبيان عاقبة أمرهم (قوله إِنَّا نَحْنُ نَحْيِي النَّوْثَى) أي نبشهم في الآخرة للعبارة على أهمالهم (قوله ونسكت ما قدموا) إن قلت إن الكتابة متقدمة قبل الأحياء إذ هي في الدنيا والأحياء يكون في الآخرة . أجيب بأنه قدم الأحياء اختناء بشائمه إذ لولاه لما ظهرت ثمرة الكتابة (قوله في اللوح المحفوظ) المناسب أن يقول في صف الملائكة لأن الكتابة التي تكون في حياة العباد إنما هي في صف الملائكة ، وأما اللوح فقد كتب فيه ذلك قبل وجود الخلق (قوله ما استن به بدمهم) أي من خير كعمل عصفور أو نخل غرسوه أو وقف حبسوه أو غير ذلك أو شر كسكن ربه أو ضلالة أحدثوها أو غير ذلك لما في الحديث لا من سن سنة حسنة فعمل بها من بعده كان له أجرها ومثل آخر من عمل بها من غير أن ينقص من أجورهم شيء . ومن سن في الإسلام سنة سيئة كان عليه وزرها ووزر من عمل بها بعده من غير أن ينقص من أجورهم شيء (قوله نصبه بفعل فسر ما الخ) أي فهو من باب الاشتغال (قوله واضرب لهم مثلا) هذا خطاب

(قوله ينفع إنذارك) جواب مما يقال إن ظاهر الآية يقتضي أن رسالته صلى الله عليه وسلم غير عامة بل

(اصحاب)

لنبي صلى الله عليه وسلم أن يضرب لقومه مثلاً لهم فيؤمنون (قوله أصحاب مفعول ثان) الأوضح أن يجعله مفعولاً أول (قوله أنطاكية) بالفتح والكسر وسكون النون وكسر الكاف وتخفيف الياء المفتوحة، وهي مدينة بأرض الروم ذات سور عظيم من صخر، وهي بين خمسة جبال دورها اثنا عشر ميلاً. وحاصل تلك القصة أن عيسى عليه السلام بعث رسولين من الحواريين إلى أهل أنطاكية اسم أحدهما صادق والثاني مصدوق فلما قربا من المدينة رأيا شيخا رعى غنماته مهرجيب النجار صاحب يسفلسا عليه، فقال الشيخ لهما من أنتم؟ فقالا رسولا عيسى عليه الصلاة والسلام ندعوكم من عبادة الأوثان إلى عبادة الرحمن، فقال أمعكما آية قالا نعم نشق المريض ونبرئ الأكمه والأبرص بإذن الله تعالى، وذلك كرامة لهما ومعجزة لئيهما لأنه لما أرسلهما أيدهما بمعجزاته، قال الشيخ إن لي ابنا مريضا منذ سنين قالا فانطلق بنا ننظر حاله، فأتى بهما فسحا ابنه فقام في الوقت بإذن الله تعالى صحيحا ففشا الخبر في المدينة وشق الله على أيديهما كثيرا من المرضى، وكان لهم ملك يعبد الأصنام اسمه أنطيوخا فدعا بهما وقال من أنتم؟ قالا رسولا عيسى عليه السلام قال وفيهم جثنا قالا ندعوك من عبادة من لا يسمع ولا يبصر إلى عبادة من يسمع ويبصر قال وهل لنا إله دون آلهتنا قالا نعم الذي أوجدك وآلهتك قال لهما قوما حتى أنظر في أمركما فتبعهما الناس فأخذوهما وجلدوا كل واحد منهما مائة جلدة ووضعوهما في السجن، فلما كذبا وضربا بعث عيسى عليه السلام رأس الحواريين شمعون الصني على أثرهما ليُبصرهما، فدخل شمعون البلد متنكرا فجعل يعاشر حاشية الملك حتى أنسابه فرفضوا خبره إلى الملك فدعاه وأنس به وأكرمه ورزى عشرته، فقال للملك ذات يوم: بلغني أنك حبست رجلين في السجن وضربتهما حين دعواك إلى غير دينك، فهل كلتهما وسمعت قولهما، فقال حال النضب بيني وبين ذلك؟ قال فأتى أرى أيها الملك أن تدعوهما حتى تطلع على ما عندهما فدعاهما الملك، فقال شمعون (٢٩٩) من أرسلكما إلى ههنا قالا الله

الذي خلق كل شيء وليس له شريك، فقال شمعون فصفاه وأوجزا قالا إنه يفعل ما يشاء ويحكم ما يريد فقال شمعون وما آيتكما قالا ماتقناه فأمر الملك حتى جاءوا بافلام مطموس

(أَصْحَابَ) مفعول ثان (الْقَرْيَةِ) أنطاكية (إِذْ جَاءَهَا) إلى آخره بدل اشتغال من أصحاب القرية (الْمُرْسَلُونَ) أي رسل عيسى (إِذْ أَرْسَلْنَا إِلَيْهِمُ اثْنَيْنِ فَكَذَّبُوهُمَا) إلى آخره بدل من إذ الأولى (فَمَزَّزْنَا) بالتخفيف والتشديد: قوتنا الاثنين (بِثَلَاثٍ فَقَالُوا إِنَّا إِلَيْكُم مُّرْسَلُونَ. قَالُوا مَا أَنْتُمْ إِلَّا بَشَرٌ مِثْلُنَا وَمَا أَنْزَلَ الرَّحْمَنُ مِنْ شَيْءٍ إِنْ مَا أَنْتُمْ إِلَّا تَكْذِبُونَ. قَالُوا رَبُّنَا يَعْلَمُ)،

العينين وموضع عينيه كالجهة فما زالا يدعوان ربهما حتى انشق موضع البصر فاخذوا بندقيتين من طين فوضعهما في خدقيه فصارتا مقلتين يبصر بهما فتعجب الملك فقال شمعون للملك إن أنت سألت آلهتك حتى يضعوا مثل هذا كان لك الشرف وآلهتك فقال له الملك ليس لي عنك سر مكتوم فإن إلهنا الذي نعبد لا يسمع ولا يبصر ولا يضر ولا ينفع، وكان شمعون يدخل مع الملك على الصم ويصلي ويتضرع حتى ظنوا أنه على ملتهم، فقال الملك للرسولين إن قدر إلهكما الذي تعبدانه على إحياء ميت آمنا به وبكما قالا إلهنا قادر على كل شيء فقال الملك إن ههنا ميتا قد مات منذ سبعة أيام وهو ابن دهقان وأنا أخرته فلم أدفنه حتى يرجع أبوه وكان غائبا وقد تغير فجلا يدعوان ربهما علانية وشمعون يدعو ربه سرا فقام الميت؟ وقال إني ميت منذ سبعة أيام وكنت مشركا فأدخلت في سبعة أودية من النار وأنا أحذركم ما أتم عليه فآمنوا بالله، ثم قال فتحت أبواب السماء فنظرت شابا حسن الوجه يشفع لهؤلاء الثلاثة شمعون وهذين وأشار بيده إلى صاحبيه، وأنا أشهد أن لا إله إلا الله وأن عيسى روح الله وكتبه، فعجب الملك من ذلك، فلما علم شمعون أن قوله قد أثر في الملك أخبره بالحال وأنه رسول عيسى ودعاه فآمن الملك وآمن معه قوم وكفر آخرون، وقيل بل كفر الملك وأجمع على قتل الرسل هو وقومه، فباع ذلك حبيبا وهو على باب المدينة فجاء يسمى إليهم ويذكركم ويدعوعهم إلى طاعة المرسلين (قوله إلى آخره) أي آخر القصة وهو قوله إلا كانوا به يستهزئون (قوله المرسلون) جمع باعتبار الثالث (قوله أي رسل عيسى) هذا هو المشهور، وقيل إنهم رسل من الله من غير واسطة عيسى أرسلوا إلى أصحاب هذه القرية (قوله بدل من إذ الأولى) أي بدل مفصل من مجمل (قوله بالتخفيف والتشديد) أي فهما قراءتان سبعيتان (قوله فقلوا إنا إليكم مرسلون) أكدوا كلامهم بإثبات تقديم الإنكار بتكذيب الاثنين وتكذيبهما تكذيبا للثالث لاتحاد مقاتلهم (قوله قالوا ما أتم إلا بشر مثلنا) أي فلا مزية لكم علينا.

(قوله جار مجرى القسم) أى فيؤكد به كالقسم ويحجب كما يحجب به القسم (قوله لزيادة الإنكار) أى حيث تعدد ثلاث مرات (قوله وهى إبراء الأكمة) أى الأعمى (قوله قالوا إنا تطيرنا بكم) التطير التفاؤل ، سمى بذلك لأنهم كانوا يتفألون بالطير إذا أرادوا سفرا أو غيره فان ذهب ميمنة قالوا خير وإن ذهب ميسرة قالوا شر (قوله لا تقطع الطرعنا بسببكم) قيل حس عنهم الطر ثلاث سنين فقالوا هذا بشؤمكم (قوله لام قسم) أى وقد حشوا فيه لأن الله أهلهم قبل أن يفعلوا بهم ما حللوا عليه (قوله بكفركم) الباء سببية أى طائركم لحصل معكم بسبب كفركم وعنادكم (قوله وإدخال ألف) أى وتركه قالقراآت أربع سبعيات (قوله وجواب الشرط محذوف) أى على القاعدة وهى أنه إذا اجتمع استفهام وشرط أتى بجواب الاستفهام وحذف جواب الشرط وهو مذهب سيبويه وعند يونس بالعكس (قوله وهو محل الاستفهام) أى هو المستفهم عنه ، والمعنى لا ينبغي ولا يليق بكم التطاير والكفر حيث وعظمت بل آمنوا وانقادوا (قوله بل أتم قوم مسرفون) إضراب عما تقتضيه الشرطية من كون التذكير سببا للشؤم أى ليس الأمر كذلك بل أتم قوم عادتكهم الإصراف فى العصيان فشؤمكم لذلك (قوله متجاوزون الحد بشركمكم) (٣٠٠) أى بعد ظهور المعجزات ، وهذا الخطاب من بقى على الكفر منهم وهم

الذين رجحوا حببيبا النجار وأهلهم الله كما يأتى (قوله وجاء من أقصى المدينة) هى أنطاكية للعبير عنها أولا بالقرية وعبر عنها بالمدينة إشارة إلى عظمها وكبرها (قوله هو حبيب النجار) أى ابن إسرائيل كان يصنع لهم الأصنام وهو ممن آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل وجوده كما آمن به تبع الأكبر وورقة بن نوفل وغيرها وفى الحقيقة كل نبي آمن بالنبي صلى الله عليه وسلم قبل ظهوره بمصداق

جار مجرى القسم وزيد التأكيد به وباللام على ما قبله لزيادة الإنكار فى (إِنَّا إِلَهُكُمْ لَمُرْسَلُونَ وَمَا عَلَيْنَا إِلَّا الْبَلَاغُ الْمُبِينُ) التبليغ البين الظاهر بالأداة الواضحة . وهى إبراء الأكمة والأبرص والمريض وإحياء الميت (قَالُوا إِنَّا تَطَيَّرْنَا) نشأمتنا (بِكُمْ) لا تقطع الطرعنا بسببكم (لَئِنْ) لام قسم (لَمْ نَنقُصْهُوَ لَعَزَّ مُجَنَّمُكُمْ) بالحجارة (وَلَيَمَسَّنَّكُمْ مِنَّا عَذَابٌ أَلِيمٌ) مؤلم (قَالُوا طَائُرُكُمْ) بشؤمكم (مَمَكُم) بكفركم (أَنْ) همزة استفهام دخلت على إن الشرطية وفى همزتها التحقيق والتسهيل وإدخال ألف بينها وبين الأخرى (ذُكِّرْتُمْ) وعظم وخوفهم وجواب الشرط محذوف : أى تطيرتم وكفرتم وهو محل الاستفهام والمراد به التوبيخ (بَلْ أَنْتُمْ قَوْمٌ مُّسْرِفُونَ) متجاوزون الحد بشركمكم (وَجَاءَ مِنْ أَقْصَى الْمَدِينَةِ رَجُلٌ) هو حبيب النجار كان قد آمن بالرسول ومنزله بأقصى البلد (يَسْتَسْتَشِرُ) يشتد عدوا لما سمع بتكذيب القوم الرسل (قَالَ يَا قَوْمِ أَتَّبِعُوا الْمُرْسَلِينَ . أَتَّبِعُوا) تأكيد للأول (مَنْ لَا يَسْمُكُكُمْ أَجْرًا) على رسالته (وَهُمْ مُّهْتَدُونَ) فقيل له أنت على دينهم فقال (وَمَا لِي لَا أَعْبُدُ الَّذِي فَطَرَنِي) خلقنى : أى لا مانع لى من عبادته ،

قوله تعالى - وإذ أخذ الله ميثاق النبيين - الآية وهذا من خصوصياته صلى الله عليه وسلم ، وأما غيره من الموجود الأنبياء فلم يؤمن به أحد إلا بعد ظهوره (قوله كان قد آمن بالرسول) أى رسل عيسى ، وسبب إيمانه ما تقدم من شفاء ولده المريض ، وقيل إنه كان مجذوما وعبد الأصنام سبعين سنة لكشف ضره فلم يكشف ، فلما دعاه الرسل إلى بادة الله قال لهم هل من آية قالوا له تدعونا ربنا القادر يفرج عنك ما بك فقال إن هذا عجب ! قد عبدت هذه الأصنام سبعين سنة فلم تستطع تفريجه فهل يستطيع ربكم تفريجه فى غداة واحدة قالوا نعم ربنا على كل شيء قدير ، فدعوا ربهم فكشف ما به فآمن (قوله يشتد عدوا) أى يسرع فى مشيته حرصا على نصحه قومه والدفع عن الرسل (قوله تأكيد للأول) أى تأكيد لفظى فلفظ اتبعوا الثانى تأكيد لفظ اتبعوا الأول من توكيد الفعل بالفعل (قوله من لا يستأسكم أجرا) بدل من الرسلين ، والمعنى اتبعوا الصادقين المخلصين الذين لم يريدوا منكم الرض الفانى إذ لو كانوا غير مخلصين لطلبوا منكم المال ونازعوكم على الرياسة (قوله وهم مهتدون) الجملة حالية وهو تعريض ثم بالاتباع أى فاهتدوا أتم تبعاهم (قوله أنت على دينهم) فيه حذف همزة الاستفهام (قوله وما لى لا أعبد الذى فطرنى) تالطف فى إرشادهم وفيه نوع تقرير على ترك عبادة خالقهم ، والأحسن أن فى الآية احتبا كما حبس حذف من الأول نظير ما أثبتته فى الآخر ، والأصل وما لى لا أعبد الذى فطرنى وفطرتم وإليه ترجعون وأرجع .

(قوله الوجود مقتضيا) أى وهو كون الله فطره وخلقه (قوله فى المميزين منه ما تقدم) أى من القراءات الأربع وتقدم أنها خمسة التحقيق وتسهيل الثانية بألف ودونها وإبدال الثانية ألفا وهى سبعيات (قوله وهو استفهام بمعنى النفي) أى وهو إنكارى (قوله من دونه) يصح أن يكون مفعولا ثانيا مقدما لاتخاذوا على أنها متعددة لاثنتين وآلهة مفعول أول مؤخر ويصح أن يكون حالا من آلهة أو متعلقا باتخاذوا على أنها متعددة لواحد (قوله لاتن عن شفاعتهم) أى لاتنفعنى شفاعتهم فهو من الغناء بالفتح وهو النفع ، ومنه قول البوصيرى : * قلن ما فى اليتيم عنا غناء * (قوله صفة آلهة) أى جملة - إن يردن الرحمن - الخ فهى فى محل نصب ، والأوضح أن تكون مستأنفة سقت لتعليل النفي المذكور لأن جعلها صفة يوم أن هناك آلهة ليست كذلك (قوله إن عبدت غير الله) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن جملة (قوله فى ضلال مبين) أى ثبوت الأدلة على بطلان ذلك (قوله فاسمعون) بكسر النون فى قراءة العامة وهى نون الوقاية حذفتم بعدها ياء الإضافة وقرئ شدوذا بفتحها ولاوجه له فى العربية لأن فعل الأمر يبنى على حذف النون (قوله أى اسمعوا قولى) أى ماقلته لكم وهو اتبعوا المراسين الخ (قوله فرجوه فئات) أى وهو يقول : اللهم اهدقوى ، وقيل حرقوه وجعلوه فى سور المدينة وقبره فى سور أنطاكية ، وقيل نشره بالنشر حتى خرج من بين رجله (٣٠١) فوالله ماخرجت روحه إلا فى الجنة ،

وفى رواية أنهم قتلوا معه الرسل الثلاثة ووضعوه فى بئر وهى الرس (قوله وقيل له عند موته) هذا أحد أقوال ثلاثة اقتصر المفسر على اثنين منها والثالث أن هذا القول كناية عن البشري بأنه يدخل الجنة (قوله وقيل دخلها حيا) أى خفي هموا بقتله رفعه الله من بينهم وأدخله الجنة حيا إكراما له كما وقع لعيسى عليه السلام أنه رفع إلى السماء (قوله

الموجود مقتضيا وأتم كذلك (وَالْيَوْمَ تَرَوْهُمْ) بعد الموت فيجازيكم بكفركم (ءَأْتِخَذُوا) فى المميزين منه ما تقدم فى « ما نذرتهم » وهو استفهام بمعنى النفي (مِنْ دُونِهِ) أى غيره (آلِهَةً) أصناما (إِنْ يَرُدِّنِ الرَّحْمَنُ بَصَرَهُ لَا تَنْفَعُ عَنْهُمْ) التى زعموها (شَيْئًا وَلَا يُنْقِذُونِ) صفة آلهة (إِنِّي إِذَا) أى إن عبدت غير الله (لَنِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (إِنِّي آمَنْتُ بِرَبِّكُمْ فَاسْمَعُونِ) أى اسمعوا قولى فرجوه فئات (قِيلَ) له عند موته (أَدْخُلِ الْجَنَّةَ) وقيل دخلها حيا (قَالَ يَا) حرف تنبيه (لَيْتَ قَوْمِي يَعْلَمُونَ) بما غفر لى ربى (بِغُفْرَانِهِ) وَجَعَلَنِي مِنَ الْمُكْرَمِينَ . وَمَا) نافية (أَنْزَلْنَا عَلَى قَوْمِهِ) أى حبيب (مِنْ بَعْدِهِ) بعد موته (مِنْ جُنْدٍ مِنَ السَّمَاءِ) أى ملائكة لإهلاكهم (وَمَا كُنَّا مُنْزِلِينَ) ملائكة لإهلاك أحد (إِنْ) ما (كَانَتْ) عقوبتهم (إِلَّا صَيْحَةً وَاحِدَةً) صاح بهم جبريل (فَإِذَا هُمْ خَامِدُونَ) ساكتون ميتون (يَا حَسْرَةً عَلَى الْعِبَادِ) هؤلاء ونحوم ممن كذبوا الرسل فأهلكوا وهى شدة التألم ونداؤها مجاز أى هذا أوانك فاحضرى (مَا يَأْتِيهِمْ مِنْ رَسُولٍ

قال ياليت قوى) أى وهم الذين نصحبهم أولا فقد نصحبهم حيا وميتا (قوله بغفرانه) أشار بذلك إلى أن ما مصدرية ويصح أن تكون موصولة والعائد محذوف أى بالذى غفره لى ويصح أن تكون استفهامية أى بأى شئ غفر لى أى بأمر عظيم وهو توحيدى وصدىعى بالحق (قوله وما أنزلنا على قومه الخ) هذا تخقير لهم وتصغير لأسمائهم ، والمعنى لم نحتاج فى إهلاكهم إلى إرسال جنود من الملائكة بل نهلكهم بصيحة واحدة مثلا وقوله - وما كنا منزلين - أى لم يكن شأننا وعادتنا إرسال جنود لإهلاك أحد من الأمم قبلهم بل إذا أردنا إهلاكا عاما يكون بغير الملائكة كصيحة أو رجفة أو غير ذلك إن كانت إن الملائكة قد نزلت من السماء يوم بدر للقتال مع النبي صلى الله عليه وسلم ونصحابه . أوجب بأن إهلاكهم تسكرمة للنبي ونصحابه لا لإهلاك العام ، وقيل نزول الملائكة والاستنصار بهم من خصوصياته صلى الله عليه وسلم (قوله بعد موته) أى أو بعد رفعه حيا على القول الآخر (قوله لإهلاك أحد) أى من الأمم السابقة (قوله صاح بهم جبريل) أى صاح عليهم (قوله ميتون) أى فسبوا بالنار المحمودة لا تقطاع النفع فى شكل (قوله يا حسرة على العباد) يحتمل أن يكون من كلام الله أو الملائكة أو المؤمنين ، والمراد بالعباد جميع الكفار قال للجحش ، وقيل المراد بالعباد نفس الرسل وعلى بمعنى من والقاتل ذلك الكفار والتقدير يا حسرة علينا من مخالفة العباد والأوجه الأول الذى مشى عليه المفسر .

(قوله إلا كانوا به يستهزئون) الجملة حالية من مفعول يأتيهم (قوله مسوق الخ) أى فهو استئناف والحق فى جواب سؤال مقتر كأنه قيل ماوجه اتحسر عليهم فقيل ما يأتيهم الخ (قوله لبيان سببها) أى بواسطة فإن الاستهزاء سبب لإهلاكم وهو سبب للحسرة (قوله لاشتماله) أى دلالاته (قوله ألم يروا الخ) رأى علمية وكم خبرية مفعول لأهلكنا مقسم وقيلهم ظرف لأهلكنا ومن القرون بيان لكم (قوله والاستفهام للتقرير) أى وهو محل الخطاب على الإقرار بما بعد النفي (قوله معمولة لما بعدها) أى وليست معمولة ليروا لأن كم الخبرية لها الصدارة فلا يعمل ما قبلها فيها (قوله معلقة ما قبلها عن العمل) إن قلت إن كم الخبرية لاتعاق وإنما التعليق للاستفهامية . قال ابن مالك : وإن ولا لام ابتداء أو قسم كذا والاستفهام ذاله انتم

أجيب بأن الخبرية أجريت مجرى الاستفهامية فى التعليق (قوله والمعنى أنا أهلكنا) أى وقد علموا ذلك (قوله بدل عما قبله) أى بدل اشتغال لأن إهلاكم مشتمل ومستلزم لعدم رجوعهم أو بدل كل من كل بناء على تنزيل التلازم منزلة التماثل كأن إهلاكم عين رجوعهم (قوله برعاية المعنى المذكور) أى وهو قوله أنا أهلكنا الخ ، والمعنى قد علموا إهلاكم كثيرا من القرون السابقة الشتمل على عدم عودهم إلى هؤلاء الباقيين وهم أهل مكة فينبى أن يعتبروا بهم (قوله نافية) أى ولما بالتشديد معنى إلا ، وقوله أو مخففة : أى مهولة ولما (٣٠٣) بالتخفيف واللام فارقة (قوله وما زائدة) للتأكيد فقد أغنت عن الحصر المستفاد

إِلَّا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِءُونَ) مسوق لبيان سببها لاشتماله على استهزائهم المؤدى إلى إهلاكم السبب عنه الحسرة (أَلَمْ يَرَوْا) أى أهل مكة القائلون للنبي لست مرسلًا والاستفهام للتقرير أى علموا (كَمْ) خبرية بمعنى كثيرا معمولة لما بعدها معلقة لما قبلها عن العمل ، والمعنى أنا (أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ) كثيرا (مِنَ الْقُرُونِ) الأمم (أَنَّهُمْ) أى المهلكين (إِلَيْهِمْ) أى المسكين (لَا يَرْجِعُونَ) أفلا يعتبرون بهم ؟ وأنهم الخ بدل مما قبله برعاية المعنى المذكور (وَإِنْ) نافية أو مخففة (كُلُّ) أى كل الخلائق مبتدأ (لَمَّا) بالتشديد بمعنى إلا أو بالتخفيف فاللام فارقة وما زائدة (جَمِيعٌ) خبر المبتدأ أى مجموعون (لَدَيْنَا) عندنا فى الموقف بعد بعثهم (مُخْضَرُونَ) للحساب خبر ثان (وَآيَةٌ لَهُمْ) على البعث ، خبر مقدم (الْأَرْضُ الْمَيْتَةُ) بالتشديد والتخفيف (أَحْيَيْنَاهَا) بالماء مبتدأ (وَأَخْرَجْنَا مِنْهَا حَبًّا) كالحنطة (فَمِنْهُ) يَأْكُلُونَ . وَجَعَلْنَا فِيهَا جَنَّاتٍ بساتين (مِنْ نَخِيلٍ وَأَعْنَابٍ وَفَجْرْنَا فِيهَا مِنَ الْعُيُونِ) أى بعضها (لِيَأْكُلُوا مِنْ ثَمَرِهِ) بفتحين وضميتين أى ثمر المذكور من النخيل وغيره (وَمَا عَمِلَتْهُ أَيْدِيهِمْ) أى لم تعمل الثمر

من قراءة التشديد فتحصل أن من شدد لما جعلها بمعنى إلا وإن نافية وهذا باتفاق البصريين والكوفيين ومن خفف لما فالصريون على أن إن مخففة واللام فارقة وما زائدة وجوز الكوفيون جعل لما بمعنى إلا وإن نافية والقراءتان سبعيتان (قوله أى كل الخلائق) أشار بذلك إلى أن التنوين عوض عن المضاف إليه (قوله أى مجموعون) دفع بذلك ما يتوهم من

(أفلا)

ذكر كل الاستغناء بها عن الجميع فاجاب بأن كل أشير بها لاستغراق الأفراد

وجميع أشير بها لاجتماع السكل فى مكان واحد للحشر (قوله وآية لهم) أى علامة ظاهرة ودالة على الاحياء بعد الموت (قوله بالتشديد والتخفيف) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله مبتدأ) أخره بعد قوله أحييناها إشارة إلى أنه صفة للأرض والصفة مع الموصوف كالشيء الواحد (قوله وجعلنا) عطف على أحييناها (قوله من نخيل) هو والنخل بمعنى واحد لكن النخل اسم جمع واحده نخلة يؤنث عند أهل الحجاز ويذكر عند تميم ونجد والنخيل مؤنثة بلا خلاف إذا علمت ذلك فقول المفسر فيما يأتى من النخيل وغيره ليس بجيد بل المناسب وغيرها (قوله وفجرا) بالتشديد فى قراءة العامة وقرئ شذوذا بالتخفيف (قوله أى بعضها) أشار بذلك إلى أن من تبعيضية ويصح أن تكون زائدة (قوله بفتحين وضميتين) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى ثمر المذكور) دفع بذلك ما يقال إن الضمير عائد على شيئين فحقه التثنية فأجاب بأنه أفرد باعتبار ما ذكر (قوله أى لم تعمل الثمر) أشار بذلك إلى أن ما نافية ، والمعنى أنه ليس لهم إيجاد شيء بل الفاعل والمنبت هو الله تعالى كما قال فى الآية الأخرى ما كان لكم أن تنبتوا شجرها ويصح أن تكون موصولة : أى ومن الذى عملته أيديهم أو نكرة موصوفة أو مصدرية : أى ومن عمل أيديهم وإثبات العمل للأيدي من حيث الكسب

(قوله أفلا يشكرون) المهمة داخلة على محذوف ، والتقدير أيخضعون بهذه النعم فلا يشكرونها : أى بحيث لا يصرقونها في مصادرها (قوله أنعمه) جمع نعمة بالكسر ونعماء بالمد والفتح (قوله سبحانه الذى خلق الأزواج) أى تنزهه في ذاته وصفاته وأفعاله مما لا يليق به (قوله الأصناف كلها) أى فكل زوج صنف لأنه مختلف في الألوان والطعوم والأشكال والصغر والكبر باختلافها هو ازدواجها (قوله مما تبت الأرض) بيان للأزواج وكذا ما بعده فتحصل أن هذه الأمور الثلاثة لا يخرج منها شيء من أصناف المخلوقات (قوله التربة) أى كائى في السموات والى تحت الأرضين وكل مالم يكن مشاهدا لنا عادة (قوله وآية لهم الليل نداع منه النهار) ذكر الله تعالى في هذه الآية ما يتضمن علم اليقات الذى تجب معرفته ، وقد ذكر أستاذنا الشيخ الهردير رضى الله عنه مقدمة لطيفة في هذا الشأن كافية من اقتصر عليها فيما فرض الله تعالى . وحاصلها بحروفها قائدة : أسماء الشهور القبطية توت بابه هاتور كيهك طوبه أمشير برمات برمودة بشنس بؤونه أيب مسرى ، أسماء البروج : ميزان عقرب قوس جدى دلو حوت حمل ثور جوزاء سرطان أسد سنبله ، ولا يدخل توت الذى هو أول السنة القبطية إلا بعد خمسة أيام أو ستة بعد مسرى ونسعى أيام النسء ، وفصول السنة أربعة : فصل الحريف وفصل الشتاء وفصل الربيع وفصل الصيف ، وأول فصل الحريف انتقال الشمس إلى برج الميزان وذلك في نصف توت ، وفي تلك الليلة يستوى الليل والنهار ثم كل ليلة يزيد الليل نصف درجة ثلاثين ليلة بخمسة عشرة درجة إلى نصف بابه تنتقل الشمس إلى برج العقرب فيزيد الليل كل ليلة ثاث درجة إلى نصف هاتور تنتقل الشمس إلى برج القوس فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة بخمسة درج فقد تمت زيادة الليل ثلاثين درجة بعد الاعتدال بساعتين فيصير الليل من غروب الشمس إلى طلوعها أربع عشرة ساعة فيصل الفجر على ثنتي عشرة ساعة وست درج ، ومن طلوعه إلى الشمس أربع وعشرون درجة وذلك في آخر يوم من فصل الحريف منتصف كيهك ، ثم تنتقل الشمس إلى برج الجدى وهو أول فصل الشتاء فيأخذ الليل في النقص والنهار (٣٠٣) في الزيادة فيزيد النهار كل

(أَفَلَا يَشْكُرُونَ) أنعمه تعالى عليهم ؟ (سُبْحَانَ الَّذِي خَلَقَ الْأَزْوَاجَ) الأصناف (كُلِّهَا) يَمَّا تُفْنِتُ الْأَرْضُ) من المحبوب وغيرها (وَمِنْ أَقْسَمِهِمْ) من الذكور والإناث (وَمِمَّا لَا يَعْلَمُونَ) من المخلوقات المعجبية التربة (وَأَيَّةٌ لَهُمْ) على القدرة العظيمة (الآيِلُ)

درجة بعشرة إلى نصف أمشير فتنتقل إلى برج الحوت قسمها العامة بالشمس الصغيرة فيزيد النهار كل يوم نصف درجة بخمسة عشرة درجة إلى نصف برمات فتنتقل الشمس إلى برج الحمل ويسمى العامة بالشمس الكبيرة وهو أول فصل الربيع وفيه الاعتدال الرسمى يستوى الليل في تلك الليلة والنهار ويزيد النهار كل يوم نصف درجة كما في برج الحوت الذى قبله إلى منتصف برمودة فتنتقل الشمس إلى برج الثور فيزيد النهار كل يوم ثلث درجة بعشرة إلى منتصف بشنس فتنتقل الشمس للجوزاء ويزيد النهار كل يوم سدس درجة بخمسة إلى نصف بؤونه فتنتقل إلى برج السرطان وهو أول فصل الصيف وبه ينتهى طول النهار فيكون النهار من طلوع الشمس إلى غروبها أربع عشرة ساعة وينتهى قصر الليل ، فيكون من الغروب إلى طلوع الشمس عشرة وحة الغرب للعشاء اثنتان وعشرون درجة ومن المغرب للفجر ثمان ساعات وخمسين درج ومنه للشمس خمس وعشرون درجة ثم ينقص النهار ويأخذ الليل في الزيادة فيزيد الليل كل ليلة سدس درجة إلى خامس عشر أيب ، فتنتقل الشمس إلى برج الأسد فيزيد كل يوم ثلث درجة إلى نصف مسرى ، فتنتقل إلى السنبله فيزيد النهار كل يوم نصف درجة إلى نصف توت أول السنة ، فقد علمت أن العرج الذى يأخذها النهار من الليل والليل من النهار ستون درجة بأربع ساعات وأن الاعتدال يكون في السنة مرتين مرة في نصف توت الذى هو أول السنة القبطية وهو أول فصل الحريف والمرة الثانية في نصف برمات أول فصل الربيع ، وأن مبدأ زيادة النهار من الفصل الذى قبله وهو فصل الشتاء ثلاثين يوما بالأسداس ثم ثلاثين بالآلات ثم ثلاثين بالأصناف لأول فصل الربيع فيصل الاعتدال ثم ثلاثين بالأصناف أيضا إلى نصف برمودة ودخول الشمس في الثور ، فمدة زيادة الأصناف ستون من نصف أمشير ودخول الشمس في الحوت إلى نصف برمودة ثم ثلاثين بالآلات إلى نصف بشنس ودخول الشمس في الجوزاء ، ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف بؤونه ودخول الشمس في السرطان فيأخذ الليل في الزيادة بالأسداس ثلاثين ليلة إلى نصف أيب ودخولها في الأسد ثم ثلاثين بالآلات ثم ثلاثين بالأسداس إلى نصف توت ثم بالأصناف

أيضا إلى صف بابه ، ثم بالأثلاث إلى نصف هاتور ، ثم بالأسداس إلى نصف كيهك ، ثم يعدو النهار على الليل فسبحان الله القدر
للأمور القادر على كل شيء العليم الحكيم اه (قوله وآية) خبر مقدم والليل مبتدأ مؤخر كأن تقدم نظيره (قوله ناسخ الخ) بيان
لكيفية كونه آية (قوله فصل منه النهار) أي نزله عنه لكونه كالسائر له فاذا زال السائر ظهر الأصل فالليل أصل متقدم في
الوجود والنهار طارئ عليه بدليل قوله - فاذا هم مظلون - وهذا لا ينافي ما يأتي في قوله - ولا الليل سابق النهار - لأن معناه
لا يأتي الليل قبل وقته للقدر له بأن يأتي في وقت الظهور مثلا وهذا غير ما هنا فتحصل أن معنى السليخ الفصل والإزالة وليس المراد
به الكشف وإزالة فاذا هم مبصرون لأنه يصير لليل آية لهم الليل تكشف وتظهر منه النهار (قوله داخلون في الظلام) أي فيقال
أظلم القوم إذا دخلوا في الظلام وأصبحوا إذا دخلوا في الصباح (قوله من جملة الآية) أي فهو عطف مفردات على قوله : الأرض
وقوله أو آية أخرى : أي فيكون عطف جملة (قوله لمستقر لها) أي مكان تستقر فيه وهو مكانها تحت العرش فتسجد فيه كل
ليلة عند غروبها فتستمر ساجدة فيه طول الليل فعند ظهور النهار يؤذن لها في أن تطلع من مظلها ، فاذا كان آخر الزمان
لا يؤذن لها في الطلوع من المشرق بل يقال لها ارجي من حيث جئت فتطلع من المغرب ، وهذا هو الصحيح عند أهل السنة
ويؤيده قوله صلى الله عليه وسلم لأبي ذر حين غربت الشمس وأندرى أين ذهبت الشمس ؟ قال الله ورسوله أعلم ، قال فاتها
تذهب حتى تسجد تحت العرش فتستأذن فيؤذن لها ويوشك أن تسجد فلا يقبل منها وتستأذن فلا يؤذن لها ، فيقال لها ارجي
من حيث جئت فتطلع من (٣٠٤) مغربها ، فذلك قوله تعالى - والشمس تجري لمستقر لها ذلك تقدير العزيز

العليم وقيل إن الشمس في الليل تسير وتشرق على عالم آخر من أهل الأرض وإن كنا لانعرفه ، وهذا قول الحكماء ويؤيده ما قاله الفقهاء إن الأوقات الخمسة تختلف باختلاف الجهات والنواحي فقد يكون للمغرب عندنا عصرا عند آخرين وقد يكون الليل عندهم ساعة فقط ،

نَسْلَخُ) تفصل (مِنْهُ النَّهَارُ فَإِذَا هُم مُّظْلَمُونَ) داخلون في الظلام (وَالشَّمْسُ تَجْرِي)
إلى آخره من جملة الآية لهم أو آية أخرى والقمر كذلك (لِمَا) أي إليه لا تتجاوز
(ذَلِكَ) أي جريها (تَقْدِيرُ الْعَزِيزِ) في ملكه (الْعَلِيمِ) بخلق (وَالْقَمَرِ) بالرفع والنصب
وهو منصوب بفعل يفسره ما بعده (قَدَرْنَا) من حيث سيره (مَنَازِلَ) ثمانية وعشرين
منزلا في ثمان وعشرين ليلة من كل شهر ويستمر ليلتين إن كان الشهر ثلاثين يوما ، وليلة إن
كان تسعة وعشرين يوما (حَتَّى عَادَ) في آخر منازل في رأى العين (كَالْمُرْجُونِ الْقَدِيمِ)
أي كمود الشماريح إذا عتق فإنه يرق ويتقوس ويصفر (لَا الشَّمْسُ يَنْبَغِي) يسهل ويصح
(لِمَا أَنْ تُدْرِكَ الْقَمَرَ) فتجتمع معه في الليل ،

واختلف في العشاء حينئذ ، فقالت الحنفية بسقوطها ، وقالت الشافعية
ووافقهم المالكية يقتدر لهم بأقرب البلاد إليهم ويصلونها ولو بعد طلوع الشمس عندهم ونسبى أداء ولا حرمة عليهم في ذلك .
وعلى ما قاله الحكماء . فاختلف في مستقر الشمس ، فقيل هو انقضاء الدنيا وقيام الساعة ، وقيل مستقرها هو سيرها في منازلها
حتى تنتهي إلى مستقرها الذي لا تتجاوز ثم ترجع إلى أول منازلها ، وقيل مستقرها نهاية ارتفاعها في السماء في الصيف ونهاية
هبوطها في الشتاء (قوله والقمر) اختلف فيه هل لكل شهر قمر جديد أو هو قمر واحد لكل شهر ، فقال الرملي من أئمة
الشافعية : إن لكل شهر قمر جديد ، ولكن للتبادر من كلام الحكماء ومن غاب الأحاديث أنه متحد (قوله بالرفع) أي على
أنه مبتدأ خبره قدرناه (قوله والنصب يفسره ما بعده) أي فهو من باب الاشتغال (قوله من حيث سيره) أشار بذلك إلى أن قوله
منازل ظرف لقوله قدرناه ، والتقدير قدرنا سيره في منازل ويصح جعله حالا على حذف مضاف والتقدير ذا منازل (قوله أي
كمود الشماريح) جمع شمراخ وهو عيدان المنقود الذي عليه الرطب (قوله إذا عتق) من باب ظرف وقعد (قوله فانه يدق
ويتقوس ويصفر) أي فوجه الشبه فيه مركب من ثلاثة أشياء (قوله لا الشمس ينبغي لها أن تدرك القمر) أي بحيث تأتي
في وسط الليل لأن ذلك يخل بتلوين النبات ونفع الطيوان ويفسد النظام ولم يقل سبحانه وتعالى ولا القمر يدرك الشمس لأن
سير القمر أسرع لأنه يقطع الفلك في شهر والشمس لا تقطع فلكها إلا في سنة فالشمس قطعا لا تدرك القمر والقمر قد يدرك
الشمس في سيرها ولكن لا سلطنة له .

(قوله ولا الليل سابق النهار) أى لا يأتى الليل من ان رضى كان يأتى فى وقت الظهر مثلا (قوله وكل فى فلكه يسبحون) قال ابن عباس يدورون فى فلكة كفلكة للنزل (قوله والنجوم) أى المدلول عليها بذكر الشمس والقمر (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى حيث عبر عنهم بضمير جمع المذكور ، والذي سقو ذلك وصفهم بالسباجة التى هى من أوصاف العقلاء (قوله وآية لهم) خبر مقدم وأنا حملنا فى تأويل مصدر مبتدأ مؤخر أى حملنا ذريتهم فى الفلك آية دالة على باهر قدرتنا (قوله وفى قراءة) أى وهى سبعية أيضا (قوله أى آباءهم الأصول) أشار بذلك إلى أن لفظ القرية كما يطلق على الفروع يطلق على الأصول لأنه من الدر وهو الخلق فاندفع ما يحال إن الذى حمل فى سفينة نوح أصول أهل مكة لأفروعهم وهذا أوضح ما قررت به هذه الآية (قوله المملوء) أى لأن نوحا جعله ثلاث طبقات : السفلى وضع فيها السباع والحوام ، والوسطى وضع فيها الدواب والأنعام ، والغليا وضع فيها آدميين والطير (قوله وخلقنا لهم من مثله) هذا امتنان آخر مرتب على ما قبله ، والمعنى جعلنا سفينة نوح آية عظيمة على قدرتنا ونعمة للخلق ، وعلماهم صنعة السفينة فعملوا سفنا كبارا وصغارا لينتفعوا بها (قوله من مثله) من إما زائدة أو تبعية ، وعلى كل فدخلوها حال من قوله ما يركبون (قوله وهو مملوء) هذا أحد أقوال ثلاثة فى تفسير المثل ، والثانى أنه خصوص الابل ، والثالث (٣٠٥) أنه مطلق الدواب التى تركب

(قوله بتعليم الله) دفع بهذا ما يقال عادة الله تعالى إضافة صفة العبيد لأنفسهم وإن كان هو الخالق لها حقيقة فلم أضافها لنفسه فأجاب بأن التعليم والمداية لما كاتنا منه ضاف الخلق له لأن سفينة نوح التى هى أصل السفن كانت بمحض تعليم الله وإلهامه له (قوله مع إجماد السفن) أى ومع ركوبهم لها (قوله فلا صريح لهم) الصريح بمعنى الصارخ يطلق على المستغنى وطى

(وَلَا الْقَائِلُ سَابِقُ الْفَهَارِ) فلا يأتى قبل اقضائه (وَكُلٌّ) تنوينه موصوف من المضاف إليه من الشمس والقمر والنجوم (فِي فَلَكَ) مستدير (يَسْبَحُونَ) يسبحون، نزلوا منزلة العقلاء (وَأَيَّةٌ لَهُمْ) على قدرتنا (أَنَا حَمَلْنَا ذُرِّيَّتَهُمْ) وفى قراءة ذريتهم: أى آباءهم الأصول (فِي الْفَلَكَ) أى سفينة نوح (الْمَلُوءِ) (وَخَلَقْنَا لَهُمْ مِنْ مِثْلِهِ) أى مثل فلك نوح وهو مملوء على شكله من السفن الصغار والكبار بتعليم الله تعالى (مَاتَرُ كَبُونَ) فيه (وَلِإِنْ نَشَأْ نُذِرْهُمْ) مع إجماد السفن (فَلَا صَرِيحَ) مفيت (لَهُمْ وَلَا هُمْ يَنْقُذُونَ) ينبجون (إِلَّا رَحْمَةً مِنَّا وَمَتَاعًا إِلَى حِينٍ) أى لا ينجيهم إلا رحمتنا لهم وتمتعنا أيام بلذاتهم إلى اقضاء آجالهم (وَإِذَا قِيلَ لَهُمُ اتَّقُوا مَا بَيْنَ أَيْدِيكُمْ) من عذاب الدنيا كثيركم (وَمَا خَلَقَكُمْ) من عذاب الآخرة (لَعَلَّكُمْ تُرْحَمُونَ) أعرضوا (وَمَا تَأْتِيهِمْ مِنْ آيَةٍ مِنْ آيَاتِ رَبِّهِمْ إِلَّا كَانُوا عَنْهَا مُعْرِضِينَ) وإذا قيل (أَيُّ قَالِ فَقَرَاءُ الصَّحَابَةِ) (لَهُمْ أَنْفَقُوا) علينا (مِمَّا رَزَقَكُمُ اللَّهُ) من الأموال (قَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِأَئِنَّ آمَنُوا) استهزاء بهم (أَنْظِمُ مَنْ لَوْ يَشَاءُ اللَّهُ أَطْعَمَهُ) فى معتقكم هذا (إِنْ) ما (أَنْتُمْ) (

المفيت فهو من تسمية الأضداد والمراد الثانى (قوله إلا رحمة منا) إلا اداة استثناء ورحمة مفعول لأجله وهو استثناء مفرغ من عموم الأحوال ، والمعنى لا تنجيهم لشي من الأشياء إلا لأجل رحمتنا بهم وتمتعهم الأمد الذى سبق فى علمنا (قوله كثيركم) أى وهم المؤمنون (قوله من عذاب الآخرة) أشار بذلك إلى أن لفظ الخائف كما يطلق على ماضى يطلق على ما يأتى فهو من تسمية الأضداد وسعى ما يأتى خلفا لغيره هنا (قوله أعرضوا) قدره إشارة إلى أن جواب الشرط محذوف دل عليه قوله وما تأتيم من آية الخ (قوله من آية) من زائدة وقوله من آيات ربهم من تبعية (قوله إلا كانوا الخ) الجملة حالية (قوله وإذا قيل لهم أنفقوا الخ) أشار بذلك إلى أنهم كانوا تركوا حقوق الخالق تركوا حقوق الخلق ، وهذه الآية زلت حكاية عن بعض جبابرة مكة كالحص بن وائل السهمى وغيره كان إذا سأله المسكين قال له : اذهب إلى ربك فهو أولى منى بك قد منعك الله أفاطعمك أنا ؟ وقد تمسك بهذا بعض بخلاء المسلمين حيث يقولون : لانعطى من حرمه الله ، ولم يعلموا أن الفقراء يحملون زاد الأغنياء للآخرة ، ولولا الفقراء ما انتفع النبي بفناء (قوله قال الذين كفروا) أى بالصانع : أى ينكرون وجوده ، وهم فرقة من جبابرة مكة (قوله من لو يشاء الله أطعمه) مفعول أنطم وقوله أطعمه جواب لو (قوله فى معتقكم) أى أيها الفقراء المؤمنون لا فى معتق الكفار الأغنياء فانهم ينكرون الصانع كما علمت . [٣٩ - صاوى - ثالث]

(قوله في قولكم لنا ذلك) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الكفار للمؤمنين ويؤيده ما روى أن أبا بكر الصديق رضي الله عنه كان يطعم مساكين المسلمين ، فلقبه أبو جهل فقال : يا أبا بكر أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء ؟ قال نعم ، قال فما باله لا يطعمهم ؟ قال ابتلى قوما بالفقر وقوما بالثنى ، وأمر الفقراء بالصوم والأغنياء بالاعطاء فقال أبو جهل ، والله يا أبا بكر إن آتت إلا في ضلال أتزعم أن الله قادر على إطعام هؤلاء وهو لا يطعمهم ثم قطعهم أنت . وقيل إنه من كلام للمؤمنين للكفار . وقيل من كلام الله تعالى ردا عليهم (قوله موقع عظيم) أي وهو التبكيت والتوبيخ عليهم (قوله ويقولون متى هذا الوعد) رجوع للكلام مع الكفار للمترفين بوجوده تعالى (قوله أي ما ينتظرون) هذا مجازاة لأول كلامهم لأن شأن من يسأل عن الشيء أن يكون معترفاً بوجوده وإلا فهم جازمون بعدمها (قوله الأولى) أي وهي التي يموت عندها من كان موجوداً على وجه الأرض (قوله نقلت حركة التاء إلى الخاء) أي جماعها أو بعضها فهما قراءتان (قوله وأدغمت) أي بعد قلبها صاداً وحذفت همزة الوصل^(١) للاستثناء عنها بتحريك الخاء وقوله وفي قراءة الخ تلخص من كلامه أن القراءات هنا ثلاث وبقي رابعة وهي فتح الياء وكسر الخاء وكسر الصاد الشددة وعلى هذه القراءة حركة الخاء ليست حركة نقل وإنما هي لما حذفت حركة التاء صارت ساكنة فالتفت ساكنة مع الخاء فحركت الخاء بالكسر على أصل التلخيص من التقاء الساكنين وكل تلك القراءات سبعة (قوله أي وم في غلظة عنها) أشار بهذا (٣٠٦) إلى أن المراد من الاختصاص لازمه وهو الغلظة التي ينشأ عنها الاختصاص وغيره

وفي الحديث « لتقوم الساعة وقد فسر الرجلان ثوباً بينهما فلا يقبليانه ولا يطويانه ، وتقوم الساعة وقد انصرف الرجل بين لحيته فلا يطعمه ، وتقوم الساعة وهو يلبط حوضه فلا يسقي فيه ، وتقوم الساعة وقد رفع أكلته إلى فيه فلا يطعمها » أخرجه البخاري (قوله أي يخصم بعضهم بعضاً) بيان لحاصل المعنى

في قولكم لنا ذلك مع معتدكم هذا (إلا في ضلال مبين) بين ، وللتصريح بكفرهم موقع عظيم (ويقولون متى هذا الوعد) بالبعث (إن كنتم صادقين) فيه ، قال تعالى (ما ينتظرون) أي ما ينتظرون (إلا صيحة واحدة) هي نفخة إسماعيل الأولى (تأخذهم وهم يخصمون) بالتشديد أصله يخصمون نقلت حركة التاء إلى الخاء وأدغمت في الصاد أي وم في غلظة عنها بتخاخم وتبايع وأكل وشرب وغير ذلك . وفي قراءة يخصمون كيضربون أي يخصم بعضهم بعضاً (فلا يستطيعون توصية) أي أن يوصوا (ولا إلى أهلهم يرجعون) من أسواقهم ، وأشغالهم بل يموتون فيها (وتفتح في الصور) هو قرن النفخة الثانية للبعث وبين النفختين أربعون سنة (فإذا هم) أي المقبورون (من الأجداث) القبور (إلى ربهم ينسلون) يخرجون بسرعة (قالوا) أي الكفار منهم (يا) للتنبيه (ويئسنا) هلاكنا وهو مصدر لافضل له من لفظه (من بئسنا من مرتدنا) ،

والفعل محذوف على القراءة الأخيرة (قوله أن يوصوا) أي على أولادهم وأموالهم لأنهم (قوله ولا إلى أهلهم يرجعون) معطوف على يستطيعون (قوله وبين النفختين أربعون سنة) هذا هو الصحيح ، وقيل أربعون يوماً ، وقيل غير ذلك (قوله أي المقبورون) أي من شأنه أن يقبر وقبر كل ميت بحسبه فيشمل من أكلته السباع ونحوه (قوله من الأجداث) جمع جثث كفرس وأفراس وقرى شدوذا الأجداف بالفاء وهي لغة في الأجداث (قوله يخرجون بسرعة) أي يسرعون في مشيهم قهراً لا اختياراً (قوله أي الكفار) أي لأكمل الخلائق إذ المؤمنون يخرجون بالقيامة ليذهبوا للنعيم الدائم بروية وجه الله الكريم (قوله للتنبيه) دفع بذلك ما يقال إن النداء غنص بالمقلد ، فكيف ينادى الويل وهو لا يعقل ، فأجاب بأن يا للتنبيه ، والمعنى فتهبوا فإن الويل قد حضر (قوله ويلنا) قرأ العامة بإضافته إلى ضمير التكلم ومعه غيره دون تأنيث . وقرى شدوذا يويلنا بناء التأنيث ويأوياني بإبدال الياء ألفاً وعلى قراءة الأفراد يكون حكاية عن مقالة كل واحد (قوله لافضل له من لفظه) أي بل من معناه وهو هلاك (قوله من بئسنا) قرأ العامة بفتح ميم من على أنها استفهامية مبتدأ وجملة بئسنا خبره وقرى شدوذا بكسر الهمزة على أنها حرف جر وبئسنا مصدر مجرور بمن والجار والمجرور متعلق بويلنا وقوله من مرقدنا متعلق بالبعث والرقد يصح أن يكون مصدراً أو اسم مكان أي من رقادنا أو من مكان رقادنا

(١) (قوله وحذفت همزة الوصل الخ) هذا إنما هو في الماضي الذي هو اختصاص راجع حاشية العلامة الجمل .

(قوله لَأَنَّهُمْ كَانُوا بَيْنَ النَّفْعَتَيْنِ نَائِمِينَ) أى حيف يرفع الله عنهم العذاب فيردون قبيل النفخة الثانية فيذوقون طعم النعم فإذا بنوا، وعينوا أهوال يوم القيامة دعوا بالويل (قوله ما رعد الرحمن الخ) مفعول وحده وصدق محذوف ، والتقدير ما وعدنا به الرحمن وصدقونا فيه للرسولون (قوله أقرؤا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة من كلام الكفار فهي في محل نصب مقول القول كأنهم لمسلأوا فلم يجابوا أجابوا أنفسهم (قوله وقيل يقال لهم ذلك) أى من جانب المؤمنين أو الملائكة أو الله تعالى وإنما هدلوا من جواب سؤالهم لأن الباعث لهم معلوم وإنما لهم السؤال عن البعث (قوله إن كانت) أى النفخة الثانية (قوله إلا صيحة واحدة) أى وهى قول إسرافيل أيها العظام النخرة والأوصال المتقطعة والعظام المتفوقة والشعور المتمزقة إن الله يأمركن أن تجتمعن لفصل القضاء (قوله فإذا هم جميع لدينا حضرون) أى مجموعون في موقف الحساب (قوله فاليوم لا نعلم نفس شيئا) هذا حكاية عما يقال لهم حين يرون المذاب (قوله إن أصحاب الجنة الخ) جرت عادة الله سبحانه وتعالى في كتابه إذا ذكر أحوال أهل النار أنبأه بذكر أحوال أهل الجنة (قوله في شغل) أيهم ونكره إشارة إلى تعظيمه ورفعة شأنه ، والمراد به ما هم فيه من أنواع اللذات التي تلهيهم مما عداها بالكلية كالتفكك بالأكل والشرب والسماع وضرب الأوتار والتزاور وأعظم ذلك سماع كلام الله تعالى ورؤية ذاته (قوله بسكون النين وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان (٣٠٧) (قوله كافتضاض الأبقار)

أى لما روى « أن أهل الجنة كلما أرادوا التقرب من نسائهم وجدوهن أبقارا فيقتضونهن من غير قدر ولا ألم » (قوله فاكهون) من الفكاهة بفتح الفاء وهى التمتع والتلذذ (قوله هم وأزواجهم) هذا بيان لكيفية شغلهم وتفكهمهم (قوله جمع ظلة) أى كقباب جمع قبة وزنا ومعنى (قوله أو ظل) أى كشعاب جمع شعب (قوله أى لا تصيبهم الشمس)

لأنهم كانوا بين النفعتين نائمين لم يذبوا (هَذَا) أى البعث (مَا) أى الذى (وَعَدَ) به (لَا تَحْمُنُ وَصَدَقَ) فيه (الْمُرْسَلُونَ) أقرؤا حين لا ينفعهم الإقرار ، وقيل يقال لهم ذلك (إِنْ) مَا كَانَتْ إِلَّا صَيْعَةً وَاحِدَةً فَلِذَا هُمْ جَمِيعٌ لَدَيْنَا) عندنا (مُحْضَرُونَ . قَالِيَوْمَ لَا تَنْظُمُ نَفْسٌ شَيْئًا وَلَا تُحْزَنُ وَلَا تُجَزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِنَّ أَصْحَابَ الْجَنَّةِ أَلْيَوْمَ فِي شُغْلٍ) بسكون النين وضما عما فيه أهل النار مما يتلذذون به كافتضاض الأبقار لا شغل يتعبون فيه لأن الجنة لا نصب فيها (فَا كَيُونُ) فاعيون خبر ثان لأن الأول فى شغل (هُمْ) مبتدأ (وَأَزْوَاجُهُمْ فِي ظِلَالٍ) جمع ظلة أو ظل خبر أى لا تصيبهم الشمس (عَلَى الْأَرَائِكِ) جمع أريكة ، وهو السرير فى الحجرة ، أو الفرش فيها (مُتَسَكِّثُونَ) خبر ثان متعلق على (كُلُّهُمْ فِيهَا فَاكِهَةٌ وَكُلُّهُمْ) فيها (مَابِدِّهُونَ) يمتنون (سَلَامٌ) مبتدأ (قَوْلًا) أى بالقول خبره (مِنْ رَبِّ رَحِيمٍ) بهم ، أى يقول لهم سلام عليكم ،

أى لعدم موجودها (قوله فى الحجرة) بفتح الحاء أو كسرهما وهى قبة تفاق على السرير وتزين به العروس (قوله أو الفرش فيها) أى فى الحجرة فالأريكة فيها قولان : قيل هى السرير الكائن فى الحجرة أو الفرش الكائن فيها (قوله متعلق على) أى قوله على الأرائك فتحصل أن هم مبتدأ وأزواجهم عطف عليه وفى ظلال خبر أول ومتكثرون خبر ثان وعلى الأرائك متعلق بمتكثرون قدم عليه رعاية لفصالة (قوله لهم فيها فاكهة) أى من كل نوع من أنواع الفواكه لا مقطوع ولا ممنوع قال تعالى - وفاكهة كثيرة لا مقطوعة ولا ممنوعة - (قوله ولهم ما يدهون) أصله يذوقون بوزن يفتعلون استغلت الضمة على الياء فنقلت إلى ما قبلها فالتقى ساكنان حذفت الياء لالتقاءهما ثم أبدلت التاء دالا وأدخمت فى الدال ، والمعنى يعطى أهل الجنة جميع ما يمتنونه ويشتهونه حالا من غير بطء (قوله سلام مبتدأ الخ) هذا أحسن الأعراب وقيل إنه بدل من قوله ما يدهون أو صفة لما أو خبر لمبتدأ محذوف (قوله أى بالقول) أشار بذلك أن قولاً منصوب بنزع الخافض ويصح أن يكون مصدرا مؤكداً لمضمون الجملة وهو مع عامله معترض بين المبتدأ والخبر (قوله أى يقول لهم سلام عليكم) أشار بذلك إلى أن الجملة معمولة لمحذوف ، والمعنى أن الله تعالى يتجلى لأهل الجنة ويقرئهم السلام لما فى الحديث « بينا أهل الجنة فى نعيم إذ سطع لهم نور ففرغوا رءوسهم فإذا الرب عز وجل قد أشرف عليهم من فوقهم السلام عليكم يا أهل الجنة ، فذلك قوله تعالى - سلام قولاً من ربهم - فينظر إليهم وينظرون إليه فلا يلتفتون إلى شئ من النعيم ماداموا ينظرون

إليه حتى يحجب عنهم فيبقى نورهم وبركتهم عليهم في ديارهم» (قوله ويقول امتازوا الخ) أشار بذلك إلى أن هذه الجملة معمولة
لحذف نوا (قوله عند اختلاطهم بهم) أي حين يسار بهم إلى الجنة لما ورد في الحديث مامعه : إذا كان يوم القيامة ينادى
مناد كل أمة تتبع معبودها فتبقى هذه الأمة وفيها منافقوها يقولون لا نذهب حتى ننظر معبودنا فيظهر لهم عن العرش
ملك لو وضعت البحار السبع وجميع الخلائق ومثلهم معهم في قرة إيمانهم لوسعهم فيقول أثار بكم فيقولون نعوذ بالله منك لست
ربنا ثم يأتي عن يسار العرش فيقول مثل ذلك فيقولون نعوذ بالله منك لست ربنا ثم يشجى الله تعالى لهم فيخرون سجدا فيريد
للمنافقون أن يسجدوا فيصير ظهريهم طبقا فلا يستطيعون السجود فعند ذلك يقال : وامتازوا اليوم أيها المجرمون (قوله ألم أعهد
إليك) الاستفهام للتوبيخ والتقريع ، والمراد بالعهد ما كفهم الله به على السنة رسله من الأوامر والنواهي (قوله أمركم)
أي وأنها كم فيه اكتفاء (قوله أن لا تصدوا الشيطان) أن تضيق به فيقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه ولا ناهية والفعل
محزوم بها (قوله إنه لكم عدو) (٣٠٨) مبين (قوله لوجوب الانتهاء) (قوله ولقد أضل منكم) تأكيد للتعليل

(و) يقول (أَمَّا الْيَوْمَ أَيُّهَا الْمَجْرُمُونَ) أي اهردوا عن المؤمنين عند اختلاطهم بهم
(أَلَمْ أَعْهَدْ إِلَيْكُمْ) آمركم (يَا بَنِي آدَمَ) على لسان رسل (أَنْ) (لَا تَعْبُدُوا الشَّيْطَانَ)
لأنطيعوه (إِنَّهُ لَكُمْ هَدُوٌّ مُبِينٌ) بين العداوة (وَأَنْ أَعْبُدُونِي) وحدوني وأطيعوني
(هَذَا صِرَاطٌ) طريق (مُسْتَقِيمٌ) وَلَقَدْ أَضَلَّ مِنْكُمْ جِبِلًّا خلاقا جمع جبيل كقديم
وفي قراءة بضم الباء (كثيْرًا أَفْلَمْ تَكُونُوا تَعْقِلُونَ) عداوته وإضلاله أو ما حل بهم من المذاب
فتؤمنون ، ويقال لهم في الآخرة (هَذِهِ جَهَنَّمُ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ) بها (أَصْلَوْهَا الْيَوْمَ
بِمَا كُنْتُمْ تَكْفُرُونَ) الْيَوْمَ نَخْتِمُ عَلَى أَفْوَاهِهِمْ (أي الكفار لقولهم : والله بنا ما كنا
مشركين (وَتُكَلِّمُنَا أَيْدِيهِمْ وَتَشْهَدُ أَرْجُلُهُمْ) وغيرها (بِمَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فكل
عضو ينطق بما صدر منه (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَمَسْنَا عَلَى أَعْيُنِهِمْ) لأعميناها طمسا (فَأَسْتَبْقُوا)
ابتدروا (الصِّرَاطَ) الطريق ذاهبين كما دتهم (فَأَنْتَ) فكيف (يُبْصِرُونَ) حينئذ ، أي
لا يبصرون (وَلَوْ نَشَاءُ لَمَسَخْنَاهُمْ) قردة وخنازير أو حجارة (عَلَى مَكَاتِهِمْ) وفي قراءة
مكائهم ، جمع مكانة بمعنى مكان ، أي في منازلهم (فَأَسْتَطَاعُوا مُضِيًّا وَلَا يَرْجِعُونَ)
أي لم يقدروا على ذهاب ولا مجيء (وَمَنْ نُهْزِرْهُ) بإطالة أجله (نُهْزِرْهُ) ،

(قوله جبلا) بضم الجيم
وسكون الباء وتخفيف
اللام (قوله وفي قراءة
بضم الباء) أي مع ضم
الجيم وبقي قراءة ثالثة
سبعة أيضا وهي بكسر
الجيم والباء وتشديد
اللام كسجل (قوله هذه
جهنم) هذا خطاب لهم
وهم على شفيع جهنم ،
والمقصود منه زيادة
التبكيت والتقريع (قوله
اصلوها) أي ذوقوا
حرارتها (قوله بما كنتم
تكفرون) أي بسبب
كفركم (قوله اليوم
نختم على أفواههم) أي
ختم يمنعها عن الكلام

النافع فلا ينافي قوله تعالى في الآية الأخرى : يوم تشهد عليهم ألسنتهم ، وهذا مرتبط بقوله : اصلوها اليوم . وفي

روى أنهم حين يقال لهم ذلك يجحدون ما صدر عنهم في الدنيا ويتخاصمون فيشهد عليهم جبرائيل وأهاليهم وعشائرهم
فيحلفون أنهم ما كانوا مشركين ويقولون لا نجيز هلينا شاهدا إلا من أنفسنا فيختم على أفواههم ويقال لأركانهم انظروا
فتنطق بما صدر منهم ، وحكمة إسناد الحتم لنفسه والشهادة للأيدي والأرجل دفع توهم أن نطقها جبر والمجبور غير مقبول
الشهادة فأفادك أن نطقها اختياري (قوله ولو نشاء لممسنا على أعينهم الخ) مفعول للشبهة محذوف أي لو نشاء طمسنا لهم
وقوله : فاستبقوا الصراط أي أزدوا أن يستبقوا الطريق المحسوس ذاهبين في حوائجهم وهو عطف على قوله طمسنا وقوله :
فأني يبصرون استفهام إنكارى مراتب على ما قبله أي فلا يبصرونه (قوله ولو نشاء لمسخناهم الخ) يقال فيها ما قبل فيها قبلها ،
والمسح تدمير الصور وعلى بمعنى في ، والمقصود من هاتين الآيتين تسليته صلى الله عليه وسلم وتودخ الكفار وإعلامهم بأن
الله قادر على إذهاب ما بهم من النعم في الدنيا وأنهم مستحقون ذلك لولا حلمه تعالى ، فهاتان الآيتان بمعنى قوله تعالى : قل
أرايتم إن أخذ الله معكم وأبصاركم الآية. (قوله ومن نهزره) أي من يكون في سابق علمنا طمسه بل العمر

(قوله وفي قراءة بالتشديد) أي وهما قراءتان سبعيتان ومعناها واحد ، والمعنى قلبه فلا يزال يتزايد ضعفه وتقص قواه عكس ما كان عليه أول الأمر (قوله أي خلقه) أي خلق جسده وقواه (قوله ضعيفا) مقابل قوته وقوله وهما مقابل وشباهه فهو لقب وضمير مرتب ، وهذا في خير الأنبياء عليهم الصلاة والسلام ، وأما هم فلا يمتريهم الضعف في العقل والبدن وإن طال عمرهم جدا ، واستعداده صلى الله عليه وسلم من الرد لأردل العمر لتعليم لأمنته ، ويلحق بالأنبياء العلماء العاملون فلا يهرمون ولا يضعفون بطول العمر بل يكونون على أحسن ما كانوا عليه (قوله أفلا يعقلون) الهمة داخلة على محذوف ، والتقدير أتركوا التفكير فلا يعقلون (قوله وفي قراءة) أي وهي سبغة أيضا (قوله وما علمناه الشعر) هذا تنزيه من الله تعالى لنبيه صلى الله عليه وسلم عن التهم فيما أوحاه الله إليه إذ لو كان لعقل فيه بعض اتهام لبطل الاحتجاج به (قوله رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر) أي وحينئذ فيصير المعنى ليس القرآن شعر لأن الشعر كلام مزخرف ، ووزن مقفى قصدا مبنى على خيالات وأوهام وإهية وابن ذلك من القرآن المرير الذي تنزه عن مماثلة كلام البشر (قوله وما ينبغي له) أي لا يصح ولا يليق منه لأن الشعر شأنه الأكاذيب وهي عليه مستحبة ، ولذا قيل : أهذبه أكذبه ، فتصل أن النبي لا ينبغي له الشعر ولا يليق منه . إن قلت إنه تمثل بقول طرفة : سنبدي لك الأيام ما كنت جاهلا ويأتيك بالأخبار من لم تزود (٣٠٩) وأنشأ من نفسه قوله :

أنا للنبي لا كاذب
أنا ابن عبد للطلب
وقوله :

هل أنت إلا أصبح دميت
وفي سبيل الله مالتيت
قلت أحسن ما أجيب به
أن إنشاده بيت طرفة
 وإنشاء البيتين المتقدمين
لم يكن عن قصد وإنما
وافق وزن الشعر كما في
بعض الآيات القرآنية
فليس كل من قال قولا
موزونا لا يقصد به الشعر
شاعرا وإنما وافق وزن
الشعر (قوله لينذر)

وفي قراءة بالتشديد من التنكيس (في الخلق) أي خلقه فيكون بمد قوته وشباهه ضعيفا وهما (أفلا يمتثلون) أن اتقوا على ذلك المعلوم عندهم قادر على البعث فيؤمنون وفي قراءة بالتاء (وما علمناه) أي النبي (الشعر) رد لقولهم إن ما أتى به من القرآن شعر (وما ينبغي) يسهل (له) (الشعر) (إن هو) ليس الذي أتى به (إلا ذكر) عظة (وقرآن مبين) مظهر للأحكام وظهرها (لينذر) بالياء والتاء به (من كان حيا) يعقل ما يخاطب به وهم المؤمنون (ويحق القول) بالذباب (على الكافرين) وهم كالميتين لا يعقلون ما يخاطبون به (أولم يروا) يعلموا والاستفهام للتحذير والواو الداخلة عليها للمطف (أنا خلقنا لهم) في جملة الناس (بما همأت أيدينا) أي علمناه بلا شريك ولا معين (أنشأنا) هي الإبل والبقر والغنم (فهم لما مالكون) ضابطون (ودللناها) سخرناها (لهم فيها ركوبهم) مركوبهم (ومنها يأكلون) ولهم فيها مفاعض (كأصوافها وأبارها وأشجارها) (ومشارب) من لبنها جمع مشرب بمعنى شرب ، أو موضعه (أفلا يشكرون) النعم عليهم بها فيؤمنون ،

متعلق بمحذوف دل عليه ما قبله (قوله بالياء والتاء) أي وهما قراءتان سبعيتان (قوله وهم يؤمنون) أي وخصوا بالذكور لأنهم المنتفعون به (قوله وهم كالميتين) أخذ هذا من القاطبة في قوله : من كان حيا (قوله والاستفهام للتحذير) أي وهو حمل المخاطب على الإقرار بالحكم (قوله والواو الداخلة عليها للمطف) هذه العبارة تحتل التقريرين السابقين في نظير هذه الآية وما أن الهمة إما مقدمة من تأخير لأن لها الصدارة والواو عاطفة على قوله فيما تقدم - ألم يروا كم أهلكنا قبلهم من القرون - أو داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه ، والتقدير ألم يتفكروا ولم يروا (قوله أنا خلقنا لهم) اللام للحكمة أي حكمة خلقنا ذلك انتفاعهم (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أن هذه النعم ليست مقصورة عليهم بل لهم وغيرهم (قوله بما عملت أيدينا) هذا كناية عن الحصر فيه سبحانه وتعالى ، وهذا كقول الإنسان كتبته يدي مثلا بمعنى أنني افتردت به ولم يشاركني فيه غيري فهو كناية عرفية (قوله أنعمنا) خصها بالذكور لأن منافعتها أكثر من غيرها (قوله ضابطون) أي قاهرون مذليون ، والأحسن أن يفسر قوله : مالكون بالملك الشرعي أي يتصرفون فيها بسائر وجوه التصرفات الشرعية ليكون قوله : ودللناهم تأسيسا لنعمة أخرى لا تقبل لما قبله (قوله كأصوافها) أي وجلودها ونسلها وغير ذلك (قوله أو موضعه) أي وهو الضروع

(قوله أى ما فعلوا ذلك) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى وأن قوله واتخذوا الخ عطف على محذوف (قوله يصنعونها) تفسير
 لاتخاذ (قوله لعلمهم ينصرون) الجملة حالية والمعنى حال كونهم راجين النصر منهم (قوله نزلوا منزلة العقلاء) أى لما كلة عبادهم
 لعبع عنهم بصيغه جمع المذكور (قوله وهم لهم جند الخ) هم مبتدأ وجند خبر أول. ولهم متعلق بجند وحضرون خبر ثان (قوله
 أى آلهتهم من الأصنام) هذا أحد وجهين والآخر أنه عائد على الكفار والمعنى يقومون بمصالحها فهم لما بمنزلة الجند وهى
 لا يستطيع أن تنصرهم (قوله محضرون في النار) أى ليعذبوا بهم (قوله فلا يحزنك قولهم) هذا تسلية له صلى الله عليه وسلم
 والمعنى لا تحزن من قولهم بل اتركه ولا تلتفت له (قوله إنا نعلم الخ) تليل لانهى قبله (قوله فنجازيهم عليه) أى على ما صدر
 منهم سرا وعلاية خيرا أو شرا (قوله أولم ير الإنسان) في المزمرة التثريان السابقان وما كونها مقدمة من تأخير أو عاطفة على
 محذوف والتقدير أحمى ولم ير (قوله وهو العاصى بن وائل) وقيل زلت في أبى بن خلف الجمحي ولكن العبارة بعموم اللفظ
 لا بخصوص السبب (قوله أنا) (٣١٠) خلقناه من نطفة) أى قدرة خفية وللصود التخصيص من جهله حيث تصدى

لخاصة العزيز الجبار ولم
 يتفكر في بدء خلقه وأنه
 من نطفة (قوله فإذا هو
 خصيم مبين) عطف على
 جملة للنبي (قوله في نفي
 البعث) متعلق بخصيم
 (قوله وضرب لنا مثلا)
 أى أورد كلاما عجيبا
 في الترابية كالمثل حيث
 قلنا قدرتنا على قدرة
 الخلق (قوله ونسى خلقه)
 أى ذهل عنه وهذا
 عطف على ضرب داخل
 في حيز الإنكار وإضافة
 خلق للضمير من إضافة
 للمصدر لمفعوله : أى خلق
 الله إياه (قوله قال من
 يحيى العظام الخ) بيان

أى ما فعلوا ذلك (وَاتَّخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى غيره (آلِهَةً) أصناما يعبدونها (لَعَلَّهُمْ
 يَنْصَرُونَ) يبنمون من عذاب الله تعالى بشفاعة آلهتهم بزعمهم (لَا يَسْتَطِيعُونَ) أى آلهتهم
 نزلوا منزلة العقلاء (نَصَرَهُمْ وَهُمْ) أى آلهتهم من الأصنام (لَهُمْ جُودٌ) بزعمهم نصرهم (مُحْضَرُونَ)
 في النار معهم (فَلَا يَحْزَنُكَ قَوْلُهُمْ) لك لست مرسلا وغير ذلك (إِنَّا نَعْلَمُ مَا يُسِرُّونَ
 وَمَا يُعْلِنُونَ) من ذلك وغيره فنجازيهم عليه (أَوَلَمْ يَرَ الْإِنْسَانُ) يعلم وهو العاصى
 ابن وائل (أَنَا خَلَقْنَاهُ مِنْ نُطْفَةٍ) منى إلى أن صيرناه شديدا قويا (فَإِذَا هُوَ خَصِيمٌ)
 شديد الخصومة لنا (مُبِينٌ) بينها في نفي البعث (وَضَرَبَ لَنَا مَثَلًا) في ذلك (وَنَسِيَ)
 خَلْقَهُ) من الذى وهو أغرب من مثله (قَالَ مَنْ يُحْيِي الْعِظَامَ وَهِيَ رَمِيمٌ) أى بالية ولم يقل
 بالتاء لأنه اسم لاصفة ، وروى أنه أخذ عظما رميا فقتته وقال لنبي صلى الله عليه وسلم أترى
 يحيى الله هذا بعد ما بلى ورم ؟ قال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار (قُلْ يُحْيِيهَا
 الَّذِي أَنْشَأَهَا أَوَّلَ مَرَّةٍ وَهُوَ بِكُلِّ خَلْقٍ عَلِيمٌ) مجلا ومفصلا قبل خلقه وبعد خلقه
 (الَّذِي جَلَّلَ لَكُمْ) في جملة الناس (مِنْ الشَّجَرِ الْأَخْضَرِ) الرِّيح والتفكير أو كل شجر
 إلا العناب (نَارًا فَإِذَا أَنْتُمْ مِنْهُ تُوقَدُونَ) تقدحون وهذا قال على القدرة على البعث فإنه
 جمع فيه بين الماء والنار ،

والحشب

لضرب المثل (قوله ولم يقل بالتاء الخ) أشار بذلك إلى سؤال حامله ان ضيلا بمعنى فاعل يفرق به

بين المذكر والمؤنث بالتاء فكان مقتضى القاعدة أن يقال ربيعة فأجاب المفسر بأن محل ذلك إذا لم تطلب عليه الإسمية فإذا صار اسما
 بالثنية لما بلى من العظام فلا تلحقه التاء في مؤنثه (قوله فقال صلى الله عليه وسلم نعم ويدخلك النار) أخذ من هذا أنه مقطوع
 بكفره وخلوده في النار وزيادة ذلك في الجواب لأنه متعنت لامتنعهم وجزاء المنعت المنكر أن يجاب بما يكره وبتدمايترب
 ويسمى عند علماء البلاغة الأسلوب الحكيم (قوله الذى أنشأها) أى أوجدها من العدم (قوله وهو بكل خلق عليم) أى بكيفية
 خلقها وبأجزاء الأشخاص تفصيلا (قوله الذى جعل لكم الخ) بدل من الموصول قبله (قوله في جملة الناس) أشار بذلك إلى أنه
 ليس مخصوصا بالكفار بل لجميع الخلق (قوله الرِّيح) بفتح الميم وسكون الراء وبالحاء المعجمة شجر مريح القدح وقوله العنار
 بفتح العين المهملة بعدها فاء مفتوحة فأنف فراء وكيفية إبعاد النار منهما أن يجعل العنار كالزند يضرب به على الرِّيح ، وقيل
 يؤخذ منهما غصنان خضراوان. ويسحق الرِّيح على العنار فتخرج منهما النار باذن الله تعالى (قوله أوكل شجر) أى وقد شؤهد في
 بضعه كالبرسيم إذا وضع بعضه على بعض وهو أخضر مدة فإنه يحرق نفسه وما حوله (قوله إلا العناب) أى ولذلك تؤخذ منه مطارق القصارين

(قوله والحشب) فتحتين أو ضميتين أو ضم تكون (قوة أو ليس الذي) للمزة داخلة على محذوف وللولو عطفة عليه تقديره أليس الذي أنشأها أول مرة وليس الذي جعل لكم من الشجر الأخضر نارا وليس الذي خلق السموات والأرض بقادر (قوله أي الأناسي) تفسير الضمير (قوله بلى) جواب تقرير النفي وهو صادر منه تعالى إشارة إلى تعيينه قائله أولا (قوله وهو الخلاق العليم) عطف على مقدر قدره بلى هو قادر وهو الخلاق العليم (قوله أن يقول له سكن) في الكلام استعارة تمثيلية وتقريرها أن يقال شبه سرعة تأثير قدرته ونفاذها فيما يريد به أمر المطاع للطبع في حصول المأمور به من غير امتناع ولا توقف وحيث قد فنى أن يقول له كن أن تتعلق به قدرته تعلقا تنجيزيا (قوله سبحانه الذي الخ) أي تزيجه مما لا يليق به (قوله وإليه ترجعون) قرأ العامة يثنائه للفضول ، وقرئ شعوذا يثنائه للفاعل .

[تمة] تقدم في فضل يس أنها قلب القرآن ووجه ذلك أنها اشتملت على الوجدانية والرسالة والحشر والإيمان بذلك متعلق بالقلب فذلك سميت قلبا ومن هنا أمر بقراءتها عند المحضر وعلى (٣١١) الميت ليكون القلب قد أقبل

على الله تعالى ورجع
عما سواه فيقرأ عنده
ما يزداد به قوة ويقينا .
[سورة والصفات مكية]
أي بالاجتماع وسميت باسم
أول كلمة منها من باب تسمية
الشيء باسم بعضه على حكم
عادته سبحانه وتعالى في كتابه
(قوله والصفات الخ) الواو
حرف قسم وجرو الصفات
مقسم به مجرور وما بعده
عطف عليه وقوله - إن
المحكم لواحد - جواب
القسم وهو للقسم عليه
والعنى وحق الصفات وحق
الزاجرات وحق التاليات
وإنما خص ما ذكر أعظم
قدرها عنده ولا يعكر

والحشب فلا للياه يطقى النار ولا النار تحرق الحشب (أَوَ لَيْسَ الَّذِي خَلَقَ السَّمَوَاتِ
وَالْأَرْضَ) مع عظمهما (بِقَادِرٍ عَلَى أَنْ يَخْلُقَ مِثْلَهُمْ) أي الأناسي في الصغر ؟ (بَلَى)
أي هو القادر على ذلك أجاب نفسه (وَهُوَ الْخَلَّاقُ) الكثير الخلق (الْعَلِيمُ) بكل شيء
(إِنَّمَا أَمْرُهُ) شأنه (إِذَا أَرَادَ شَيْئًا) أي خلق شيء (أَنْ يَقُولَ لَهُ كُنْ فَيَكُونُ)
أي فهو يكون وفي قراءة بالنصب عطفًا على يقول (فَسُبْحَانَ الَّذِي يَدِيرُ مَلَكُوتُ) ملك
زيدت الواو وللتناء للمبالغة : أي القدرة على (كُلِّ شَيْءٍ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ) تردون في الآخرة .

(سورة والصفات)

مكية ، مائة واثنان وخمسون آية

(يَسْمِعُ اللَّهُ الْمُتَضَمِّنِينَ الرَّحِيمِ . وَالصَّافَاتِ صَفًا) للملائكة نصف قومها في العبادة أو
أجنتها في الهواء تنتظر ما تؤمر به (فَالزَّاجِرَاتِ زَجْرًا) للملائكة تزجر للسحاب أي
تسوقه (فَالتَّالِيَاتِ) أي قراء القرآن يطلونه (ذِكْرًا) مصدر من معنى التاليات ،

عليه ما ورد من النهي عن الحلف بغير الله لأن النهي للخلق حذرا من تعظيم غير الله وأما هو سبحانه وتعالى فيقسم ببعض مخلوقاته
للتعظيم كقوله والشمس والليل والنسج والنجم . وغير ذلك (قوله للملائكة نصف نفوسها الخ) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف . إن قلت
إن التاء في الصفات وما بعدها التائيت والملائكة منزّهون عن الانصاف بالآئونة كآلة كورة . أجيب بأنها التائيت اللفظي والمنزهون
عنه التائيت المعنوي وقوله للملائكة هو أحد أقوال في تفسير الصفات وقيل المراد المجاهدون أو المصلون أو الطير نصف أجنتها
(قوله في العبادة) أي في مقاماتها المطلوبة (قوله أو أجنتها في الهواء) أي ومعنى صفها بسطها (قوله تنتظر ما تؤمر به) أي من
صعود وهبوط (قوله فالزاجرات زجرا) الفاء لترتيب باعتبار الوجود الخارجي لأن مبدأ الصلاة الاصطفاف ، ثم يعقبه زجر
النفس ، ثم يعقبه التلاوة وهكذا ، ويحتمل أنها لترتيب في المزايا ثم هو إما باعتبار الترقى فالصفات ذوات فضل فالزاجرات أفضل
فالتاليات أكثر فضلا ، أو باعتبار التدلى فالصفات أعلى ثم الزاجرات ثم التاليات وكل صحيح (قوله للملائكة تزجر السحاب) وقيل
المراد بهم العلماء تزجر العصاة (قوله مصدر من معنى التاليات) ويصح أن يصحكون مفعولا للتاليات والمراد بالله ذكر القرآن
وغيره من تسبيح وتحميد والبراد بهم هنا كل ذاكر من ملائكة وغيرهم .

(قوله إن الحكم لو احد) إن قلت ما حكمة ذكر القسم هنا لأنه إن كان المقصود التوأمين فلا حاجة له لأنهم مصدقون ولو من غير قسم ، وإن كان المقصود الكفار فلا حاجة له أيضا لأنهم غير مصدقين على كل حال . أجيبت بأن المقصود منه تأكيد الأدلة التي تقدم تفصيلها في سورة يس ليزداد الذين آمنوا إيمانا ويزداد الكافر طردا وبعدا (قوله رب السموات والأرض) إما بدل من واحد أو خبر ثان أو خبر لمخدوف (قوله أي والمغرب) أشار بذلك إلى أن في الآية اكتفاء على حد سراييل فيكم الحر وإنما اقتصر على الشارق لأن نفسه أعم من الغروب . إن قلت إنه تعالى جمع الشارق هنا وحذف مقابله وجهها في سأل وثناها في الرحمن وأفردناها في الزمّل فما وجه الجمع بين هذه الآيات . أجيبت بأن الجمع باعتبار مشرق كل يوم ومغربه لأن الشمس لها في السنة ثلاثمائة وستون مشرقا وثلاثمائة وستون مغربا فتنشق كل يوم من مشرق منها وتغرب كل يوم في مقابله من تلك المغرب والتفتية باعتبار مشرق الصيف ومشرق الشتاء ومغربيهما والأفراد باعتبار مشرق كل سنة ومغربها ولخص الجمع بهذه السورة لمناسبة جموع أولها (قوله السماء الدنيا) أي القربى من الأرض (قوله زينة الكواكب) اختف الطلاء هل الكواكب في سماء الدنيا أو ثوابت (٣١٣) في العرش وضوؤها يصل لسماء الدنيا لأن السموات شفافة لا تحجب

ما وراءها (قوله بضوئها) أي نورها ولولاه لكانت السماء شديدة الظلمة عند غروب الشمس وقوله أو بهما أي إن ذات الكواكب زينة لسماء الدنيا فإن الإنسان إذا نظر في الليلة المظلمة إلى السماء ورأى هذه الكواكب مشرقة على سطح أزرق وجدها في غاية الزينة (قوله للبيئة بالكواكب) أي فعلى قراءة التنوين مع جر الكواكب تكون الكواكب عطفا عليها

(إِنَّ الْحُكْمَ) يَا أَهْلَ مَكَّةَ (لَوَاحِدُ رَبِّ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا وَرَبُّ الْمَشَارِقِ) أي والمغرب للشمس لها كل يوم مشرق ومغرب (إِنَّا زَيْنًا السَّمَاءِ الدُّنْيَا زِينَةً الْكَوَاكِبِ) أي بضوئها أو بها ، والإضافة للبيان كقراءة تنوين زينة للبيئة بالكواكب (وَحِفْظًا) منصوب بفعل مقدر ، أي حفظناها بالشهب (مِنْ كُلِّ) متعلق بالمقدر (شَيْطَانٍ مَّارِدٍ) عاتٍ خارج عن الطاعة (لَا يَسْمَعُونَ) أي الشياطين مستأنف ومما هم هوى المعنى المحفوظ عنه (إِلَى الْمَلَأِ الْأَعْلَى) للملائكة في السماء ، وعدى السماع إلى لتضمنه معنى الإحصاء وفي قراءة بتشديد الميم والسين أصله يسمعون أذعنت القاء في السين (وَيُتَذَفُّونَ) أي للشياطين بالشهب (مِنْ كُلِّ جَانِبٍ) من آفاق السماء (دُحُورًا) مصدر دحره أي طرده وأبعده وهو مفعول له (وَلَهُمْ) في الآخرة (عَذَابٌ وَاصِبٌ) دائم (إِلَّا مَنْ خَطِفَ الْخَطْفَةَ) مصدر أي المرة والاستثناء من ضمير يسمعون أي لا يسمع إلا الشيطان الذي سمع الكلمة من الملائكة فأخذها بسرعة (فَأَتْبَعَهُ شِهَابٌ) كوكب مضى (ثَاقِبٌ) ،

يشبه

ويبقى قراءة ثلاثة سبعة وهي تنوين زينة ونصب الكواكب على أنه مفعول لمخدوف

تقديره أعنى الكواكب (قوله بفعل مقدر) أي معطوف على زينا (قوله من كل شيطان مارد) وكانوا لا يحبون من السموات وكانوا يدخلونها ويأتون بأخبارها فيلقونها على الكهنة ، فلما ولد عيسى عليه الصلاة والسلام منعوا من ثلاث سموات فلما ولد محمد عليه الصلاة والسلام منعوا من السموات كلها فلما منهم أحد يريد استراق السمع إلا رمى بهاب وهو الشعلة من النار فلا يخطئه أبدا فمنهم من يقتله ومنهم من يحرق وجهه ومنهم من يخبله فيصير غولا يضل الناس في البراري (قوله مستأنف) أي لبيان حالهم بعد حفظ السماء منهم وما يعترهم من العذاب (قوله وفي قراءة) أي وهي سبعة أيضا (قوله أذعنت التاء في السين) أي بعد قلبها سينا وإسكانها (قوله من آفاق السماء) أي نواحيها وجناتها (قوله والاستثناء من ضمير يسمعون) أي ومن في جهنم رفع بدل من الواو أو في محل نصب على الاستثناء والاستثناء على كل متصل ، ويجوز أن تكون من شرطية وجوابها فأتبعه أو موصولة مبتدأ وخبرها فأتبعه وهو استثناء منقطع كقوله تعالى لست عليهم بمسيطر إلا من تولى وكفر (قوله فأتبعه شهاب ثاقب) إن قلت تقدم أن الكواكب ثابتة في السماء أو في العرش زينة ومقتضى كونها رجوما للشياطين أنها تنفصل وتزول فكيف الجمع بين ذلك . أجيبت بأنه ليس المراد أن الشياطين يرجون بذات الكواكب بل تنفصل منها

شبه نزل على الشياطين والكواكب بالية بحالها . إن قلت إن الشياطين خلقوا من النار فكيف يحترقون . أجيب بأن الأقوى يحرق الأضعف كالحديد يقطع بفضه . إن قلت إذا كان الشيطان يعلم أنه لا يصل لمقصوده بل يصاب فكيف يعود مرة أخرى . أجيب بأنه يرجو وصوله لمقصوده وسلامته كراكب البحر فإنه يشاهد الفرق المرة بعد المرة و يعود طمعا في السلامة (قوله يشقه) أى بحيث يموت من قبه ، وقوله أو يحرقه أو يموت أيضا وأوفى كلام المفسر للتنويع وهو لا ينافى وصف الشهاب بالثائب لأن معنى الثائب المضيء أى الذى يثقب الظلام خلافا لما يورمه المفسر (قوله أو يخبله) الخبل بسكون الباء وفتحها الجنون والبله ويطاق أيضا على من فسدت أعضاؤه (قوله فاستفتهم الخ) المقصود من هذا الكلام الرد على منكرى البعث حيث ادعوا أنه مستحيل . وحاصل الرد أن يقال لهم إن استحالته التى تدعونها إما لعدم المادة وهو مردود بأن غاية الأمر تغيير الأجزاء ترابا وهو قادر على أن ينزل عليه ماء فيصير طينا وقد خاق أباهم آدم من طين أو لعدم القدرة وهو مردود بأن القادر على هذه الأشياء العظام من السموات والأرض وغيرها قادر على إعادتهم ثانيا وقدرته ذاتية لا تتغير فهذه آية نظير قوله تعالى «أتم أشد خلقا أم السماء منها الخ (قوله أهم أشد خلقا) أى أقوى خلقا أو أصعب أو أشق إيجادا (٣١٣)

(قوله أم من خلقنا) قرأ العامة بتشديد الميم وقرئ شذوذا بتخفيفها وهو استفهام ثان ومن مبتدأ خبره محذوف دل عليه ما قبله أى أشد خلقا (قوله لازب) من باب دخل وقوله يلقى باليد أى لأنه لضعفه لا قوام له بنفسه (قوله المعنى أن خلقهم الخ) التفت للمفسر إلى أنه توبيخ لهم على التكبر والعناد الذى منه إنكار البعث (قوله بل عجبت) بضرب عن الأمر بالاستفتاء كأنه قال

يشقه أو يحرقه أو يخبله (فَاسْتَفْتِهِمْ) استخبر كفار مكة تقريراً أو توبيخاً (أَهُمْ أَشَدُّ خَلْقًا أَمْ مَنِ خَلَقْنَا) من الملائكة والسموات والأرضين وما فيها ، وفى الإتيان بمن تغليب المقلاء (إِنَّا خَلَقْنَاهُمْ) أى أصلهم آدم (مِنْ طِينٍ لَّازِبٍ) لازم يلقى باليد ، المعنى أن خلقهم ضعيف فلا يتكبروا بإنكار النبي والقرآن المؤدى إلى هلاكهم اليسير (بَلْ) للانتقال من غرض إلى آخر وهو الإخبار بحاله وحالهم (عَجِبْتَ) فتحت التاء خطابا للنبي صلى الله عليه وسلم أى من تكذيبهم إياك (وَمَنْ يَسْخَرُونَ) من تعجبك (وَإِذَا ذُكِّرُوا) وعظوا بالقرآن (لَا يَذْكُرُونَ) لا يتفكرون (وَإِذَا رَأَوْا آيَةً) كأنشقاق القمر (يَسْتَسْخِرُونَ) يستهزئون بها (وَقَالُوا) فيها (إِنْ) ما (هَذَا إِلَّا سِحْرٌ مُّبِينٌ) بين ، وقالوا منكرين للبعث (وَإِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا) إِنَّا كَمَبْعُوثُونَ فى الممرتين فى الموضعين التحقيق وتسهيل الثانية وإدخال ألف بينهما على الوجهين (أَوْ آبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ) بسكون الواو عطفاً بأو ، وفتحها والمهزة للاستفهام والمطاف بالواو ، والمطوف عليه محل إن واسمها أو الضمير فى لمبعوثون ،

لاستفهام فانهم جاهلون معاذون لا منفعة فى استفثتهم بل نظر إلى حالهم والمقصود منه توبيخهم صلى الله عليه وسلم (قوله بفتح التاء) أى وضمها قراءتان سبعيتان وعلى الضم فالتعجب الله تعالى ومعناه فى حقه الغضب والمواخذة على حد ومكروا ومكر الله . والمعنى يجازيهم على تكذيبهم إياك وقد يطلق التعجب فى حق الله تعالى على الرضا المحبة كفى الحديث «عجب ربك من شاب ليس له صوبة» (قوله وهم يسخرون من تعجبك) أى أو من تعجبى أى غضبى عليهم وعجازأتى لهم على كفرهم (قوله لا يتعظون) أى لقيام الغفلة بهم (قوله أنذا متنا الخ) أصل الكلام أنبعت إذا متنا وكنا ترابا وعظاما فقدموا الظرف وكرروا المهزة وأخروا العامل وعدلوا به إلى الجملة الاسمية لقصد الدوام والاستمرار إشعارا بأنهم مبالغون فى الإنكار (قوله وإدخال ألف بينهما) أى تركه فالقراءات أربع فى كل موضع وبقي قراءتان سبعيتان أيضا الأولى بالفتن والثانية بواحدة والعكس وبسط تلك القراءات يعلم من كتبها (قوله وفتحها) أى والقراءتان سبعيتان هنا وفى الواقعة وتقدم فى الأعراف أو امن أهل القرى (قوله لا استفهام) أى الاسكارى (قوله أو الضمير فى لمبعوثون) أى على القراءة الثانية فيكون مبعوثون عاملا فيه أيضا . إن قلت إن ما بعد همزة الاستفهام لا يعمل فيه ما قبله فكان الأولى أن يجعل مبتدأ خبره محذوف تقديره أو آباؤنا يبعثون

أجيب بأنها مؤسدة للأولى .

لامتصودة بالاستقبال فالعبرة بتقديم اللؤكد لاللؤكد (قوله والفاصل) أي بين اللطوف عليه وهو ضمير الرفع المستتر و بين
 للطوف وهو آياؤنا فتحصل أنه على قراءة سكون الواو تعين المثلث على عمل إن واسمها لاخير وعلى قراءة فتحها يجوز هذا
 الوجه ويجوز كونه معطوفا على الضمير المستتر لمبعوثون ويكفي الفصل بهمة الاستفهام على حد قول ابن مالك أو فاصل ما
 (قوله وأنتم داخرون) الجملة حالية والعامل فيها معنى لم كانه قيل تبعثون والحال أنكم صاغرون لخروجهم من قبورهم حاملين
 أو زلوم على ظهورهم (قوله فأما هي زجرة الخ) هذه الجملة جواب شرط مقدر أو تليل لشيء مقدر تقديره إذا كان الأمر
 كذلك فأما هي الخ أو لاستصعوبه فأما هي الخ (قوله أي صيحة واحدة) أي وهي النفخة الثانية (قوله فإذا هم ينظرون)
 أي ينتظرون (قوله لافعل له من لفظه) أي بل من معناه وهو هلك (قوله وتقول لهم اللائكة) أشار بذلك إلى أن الوقت
 ثم هند قوله : ياويلنا وما بعده كلام مستقل وهذا أحد احتمالات ، ويحتمل أنه من كلام بعضهم لبعض ، ويحتمل أنه من كلام
 الله تعالى تبكياتهم ، ويحتمل أنه من كلام المؤمنين لهم (قوله احشروا الذين ظلموا) أي من مقامهم إلى الموقف أو من الموقف
 إلى النار (قوله قرأهم من (٣١٤) الشياطين) هذا أحد أقوال ، وقيل للراد بأزواجهم نساؤهم اللاتي طي دينهم ،

والفاصل همزة الاستفهام (قل نعم) تبعثون (وأنتم داخرون) صاغرون (فأما هي)
 ضمير مبهم يفسره (زجرة) أي صيحة (واحدة) أي الخلائق أحياء (ينظرون)
 ما يفعل بهم (وقالوا) أي الكفار (يا) للتنبيه (ويلنا) هلاكنا وهو مصدر لافعل له من
 لفظه وتقول لهم اللائكة (هذا يوم الدين) أي الحساب والجزاء (هذا يوم الفصل) بين
 الخلائق (الذي كنتم به تكذبون) ويقال لللائكة (احشروا الذين ظلموا) أنفسهم
 بالشرك (وأزواجهن) قرأهم من الشياطين (وما كانوا يعبدون . من دون الله) أي غيره
 من الأوثان (فاهدوهم) دلوم وسوقهم (إلى صراط الجحيم) طريق النار (وقفوههم)
 احبسهم عند الصراط (إنهم مسئولون) عن جميع أقوالهم وأفعالهم ، ويقال لهم توبيخا (مالككم
 لا تناصرون) لا ينصر بعضهم بعضا كحالكم في الدنيا ، ويقال عنهم (بل هم اليوم
 مستسلمون) منقادون أذلاء (وأقبل بعضهم على بعض يتساءلون) يتلاومون ويتخاصمون
 (قالوا) أي الأتباع منهم للتبوعين (إنكم كنتم تأتوننا عن اليمين) عن الجهة التي كنا
 نأمنكم منها لحلفكم إنكم على الحق فصدقناكم واتبعناكم المعنى أنكم أضلتمونا (قالوا) أي المتبعون
 لهم (بل لم تكونوا مؤمنين) وإنما يصدق الإضلال منا أن لو كنتم مؤمنين ،

وقيل أشباههم وأخلاؤهم
 من الانس لأن زوج
 الله يطاق على مقاربه
 وجانسه فيقال لجموع
 فردى الحف زوج
 ولأحدهما زوج (قوله
 من الأوثان) أي كالأصنام
 والشمس والقمر (قوله
 إنهم مسئولون) بكسر
 الهمزة في قراءة العامة على
 الاستئناف وفيه معنى
 التليل وقرئ بفتحها
 على حذف لام العلة ، والمعنى
 قفوم لأجل سؤال الله
 إليهم (قوله عن جميع
 أقوالهم وأفعالهم) أي لما
 في الحديث « لا تزول قدم

فرجتم

ابن آدم يوم القيامة حتى يسئل عن أربع عن شباه فيما أبلاه وعن همزه فيما أفناه

وعن ماله من أين اكتسبه وفيما أفنقه وعن علمه ماذا عمل به (قوله ويقال لهم) أي والفاضل خزنة جهنم (قوله كحالكم في الدنيا)
 تشبيه في المنى (قوله ويقال عنهم) أي في شأنهم على سبيل التوبيخ (قوله وقبل بعضهم) أي بعض الكفار يوم القيامة ، وهذا
 بمعنى ما تقدم في سورة سبأ في قوله - ولوترى إذ الظالمون موقوفون عند ربهم يرجع بعضهم إلى بعض القول - (قوله يتلاومون
 ويتخاصمون) أي يلوم بعضهم بعضا ويخاصم بعضهم بعضا كما قال تعالى في شأنهم - كادخلت أمة لعنت أختها - بخلاف تسأل
 المؤمنين في الجنة فهو شكر وتحدث بنم الله عليهم (قوله عن اليمين) يطلق على الحلف والجراحة العلومة والقوة والدين والجر
 والآية محتملة لتلك المعاني والمفسر اختار الأول وعليه فمن معنى من ، والمعنى كنتم تأتوننا من الجهة التي كنا نأمنكم منها فتلك
 الجهة مصورة بحلفكم أنكم على الحق الخ (قوله المعنى أنكم أضلتمونا) هذا المعنى هو للراد على جميع الاحتمالات لاعلى ما قاله
 المفسر فقط (قوله قالوا بل لم تكونوا مؤمنين الخ) أجابوا بأجوبة خمسة آخرها : فأفويضا كم إنا كنا ظالمين ، والمعنى أنكم
 لم تصفوا بالإيمان في حال من الأحوال (قوله أن لو كنتم مؤمنين) أي لو أنتم بالإيمان

(قوله فرجتم عن الإيمان إلينا) أى باضلائنا وإضوائنا كأنهم قالوا لهم إن من آمن لا يطيعنا ثبات الإيمان في قلبه فلو حصل منكم الإيمان لما أطمعتمونا (قوله قول ربنا) أى وعيده ومفعول القول محذوف قدره بقوله : لأملأن جهنم الخ (قوله ١٢ لداثقون) إخبار منهم عن جميع الرؤساء والأتباع بأذاقة العذاب (قوله فأغويننا كم) أى تسبينا لكم في الغواية من غير إكراه فلا ينافي ما قبله (قوله إنا كنا غاوين) أى فأحيننا لكم ما قام بأنفسنا لأن من كان متصفا بصفة شنيعة يجب أن يتصف بها غيره لتبون للصيبة عليه (قوله يوم القيامة) أى حين التحاور والتخاصم (قوله كما يفعل هؤلاء) أى عبدة الأصنام ، وقوله غير هؤلاء : أى كالتصارى واليهود (قوله لأنهم كانوا الخ) أى عبدة الأصنام ، وسبب ذلك «أن النبي صلى الله عليه وسلم دخل على أى طالب عند موته وقرىض مجتمعون عنده فقال : قولوا لا إله إلا الله تملكوا بها العرب وتدين لكم بها العجم ، فأبوا وأغفوا من ذلك وقالوا : أننا لتاركوا آلهتنا الخ» (قوله يستكبرون) أى يتكبرون (٣١٥) عن قولها وعلى من يدعوهم

إليها (قوله في همزيه مانقذم) أى من التحقيق فيها وتسهيل الثانية بألف ودونها فالقراءات أربع (قوله لتاركوا آلهتنا) من إضافة اسم الفاعل لمفعوله أى لتاركون آلهتنا، والهي لتاركون عبادتها (قوله بل جاء بالحق الخ) رد عليهم بأن ما جاء به من التوحيد حق موافق فيه للرسلين قبله (قوله فيه التفات) أى من الغيبة إلى الخطاب زيادة في التوبيخ عليهم (قوله إلا ما كنتم تعملون) أى فالشر يكون جزاؤه بقدره بخلاف الخير جزاؤه بأضعاف مضاعفة (قوله استثناء منقطع) أى من الواو

فرجتم عن الإيمان إلينا (وَمَا كَانَ لَنَا عَلَيْكُمْ مِنْ سُلْطَانٍ) قوة وقدرة تفهركم على متابعتنا (بَلْ كُنْتُمْ قَوْمًا طَاغِينَ) ضالين مثلنا (فَنَحَقْ) وجب (عَلَيْنَا) جميعاً (قَوْلُ رَبَّنَا) بالعذاب أى قوله : لأملأن جهنم من الجنة والناس أجمعين (إِنَّا) جميعاً (لَدَاثِقُونَ) العذاب بذلك القول ، ونشأ عنه قولهم (فَأَغْوَيْنَا كُمْ) اللعل بقولهم (إِنَّا كُنَّا غَاوِينَ) قال تعالى (فَإِنَّهُمْ يَوْمَئِذٍ) يوم القيامة (فِي الْعَذَابِ مُشْتَرِكُونَ) أى لاشتراكهم في الغواية (إِنَّا كَذَلِكَ) كما فعل هؤلاء (فَعَمَلُ الْيَاغُرِ مِيعَ) غير هؤلاء أى نذبتهم التابع منهم والتبوع (إِنَّهُمْ) أى هؤلاء بقرينة ما بعده (كَانُوا إِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ يَسْتَكْبِرُونَ . وَيَقُولُونَ أَئِنَّا) في همزيه ما تقدم (لَتَارِكُوا آلِهَتِنَا لِإِشَاعِرِ مَجْنُونٍ) أى لأجل قول محمد قال تعالى (بَلْ جَاءَ بِالْحَقِّ وَصَدَقَ الْمُرْسَلِينَ) الجائين به وهو أن لا إله إلا الله (إِنْ كُنْمْ) فيه التفات (لَدَاثِقُوا الْعَذَابَ الْأَلِيمَ . وَمَا تَجْزَوْنَ إِلَّا) جزاء (مَا كُنْتُمْ تَعْمَلُونَ . إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى ذكر جزاؤهم في قوله (أُولَئِكَ) الخ (كُلُّهُمْ) في الجنة (رِزْقٌ مَمْلُومٌ) بكرة وعشياً (فَوَاكِهُ) بدل أو بيان للرزق وهو ما يؤكل تلذذاً لالحفظ محبة لأن أهل الجنة مستغنون عن حفظها بخلق أجسادهم للأبد (وَهُمْ مُكْرَمُونَ) بثواب الله سبحانه وتعالى (فِي جَنَّاتِ النَّعِيمِ . عَلَى سُرُرٍ مُتَقَابِلِينَ) لا يرى بعضهم قفا بعض (يُطَافُ عَلَيْهِمْ) على كل منهم (بِكَنَاسٍ) هو الإناء بشرابه (مِنْ مَعِينٍ) من خمر يجرى على وجه الأرض كأنهار الماء ،

تجزون (قوله أولئك) أى عباد الله المخلصين (قوله إلى آخره) أى وهو قوله : كأنهم يبض مكنون (قوله لهم رزق معلوم) أى أوقاته وصفاته فلا ينافي آية رزقون فيها بغير حساب - فإن الراد غير معلوم المقدار (قوله بدل) أى كل من كل لأن جميع ما يؤكل في الجنة إنما هو على سبيل التفكه والتلذذ فلا فرق بين الرزق والفواكه (قوله لالحفظ محبة) المناسب أن يقول لالحفظ بنية (قوله بخلق أجسادهم للأبد) أى فهم يدومون بدوام الله لا يفنون أبداً (قوله وهم مكرمون) أى معظمون مبعجلون بالتجبة والكلام اللين (قوله في جنات النعيم) إما متعلق بمكرمون أو خبر ثان أحوال (قوله على سرر) قال ابن عباس : على سرر مكللة بالبر والياقوت والزبرجد والسرير ما بين صنعاء إلى الجابية وما بين عدن إلى إيليا (قوله متقابلين) أى تواصلوا وتحابوا ، وقيل الأسرة تدور كيف شاءوا فلا يرى أحدهما أحد (قوله يطوف عليهم) أى والطاقف ولدان كافي آية - يطوف عليهم ولدان مخلدون بأكواب وأباريق وكأس - (قوله هو الإناء بشرابه) أى فان لم يكن فيه شراب فإنه يسمى قدحا ويطلق الكأس على الخمر نفسه من باب تسمية الشيء باسم محله (قوله من معين) أى ظاهر العيون أو خارج من العيون فعلى الأول اسم مفعول كسبح وطى الثاني اسم فاعل من عان بمعنى لنبح وصف به خمر الجنة لأنه يجرى كلاماً

(قوله يضاء) إما صفة لكأس أو للخمر (قوله لذة) إما صفة مشبهة كصعب وسهل فتكون مشتقة فالوصف بها ظاهر أو مصدر فالوصف بها مبالغة أو على حذف مضاف أى ذات لذة (قوله ما يفتال عقولهم) أى يفسدها وقيل النول صداع في الرأس وعليه فيكون ما بعده تأسيساً (قوله ولا هم عنها يزفون) عن سببية أى ولا هم يزفون بسببها (قوله بفتح الزاى) أى مع ضم الياء فهو مبنى للمفعول وقوله وكسرها : أى مع ضم الياء أيضاً فهو مبنى للفاعل لقراءتان سبعيتان وقرئ شذوذاً بالفتح والكسر وبالفتح والضم (قوله من نرف الشارب الخ) أى فهو مأخوذ من الثلاثى أو الرباعى والقراءتان السبعيتان على مقتضى أخذه من الرباعى فتدبر (قوله عين) جمع عيناء وهى الواسعة العين اتساعاً غير مغروط بل مع الحسن والجمال (قوله كأنهم بيض مكنون) شبهن هنا ببيض النعام ، وفى سورة الواقعة بالوؤل الكنون لصفائه وكون بياضه مشوباً ببعض صفرة مع لمعان لأن هذه الأوصاف جمال أهل الجنة (٣١٦) (قوله عمار بهم فى الدنيا) أى من الفضائل والعارف وما عماروه فى الدنيا

(قوله قال قائل منهم) أى من أهل الجنة لاخوانه فى الجنة وهذا من جملة ما يتحدثون به (قوله تبكيكنا) أى توييخا على عدم إنكار البعث (قوله ما تقدم) أى من القراءات الأربع وهى تحقيق المهرتين وتسهيل الثانية بإدخال ألف وتركه (قوله مجزيون) أى فهو من الدين بمعنى الجزاء (قوله أنكر ذلك) أى الجزاء والحساب وقوله أيضاً أى كما أنكروا البعث (قوله لاخوانه) أى من أهل الجنة (قوله من بعض كوى الجنة) بضم الكاف مع القصر وبكسرها مع القصر والمد جمع كوة بفتح الكاف وضمها أى طبقاتها (قوله تسميتاً) أى فرحاً بمصيبته لأن الله نزع رحمة الكفار

(بَيِّضَهُ) أَشَدَّ بَيَاضاً مِنَ اللَّبَنِ (لَذَّةٌ) لَذِيذَةٌ (لِلشَّارِبِينَ) بِمُخْلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا فَإِنَّهَا كَرِيهَةٌ عِنْدَ الشَّرْبِ (لَا فِيهَا غَوْلٌ) مَا يَفْتَالُ عَقُولَهُمْ (وَلَا هُمْ عَنْهَا يُزْفُونَ) بِفَتْحِ الزَّايِ وَكَسَرِهَا مِنْ نَرْفِ الشَّارِبِ وَأُتْرَفَ ، أَيْ يَسْكُرُونَ بِمُخْلَافِ خَمْرِ الدُّنْيَا (وَعِنْدَهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حَاسِبَاتُ الْأَعْيُنِ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ لَا يَنْظُرْنَ إِلَى غَيْرِهِمْ لِحُسْنِهِمْ عِنْدَهُمْ (عَيْنٌ) ضَخَامُ الْأَعْيُنِ حَسَانُهَا (كَأَنَّهُنَّ) فِي اللَّوْنِ (بَيَاضٌ) لِلنَّعَامِ (مَكْنُونٌ) مُسْتَوْرٌ بِرِيْشِهِ لَا يَصِلُ إِلَيْهِ غَبَارٌ وَلَوْنُهُ وَهُوَ الْبَيَاضُ فِي صَفَرَةٍ أَحْسَنَ أَلْوَانِ النِّسَاءِ (فَأَقْبَلَ بَقَعُهُمْ) بَعْضُ أَهْلِ الْجَنَّةِ (عَلَى بَعْضٍ يَتَسَاءَلُونَ) عَمَّا صَرَّ بِهِمْ فِي الدُّنْيَا (قَالَ قَائِلٌ مِنْهُمْ إِنِّي كَانَ لِي قَرِينٌ) صَاحِبٌ يَنْكُرُ الْبَعْثَ (يَقُولُ) لِي تَبْكِيكُنَا (أَنْفَكَ لِيِنَّ الْمُصَدِّقِينَ) بِالْبَعْثِ (أَنْفَدًا مِثْقَالًا وَكَفًّا تَرَابًا وَعِظَامًا أَثْنًا) فِي الْمَهْرَتَيْنِ فِي الثَّلَاثَةِ مَوَاضِعٍ مَا تَقْدِمُ (لَلدَّيْنُونَ) مَجْزِيُونَ وَعَاسِبُونَ ؟ أَنْكَرَ ذَلِكَ أَيْضاً (قَالَ) ذَلِكَ الْقَائِلُ لِإِخْوَانِهِ (هَلْ أَنْتُمْ مُطْلَعُونَ) مَعَى إِلَى النَّارِ لِنَنْظَرِ حَالَهُ ؟ فَيَقُولُونَ لَا (فَاطْلَعْ) ذَلِكَ الْقَائِلُ مِنْ بَعْضِ كَوَى الْجَنَّةِ (فَرَأَاهُ) أَيْ رَأَى قَرِينَهُ (فِي سَوَاءٍ الْجَحِيمِ) أَيْ وَسْطِ النَّارِ (قَالَ) لَهُ تَسْمِيَةً (تَاللَّهِ إِنَّ) مَخْفَفَةً مِنَ الثَّقِيلَةِ (كِدْتَ) قَارِبْتَ (لِلْعُرْدِينَ) تَهْلِكُنِي بِإِغْوَاثِكَ (وَلَوْلَا نِعْمَةُ رَبِّي) عَلَى الْإِيمَانِ (لَكُنْتُ مِنَ الْخَاسِرِينَ) مَعَكَ فِي النَّارِ ، وَقَوْلُ أَهْلِ الْجَنَّةِ (أَفَسَا نَحْنُ بِمَيْمَنِينَ . إِلَّا مَوْتَتَنَا الْأُولَى) أَيْ الَّتِي فِي الدُّنْيَا (وَمَا نَحْنُ بِمُعَذَّبِينَ) هُوَ اسْتِفْهَامٌ تَلْذُذٌ وَتَحْلُثُ بِنِعْمَةِ اللَّهِ تَعَالَى مِنْ تَأْيِيدِ الْحَيَاةِ وَعَدَمِ التَّعْذِيبِ (إِنَّ هَذَا) الَّذِي ذَكَرَ لِأَهْلِ الْجَنَّةِ (لَهُمُ الْقَوْزُ الْعَظِيمُ) لِمِثْلِ هَذَا ،

فليعمل

من قلوب المؤمنين (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة ويسح أن تكون نافية واللام بمعنى إلا وعلى كل فهى جواب القسم (قوله أفانحن بميتين) الممزة داخلة على محذوف والفاء عاطفة عليه تقديره أنحن مخلدون منعمون فأنحن بميتين الخ (قوله إلا موتتنا الأولى) إلا أداة حصر وموتتنا منصوب على الصدر والعامل فيه قوله ميتتين ويكون استثناء مفرغاً وهو بمعنى قوله تعالى - لا يذوقون فيها الموت إلا الموتة الأولى - (قوله هو استفهام تقد) أى فهو من كلام بعضهم لبعض ، وقيل من كلام المؤمنين للملائكة حين يذبح الموت ويقال يأهل الجنة خلود بلا موت ويأهل النار خلود بلا موت (قوله من تأييد الحياة الخ) لف ونشر مرتب (قوله الذى ذكر لأهل الجنة) أى من قوله : أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله لمثل هذا) أى لا للحظوظ الدنيوية الغاية التى تزول ولا تبقى .

(قوله فليعمل العاملون) أي ليجتهد المجتهدون في الأعمال الصالحة ، فان جزاءها ما لا عين رأت ولا أذن سمعت ولا خطر على قلب بشر فاذا كان كذلك فلو أفنى الانسان عمره في خدمة ربه ولم يشتغل بشئ سواها لكان ذلك قليلا بالنسبة لما يلقاه من النعيم الدائم ، جلنا الله من أهله بمنه وكرمه (قوله قيل يقال لهم ذلك) أي ما ذكر من الجملتين من قبل الله تعالى وقوله وقيل هم يقولونه : أي يقول بعضهم لبعض ويبعد كلا من الاحتمالين قوله فليعمل العاملون ، فان العمل والترغيب فيه إنما يكون في الدنيا فالأولى أنه جملة مستأنفة من كلام الله تعالى ترغيبا للمكابين في عمل الطاعات (قوله أذلك) معمول لمحذوف تقديره قل يا محمد لتوأمك على سبيل التوبيخ والتبكيت أذلك خير الخ (قوله المذكور لهم) أي لأهل الجنة من قوله أولئك لهم رزق معلوم الخ (قوله نزلا) تمييز لخبر وقوله أم شجرة الزقوم أم حرف عطف وشجرة الزقوم معطوف على اسم الإشارة وهو مبتدأ حذف خبره لدلالة ما قبله عليه والتقدير أم شجرة الزقوم خير نزلا والتعريف بخبر نزلا تهكم بهم ولشاكله (قوله من ضيف وغيره) الضيف من يأتي بدعوة وغيره من يأتي زائرا للمحبة والألفة وربما كان أعز من الضيف (قوله أم شجرة الزقوم) من الزقوم وهو البلع بشدة وإكراه للأشياء الكريهة ، سميت بذلك لأن أهل النار يكرهون على الأكل منها ، وهي شجرة مسمومة متى مست جسد أحد تورم فمات ، وهي خيشة مرة كريهة الطعم (قوله وهي من أخبت الشجر) أي وهي صغيرة الزرق منتنة (قوله إنا جعلنا بذلك) أي بسبب إخبار الله تعالى بذلك (قوله فتنة) (٣١٧) للظالمين) أي امتحانا واختبارا هل

يصدقون أم لا (قوله إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبت) أي ولم يعلموا أن القادر لا يصعزه شئ (قوله تخرج في أصل الجحيم) أي تنبت في أسفلها (قوله إلى دركاتها) أي منازلها وذلك نظير شجرة طوبى لأهل الجنة فان أصلها في عليين وما من بيت في الجنة إلا وفيه غصن منها (قوله طلعها) الطلع في الأصل

فَلْيَعْمَلِ الْعَامِلُونَ (قيل يقال لهم ذلك ، وقيل هم يقولونه (أذلك) المذكور لهم (خَيْرُ نَزْلٍ) وهو ما بعد للنازل من ضيف وغيره (أَمْ شَجَرَةُ الزَّقُومِ) المدة لأهل النار وهي من أخبت الشجر المر بتهامة ينبتها الله في الجحيم كما سيأتي (إِنَّا جَعَلْنَاهَا) بذلك (فِتْنَةً لِلظَّالِمِينَ) أي الكافرين من أهل مكة إذ قالوا النار تحرق الشجر فكيف تنبت (إِنَّهَا شَجَرَةٌ تَخْرُجُ فِي أَصْلِ الْجَحِيمِ) أي قمر جهنم وأغصانها ترتفع إلى دركاتها (طَلْعُهَا) المشبه بطلع النخل (كَأَنَّهُ رُءُوسُ الشَّيَاطِينِ) أي الحيات القبيحة المنظر (فَأَيُّهُمْ) أي الكفار (لَا يَكُونُ مِنْهَا) مع قبضها لشدة جوعهم (قَالَتُونَ مِنْهَا الْبُطُونُ . ثُمَّ إِنِّي لَأَمْلَأَنَّ جُوعَهُنَّ مِنْهَا) أي ماء حار يشربونه فيختلط بالما كول منها فيصير شربا له (ثُمَّ إِنِّي مَرْجِعُهُمْ إِلَى الْجَحِيمِ) يفيد أنهم يخرجون منها لشرب الجحيم وأنه خارجا (إِنَّهُمْ أَقْبَوُا) وجدوا (آبَاءَهُمْ ضَالِّينَ . فَهُمْ عَلَى آثَرِهِمْ ،

اسم لمر النخل أول بروزه فتسميته طلعاً تهكم بهم (قوله أي الحياة القبيحة المنظر) أي ووجه الشبه الشناعة والسقم في كل وما مشى عليه المفسر أحد أقوال ثلاثة ، وقيل شبه طلعها برؤوس الشياطين حقيقة ، ووجه الشبه القباحة ونفور النفس من كل لكن يرد عليه أنه تشبيه بغير معلوم للمخاطبين . وأجيب بأن الشيطان وإن كان غير معلوم في الخارج فهو معروف في الأذهان والخيالات كالقول فانه مرسوم في خيال كل أحد بصورة قبيحة . وقيل الشياطين شجر في البادية معروف للمخاطبين (قوله لشدة جوعهم) أي ولقهرهم على الأكل منها زيادة في عذابهم (قوله ثم إن لهم عليها) أي على ما يأكلونه منها إذا شبعوا غلبهم العطش (قوله لشوبا) بفتح الشين في قراءة العامة مصدر على أصله وقرئ شدودا بضم الشين اسم بمعنى المشوب (قوله يفيد أنهم يخرجون منها) هذا أحد قولين والآخر وهو قول الجمهور أنهم لا يخرجون أصلاً لقوله تعالى - وما هم بخارجين منها - . وحينئذ فالمنى أنه يتنوع عذابهم وهم في النار فتارة يكون عذابهم بأكل الزقوم وتارة بشرب الجحيم وتارة بالزهرير وغير ذلك من أنواع العذاب ، فاذا كانوا مشغولين بأكل الزقوم وفرغوا منه يردون إلى الاشتغال بعذاب غيره والحال أنهم في النار لا يخرجون منها ، ويمكن التوفيق بين القولين بأن يحمل القول بأنه خارجا على أنه في محل خارج عن المحل الذي يعذبون فيه ، وليس المراد أنه خارج النار بالكلية لمعارضته صريح النص فيخرجون إلى ذلك المحل للأكل والشرب ثم يردون إلى محل العذاب الذي كانوا فيه أولا (قوله إنهم أقبوا آباءهم) هذا تحليل لامتصاص حقاقهم العذاب ، والمعنى أن سبب استحقاقهم للعذاب

تقليد آبائهم في الضلال من غير شيء يتشككون به سوى التقليد (قوله يهرعون) أي من غير تحمل ولا تقبر (قوله ولقد ضل قباهم الخ) اللام فيه وفيما بعده موثقة لقسم محذوف بكل من الجملتين سبق لتسليته صلى الله عليه وسلم (قوله فانظر) خطاب للنبي أو لكل من يتأني منه للنظر (قوله إلا عباد الله) استثناء منقطع لأن ما قبله وعيد ولم يدخلوا فيه (قوله لإخلاصهم في العبادة) أي على قراءة كسر اللام (قوله على قراءة فتح اللام) أي والقراءتان سبعيتان (قوله ولقد نادانا نوح) شروع في تفصيل ما أجله في قوله - ولقد أرسلنا فيهم منفريين - وقد ذكر في هذه السورة سبع قصص: قصة نوح وقصة إبراهيم وقصة المسيح وقصة موسى وهرون وقصة إلياس وقصة لوط وقصة يونس، وذلك تسلياً له صلى الله عليه وسلم وتحذيراً لمن كفر من أمته (قوله رب إني مغلوب) أي مقهور وقوله فانتصر: أي انتقم منهم (قوله فلنعم المجيبون) الواو للتعظيم وقوله نحن هو الله وحس بالمدح (قوله وأهله) أي من آمن به ومنهم زوجته المؤمنة وأولاده الثلاثة وزوجاتهم (قوله فأناس كلهم من نسله) هذا هو المعتمد، وقيل كان لغير ولد نوح أيضاً نسل (قوله سام الخ) الثلاثة بمنع الصرف العلمية والمجبة وفارس كذلك للعلمية والتأنيث لأنه علم على (٣١٨) قبيلة (قوله والخزر) فتح الحاء والزاي بعدها راء مهمة هكذا في النسخ

الصحيحة وهو الصواب وفي بعض النسخ والخزج وهو تحريف فاحش لأن الخزج من جملة العرب والخز صنف من الثرك صفار الأعين يعرفون الآن بالترك (قوله وما هناك) أي وهم قوم عند أبجوج وما أبجوج إذا طلعت عليهم الشمس دخلوا في أسراب لهم تحت الأرض فإذا زالت عنهم خرجوا إلى معاشهم وحروثهم وقيل هم قوم عراة يفرش بعضهم إحدى أذنيه ويلتحف بالأخرى (قوله ثناء

يُهْرَعُونَ) يزعمون إلى أتباعهم فيسرعون إليه (ولقد ضل قباهم أ كسر الأ ولين) من الأم الماضية (ولقد أرسلنا فيهم مُنْذِرِينَ) من الرسل مخوفين (فانظر كيف كان عاقبة المُنْذِرِينَ) الكافرين أي عاقبتهم العذاب (إلا عباد الله المخلصين) أي المؤمنين فإنهم نجوا من العذاب لإخلاصهم في العبادة، أولأن الله أخلصهم لها على قراءة فتح اللام (ولقد نادانا نوح) بقوله: رب إني مغلوب فانتصر (فلنعم المجيبون) له نحن أي دعانا على قومه فأهلكناهم بالفرق (ونجيناه وأهله من الكرب العظيم) أي الفرق (وجعلنا ذريته هم الباقين) فأناس كلهم من نسله عليه السلام، وكان له ثلاثة أولاد: سام وهو أبو العرب وفارس والروم وحام وهو أبو السودان، ويافث أبو الثرك والخزر وأبجوج وما أبجوج (وتركنا) أبقينا (عليه) ثناء حسناً (في الآخرين) من الأنبياء والأمم إلى يوم القيامة (سلام) منا (على نوح في العالمين) إنا كذلك (كما جزيناه) نجزي المؤمنين. إنه من عبادنا المؤمنين. ثم أغرقنا الآخرين (كفار قومه (وإن من شيعته) أي من تبعه في أصل الدين (لإبراهيم) وإن طال الزمان بينهما، وهو ألقان وستائة وأربعون سنة،

وكان

حسناً (قدرة إشارة إلى أن مفعول تركنا محذوف وقوله سلام على نوح

كلام مستقل لإنشاء ثناء من الله تعالى على نوح فالأول ثناء الخلق والثاني ثناء الخالق، وفي الحديث أن النبي صلى الله عليه وسلم قال «من قال حين يمسي سلام على نوح في العالمين لم تغدعه عقرب» (قوله العالمين) متعلق بما تعاق به الجار قبله والمراد بالعالمين اللاتسكة والثقلان (قوله إنا كذلك نجزي المحسنين) تحليل لما فصل بنوح من الكرامة في إجابة دعائه وإبقاء ذريته وذكره الجليل وتسليم الله عليه في العالمين: أي فهذا الجزاء سننتا في كل من انصف بالاحسان كنوح (قوله إنه من عبادنا المؤمنين) علة لكونه حسناً وفيه إجلال لشأن الإيمان وإظهار لفضله وترغيب في تحصيله والثبات عليه والأزدياد منه (قوله ثم أغرقنا الآخرين) معطوف على نجينا وأهله فالترتيب حقيقي لأن نجاتهم بركوب السفينة حصلت قبل غرق الباقين فتدبر (قوله وإن من شيعته الخ) عطف على قوله ولقد نادانا نوح عطف قصة على قصة (قوله أي من تبعه الخ) أي فالشيعه الأتباع والحزب (قوله في أصل الدين) أي وإن اختلفت فروع شرائعها فالإتباع في أصول الدين وهو التوحيد لا في الفروع كالصلاة مثلاً (قوله وإن طال الزمان الخ) الجملة حالية، والمعنى أنه من أتباعه على عهده والحال أن الزمان طال بينهما فطول اندة لم ينسه العهد (قوله وهو ألقان الخ) هذا أحد قولين والآخر أن بينهما ألف سنة ومائة واثنين وأربعين سنة

(قوله وكان بينهما هود وصالح) أى وكان قبل نوح ثلاثة إدريس وشيث وآدم جمعة من قبل إبراهيم من الأنبياء سنة (قوله إذ جاء ربه الخ) معنى جيئه توجبه قلبه حاملا لربه وفى الكلام استعارة تبعية تقرر بها أن نقول: شبه إقباله على ربه خلاصا له قلبه بجيئه بتعفة جمية والجامع بينهما طلب النور بالرضا واشتق من المجرى جاء بمعنى أقبل قلبه (قوله أى تأجبه وقت جيئه) أشار بذلك إلى أن الطرف منطلق بمحذوف دل عليه قوله شيعته وبصح وجهه متعلقا بشيعته لما فيها من معنى الشايعة لكن فيه أنه يلزم عليه الفصل عنه وبين معموله بأجنبي ، وهو قوله لإبراهيم وأيضاً يلزم عليه حمل ما قبل اللام الابتدائية فيما بعدها وأجيب بأنه يتوسع في الظروف ما لا يتوسع في غيرها (قوله من الشك وخبره) أى من الآفات والعلايق التى تشغل القلب عن شهود الرب تعالى (قوله لأبيه وقومه) تقدم الخلاف في كونه أباه حقيقة أو حمله وإنما جاز بالأب لأن المأب ، والمراد بقومه القموز وجعته (قوله في همزته ما تقدم) أى وهو تحقيق الهمزتين وتسهيل الثانية بألف بينهما وتركها (قوله وإفكا مفعول له) أى وقدم على للمفعول به لأجل التقييد عليهم بأنهم على إنك وباطل (قوله أى أعبدون خبر الله) كان عليه أن يزيد قوله لأجل الإيضاح ليوفى بالمفعول لأجله (قوله إذ عبادتم خبره) أى وقت عبادتكم خبره (قوله أنه يترككم بلا عقاب) معمول للظن ، والمعنى أى سبب حملكم على ظنكم أنه تعالى يترككم بلا عقاب حين عبادتم خبره (٣١٩) وأشار بقوله لا إلى أن الاستفهام

إنكارى بمعنى التثني أى ليس لكم سبب ولا عذر يحملكم على الظن المذكور وإذا اتسق السبب اتسق المسبب بالأولى (قوله وكانوا نجابين) ذكر هذا توطئة لقوله تعالى : فنظر نظرة في النجوم (قوله فخرجوا إلى عبيد لم) أى وكانوا في قسرية بين للبصرة والكوفة يقال لها هرمز (قوله زعموا التبرك) أى أنها تنزل عليه البركة (قوله فنظر

وكان بينهما هود وصالح (إذ جاء) أى تأجبه وقت جيئه (رَبِّهِ يَقْلِبُ سَلِيمًا) من الشك وخبره (إذ قال) في هذه الحالة المعصرة له (لأبيه وقومه) موجهاً (مَاذَا) مالمضى (تَعْبُدُونَ) أَيْفُكاً في همزته ما تقدم (آلِهَةً دُونَ اللَّهِ تُرِيدُونَ) وإفكا مفعول له وآلهة مفعول به لتريدون، والإفكا أسوأ الكذب، أى أعبدون غير الله (فَمَا ظَنُّكُمْ بِرَبِّ الْعَالَمِينَ) إذ عبادتم غيره أنه يترككم بلا عقاب لا ، وكانوا نجابين فخرجوا إلى عبيد لم وتركوا طعامهم عند أصنامهم زعموا التبرك عليه فإذا رجعوا أكلوه وقالوا للسيد إبراهيم اخرج معنا (فَنَظَرَ نَظْرَةً فِي النُّجُومِ) أيها ما لهم أنه يعتمد عليها ليعتمدوه (فَقَالَ إِنِّي سَقِيمٌ) حليل أى ساقم (فَقَوْلُوا عَنَّا) إلى عبيد لم (مُذْرِبِينَ . فَرَاغَ) مال في خفية (إِلَى آلِهِمْ) وهى الأصنام وعندها الطعام (فَقَالَ) استهزاء (أَلَا تَأْكُلُونَ) فلم ينطقوا ، قال (مَالَكُمْ لَا تَنْطِقُونَ) فلم تجب (فَرَاغَ عَلَيْهِمْ ضَرْبًا بِالْيَمِينِ) بالقوة فكسرها فبلغ قومه من رآه (فَأَقْبَلُوا إِلَيْهِ يَزْفُونَ) أى يسرعون المشى فقالوا له نحن نبديها وأنت تكسرها (قَالَ) لهم ،

نظرة في النجوم) أى في علم النجوم متفكراً في أمر يعفرونه بسببه فيتركونه (قوله أى ساقم) جواب عما يقال كيف قال إلى سقيم والحال أنه لم يكن سقيماً . وأجيب أيضاً بأن المعنى سقيم القلب من عبادتكم ما لا يضركم ولا ينفع وقد أشار بقوله إلى سقيم إلى سقم مخصوص وهو الطاعون ، وكان الطاعون أغلب الأقسام عليهم وكانوا يخافون منه العدوى فتفرقوا عن إبراهيم خوفاً منها فهربوا إلى عبيد لم وتركوه في بيت الأصنام (قوله وهى الأصنام) أى وكانت اثنين وسبعين صنماً بعضها من حجر وبعضها من خشب وبعضها من ذهب وبعضها من فضة وبعضها من نحاس وبعضها من حديد وبعضها من رصاص ، وكان كبيرها من ذهب مكللاً بالجواهر وكان في هيئته ياقوتتان تتقدان نوراً (قوله وعندها الطعام) الجملة حالية (قوله فقال استهزاء بهم) إن قلت أى فائدة في خطاب ما لا يعقل ؟ . أجيب بأنه لعل عنده من يسمع كلامه من خدمتها أو غيرهم (قوله فراغ عليهم) أى مال في خفية من قولهم راغ الثلب روغاناً : تردد وأخذ الشيء خفية (قوله بالقوة) أى القدرة (قوله فأقبلوا إليه) مرثب على محذوف قدره المنسر بقوله فبلغ قومه الخ (قوله يزفون) يحسرس الزاى مع فتح الياء أرضعها قراءتان سبعيتان (قوله فقالوا له نحن نبديها الخ) أى بعد أن سألوه وأجابه ، فلما تحققوا أنه هو الذى كسرها قالوا نحن نبديها الخ وقد تقدم بسط ذلك في سورة الأنبياء .

(قوله موجبا) أى على ما وقع منهم حيث يأتون الخشب مثلا فيصنعون منه صورة ويتخذونها إلها مع أنها قبل ذلك لم تكن معبودة لهم ولا تضر ولا تنفع (قوله وما مصدرية الخ) ذكر فيها ثلاثة أوجه وبقي اثنتان كونها استفهامية ، والمعنى وأى شئ تصالونه وكونها نافية ، والمعنى ليس العمل فى الحقيقة لكم وإنما هو لله تعالى (قوله بنيانا) قيل بنو له حائطا من الحجر طوله فى السماء ثلاثون ذراعا وعرضه عشرون ذراعا وملأوه من الحطب وأوقدوا عليه النار ثم تحيروا فى كيفية رميه فعلمهم إبليس التنجيق فصنعوه ووضعوه فيه ورموه فيها فصارت عليه بردا وسلاما (قوله وأضرموه بالنار) أى أوقدوه بها (قوله النار الشديدة) أى فكل نار بعضها فوق بعض تسمى جحما من الجحمة وهى شدة التأجج (قوله المقهورين) أى بإبطال كيدهم حيث جعلت عليه بردا وسلاما (قوله وقال إني ذاهب الخ) عطف على محذوف قدره بقوله فخرج الخ ، والمعنى أنه لما خرج من النار سالما ولم يهتد من قومه أحد هاجر هو ولوط ابن أخيه وسارة زوجته إلى أرض الشام ، وهو أول من هاجر من الخلق فى طاعة الله وقوله : إلى ربى أى إلى عبادة ربى وطاعته (قوله سيهدين) أى إلى ما فيه صلاح دينى وبلوغ مطالبى (قوله إلى حيث أمرنى ربى) أى إلى مكان أمرنى الخ وهذا متعلق بكل من ذاهب ويهدين (قوله فلما وصل إلى الأرض المقدسة) قدره توطئة لقوله : رب هب لى الخ (٣٣٠) (قوله من الصالحين) أى بعض الصالحين يكون خليفة لى ويرث حالى

(قوله فبشرناه) مرتب على محذوف تقديره فاستجبنا له فبشرناه وتلك البشارة على لسان الملائكة الذين جاءوا له فى صورة أضياف فبشروه بالسلام ثم انتقلوا من قريته وهى فلسطين إلى قرية لوط وهى سدوم لاهلاك قومه كما تقدم ذلك فى سورة هود ويأتى فى الداريات (قوله فلما بلغ معه السعى) أشار المفسر إلى أن قوله معه ظرف

موجبا (أَتَعْبُدُونَ مَا تَنْحِتُونَ) من الحجارة وغيرها أصناما (وَاللَّهُ خَلَقَكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) من تحكم ومنحوتكم فاعبدوه وحده وما مصدرية وقيل موصولة وقيل موصوفة (قَالُوا) بينهم (أَبْنُوا لَهُ بُنْيَانًا) فاملثوه حطباً وأضرموه بالنار فإذا التهب (فَأَلْقَوْهُ فِي الْجَحِيمِ) النار الشديدة (فَأَرَادُوا بِهِ كَيْدًا) بإلقائه فى النار لتهلكه (فَجَعَلْنَاهُمْ أَشْقَى) المقهورين فخرج من النار سالما (وَقَالَ إِنِّي ذَاهِبٌ إِلَى رَبِّي) هاجر إليه من دار الكفر (سَيَهْدِينِ) إلى حيث أمرنى ربى بالمصير إليه وهو الشام فلما وصل إلى الأرض المقدسة قال (رَبِّ هَبْ لى) ولها (مِنَ الصَّالِحِينَ) فبشرناه بسلام حلیم أى نذى حلم كثير (فَلَمَّا بَلَغَ مَعَهُ السَّعْيَ) أى أن يسعى معه ويسينه ، قيل بلغ سبع سنين ، وقيل ثلاث عشرة سنة (قَالَ يَا بُنَيَّ إِنِّى أَرَى) أى رأيت (فِي الْمَنَامِ أَنِّى أَذْبَحُكَ) ورويا الأنبياء حق وأفضلهم بأمر الله تعالى (فَانظُرْ مَاذَا تَرَى) من رأى ،

شاوره

متعلق بالسعى وفيه أنه يلزم عليه تقديم صلة المصدر المؤول من أن والفعل عليه

وهو لا يجوز . وأجيب بأنه ينتفى فى الظروف ما لا ينتفى فى غيرها ويصح جملة متعلقا بمحذوف على سبيل البيان كان قائلا قال مع من بلغ السعى فقبل بلغ معه ولا يصح جملة متعلقا ببلغ ولا حالا من ضميره لأنه يؤهم اقترانهما فى باوغ السعى لأن للمصاحبة تقتضى المشاركة مع أن المقصود وصف الصغير بذلك فقط (قوله قال يا بنى) جواب لما ، والحكمة فى ذلك أن إبراهيم عليه السلام اتخذ الله تعالى خليلا ، والخلة هى صفاء المودة ومن شأنها عدم مشاركة الغير مع الخليل وكان قد سأل ربه الولد فلما وهبه له تعلقت شعبة من قلبه بحبته فجاءت غيره الخلة تنزعها من قلب الخليل فأمر بذبح الحبيب ليظهر صفاء الخلة وعدم المشاركة فيها حيث امتثل أمر ربه وقدم حبه على حبه ولده (قوله أى رأيت) أشار بذلك إلى أن الرؤيا وقعت بالفعل لما روى الله رأى ليلة التروية أن قائلا يقول له إن الله يأمرك بذيئك ابنك ، فلما أصبح فكفر فى نفسه أنه من الله ، فلما أمسى رأى مثل ذلك فى الليلة الثانية ، ثم رأى مثله فى الليلة الثالثة فهم بنحوه فقال له يا بنى الخ ولذلك سميت الأيام الثلاثة بالتروية وعرفة والنحر لأنه فى اليوم الأول تروى وفى الثانى عرفة وفى الثالث نحر (قوله إني أذبحك) أى أفضل الذبيح أو أمر به احتمالا ، وبشر للأول قوله : قد صدقت الرؤيا وللثانى قوله : افعل ما تؤمر (قوله ماذا ترى) يصح أن تكون ماذا مركبة وحينئذ فهى منصوبة بترى وما بعدها فى محل نصب بانظر لأنها معلقة له . يصح أن تكون استفهامية وذاموصولة فتكون ماذا مبتدأ وخبرها

وقوله : رى فنجنين من الرأى ، ولى قرادة سبعة ترى بالقسم والكبر والقولان محذوفان أى ترى إياه من صلبه واحتمالك وقرى شذودا بضم ففتح أى ما يخيل لك (قوله شاوره ليأنس الخ) أى وليعلم صبره وعزمته على طاعة الله (قوله قال يآبت) أى بفتح التاء وكسرهما قرادتان سبعيتان (قوله التاء عوض عن ياء الإضافة) أى فهمى فى محل جر كما كانت الياء فى محل جر (قوله افضل ماتومر) قال ابن إسحق وغيره : لما أمر إبراهيم بذلك قال لابنه يآبتى خذ هذا الحبل وللمية وافطلق بنا إلى هذا الشعب لنخطب ، فلما خلا بابنه فى الشعب أخبره بما أمر الله به فقال يآبتى افضل ماتومر (قوله إن شاء الله) أتى بها تبركا وإشارة إلى أنه لا حول عن العصية إلا بعصمة الله ولا قوة على الطاعة إلا بمعونة الله (قوله لما أسلمنا) أى الوالد والولد (قوله وتله للجين) أى صرعه ورماء على شقه فوق التل الذى هو للسكان المرتفع . قال ابن عباس : لما فعل ذلك قال الابن يآبتى اشدد رجليكى لأضطرب واكفف ثيابك حتى لا يتضح عليها من دمي شئ فينتقص أجرى وتراه أمتى فتحزن واستحبد شفرتك وأسرع بها على حلقى ليكون أهون علىّ وإذا أتيت أى فاقرأ عليها السلام منى وإن رأيت أن تردّ قيصى عليها فاقبل فانه عسى أن يكون أسلى لها عنى فقال إبراهيم نعم العون أنت يآبتى على أمر الله ففعل إبراهيم ما أمره به ابنه ثم أقبل عليه وهو يبكى والابن يبكى ، فلما وضع السكين على حلقه لم تؤثر شيئا فاشتد بها الحجر مرين أو ثلاثا ، كل ذلك لاستطيع أن تقطع شيئا ففعلت بقدرة الله تعالى ، وقيل ضرب الله صفيحة (٣٣١) من نحاس على حلقه . والأول أبلغ

فى القدرة الإلهية وهو منع الحديد عن اللحم ففعل ذلك قال الابن يآبتى كنى لوجهى على جبينى فانك إذا نظرت فى وجهى رحمتى فأدركتك رافة تحول بينك وبين أمر الله وأنا أنظر إلى الشفرة فأجزع منها ففعل ذلك إبراهيم ثم وضع السكين على فقه فانقبت فتودى بإبراهيم قد

شاوره ليأنس بالذبح وينقاد للأمر به (قَالَ يَا أَبَتِ) التاء عوض عن ياء الإضافة (أَفْعَلْ مَا تُؤْمَرُ) به (سَتَجِدُنِي إِنْ شَاءَ اللَّهُ مِنَ الصَّابِرِينَ) على ذلك (فَلَمَّا أَسْلَمْنَا) خصما واتقادا لأمر الله تعالى (وَتَلَّهُ لِلْجَبِينِ) صرعه عليه ولكل إنسان جبينان بينهما الحبة وكان ذلك بمنى وأمر السكين على حلقه فلم تصل شيئا بمناخ من القدرة الإلهية (وَنَادَيْنَاهُ أَنْ يَا إِبْرَاهِيمُ . قَدْ صَدَّقْتَ الرُّؤْيَا) بما أنبت به مما أمكنك من أمر الذبح ، أى يكفيك ذلك : فجملته نادينه جواب لما بزيادة الواو (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناك (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بامثال الأمر بإفراج الشدة عنهم (إِنْ هَذَا) الذبح للأمور به (لَهُوَ الْبَلَاءُ الْمُبِينُ) أى الاختبار الظاهر (وَفَدَيْنَاهُ) أى للأمور بذبحه وهو إسماعيل أو إسحق قولان (يَذْبَحْ بِكَبْشٍ عَظِيمٍ) من الجنة وهو الذى قر به هابيل جاء به جبريل عليه السلام ،

صدقت لرؤيا الخ (قوله بمنى) يذرو يؤث ويصرف ويمنع من انصرف باعتبار السكان والبقة (قوله وأمر السكين) هذا أحد قولين مشهورين وهو ما تقدم عن ابن عباس والآخر أنه لم يمر السكين بل لما أنجحه وأراد أن يمر السكين جاءه النداء وبالأول استدلت أهل السنة على أن الأمور العادية لا تؤثر شيئا لانفسها ولا بقوة أودعها الله فيها وإنما المؤثر هو الله تعالى فتخلف القطع فى ولد إبراهيم وتخلف الاحراق فى إبراهيم (قوله فجملته نادينه جواب لما الخ) هذا أحد أوجه ثلاثة والثانى أنه محذوف تقديره ظهر صبرهما أو أجزلنا لهما الأجر والثالث أن قوله وتله للجين بزيادة الواو (قوله بإفراج الشدة) المناسب أن يقول بتفريج الشدة أو بفرجها لأن الفعل فرج بالتخفيف والتشديد فمصدره إما التفريج أو الفرج (قوله وفديناه) عطف على قوله وناديناه (قوله قولان) أى وهما مبنيان على قولين آخرين هل اسمعيل أكبر أو إسحق فمن قال بالأول قال إن الذبيح إسماعيل ومن قال بالثانى قال إن الذبيح إسحق . واعلم أن كلا من القولين قال به جماعة من الصحابة والتابعين لكن القول بأن الذبيح إسحق أقوى فى النقل عن النبي صلى الله عليه وسلم والصحابة والتابعين حتى قال سعيد بن جبير أرى إبراهيم ذبح إسحق فى المنام فسار به مسيرة شهر فى غداة واحدة حتى أتى به للنحر بمنى ، فله صرف الله عنه الذبح أمره أن يذبح به الكبش فذبحه وسار إلى الشام مسيرة شهر فى روعة واحدة وطويت له الأودية والجبال وبقي قول ثالث وهو الوقف عن الجزم بأحد القولين وتفويض علم ذلك إلى الله تعالى (قوله كبش عظيم) وقيل إنه كان نيسا جبليا أهبط عليه (٤١ - صاوى - ثالث) من غير (قوله وهو الذى قر به هابيل) أى ووصفه بالعظم لكونه تقبل مرتين .

(قوله فذبحه السيد إبراهيم) أى وبقى قرناه معلقين على الكعبة إلى أن احترق البيت في زمن ابن الزير وما يقى من الكعبش أكلته السباع والطيور لأن النار لا تؤثر فيها هو من الجنة (قوله مكبرا) روى أنه لما ذبحه قال جبريل: الله أكبر الله أكبر الله أكبر ، فقال الديبع لا إله إلا الله والله أكبر ، فقال إبراهيم الله أكبر والله الحمد فصار سنة (قوله استدلت بذلك الخ) أى وهو مذهب الشافى ، وقال مالك وأبو حنيفة : لا دليل فيها لأن إسحاق وقمت البشارة به مرتين مرة بوجوده ومرة بنبوته ، فعفى قوله - وبشرناه بإسحاق نبيا - بشرناه بنبوة إسحاق بعد البشارة بوجوده (قوله من الصالحين) لإضافة ثنيا أو حال من ضميره (قوله ومن ذريتهما) خبر مقدم ، وقوله محسن الخ مبتدأ مؤخر وفيه إشارة إلى أن النسب لا مدخل له في الهدى ولا فى الضلال (قوله ولقد مننا) معطوف على ما قبله عطاف قصة طي قصة واللام موطة لقسم محذوف تقديره وعزتنا وجلالنا لقد أنعمنا الخ وتحدث الله بالامتنان على عباده من عظيم الشرف لهم ، وقوله بالنبوة : أى الصاحبة للرسالة لأنهما كانا رسولين ولا مفهوم للنبوة بل أعطاهما الله تعالى نعماء حمة دينية ودينية وإنما خصها لأنها أشرف النعم (قوله بنى إسرائيل) أى أولاد يعقوب (قوله أى استعباد فرعون إياهم) وسبب استيلائه عليهم أن أصولهم قدموا مصر مع أبيهم يعقوب ليوسف حين (٣٢٢)

كان ملكا فاستمروا بها فلما ظهر فرعون وتكبر استعبد ذريتهم وجعلهم خدما للقبط (قوله ونصرناهم) الضمير عائدا على موسى وهرون وقومهما (قوله فكانوا هم الثالبيين) يصح أن يكون هم ضمير فصل أو بدلا من الواو فى كانوا والأول أظهر (قوله وغيرها) أى كالتقصص واللواغظ (قوله وهديناها الصراط المستقيم) أى وصلناها للدين الحق (قوله سلام) مبتدأ خبره محذوف قتره بقوله منا ، وقوله على موسى وهرون متعلق بسلام والسو غ

فَذَبَحَهُ السَّيِّدُ إِبْرَاهِيمَ مَكْبَرًا (وَتَرَكْنَا) أَبَقِينَا (عَلَيْهِ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) مِنَّا (عَلَىٰ إِبْرَاهِيمَ . كَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ) لَأَنْقِصَهُمْ (إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَبَشَّرْنَاهُ بِإِسْحَاقَ) استدلت بذلك على أن الديبع غيره (نَبِيًّا) حال مقدرة أى يوجد مقدرا نبوته (مِنَ الصَّالِحِينَ . وَبَارَكْنَا عَلَيْهِ) بتكثير ذريته (وَعَلَىٰ إِسْحَاقَ) ولده يجعلنا أكثر الأنبياء من نسله (وَمِنْ ذُرِّيَّتِهِمَا مُحْسِنٌ) مؤمن (وَوَطَّأْنَا لَهُ نَفْسَهُ) كافر (مُبِينٌ) بين الكفر (وَلَقَدْ مَنَنَّا عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ) بالنبوة (وَنَجَّيْنَاهُمَا وَقَوْمَهُمَا) بنى إسرائيل (مِنَ الْكَرْبِ الْعَظِيمِ) أى استعباد فرعون إياهم (وَنَصَّرْنَاهُم) على القبط (فَكَانُوا هُمْ الْغَالِبِينَ . وَآتَيْنَاهُمَا الْكِتَابَ الْمُسْتَبِينَ) البليغ البيان فيما أتى به من الحدود والأحكام وغيرها وهو التوراة (وَهَدَيْنَاهُمَا الصِّرَاطَ) الطريق (الْمُسْتَقِيمَ . وَتَرَكْنَا) أَبَقِينَا (عَلَيْهِمَا فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسنا (سَلَامٌ) مِنَّا (عَلَىٰ مُوسَىٰ وَهَارُونَ . إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناها (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُمَا مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ إِلْيَاسَ) بالهمز أوله وتركه (لَمِنَ الْمُرْسَلِينَ) قيل هو ابن أخى هرون أخى موسى ، وقيل غيره أرسل إلى قوم يبعليك ونواحيها (إِذْ) منصوب بإذ كر مقدرا (قَالَ لِقَوْمِهِ ،

ألا

للاتداء بالنكرة قصد التعظيم وعملها فى الجار والمجرور بعدها (قوله كما جزيناها) أى بما تقسم من الانجاء والنصر وإتياء الكتاب وإبقاء الثناء (قوله نجزي المحسنين) فى مثل هذه الآيات ترغيب للمؤمنين وإشعار بأن كل مؤمن قابل لكل خير وصالح له (قوله إنهما من عبادنا المؤمنين) أى الكاملين فى الإيمان البالغين الناية فيه (قوله وإن إلياس) معطوف على ما قبله عطاف قصة على قصة (قوله بالهمز أوله وتركه) أى بناء على أنها همزة قطع أو وصل قراءة ثان سبعتان وسبب جواز الأمرين أنه اسم أجهى استعملته العرب فلم تضبط فيه همزة قطع ولا وصل (قوله لمن المرسلين) خبر إن (قوله قل هو ابن أخى هرون الخ) الصحيح أنه من ذرية هرون لقول محمد بن إسحاق هو إلياس بن ياسين بن فنحاص بن العيزار بن هارون بن عمران وإلياس ابن عم اليسع (قوله وقيل غيره) من جملة ذلك أنه قيل هو إدريس وقيل هو اليسع (قوله أرسل إلى قوم يبعليك) حاصل قصته كما قال محمد بن إسحق وعلماء السير والأخبار : لما قبض الله عز وجل حزقيل عليه السلام عظمته الأحداث فى بنى إسرائيل وظهر فيهم الفساد والشرك ونصبوا الأصنام وعبدوها من دون الله عز وجل فبعث الله إليهم إلياس نبيا وكانت الأنبياء يبعثون من بعد موسى عليه الصلاة والسلام فى بنى إسرائيل بتجديد مانسوا من أحكام التوراة ، وكان يوشع لما فتح

الناس قسمها على بنى إسرائيل وأن سبطاً منهم حصل في قسمته بعلبك ونواحيها وهم الذين بعث إليهم إلياس وعليهم يومئذ ملك اسمه أرحب ، وكان قد أضلّ قومه وجبرهم على عبادة الأصنام ، وكان له صنم من ذهب طوله عشرون ذراعاً وله أربعة وجوه وكان اسمه بعل وكانوا قد فتنوا به وعظموه وجعلوا له أربعمائة سادن وجعلوا أبناءه ، وكان الشيطان يدخل في جوف بعل ويتكلم بشريعة الضلال والسندنة يحفظونها عنه ويبلغونها الناس وهم أهل بعلبك ، وكان إلياس يدعوهم إلى عبادة الله عز وجل وهم لا يسمعون له ولا يؤمنون به إلا ما كان من أمر الملك فإنه آمن به وصدقته ، فكان إلياس يقوم بأمره ويستدده ويرشده ثم إن الملك ارتد واشتد غضبه على إلياس وقال يا إلياس ما أرى ما تدعوننا إليه إلا باطلاً وهم بتعذيب إلياس وقتله ، فلما أحسن إلياس بالشرّ رفضه وخرج عنه هارباً ورجع الملك إلى عبادة بعل ولحق إلياس بشواهد الجبال فكان يأوى إلى الشعاب والكهوف ، فبقي سبع سنين على ذلك خائفاً مستخفياً يأكل من نبات الأرض وثمار الشجر وهم في طلبه قد وضعوا عليه العيون والله يستره منهم ، فلما طال الأمر على إلياس وسُم السكون في الجبال وطال عصيان قومه وضاق بذلك ذرعاً دعا ربه عز وجل أن يرعبه منهم ، فقبل انظر يوم كذا وكذا فأخرج إلى موضع كذا فأجاءك من شيء فأركبه ولا تهبه ، فخرج إلياس ومعه اليسع حتى إذا كان بالموضع الذي أمر به إذ أقبل فرس من نار ، وقيل لونه كالنار حتى وقف بين يدي إلياس فوثب عليه فانطلق به الفرس فناداه اليسع يا إلياس ما تأمرني ؟ فقد ذهب إلي إلياس بكسائه من الجوّ الأعلى ، فكان ذلك علامة استخلافه إياه على بنى إسرائيل وكان ذلك آخر العهد به ، ورفع الله إلياس من بين أظهرهم وقطع عنه لذة الطعام والشرب وكساه الريش فصار إنسياً ملكياً أرضياً مملوياً ، ونبأ الله تعالى اليسع وبشئ رسولاً إلى بنى إسرائيل وأوحى الله إليه وأيده فآمنت به بنو إسرائيل وكانوا يعظمونه وحكم الله تعالى فيهم قائم إلى أن فارقه اليسع (٣٣٣) وقد أعطى الله إلياس معجزات

جدة منها تسخير الجبال له والأسود وغيرها وأعطاه الله قوة سبعين نبياً ، وكان على صفة موسى في الغضب والقوة . روى أن إلياس والحضر يصومان رمضان كل عام بيت المقدس

أَلَا تَتَّقُونَ) الله (أَتَدْعُونَ بَعْلًا) اسم صنم لهم من ذهب ، وبه سُمى البلد أيضاً مضافاً إلى بك أي أتعبدونه (وَتَذَرُونَ) تتركون (أَحْسَنَ الْخَالِقِينَ) فلا تعبدونه (اللَّهُ رَبُّكُمْ وَرَبُّ آبَائِكُمُ الْأَوَّلِينَ) برفع الثلاثة على إضمار هو ، وبنصبها على البذل من أحسن (فَكَذَّبُوهُ فَأَنَّهُمْ كَمَغْضَرُونَ) في النار (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أي المؤمنين منهم فأنهم نجوا منها (وَتَرَكْنَا عَلَيْهِمْ فِي الْآخِرِينَ) ثناء حسناً (سَلَامٌ) منا (عَلَى الْيَاسِينَ) ،

ويحضران موسم الحج كل عام ويفترقان عن أربع كلمات : بسم الله ماشاء الله لايسوق الخير إلا الله ، بسم الله ماشاء الله لايصرف السوء إلا الله ، بسم الله ماشاء الله ما كان من نعمة فمن الله ، بسم الله ماشاء الله لا حول ولا قوة إلا بالله ، وقيل في الرواية غير ذلك ، وإلياس موكل بالفيافي والقفار والحضر موكل بالبحار ولا يموتان إلا في آخر الزمان حين يرفع القرآن ، وعن أنس قال « غزونا مع رسول الله صلى الله عليه وسلم حتى إذا كنا عند فجج الناقة سمعت صوتاً يقول : اللهم اجعلني من أمة محمد المرحومة المغفور لها المستجاب لها ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم : يا أنس انظر ما هذا الصوت فدخلت الجبل فإذا رجل عليه ثياب بيض أبيض الرأس واللحية طوله أكثر من ثلثمائة ذراع فلما رأيته قال : أنت صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم ؟ فقلت نعم . قال فأرجع إليه فأقره السلام وقل له هذا أخوك إلياس يريد أن يلقاك ، فرجعت إلى رسول الله صلى الله عليه وسلم فأخبرته فجاء عيسى وأنا معه حتى إذا كنا قريباً منه تقدم النبي وتأخرت أنا فتحدثنا طويلاً فنزل عليهما من السماء شيء يشبه السفرة ودعوانى فأكلت معهما وإذا فيها كفاة ورماني وحوث وكسفت ، فلما أكلت قمت فتنجيت فجاءت سحابة فحملته وأنا أنظر إلى بياض ثيابه فيها تهوى قبل السماء » انتهى (قوله ألا تتقون الله) أي تمتثلون أوامره وتجتنبون نواهيه (قوله وبه سُمى البلد) أي ثانياً وأما أولاً فاسمها بك فقط فلما عبد بعل سميت بعلبك (قوله مضافاً إلى بك) أي مضموماً إليه وإلا فالتركيب أمزجى لإضافي (قوله وتذرون) عطف على تدعون فهو داخل في حيز الانكار (قوله أحسن الخالقين) أي الصورين لأنه سبحانه وتعالى يصور الصورة ويلبسها الروح وغيره تصور من غير روح (قوله برفع الثلاثة الخ) أي والقراءتان سبعيتان (قوله فأنهم نجوا منها) أشار بذلك إلى أن الاستثناء من الواو في المحضرون كأنه قال فكذبوه فأنهم لمحضرون إلا الذين تابوا من تكذيبهم وأخلصوا فأنهم غير محضرين .

(قوله قيل هو إلياس المتقدم) أى وعليه فهو مفرد مجرور بالفتحة العلمية والمجمة وهي لثة ثانية فيه (قوله وقيل هو الخ) أى وعليه فهو مجرور بالياء لكونه جمع مذكر سالما (قوله للراد به إلياس أيضا) أى فأطلق الأول وأراد به ما شمله وقومه المؤمنين به فتحصل أن في الآية ثلاث عبارات إلياس في أولها والياسين وآل ياسين في آخرها وكلاهما سبعية (قوله وإن لوطا لمن المرسلين) عطف على ما قبله أيضا عطف قصة على قصة (قوله اذ ذكرنا نوحا الخ) قدر المفسر اذ ذكرنا إشارة إلى أن الظرف متعلق بمحذوف ولم يجعله متعلقا بقوله المرسلين لأنه يوم أنه قبل النجاة لم يكن رسولا مع أنه قبل رسول النجاة و بعدها (قوله وأهله) المراد بهم بناته (قوله إلا هجوزا) هي امرأته (قوله أى وقت الصباح) بيان لزمانه في الأصل وقوله يعنى بالنهار بيان للمراد منه وقوله وبالليل عطف على مصبحين وهو حال أخرى (قوله أفلا تعقلون) الحمزة داخلة على محذوف والغاء عاطفة عليه والتقدير أن شاهدون ذلك فلا تعقلون (قوله وإن يونس لمن المرسلين) هو ابن متى وهو ابن الصجور الذى نزل عليها إلياس فاستخفى عندها من قومه ستة أشهر ويونس متى يرضع وكاف أم يونس تخدمه بنفسها وتؤانسه ولا تدخر عنه كرامة تقدر عليها ، ثم إن إلياس أذن له (٣٣٤) في السباحة فلحق بالجبال ومات يونس ابن المرأة فخرجت في أثر إلياس

نطوف وراعه في الجبال حتى وجدته فأسأله أن يدعو الله لها لعله يحيي لها ولدها فجاء إلياس إلى الصبي بعد أربعة عشر يوما مضت من موته فتوضأ وصلى ودعا الله فحياها الله تعالى يونس بن متى بدعوة إلياس عليه السلام وأرسل الله يونس إلى أهل نينوى من أرض الموصل وكانوا يعبدون الأصنام (قوله إذ أتى) ظرف لمحذوف تقديره اذ ذكر كما تقدم نظيره وقوله أتى بابا فتح والابق في الأصل الحرب من

قيل هو إلياس المتقدم ذكره وقيل هو ومن آمن معه فجميعا معه تغليبا كقولهم المهلب وقومه المهلبون وعلى قراءة آل ياسين بالمد أى أهله المراد به إلياس أيضا (إِنَّا كَذَلِكَ) كما جزيناه (نَجْزِي الْمُحْسِنِينَ . إِنَّهُ مِنْ عِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ . وَإِنَّ لُوطًا لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ) اذ ذكر (إِذْ نَجَّيْنَاهُ وَأَهْلَهُ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عَجُوزًا فِي الْغَايِرِينَ) أى الباقين في العذاب (ثُمَّ دَرَجْنَا) أهلكنا (الْآخَرِينَ) كفار قومه (وَإِنَّا لَنَعْلَمُونَ عَلَيْهِمْ) على آثامهم ومنازلهم في أسفاركم (مُصْبِحِينَ) أى وقت الصباح يعنى بالنهار (وَيَا لَيْلٍ أَفَلَا تَعْقِلُونَ) يا أهل مكة ما حل بهم فتعتبرون به (وَإِنَّ يُونُسَ لَمِنْ الْمُرْسَلِينَ . إِذْ أَتَى) هرب (إِلَى الْفَالَكِ الْمَشْغُونِ) السفينة المملوءة حين غاضب قومه لما لم ينزل بهم العذاب الذى وعدهم به فركب السفينة فوقفت في لجة البحر فقال الملاحون هنا عبد أتى من سيده تظهره القرعة (فَسَاهَمَ) قارع أهل السفينة (فَكَانَ مِنَ الْمُدْحَضِينَ) المذوقين بالقرعة فألقوه في البحر (فَالْتَمَسَهُ الْمَأْوُ) ابتلعه (وَهُوَ مُلِيمٌ) أى أت بما يلام عليه من ذهابه إلى البحر وركوبه السفينة بلا إذن من ربه (فَلَوْلَا أَنَّهُ كَانَ مِنَ الْمُسَبِّحِينَ) الذاكرين بقوله كثيرا في بطن الحوت : لا إله إلا أنت سبحانك إني كنت من الظالمين (لَلْبَيْتِ فِي بَطْنِهِ إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) لصار بطن الحوت قبرا له إلى يوم القيامة

(فتبينناه)

السيد وإطلاقه على هرب يونس استعارة تصريحية

فشبه خروجه بغير إذن ربه بابق العبد من سيده (قوله حين غاضب قومه) الفاعلة على بابها لأنهم غاضبوه بعدم الانقياد له والايمان به وهو غضب عليهم (قوله فركب السفينة) أى باجتهاد منه لظنه أنه إن بقى بينهم قتلوه لأنهم كانوا يقتلون كل من ظهر عليه كذب فركوب السفينة ليس معصية لربه لا صغيرة ولا كبيرة ومؤاخذته بحبسه في بطن الحوت على مخالفته الأولى فإن الأولى له انتظار الأذن من الله تعالى هذا هو الصواب في تحقيق المقام ، وهناك أقوال أخر اعتقادها يضر في العقيدة والعباد بالله تعالى (قوله فوقفت) أى من غير سبب وقوله في لجة البحر المراد به الدجلة (قوله فقال الملاحون الخ) أى وكان من عادتهم أن السفينة إذا كان فيها أتى أو مذهب لم تسر (قوله قارع أهل السفينة) أى غالبهم قيل مرة واحدة ، وقيل ثلاثا (قوله فآلقوه في البحر) قدره إشارة إلى أن قوله فآلقوه الحوت مرتب على محذوف (قوله أى أت بما يلام عليه) أى أو المعنى وهو ملزم نفسه (قوله بقوله كثيرا) استفيدت الكثرة من جملته من المسبحين (قوله قبرا له) أى بأن يموت فيبقى في بطنه ميتا وقيل بأن يبقى على حياته .

(قولهم فنبذناه) أي أمرنا الموت فنبذه (قوله بالعراء) أي الأرض المسقة التي لانبات بها (قوله من يومه) أي فالتقمه ضحى ونبذته عشية وما ذكره المفسر خمسة أقوال : الأول للشعب والثاني لمقاتل والثالث لطاء والرابع للضحاك والخامس للسدي (قوله المعط) بضم الميم الأولى وتشديد الثانية مفتوحة بعدها عين مهملة بعدها طاء مهملة أيضا : أي المنتوف الشعر (قوله وهي القرع) خص بذلك لأنه بارد الظل لين الممس كبير الورق لا يعاوه الذباب وما ذكره المفسر أحد أقوال في تفسير البقطين ، وقيل كانت شجرة التين ، وقيل شجرة الموز تغطي بورقه واستظل بأغصانه وأطهر على بماره (قوله وعلة) إما بفتح الواو والعين أو بكسر الواو وسكون العين هي النزلة (قوله كقبله) جواب عما يوم أنه قبل خروجه لم يكن مرسلا (قوله بنيوى) بكسر النون الأولى وياء ساكنة ونون مضمومة وألف مقصورة بعد الواو (قوله أو يزيدون) جعل المفسر أو للاضراب بمعنى بل ويصح أن تكون لشك بالنسبة للخاطئين أي إن الراى يشك عند رؤيتهم أو للإيهام بمعنى أن الله أبهم أمرهم أو الإباحة والتخير بمعنى أن الناظر يباح له أو يخير بين أن يحذرهم بكذا أو كذا (قوله عند معاينة الذباب) أي عند حضور أمارته ولذا نفهم إيمانهم وأما مثل فرعون (٣٣٥) فلم يؤمن إلا بعد حصول

(فَنَبَذْنَاهُ) ألقيناه من بطن الحوت (بِالْعَرَاءِ) بوجه الأرض : أي بالساحل من يومه أو بعد ثلاثة أو سبعة أيام أو عشرين أو أربعين يوما (وَهُوَ سَقِيمٌ) حليل كالقرع المعط (وَأَنْبَذْنَاهُ عَلَيْهِ شَجَرَةً مِنْ يَقْطِينٍ) وهي القرع تظله بساق على خلاف العادة في القرع معجزة له وكانت تأتيه علة صباحا ومساء يشرب من لبنها حتى قوى (وَأَرْسَلْنَاهُ) بعد ذلك كقبله إلى قوم بنيوى من أرض الموصل (إِلَى مِائَةِ أَلْفٍ أَوْ) بل (يَزِيدُونَ) عشرين أو ثلاثين أو سبعين ألفا (فَأَمَنُوا) عند معاينة الذباب للموعودين به (فَقَتَلْنَاهُمْ) أبقيناهم ممتعين بما لهم (إِلَى حِينٍ) تنقضى آجالهم فيه (فَأَسْتَفْتِيهِمْ) استخبر كفار مكة توبيخا لهم (أَلَرَبُّكَ أَنْبَأَتْ) بزعمهم أن الملائكة بنات الله (وَلَهُمُ الْبَنُونَ) فيختصون بالأنثى (أَمْ خَلَقْنَا الْمَلَائِكَةَ إِنَاثًا وَهُمْ شَاهِدُونَ) خلقنا فيقولون ذلك (أَلَا إِنَّهُمْ مِنْ إِفْكِهمْ كذبهم) ليقولون . وَلَهُ اللهُ (يقولهم الملائكة بنات الله (وَلَهُمْ لَكَذِبُونَ) فيه (أَضْطَلَى) بفتح الهمزة للاستفهام واستغنى بها عن همزة الوصل لحذف أي اختار (الْبَنَاتِ عَلَى الْبَنِينَ . مَا لَكُمْ كَيْفَ تَحْكُمُونَ) هذا الحكم الفاسد (أَفَلَا تَذَكَّرُونَ) بادغام التاء في الذال أنه سبحانه وتعالى منزّه عن الولد

الذباب بالفعل وأيضا قوم يونس أخلصوا في إيمانهم وفرعون لم يخلف وإنا إيمانه عند الفرغرة لدفع الشدة : ولورودوا لعادوا (قوله بما لهم) بفتح اللام أي بالذي ثبت لهم من النعم وتقديم بسط قصة يونس في سورة يونس فراجعها إن شئت (قوله فاستفتيهم) الفاء واقعة في جواب شرط مقدر تقديره إذا علمت ماتقدم للآثم من شركهم ومخالفتهم لانبياهم فاستفتهم : أي اطلب من

أهل مكة الخبر لا جل توبيخهم وإقامة الحجة عليهم (قوله توبيخا لهم) أي فليس الاستفتاء على سبيل الاستعلام والافادة بل هو على سبيل التوبيخ والتوبيخ لهم (قوله أَلَرَبُّكَ الْبَنَاتِ وَلَهُمُ الْبَنُونَ) أي ألمذه القسمة الجائرة وجه قاتمهم كفروا من وجهين الأول نسبة الولد لله سبحانه وتعالى من حيث هو الثاني كونه خصوص الأنثى قاتمهم لا يرضون بنسبتها لأنفسهم بل إما أن يسكوها على الموان أو يدفنوها حية فكيف يرضونها لله عز وجل ويختصون بالبني (قوله فيختصون بالأنثى) أي الأشرف وهو الذكور ، وفي نسخة بالآبناء (قوله أم خلقنا الملائكة إناثا) أم منقطة تفسر ببل والهمزة فهو إضراب عما زعموا ورد عليهم ، وهذا بمعنى قوله تعالى - وجعلوا الملائكة الذين هم عباد الرحمن إناثا أشهدوا خلقهم - الآية (قوله وهم شاهدون) الجملة حالية : أي والحال أنهم معانيون لخلقهم (قوله ألا إنهم من إفكهم) استئناف لبيان إبطال ما هم عليه كأنه قيل ليس لهم مستند إلا الكذب الصريح والافتراء القبيح (قوله وإنهم لَكَاذِبُونَ فيه) أي في قولهم الملائكة بنات الله (قوله واستغنى بها) أي بهمزة الاستفهام في التوصل لانتطق بالساكن والاستفهام للتوبيخ والتوبيخ (قوله ما لكم كيف تحكمون) أي أي شيء ثبت واستقر لكم من حكمكم بهذا الحكم الجائر حيث تثبتون أخس الجنسين في زعمكم لله سبحانه وتعالى (قوله بادغام التاء في الذال) أي أو بقاء واحدة من غير إدغام قراءتان سبعيتان .

(قوله أم لكم سلطان مبين) انتقال من توبيخهم إلى إلزامهم بالحجة بما لا وجود له ولا يقدر على إثباته (قوله التوراة الصواب إسقاطه لأن الخطاب مع المشركين والتوراة ليست لهم (قوله وجعلوا بينه) التفات من الخطاب للنبية إشارة إلى أنهم بعيدون من رحمة الله وليسوا أهلا لخطابه (قوله لاجتنابهم عن الأبصار) أى استتارهم عنها (قوله ولقد صلت الجنة الخ) هذا زيادة في تكذيبهم وتكذيبهم كأنه قيل هؤلاء الملائكة الذين عظمتموهم وجعلتموهم بنات الله أعلم بحالكم وما يتول إليه أمركم ويحكمون بتعذيبكم على سبيل التأييد (قوله سبحان الخ) هذا من كلام الملائكة تنزيه لله تعالى عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين لهم فكانه قيل ولقد علمت الملائكة أن المشركين لم يذنبوا بقولهم ذلك وقالوا سبحان الله عما يصفون به لكن عباد الله المخلصين الذين نحن من جماعتهم برآء من هذا الوصف وقوله فانكم وما تعبدون تعليل وتحقيق لبراءة المخلصين ببيان عجزهم عن اغوائهم (قوله استثناء منقطع) أى من لواو في يصفون وهو في قوة الاستدراك رفع به ما يتوهم ثبوته أو نفيه كأنه قال تنزه الله عن وصف الكفار له تعالى ، وأما وصف المؤمنين المخلصين له فلا يتنزه عنه لأنهم لا يصفونه تعالى إلا بالكلمات (قوله أى على معبودكم) أشار بذلك إلى أن الضمير في عليه عائد على ما وعلى هذا فالواو للعبادة وما مفعول معه (٣٣٦)

(أَمْ لَكُمْ سُلْطَانٌ مُبِينٌ) حجة واضحة أن الله ولداً (قَائِلُوا بِكَيْتَابِكُمْ) التوراة فأروني ذلك فيه (إِنْ كُنْتُمْ صَادِقِينَ) في قولكم ذلك (وَجَعَلُوا) أى المشركون (بَيْنَهُ) تعالى (وَبَيْنَ الْجَنَّةِ) أى الملائكة لاجتنابهم عن الأبصار (فَسَبَّأَ) بقولهم إنها بنات الله (وَلَقَدْ عَلِمَتِ الْجَنَّةُ إِنَّهُمْ) أى قائل ذلك (لَمُخَضَّرُونَ) لنار يعذبون فيها (سُبْحَانَ اللَّهِ) تنزيها له (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن الله ولداً (إِلَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين استثناء منقطع : أى فانهم ينزهون الله تعالى عما يصفه هؤلاء (فَإِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ) من الأصنام (مَا أَنْتُمْ عَلَيْهِ) أى على معبودكم وعليه متعلق بقوله (بِفَاتِنِينَ) أى أحداً (إِلَّا مَنْ هُوَ صَالِ الْجَحِيمِ) في علم الله تعالى قال جبريل لنبى صلى الله عليه وسلم (وَمَا مِنْهَا) معشر الملائكة أحد (إِلَّا لَهُ مَقَامٌ مَعْلُومٌ) في السموات يعبد الله فيه لا يتجاوزها (وَإِنَّا لَنَحْنُ الصَّافُونَ) أقدامنا في الصلاة (وَإِنَّا لَنَحْنُ الْمُسَبِّحُونَ) المنزهون الله عما لا يليق به (وَإِنْ) مخففة من الثقيلة (كَانُوا) أى كفار مكة (لَيَقُولُنَّ لَوْ أَنَّ عِنْدَنَا ذِكْرًا) كتاباً (مِنْ الْأَوَّلِينَ) أى من كتب الأمم الماضية (لَكُنَّا عِبَادَ اللَّهِ الْمُخْلَصِينَ) العبادة له قال تعالى (فَكَفَرُوا بِهِ) أى بالكتاب الذى جاءهم وهو القرآن الأشرف من تلك الكتب (فَسَوْفَ يَسْأَلُونَ) عاقبة كفرهم

سادة مسد خبر إن (قوله بفاتنين) مفعوله محذوف قدره المفسر بقوله أحدا والمعنى أنكم مع معبودكم لستم بمفسدين أحداً إلا من سبقت له الشقاوة في علم الله (قوله إلا من هو صال الجحيم) استثناء من المفعول الذى قدره المفسر وصال مرفوع بضممة مقدرة على الياء المحذوفة لالتقاء الساكنين فهو معتل كقاض (قوله في علم الله تعالى) أى من علم الله أنه من أهل الجحيم فإنه يميل إلى الكفر وأهله (قوله وما منا إلا له مقام معلوم)

هذا حكاية عن اعتراف الملائكة بالعبودية رداً على عبدتهم . والمعنى ليس منا أحد إلا له

مقام معلوم في المعرفة والعبادة وامتنال ما أمرنا الله تعالى به . قال ابن عباس : ما في السموات موضع شبر إلا وعليه ملك صلى . ويسبح قيل إن هذه الثلاث آيات نزلت ورسول الله صلى الله عليه وسلم عند سيرة المنتهى فتأخر جبريل ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم أنا تفارقتي فقال جبريل ما أستطيع أن أقدم من مكان هذا وأنزل الله تعالى حكاية عن الملائكة وما منا إلا له مقام معلوم الآيات ، وفي الحديث «ما في السموات موضع قدم إلا عليه ملك ساجد أو قائم» (قوله أحد) قدره إشارة إلى أن في الآية حذف الموصوف وإبقاء صفته وهو مبتدأ والخبر جملة قوله إلا له مقام معلوم والتقدير ما أحد منا إلا له مقام معلوم (قوله أقدامنا في الصلاة) أشار بذلك إلى أن المفعول محذوف (قوله مخففة من الثقيلة) أى واللام فارقة . والمعنى أن قرىشا كانت تقول قبل بعثة النبي صلى الله عليه وسلم لو أن لنا كتاباً مثل كتاب الأولين لأخلصنا العبادة لله تعالى . وهذا نظير قوله تعالى وأقسموا بالله جهد أيمانهم لئن جاءهم نذير ليكونن أهدى من إهدى الأمم (قوله فكفروا به) الفاء للفصيحة مرتب على ما قبله (قوله فسوف يعلمون) أى في الدنيا والآخرة والتعبير بسوف تهديد لهم كقولك لمن تريد ضربه مثلاً سوف ترى ما وعد به وأنت

خارج فيه فسوف الوعيد الخبيد (قوله وقد سبق قلنا الخ) من حيلته صلى الله عليه وسلم وأخلصت هذه الجملة بالنص
 لتأكيد الاختصاص بتحقيق مضمونها (قوله قلنا بالنصر) إنما هي الوعد بالنصرة مع أنه كلمات لكون معنى الكل واحدا
 (قوله وحى لأغلبن أنا ورسلى) أى فيكون قوله لإنهم لم ينصرون جملة مستأنفة وقوله أو هو قوله لإنهم الخ أى وعليه فيكون
 بدلا من قلنا أو نصيرا لها (قوله وإن جندنا) الجند فى الأصل الأنصار والأعوان ، والمراد منه أنصار دين الله وهم المؤمنون
 كما قال المفسر (قوله وإن لم ينتصر بعض منهم الخ) دفع بهذا ما يقال قد شوهت غلبة الكفار على المؤمنين فى بعض الأزمان
 فأجاب بأن النصر إما فى الآخرة للجميع أو فى الدنيا للبعض فالمؤمنون منصورون على كل حال . وأجيب أيضا بأن الأنبياء
 لما ذنوب لهم فى القتال لا بد لهم من النصر فى الدنيا ولا تقع لهم هزيمة أبدا ، وإنما إن وقع للكفار بعض غلبة كما فى أحد فهو
 لحكم عظيمة ولا تبيت على المؤمنين بل ينصرون عليهم بصرح قوله تعالى إن الذين كفروا ينفقون أموالهم ليصدوا عن
 سبيل الله الآية وأما غيرهم فتارة ينصرون فى الدنيا وتارة لا وإنما ينصرون فى الآخرة (قوله تؤمر فيه بقتالهم) أى فكان
 أولا مأمورا بالتبليغ والصبر ، ثم لما كان فى السنة الثانية من الهجرة (٣٣٧) أمر صلى الله عليه وسلم بالجهاد

وغزواته سبع وعشرون
 غزوة قاتل فى ثمان منها
 بنفسه : بدر وأحد
 والمصطلق والخندق
 وقريظة وخيبر وحنين
 والطائف (قوله وأبصرهم
 إذا نزل بهم العذاب) أى
 من القتل والأسر والمراد
 بالأمر الدلالة على أن
 ذلك قريب كأنه واقع
 مشاهد (قوله عاقبة
 كفرهم) أى من نزول
 العذاب بساحتهم (قوله
 تهديدا لهم) أى فليس
 الاستفهام على حقيقته بل
 المقصود تهديدهم (قوله

(وَلَقَدْ سَبَقَتْ كَلِمَتُنَا) بالنصر (لِمِبَادِنَا الْمُؤْمِنِينَ) وحى : لأغلبن أنا ورسلى ، أو هو قوله :
 (إِنَّهُمْ لَكُمُ الْمُتَنَصِّرُونَ . وَإِنْ جُنَدُنَا) أى المؤمنين (لَهُمُ الْغَالِبُونَ) الكفار بالحجة والنصرة
 عليهم فى الدنيا وإن لم ينتصر بعض منهم فى الدنيا وفى الآخرة (فَتَوَلَّ عَنْهُمْ) أى أعرض
 عن كفار مكة (حَتَّى حِينٍ) تؤمر فيه بقتالهم (وَأَبْصِرْهُمْ) إذا نزل بهم العذاب (فَسَوْفَ
 يُبْصِرُونَ) عاقبة كفرهم فقالوا استهزاء متى نزل هذا العذاب ؟ قال تعالى تهديدا لهم (أَفَبِعَذَابِنَا
 يَسْتَعْجِلُونَ . فَإِذَا نَزَلَ بِسَاحَتِهِمْ) بفنائهم قال القراء : العرب تكتفى بذكر الساحة عن
 التوم (فَسَاءَ) بئس صباحا (صَبَاحُ الْمُنْذَرِينَ) فيه إقامة الظاهر مقام المضمر (وَتَوَلَّ
 عَنْهُمْ حَتَّى حِينٍ . وَأَبْصِرْ فَسَوْفَ يُبْصِرُونَ) كرر تأكيذا تهديدهم وتسليته صلى الله
 عليه وسلم (سُبْحَانَ رَبِّكَ رَبِّ الْعِزَّةِ) الغلبة (عَمَّا يَصِفُونَ) بأن له ولدا (وَسَلَامٌ عَلَى
 الْمُرْسَلِينَ) المبلّغين من الله التوحيد والشرائع (وَالْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) على نصرهم وهلاك
 الكافرين .

تكتفى بذكر الساحة) أى تستغنى على سبيل الكفاية فاللهى فإذا نزل بهم العذاب فشبه العذاب بجيش هجم عليهم فأنسخ بفنائهم
 بفتة وهم فى ديارهم ففى ضمير العذاب استعارة بالكناية والعزل تخييل (قوله بئس صباحا) أشار بهذا إلى أن الفاعل ضمير
 والتميز محذوف والمذكور محضوص والأوضح ما قاله غيره من أن المذكور هو الفاعل والمحضوص محذوف وعليه فالتقدير بئس
 صباح المنذرين صباحهم (قوله فيه إقامة الظاهر مقام المضمر) أى فى التعبير بالمنذرين وكان مقتضى الظاهر أن يقال صباحهم
 (قوله سبحان ربك الخ) النرض من هذا تعليم المؤمنين أن يقولوه ولا ينفلوا عنه لما روى عن طى كرم الله وجهه قال : من أحب أن
 يكتال بالمسكيال الأوفى من الأجر يوم القيامة فليكن آخر كلامه إذا قام من مجلسه سبحان ربك رب العزة عما يصفون الخ وعن
 أبى سعيد الخدرى قال «سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم غير مرة ولا مرتين يقول فى آخر صلاته أوحين ينصرف سبحان ربك
 رب العزة عما يصفون وسلام على المرسلين والحمد لله رب العالمين» (قوله رب العزة) أضيف الرب إلى العزة لاختصاصها بها كأنه قيل ذى
 العزة ، وقيل المراد العزة المخوفة السائلة بين خلقه ويرتب على كل من القولين مسألة الإيمان ففى الأول يعقد بها الإيمان لأنها
 من صفات الله تعالى ، وعلى الثانى لا يعقد لأنها من صفات المخلوق (قوله وسلام على المرسلين) تعميم للرسلى بالتسليم بعد
 تخصيص بعضهم .

[سورة ص] أى ويقال لها سورة داود (قوله مكية) أى مكها (قوله أو ثمان) أو الحكاة الخلاف (قوله لله أعلم مراده به) تقدم غير مرة أن هذا القول أسلم لأن تفويض الأمر التشابه لم الله تعالى هو غاية الأدب . واعلم أن في لفظ ص قراآت خمسة السبعة على السكون لا غير والباقي شاذ وهو الضم والفتح من غير تنوين والكسر بتنوين وبدونه فالضم على أنه خبر محذوف على أنه اسم للسورة : أى هذه ص ومنع من الصرف للعلمية والتأنيث والفتح إما على أنه مفعول محذوف تقديره اقرأ ونحوه أو مبنى على الفتح كآين وكيف والأول أقرب والكسر بغير تنوين للتخلص من التقاء الساكنين وبالتنوين مجرور بحرف قسم محذوف وصرف بالنظر إلى اللفظ (قوله أى البيان) أى لما يحتاج إليه في أمر الدين ، وقوله أو الشرف : أى أن من آمن به كان شريفاً في الدنيا والآخرة . قال تعالى - لقد أنزلنا إليكم كتاباً فيه ذكركم - أى شرفكم وأيضاً القرآن شريف في ذاته من حيث اشتباهه على اللواظ والأحكام وغيرها فهو شريف في نفسه مشرف لغيره ، وقيل للراد بالله كذا ذكر أسماء الله تعالى وتمجيد ، وقيل المراد به اللوعة ، وقيل غير ذلك (قوله وجواب هذا القسم محذوف الخ) هذا أحد أقوال وهو أحسنها وقيل تقديره إنك لمن المرسلين (٣٢٨) كما في يس ، وقيل هو قوله كم أهلكنا وفيه حذف اللام والأصل لكم

أهلكنا وإنما حذف لظهور الكلام نظير حذفها في قوله - قد أفلح من زكاه - بعد قوله والشمس وقيل غير ذلك (قوله بل الذين كفروا) إضراب وانتقال من قصة إلى قصة (قوله من أهل مكة) خصم بالله كذا لأنهم سبب الغزول وإلا فالمراد كل كفرا (قوله أى كثيراً) أشار بذلك إلى أن كم خبرية بمعنى كثيراً مفعول أهلكنا ومن قرن تمييز لها (قوله ولات حين) اختلفت للمصاحف في رسم التاء فبعضهم رسمها مفصلة

(سورة ص)

مكية ست أو ثمان وثمانون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . ص) الله أعلم بمراده به (وَالْقُرْآنِ ذِي الذِّكْرِ) أى البيان أو الشرف وجواب هذا القسم محذوف : أى ما الأمر كما قال كفار مكة من تعدد الآلهة (بَلِ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فِي عِزَّةٍ) حمية وتكبر عن الإيمان (وَشِقَاقٍ) خلاف وعداوة للنبي صلى الله عليه وسلم (كَمْ) أى كثيراً (أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قُرُونٍ) أى أمة من الأمم الماضية (فَنَادَوْا) حين نزول العذاب بهم (وَلَاتَ حِينَ مَنَاصٍ) أى ليس الحين حين فرار والتاء زائدة والجملة حال من فاعل نادوا أى استناثوا والحال أن لا هرب ولا منجى وما اعتبر بهم كفار مكة (وَعَجِبُوا أَنْ جَاءَهُمْ مُنْذِرٌ مِنْهُمْ) رسول من أنفسهم ينذروهم ويخوفهم النار بعد البعث وهو النبي صلى الله عليه وسلم (وَقَالَ الْكَافِرُونَ) فيه وضع الظاهر موضع الضمير (هَذَا سَاحِرٌ كَذَّابٌ ،

وبعضهم رسمها متصلة بحين وينبئ على هذا الاختلاف الوقف فبعضهم يقف على التاء وبعضهم على لا ومن يقف على التاء اختلقوا ، فجمهور السبعة يقفون على التاء المجرورة إتباعاً لمرسوم الخط الشريف والأقل منهم يقف بالهاء ، وهذا الوقف الاختبار لأنه من جملة الأوقاف الجائزة (قوله مناص) للناس يطلق على المنجى والمفر والتفهم والتأخر وكل هنا يناسب المقام (قوله أى ليس الحين الخ) أشار بذلك إلى مذهب الخليل وسيبويه في لات من حيث إتباعها فصل عمل ليس وإن اسمها محذوف وهو خبرها لفظ الحين ، وإلى ذلك أشار ابن مالك بقوله :

وما لات في سوى حين عمل وحذف ذي الرفع فشا والعكس قل

(قوله والتاء زائدة) أى لتأكيد لنى (قوله من فاعل نادوا) أى وهو الواو (قوله وما اعتبر) معطوف على كم أهلكنا (قوله وعجبوا الخ) أى جعلوا عجباً رسول من جنسهم أمراً خارجاً عن طوق العقل فيتعجب منه (قوله من أنفسهم) أى من جنسهم (قوله فيه وضع الظاهر الخ) أى زيادة في التقييح عليهم وإشعاراً بأن كفرهم جسرهم على هذا القول (قوله ساحر) أى فيما يظهره من الخوارق كذاب : أى فيما يستدله إلى الله من الإرسال والإنزال .

(قوله أَجْمَلُ الْإِلَهِ الْخ) الاستفهام تعجبى : أى كيف يعلم الجميع ويقدر على التصرف فيهم إله واحد ، وسبب هذا التعجب قيامهم أقدم على الحادث ولم يعلموا أنه واحد لامن قلة بل وحدته وحدة تعزز وانفراد تنزه الله عن مماثلة المخلوقات له (قوله عجيب) أشار بذلك إلى أن عجاب مباينة في عجيب (قوله عند أبى طالب) روى « أنه لما أسلم عمرشق ذلك على قریش فاجتمع خمسة وعشرون من صناديدهم فأثوا أباطاب فقالوا : أنت شيخنا وكبيرنا وقد علمت ما فعل هؤلاء السفهاء وحشاك لتقضى بيننا وبين ابن أخيك ، فأحضره وقال له يا ابن أخى هؤلاء قومك يسألونك السواء والانصاف فلا تمل كل الميل على قومك ، فقال النبي صلى الله عليه وسلم ماذا تسألونى ؟ فقالوا ارفضنا وارفض ذكراً آلهتنا وتدعك وإلهك ، فقال أرأيتكم إن أعطيتكم مأسأتم أمعطى أتم كلمة واحدة تملكون بها رقاب العرب وتدين لكم العجم ؟ فقالوا نعم وعشر أمثالها ، فقال قولوا لا إله إلا الله ، فقاموا وانطلقوا قائلين : امشوا واصبروا على آلهتكم » (قوله أى يقول بعضهم الخ) أشار بذلك إلى أن تفسيره وضابطها موجود وهو تقدم جملة فيها معنى القول دون حروفه (قوله واصبروا على آلهتكم) أى استمروا على عبادتها (قوله إن هذا) لتلليل للأمر بالصبر (قوله يراد منا) أى يقصد منا تنفيذه فلا تفكك لنا عنه (٣٣٩) (قوله ما سمعنا بهذا الخ) أى

ولما سمعنا فيها التثليث (قوله بتحقيق المهرتين) أى فالتقرآت أربع سبعيات (قوله أى لم ينزل عليه) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله بل هم في شك) إضراب عن مقتدر تقديره إنكارهم للذكريس عن علم بل هم في شك منه (قوله بل لا يذوقوا عذاب) إضراب اتقالي لبيان سبب الشك والمعنى سببه أنهم لم يذوقوا العذاب إلى الآن ولو ذاقوه لأيقنوا بالقرآن وأمنوا به (قوله لم يذوقوا) أشار بذلك إلى

أَجْمَلُ الْإِلَهِ الْخ (حَيْث قَالَ لَهُمْ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ أَيْ كَيْفَ يَسْعَ الْخَلْقُ كُلُّهُمْ إِلَهًا وَاحِدًا) (إِنَّ هَذَا لَشَيْءٌ عَجَبٌ) أَيْ عَجِيب (وَأَنْطَلَقَ الْمَلَأُ مِنْهُمْ) مِنْ مَجْلَسِ اجْتِمَاعِهِمْ عِنْدَ أَبِي طَالِبٍ وَضَمَائِهِمْ فِيهِ مِنَ النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قُولُوا : لَا إِلَهَ إِلَّا اللَّهُ (أَنْ أَمْشُوا) أَيْ يَقُولُ بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ امشُوا (وَأَصْبِرُوا عَلَى آلِهَتِكُمْ) اثْبَتُوا عَلَى عِبَادَتِهَا (إِنَّ هَذَا) الْمَذْكُورُ مِنَ التَّوْحِيدِ (لَشَيْءٌ يُرَادُ) مِنَّا (مَا سَمِعْنَا بِهَذَا فِي الْمِلَّةِ الْآخِرَةِ) أَيْ مِلَّةِ عَيْسَى (إِنْ) مَا (هَذَا إِلَّا اخْتِلَافٌ) كَذِبٌ (أُزِيلَ) بِتَحْقِيقِ الْمَهْرَتَيْنِ وَتَسْهِيلِ الثَّانِيَةِ وَإِدْخَالِ أَلْفٍ بَيْنَهُمَا عَلَى الْوَجْهِينِ وَتَرْكِهِ (عَلَيْهِ) عَلَى مُحَمَّدٍ (الَّذِي كُرِيَ) الْقُرْآنَ (مِنْ بَيْنِنَا) وَلَيْسَ بِأَكْبَرَنَا وَلَا أَشْرَفَنَا ؟ أَيْ لَمْ يَنْزِلْ عَلَيْهِ ، قَالَ تَعَالَى (بَلْ هُمْ فِي شَكٍّ مِنْ ذِكْرِي) وَحَسْبَى أَيْ الْقُرْآنَ حَيْثُ كَذَبُوا الْجَانِي بِهِ (بَلْ لَمَّا) لَمْ (يَذُوقُوا عَذَابَ) وَلَوْ ذَاقُوهُ لَصَدَّقُوا النَّبِيَّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ فِيمَا جَاءَ بِهِ وَلَا يَنْفَعُهُمُ التَّصْدِيقُ حِينَئِذٍ (أَمْ عِنْدَهُمْ خَزَائِنُ رَحْمَةِ رَبِّكَ الْعَزِيزِ) الْغَالِبِ (الْوَهَّابِ) مِنَ النَّبِوَةِ وَغَيْرِهَا فَيُعْطُونَهَا مَنْ شَاءُوا (أَمْ لَهُمْ مُلْكُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا) إِنْ زَعَمُوا ذَلِكَ (فَلْيَرْتَقُوا فِي الْأَشْبَابِ) الْمَوْصِلَةَ إِلَى السَّمَاءِ فَيَأْتُوا بِالْوَحْيِ فَيُخْصَوْنَ بِهِ مَنْ شَاءُوا ، وَأَمَّا فِي الْمَوْضِعَيْنِ بِمَعْنَى هِمزة الإِنْكَارِ (جُعِدَ مَا) أَيْ هُمْ جُنْدٌ حَقِيرٌ (هُنَالِكَ) أَيْ فِي تَكْذِيبِهِمْ لَكَ (مَهْزُومٌ) ،

أن لما بمعنى لم ، فالمعنى لم يذوقوه إلى الآن وذوقهم له متوقع فإذا ذاقوه زال عنهم الشك وصدقوا وصدقهم حينئذ لا ينفعهم (قوله حينئذ) أى حين ذاقوه (قوله أم عندهم خزائن رحمة ربك) المعنى أن النبوة عطية من الله يفضل بها على من يشاء من عباده فلا مانع له (قوله الغالب) أى الذى لا يقا به شئ بل هو الغالب لكل شئ (قوله الوهاب) أى الذى يهب ما يشاء لمن يشاء (قوله أم لهم ملك السموات والأرض) المعنى ليس لهم تصرف في العالم الذى هو من جملة خزائن رحمته فمن أين لهم التصرف فيها (قوله فليرتقوا في الأسباب) القاء واقعة في جواب شرط مقتدر فقره بقوله : إن زعموا ذلك : أى المذكور من العندية والملكية ، والمعنى فليصعدوا في العارج التى يتوصل بها إلى العرش حتى يستنوا عليه ويدبروا أمر العالم وينزلوا الوحي على من يختارون (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى وبعضهم فقرها ببل والهمزة (قوله أى هم جند) أشار بذلك إلى أن جند خبر لمحدوف والتنوين للتقليل والتحقير ومالتأ كيد القلة (قوله هنالك) ظرف لجند أولهمزوم (قوله مهزوم) أى مهزوم ومغلوب ، والمعنى أن قریشا جند حقير قليل من الكفار المتحزبين على الرسل مهزوم مكسور عن قريب فلا تسكث بهم وتسل منهم

(قوله صفة جند أيضا) أى فقد وصف جند بصفات ثلاث : الأولى ما والثانية مهزوم والثالثة من الأحزاب (قوله وأولئك) أى الأحزاب (قوله كذبت قبلهم قوم نوح الخ) استئناف مقرر لمضمون ما قبله ببيان تفاصيل الأحزاب (قوله باعتبار المعنى) أى وهو أنهم أمة (قوله كان يتد) من باب وعد أى يدق ويفرز والأوتاد جمع وتد بفتح الواو وكسر التاء على الأنصح (قوله يشد إليها يديه الخ) أى ويضجعه مستلقيا على ظهره (قوله ويعذبه) قيل يتركه حتى يموت موقيل يرسل عليه العقارب والحيات ، وقيل معنى ذو الأوتاد ذو الملك الثابت أو ذو الجموع الكثيرة وفى الأوتاد استعارة بليغة حيث شبه الملك بيت الشعر وهو لا يثبت إلا بأوتاد (قوله أى التبيضة) أى الأشجار المتلفة المجتمعة ، وتقدم أنهم أهلكوا بالظلة (قوله أولئك الأحزاب) بدل من الطوائف المذكورة وقوله إن كل الخ استئناف جى به تقريراً لتكذيبهم وبياناً لكيفيته ونهيها لما يعقبه وإن نافية لأعمل لها لاتقاض النفي يلا (قوله لأنهم الخ) جواب عن سؤال كيف يقال إن كلا كذب الرسل مع أن كل أمة كذبت رسولا واحدا (قوله وما ينظر هؤلاء) شروع فى بيان عقاب كفار مكة إثر بيان عقاب إخوانهم الأحزاب (قوله وهى نفخة القيامة) أى الثانية (قوله ما لها من فواق) الجملة فى محل نصب صفة لصيغة ومن مزيدة فى للتبديد (قوله بفتح الفاء وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان بمعنى واحد (٣٣٠) وهو الزمان الذى بين خلق الحالب ورضع الرضيع ، والمعنى ما لها من توقف

قدر فواق ناقة ، وقال ابن عباس ما لها من رجوع من أفاق المريض إذا رجع إلى محنته وقد مشى عليه المفسر وكل صحيح (قوله لما نزل فأما من أوتى كتابه الخ) أى الذى فى سورة الحاقة (قوله قطنا) أى نصبنا وحطنا وأصله من قط الشيء أى قطعه (قوله أى كتاب أعمالنا) أى مقطوع أى مقطوع لأن صحيفة الأعمال قطعة ورق مقطوعة من غيرها (قوله

صفة جند (من الأحزاب) صفة جند أيضا : أى كالأجناد من جنس الأحزاب المتحزبين على الأنبياء قبلك وأولئك قد قهروا وأهلكوا فكذا نهلك هؤلاء (كذبت قبلهم قوم نوح) تأنيث قوم باعتبار المعنى (وعاد وفرعون ذو الأوتاد) كان يتد لكل من يغضب عليه أربعة أوتاد يشد إليها يديه ورجليه ويعذبه (وتمود وقوم لوط وأصحاب الأيكة) أى الغيضة وهم قوم شعيب عليه السلام (أولئك الأحزاب . إن) ما (كل) من الأحزاب (إلا كذب الرسل) لأنهم إذا كذبوا واحدا منهم فقد كذبوا جميعهم لأن دعوتهم واحدة وهى دعوة التوحيد (فحق) وجب (عتاب . وما ينظر) ينظر (هؤلاء) أى كفار مكة (إلا صيحة واحدة) وهى نفخة القيامة تحمل بهم العذاب (ما لها من فواق) بفتح الفاء وضما : رجوع (وقالوا) لما نزل : فأما من أوتى كتابه يمينه الخ (ربنا عجل لنا قسطنا) أى كتاب أعمالنا (قبل يوم الحساب) قالوا ذلك استهزاء ، قال تعالى (أصبر على ما يقولون واذكر عبدنا داود ذا الأيد) أى القوة فى العبادة ، كان يصوم يوما ويفطر يوما ويقوم نصف الليل وينام ثلثه ويقوم سدسه

قبل يوم الحساب) أى فى الدنيا (قوله أصبر على ما يقولون) فيه تهديد للكفار وتسليية لرسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله واذكر عبدنا داود الخ) المقصود من ذكر تلك القصص إظهار فضل المتقدمين وتسليية صلى الله عليه وسلم على أذى قومه فيقتدى بمن قبله لكونه سيد الجميع فهو أولى بالصبر والإضافة فى عبدنا لتشريف المضاف (قوله ذا الأيد) مصدر مفرد بوزن البيع من آد يلبد إذا قوى واشتد وليس جمع يد (قوله كان يصوم يوما ويفطر يوما) أى وهو جهاد للنفس دليل على قوة داود لأن النفس كالطفل فإذا فطمها عن شهوتها بالصوم يوما أطلقها فى اليوم الثانى ثم يعود لفطمها ، ولا شك أنه جهاد عظيم (قوله ويقوم نصف الليل الخ) هكذا فى بعض النسخ موافقة لما فى القرطبي والبيضاوى وأبى السمود وفى بعض النسخ كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه وهو الموافق لما فى الصحيحين من قوله عليه الصلاة والسلام «إن أحب الصيام إلى الله صيام داود ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان يصوم يوما ويفطر يوما وكان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولما فى الجامع الصغير من قوله عليه الصلاة والسلام «أحب الصيام إلى الله صيام داود كان يصوم يوما ويفطر يوما ، وأحب الصلاة إلى الله صلاة داود كان ينام نصف الليل ويقوم ثلثه وينام سدسه» ولعله كان أحيانا هكذا وأحيانا هكذا .

(قوله إنه أواب) تعليل لكونه ذا قوة في الدين (قوله إلى مرضاة الله) للرضا بمعنى الرضا (قوله إنا سخرنا الجبال) تحليل آح لقوته في الدين (قوله يسبحن) أي بلسان المقال ويسرن معه في السياحة والجملة حالية من مفعول سخرنا (قوله وقت صلاة العشاء) ظاهره أن المراد بها العشاء الأخيرة ، والذي يفهم من كلام غيره أنها للغرب حيث قال : فكان داود يسبح إثر صلاته عند طلوع الشمس وعند غروبها (قوله وينتاهي ضوءها) أي وهو ربيع النهار (قوله والطير محشورة) بالنصب في قوادة العامة معطوف على الجبال وقرئ مثذوذا بالرفع مبتدأ وخبر (قوله كل له أواب) أشار المفسر إلى أن الضمير في له عائد على داود . وحينئذ فالمعنى كل من الجبال والطير مطيع لداود في تسبيحه إن رفع رفعوا وإن خفض خفضوا وهو أحد قولين والآخر أنه عائد على الله تعالى ، والمعنى كل من داود والجبال والطير مطيع لله تعالى (قوله بالحرس) بفتححتين اسم جمع تخدم أو يضم الحاء وفتح الراء الشددة جمع حارس (قوله ثلاثون ألف رجل) في رواية ابن عباس ستة وثلاثون ألفا (قوله النبوة والاصابة في الأمور) هذا أحد أقوال في تفسير الحكمة ، وقيل هي العلم بكتاب الله تعالى ، وقيل العلم والفقه ، وقيل السنة (قوله البيان الشافي) أي الاظهار للنبيه للمخاطب من غير التباس ، وهو (٣٣١) أحد أقوال في تفسير فصل الخطاب ، وقيل الفصل في القضاء ، وقيل هو البيئة على المدعى والمبين على من أنكر ، وقيل هو أما بعد ، وقيل غير ذلك (قوله التعجب) أي حمل المخاطب على التعجب أو إيقاعه في العجب (قوله إلى استماع ما بعده) أي لكونه أمرا غريبا كقولك لجليسك : هل تعلم ما وقع اليوم تريد أن يستمع لكلامك ثم تذكر له ما وقع (قوله إذ تسوروا) ظرف لمضاف محذوف تقديره نبأ تخاصم

(إِنَّهُ أَوَّابٌ) رَجَاعٌ إِلَى مَرْضَاةِ اللَّهِ (إِنَّا سَخَرْنَا الْجِبَالَ مَعَهُ يُسَبِّحُنَ) بِتَسْبِيحِهِ (بِالْعَشَى) وَقْتُ صَلَاةِ الْعِشَاءِ (وَالْإِشْرَاقِ) وَقْتُ صَلَاةِ الضُّحَى ، وَهُوَ أَنَّ تَشْرِقَ الشَّمْسِ وَيَنْتَاهِي ضَوْوُهَا (وَو) سَخَرْنَا (الطَّيْرَ مُحْشُورَةً) مَجْمُوعَةٌ إِلَيْهِ تَسْبِيحُ مَعَهُ (كُلُّ) مِنَ الْجِبَالِ وَالطَّيْرِ (لَهُ) أَوَّابٌ رَجَاعٌ إِلَى طَاعَتِهِ بِالتَّسْبِيحِ (وَشَدَّ ذَنَاهُ مُلْكَهُ) قُوَّةً بِنَاءً بِالْحَرَسِ وَالْجُنُودِ وَكَانَ يَحْرُسُ مُحْرَابَهُ فِي كُلِّ لَيْلَةٍ ثَلَاثُونَ أَلْفَ رَجُلٍ (وَأَتَيْنَاهُ الْحِكْمَةَ) النَّبُوَّةُ وَالْإِصَابَةُ فِي الْأُمُورِ (وَفَصَّلَ الْخِطَابِ) الْبَيَانُ الشَّافِي فِي كُلِّ قَصْدٍ (وَهَلْ) مَعْنَى الْاسْتِفْهَامِ هُنَا التَّعْجِيبُ وَالتَّشْرِيقُ إِلَى اسْتِمَاعِ مَا بَعْدَهُ (أَتَاكَ) يَا مُحَمَّدُ (نَبَأُ الْخَصْمِ) إِذْ تَسَوَّرُوا لِلْخِرَابِ مُحْرَابَ دَاوُدَ أَيْ مَسْجِدَهُ حَيْثُ مَنَعُوا الدَّخُولَ عَلَيْهِ مِنَ الْبَابِ لَشُغْلِهِ بِالْعِبَادَةِ أَيْ خَبَرَهُمْ وَقَصَّتْهُمْ (إِذْ دَخَلُوا عَلَى دَاوُدَ فَفَزِعَ مِنْهُمْ قَالُوا لَا تَخَفْ) نَحْنُ (خَصْمَانِ) قِيلَ فَرِيقَانِ لِيُطَابِقَ مَا قَبْلَهُ مِنْ ضَمِيرِ الْجَمْعِ وَقِيلَ اثْنَانِ وَالضَّمِيرُ بِمَعْنَاهُمَا ، وَالْخَصْمُ يُطْلَقُ عَلَى الْوَاحِدِ وَكَثْرٍ وَهَذَا مَلِكٌ جَاءَ فِي صُورَةِ خَصْمَيْنِ وَقَعَ لِهَذَا مَا ذَكَرَ عَلَى سَبِيلِ الْعَرَضِ لَتَنْبِيهِ دَاوُدَ عَلَيْهِ السَّلَامُ عَلَى مَا وَقَعَ مِنْهُ ، وَكَانَ لَهُ تِسْعٌ وَتِسْعُونَ امْرَأَةً وَطَلَبَ امْرَأَةً شَخْصَ لَيْسَ لَهُ غَيْرُهَا ،

الخصم ولا يصح أن يكون ظرفا لأنك لأن إتيان النبأ كائن في عهد رسول الله لافي عهد داود ولا لنبا لأن النبأ واقع في عهد داود فلا يصح إتيانه رسول الله صلى الله عليه وسلم (قوله أي مسجده) أي الذي كان يدخله للاشتغال بالعبادة والطاعة (قوله حيث منعوا الدخول عليه من الباب) أي لكونهم أتوه في اليوم الذي كان يشتغل فيه بالعبادة فمنعهم الحرس الدخول عليه من الباب (قوله فزع منهم) أي لأنهم نزلوا من أعلى على خلاف العادة والحرس حوله (قوله قالوا لا تخف) جواب سؤال مقدر كأنه قيل : ماذا قالوا لما شاهدوا فزعهم ؟ فقال قالوا لا تخف (قوله قيل فريقان) هذا مبني على أن الداخل عليه كان أزيد من اثنين ، فكان المتخاصمين والشاهدين الزكيين (قوله وقيل اثنان) أي شخصان وهو مبني على أن الداخل المتداعيان فقط (قوله والخصم يطلق الخ) أي لأنه في الأصل مصدر (قوله وهما ملكان) قيل هما جبريل وميكائيل (قوله على سبيل العرض) بالعين المهملة : أي التعريض وهو جواب عما يقال إن الملائكة معصومون فكيف يتصور منهم البني أو الكذب . فأجاب بأن هذا على سبيل التعريض للمخاطب فلا يفتي فيه ولا كذب (قوله لتنبية داود) أي لإيقاظه على ما صدر منه (قوله وكان له تسع الخ) بيان لما وقع منه (قوله وطلب امرأة شخص) هو وزيره أوريا بن حان لسر عظيم وهو كما قيل إنها أم سليمان عليه السلام .

(قوله وتزوجها ودخل بها) مثنى للفسر على أن داود سأل أوريا بطلاق زوجته ثم بعد وفاة عذنها تزوجها داود ودخل بها وهو أحد أقوال ثلاثة . والثاني أن داود لما تعلق بها قلبه أمر أوريا بالهذهب الجهاد ليقتل فيتزوجها ففعل ، فلما قتل في الجهاد تزوجها داود . والثالث أن أوريا لم يكن متزوجا بها وإنما خطبها فقط فخطبها داود على خطبته وتزوجها ، وكان ذلك كله جائزا في شرعه وإنما عاتبه الله لرفعة قدره ، وللسيد أن يعاتب عبده على ما يقع منه وإن كان جائزا من باب حسنات الأبرار سيئات اللقرين (قوله ولا تشطط) العامة على ضم التاء من أشطط إذا تجاوز الحد وقرئ شدودا تشطط بفتح التاء وضم الطاء وتشط من أشط رباعيا إلا أنه أدغم وتشطط من شطط وتشطط (قوله إن هذا أخى الخ) مرتب على مقدر تقديره فقال لهما داود تسكما فقال أحدهما إن هذا أخى الخ (قوله أى على ديني) أى فليس المراد أخوة النسب ، لأن الملائكة لا يلدون ولا يوصفون بذكورة ولا أنوثة (قوله يعبر بها عن المرأة) أى يكنى بها عن المرأة لسكونها وعجزها ، وقد يكنى عنها بالبقرة والثاقة (قوله أى اجعلنى كافلها) هذا هو معناه الأصل ، والمراد هنا ملكيتها وانزل لى عنها (قوله وعزنى في الخطاب) أى فهو أفصح منى في الكلام فالغلبة له على لضعفى (قوله وأقره الآخر) أى المدعى عليه وهو جواب عما يقال كيف حكم داود ولم يسمع شيئا من المدعى عليه ؟ فأجيب بأنه مع منه الاقرار والاعتراف (قوله بسؤال نعمتك) من إضافة المصدر لمفعوله والفاعل محذوف أى بأن سألك نعمتك (٣٣٢) (قوله ليضمها) أشار بذلك إلى أنه ضمن السؤال معنى الإضافة والضم

(قوله من الخلطاء الشركاء) أى الدين خلطوا أمورهم وفيه إشارة إلى أن داود سائر ظاهر دعوام (قوله إلا الدين آمنوا) استثناء متصل (قوله فتنبه داود) أى علم أنهما يريدانه بهذا التعريض (قوله أما فتناه) ما زائدة ، والمعنى وظن داود أنما فتناه فتنبه ولاحظ ، والظن هنا بمعنى اليقين كما أشار له الفسر (قوله فاستغفر ربه) أى

وتزوجها ودخل بها (بغى بغضا على بغض فاحكمكم بيننا بالحق ولا تشطط) تجز (وأهدنا) أرشدنا (إلى سواء الصراط) وسط الطريق الصواب (إن هذا أخى) أى على ديني (له تسع وتسعون نعمة) يعبر بها عن المرأة (ولي نعمة واحدة فقال أكنفنيها) أى اجعلنى كافلها (وعزنى) غلبنى (في الخطاب) أى الجدال وأقره الآخر على ذلك (قال لقد ظلمك بسؤال نعمتك) ليضمها (إلى نعيمه وإن كثيرا من الخلطاء) الشركاء (ليبغى بعضهم على بعض إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم) مالتا كيد القلة فقال للسكان صاعدين في صورتهم إلى السماء قضى الرجل على نفسه فتنبه داود ، قال تعالى (وظن) أى أيقن (داود أنما فتناه) أو قنناه في فتنة : أى بلية بمحبته تلك المرأة (فاستغفر ربه وخر راكعا) أى ساجدا (وأتاب) فقفرنا له ذلك وإن له عفتنا لرائى (أى زيادة خير في الدنيا) وحسن مآب (مرجع في الآخرة ،

(يادادو)

طلب منه المغفرة ، وتقدم أنه ليس بذنب وإنما هو من باب

حسنات الأبرار سيئات اللقرين (قوله أى ساجدا) عبر بالركوع عنه لأن كلا منهما فيه انحناء (قوله وأتاب) أى رجع إلى مولاه . قال للفسرون : سجد داود أربعين يوما لا يرفع رأسه إلا الحاجة أولوقت صلاة مكتوبة ثم يعود ساجدا إلى تمام الأربعين يوما لا يأكل ولا يشرب وهو يبكى حتى نبت العشب حول رأسه وهو ينادى ربه عز وجل ويسأله التوبة ، وكان من دعائه في سجوده : سبحان الملك الأعظم الذى يبتلى الخلق بما يشاء سبحان خالق النور سبحان الخائل بين القلوب سبحان خالق النور ، إلهى خلقت بينى وبين عدوى إبليس فلم أقم لفتنته إذ نزلت فى سبحان خالق النور ، إلهى أنت خلقتنى وكان فى سابق علمك ما أنا إليه مائر سبحان خالق النور ، إلهى الويل لداود إذا كشف عنه النطاء . فيقال هذا داود الخاطي سبحان خالق النور ، إلهى بأى عين أنظر إليك يوم القيامة وإنما ينظر الظالمون من طرف خفى سبحان خالق النور ، إلهى بأى قدم أقدم أمامك يوم القيامة يوم نزل أقدام الخاطئين سبحان خالق النور ، إلهى من أين يطلب العبد المغفرة إلا من عند سيده سبحان خالق النور ، إلهى أنا لا أطيق حرّ شمك فكيف أطيق حرّ نارك سبحان خالق النور ، إلهى أنا لا أطيق صوت رعدك فكيف أطيق صوت جهنم سبحان خالق النور ، إلهى الويل لداود من الدنّب العظيم الذى أصابه سبحان خالق النور ، إلهى كيف يستقر الخاطئون بخطاياهم دونك وأنت تشاهدهم حيث كانوا سبحان خالق النور ، إلهى قد تعلم سرى وعلايتى فأقبل معذرتى

سبحان خالق النور ، الهى اغفر لى ذنوبى ولا تباعدنى من رحمتك لهوانى سبحان خالق النور ، الهى أعود بوجهك الكريم من ذنوبى التى أوقفتنى سبحان خالق النور ، الهى غفرت إليك بذنوبى وأهترت بخطيئى فلا تجعلنى من القاطنين ولا تخزنى يوم الدين سبحان خالق النور . قبل مكث داود أربعين يوماً ليرفع رأسه حتى نبت الرمح من دموع غيبه حتى غطى رأسه ، فنودى بآداد أجائع أنت تقطم أظمآن أنت تقسقى أظلوم أنت فتنصر فأجيب فى غير ما طلب ولم يجبه فى ذكر خطيئته بشئ فخرن حتى هاج ماحوله من المشب فاحترق من حرارة جوفه ثم أنزل الله تعالى له التوبة والعترة بقوله : قفترنا له ذلك وإن له عندنا لزلى وحسن مأب . وقد ورد أنه لما قبل الله توبته بكى على خطيئته ثلاثين سنة لا يرقأ دمه ليلاً ولا نهاراً وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة تقسم الدهر على أربعة أيام : يوم للقضاء ويوم لفسائه ويوم يسبح فى الجبال والقباب والسياسة ويوم يخلو فى داره فيها أربعة آلاف هراب فيجتمع إليه الرهبان ينوح معهم على نفسه فإذا كان يوم سياحته خرج إلى القباب ويرفع صوته بالبكاء فتبكي معه الأشجار والرمال والطيور والوحوش حتى يسيل من دموعهم مثل الأنهار ثم يجىء إلى الساحل فيرفع صوته بالبكاء فتبكي معه دواب البحر وطيور الماء فإذا كان يوم نوحه على نفسه نادى مناديه إن اليوم يوم نوح داود على نفسه فليحضره من يساعده ويدخل الدار التى فيها المحارب فيبسط فيها ثلاثة فرش من مسوح حشوها ليف فيجلس عليها ويجىء أربعة آلاف راهب فيجلسون فى تلك المحارب ثم يرفع داود عليه السلام صوته بالبكاء والرهبان معه فلا يزال يبكي حتى يفرق الفرائش من دموعه ويقع داود فيها مثل الفرخ يضطرب فيجىء ابنه سليمان فيحمله . وقد ورد أيضاً أنه لما تاب الله على داود قال يارب غفرت لى فكيف لى أن لأنسى خطيئى فأستغفر منها وللخاطئين إلى يوم القيامة ، فوسم الله خطيئته فى يده اليمنى فما رفع فيها طعاماً ولا شراباً إلا بكى إذا رآها (٣٣٣) ومقام خطيئى فى الناس إلا وبسط راحته فاستقبل بها

(يَا دَاوُدُ إِنَّا جَعَلْنَاكَ خَلِيفَةً فِي الْأَرْضِ) تدبر أمر الناس (فَأَحْكُم بَيْنَ النَّاسِ بِالْحَقِّ وَلَا تَتَّبِعِ الْهَوَىٰ) أى هوى النفس (فَيُضِلَّكَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الدلائل الدالة على توحده (إِنَّ الَّذِينَ يَصَلُّونَ عَنْ سَبِيلِ اللَّهِ) أى عن الإيمان بالله (لَهُمْ عَذَابٌ شَدِيدٌ بِمَا نَسُوا) بنسيانهم (يَوْمَ الْحِسَابِ) المرتب عليه تركهم الإيمان ولو أقنوا بيوم الحساب (لَا مَنَافَىٰ فِي الدُّنْيَا) وَمَا خَلَقْنَا السَّمَاءَ وَالْأَرْضَ وَمَا بَيْنَهُمَا بَاطِلًا) أى عبثاً ،

من خطيئته ما كان صام الدهر كله وقام الليل كله ، وكان إذا ذكر عتاب الله تعالى انحلت أوصاله وإذا ذكر رحمة الله تراجعته ما خلا (قوله يا داود إنا جعلناك خليفة فى الأرض) يحتمل أنه كلام مستأنف بيان لازلى فى قوله : وإن له عندنا لزلى ، ويحتمل أنه مقول لقول محذوف معطوف على قوله - قفترنا له - كأنه قيل قفترنا له وقلنا يا داود الخ وفى هذه الآية دليل على أن خلافة التى كانت قبل الفتنة باقية مستمرة بعد التوبة (قوله تدبر أمر الناس) أى لكونك ملكاً وسلطاناً عليهم ، فقد جمع لداود عليه السلام بين النبوة والسلطنة وكان فيمن قبله النبوة مع شخص والسلطنة مع آخر فيحكم السلطان بما يأمر به النبي (قوله بالحق) أى العدل لأن الأحكام إذا كانت موافقة لما أمر الله به صلت الخلق واستقام نظامهم بخلاف إذا كانت موافقة لهوى النفس فإن ذلك يؤدى إلى فساد النظام ووقوع المرح والمرج للؤذى للهلاك وهو معنى قولهم : العدل إن دام عمر والظلم إن دام دمى (قوله ولا تتبع الهوى) المقصود من نهيه لإعلام أمته بأنه معصوم ولتنبهه فيما أمر به لأنه إذا كان هذا الخطاب للمعصوم فغيره أولى (قوله فيضلك عن سبيل الله) بالنصب فى جواب النهى وهو أولى من جعله مجزوما عطفاً على النهى وقبح للتخلص من التقاء الساكنين (قوله أى عن الدلائل الدالة على توحده) إنما فسر السبيل بذلك وإن كان شاملاً لفروع الدين الوصلة إلى الله تعالى ليوافق قوله : لهم عذاب شديد الخ (قوله بنسيانهم) أشار بذلك إلى أن ماصدرية والباء سببية وقوله يوم الحساب إما ظرف لقوله : لهم عذاب شديد أو مفعول لنسوا (قوله المرتب عليه الخ) أى فالسبب الحقيقى فى حصول العذاب لهم هو ترك الإيمان ونسيان يوم الحساب سبب فى ترك الإيمان فكتفى بذكر السبب (قوله وما خلقنا السماء والأرض الخ) استئناف لتقرير ما قبله من البعث والحساب (قوله باطلاً) نفت لصدور محذوف أى خلق باطلاً أو حال من ضمير الخلق .

راحتة فاستقبل بها
الناس لبروا ومم خطيئته
واستغفروا وكان يبدأ إذا دعا
للخاطئين قبل نفسه ،
وكان قبل الخطيئة يقوم
نصف الليل ويصوم
نصف الدهر فلما كان

(قوله ذلك ظن الذين كفروا) أى مظنونهم (قوله فويل) هو فى الأصل معناه الهلاك أى هلاك ودمار للذين كفروا وعبر بالظلمة تقسبحا عليهم وإشارة إلى أن ظنهم إنما نشأ من أجل كفرهم (قوله أم نجعل الذين آمنوا وعملوا الصالحات الخ) أم منقطعة تفسر ببل والمحمزة وهو إضراب انتقالى من أمر البعث والحباب إلى بيان عدم استواء المؤمنين والكافرين فى المواقب وهو نظير قوله تعالى : أم حسب الذين اجترحوا السيئات أن نجعلهم كالذين آمنوا وعملوا الصالحات الآية (قوله أم نجعل المتقين الخ) تنويع آخر فى الإضراب والمعنى واحد (قوله بمعنى همزة الإنكار) أى مع بل التى للإضراب (قوله خبر مبتدأ محذوف) أى وأنزلناه صفة كتاب ومبارك خبر مبتدأ محذوف أو خبر ثان لصفة ثانية للكتاب لأنه يلزم عليه الوصف بالجملة قبل الوصف بالمفرد وفيه خلاف (قوله ينظروا فى معانيها) أى يتأملوا فيها فيزدادوا معرفة ونورا على حسب مشاربهم فان التالين للقرآن على مراتب فالعامة يقرءونه مرتلا مجردا مراعى بعض (٣٣٤) معانيه على حسب الطاقة ، والخاصة يقرءونه ملاحظين أنهم فى حضرة الله تعالى يقرءون كلامه عليه ، وخاصة الخاصة يقرءون فائين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضى الله عنهم وعنا بهم (قوله أولوا الأبواب) خصهم بالذكور لأنهم المنتقمون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أى من المرأة التى أخذها من أوريا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة (قوله أى سليمان) تفسير للخصوص بالمدح (قوله إذ عرض عليه) ظرف للمحذوف تقديره اذكر يا محمد تقومك وقت أن عرض الخ المعنى اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال)

(ذَلِكَ) أى خلق ما ذكر لا شئ (ظَنُّ الَّذِينَ كَفَرُوا) من أهل مكة (فَوَيْلٌ) وَايَ (لِلَّذِينَ كَفَرُوا مِنَ النَّارِ) أم نَجْعَلُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ كَالْمُسِيءِينَ فِي الْأَرْضِ أم نَجْعَلُ الْمُتَّقِينَ كَالْفُجَّارِ) نزل لما قال كفار مكة للمؤمنين إنا نعطى فى الآخرة مثل ما تعطون وأم بمعنى همزة الإنكار (كِتَابٌ) خبر مبتدأ محذوف أى هذا (أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ مُبَارَكٌ لِيَدَّبَّرُوا) أصله يتدبروا أدغمت التاء فى الدال (آيَاتِهِ) ينظروا فى معانيها فيؤمنوا (وَلِيَتَذَكَّرَ) يتعظ (أُولُوا الْأَبْوَابِ) أصحاب العقول (وَوَهَبْنَا لِدَاوُدَ سُلَيْمَانَ) ابنه (نِعْمَ الْعَبْدُ) أى سليمان (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجاع فى التوسيع والذكر فى جميع الأوقات (إِذْ عَرَضَ عَلَيْهِ بِالْعَشيِّ) هو ما بعد الزوال (الصَّافِنَاتُ) الخيل جمع صافنة وهى القائمة على ثلاث وإقامة الأخرى على طرف الحافر وهو من صفن يصفن صفونا (الجِيَادُ) جمع جواد وهو السابق ، المعنى أنها إذا استوقفت سكنت وإن ركضت سبقت وكانت ألف فرس عرضت عليه بعد أن صلى الظهر لإرادته الجهاد عليها لمدو فعند بلوغ العرض منها تسعمائة غربت الشمس ولم يكن صلى العصر فاعتم (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ) أى أردت (حُبَّ الْخَيْلِ) أى الخيل (عَنْ ذِكْرِ رَبِّي) أى صلاة العصر (حَتَّى تَوَارَتْ) أى الشمس (بِالْحِجَابِ) أى استترت بما يحجبها عن الأبصار (رُدُّوْهَا عَلَيَّ) أى الخيل المروضة فردوها (فَطَفِقَ مَسْحًا) بالسيف (بِالشُّوقِ) جمع ساق (وَالْأَعْنَاقِ) ،

تعالى يقرءون كلامه عليه ، وخاصة الخاصة يقرءون فائين عن أنفسهم مشاهدين أن لسانهم ترجمان عن الله تعالى رضى الله عنهم وعنا بهم (قوله أولوا الأبواب) خصهم بالذكور لأنهم المنتقمون بالتذكر (قوله ووهبنا لداود) أى من المرأة التى أخذها من أوريا وكان سنه إذ ذاك سبعين سنة (قوله أى سليمان) تفسير للخصوص بالمدح (قوله إذ عرض عليه) ظرف للمحذوف تقديره اذكر يا محمد تقومك وقت أن عرض الخ المعنى اذكر القصة الواقعة فى ذلك الوقت (قوله ما بعد الزوال)

أى إلى الغروب (قوله وهى القائمة) أى الواقعة على ثلاث قوائم (قوله على طرف الحافر) أى من رجل أويد (قوله وهو من صفن) أى مأخوذ منه والشافن من الآدميين الذى يصف قدميه ويفرق بينهما وجمعه صفون (قوله جمع جواد) وقيل جمع جيد يطلق على كل من الذكر والأنثى مأخوذ من الجودة أو الجيد وهو العنق ، والمعنى طويلة العنق لفراحتها (قوله المعنى) أى معنى الصافنات الجياد (قوله وكانت ألف فرس) روى أنه غزا أهل دمشق ونصيبين وأصاب منهم ألف فرس ، وقيل أصابها أبوه من الهائلة فوضع يده عليها لبيت المال ، وقيل خرجت له من البحر ولها أجنحة (قوله لارادة الجهاد) أى ليختبرها (فَقَالَ إِنِّي أَحْبَبْتُ الخ) أى على وجه الاعتذار عما صدر منه وندما عليه وضمن أحبيت معنى آثرت فعدها بمن (قوله أى الخيل) إنما سمها خيرا لتعلق الخبر بها لما فى الحديث لا الخير معقود بنواصى الخيل إلى يوم القيامة (قوله بالحجاب) أى وهو جبل دون جبل قاف بمسيرة سنة تقرب من ورائه (قوله رُدُّوْهَا عَلَيَّ) الخطاب لاتباعه للتولين أمر الخيل والضمير عائد على التى شغلته وهى التسعمائة ، وأما المائة الأخرى فلم يذبحها ، ومافى أبدى الناس من الخيل الجياد فمن نسل تلك المائة .

(قوله أي ذبحها وقطع أرجلها) أي وكان مباحا له ولدا لم ينتبه الله عليه وهذا قول ابن عباس وأكثر المفسرين ، وقيل الضمير في قوله ردوها عائداً على الشمس والخطاب لللائكة الموكلين بها فردوها فسلمى العصر في وقتها ، وقال الفخر الرازي معنى قوله فطبق مسحاً بالسوق والأعناق أنه يمسخها حقيقة بيده ليختبر هيوها وأمرأها لكونه كان أعلم بأحوال الخيل وإشارة إلى أنه بلغ من التواضع إلى أنه يباشر الأمور بنفسه ولم يحصل منه ذبح ولا عقرو لم تقوت عليه صلاة ، ومعنى إني أحيت حب الخير عن ذكر ربي : أي لأجل طاعة ربي لا لمهوى نفسي ، ومعنى توارت بالحجاب : أي الخيل غابت عن بصره حين أمر بأجرأها ليختبرها للفرز فقال ردوها على فردوها فصار يمسح في أعناقها وسوقها كما تقدم وليس في الآية ما يدل على ثبوت ذبح ولا عقرو ولا نوات صلاة له بالمعنى (قوله ولقد فتنا سليمان الخ) أجل الفسر في القصة . وحاصل قصصها على ما رواه وهب بن منبه قال سمع سليمان بمدينة في جزيرة من جزائر البحر يقال لها صيدون وبها ملك عظيم الشأن ولم يكن للناس إليه سبيل لمكانه في البحر وكان الله تعالى قد آتى سليمان في ملكه سلطاناً لا يتمتع عليه شيء في بر ولا بحر وإنما يركب إليه الريح فخرج إلى تلك المدينة فحمله الريح على ظهر الماء حتى نزل بمنجوده من الجن والانس فقتل ملكها وسي ما فيها وأصاب فيما أصاب بقنا لذلك الملك يقال لها جرادة لم ير مثلاً حسناً ولا جالاً فاصطفاه لنفسه ودعاها إلى الاسلام فأسلمت على جفاء منها وقلة فقه وأحبها حباً لم يحب مثله أحداً من نساؤه وكانت على منزلتها عنده لا يذهب حزنها ولا يرقأ دمعها فشقى ذلك على سليمان ، فقال لها ويحك ما هذا الحزن الذي لا يذهب والدمع الذي لا يرقأ ، قالت إن أبي أذكرك وأذكرك ما لك وما كان فيه وما أصابه فيحزني ذلك ، فقال سليمان فقد أبدلك الله به ملكاً هو أعظم من ذلك قالت إن ذلك كذلك ولكنني إذا ذكرته أصابني ما ترى من الحزن فلو أنك أمرت الشياطين فصوروا لي صورته في دارى التي أنا فيها أراها بكرة وعشية لرجوت أن يذهب ذلك حزنى وأن يسلى عني بعض ما أجعد في نفسي فأمر سليمان الشياطين ، (٣٣٥) فقال مثلوا لها صورة أيها

في دارها حتى لا تنكر منه شيئاً فتثو له ما حتى نظرت إلى أيها بعينه إلا أنه لا روح فيه فعمدت

أي ذبحها وقطع أرجلها تقرباً إلى الله تعالى حيث اشتغل بها عن الصلاة وتصدق بالحبها فوضه الله تعالى خيراً منها وأسرع ، وهى الريح تجري بأمره كيف شاء (وَلَقَدْ فَتَنَّا سُلَيْمَانَ) ابتليناه بسلب ملكه وذلك ،

إليه حين صنعوه فالبسته ثياباً مثل ثيابه التي كان يلبسها ، ثم كانت إذا خرج سليمان من دارها نفدوا إليه في ولائها : أي جوارها ففسجده له ويسجدن له كما كانت تصنع في ملكه : أي أيها وتروح في كل عشية بمثل ذلك وسليمان لا يعلم بشيء من ذلك أربعين صباحاً وبلغ ذلك إلى آصف بن برخيا وكان صديقاً له وكان لا يرد عن أبواب سليمان أية ساعة أراد دخول شيء من بيوته دخل سواء كان سليمان حاضراً أو غائباً فأتاه وقال يا بني الله إن غير الله يعبد في دارك منذ أربعين صباحاً في هوى امرأة فقال سليمان في دارى قال في دارك قال فأتاه وإنا إليه راجعون ثم رجع سليمان إلى داره ففكسر ذلك الصنم وعاب تلك المرأة وولائها ثم أمر بتياب الظهرة فأثى بها وهى ثياب لا يفرزها إلا الأبقار ولا ينسجها إلا الأبقار ولا يفسلها إلا الأبقار لم تفسها يد امرأة قدرأت الدم فلبسها ثم خرج إلى فلاة من الأرض وحده وأمر برماد ففرش له ثم أقبل ثانياً إلى الله تعالى حتى جالس على ذلك الرماد وتملك به في ثيابه تدلاً إلى الله تعالى وتضرعاً إليه يبكي ويدعو ويستغفر مما كان في داره فلم يزل كذلك يومه حتى أمسى ، ثم رجع إلى داره وكانت له أم ولد يقال لها الأمانة كان إذا دخل الحلاء أو أراد إصابة امرأة من نساؤه وضع خاتمه عندها حتى يظهر وكان لا يمسه خاتمه إلا وهو طاهر وكان ملكه في خاتمه فوضه يوماً عندها ، ثم دخل مذهبها فأتاها شيطان اسمه صخر المارد بن عمبر في صورة سليمان لا تنكر منه شيئاً فقال هات خاتمي يا أمانة فتناولته إياه فجعله في يده ثم خرج حتى جلس على سرير سليمان وعكفت عليه الطير والوحش والجن والانس وخرج سليمان فأثى الأمانة وقد تغيرت حالته وهيلته عند كل من رآه فقال يا أمانة خاتمي قالت من أنت قال سليمان بن داود فقالت كذبت قد جاء سليمان وأخذ خاتمه وهو جالس على سرير ملكه فصرف سليمان أن خطيئته أدركته فخرج وجعل يقف على الدار من هور بنى إسرائيل ويقول أنا سليمان ابن داود فيحشون عليه الثراب ويقولون انظروا إلى هذا المجنون يزعم أنه سليمان ، فلما رأى ذلك عهد إلى البحر فكان ينقل الحيتان لأصحاب السوق ويعطونه كل يوم سمكتين فإذا أمسى باع إحدى سمكتيه بأربعة ويشوى الأخرى فيأكلها فكش على ذلك أربعين صباحاً عدة ما كان يعبد الوثن في داره ثم إن آصف وعظماء بنى إسرائيل أنكروا حكم عذر الله الشيطان في تلك المدة فقال آصف

بأنفسهم بن إسرائيل هل رأيتم من اختلاف حكم ابن داود مارأيتم فقالوا نعم ، فلما مضى أربعون صباحا طار الشيطان هو
 مجاسه ، ثم مر بالبحر فقذف الخاتم فيه فأخذته سمكة فأخذها بعض الصيادين وقد عمل له سليمان صدر يومه . فلما أمسى
 أعطاه سمكته فباع سليمان إحداهما بأربعة و بقر بطن الأخرى لبشورها فاستقبله خاتمه في جوفها فأخذه وجعله في يده وخر
 لله ساجدا وعكفت عليه الطير والجن وأقبل الناس عليه وعرف أن الذي دخل عليه من أجل ماحدث في داره فرجع إلى
 ملكه وأظهر التوبة من ذنبه وأمر الشياطين أن يأتوه بصخر المارد فأتى به فأدخله في جوف صخرة وسد عليه باخري ،
 ثم أوثقهما بالحديد والرصاص ، ثم أمر به فقذف في البحر فهو باق فيها إلى النفخة ، وسيأتي رد تلك القصة وأنها من
 موضوعات الأخباريين (قوله لتزوجه بامرأة) أي واسمها جرادة (قوله هواها) قياسه هواها بمعنى أحباها من باب صدى
 وأما هو كرم فهو بمعنى سقط ، وفي نسخة يهواها وهي ظاهرة (قوله وكانت تعبد الصنم) أي وهو صورة أيها ومدة
 ذلك أربعون يوما (قوله وكان ملكه في خاتمه) أي كان ملكه مرتبا على لبسه إياه فاذا لبسه سخرت له الرج والجن
 والشياطين وغيرها وإذا زعه زال عنه ذلك ، وكان خاتمه من الجنة وهو من جملة الأشياء التي نزل بها آدم من الجنة وقد
 نظمها بعضهم بقوله :

وآدم معه أزل العود والصا لموسى من الآس النبات السكرم

وأوراق تين واليمين بمسكة وختم سليمان النبي العظم

وقوله العود المراد به عود البخور (٣٣٦) وقوله واليمين بمسكة للراد به الحجر الأسود وورد في الحديث «أن نقش خاتم

لتزوجه بامرأة هواها وكانت تعبد الصنم في داره من غير علمه وكان ملكه في خاتمه فتزعه مرة
 عند إرادة الخلاء ووضعه عند امرأته المسماة بالأمنية على عادته ، فجاءها حتى في صورة سليمان
 فأخذه منها (وَأَقْمِنَا عَلَى كُرْسِيِّ جَسَدًا) هو ذلك الجنى ، وهو صخر أو غيره جلس على كرسى
 سليمان وعكفت عليه الطير وغيرها فخرج سليمان في غير هيئته فرآه على كرسيه وقال للناس أنا
 سليمان فأنكروه (ثم أناب) رجع سليمان إلى ملكه بعد أيام بأن وصل إلى الخاتم قلبه
 وجلس على كرسيه (قَالَ رَبِّ اغْفِرْ لِي ،

سليمان لا إله إلا الله محمد
 رسول الله » (قوله
 ووضعه عند امرأته)
 في عبارة غيره أم ولده
 المسماة بالأمنية (قوله هو
 ذلك الجنى) أي وسمى
 جسدا لأنه ليس فيه
 روح سليمان وإن كان
 فيه روحه هو لأن الجسد

هو الجسم الذي لا روح فيه (قوله وهو صخر) أي ابن عمير المارد (قوله في غير هيئته) أي للعادة التي كانوا

يعرفونه بها (قوله رجع سليمان إلى ملكه) هذا التفسير مبنى على أن قوله ثم أناب مرتبط بقوله وألقينا على كرسيه جسدا وقال
 غيره إنه مرتبط بقوله ولقد فتنا سليمان ومعنى إنا بنه رجوعه إلى الله تعالى وتوبته (قوله بعد أيام) أي أربعين قال القاضي عياض
 وغيره من المحققين لا يصح ما نقله الأخباريون من تشبه الشيطان بسليمان وتسلطه على ملكه وتصرفه في أمته بالجور في حكمه وإن
 الشياطين لا يساطون على مثل هذا وقد عصم الله تعالى الأنبياء من مثل هذا والذي ذهب إليه المحققون أن سبب فتنة ما أخرجه
 في الصحيحين من حديث أبي هريرة رضي الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم « قال سليمان : لأطوفن الليلة على تسعين
 امرأة » وفي رواية « على مائة امرأة كلهن يأتين بفارس يجاهد في سبيل الله تعالى فقال له صاحبه قل إن شاء الله فلم يقل إن
 شاء الله فطاف عليهن جميعا فلم تحمل منهن إلا امرأة واحدة جاءت بشق رجل وإيم الله الذي نفسى بيده لو قال إن شاء الله
 لجاهدوا في سبيل الله فرسانا أجمعون » قال العلماء والشق هو الجسد الذي ألقى على كرسيه وقتلته من نسيان الشبهة فامتحن بهذا
 فتاب ورجع وقيل إن المراد بالجسد الذي ألقى على كرسيه أنه ولد له ولد فاجتمعت الشياطين وقال بعضهم لبعض إن عاش له ولد لم تنفك
 من البلاء فبيلنا أن نقتل ولده أو نجعله قلع بذاك سليمان فأمر السحاب فحمله فكان يريه في السحاب خوفا من الشياطين فيبنا هو
 مشتغل في بعض مهماته إذ أتى ذلك الولد ميتا على كرسيه فتابه الله على خوفه من الشياطين حيث لم يتوكل عليه في ذلك فتنبه واستغفر
 ربه ، إذا علمت ذلك فالتناسب أن يرجع على ما في الصحيحين وتترك تلك القصة البشعة (قوله قال رب اغفر لي) إنما قال ذلك
 تواضعا وإظهارا للخضوع لله عز وجل والا فهو لم يحصل منه ذنب وإنما هو من باب حسنات الأبرار سيئات المقرين .

(قوله وهب لي ملكا الخ) ثم طلب الغفرة اهتماما بأمرهين (قوله لا ينبغي لأحد من عبادي) أي ليكون معجزة لي فليس طلبة للغفرة بأمر الدنيا وإنما كان هو من بيت النبوة والملك وكان في زمن الجبارين وضاغرم بالملك فطلب ما يكون معجزة لقومه ومعجزة كل نبي ما اشتهر في عصره (قوله إنك أنت الوهاب) تليل للدعاء بالغفرة والمجبة (قوله فسخرنا له الريح) أي أعدنا له تسخير الريح بعد ما كان قد ذهب بزوال ملكه ، وهذا على ما مضى عليه التفسير وعلى ما مضى عليه المحققون فيقال أدمنا تسخيرها (قوله تجرى بأمره) بيان لتسخيرها له (قوله رخاء) حال من الريح (قوله لينة) أي غير عاصفة وهذا في أثناء سيرها وأما في أوله فهي عاصفة فكانت العاصفة تقطع الساط والرخاء تسيره (قوله بأمره) أي إياها فالمصدر مضاف لفاعلها (قوله كل بناء) بدل من الشياطين (قوله وآخرين) عطف على كل بناء ، وذلك أن سليمان قسم الشياطين إلى عملة استخدمهم في الأعمال الشاقة من البناء والنوص ونحو ذلك وإلى مقرنين في السلاسل كالمردة والعنابة (قوله القيود) من العلوم أن القيد يكون في الرجل فلا يلتزم مع قوله : بجمع أيديهم الخ فلو فسر الأصناف بالأغلال لكان أولى لأنها تطلق عليها كما تطلق على القيود (قوله وقتلنا له هذا) أي هذا للآفة عطاؤنا (قوله بغير حساب) فيه ثلاثة أوجه : أحدها أنه متعلق بعطاؤنا : أي أعطيناك بغير حساب وبغير حصر . الثاني أنه حال من عطاؤنا : أي في حال كون عطاؤنا (٣٣٧) غير محاسب عليه . والثالث

أنه متعلق بامن أو أمسك واللعن أعط من شئت وامنع من شئت لاحساب عليك في إعطاء ولا منع . قال الحسن : ما أنعم الله نعمة على أحد إلا عليه فيها نعمة لإسليان فانه إن أعطى أجر وإن لم يعط لم يكن عليه نعمة (قوله) ابن له عندنا لزي وحسن مآب (أي زيادة خير في الدنيا والآخرة) (قوله) واذكر عبدنا أيوب (عطف على قوله واذكر عبدنا داود عطف قصة

وَهَبَ لِي مَلَكًا لَا يَذْبُقُنِي) لَا يَكُون (لِأَحَدٍ مِنْ بَعْدِي) أَي سِوَايَ نَحْو : فَمَنْ يَهْدِيهِ مِنْ بَعْدِ اللَّهِ أَي سِوَى اللَّهِ (إِنَّكَ أَنْتَ الْوَهَّابُ . فَسَخَّرْنَا لَهُ الرِّيحَ تَجْرِي بِأَمْرِهِ رُخَاءً) لِينَةً (حَيْثُ أَصَابَ) أَوَادَ (وَالشَّيَاطِينَ كُلَّ بَنَاءٍ) بَيْنَ الْأَبْنِيَةِ الْمَجْبِيَةِ (وَغَوَّاصٍ) فِي الْبَحْرِ يَسْتَخْرِجُ الْقَوْثُ (وَآخَرِينَ) مِنْهُمْ (مُقَرَّنِينَ) مَشْدُودِينَ (فِي الْأَصْفَادِ) الْقِيُودِ بِجَمْعِ أَيْدِيهِمْ إِلَى أَعْنَاقِهِمْ وَقَتْلَانَهُ (هَذَا عَطَاؤُنَا فَامْنُنْ) أَعْطِ مِنْهُ مِنْ شَيْءٍ (أَوْ أَمْسِكْ) عَنِ الْإِعْطَاءِ (بِغَيْرِ حِسَابٍ) أَي لِاحْسَابِ هَلِيكَ فِي ذَلِكَ (وَإِنَّ لَهُ هِنْدَانًا أَرْزُلْنِي وَحُسْنَ مَآبٍ) تَقْدِمُ مِثْلَهُ (وَاذْكُرْ هَذَا أَيُّوبَ إِذْ نَادَى رَبَّهُ أُنِّي) أَي بَأْنِي (مَسْنَى الشَّيْطَانِ بِنُصْبٍ) ضَرَّ (وَعَذَابٍ) أَلَمٍ ، وَنَسَبَ ذَلِكَ إِلَى الشَّيْطَانِ وَإِنْ كَانَتِ الْأَشْيَاءُ كُلُّهَا مِنْ اللَّهِ تَأْدِيبًا مَعَهُ تَعَالَى ، وَقِيلَ لَهُ (أَرَأَيْتَ إِنْ كُنْتُ) أَضْرِبُ (بِرِجْلِكَ) الْأَرْضَ فَضَرِبَ فَنَبِثَ عَيْنَ مَاءٍ قَلِيلٍ (هَذَا مُقْتَسَلٌ) مَاءٌ تَقْتَسِلُ بِهِ (بَارِدٌ وَشَرَابٌ) تَشْرَبُ مِنْهُ فَاغْتَسَلَ وَشَرِبَ فَذَهَبَ عَنْهُ كُلُّ دَاءٍ كَانَ يَبَاطِنُهُ وَظَاهَرُهُ (وَوَهَبْنَا لَهُ أَهْلَهُ وَمِثْلَهُمْ مَعَهُمْ) أَي أَحْيَا اللَّهُ لَهُ مِنْ مَاتَ مِنْ أَوْلَادِهِ وَرَزَقَهُ مِثْلَهُمْ ،

على قصه وليس معطوفا على قصة سليمان لانه الكمال الاتصال بينه وبين أبيه لم يصتر في قصته بقوله : واذكر عبدنا سليمان مثلا بل كانا كأنهما قصة واحدة ، وتقدم لنا في الأنبياء أن أيوب بن أموص بن رازح بن روم بن عيص بن إسحق بن إبراهيم عليه السلام ، وقيل إنه ابن عيص بن إسحق ، وقيل هو ابن أموص بن رغيل بن عيص بن إسحق وتقدمت قصته مفصلة في سورة الأنبياء (قوله إذ نادى ربه) بدل من عبدنا أو عطف بيان له (قوله أنى مسى الشيطان) أي حين ابتلى بفقد ماله وولده وتمزيق جسده وهجر جميع الناس له إلا زوجته وكانت مدة بلائه ثلاث سنين ، وقيل سبعة وقيل عشرة (قوله بثمانى عشرة) (قوله بنصب) بضم فسكون التبع والشقة ، وقوله وعذاب عطف سبب على مسبب (قوله تأدبا معه تعالى) أي لأن الشيطان هو السبب في ذلك لأنه نفع في أنه فرض جسده ظاهرا وباطنا لإلحاقه ولسانه (قوله وقيل له) أي حين رجاوقت شفائه (قوله فنبعث عين ماء) ظاهره أنها عين واحدة وهو أحد قولين ، وقيل كانتا عينين بأرض الشام في أرض الجابية فاغتسل من إحداها فأذهب الله تعالى ظاهر دائه وشرب من الأخرى فأذهب الله باطن دائه وكانت إحدى العينين حارة والأخرى باردة فاغتسل من الحارة وشرب من الأخرى (قوله) ووهبنا له أهله (عطف على عذوف قدره التفسير بقوله فاغتسل الخ) (قوله من مات من أولاده) أي وكانوا ثلاثة ذكور وثلاث [٤٣ - صاوى - ثالث] إناث ، وقيل كل صنف سبع (قوله ورزقه مثلهم) أي من زوجته وزيد في شبابها

واسمها قيل رحمة بنت أفرائيم بن يوسف ، وقيل ليابت يعقوب (قوله رحمة الخ) مفعول لأجله : أي لأجل رحمتنا إياه ولستذكر بحاله أولوا الأبواب (قوله وخذ بيدك ضحًا) عطف على عذوف قدره المفسر بعد بقوله وكان قد حلف الخ (قوله هو حزمة) أي ملء الكف (قوله لإبطائها عليه يوما) واختلف في سبب بطنها للتسبب عنه حلفه ، فقيل إن الشيطان تمثل في طريقها في صورة حكيم يداوى للرصى فترت عليه فوجدت الناس منكبين عليه ، فقالت له عندي مريض ، فقال أداويه على أنه إذا برى قال أنت شفتني لأريد جزاء سواء . قالت نعم ، فأشارت على أيوب بذلك حلف ليضربها وقال ويحك ذلك الشيطان وقيل إنها باعت ذواتها برغيفين حين لم تجد شيئاً تحمله إلى أيوب وكان أيوب يتعلق بها إذا أراد القيام فلهذا حلف ليضربها ، وقيل غير ذلك (قوله ولا تحنت) أي لاتقع في عيئك بحيث تترك كفارتك وهذا الحكم من خصوصيات أيوب رفقا بزوجته وأما في شرعنا فلا يبرأ إلا بضرب اللثة وضربه بأعواد عجمية لا يمد واحدة منها إلا إذا حصل منه ألم الضربة المنفردة (قوله إنا وجدناه صابرا) أي غلصناه ، والمعنى أظهرنا صبره للناس (قوله أيوب) تفسير للخصوص بالمدح (قوله واذا كره عبادنا إبراهيم الخ) أي اذا كرههم على ما امتنعوا به (٣٣٨) (قوله أولى الأيدي) العامة على ثبوت الياء وهو جمع يد فيكنى بذلك عن الأعمال

لأن أكثر الأعمال إنما يزاول بها ، وقيل المراد بالأيدي النعم وفسرها المفسر بالقوة في العبادة وكلها معان متقاربة وقوى شذوذ الجحذف الياء تخفيفا (قوله إنا أخلصناهم) تعليل لما وصفوا به من شرف العبودية وعلو الرتبة بالعلم والعمل (قوله بخالصة) صفة لموصوف عذوف تقديره بخالصة خالصة (قوله هي ذكرى الدار) جعلها المفسر خبرا لمحذوف (قوله وفي قراءة الخ) مقابل لما قدره المفسر وهما قراءتان

(رَحْمَةً) نعمة (مِنَّا وَذِكْرِي) حظة (لِأُولَى الْأَبْوَابِ) لأصحاب العقول (وَخَذَ بِيَدِكَ ضِحًّا) هو حزمة من حشيش أو قضبان (فَأَضْرِبْ بِهَا) زوجها وكان قد حلف ليضربها مائة ضربة لإبطائها عليه يوما (وَلَا تَحْنَتِ) بترك ضربها فأخذ مائة هود من الإذخر أو غيره فضربها به ضربة واحدة (إِنَّا وَجَدْنَاهُ صَابِرًا نِعْمَ الْعَبْدُ) أيوب (إِنَّهُ أَوَّابٌ) رجع إلى الله تعالى (وَأَذْكُرْ عِبَادَتَنَا إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَيَعْقُوبَ أُولَى الْأَيْدِي) أصحاب القوى في العبادة (وَالْأَبْصَارِ) البصائر في الدين ، وفي قراءة عبدنا وإبراهيم بيان له وما بعده عطف على عبدنا (إِنَّا أَخْلَصْنَاهُمْ بِخَالِصَةٍ) هي (ذِكْرِي الدَّارِ) الآخرة أي ذكرها والعمل لها وفي قراءة بالإضافة وهي للبيان (وَلِإِنَّهُمْ عِنْدَنَا لَمِنَ الْمُصْطَفَيْنِ) المختارين (الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتشديد (وَأَذْكُرْ إِسْمَاعِيلَ وَالْيَسَعَ) هو نبي واللام زائدة (وَذَا الْكِفْلِ) اختلف في نبوته قيل كفل مائة نبي فروا إليه من القتل (وَكَرَّ) أي كلمهم (مِنَ الْأَخْيَارِ) جمع خير بالتثنية (هَذَا ذِكْرُهُ) لهم بالثناء الجميل هنا (وَإِنَّ الْمُتَّقِينَ) الشاملين لهم (الْحُسْنِ مَابٍ) مرجع في الآخرة (جَنَّاتٍ حَدَنَ) بدل أو عطف بيان لحسن مآب (مُفْتَحَةٌ لَهُمْ الْأَبْوَابُ) منها (مُتَكَبِّرِينَ فِيهَا) على الأرائك ،

سبعيتان فعلى القراءة الأولى يكون ذكرى مرفوعا على إضمار مبتدأ وعلى الثاني يكون (يدعون) مجرورا بالإضافة وعلامة جرّه كسرة مقدرة على الألف المحذوفة والإضافة بيانية كما قال للمفسر (قوله واذا كره إسماعيل) فصل ذكره عن ذكر آييه وأخيه للإشمار ببراقته في الصبر الذي هو المقصود بذكر مناقبهم (قوله واليسع) هو ابن أخطوب بن العجوز استخلفه الياس على بني إسرائيل ثم نبأه الله عليهم كاتقدم (قوله اختلف في نبوته) روى الحاكم عن وهب : أن الله بعث بعد أيوب ابنه هيرا وسماه ذا الكفل فهو هير بن أيوب اختلف في نبوته ولقبه والصحيح أنه نبي ، وسعى ذا الكفل إما لما قاله المفسر أولأنه تكفل يوم يصام النهار وقيام الليل وأن يقضى بين الناس ولا يضب فوقى بما التزم وتقدمت قصته في الأنبياء (قوله أي كلمهم) أي المتقدمين من داود إلى هنا (قوله هذا ذكر) جملة من مبتدأ وخبر قصد بها الفصل بين ما قبلها وما بعدها فهي للاتصال من غرض إلى آخره فيها تخلص من قصة وكذا يقال في قوله هذا وإن الطاغين الخ (قوله وإن للتقين الخ) شروع في بيان أجرهم الجزيل بعد ذكرهم الجميل (قوله الشاملين لهم) أي فالتقين يشملهم وغيرهم (قوله مفتحة) حال من جنات عدن والعامل فيها مافى المتقين من معنى الفعل والأبواب مرفوعة باسم المفعول وأل عوض عن الضمير (قوله متكئين) حال من الهاء في لهم والاقصار على دعاء الفاكهة للايذان بأن مطالعهم لحض التفكه والتلذذ دون التغذى لأنه لا جوع فيها .

(قوله حابسات الأعين) أى لا ينظرون إلى غيرهم نظراً شهوة وميل (قوله أسنانهن واحدة) أى فقد استوين في السن والجمال ، وقيل معنى أتراب متواخيات لا يتباغضن ولا يتباينن ولا يتحاسدن وكل صحيح (قوله لأجله) أى لأجل وقوعه فيه فوقوعه وإنجازته فيه هبة للوعد به في الدنيا (قوله إن هذا الرزقنا) من كلام الله تعالى ، وللعنى أن هذا أى ما ذكر من الجنات وأوصافها رزقنا أى هو الرزق الذى تنفضل به على عبادنا ما له من نقاد أى انقطاع أبداً (قوله أى دائماً الخ) لف ونشر مرتب (قوله هذا) مبتدأ حذف خبره قدره بقوله للذ كور وهو تخلص من مآل للتقين لمآل المجرمين فهو بمنزلة أمابعد (قوله وإن للطاغين) أى الكافرين (قوله لشر مآب) مقابل قوله في حق للتقين لحسن مآب (قوله يصلونها) أى يكونون بها على سبيل التأييد وهو لازم للدخول (قوله الفرائش) أى النطاء والوطاء (قوله هذا مبتدأ) وحميم وغساق وآخر خبره ومن شكله صفة أولى لآخر وأزواج صفة ثانية له وقوله فليذوقوه جملة معترضة بين البتداء والخبر ، وهذا أحسن ما يقال (قوله عحرق) أى للأمعاء لقوله في الآية الأخرى : وسقوا ماء حمياً فقطع أمعاءهم (قوله بالتخفيف والتشديد) (٣٣٩) أى فهما قراءتان سبعيتان

(قوله من صديد الخ) بيان لما كانه قال وهو صديد أهل النار الذى يسيل من جلودهم وفروجهم (قوله بالجمع والافراد) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله أى مثل المذ كور) أى فى كونه حاراً يقطع الأمعاء (قوله من أنواع مختلفة) أى كالحيات والعقارب والضرب بالمطارق والزهر يرو غير ذلك من أنواع العذاب ، أجازنا الله منه (قوله ويقال لهم) أى من خزنة النار (قوله مقتحم) الاقتحام الالتقاء فى الشيء بشدة قاتم يضربون بمقامع من حديد حتى

(يَذْهَبُونَ فِيهَا بِغَاكِهٍ كَثِيرَةٍ وَشَرَّابٍ . وَهِنْدُهُمْ قَاصِرَاتُ الطَّرْفِ) حَابِسَاتُ الْأَعْيُنِ عَلَى أَزْوَاجِهِمْ (أَنْتَرَابٍ) أَسْنَانُهُنَّ وَاحِدَةٌ وَهِنَّ بَنَاتُ ثَلَاثٍ وَثَلَاثِينَ سَنَةً ، جَمْعُ تَرِبٍ (هَذَا) الْمَذْكَورُ (مَأْتُو عَذَابُونَ) بِالْعِصْيَةِ وَالْخَطَابِ الْفَنَاءُ (لِيَوْمِ الْحِسَابِ) أَيْ لِأَجْلِهِ (إِنْ هَذَا) لَرِزْقًا مِمَّا لَهُ مِنْ قَادٍ أَيْ انْقِطَاعِ الْجُمْلَةِ حَالٍ مِنْ رِزْقِنَا أَوْ خَيْرِنَا لِأَنَّ أَيْ دَائِمًا أَوْ دَائِمٍ (هَذَا) لِلذَّكَورِ لِلْمُؤْمِنِينَ (وَأِنَّ لِلطَّاغِينَ) مُسْتَأْنَفٍ (لَشَرِّ مَأْبٍ . جَهَنَّمَ يَصْلَوْنَهَا) يَدْخُلُونَهَا (فَبِئْسَ الْمِهَادُ) الْفَرَاشُ (هَذَا) أَيْ الْعَذَابُ الْفُهْمُ مِمَّا بَعْدَهُ (فَلْيَذُوقُوهُ حَمِيمٌ) أَيْ مَاءٌ حَارٌّ عَحْرَقُ (وَعَسَاقٌ) بِالتَّخْفِيفِ وَالتَّشْدِيدِ : مَا يَسِيلُ مِنْ صَدِيدِ أَهْلِ النَّارِ (وَأَخْرُ) بِالْجَمْعِ وَالْإِفْرَادِ (مِنْ شَكْلِهِ) أَيْ مِثْلُ الْمَذْكَورِ مِنَ الْحَمِيمِ وَالْعَسَاقِ (أَزْوَاجٌ) أَصْنَافٌ أَيْ عَذَابُهُمْ مِنْ أَنْوَاعٍ مُخْتَلِفَةٍ ، وَيُقَالُ لَهُمْ عِنْدَ دُخُولِهِمُ النَّارَ بِأَتْبَاعِهِمْ (هَذَا تَوْجٌ) جَمْعُ (مُقْتَحِمٍ) دَاخِلُ (مَعَكُمْ) النَّارَ بِشِدَّةٍ ، فَيَقُولُ الْمَتَّبِعُونَ (لَا مَرْحَبًا بِكُمْ) أَيْ لَا سَلَامَةَ عَلَيْهِمْ (إِنَّهُمْ صَالُوا النَّارَ . قَالُوا) أَيْ الْأَتْبَاعُ (بَلْ أَنْتُمْ لَأَمْرَحَبًا بِكُمْ أَنْتُمْ قَدْ مَتَمَمْتُمُوهُ) أَيْ الْكُفَرُ (لَنَا فَبِئْسَ الْفِرَاقُ) لَنَا وَلَكُمْ النَّارُ (قَالُوا) أَيْضًا (رَبَّنَا مَنْ قَدَّمَ لَنَا هَذَا فَزِدْهُ عَذَابًا ضِعْفًا) أَيْ مِثْلُ عَذَابِهِ عَلَى كُفْرِهِ (فِي النَّارِ . وَقَالُوا) أَيْ كِفَارُ مَكَّةَ وَهِيَ النَّارُ (مَا لَنَا لَا نَرَى رِجَالًا كُنَّا نَعُدُّهُمْ) فِي الدُّنْيَا (مِنَ الْأَشْرَارِ . أَلَتَّخَذْنَا لَهُمْ سُخْرِيًا) ،

يَقْتَحِمُونَهَا بِأَنفُسِهِمْ خَوْفًا مِنْ ذَلِكَ الْمَقَامِ (قوله فيقول المتبوعون) أى جواباً للخزنة كأنهم يقولون اتحسد على كثرة أتباعنا مع كوتنا وإياهم في النار (قوله لامرحبا بهم) مفعول لفعل عذوف تقديره لا أتيتم مرحبا أى مكانا واسعا (قوله إنهم صالوا النار) هو من كلام الرؤساء أى إنهم صالوا النار كاصليناها (قوله قالوا) أى الأتباع أى جواباً للرؤساء (قوله بل أنتم لامرحبا بكم) أى أنتم أحق بما قلتم لنا فدأبهم أنه كلما دخلت أمة لعنت أختها (قوله أنتم قدتمتموه لنا) أى دلتتمونا عليه بترزين الأعمال السيئة لنا وإغوائنا عليها (قوله النار) هذا هو المخصوص بالقم (قوله قالوا أيضا) أشار بذلك إلى أن هذا من كلام الأتباع (قوله أى مثل عذابه على كفره) أى وهو عذاب الدلالة على الكفر فإن الدال على الشر كفاعله (قوله أى كفار مكة) أى كآبى جهل وأبى بن خلف وغيرها (قوله وهم في النار) الجملة الحالية (قوله ما لنا لا نرى رجالا) أى أى شئ ثبتتنا لا نبصر رجالا الخ (قوله من الأشرار) إنهم سمعواهم أشراراً لأنهم خالفوا دينهم (قوله اتخذناهم) إمابوصل الحمزة مكسورة أوقطعها مفتوحة قراءتان سبعيتان فعلى الأولى تكون الجملة صفة لرجالا أى رجالا موصوفين بكوتنا عدداهم من الأشرار وبكوتنا نسخر بهم

بضم السين وكسرهما أى كنا نسخر بهم فى الدنيا والياء للنسب ، أى أمفقودون هم (أَمْ زَاغَتْ)
مالت (عَنَّهُمُ الْآبْصَارُ) فلم نرم وهم قراء المسلمين كعمار وبلال وصهيب وسلمان (إِنْ
ذَلِكَ لَحَقُّ) واجب وقوعه وهو (تَغَامُّمُ أَهْلِ النَّارِ) كما تقدم (قُلْ) يا محمد لكفار مكة
(إِنَّمَا أَنَا مُنْذِرٌ) مخوف بالنار (وَمَا مِنْ إِلَهٍ إِلَّا اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) خلّقه (رَبُّ
السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ وَمَا بَيْنَهُمَا الْعَزِيزُ) الغالب على أمره (الْقَهَّارُ) لأوليائه (قُلْ) لهم
(هُوَ نَبَأٌ عَظِيمٌ) أنتم عنه معرضون أى القرآن الذى أنبأكم به وجئكم فيه بما لا يعلم
إلا بوحي وهو قوله (مَا كَانَ لِي مِنْ عِلْمٍ بِاللَّائِلِ الْأَعْلَى) أى الملائكة (إِذْ يَخْتَصِمُونَ)
فى شأن آدم حين قال الله تعالى : إني جاعل فى الأرض خليفة الخ (إِنْ) ما (يُوحَى) إلى إلا
أَنَّمَا أَنَا) أى أنى (نَذِيرٌ مُبِينٌ) بين الإنذار. اذكر (إِذْ قَالَ رَبُّكَ لِلْمَلَائِكَةِ إِنِّى خَالِقٌ
بَشَرًا مِنْ طِينٍ) هو آدم (فَإِذَا سَوَّيْتُهُ) أتممته (وَنَفَخْتُ) أخرجت (فِيهِ مِنْ رُوحِى)
فصار حيًا ، وإضافة الروح اليه تشرىف لآدم ، والروح جسم لطيف يحيا به الإنسان بنفوذ فيه
(فَقَمُوا لَهُ سَاجِدِينَ) سجدوا تحية بالانحناء ،

أوما كان لي من علم بكلامه
(قوله إلا أنما أنا نذير
إلى إلا كوني نذيرا مبين
بك) ظرف معمول لفظ
ماحصل في شأن آدم فلفظ
البشرة أى الجلد ليس عل
إلى أنه ليس المراد بالنف
لها (قوله والروح جسم
التي صار الجسم بها حيا
والتحريك غير داخل فيه
الاضطر (قوله فقروا) الف

أوما كان لي من علم بكلام الله الأعلى وقت اختصاصهم

(قوله إلا أنما أنا نذير مبين) إلا أداة حصر وأن وما دخلت عليه في تأويل مصدر نائب فاعل يوحى والتقدير ما يوحى إلى إلا كوني نذيراً مبيناً والحصر فيه وفي قوله إنما أنا منذر إضافي . والعنى لاساخر ولا كذاب كما زعمتم (قوله إذ قال ربك) ظرف معمول المحذوف قدره التفسير بقوله اذكر ويصح أن يكون بدلاً من قوله إذ يختصمون إن حمل الاختصاص على ما حصل في شأن آدم فقط وأما إن جعل عاماً فلا يصح جملته بدلالته بل ظرف المحذوف (قوله إني خالق بشر) أى إنساناً بظاهر البشارة أى الجلد ليس على جلده صوف ولا شعر ولا وبر ولا ريش ولا قشر (قوله أجريت فيه من روحى) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد بالنفخ حقيقته لاستحالة على الله تعالى ، وإنما هو تمثيل لافاضة ما به الحياة بالفعل على المادة القابلة لها (قوله والروح جسم لطيف الخ) هذا هو قول جمهور التكميلين وهو الأصح ، وقيل إن الروح عرض وهى الحياة التى صار الجسم بها حياً ، وقيل إنها ليست بجسم ولا عرض . بل هى جوهر مجرد قائم بنفسه له تعاق باليدن للتدبير والتحرريك غير داخل فيه ولا خارج عنه وهو قول الفلاسفة (قوله بشفوذ فيه) أى سريانه فيه كسريان الماء فى العود الأخضر (قوله فقروا) الفاء واقعة فى جواب إذا (قوله سجود تحية بالانحناء) جواب عما يقال كيف جاز السجود تبارك الله تعالى وتقدم

قول بأنه كان سجوداً حقيقة بالجباه وتقدم الجواب عنه بأن محل كون السجود لغير الله غير جائز ما لم أمر به المولى تعالى .
أو يقال إن السجود لله تعالى وآدم جعل كالقابلة (قوله فسجد للملائكة الخ) قيل أول من سجد لآدم جبريل ثم ميكائيل ثم إسماعيل
ثم هزرائيل ثم للملائكة المقربون وكان السجود يوم الجمعة من وقت الزوال إلى العصر ، وقيل مائة سنة ، وقيل خمسمائة سنة
(قوله فيه تأكيد) أى فكل منهما يفيد ما أفاده الآخر ، وقيل إن كل للاحاطة وأجمعون للاجتماع فأفاد أنهم سجدوا عن
آخرهم وأنهم سجدوا جميعاً في وقت واحد غير متفرقين في أوقات (قوله كان بين الملائكة) أشار بذلك إلى أن الاستثناء منقطع
وهو الحق وتقدم تحقيق ذلك (قوله في علم الله) أى أن الله تعالى علم في الأزل أنه يكفر فيما لا يزال وكان مسامحاً عابداً طاف بالبيت
أربعة عشر ألف عام وعبد الله ثمانين ألف عام (قوله أى توليت خلقه) أى بذاتى من غير واسطة أب وأم ونفذة اليد إظهار
لكمال الاعتناء بحماقه عليه السلام (قوله استكبرت الآن الخ) أشار للفسر إلى جواب سؤال ولرد وهو أن قوله من العالين
معناه التكبرين فيلزم عليه التكرار . فأجاب بأن المعنى أتركت السجود لاستكبارك الحادث أم لاستكبارك القديم المستمر
(قوله قال أنا خير منه) هذا جواب من إبليس لم يطابق الاستفهام السابق لأنه أجاب بأنه إنما ترك السجود لكونه خيراً منه
وبين ذلك بأن أصله من النار وأصل آدم من الطين والنار أشرف من الطين لكون النار نورانية والطين من الأرض وهى
ظلمانية والنوراني أشرف من الظلماني ، وهذه شبهته وقد أخطأ فيها لأن مال النار إلى الرماد الذى لا ينتفع به والطين أصل
لكل تام ثابت كالانسان والشجرة ، من المعلوم أن الانسان والشجرة خير (٣٤١) من الرماد وزيادة على ذلك

أن النوع الانساني تشرف
بأمور : الأول من جهة
الفاعل المشار إليه بقوله
لما خلقت بيدي والثاني
من جهة الصورة المشار
إليها بقوله ونفخت فيه
من روحي ومن جهة الغاية
المشار إليها بقوله وإذ قلنا
للملائكة اسجدوا لآدم
ولم يحصل ذلك لغير النوع
الانسانى فدل على أفضليته

(فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ) فيه تأكيد (إِلَّا إِبْلِيسَ) هو أبو الجن كان بين الملائكة
(اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ) في علم الله تعالى (قَالَ يَا إِبْلِيسُ مَا مَنَعَكَ أَنْ تَسْجُدَ
لِمَا خَلَقْتُ بِإِيْدِي) أى توليت خلقه ، وهذا تشريف لآدم فإن كل مخلوق تولى الله خلقه
(اسْتَكْبَرْتَ) الآن عن السجود ، استفهام توبيخ (أَمْ كُنْتَ مِنَ الْعَالِينَ) للتكبرين
فتكبرت عن السجود لكونك منهم (قَالَ أَنَا خَيْرٌ مِنْهُ خَلَقْتَنِي مِنْ نَارٍ وَخَلَقْتَهُ مِنْ
طِينٍ . قَالَ فَاهْرُجْ مِنْهَا) أى من الجنة ، وقيل من السموات (فَإِنَّكَ رَجِيمٌ) مطرود (وَأَنْ
عَلَيْكَ لَعْنَتِي إِلَى يَوْمِ الدِّينِ) الجزاء (قَالَ رَبِّ فَأَنْظِرْنِي إِلَى يَوْمِ يُبْعَثُونَ) أى الناس
(قَالَ فَإِنَّكَ مِنَ الْمُنْظَرِينَ . إِلَى يَوْمِ الْوَقْتِ الْمَعْلُومِ) وقت النفخة الأولى ،

(قوله أى من الجنة الخ) هذا الخلاف مبنى على الخلاف الواقع في أمر الملائكة بالسجود لآدم هل كان بعد دخوله الجنة أو قبله فقوله
أى من الجنة مبنى على الأول وقوله أو من السموات مبنى على الثاني ، وقيل المعنى أخرج من الحلقة التى كنت عليها أولاً لما
ورد أن إبليس كان يفخر بخلقته فغير الله خلقته فأسود بعد ما كان أبيض وقبح بعد ما كان حسناً وظلم بعد ما كان نورانياً ،
وروى أن إبليس كان رئيساً على اثني عشر ألف ملك وكان له جناحان من زمرد أخضر ، فلما طرد غيرت صورته وجعله الله
يعكوساً على مثال الخنازير ووجهه كالقردة وهو شيخ أعور وفي لحيته سبع شعرات مثل شعر الفرس وعينه مشقوقتان
في طول وجهه وأنيابه خارجة كأنياب الخنازير ورأسه كراس البعير وصدره كسنام الجن الكبير وشفاه كشفق الثور ومنخراه
مفتوحتان مثل كوز الحجام (قوله فإنك رَجِيمٌ الخ) فإن قلت إذا كان الرجم بمعنى الطرد فاللعنة بمعناه ولزم التكرار . أجب
بأن الرجم الطرد من الجنة أو السماء واللعنة الطرد من الرحمة وهو أبلغ (قوله وإن عليك لعنتي) ذكرها هنا بالاضافة وفى
غيرها بالترتيب تفننا (قوله إلى يوم الدين) فإن قلت كلمة إلى لاقتهاء الغاية فتقتضى انقضاء اللعنة عند مجيء يوم الدين مع
أنها لاتنقطع . أجب بأن اللعنة قبل يوم الدين من الله وعيد بخلوذه في العذاب ومن العبيد طلب ذلك وفى يوم الدين تحق
لوعيد والمطلوب (قوله قال رب فأنظرنى) أى أمهاني وأخبرني والفاء متعلقة بحذف تقديره إذا جعلتنى رجيماً فأمهني
ولا تغنى إلى يوم يبعثون : أى آدم وذريته وأراد بذلك أن يجد فسحة لاغوائهم ويأخذ منهم ثأره وينجو من الموت بالكتابة إذا
لاموت بعد البعث فأجابته تعالى بالامهال مدة الدنيا لأجل الاغواء لا بالنجاة من الموت .

(قوله قال مبعوثك) الباء للقسم ولا ينافيه قوله تعالى في الآية الأخرى - قال فما أفوفيني - فان اغوا الله تعالى له من آثار عزته التي أقسم بها هنا (قوله بنصبهما ورفع الأول الخ) أى فاقراءتان سبعيتان (قوله وجواب القسم) أى المذكور في بعض الأعراب للتقدمة أو المحذوف (قوله أجمعين) تأكيد للضمير في منك وما عطف عليه (قوله دون اللائكة) إنما أخرجهم من العالمين وإن كان لفظ العالمين يشملهم لأجل قوله إن هو إلا ذكر والذكر معناه اللوعة والتخويف وهو لا يناسب إلا الانس والجن (قوله خبر صدقه) أى من ذكر الوعد والوعيد (قوله أى يوم القيامة) تفسير لبعدين ، والحين مدة الدنيا ، وقال ابن عباس بعد الموت ، وقيل من طال عمره علم ذلك إذا جاء نصر الله والفتح (قوله عمى عرف) أى فهو متعمد للفعول واحد وهو نبأه ، وقيل إن علم على بابها فتنبس مفعولان والثاني قوله بعد حين .

[سورة الزمر] سميت بذلك (٣٤٣) قد ذكر لفظ الزمر فيها في قوله - وسبق الذين كفروا إلى جهنم زمرا ،

وسبق الذين اتقوا زمرا إلى الجنة زمرا - وسيأتى أن الزمر جمع زمرة وهي الطائفة ، وتسمى أيضا سورة العنكبوت لذكر العنكبوت فيها قال تعالى - لهم غرف من فوقها غرف مبنية - وروى «من أراد أن يعرف قضاء الله في خلقه فليقرأ سورة العنكبوت» ، وورد أنه صلى الله عليه وسلم كان لا ينام حتى يقرأ الزمرونى إسرائيل (قوله إلا قل يا عبداى الخ) أى فأنها نزلت في وحى قاتل حمزة عم النبي صلى الله عليه وسلم فانه أسلم بالمدينة وظهره أنها آية واحدة ، وقيل إن الذي نزل بالمدينة سبع آيات هذه الآية وست بعدها ، وقيل إنهما

(قَالَ مَبْعُوثُكَ لَا غَوِيَنَّهُمْ أَجْمَعِينَ . إِلَّا عِبَادَكَ مِنْهُمُ الْمُخْلَصِينَ) أى المؤمنين (قَالَ فَالْحَقُّ وَالْحَقُّ أَقُولُ) بنصبهما ورفع الأول ونصب الثاني فنصبه بالفعل بعده ، ونصب الأول قيل بالفعل المذكور وقيل على المصدر أى أحق الحق ، وقيل على نزع حرف القسم ورفع على أنه مبتدأ محذوف الخبر أى فالحق منى ، وقيل فالحق قسم وجواب القسم (لَا ثَلَاثَ جَهَنَّمَ مِنْكَ) بغيرتك (وَبَعَثْنَا مِنْهُمُ) أى الناس (أَجْمَعِينَ . قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ) على تبليغ الرسالة (مِنْ أَجْرِ) جُل (وَمَا أَنَا مِنَ الْمُتَكَلِّفِينَ) المتكولين القرآن من تلقاء نفسى (إِنْ هُوَ) أى ما القرآن (إِلَّا ذِكْرٌ) عظة (لِلْعَالَمِينَ) للانس والجن المقلاء دون اللائكة (وَلَتَعْلَمَنَّ) يا كفار مكة (نَبَأُ) خبر صدقه (بِمَدْحِينِ) أى يوم القيامة ، وعلم بمعنى عرف واللام قبلها لام قسم مقدّر أى والله .

(سورة الزمر)

مكية ، إلا قل يا عبداى الذين أسرفوا على أنفسهم الآية فدية ، وهي خمس وسبعون آية

(بِسْمِ اللَّهِ الرَّحْمَنِ الرَّحِيمِ . تَنْزِيلُ الْكِتَابِ) القرآن متبداً (مِنْ اللَّهِ) خبره (الْعَزِيزِ) فى ملكه (الْحَكِيمِ) فى صنعه (إِنَّا أَنْزَلْنَاهُ إِلَيْكَ) يا محمد (الْكِتَابَ بِالْحَقِّ) متعلق بأنزل (فَاعْبُدِ اللَّهَ مُخْلِصاً لَهُ الدِّينَ) من الشرك : أى موحد له ،

(ألا)

آيتان هذه الآية وقوله تعالى - انمزل أحسن الحديث - الآية فتحصل أن

فيها ثلاثة أقوال : قيل مكية إلا آية ، وقيل إلا آيتان ، وقيل إلا سبعا (قوله هو خمس وسبعون) وقيل اثنتان وسبعون (قوله تنزيل الكتاب من الله) أى إزال القرآن كائن وحاصل من الله لامن غيره نزل رداً لقول المشركين إنما يلهى بهم ولقولهم إن به جنة (قوله إنا أنزلنا الخ) شروع فى بيان تشريف النزل عليه إثر بيان شأن النزل من حيث كونه من عند الله (قوله الكتاب) هو عين الكتاب الأول لأن المعرفة إذا أعيدت معرفة كانت عينا (قوله متعلق بأنزل) أى والباء سببية والمعنى بسبب الحق الذى أفت عليه وإثباته وإظهاره (قوله فاعبد الله) تفريع على قوله إنا أنزلنا إليك الخ والخطاب له والمراد ما يشمل جميع أمته (قوله مخلصاً) حال من فاعل اعبد والدين مفعول لاسم الفاعل (قوله أى موحد له) أى مفرد له بالعبادة والاحلاص بأن لا تقصد بملك ونبتك غير ربك

(قوله ألا الله الدين الخ) ألا أدلة استعجاب والجله مستأنفة مقررة في جميع من الأمر بالاخلاص (قوله والدين اتخذوا الخ) اسم الموصول مبتدأ واتخذوا صلته والخبر محذوف قدره للفسر بقوله قالوا وقوله مانعدهم الخ مقول لذلك القول وقوله إن الله يحكم بينهم الخ استئناف ياتي واقع في جواب سؤال مقدر تقديره ماذا يحصل لهم وهذا هو الأحسن ، وقيل إن خبر البتداء هو قوله إن الله يحكم الخ وقوله مانعدهم حل من فاعل اتخذوا على تقدير القول : أي قائلين مانعدهم الخ (قوله الأصنام) قدره إشارة إلى أن اتخذوا نصب مفعولين الأول محذوف (قوله وهم كفار مكة) تفسير للوصول (قوله قالوا مانعدهم الخ) أي فكانوا إذا قيل لهم من خلقكم ومن خلق السموات والأرض ومن ربكم ؟ فيقولون الله ، فيقال لهم ومامنى عبادتكم الأصنام فيقولون لتقربنا إلى الله زلفى ونشبع لنا عنده (قوله مصدر) أي مؤكد ملاق لعامله في المعنى والتقدير ليزلفونا زلفى أوليقربونا قري (قوله وبين المسلمين) أشار بذلك إلى أن القابل محذوف (قوله فيدخل المؤمنين الجنة) أي فالمراد بالحكم تمييز كل فريق عن الآخر (قوله إن الله لا يهدي) أي لا يوفق للهدى من هو كاذب كفار أو مجبول على الكذب والكفر في علمه تعالى (قوله في نسبة الولد إليه) أشار بذلك إلى أن قوله إن الله لا يهدي الخ توطئة لقوله لو أراد الله الخ ويصح أن يكون من تمة ما قبله وحينئذ فيقال كاذب في نسبة الألوهية لغيره تعالى (قوله (٣٤٣) هو أراد الله أن يتخذ ولدا) أي

أي لو تعلقت إرادته باتخاذ ولد على سبيل الفرض والتقدير والآية إشارة إلى قياس استثنائي حذف صفراء وتبيجه، وتقريره أن يقال لو أراد الله أن يتخذ ولدا لاصطفى مما خلق ما يشاء لكنه لم يصطاف من خلقه شيئا فلم يرد أن يتخذ ولدا (قوله غير من قالوا) أي غير المخلوق الذي قالوا في شأنه إنه ابن الله (قوله تنزيها له عن اتخاذ الولد) أي لأنه ممنوع عقلا ونقلا أما عقلا فلأنه يلزم

(أَلَا لِلَّهِ الدِّينُ الْخَالِصُ) لَا يَسْتَحِقُّهُ غَيْرُهُ (وَالَّذِينَ اتَّخَذُوا مِنْ دُونِهِ) الْأَصْنَامَ (أَوْلِيَاءَ) وَهُمْ كُفَّارٌ مَكَّةَ قَالُوا : (مَا نَعْبُدُهُمْ إِلَّا لِيُقَرِّبُونَا إِلَى اللَّهِ زُلْفَى) قَرِيبٌ مَصْدَرٌ بِمَعْنَى تَقْرِيْبًا (إِنَّ اللَّهَ يَحْكُمُ بَيْنَهُمْ) وَبَيْنَ الْمُسْلِمِينَ (فِي مَا هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) مِنْ أَمْرِ الدِّينِ فَيُدْخِلُ الْمُؤْمِنِينَ الْجَنَّةَ وَالْكَافِرِينَ النَّارَ (إِنَّ اللَّهَ لَا يَهْدِي مَنْ هُوَ كَاذِبٌ) فِي نِسْبَةِ الْوَلَدِ إِلَيْهِ (كُفَّارٌ) بِعِبَادَتِهِ غَيْرِ اللَّهِ (لَوْ أَرَادَ اللَّهُ أَنْ يَتَّخِذَ وَلَدًا) كَمَا قَالُوا اتَّخَذَ الرَّحْمَنُ وَلَدًا (لَاصْطَلَى) مِمَّا يَخْلُقُ مَا يَشَاءُ) وَاتَّخَذَهُ وَلَدًا غَيْرَ مَنْ قَالُوا الْمَلَائِكَةُ بَنَاتُ اللَّهِ وَعَزَّزَ ابْنُ اللَّهِ وَالْمَسِيحُ ابْنُ اللَّهِ (سُبْحَانَهُ) تَنْزِيْهًا لَهُ عَنْ اتِّخَاذِ الْوَلَدِ (هُوَ اللَّهُ الْوَاحِدُ الْقَهَّارُ) خَلَقَهُ (خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ بِالْحَقِّ) مُتَعَلِّقٌ بِخَلْقِ (يُكْوِّرُ) يَدْخُلُ (الَلَّيْلِ عَلَى النَّهَارِ) فَيَزِيدُ (وَيُكْوِّرُ النَّهَارَ) يَدْخُلُهُ (عَلَى اللَّيْلِ) فَيَزِيدُ (وَسَخَّرَ الشَّمْسَ وَالْقَمَرَ كُلًّا يَجْرِى فِي فَلَكِهِ لِأَجَلٍ مُّسَمًّى) لِيَوْمِ الْقِيَامَةِ (أَلَا هُوَ الْعَزِيزُ) الْغَالِبُ عَلَى أَمْرِهِ الْمُتَّقِمُ مِنْ أَهْدَائِهِ (النَّفَّارُ) لِأَوْلِيَائِهِ (خَلَقَكُمْ مِنْ نَفْسٍ وَاحِدَةٍ) أَيْ آدَمَ ،

أن يكون الولد من جنس خالقه وكونه جسا منه يستلزم حدوث الخالق وهو باطل ، وأما نقلا فقد توارت الآيات القرآنية والأحداث النبوية والكتب السماوية على أن الله تعالى لم يتخذ ولدا (قوله هو الله الواحد القهار) هذا بيان لتنزهه في الصفات إثر بيان تنزهه في الذات لأن الوحدة تنافي للماتلة فضلا عن الولد والقهارية تنافي قبول الزواج الموجب إلى الولد وإلا لكان مقهورا تعالى الله عن ذلك (قوله خلق السموات والأرض) تفصيل لبعض أفعاله الدالة على انفراده بالألوهية وانصافه بالصفات الجليلة (قوله يكور الليل) من التكوير وهو في الأصل اللف واللف يقال كور العمامة على رأسه : أي لفها ولواها ثم استعمل في الإدخال والاضواء فكان الليل ينشى النهار والنهار ينشى الليل (قوله فيزيد) تقدم أن منتهى الزيادة أربع عشرة ساعة ومنتهى النقص عشر ساعات فالزيادة أربع ساعات تكون في الليل وتارة تكون في النهار (قوله ليوم القيامة) أي ثم ينقطع جريانها لا انتقال العالم من الدنيا فان تسخير الشمس والقمر إنما كان في الدنيا لمصالح العالم فلما انتقل العالم فقد فرغت مصالحه (قوله ألا هو العزيز القهار) إنما صدرت الجملة بحرف التنبيه للدلالة على كمال الاعتناء بضمونها كأنه قال : تنبهوا يا عبادي فاني الغالب على أمري الستار قد نوب خلق فلا تشركوا بي شيئا وأخلصوا عبادتكم لي (قوله خلقكم من نفس واحدة) هذا من جملة أدلة توحيدوا انفراده بالقررة والقهر وجميع صفات الألوهية .

(قوله ثم جعل منها زوجها) إن ثلث إن ثم للترتيب فيقتضي أن خلق العرية قبل خلق حواء وهو خلاف المعروف للشاهد .
 وأجيب بثلاثة أجوبة . الأول أن ثم لمجرد الاخبار لا للترتيب الإيجادي . الثاني أن العطوف متعاقب بمعنى واحدة وثم عاطفة عليه
 كأنه قال خلقكم من نفس كانت متوحدة لم يخلق نظيرها ثم شغقت بزواج . الثالث أن معنى خلقكم من نفس واحدة
 أخرجكم منها يوم أخذ اليباق دفعة واحدة لأن الله تعالى خلق آدم وأودع في صلبه أولاده كالنمر ثم أخرجهم وأخذ عليهم
 الميثاق ثم ردهم إلى ظهره ثم خلق منه حواء (قوله وأنزل لكم من الأنعام الخ) إنما عبر عنها بالنزول لأنها تكونت بالنبات
 وهو غذاء لها والنبات بالماء المنزل فهو يسمى عندهم بالتدريج ومنه قوله تعالى : قد أنزلنا عليكم لباسا الآية ، وقيل إن النزول
 حقيقة لما روى « أن الله خلق الأنعام في الجنة ثم أنزلها في الأرض » كما قيل في قوله تعالى : وأنزلنا الحديد فيه بأس شديد
 فإن آدم لما أهبط إلى الأرض نزل معه الحديد (قوله ثمانية أزواج) الزوج مأمعه آخر من جنسه ولا يستغنى بأحدهما عن
 الآخر (قوله كما بين في سورة الأنعام) أي في قوله : ثمانية أزواج من الضأن اثنين الآيات (قوله يخلقكم في بطون أمهاتكم)
 هذا بيان لكيفية الخلق الدالة على باهر قدرته تعالى (قوله خلقا) مصدر ليخلقكم وقوله : من بعد خلق صفة لخلقها (قوله
 أي نطقا الخ) فيه قصور وعكس ترتيب الإيجاد فالمناسب أن يقول أي حيوانا سويا من بعد عظام مكسوة لحما من بعد عظام
 عارية من بعد مضغ من بعد علق من بعد نطف (قوله في ظلمات) بدل اشتغال من بطون أمهاتكم باعادة الجوار ولا يضر
 الفصل بين البديل والمبدل منه (٣٤٤) بالمصدر لأنه من تمة العامل فليس بأجنبي (قوله وظلمة المشيمة) أي فهي

داخل الرحم وهو داخل
 البطن والمشيمة بوزن
 كريمة وأصلها مشيمة
 بسكون الشين وكسر
 الياء نقلت كسرة الياء
 إلى الساكن قبلها ، وهي
 غشاء ولد الانسان ويقال
 لها الغلاف والكيس
 ويقال لها من غير ولد
 الانسان السلا (قوله
 دأبكم) مبتدأ والله

(ثُمَّ جَعَلَ مِنْهَا زَوْجَهَا) حواء (وَأَنْزَلَ لَكُمْ مِنَ الْأَنْعَامِ) الإبل والبقر والغنم الضأن
 والمز (ثَمَانِيَةَ أَزْوَاجٍ) من كل زوجين ذكر وأنثى كما بين في سورة الأنعام (يَخْلُقُكُمْ
 فِي بُطُونِ أُمَّهَاتِكُمْ خَلْقًا مِنْ بَعْدِ خَلْقٍ) أي نطقا ثم علقا ثم مضغا (فِي ظُلُمَاتٍ ثَلَاثٍ)
 هي ظلمة البطن وظلمة الرحم وظلمة المشيمة (ذَلِكُمْ اللَّهُ رَبُّكُمْ لَهُ الْمُلْكُ لَا إِلَهَ إِلَّا هُوَ
 قَاتِلُ الْمُشْرِكِينَ) عن عبادته إلى عبادة غيره (إِنْ تَكْفُرُوا فَإِنَّ اللَّهَ غَفِيٌّ عَنْكُمْ وَلَا يَرْضَى
 لِعِبَادِهِ الْكُفْرَ) وإن أراد من بعضهم (وَإِنْ تَشْكُرُوا) الله فتؤمنوا (يَرْضَاهُ) بسكون
 الهاء وضمها مع إشباع ودونه أي الشكر (لَكُمْ وَلَا تَزِرُ) نفس (وَأَزِيرَةُ) وزر (نَفْسُ
 الْآخَرَى) أي لا تحمله (ثُمَّ إِلَىٰ رَبِّكُمْ مَرْجِعُكُمْ فَيُعْظِيكُمْ) بما كنتم تعملون ،

ربكم خبران وجملة له الملك خبر ثالث (قوله لا إله إلا هو) جملة مستأنفة نتيجة ما قبله
 أي بحيث ثبت أنه ربنا وله الملك تتج منه أنه لا إله إلا هو (قوله قاتل المشركين) أي تمنحون (قوله فإن الله غف عنكم)
 أي له الغنى المطلق فلا يفتقر إلى ما سواه (قوله ولا يرضى لعباده الكفر) أي لا يفعل فعل الراضى بأن يثيب فاعله ويمدحه بل
 يفعل فعل السائح بأن ينهى عنه ويعاقب فاعله ويذمه عليه (قوله وإن أراد من بعضهم) أشار بهذا إلى أنه لا تلازم بين
 الرضا والإرادة بل قد يرصى ولا يريد ولا يرضى وإنما التلازم بين الأمر والرضا خلافا للمعتزلة القائلين بالتلازم بين
 الرضا والإرادة وبنوا على ذلك أمورا فاسدة ، ومن هنا قال العلماء : إن الأمور أربعة تارة يأمر ويريد وهو الإيمان من
 المؤمنين وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر منهم وتارة يأمر ولا يريد وهو الإيمان من الكفار وتارة لا يأمر ولا يريد وهو الكفر
 من الكفار . وحكي أن رجلا من المعتزلة تناظر مع رجل من أهل السنة فقال للمعتزلى سبحان من نزه عن الفحشاء فقال السني
 سبحان من لا يقع في ملكه إلا ما يشاء فقال المعتزلى أريد بك أن بعضى فقال السني أيعصى ربنا قهرا فقال المعتزلى أبرأت إن
 منعتى الهدى وحكم على ناردي أحسن إلى أم أساء فقال إن منعتك ما هو لك فقد أساء وإن منعتك ما هو له فالملك يفعل في ملكه
 كيف يشاء فبعت المعتزلى (قوله يرضه لكم) أي لأنه سبب لفوزكم بسعادة الدارين لا لتفادعه به تعالى الله عن ذلك (قوله بسكون
 الهاء الخ) أي فالقرآت ثلاث سبعيات (قوله ولا تزر وزرا أخرى) أي لا يحمل شخص ثمة كفر شخص آخر ، وما ورد من أن
 الدال على اسمه كفاعله فعنه أن عليه ثم فعله و ثم دلالة ولا شك أن دلالة من فعله قال الأمر إلى أن عقابه على فعله لا على فعل غيره

وقوله وإذرة أى وأما غير الوزرة فتحمل وزر غيرها بمعنى أن من كان ناجيا وأذن له في الشفاعة يشفع في غيره فينتفع الشفوع له بتلك الشفاعة إن كان مسلما ، وأما الكافر فلا يتفع بشفاعة مسلم ولا كافر (قوله إنه عليم بذات الصدور) علة لقوله: فينبشكم بما كنتم تعملون: أى يخبركم بأعمالكم لأنه عليم بما في القلوب فضلا عن غيرها (قوله أى الكافر) أشار بهذا إلى أن أكل في الإنسان الهدى (قوله ضر) الراد به جميع السكره كانت في نفسه أو ماله أو أهله (قوله منيبا إليه) أى تاركا عبادة الأصنام لعلمه بأنها لا تقدر على كشف ما نزل به (قوله أعطاه إنعاما) أى أعطاه على سبيل الانعام والإحسان فأنعاما مفعول لأجله لأن التخويل هو إعطاء النعم على سبيل التفضل والإحسان من غير مقتض لها (قوله وهو الله) أشار بذلك إلى أن ماموصلة بمعنى الذى مرادها الله تعالى ويصح أن يراد بها الضر ، وللعنى نسي الضر الذى كان يدعو لكشفه ويصح أن تكون مامصدرية ، والعنى نسي كونه داعيا من قبل تخويل النعمة والأظهر ما قاله المفسر (قوله ليضل) اللام للعاقبة والصورورة (قوله بفتح الياء وضما) أى فهما قراءتان سبعيتان (قوله قل تمتع بكفرك) الأمر للتهديد وفيه إشعار بقطعه من التمتع في الآخرة (قوله بقية أهلك) أشار بذلك إلى أن قليلا صفة لموصوف محذوف أى زمانا قليلا (قوله إنك من أصحاب النار) أى ملازمها ومعدود من أهلها على الدوام (قوله آمن هو قانت) هذا من تمام الكلام (٣٤٥) الأمور بقوله وحينئذ فالمعنى

قل للكافر أمن هو قانت الخ (قوله بتخفيف اليم) أى والمهمزة للاستفهام الإنكارى ومن موصولة مبتدأ خبره محذوف قدره بقوله كمن هو عاص (قوله آناء الليل) جمع إني بالكسر والقصر كمنى وأمعاء (قوله ساعته) أى أوله وأوسطه وآخره وفى الآية دليل على أفضائية قيام الليل على النهار لما في الحديث «ما زال جبريل يوصيني بقيام الليل حتى علمت

إِنَّهُ عَلِيمٌ بِذَاتِ الصُّدُورِ) بما في القلوب (وَإِذَا مَنَّ الْإِنْسَانُ) أى الكافر (ضُرُّ دَعَا رَبَّهُ) تضرع (مُنِيْبًا) راجعاً (إِلَيْهِ ثُمَّ إِذَا خَوَّلَهُ نِعْمَةً) أعطاه إنعاما (مِنْهُ نَمِيَ) ترك (مَا كَانَ يَدْعُو) يتضرع (إِلَيْهِ مِنْ قَبْلُ) وهو الله فما في موضع من (وَجَعَلَ اللَّهُ أَتَذَا) شركاء (لِيُضِلَّ) بفتح الياء وضما (عَنْ سَبِيلِهِ) دين الإسلام (قُلْ تَمَتَّعْ بِكُفْرِكَ قَلِيلًا) بقية أهلك (إِنَّكَ مِنْ أَصْحَابِ النَّارِ - أَمِنْ) بتخفيف اليم (هُوَ قَانِتٌ) قائم بوظائف الطاعات (آفَاءَ اللَّيْلِ) ساعاته (سَاجِدًا وَقَائِمًا) فى الصلاة (يَحْذَرُ الْآخِرَةَ) أى يخاف عذابها (وَيَرَى جُورَ حُجَّةٍ) حجة (رَبِّهِ) كمن هو عاص بالكفر أو غيره وفى قراءة أم من قام بمعنى بل والمهمزة (قُلْ هَلْ يَسْتَوِي الَّذِينَ يَعْلَمُونَ وَالَّذِينَ لَا يَعْلَمُونَ) أى لا يستويان كما لا يستوى العالم والجاهل (إِنَّمَا يَتَذَكَّرُ) يتعظ (أُولُوا الْأَلْبَابِ) أصحاب العقول (قُلْ يَا عِبَادِى الَّذِينَ آمَنُوا اتَّقُوا رَبَّكُمْ) أى عذابه بأن تطيعوه (لِلَّذِينَ أَحْسَنُوا فِي هَذِهِ الدُّنْيَا) بالطاعة (حَسَنَةٌ) هى الجنة (وَأَرْضُ اللَّهِ وَاسِعَةٌ) ،

أن خيار أمتي لا ينامون » وقال ابن عباس « من أحب أن يهون الله عليه الوقوف يوم القيامة فليهره الله فى ظلمة الليل » (قوله وفى قراءة آمن) أى بالتشديد وعليها فأم داخله على من الوصولة فأدغمت ليم فى اليم وترسم على هذه القراءة ميا واحدة متصلة بالنون كقراءة التخفيف اتباعا لرسم المصحف والاعراب على كل من القراءتين واحد لا يتغير وقوله بمعنى بل أى الذى لا يضرب الاتقالى وقوله والمهمزة أى التى الاستفهام الإنكارى والقراءتان سبعيتان (قوله الذين يعلمون) أى وهم المؤمنون العارفون برهم وقوله والذين لا يعلمون أى وهم الكفار (قوله أى لا يستويان) أشار به إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى التنى (قوله إنما يتذكر أولوا الألباب) أى أصحاب القلوب الصافية والآراء السديدة وخصهم لأنهم المتفهمون بالتذكرو (قوله قل يا عبادى الخ) أمر الله سبحانه وتعالى رسوله صلى الله عليه وسلم بأوامر لنفسه ولأمرته زيادة فى الحث لهم على التجرى لطاعة الله تعالى واجتناب الشكوى والأرهام (قوله بأن تطيعوه) أى تمتثلوا أوامره وتجنبوا نواهيه وهو تفسير للتقوى الذى هى جعل العبد بينه وبين العذاب وقاية (قوله للذين) خبر مقدم وأحسنوا صلته وفى هذه الدنيا متعلق بأحسنوا رحمة مبتدأ مؤخر (قوله هى الجنة) أى بجميع ما فيها من النعيم المقيم فهى بمعنى قوله تعالى : للذين أحسنوا الحسنى وزيادة (قوله بأرض الله واسعة) جملة من مبتدأ وخبر وهى حالية . [٤٤ - صاوى - ثالث]

(قوله فهاجروا إليها الخ) أشار بذلك إلى أن للرد بالأرض أرض الدنيا ، والتي من نصرت عليه التموى في محل عليها حلال
 هل آخر يتمكن فيه من ذلك إذ لا عذر في التفريط أصلا ، وكانت الهجرة قبل فتح مكة شرطا في حجة الإسلام فلما فتحت مكة
 نسخ كونه شرطا وصارت تعتبرها الأحكام فتارة تكون واجبة كما إذا هاجر من أرض لا يتيسر له فيها إقامة دينه لأرض يتعلم
 فيها دينه ويقيم شعائره وتارة تكون مندوبة كما إذا هاجر من أرض لا أخيار بها لأرض بها أخيار يجتمع عليهم للارشاد وتكون
 مكروهة كما إذا هاجر من أرض بها الأخيار وأهل العلم والصلاح لأرض لا أخيار بها ولا علم ولا عمل وتارة تكون محرمة كما إذا
 هاجر من أرض يأمن فيها على دينه لأرض لا يأمن فيها عليه (قوله إنما يوفى الصابرون) هذا ترغيب في التقوى للأمور بها
 (قوله على الطاعات) أى أو عن العاصي (قوله وما يتلون به) أى ومن جملة مفارقة الوطن للأمور بها في قوله : وأرض الله
 واسعة (قوله بغير حساب) أى لما ورد « تنصب للوازين يوم القيامة لأهل الصلاة والصدقة والحج فيوفون بها أجورهم ولا
 تنصب لأهل البلاد بل يصب عليهم الأجر صبا حتى يمتلئ أهل العافية في الدنيا أن أجسادهم تقرض بالمقاريض عما يذهب به أهل
 البلاد من الفضل » (قوله قل إني أمرت أن أعبد الله الخ) الحكمة في هذا الإخبار إعلام الأمة بأن يتصفوا به ويلزموه فإن
 العادة أن للتصف بخاق ثم يأمر به أو يعرض بالأمر به يؤثر في غيره كما قيل حال رجل في ألف رجل أنفع من حال ألف رجل
 في رجل (قوله من هذه (٣٤٦) الأمة) جواب عما يقال إن رسول الله صلى الله عليه وسلم أول المسلمين مطلقا ،

فأجاب بأن الأولوية بحسب
 سبق الدعوة (قوله قل
 إني أخاف) سبب زولها
 أن كفار قريش قالوا
 للنبي صلى الله عليه وسلم
 ما حملك على هذا الذي
 أتيتنا به ألا تنظر إلى ملة
 أميك وجدك وقومك
 فتأخذ بها فنزلت فالتقصود
 منها زجر النكير عن العاصي
 لأنه صلى الله عليه وسلم
 إذا كان خائفا مع كل

فهاجروا إليها من بين الكفار ومشاهدة المنكرات (إِنَّمَا يُوفَى الصَّابِرُونَ) على الطاعة
 وما يتلون به (أَجْرَهُمْ بِغَيْرِ حِسَابٍ) بغير مكيال ولا ميزان (قُلْ إِنِّي أُمِرْتُ أَنْ أَعْبُدَ
 اللَّهَ مُخْلِصًا لَهُ الدِّينَ) من الشرك (وَأُمِرْتُ لِأَنْ) أى بآن (أَكُونَ أَوَّلَ الْمُسْلِمِينَ) من
 هذه الأمة (قُلْ إِنِّي أَخَافُ إِنْ عَصَيْتُ رَبِّي عَذَابٌ يَوْمَ عَظِيمٍ) قُلْ اللَّهُ أَعْبُدُ مُخْلِصًا
 لَهُ دِينِي (من الشرك) فَأَعْبُدُوا مَا شِئْتُمْ مِنْ دُونِهِ) غيره ، فيه تهديد لهم وإيدان بأنهم
 لا يعبدون الله تعالى (قُلْ إِنَّ الْخَاسِرِينَ الَّذِينَ خَسِرُوا أَنْفُسَهُمْ وَأَهْلِيَهُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ)
 بتخليد الأتقى في النار وبدوم وصولهم إلى الحور المدة لهم في الجنة لو آمنوا (أَلَا ذَلِكَ
 هُوَ الْخُسْرَانُ الْمُبِينُ) البين (لَهُمْ مِنْ فَوْقِهِمْ ظُلَلٌ) طباق (مِنَ النَّارِ وَمِنْ تَحْتِهِمْ
 ظُلَلٌ) من النار (ذَلِكَ يُخَوِّفُ اللَّهَ بِهِ عِبَادَهُ) أى المؤمنين ليتقوه يدل عليه (يَا عِبَادَ
 قَاتِلُوا) وَالَّذِينَ اجْتَنِبُوا الطَّاغُوتَ) الأوثان ،

طهارته وعصمته فغيره أولى وذلك سنة الانبياء والصالحين حيث يحجرون غيرهم (أن
 بنام متصفون به ليكونوا مثلهم للالوك والتجبرين حيث يأمرهم غيرهم بعلما يتصفوا به (قوله فيه تهديد لهم) أى من حيث
 الأمر (قوله وإيدان) أى إعلام (قوله الذين خسروا) خبر إن (قوله وأهليهم) أى أزواجهم وخدمهم يوم القيامة لما ورد « أن
 الله تعالى جعل لكل إنسان منزلا وأهلا في الجنة فمن عمل بطاعة الله كان ذلك المنزل والأهل له ومن عمل بمعصية الله دخل النار
 وكان ذلك المنزل والأهل لغيره فمن عمل بطاعة الله خسرف نفسه وأهله ومنزله وقيل المراد أهلهم في الدنيا لأنهم إن كانوا من أهل النار
 فقد خسروهم كخسروا أنفسهم وإن كانوا من أهل الجنة فقد ذهبوا عنهم ذهابا لا رجوع بعده (قوله يوم القيامة) أى حين يدخلون
 النار (قوله بتخليد الأتقى) راجع لقوله أنفسهم ، وقوله بعد وصولهم إلى الحور العين الخ راجع لقوله وأهليهم على سبيل ألف والنشر
 المرتب (قوله ألا ذلك هو الخسران المبين) أى الذى لا خفاء فيه وتصدير الجملة بأداة التنبيه إشارة إلى فظاعته وشناعته (قوله لهم
 من فوقهم ظلل) لهم خبر مقدم وظلل مبتدأ مؤخر ومن فوقهم حال (قوله طبق) أى قطع كبار وإطلاق الظلل عليها تهكم وإلا فهي
 محرقة والظلة نقي من الحر (قوله ومن تحتم ظلل) أى لمبرهم وإن كان فراشا لهم لأن النار دركات فما كان فراشا لجمعة يكون
 ظلة لآخرين (قوله ذلك يخوف الله به عباده) أى بالحكمة في ذكر أحوال أهل النار تخوف المؤمنين منها ليتقوها بطاعة ربهم (قوله
 يدل عليه) أى على الوصف المقدر وهو قوله المؤمنين (قوله والذين اجتنبوا الطاغوت الخ) قيل نزلت هذه الآية في عثمان بن عفان
 وعبد الرحمن بن عوف وسعد وسعيد وطلحة والزبير رضي الله عنهم سألوا أبا بكر رضي الله عنه فأخبرهم بإيمانه فأمنوا (قوله الأوثان)

هذا أحد أقوال في تفسيره ، وقيل هو الشيطان ، وقيل كل ماعبد من دون الله تعالى ، وقيل غير ذلك (قوله لهم البشرى بالجنة) أى طى ألسنة الرسل أو طى ألسنة الملائكة عند حضور الموت ، وفي الحقيقة البشرى تحصل لهم في الدنيا بالثناء عليهم بصالح أعمالهم وعند الموت وعند الوضع في القبر وعند الخروج من القبور وعند الوقوف للحساب وعند المرور على الصراط في كل موقف من هذه المواقف تحصل لهم البشارة بالروح والريحان (قوله فبشر عبادى) أى الموصوفين باجتناث الأوثان والابانة إلى الله تعالى والإضافة لتشريف المضاف إليه (قوله الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) قيل المراد يسمعون الحسن والقبيح فيتحدثون بالحسن ويكفون عن القبيح . وقيل يسمعون القرآن وغيره فيتبعون القرآن ، وقيل يسمعون القرآن ، وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة ويعملون به ويتركون للشابه ويفوضون علمه لله تعالى ، وقيل يسمعون العزيمة والرخصة فيأخذون العزيمة ويتركون الرخصة وكل صحيح (قوله أولئك الذين هداهم الله) أى الموصوفون بتلك الأوصاف (قوله أفمن حقّ عليه كلمة العذاب الخ) يحتمل أن من شرطية وجوابها قوله : أفأنت تنقذ من في النار كما قال المفسر وأعيدت الهمزة لتأكيد معنى الإنكار وإطول الكلام وأقيم الظاهر مقام المضمر : أى أفأنت تنقذه ، ويحتمل أنها موصولة مبتدأ والخبر محذوف تقديره أفأنت تنقذه فجعله قوله : أفأنت تنقذ من في النار مستقلة مؤكدة لما قبلها ، وهذه الآية نزلت في حق (٣٤٧)

عشيرة النبي صلى الله عليه وسلم عن الإيمان وقد كان حريصا على إيمانهم (قوله والهمزة) أى الأولى والثانية توكيد لها (قوله للإنكار) أى الاستفهام الإنكارى (قوله والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار (لکن الذين اتقوا ربهم) بأن أطاعوه (هم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وعد الله) منصوب بفعله المقدر (لا يخلف الله الميعاد) وعده (ألم تر) تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع) أدخله أمكنة نبع (في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج) يهيج (فتريه) بعد الخضرة مثلا (مضفرا ثم يجثله حطاما) فتاتا (إن في ذلك لذكرى) تذكيرا (لأولى الألباب) يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته (أفمن شرح الله صدره للإسلام) فاعتمدى ،

(أن يعبدوها وأنابوا) أقبلوا (إلى الله لهم البشرى) بالجنة (فبشر عبادى . الذين يستمعون القول فيتبعون أحسنه) وهو ما فيه صلاحهم (أولئك الذين هداهم الله وأولئك هم أولوا الألباب) أصحاب العقول (أفمن حقّ عليه كلمة العذاب) أى لأملأن جهنم الآية (أفأنت تنقذ) تخرج (من في النار) جواب الشرط وأقيم فيه الظاهر مقام المضمر والهمزة للإنكار ، والمعنى لا تقدر على هدايته فتنقذه من النار (لکن الذين اتقوا ربهم) بأن أطاعوه (هم غرف من فوقها غرف مبنية تجرى من تحتها الأنهار) أى من تحت الغرف الفوقانية والتحتانية (وعد الله) منصوب بفعله المقدر (لا يخلف الله الميعاد) وعده (ألم تر) تعلم (أن الله أنزل من السماء ماء فسلكه ينابيع) أدخله أمكنة نبع (في الأرض ثم يخرج به زرعا مختلفا ألوانه ثم يهيج) يهيج (فتريه) بعد الخضرة مثلا (مضفرا ثم يجثله حطاما) فتاتا (إن في ذلك لذكرى) تذكيرا (لأولى الألباب) يتذكرون به لدلالته على وحدانية الله تعالى وقدرته (أفمن شرح الله صدره للإسلام) فاعتمدى ،

أصله الله وجعله النار بسبب ضلاله وجعلها السمقندى في حواشي رسالته استعارة بالكناية حيث شبه استحقاقهم العذاب بالدخول في النار على طريق المكنية في المركب وحذف المركب الدال على المشبه به ورمزه بذكر شيء من لوازمه وهو الانتقاد وفيه إشكال انظر بسطه في حاشيتنا على رسالة البيان لأستاذنا الشيخ البردبرى (قوله لکن الذين اتقوا) أى وهم الموصوفون بالصفات الجميلة السابقة المخاطبون بقوله - يا عبادى الذين آمنوا اتقوا ربكم - الآية ولكن ليست الاستدراك وإنما هي للاضراب عن قصة إلى قصة مخالفة للأولى (قوله لهم غرف من فوقها غرف) مقابل قوله في حق أهل النار لهم ظلال من النار ومن تحتهم ظلال (قوله بفعله المقدر) أى وتقدره وعدهم الله وعدا (قوله ألم تر أن الله أنزل من السماء ماء الخ) استئناف مسوق لبيان تمثيل الحياة الدنيا في سرعة زوالها وقرب اضطلاعها بما ذكر من أحوال الزرع تحذيرا عن زخارفها والاعتراض بها (قوله أدخله أمكنة نبع) أى فمراده بالينابيع الأمكنة التى أودعت فيها المياه السماوية لمنافع العباد بحيث تكون قريبة من وجه الأرض وبطاقق الينابيع على نفس الماء الجارى على وجه الأرض وكل صحيح (قوله ثم يخرج به زرعا) صيغة المضارع لاستحضار الصورة واستمرارها (قوله مختلفا ألوانه) أى من أحمر وأخضر وأصفر وأبيض واختلاف تلك الألوان إما في ثماره أو في عوده ومراده بالزرع كل ما يسبق (قوله فتاتا) أى متفتتا ومتمزقا (قوله أفمن شرح الله صدره الخ) الهمزة داخلة على محذوفه والغاء

عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء لمن شرح الله صدره الخ والاستفهام إنكارى ومن اسم موصول مبتدا خبره محذوف قدره المفسر بقوله : كمن طبع الخ وهذه الآية مرتبة على قوله : إنما تذكر أولوا الألباب (قوله فهو على نور من ربه) أى نور المعرفة والاهتداء ، وفي الحديث «إذا دخل النور القلب انشرح ، فقيل ماعلامه ذلك ؟ قال الإجابة إلى دار الخلود والتجافى عن دار الفرور والتأهب للوت قبل نزوله» (قوله دل على هذا) أى المقتر (قوله كلمة العذاب) أى كلمة تنفيذ العذاب للمخاطب بها (قوله أى عن قبول القرآن) أشار بذلك إلى أن من بمعنى عن وفي الكلام مضاف محذوف ويصح أن تبقى من على بابها للتعليل : أى قست قلوبهم من أجل ذكر الله لفساد قلوبهم وخسارتها ، ومن المعلوم للشاهد أن الأطعمة الفاخرة تكون داء لبعض المرضى ، ومن هنا قول بعض العارفين : ألا بدكر الله زداد القنوب وتنطمس البصائر والقلوب (قوله الله نزل أحسن الحديث الخ) سبب نزولها أن أصحاب رسول الله صلى الله عليه وسلم حصل لهم بعض ملل ، فقالوا لرسول الله صلى الله عليه وسلم حدثنا حديثنا حسنا فنزلت (قوله فى النظم) أى اللفظ ، وقوله وغيره : أى المعنى كالبلاغة والدلالة على المنافع .

قال البوصيرى رضى الله عنه فى هذا المعنى : ردت بلاغتها دعوى معارضها ردة القيور يد الجانى عن الحرم لها نصت ولا تحصى عجائبها ولا تسام على الاكثار بالسأم واعلم أنه فى هذه الآية أثبت (٣٤٨) أن القرآن متشابه ، وفى آية أخرى أثبت أنه محكم ، وفى آية أخرى أن بعضه

(فَهُوَ عَلَى نُورٍ مِنْ رَبِّهِ) كمن طبع على قلبه دل على هذا (فَوَيْلٌ) كلمة عذاب (لِلْمَاسِيَةِ) قَلُوبُهُمْ مِنْ ذِكْرِ اللَّهِ) أى عن قبول القرآن (أُولَئِكَ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ) بين (اللَّهُ تَزَلَّ أَحْسَنَ الْحَدِيثِ كِتَابًا) بدل من أحسن أى قرآنًا (مُتَشَابِهًا) أى يشبه بعضه بعضًا فى النظم وغيره (مَثَانِي) ثنى فيه الوعد والوعيد وغيرها (تَقَشَّرُ مِنْهُ) ترتد عند ذكر وعيده (جُلُودُ الَّذِينَ يَخْشَوْنَ) يخافون (رَبَّهُمْ ثُمَّ تَلِينُ) تطنن (جُلُودُهُمْ وَقُلُوبُهُمْ إِلَى ذِكْرِ اللَّهِ) أى عند ذكر وعده (ذَلِكَ) أى الكتاب (هُدًى اللَّهُ يَهْدِي بِهِ مَنْ يَشَاءُ وَمَنْ يُضِلِلِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ . أَفَنْ يَتَّبِعِ) يلقى (بِوَجْهِهِ سُوءَ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ) أى أشده بأن يلقى فى النار مغולה يدها إلى عنقه كمن أمن منه بدخول الجنة (وَقِيلَ لِلظَّالِمِينَ) أى كفار مكة (ذُوقُوا مَا كُنْتُمْ تَكْسِبُونَ) أى جزاءه .

الجمع (قوله مثنى) جمع مثنى من التثنية بمعنى التكرير ووصف به المفرد وهو الكتاب لأن الكتاب جملة ذات تفاصيل ثنى وتكرر نظير قولك الإنسان عروق وعظام وأعصاب (قوله وغيرها) أى كالقصص والأحكام (قوله تقشع منه) أى تنقبض وتنجم من الخوف (قوله عند ذكر وعيده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند (قوله تطنن) أى تسكن وتستقر (قوله أى عند ذكر وعده) أشار بهذا إلى أن إلى بمعنى عند فالتضمن فى الحرف وهو أحد وجهين والآخر أنه ضمن تلين معنى تسكن فعداه بالى والمفسر قد جمع بينهما . والحاصل أن الله تعالى بين حال المؤمن عند سماع القرآن ، فحالة ذكر الوعيد يغلب عليه الخوف فيتصاغر ، وفى حال ذكر الوعد يغلب عليه الرجاء فيتسع صدره وتطمئن نفسه لأن الخوف والرجاء مصحوبان بالعبد كجناحي الطائر إن عسدهما سقط (قوله أى الكتاب) أى الموصوف بتلك الصفات (قوله هدى الله) أى سبب فى الهدى أو بولغ فيه حتى جعل نفس الهدى (قوله أفمن يتقى) الهمة داخله على محذوف والفاء عاطفة عليه ، والتقدير أكل الناس سواء فمن يتقى الخ ومن اسم موصول مبتدا خبره محذوف قدره المفسر بقوله كمن أمن منه (قوله مغولة يدها) أى وفى عنقه صخرة من كبريت مثل الجبال العظيمة فتدمل النار فيها وهى فى عنقه فخرا ووهجها على وجهه لا يطيق دفعها عنه للأغلال التى فى يده وعنقه (قوله وقيل للظالمين) التعبير بالماضى لتحقق الحصول (قوله أى كفار مكة) الأوضح أن يقول : أى الكفار من هذه الأمة (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف .

(قوله كذب الذين من قبلهم) بيان لحال الكاذبين قبلهم وما حصل لهم في الدنيا من العذاب (قوله لا تخبط بياهم) المراد بالجبهة السبب أى أنهم العذاب بسبب لا تخبط بياهم كالمواط في قوم لوط مثلاً (قوله لو كانوا يعلمون) أى يصدقون ويوقنون وقوله ما كذبوا جواب لو (قوله ولقد ضربنا) اللام موطنه لقسم محذوف ومعنى ضربنا بينا ووضحنا (قوله حال مؤكدة) أى لفظ قرآنا وكما تسمى مؤكدة بالنسبة لما قبلها تسمى موطنه بالنسبة لما بعدها كما تقول جاء زيد رجلاً صالحاً (قوله غير ذى عوج) نعت لقرآنا أو حال أخرى (قوله أى لبس واختلاف) أى ثمناء صحيح لابس ولا تناقض فيه (قوله لعلمهم يتقون) علة لقوله لعلمهم يتذكرون (قوله ضرب الله مثلاً الخ) المعنى اضرب يا محمد لقومك هذا المثل واذكركم لعلمهم يؤمنون (قوله متشاكسون) التشاكس التخالف والتشاجر مع سوء الخلق ومثله التشاخص بخاء معجزة بدل الكاف (قوله ورجلاً صالحاً) بألف بعد السين مع كسر اللام وتركها مع فتح السين واللام قراءة ثان سبعيتان فالأولى اسم فاعل والثانية مصدر وصف به على سبيل المبالغة وقرئ شذوذاً بكسر السين وسكون اللام (قوله هل يستويان) (قوله هل يستويان) الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله

تميز) أى محول عن الفاعل والمعنى لا يستوى مثلها وصفتهما (قوله أى لا يستوى العبد لجماعة) هذا هو المثل المحسوس للشرك الذى يعبد غير الله فقلوه لجماعة أى سيئة أخلاقهم وقوله والعبد لواحد هذا هو المثل المحسوس للموحد الذى يعبد الله وحده وقوله فأن الأول الخ تقرير للمثل الأول ولم يتعرض للثاني لوضوحه (قوله الحمد لله) أى على عدم استواء هذين الرجلين (قوله بل أكثرهم لا يعلمون) أى مع بيان ظهوره وهو إضراب اتقالي من بيان

(كَذَّبَ الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) رسلهم في إتيان العذاب (فَأَنذَرْتَهُمْ الْعَذَابَ مِنْ حَيْثُ لَا يَشْعُرُونَ) من جهة لا تخبط بياهم (فَأَذَاتَهُمُ اللَّهُ الْخَزَى) الذل والهوان من المسخ والقتل وغيره (فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَالْعَذَابِ الْآخِرَةِ أَكْبَرُ لَوْ كَانُوا) أى المكذبون (يَعْلَمُونَ) عذابها ما كذبوا (وَلَقَدْ ضَرَبْنَا) جعلنا (لِلنَّاسِ فِي هَذَا الْقُرْآنِ مِنْ كُلِّ مَثَلٍ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ) يتعظون (قُرْآنًا عَرَبِيًّا) حال مؤكدة (غَيْرَ ذِي عِوَجٍ) أى لبس واختلاف (أَعْلَمَهُمْ يَتَّقُونَ) الكفر (ضَرَبَ اللَّهُ) للشرك والموحد (مَثَلًا رَجُلًا) بدل من مثلاً (فِيهِ شُرَكَاءُ مُتَشَاكِسُونَ) متنازعون سيئة أخلاقهم (وَرَجُلًا سَالِمًا) خالصاً (لِرَجُلٍ هَلْ يَسْتَوِيَانِ مَثَلًا) تميز: أى لا يستوى العبد لجماعة والعبد لواحد فإن الأول إذا طلب منه كل من ماله كية خدمته في وقت واحد تحير فيمن يخدمه منهم، وهذا مثل للشرك والثاني مثل للموحد (الْحَمْدُ لِلَّهِ) وحده (بَلْ أَكْثَرُهُمْ) أى أهل مكة (لَا يَعْلَمُونَ) ما يصيرون إليه من العذاب فيشركون (إِنَّكَ) خطاب للنبي صلى الله عليه وسلم (مَيِّتٌ وَإِنَّهُمْ مَيِّتُونَ) ستموت ويموتون فلا شئمة بالموت، نزلت لما استبطثوا موته صلى الله عليه وسلم (ثُمَّ إِنَّكُمْ) أيها الناس فيما بينكم من الظالم (يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِنْدَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ) فمن أى لأحد (أَعْلَمُ يَمُنْ كَذَبَ عَلَى اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وَكَذَبَ بِالصَّدَقِ) بالقرآن

عدم الاستواء على الوجه المذكور إلى بيان أن أكثر الناس لا يعلمون ذلك (قوله إنك ميت) العامة على التشديد وهو من سيموت وأما الميت بالتخفيف فهو من فارقه الروح بالفعل (قوله فلا شئمة بالموت) الشئمة الفرحة ببلىة العدو (قوله نزلت لما استبطثوا موته الخ) أى وذلك أنهم كانوا ينتظرون موته فأخبر الله تعالى بأن الموت بهمهم فلا معنى لشئمة الفاني بالفاني (قوله أيها الناس) أى مؤمنكم وكافركم، وقوله تختصمون أى يخاصم بعضهم بعضاً فيقتص للظالم من الظالم لما روى أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال «أندرون من المفلس؟ قالوا المفلس فينا من لادرهم ولا متاع له فقال رسول الله صلى الله عليه وسلم إن المفلس من يأتى يوم القيامة بصلوات وزكاة وصيام ويأمنى قد شتم هذا وقذف هذا وأكل مال هذا وسفك دم هذا وضرب هذا فيعطى هذا من حسناته وهذا من حسناته فإن فنيت حسناته قبل أن يقضى ما عليه أخذ من خطاياهم فطرحت عليه ثم طرح في النار» (قوله أى لأحد) أشار بذلك إلى أن الاستفهام إنكارى بمعنى النفي (قوله من كذب على الله) أى ومن جملة الكذب على الله الكذب على رسوله بأن يقول مثلاً قال رسول الله كذا، هذا شرعه، والحال أنه لم يكن

قاله ولم يكن شرعه (قوله إذ جاءه) ظرف لكذب بالصدق . والمعنى كذب بالصدق وقت مجيئه (قوله بلى) أشار بذلك إلى أن الاستفهام تقريرى . والمعنى فى جهنم مثوى للكافرين لأن بلى يحجب بها النقي ويصير إثباتا كما تقدم (قوله فالتى بمعنى الدين) أى بالنسبة للصلاة الثانية ولذا روى معناه جمع فى قوله أولئك هم المتقون وروى لفظه فى قوله جاء وصدق (قوله لهم ما يشاءون) أى كل ما يشتهون من وقت حضور الموت كالأمن من الفتانات عنده ومن فتنة القبر وعذابه ومن هول الموقف إلى غير ذلك (قوله لأنفسهم) متعلق بالحسنين وفيه إشارة إلى أن إحسان الإنسان لنفسه وثمرته عائدة عليها فلا يعود على الله نفع محسن ولا ضرر مسيء تعالى الله عنه ، والاحسان للنفس يكون بطاعة الله والاتجاه إليه وبذلك المعروف للخلق محبة فى الخلق وبهذا تكون النفس عزيزة ومن أعز نفسه أعزه الله * وبضدها تحيز الأشياء * (قوله ليكفر الله عنهم) متعلق بمحذوف أى يسر الله لهم ذلك ليكفر الخ واللام للعاقبة والضرورة وهو تفصيل لقوله لهم ما يشاءون (قوله بمعنى السيئ والحسن) أى فافعل التفصيل ليس على بابه وهو جواب عما يقال مقتضاه أنه يكفر عنهم الأسوأ فقط ويجازون على الأحسن فقط ولا يكفر عنهم السيئ * (٣٥٠) ولا يجازون على الحسن (قوله عبده) أى رسول الله صلى الله عليه وسلم

وقيل المراد به الخالص فى العبودية لله وهو الأتم ويؤيده قراءة عباده بالجمع وهى سبعة ، أيضا والمعنى أن من أخلص لله فى عبادته كفاء ما أمه فى دينه وديناه وآخرته (قوله ويخوفونك) يصح أن تكون الجملة حالية والمعنى أن الله كافيك فى كل حال حتى فى حال تخويفهم لك ويصح أن تكون مستأنفة (قوله أو تخبله) أى تفسد أعضاده وتذهب عقله (قوله ذى انتقام) أى يفتقم من أعدائه لأولياته وتأخير

(إِذْ جَاءَهُ الْيَسَّىٰ فِي جَهَنَّمَ مَثْوًى) (لِلْكَافِرِينَ) بلى (وَالَّذِي جَاءَ بِالصَّدَقِ) هو النبي صلى الله عليه وسلم (وَصَدَقَ بِهِ) هم المؤمنون فالذى بمعنى الذين (أُولَٰئِكَ هُمُ الْمُتَّقُونَ) الشرك (لَهُمْ مَا يَشَاءُونَ عِنْدَ رَبِّهِمْ ذَلِكَ جَزَاءُ الْمُحْسِنِينَ) لأنفسهم بإيمانهم (لِيَكْفُرَ اللَّهُ عَنْهُمْ أَسْوَأَ الَّذِي عَمِلُوا وَيَجْزِيَهُمْ أَجْرَهُمْ بِأَحْسَنِ الَّذِي كَانُوا يَعْمَلُونَ) أسوأ وأحسن بمعنى السيئ والحسن (أَلَيْسَ اللَّهُ بِكَافٍ عَبْدَهُ) أى النبي بلى (وَيَخَوْفُونَكَ) الخطاب له (بِالَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام أن تقتله أو تخبله (وَمَنْ يَضِلَّ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ هَادٍ) وَمَنْ يَهْدِ اللَّهُ فَمَا لَهُ مِنْ مُضِلٍّ أَلَيْسَ اللَّهُ بِعَزِيزٍ (غَالِبٍ عَلَى أَمْرِهِ) (ذِي انتِقَامٍ) من أعدائه ؟ بلى (وَلَئِنْ) لام قسم (سَأَلْتَهُمْ مَنْ خَلَقَ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضَ لَيَقُولُنَّ اللَّهُ قُلْ أَفَرَأَيْتُمْ مَا تَدْعُونَ) تعبدون (مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام (إِنْ أَرَادَنِيَ اللَّهُ بِضُرٍّ هَلْ هُنَّ كَاشِفَاتُ ضُرِّي) لا (أَوْ أَرَادَنِيَ بِرَحْمَةٍ هَلْ هُنَّ مُمْسِكَاتُ رَحْمَتِي) ؟ لا ؛ وفى قراءة بالإضافة فيهما (قُلْ حَسْبِيَ اللَّهُ عَلَيْهِ يَتَوَكَّلُ الْمُتَوَكِّلُونَ) يثق الواقفون (قُلْ يَا قَوْمِ أَعْمَلُوا عَلَىٰ مَكَانَتِكُمْ) حالتكم (إِنِّي عَامِلٌ) على حالتي (فَسَوْفَ تَعْلَمُونَ مَنْ) موصولة مفعولة العلم (يَأْتِيهِ عَذَابٌ يُخْزِيهِ وَيَحِلُّ) ينزل (عَلَيْهِ عَذَابٌ مُّقِيمٌ) دائم هو عذاب النار وقد أخزاهم الله يدر (إِنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ لِلنَّاسِ بِالْحَقِّ) ،

متعلق

قوله بلى للإشارة إلى أنه راجع لقوله

ذى انتقام أيضا (قوله ليقولن الله) أى فلا جواب لهم غيره لقيام البراهين الواضحة على أنه للنفرد بالخلق والابجاد (قوله قل أفرايتم الخ) رأى متعدية لمفعولين : الأول قوله ما تدعون . والثانى قوله هل هن كاشفات ضره الخ ، وقوله إن أرادنى الخ جملة شرطية معترضة بين المفعول الأول والثانى وجوابها محذوف لدلالة المفعول الثانى عليه وتقديره لا كاشف له غيره (قوله إن أرادنى الله بضر) قدمه لأن دفعه أهم وخص نفسه لأنه جواب لتخويفه من الأصنام (قوله هل هن) عبر عنها بضمير الإناث تحقيرا لها ولائهم كانوا يسمونها بأسماء الإناث كاللات والعزى ومناة (قوله وفى قراءة بالإضافة) أى وهى سبعة أيضا (قوله قل حسبى الله) أى كفى فلا ألتفت لغيره (قوله يثق الواقفون) أى يعتمد المتعمدون (قوله قل يا قوم اعملوا الخ) هذا الأمر للتهديد (قوله حالتكم) أى وهى الكفر والعناد وفيه تشبيه الحال بالمكان : مع الثبوت والاستقرار فى كل (قوله مفعولة العلم) أى لائها بمعنى عرف فتنبص مفعولا واحدا (قوله يخزىه) أى يهينه وبذلك (قوله للناس) أى لصالح الناس فى معاشهم ومعادهم .

(قوله متعلق بأنزل) ويصح أن يكون متعلقا بمحذوف حال إما من فاعل أنزل أو من مفعوله (قوله وما أنت عليهم بوكيل) هذا نسبية له صلى الله عليه وسلم ، والمعنى ليس هدام بيدك ولا في ضاماتك حتى تقهرهم وتجبرهم عليه وإنما هو بيدنا فان شئنا هديناهم وإن شئنا أبقيناهم على ما هم عليه من الضلال (قوله الله يتوفى الأنفس حين موتها) أى يقبض الأرواح عند حضور أجسامها فالنفس والروح شئ واحد على التحقيق وذلك القبض ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطنا بحيث تنعدم الحياة والنفس والحركة (قوله ويتوفى التى لم تمت فى منامها) أشار بذلك إلى أن الوصول معطوف على الأنفس مسلط عليه يتوفى والمعنى يقبض الأرواح التى لم تحضر أجسامها عند نومها ظاهرا بحيث ينعدم التمييز والاحساس وباطنا فان الحياة والنفس والحركة باقية ولذا عرفوا النوم بأنه قبرة طبيعية تهجم على الشخص قهرا عليه تمنع حواسه الحركة وعقله الإدراك وأما فى حالة اليقظة فالروح سارية فى الجسد ظاهرا وباطنا لأشياء جسم لطيف شفاف مشتبك بالأجسام الكثيفة اشتباك الماء بالعود الأخضر على هيئة جسد صاحبها ، وقيل مقرها القلب وشعاعها مقوم للجسد كالشمعة الكائنة وسط آنية من زجاج فأصلها فى وسطه ونورها سار فى جميع أجزائه (قوله فيمسك التى قضى عليها الموت) أى لا يردّها (٣٥١) إلى جسدها ونحيا حياة

دنيوية (قوله أى وقت موتها) ظاهره أن قوله إلى أجل مسمى راجع لقوله ويرسل الأخرى فقط ويصح رجوعه له ولذلك قبله ويراد بالأجل المسمى فى المسوكة النفخة الثانية (قوله نفس التمييز) أى والاحساس (قوله نفس الحياة) أى والحركة والنفس (قوله بخلاف العكس) أى ففى ذهبت نفس الحياة لاتبقي نفس التمييز والاحساس . واعلم أنه اختلف هل فى الإنسان روح واحدة

متعلق بأنزل (فَنَ اهْتَدَى فَلَنَفْسِهِ) اهتداه (وَمَنْ ضَلَّ فَلَمَّا يَضِلُّ عَلَيْهَا وَمَا أَنْتَ عَلَيْهِمْ بِوَكِيلٍ) فجبرهم على الهدى (اللَّهُ يَتَوَفَّى الْأَنْفُسَ حِينَ مَوْتِهَا وَ) يتوفى (الَّتِي لَمْ تَمُتْ فِي مَنَامِهَا) أى يتوفاها وقت النوم (فِيْمِمْكَ الَّتِي قَضَىٰ عَلَيْهَا الْمَوْتَ وَيُرْسِلُ الْأُخْرَىٰ إِلَىٰ أَجَلٍ مُّسَمًّى) أى وقت موتها والرسالة نفس التمييز تبقى بدونها نفس الحياة بخلاف العكس (إِنَّ فِي ذَلِكَ) المذكور (لَايَاتٍ) دلالات (لِقَوْمٍ يَعْلَمُونَ) فيعلمون أن القادر على ذلك قادر على البعث وقرئش لم يتفكروا فى ذلك (أَمْ) بل (أَتُخَذُوا مِنْ دُونِ اللَّهِ) أى الأصنام آلهة (شُعْمَاءُ) عند الله بزعمهم (قُلْ) لهم (أ) يشفعون (وَلَوْ كَانُوا لَا يَتَلَبَّكُونَ شَيْئًا) من الشفاعة وغيرها (وَلَا يَعْلَمُونَ) أنكم تعبدونهم ولا غير ذلك ؟ (قُلْ لِلَّهِ الشَّفَاعَةُ جَمِيعًا) أى هو مختص بها فلا يشفع أحد إلا بإذنه (لَهُ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ ثُمَّ إِلَيْهِ تُرْجَعُونَ . وَإِذَا ذُكِرَ اللَّهُ وَحْدَهُ) أى دون آلهتهم (اشْتَمَزَتْ) نفرت واقتبضت (قُلُوبُ الَّذِينَ لَا يُؤْمِنُونَ بِالْآخِرَةِ . وَإِذَا ذُكِرَ الَّذِينَ مِنْ دُونِهِ) أى الأصنام (إِذَا هُمْ يَسْتَبْشِرُونَ . قُلِ اللَّهُمَّ) بمعنى ،

والتعدد باعتبار أوصافها وهو التحقيق أو روحان إحداها روح اليقظة التى أجرى الله العادة بأشياءها إذا كانت فى الجسد كان الإنسان متيقظا فإذا خرجت منه نام الإنسان ووات تلك الروح المنامات والأخرى روح الحياة التى أجرى الله العادة بأشياءها إذا كانت فى الجسد كان حيا فإذا فارقه مات فإذا رجعت إليه حي وكلام المفسر محتمل للقولين (قوله المذكور) أى من التوفى والامساك والارسال (قوله وقرئش لم يتفكروا) قدره ليكون قوله أم اتخذوا إضرابا انتقاليا (قوله أى الأصنام) بيان للمفعول الأول (قوله أيشفعون) أشار بهذا إلى أن الهمة داخلة على محذوف والواو عاطفة عليه (قوله لا) أشار به إلى أن الاستغناء إنكارى بمعنى النفى (قوله أى هو مختص بها) جواب عما يقال مقضى الآية نفي الشفاعة عن غيره تعالى مع أنه قد جاء فى الأخبار أن للأنبياء والعلماء والشهداء شفاعات فأجاب بأن المعنى لا يملك الشفاعة إلا الله وشفاعات هؤلاء بإذن الله ورضاه . قال تعالى - ولا يشفعون إلا لمن ارتضى - (قوله ثم إليه ترجعون) أى تردون فيجازيكم بأعمالكم (قوله وإذا ذكر الله وحده) إذا معمولة لقوله اشتمازت (قوله إذا هم يستبشرون) أى لقسياتهم حق الله تعالى وهذه الآية تخرج بذيلها على أهل اللهو والفسوق الذين يختارون مجالس اللهو ويفرحون بها على مجالس الطاعات (قوله قل اللهم) أى التجبىء إلى ربك بالدعاء والتضرع فإنه القادر على كل شئ .

(قوله أي يا الله) أي لحذفت ياء النداء وعوض عنها الهمزة وشددت لتسكون على حرفين كالعوض عنه (قوله اهتدي) هذا هو المقصود بالدعاء وتعام تلك الدعوة النبوية على ماورد اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق باذنك إنك تهدي من تشاء إلى صراط مستقيم (قوله ولو أن للذين ظلموا الخ) بيان لفاية شدة ماينزل بهم (قوله لاقتدوا به) أي بالذكور من الأميين (قوله يوم القيامة) ظرف لاقتدوا (قوله وبدا لهم الخ) كلام مستأنف أو معطوف على قوله ولو أن للذين ظلموا الخ (قوله سيئات ما كسبوا) أي الأعمال السيئة حين تعرض عليهم محققهم (قوله الجنس) أي فهو إخبار عن الجنس بما يفعله غالب أفرادها (قوله إنعاما) أي تفضلا وإحسانا (قوله على علم من الله الخ) أي أومنى بوجوده كسبه أو أتى أعطيته بسبب محبة الله لي وفلاحي (قوله أي القولة) أشار بذلك إلى أن الضمير عائد على القولة وقيل عائد على النعمة والمعنى أن النعمة فتنة أي امتحان واختبار هل يشكر عليها أو يكفرها (قوله إن التحويل) أي إعطاء النعم تفضلا وإحسانا (قوله الراضين بها) أشار بذلك إلى أن قومه لم يقولوها بالفعل وإنما نسبت لهم من حيث رضاهم بها (قوله سيئات ما كسبوا) أي جزاء أعمالهم السيئة (قوله من هؤلاء) بيان للذين ظلموا (قوله ففحقطوا سبع سنين) أي أوائل سني الهجرة حتى (٣٥٣) أكلوا الحيف والعظم المحرق (قوله ثم وسع عليهم) أي استدرجا لهم لارضا عليهم

(قوله أولم يعلموا) أي القائلون إنما أوتيته على علم عندي (قوله يسط الرزق لمن يشاء) أي وإن كان لا حيلة له ولا قوة طائفا أو غاصيا وقوله ويقدر أي لمن يشاء وإن كان قويا شديدا طائفا أو غاصيا فليس لبسط الرزق الديني ولا لقضه مدخل في محبة الله ولا بنضه بل بحكمته تعالى (قوله إن في ذلك) أي للذكور (قوله قل يا عبادي الذين أصرفوا الخ) سبب نزولها « أن رسول الله صلى الله عليه

يا الله (فَاطَرِ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) مبدعهما (عَالِمِ الْغَيْبِ وَالشَّهَادَةِ) ما غاب وما شهود (أَنْتَ تَحْكُمُ بَيْنَ عِبَادِكَ فِي مَا كَانُوا فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) من أمر الدين اهتدي لما اختلفوا فيه من الحق (وَلَوْ أَنَّ لِلَّذِينَ ظَلَمُوا مَا فِي الْأَرْضِ جَمِيعًا وَمِثْلَهُ مَعَهُ لَافْتَدَوْا بِهِ مِنْ سُوءِ الْعَذَابِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَبَدَا) ظهر (لَهُمْ مِنَ اللَّهِ مَا لَمْ يَكُونُوا يَحْتَسِبُونَ) يظنون (وَبَدَا لَهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَحَاقَ) نزل (بِهِمْ مَا كَانُوا بِهِ يَسْتَهْزِئُونَ) أي العذاب (فَإِذَا مَنَّ الْإِنْسَانُ) الجنس (فُتِيَ دَعَاؤُهُ إِذَا حَوَّلْنَا لَهُ) أعطيناه (نِعْمَةً) إنعاما (مِنْ أَمْرٍ قَالَ إِنَّمَا أُوتِيَهُ عَلَى عِلْمٍ) من الله بأنني له أهل (بَلْ هِيَ) أي القولة (فِتْنَةٌ) بلية يتلى بها العبد (وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ) أن التحويل استدراج وامتحان (قَدْ قَالُوا الَّذِينَ مِنْ قَبْلِهِمْ) من الأمم كفارون وقومه الراضين بها (فَمَا أَغْنَى عَنْهُمْ مَا كَانُوا يَكْسِبُونَ) فأصابهم سيئات ما كسبوا (أي جزاؤها) (وَالَّذِينَ ظَلَمُوا مِنْ هَؤُلَاءِ) أي قريش (سَيُصِيبُهُمْ سَيِّئَاتُ مَا كَسَبُوا وَمَا هُمْ بِمُعْجِزِينَ) بفاتنين عذابنا فحقطوا سبع سنين ، ثم وسع عليهم (أَوَلَمْ يَعْلَمُوا أَنَّ اللَّهَ يَبْسُطُ الرِّزْقَ) يوسعه (لِمَنْ يَشَاءُ) امتحانا (وَيَقْدِرُ) يضيقه لمن يشاء ابتلاء (إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِقَوْمٍ يُؤْمِنُونَ) به (قُلْ يَا عِبَادِيَ

وسلم بعث إلى وحشى قائل حمزة يدعوه إلى الاسلام فأرسل إليه كيف تدعوني إلى دينك وأنت تزعم الدين أنه من قتل أو أشرك أوزنى يلقى أنما يضاعف له العذاب وأنا فعلت ذلك كله فأنزل الله إلا من تاب وآمن وعمل عملا صالحا فقال وحشى هذا شرط شديد لى لا أقدر عليه فهل غير ذلك فأنزل الله إن الله لا يغفر أن يشرك به ويغفر ما دون ذلك لمن يشاء قال وحشى أرأيت بعد في شبهة أيغفر لى أم لا فنزلت هذه الآية فقال وحشى نعم الآن لأرى شرطا فأسلم وهذه الآية عامة لكل كافر وعاص لأن العبرة بعموم اللفظ لا بخصوص السبب ومن ثم قيل إنها أرجى آية في كتاب الله تعالى وفيها من أنواع المعاني والبيان أمور حسان منها إقباله تعالى على خلقه وندائه إياهم ومنها إضافتهم إليه إضافة تشريف ومنها الالتفات من التكلم إلى الغيبة في قوله من رحمة الله ومنها إضافة الرحمة لأجل أسمائه الجامع لجميع الأسماء والصفات وهو لفظ الجلالة ومنها الاتيان بالجملة المعرفة الطرفين المؤكدة بان وضيم الفصل في قوله إنه هو التفور الرحيم للإشارة إلى أنه تعالى لاوصف له مع عباده إلا التفوران والرحمة ، ومناسبة هذه الآية لما قلناه أن الله تعالى لما شدد على الكفار التشديد العظيم في قوله ولو أن للذين ظلموا ما في الأرض جميعا الآية أتبعها بذكر عظيم غفراته ورحمته لمن آمن ليجمع العبد بين الرجاء والخوف

(قوله الذين أصرّوا على أنفسهم) أي فرطوا في الأعمال الصالحة وارتكبوا سيّئ الأعمال وأكثر وأمنه (قوله لا تقتطعوا من رحمة الله) إن قلت إن في هذا إغراء بالمعاصي وانكالا على غفراته تعالى وهو لا يليق . أجيب بأن القصود تنبيه العاصي على أنه ينبغي له أن يقدم على التوبة ولا يقتطع من رحمة الله وليس ذلك إغراء بالمعاصي بل هو تطمين للعصاة وترغيب لهم في الإقبال على ربهم (قوله بكسر النون وفتحها) أي من باب جلس وسلم وهما سبعيتان (قوله وقرئ بضمها) أي من باب دخل وهي شاذة (قوله إن الله يغفر الذنوب جميعا) أي إشراكا أو غيره وهو مقيد بالتوبة كما قال للفسر لأن بها يخرج العاصي من ذنوبه كيوم ولدته أمه لما في الحديث «التائب من الذنب كمن لا ذنب له» وأما من مات مسلما ولم يقب من ذنوبه فأمره مفوض لربه إن شاء غفر له وإن شاء عذبه بقلو جرمه ثم يدخله الجنة ، وأما من مات مشركا فلا يغفر له بنص قوله تعالى «إن الله لا يغفر أن يشرك به» ومن هنا قيل رحمة الله غلبت غضبه لأن دار النضب مخصوصة بمن مات مشركا بخلاف دار الرحمة فهي لمن عدا ذلك (قوله لمن تاب من الشرك) إنما خص الشرك لأن التوبة منه مقبولة قطعا بنص قوله تعالى - قل للذين كفروا إن يتوبوا يغفر لهم ما قد سلفوا - بخلاف التوبة من غير الشرك ففيها قولان قيل مقبولة ظنا وقيل قطعا والفرق أن تعذيب العاصي تطهير وتعذيب الكافر غضب فمآل العاصي للجنة وإن طال مدته في النار لأن معاملته بالفضل والرحمة بخلاف الكافر فمعاملته بالعدل (قوله إنه هو الغفور الرحيم) تعليل لما قبله وهذان الوصفان يكونان لمن تاب فالتفران له نجاته من النار والرحمة له دخوله الجنة (قوله وأنبؤوا إلى ربكم) أي بهذه الآية عقب التي قبلها لئلا يتكل العاصي على الغفران (٣٥٣) ويرك التوبة والرجوع إلى الله فأفاد أن الرجوع إلى الله فاقبال عليه مطلوب ومن ترك ذلك فله الوعيد العظيم (قوله إن لم تتوبوا) راجع لقوله من قبل أن يأتيكم العذاب (قوله) واتبعوا أحسن ما أنزل إليكم من ربكم أي على لسان أحسن نبي وهو محمد صلى الله عليه وسلم وهذا معطوف على قوله وأنبؤوا

الَّذِينَ أَصْرَفُوا عَلَىٰ أَنفُسِهِمْ لَا تَقْنَطُوا) بكسر النون وفتحها ، وقرئ بضمها تياسوا (مِنْ رَحْمَةِ اللَّهِ إِنَّ اللَّهَ يَغْفِرُ الذُّنُوبَ جَمِيعًا) لمن تاب من الشرك (إِنَّهُ هُوَ الْغَفُورُ الرَّحِيمُ . وَأَنبِئُوا) ارجعوا (إِلَىٰ رَبِّكُمْ وَأَسْلُمُوا) اخلصوا العمل (لَهُ مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ ثُمَّ لَا تُنصِرُونَ) بمنه إن لم تتوبوا (وَأَتَّبِعُوا أَحْسَنَ مَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ) هو القرآن (مِنْ قَبْلُ أَنْ يَأْتِيَكُمُ الْعَذَابُ بَشْعَةً وَأَنْتُمْ لَا تُشْعُرُونَ) قبل إتيانه بوقته فبادروا قبل (أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي) أصله يا حسرتي : أي ندامتي (عَلَىٰ مَا فَرَّطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ) أي طاعته (وإن) مخففة من الثقيلة أي وإني (كُنْتُ لَمِنَ السَّخِرِينَ) بدينه وكتابه (أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي) ،

واللغى ارجعوا إلى ربكم والزمو أوامر أحسن كتاب أنزل إليكم ونواهيته وهذا الخطاب عام للأولين والآخرين من لدن آدم إلى يوم القيامة ولكن من أدركه التكليف كف باتباعه ومن لم يدركه بأن كان متقدما عليه يلزمه اتباعه لو فرض أنه أدركه ومن هنا أخذ الميثاق على الأنبياء وأمرهم أنه إن ظهر محمد وأحدهم حتى يلزمه اتباعه وفي الحديث «لو أدركني موسى ماوسعه إلا أتبعي» وحينئذ فالمنى اتبعوا يا عبادي من أول الزمان إلى آخره أحسن كتاب أنزل إليكم من ربكم فالمكلف بهذا الخطاب من أدركه ومن لم يدركه لكن من لم يدركه مكلف به لولا مانع الموت ولذا كاف به من بقي حيا حتى أدركه كالخضر وإلياس وعيسى عليهم السلام (قوله القرآن) تفسير لأحسن فإن ما أنزل إلينا من ربنا كتب كثيرة وأحسنها القرآن وهذا كله على ما فهم المفسر ، وقيل معنى أحسن ما أنزل إليكم الخ أي من القرآن وهو أوامره دون نواهيته أو عزائمه دون رخصه أو ناسخه دون منسوخه أو ما هو أهم والخطاب لخصوص هذه الأمة فتدبر (قوله أن تقول نفس) معمول المحذوف قدره المفسر بقوله بادروا قبل أن تقول الخ وقدره غيره كراهة أو مخافة أن تقول نفس الخ وحينئذ فيكون مفعولا لأجله وهو أسهل مما قدره المفسر ، والمراد نفس الكافر ونكرها للتحقير (قوله أصله يا حسرتي) أي فقلبت الياء ألفا فهي في محل جر ونداؤها مجاز : أي هذا أولئك فاحضري (قوله أي طاعته) أشار بذلك إلى أن المراد بالجانب الطاعة مجازا لأن الجانب في الأصل الجهة المحسوسة ويرادفه الجانب فشبهت الطاعة بالجهة بجامع تعلق كل صاحبه لأن الطاعة لها تعلق بالله تعالى والجهة لها تعلق بصاحبها (قوله وإن كنت لمن السخريين) الجملة حالية ، والغنى فرطت في جنب الله وأنا سائر (قوله أو تقول الخ) [٤٥ - صاوي - ثلاث]

أولكن يوع في مقالة الكافر (قوله بالطاعة) وفي نسخة بالطاعة أي إسماعله ولو قال بآياته لكان أظهر (قوله فأكون من المحسنين) إما معطوف على كرة فيكون من جملة التمنى والفاء عاطفة للفعل على الاسم الخاص نظير قول الشاعر :
 لا توقع معتر فأرضيه ما كنت أوثر أربابا على ترب
 ويكون إظهار أن جائزا لا واجبا ، قال ابن مالك :

وإن على اسم خاص فعل عطف تنصبه إن تابعا أو من حذف

أو منصوب في جواب التمني ويكون مرتبا على التمني والفاء للسببية وإظهار أن واجب (قوله فيقال له النعم) أي جوابا لمقالتة الثانية وآخر عن الثالثة ليتصل كلام الكافر بضمه ببعض ولم تؤخر المقالة الثانية عن الثالثة لئلا يكون مخالفا للترتيب الوجودي فان الكافر أولا يتحسر ثم يحتج بحجج واهية ثم يخفى الرجوع إلى الدنيا . إن قلت إن بلى يجب بها التني ولا نفى في الآية . أجيب بأن الآية متضمنة للتني لأن معنى قوله لو أن الله هداني لم يهدني (قوله وهي سبب الهداية) أشار بذلك إلى أن المراد بالهداية الوصول بالفعل وأما إن أريد بها مطلق الدلالة فالآيات نفسها دالة (قوله بنسبة الشريك الخ) أشار بذلك إلى أن المراد كذب يؤدي للكفر وإظهار الآية (٣٥٤) - يم كل كذب على الله تعالى وحينئذ فيها تحذير وتخويف لمن يعتمد الكذب

على الله تعالى كالافتاء بغير
 المهرج ورواية الحديث
 بالكذب (قوله وجوههم
 مسودة) الجملة حالية إن
 جعلت الرؤية بصرية أو
 مفعول ثان إن جعلت
 علمية (قوله أليس في جهنم
 الخ) هذا تقرير لاسوداد
 وجوههم (قوله اتقوا
 الشرك) أي جعلوا بينهم
 وبينه وقاية وهو الإيمان
 وهذه تقوى العامة وتقوى
 الخواص فصل الطاعات
 وترك المعاصي وتقوى
 خواص الخواص عدم

بالطاعة أي فاعتدبت (لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ) عذابه (أَوْ تَقُولَ حِينَ تَرَىٰ أَعْدَابَ لَوْ أَنِّي كُنتُ مِنْ الْمُتَّقِينَ) رجعة إلى الدنيا (فَأَكُونُ مِنَ الْمُحْسِنِينَ) المؤمنين فيقال له من قبل الله (بَلَىٰ قَدْ جَاءَكَ آيَاتِي) القرآن وهو سبب الهداية (فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ) تكبرت عن الإيمان بها (وَكُفْتَ مِنَ الْكَافِرِينَ . وَيَوْمَ الْقِيَامَةِ تَرَىٰ الَّذِينَ كَذَبُوا عَلَىٰ اللَّهِ) بنسبة الشريك والولد إليه (وَجُوهُهُمْ مُسْوَدَّةٌ أَلْسِنَ فِي جَهَنَّمَ مَذْمُومَى) مأوى (لِلْمُتَكَبِّرِينَ) عن الإيمان ؟ بلى (وَيُنَجَّى اللَّهُ) من جهنم (الَّذِينَ اتَّقَوْا) الشرك (بِمَقَارَتِهِمْ) أي بمكان فوزهم من الجنة بأن يحصلوا فيه (لَا يَمَسُّهُمْ فِيهِ السُّوءُ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ . اللَّهُ خَالِقُ كُلِّ شَيْءٍ وَهُوَ عَلَىٰ كُلِّ شَيْءٍ وَكِيلٌ) متصرف فيه كيف يشاء (لَهُ مُقَالِيدُ السَّمَوَاتِ وَالْأَرْضِ) أي مفاتيح خزائنها من المطر والنبات وغيرها (وَالَّذِينَ كَفَرُوا بِآيَاتِ اللَّهِ) القرآن (أُولَٰئِكَ هُمُ الْخَاسِرُونَ) متصل بقوله وينجي الله الذين اتقوا الخ وما بينهما اعتراض (قُلْ أَفَغَيْرَ اللَّهِ تَدْعُونَني أَعْبُدُ أَبْهَاءَ الْجَاهِلُونَ) غير منصوب بأعبد المعمول لتأمروني بتقدير أن بنون واحدة وبنونين

بادغام

البناء سببية متعلقة وينجي وفي قراءة سببية أيضا بمقارنتهم

جمعا باهتبار الأشخاص (قوله أي بمكان فوزهم) أي بمكان ظفرهم بمقصودهم ، والمعنى ينجي الله المتقين بسبب دخولهم في مكان ظفرهم بمقصودهم وهو الجنة (قوله لا يمسهم السوء) يحتمل أن تكون هذه الجملة مستأنفة مفسرة لمقارنتهم فلا محل لها من الإعراب ويحتمل أن تكون حالية من قوله الذين اتقوا (قوله الله خالق كل شيء) هذا دليل لما قبله ودخل في الشيء الجنة وما فيها والنار وما فيها وحينئذ خلا مشارك لله في خلقه (قوله له مقاليد السموات والأرض) المقاليد جمع مقلاذ أو مقليد والكلام كناية عن شدة التمكن والتصرف في كل شيء في السموات والأرض . وروى عن عثمان رضي الله عنه «أنه سأل النبي صلى الله عليه وسلم عن المقاليد فقال : تفسيرها لا إله إلا الله والله أكبر وسبحان الله وبحمده واستغفر الله ولا حول ولا قوة إلا بالله هو الأول والآخر والظاهر والباطن بيده الخير يحيي ويميت وهو على كل شيء قدير فهذه الكلمات مفاتيح خزائن السموات والأرض من تكلم بها فتحت له» (قوله من المطر الخ) بيان للخزان (قوله متصل بقوله وينجي) أي فهو معطوف عليه من عطف جملة اسمية على فعلية ولا حائض منه (قوله المعمول لتأمروني) أي والأصل تأمروني بأن أعبد غير الله قدم مفعول أعبد على تأمروني العامل في عامله وحذفت (قوله بنون واحدة) أي مخففة مع فتح البناء لا غير وهذه النون نون الرفع كسرت للنسبة واستغني بها عن نون الوقاية

(قوله بادغام) أى مع فتح الياء وسكونها وقوة وفك أى مع سكون ايماء لاغير فالقراءات أربع سبعيات (قوله ولقد أوحى إليك الخ) اللام موطئة لقسم محذوف أى والله لقد أوحى الخ ونائب الفاعل قوله لئن أشركت الخ ، والمعنى أوحى إليك هذا السلام (قوله فرضا) أى على سبيل التقدير وفرض الحال وهو جواب عن سؤال مقدر كيف يقع الشرك من الأنبياء مع عصمتهم وقيل المقصود بالخطاب أنهم لعصمتهم من ذلك . إن قات كان مقتضى الظاهر لئن أشركتم فما وجه إفراد الخطاب . أجيب بأن المعنى أوحى إلى كل واحد منهم لئن أشركت الخ كما يقال كسانا الأمير حلة أى كسا كل واحد مناحلة (قوله ليحبطن عملك) من باب تعب وقرء شذوذا من باب ضرب (قوله ولتكونن من الخاسرين) عطف مسبب على سبب وجملة المعطوف والمعطوف عليه جواب القسم الثانى وهو لئن أشركت والقسم الثانى وجوابه عن القسم الأول وهو لقد أوحى وحذف جواب الشرط وهو إن أشركت للقاعدة (قوله بل الله فاهبد) عطف على محذوف والتقدير فلا تشرك بل الله الخ (قوله وكن من الشاكرين) أى على ما أعطاك من التوفيق لطاعته وعبادته لأن الشكر على ذلك أفضل من الشكر على باقى النعم (قوله وما قدروا الله حق قدره) إن قات إن مفهوم الآية يقتضى أن المؤمنين يعرفون الله حق معرفته ومقتضى قوله صلى الله عليه وسلم «سبحانك ما عرفناك حق معرفتك وقوله سبحان من لا يعلم قدره غيره ولا يبلغ الوصفون صمد» أنه لا يعلم الله إلا الله فكيف الجمع بينهما . أجيب بأن الآية محمولة على المعرفة للأمور بها المكلف بتحصيلها ، ولا شك أن للمؤمنين عرفوه حق معرفته التى فرضت عليهم وهى تفريجه عن النقائص ووصفه بالكمالات والحديث محمول على المعرفة التى لم تفرض على العباد وهى معرفة الحقيقة والكنه فتدبر فتحصل أن المعجز عن الإدراك إدراك والبحث عن الذات إشراك ولم يكلفنا الله إلا بأن (٣٥٥) نزهه عما سواه سبحانه وتعالى

(قوله أو ما عظموه حق عظمتهم) مفهومه أنهم عظموه لاحق تعظيمه وهو كذلك لأنهم معترفون بأنه الإله الأكبر الخالق لكل شئ (قوله والأرض جميعا الخ) الجملة حالية من لفظ الجلالة ، والمعنى ما عظموه حق تعظيمه

بِإِدْغَامِ وَفَكَ (وَلَقَدْ أَوْحَىٰ إِلَيْكَ وَإِلَى الَّذِينَ مِنْ قَبْلِكَ) وَاللَّهُ (لَنْ أَشْرَكَكَ) بِإِمْحَادِ فَرْضًا (لِيَحْبُطَنَّ عَمَلُكَ وَلِتَكُونَنَّ مِنَ الْخَاسِرِينَ . بَلِ اللَّهُ) وَحْدَهُ (فَاعْبُدْ وَكُنْ مِنْ أَشَّاكِرِينَ) بِإِنْعَامِهِ عَلَيْكَ (وَمَا قَدَرُوا اللَّهَ حَقَّ قَدْرِهِ) مَا عَرَفُوهُ حَقَّ مَعْرِفَتِهِ أَوْ مَا عَظَمُوهُ حَقَّ عَظَمَتِهِ حِينَ أَشْرَكُوا بِهِ غَيْرَهُ (وَالْأَرْضُ جَمِيعٌ) حَالِ أَى السَّيْعِ (قَبَضَتُهُ) أَى مَقْبُوضَةٌ لَهُ أَى فِي مِلْكِهِ وَتَصَرَّفَهُ (يَوْمَ الْقِيَامَةِ وَالسَّمَوَاتُ مَطْوِيَّاتٌ) مَجْمُوعَاتٌ (بَيِّمِينَهُ) بِقُدْرَتِهِ (سُبْحَانَكَ وَتَعَالَى عَمَّا يُشْرِكُونَ) مَعَهُ (وَتُفْسَخُ فِي الصُّورِ) النَّفْخَةُ الْأُولَى (فَصَبَقَ) مَاتَ (مَنْ فِي السَّمَوَاتِ وَمَنْ فِي الْأَرْضِ إِلَّا مَنْ شَاءَ اللَّهُ) ،

والحال أنه موصوف بهذه القدرة الباهرة وقدم الأرض لمباشرتهم لها ومعرفتهم بحقيقتها (قوله أى فى ملكه وتصرفه) أشار بذلك إلى أنه ليس المراد حقيقة القبض بل المراد التصرف والملك ظاهرا وباطنا ، بخلاف أمور الدنيا فإن للعبيد فيها أملاكا ظاهرة ، وقيل إنه كناية عن انعدامها بالمرّة وهو ظاهر . ويقال فى الطى مثل ذلك (قوله وتفتح فى الصور الخ) التعبير فى هذا وما بعده بالماضى لتحقق وقوعه أى لكونه واقعا فى علم الله تعالى أولا ، لأن كل ما ظهر فهو جار فى سابق علمه تعالى والناخى إسرائيل وجبريل عن يمينه وميكائيل عن يساره عليهم السلام . والصور بسكون الواو فى قراءة العامة وهو القرن فيه ثقب بعدد جميع الأرواح وله ثلاث شعب شعبة تحت الثرى تخرج منها الأرواح وتتصل بأجسادها وشعبة تحت العرش منها يرسل الله الأرواح إلى الموتى وشعبة فى فم إسرائيل وهو ملك عظيم له جناح بالشرق وجناح بالمغرب والعرش على كاهله وقدماء قد نزلنا عن الأرض السفلى مسيرة مائة عام (قوله النفخة الأولى) ظاهر المفسر أن النفخ مرتان نفخة الصق ونفخة البعث وهو ظاهر الآية ، وقيل إن النفخ ثلاث مرّات : فالنفخة الأولى تطول وتكون بها الزلزلة وتسير الجبال وتكوير الشمس وانكسار النجوم وتسجير البحار والناس أحياء والموتى ينظرون إليها فتذهل كل مرضعة مما أرضعت وتضع كل ذات حمل حملها وترى الناس سكارى وما هم بسكارى وهى المعنية بقوله تعالى - إن زلزلة الساعة شئ عظيم - . والنفخة الثانية يكون بها الصق وعندها يموت كل من كان حيا حياة دنيوية وأما من كان حيا حياة برزخية فإنه ينشئ عليه . والنفخة الثالثة نفخة القيام وبين هاتين النفختين أربعون سنة على الصحيح لتسريح الأرض من الهول الذى حصل لها وفى تلك المدة تمطر السماء وتنبت الأرض ولاشى على ظهرها من سائر المخلوقات (قوله مات) أى من كان حيا فى الدنيا وينشئ على من كان ميتا من قبل لكنه حى فى قبره كالأنبياء والشهداء .

(قوله من الحور الخ) أى فهو استثناء من الصنف بمعنى اللوت ويستثنى منه بعض النشى والدهش موسى عليه السلام فإنه لا ينشى عليه بل يبقى متيقظا ثابتا لأنه صنف في الدنيا في قصة الجبل فلا يصنف مرة أخرى (قوله وغيرهما) أى كجبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فانهم لا يموتون بالنفخة الأولى وإنما يموتون بين النفختين لما روى « أن رسول الله صلى الله عليه وسلم تلا : ونفخ في الصور الآية فقالوا يابني الله من هم الذين استثنى الله تعالى ؟ قال هم جبريل وميكائيل وإسرافيل وملك الموت فيقول الله لملك الموت يا ملك الموت من بقى من خلقى وهو أعلم فيقول يارب بقى جبريل وميكائيل وإسرافيل وعبدك الضعيف ملك الموت فيقول الله تعالى خذ نفس إسرافيل وميكائيل فيخران ميتين كالطودين العظيمين فيقول ملك يا ملك الموت فيموت فيقول الله لجبريل يا جبريل من بقى فيقول تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام وجهك الباقي الدائم وجبريل الميت الغافى فيقول الله تعالى يا جبريل لا يد من موتك فيقع ساجدا يخفق بجناحيه يقول سبحانه ربى تباركت وتعاليت يا ذا الجلال والاكرام » (قوله ثم نفخ فيه أخرى) أى بعد أربعين سنة على الصحيح ، وقرب نفخة القيام فأتى سبحانه من تحت العرش فتمطر ماء خائرا كالنقى فتنبت أجسام الخلائق كما ينبت البقل فتتكامل أجسامهم وكل ابن آدم تأكله الأرض إلا عجب الله نب فإنه يبقى مثل عين الجراد لا يدركه الطرف فتركب عليه أجزاءه فإذا تم وتكامل نفخ فيه الروح ثم انشق عنه القبر ثم قام خلقا سويا ، وفي النفخة الثانية يقول : أيتها العظام البالية والأوصال المتقطعة والأعضاء المتمزقة والشعور المنتثرة إن الله للصورة الخالق يا صركن أن تجتمعن لفصل القضاء فيجتمعن ثم ينادى قوموا للعرض على الجبار فيقومون كما قال تعالى : يخرجون من الأبدان كأنهم جراد منتشر (٣٥٦) الآية ، فإذا خرجوا من قبورهم تناقى المؤمنون براكب من رحمة الله

كما قال تعالى : يوم نحشر المتقين إلى الرحمن وفدا ، وينشى المجرمون على أقدامهم حاملين أوزارهم كما قال تعالى : ونسوق المجرمين إلى جهنم وردا ، وفي الآية الأخرى : يحملون أوزارهم على

من الحور والولدان وغيرهما (ثم نفخ فيه أخرى فإذا هم) أى جميع الخلائق الموتى (قيام ينظرون) ينتظرون ما يفعل بهم (وأشرقت الأرض) أضاءت (بنور ربها) حين يتجلى لفصل القضاء (ووضع الكتاب) كتاب الأعمال للحساب (وجيء بالنبیین والشهداء) أى بمحمد صلى الله عليه وسلم وأمه يشهدون للرسول بالبلاغ (وقضى بينهم بالحق) أى العدل (وهم لا يظلمون) شيئا (ووفيت كل نفس ما عملت) أى جزاءه (وهو أعلم) أى عالم (بما يفلحون) فلا يحتاج إلى شاهد ،

ظهورهم (قوله فإذا هم قيام) بالرفع في قراءة العامة خبر عن الضمير وقرئ شذوذا بالنصب على الحال (وسيق وخبر الضمير قوله ينظرون (قوله ما يفعل بهم) أى من الحساب والروى على الصراط وإدخالهم الجنة أو النار (قوله وأشرقت الأرض بنور ربها) المراد بالأرض الجديدة البديلة التي يحشر الناس عليها (قوله حين يتجلى) أى حين يكشف الحجاب عن الخلائق فيرونها حقيقة لما في الحديث « سترون ربكم لا تعامرون فيه كالأعمارون في الشمس في اليوم النصب » وهذا النور يخلقه الله تعالى فتضى به الأرض وليس من نور الشمس والقمر وهو مخصوص بمن يرى الله تعالى في القيامة وهم المؤمنون (قوله ووضع الكتاب) أى أعطى كل واحد من الخلائق كتابه فيجزيه أو شمله (قوله وجيء بالنبیین والشهداء) أى وذلك أن الله تعالى يجمع الخلائق الأولين والآخرين في صعيد واحد ثم يقول لكفار الأسم : ألم يأتكم نذير ؟ فينكرون ويقولون ما جاءنا من نذير فيسأل الله تعالى لآنباء عن ذلك فيقولون كذبوا قد بلغناهم البينة وهو أعلم بهم إقامة للحجة فيقولون أمة محمد تشهد لنا فيؤتى بأمة محمد صلى الله عليه وسلم فيشهدون لهم أنهم قد بلغوا فتقول الأمم الماضية من أين علموا وإنما كانوا بعدنا فيسأل هذه الأمة فيقولون أرسلت إلينا رسولا وأزلت علينا كتابا أخبرتنا فيه قبله الرسل وأنت صادق فيما أخبرت ، ثم يؤتى بمحمد صلى الله عليه وسلم فيسأل الله تعالى عن أمته فيزكهم ويشهد بصدقهم (قوله أى العدل) أى بالنسبة للكافرين ، وأما المؤمنون فحكمهم فيهم بالفضل (قوله أى جزاءه) أشار بذلك إلى أن الكلام على حذف مضاف (قوله أى عالم) أشار بذلك إلى أن اسم التفضيل ليس على بابه إذ لا مشاركة بين القديم والحادث (قوله فلا يحتاج إلى شاهد) أى لأنه عالم بمقادير أفعالهم وكيفياتها وإنما الشهود وكتابة الأعمال لحكم عظيمة منها إقامة الحجة على من عاند ، وقد أشار صاحب الجوهرة لهذا بقوله :

والعرش والسكرى ثم القلم والكاتبون اللوح كل حكم لا احتياج وبها الإيمان يجب عليك أبا الانسان

(قوله وسبق الذين كفروا الخ) هذه الآية وما بعدها تفصيل لما أجمل في قوله - ووفيت كل نفس ما عملت - (قوله بنصف) أى شدة لأنهم يضربون من خلف بالمقامع ويسحبون من أمام بالسلاسل والأغلال (قوله إلى جهنم) المراد دار العذاب بجميع طبقاتها (قوله زمرا) جمع زمرة من الزمر وهو الصوت ، صموا بذلك لأن الجماعة لا تخلو غالبا عنه (قوله جماعات متفرقة) أى فوجا فوجا كما في آية - كلا ألقى فيها فوج - والمعنى كل أمة على حدة (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية تبدأ بعدها الجمل (قوله فتحت أبوابها) أى ليتلقون حرارتها بأنفسهم (قوله جواب إذا) أى باتفاق (قوله رسل منكم) أى من جنسكم (قوله القرآن) أى بالنسبة لأمة محمد صلى الله عليه وسلم ، وقوله وغيره : أى بالنسبة لبقية الأمم (قوله لقاء يومكم هذا) أضاف اليوم لهم باعتبار انحصار شدته فيهم ، وليس المراد به يوم القيامة جميعه فانه مختلف باعتبار الأشخاص ، فيكون لقاء وسرورا للمؤمنين وشدّة وعذابا للكافرين (قوله قالوا بلى) إقرار بما وقع منهم وإنما أنكروا حين سألهم الله تعالى طمعا في النجاة فلما قامت الحجج عليهم ونحتم الأمر بهذبهم رأوا أن الإنكار لا فائدة فيه فأقرّوا ، وبالجملة فالقيامة مواطن تارة ينكرون وتارة تقرّ أعضاؤهم وتارة يقرّون بأنفسهم (قوله على الكافرين) أظهر في محل الإضمار إشارة لسبب استحقاقهم العذاب وهو الكفر (قوله مقدرين الخلود) أشار بذلك إلى أن قوله : خالدين حال مقدرة وذلك لأنهم

(٣٥٧)

وعند الدخول ليسوا خالدين

وإنما منتظرون

ومقدرون الخلود (قوله

فليس مثوى للتكبرين)

أظهر في محل الإضمار

إشارة إلى بيان سبب

كفرهم الذى استحقوا

به العذاب ، وقوله جهنم

هو المخصوص بالدم (قوله

وسبق الذين اتقوا ربهم)

أخروعد المؤمنين ليحسن

اختتام السورة به ليكون

آخر الكلام بشرى

للمؤمنين (قوله بلطف)

أشار بذلك إلى أن السوق

(وَسَبِقَ الَّذِينَ كَفَرُوا) بنصف (إِلَى جَهَنَّمَ زُمَرًا) جماعات متفرقة (حَتَّى إِذَا جَاءَهَا فَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) جواب إذا (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا أَلَمْ يَأْتِكُمْ رُسُلٌ مِنْكُمْ يَقُولُونَ عَلَيْكُمْ آيَاتُ رَبِّكُمْ) القرآن وغيره (وَيُنذِرُوكُمْ لِقَاءَ يَوْمِكُمْ هَذَا قَالُوا بُلَى وَلَكِنْ خَفَّتْ كَلِمَةُ الْعَذَابِ) أى لأملان جهنم الآية (عَلَى الْكَافِرِينَ) قِيلَ ادْخُلُوا أَبْوَابَ جَهَنَّمَ خَالِدِينَ فِيهَا (مَقْدَرِينَ الْخُلُودِ) (فَبِئْسَ مَثْوًى) مأوى (الْمُتَكَبِّرِينَ) جهنم (وَسَبِقَ الَّذِينَ اتَّقَوْا رَبَّهُمْ) بلطف (إِلَى الْجَنَّةِ زُمَرًا حَتَّى إِذَا جَاءَهَا وَفُتِحَتْ أَبْوَابُهَا) الواو فيه للحال بتقدير قد (وَقَالَ لَهُمْ خَزَنَتُهَا سَلَامٌ عَلَيْكُمْ طِبْتُمْ) حال (فَادْخُلُوهَا خَالِدِينَ) مقدرين الخلود فيها ، وجواب إذا مقدر : أى دخولها ، وسوقهم وفتح الأبواب قبل مجيئهم تسكرمة لهم وسوق الكفار وفتح أبواب جهنم عند مجيئهم ليبقى حرها إليهم إهانة لهم (وَقَالُوا) عطف على دخولها المقدر (الْحَمْدُ لِلَّهِ الَّذِي صَدَقَنَا وَعْدَهُ) بالجنة ،

في الموضوعين مختلف سوق الكفار - سوق إهانة وانتقام - سوق المؤمنين سوق تشريف وإكرام ، وفي المعنى سوق المؤمنين سوق مراكبهم لأنهم يذهبون راكبين فيسرع بهم إلى دار السكرامة والرضوان فشتان ما بين السوقين ، وهذا من بدیع الكلام وهو أن يؤتى بكلمة واحدة تدل على المصانف في حق جماعة وعلى العز والرضوان في حق آخرين (قوله زمرا) أى جماعات على حسب قربهم ومراتبهم (قوله حتى إذا جاءوها) حتى ابتدائية (قوله الواو فيه للحال) والحكمة في زيادة الواو هنا دون التي قبلها أن أبواب السجن مغلقة إلى أن يجيئها صاحب الجريدة فتفتح له ثم تعلق عليه فناسب ذلك عدم الواو فيها بخلاف أبواب السرور والفرح فانها تفتح انتظارا لمن يدخلها (قوله وقال لهم خزنتها) عطف على قوله : جاءوها (قوله سلام عليكم) أى سلمتم من كل مكروه ، وقوله : طبتم : أى طهرتم من دنس المعاصي لما ورد « أنه على باب الجنة شجرة ينبع من ساقها عينان يشرب المؤمنون من إحداها فتطهر أجوافهم ، وذلك قوله تعالى - وسقام ربهم شرابا طهور - ثم يغتسلون من الأخرى فتطيب أجسادهم فعندها يقول لهم خزنتها - سلام عليكم طبتم فادخلوها خالدين » (قوله وجواب إذا مقدر) هذا أحد أقوال ثلاثة ، وقيل إن جوابها قوله وفتحت والواو زائدة ، وقيل هو قوله - وقال لهم خزنتها - والواو زائدة (قوله وسوقهم) مبتدأ وتسكرمة خبره وكذا ما بعده (قوله وقالوا) أى بعد استقرارهم في الجنة (قوله الذى صدقنا وعده) أى حققه لنا في قوله - تلك الجنة التى نورث من عبادنا من كان تقيا - .

(قوله وأورثنا الأرض) أى ملكها لنا تصرف فيها تصرف الوارث فيما يرثه وقد كانت لآدم وحده فأخذها أولاده إرثا لها منه ، وقيل للراد أورثنا أرض الجنة التى كانت للكفار لو آمنوا ، والأقرب أن للراد ملكنا إياها كالميراث فانه ملك بلائع ولا شبهة لأحد فيه فكذلك منازل الجنة (قوله لا يختار فيها مكان على مكان) أى بل يرضى كل إنسان بمكانه الذى أعد له بحث لو أطلق له الاختيار (٣٥٨) لا يختار غيره لزوال الحقد والحسد من القلوب ، وهذا جواب عما قيل كيف ذلك

(وَأَوْزَيْنَا الْأَرْضَ) أى أرض الجنة (نَتَّبِعُوا) نزل (مِنَ الْجَنَّةِ حَيْثُ نَشَاءُ) لأنها كلها لا يختار فيها مكان على مكان (فَتَنَّمْ أَجْرُ الْعَامِلِينَ) الجنة (وَتَرَى الْمَلَائِكَةَ حَافِينَ) حال (مِنْ حَوْلِ الْعَرْشِ) من كل جانب منه (يُسَبِّحُونَ) حال من ضمير حافين (بِحَمْدِ رَبِّهِمْ) ملاسين للحمد ، أى يقولون : سبحان الله وبحمده (وَقُضِيَ بَيْنَهُمْ) بين جميع الخلائق (بِالْحَقِّ) أى المدل فيدخل المؤمنون الجنة والكافرون النار (وَقِيلَ الْحَمْدُ لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ) ختم استقرار الفريقين بالحمد من الملائكة . والله سبحانه وتعالى أعلم .

تم الجزء الثالث ، ويليه الجزء الرابع

وأوله :

سورة غافر

مع ان كل إنسان له محل معه لا سبيل له إلى غيره . وأجيب أيضا بأن المعنى يختار من منازل ما يشاء لما ورد « أن كل واحد له جنة لا توصف سعة ولا حسنا فيتبوا من جنته حيث يشاء ولا يختار بياله غيرها » (قوله فتم أجر العالمين) هذا من كلام الله تعالى زيادة في سرور أهل الجنة ، وقوله الجنة هو المخصوص بالمدح (قوله وترى للملائكة) الخطاب للنبي صلى الله عليه وسلم بل ولكل مؤمن زيادة في السرور لأن رؤية الملائكة في الآخرة من النعيم لاتحاد روحانيتهم مع الإنس وأما في الدنيا ففزع لأن النوع الإنساني في الدنيا ضعيف مكبل بأنواع الشهوات والحجب فلا يستطيع رؤية المقرين (قوله حافين) أى محيطين مصطفىين بحافته وجوانبه (قوله أى يقولون سبحان الله وبحمده) أى لقد ذا لأن منتهى درجاتهم

فهرس

الاستغراق في تسبيحه تعالى وتنديسه (قوله ختم استقرار

الفريقين الخ) أى كما ابتداء ذكر الخلق بالحمد في قوله : الحمد لله الذى خلق السموات والأرض ففيه تنبيه على أنه تعالى حمده في مبدأ كل أمر ونهايته (قوله من الملائكة) أى بل ومن جميع الخلق فان جميع أهل الجنة يحمدون الله تعالى على ما أعطاهم وأولاهم من تلك النعم العظيمة ويحمدون لذلك الحمد لذة عظيمة لزوال الحجاب عنهم ، والله أعلم .

فهرس الجزء الثالث

من حاشية الشيخ الصاوى على تفسير الجلالين

صفحة	صفحة
٥٨	٢ سورة الكهف
الكلام على موسى الرسول وموسى السامري	ثناء الله على نفسه على إزاله القرآن خاليا من الاختلاف والتناقض
٦٢	٣ تخويف القرآن للكافرين وتبشير المؤمنين
قصة آدم عليه السلام مع إبليس عليه اللعنة	نهي للنبي صلى الله عليه وسلم عن الحزن على عدم إيمان الكافرين بالقرآن
٦٦	٤ قصة أصحاب الكهف وبيان أن قصتهم ليست بحجية دون باقي الآيات
سورة الأنبياء عليهم السلام ، وفيها ذكر قصص لبعض الرسل وإذابة قومهم لهم تسلية للنبي صلى الله عليه وسلم	٨ أسماء أصحاب الكهف واسم كلهم وقائدة كتابتها
٧٤	٩ اللذة التي لبثها أهل الكهف فيه موتى ثم أحياهم الله القادر بعد هذه اللذة ليدل بباهر قدرته على بث الخلق أجمعين .
قصة سيدنا إبراهيم عليه السلام مع قومه وعاجبته لهم على عبادتهم الأوثان وإيقادهم له النار ليعرقوه وملاحظة الله له بلطفه وردة كيد الساكرين به	١٠ أمر الله النبي صلى الله عليه وسلم بمراعاة فقراء المسلمين والجلوس معهم
٨٠	١٢ مثل الكافرين ومثل المؤمنين
تسخير الله سبحانه وتعالى الريح لسليمان تجرى بأمره حيث أراد وما أعطاه الله له من الملك	١٤ مثل الدنيا وأنه لا ينفع شيء منها إلا ما كسبه الانسان من العمل الصالح
٨٧	١٥ ذكر شيء من أهوال يوم القيامة
سورة الحج ، وما اشتملت عليه من أهوال القيامة ومن بناء إبراهيم عليه السلام البيت إلى غير ذلك	١٧ قصة سيدنا موسى والحضر عليهما السلام وفيها من العلوم الباطنية ما تحير فيه الألباب .
٩٩	٢٣ قصة الاسكندر ذي القرنين وبيان أنه ليس نبيا بل هو ولي من أولياء الله : الى
الكلام على قوله تعالى - وما أرسلنا من قبلك من رسول ولا نبي - الآية وتأويلها الصحيح	٢٩ سورة مريم عليها السلام ، وفيها من قصص الرسل ما يهز العقول
١٠١	٤٦ سورة طه وما فيها من القصص
آيات الواضحات على وحدانية الله تعالى وباهر قدرته	
١٠٥	
تفسير سورة المؤمنون وما اشتملت عليه من بيان صفات المؤمنين حقاً ومن الآيات الدالة على قدرة الله تعالى ومن ذكر قصص بعض الرسل	
١١٢	
مام الدين يخافون ربهم وما جزاؤهم	

مصحف

١١٧ ندم الكافرين عند موتهم وذكر شئ

من أهوال يوم القيامة وبيان حال
الكافرين وحال المؤمنين

١١٩ تفسير سورة النور وفيها من الآداب
الربانية ما لم تكن به المسلمون لكانوا
من الفائزين

١٢١ الكلام على براءة السيدة عائشة ع
رماها به النافقون وبعض المؤمنين

١٣٠ الكلام على قوله تعالى - الله نور
السماوات والأرض - الآية

١٣٦ الآداب التي أمر الله بها عباده

١٤١ تفسير سورة الفرقان

١٥٥ مأم عباد الرحمن وما صفاتهم ؟

١٥٧ تفسير سورة الشعراء وفيها من قصص
الرسلين ما يبهز العقول

١٧٤ سورة النمل

١٧٧ بيان تعاليم الله تعالى سليمان عليه السلام
منطق الطير الذي من جملة الخلق ،

وقصته معها وقع الهدى ومع بلقيس
١٨٨ ذكر أدلة على وحدانية الله تعالى وأنه

الستحق للعبادة دون ما سواه

١٩٢ الكلام على الدابة التي تكلم الناس ،
وهي من علامات القيامة

١٩٥ تفسير سورة القصص وفيها من الأخبار
العجيبة ما تشرح له الصدور وتطمئن به

القلوب

٢١١ الكلام على قارون وما آتاه الله من
الكنوز وبيان أن ذلك لم يجده شيئا

ولأنما ينفع العبد يوم القيامة العمل
الصالح

مصحف

٢١٥ تفسير سورة المنكبوت وفيها ذكر

قصص بعض الرسل تسليية للنبي
صلى الله عليه وسلم

٢٢٣ النهي عن مجادلة أهل الكتاب إلا بالنبي
هو أحسن

٢٢٧ تفسير سورة الروم وبيان صدق النبي
صلى الله عليه وسلم فيما أخبر به من الغيبات

٢٣٠ الآيات الدالة على قدرة الله تعالى

٢٣٧ تفسير سورة لقمان وما فيها من المواعظ
والحكم والبراهين الدالة على وحدانية

الله تعالى وقدرته

٢٤٤ تفسير سورة السجدة

٢٤٧ مأم الذين إذا ذكروا بآيات ربهم ،
وما جزأهم

٢٤٩ تفسير سورة الأحزاب ، وما فيها من
الأحكام وغزوة الخندق والآداب

الربانية التي جعلها الله علامة للفوز بدار
النعيم لمن تمسك بها

٢٧٢ تفسير سورة سبأ

٢٨٦ » » فاطر

٢٩٦ » » يس

٣١١ » » الصافات ، وفيها قصص
بعض الرسل

٣٢٨ » » ص ، وفيها أيضا قصص
بعض الرسل ومن بينها قصة سيدنا

داود مع أوريا بالنسبة لزوجته وأصح
ما قيل في هذه القصة مما يناسب

مقام الرسل

٣٤٢ تفسير سورة الزمر وختمها بحال
الكافرين وحال المؤمنين يوم القيامة